حضارة مصر القديمة

منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات الوطنية

الجزء الأول



تقديم
زاهي حواس

تأليف
د. رمضان عبده علي

وزارة الثقافة
المجلس الأعلى للآثار

نحو وعى حضارى معاصر
سلسلة الثقافة الاثريه والتاريخية
مشروع المائة كتاب
٤١



تقديم
زاهي حواس

تأليف
د/ رمضان عبده على

تقديم

يسعدنى أن أقدم للقارئ العزيز الجزء الأول من كتاب «حضارة مصر القديمة » للدكتور رمضان عبده على . وهذا الكتاب يشرح بالتفصيل حضارة مصر حتى نهاية الأسرة ٣١ من العصر الفرعونى.

ويعتبر هذا الكتاب رقم ٤١ فى سلسلة المائة كتاب التى يصدرها المجلس الأعلى للآثار . وكان المجلس قد أصدر كتابًا من جزئين للدكتور رمضان عبده عن «تاريخ مصر القديم» . وقد لاحظنا أن علماء الآثار مقلين بالإنتاج العلمى وتقديم الجديد لذلك فقد وجهنا إلى ضرورة نشر رسائل الدكتوراه والماجستير المميزة . وهناك مشروع آخر للترجمة سوف يثرى المكتبة الأثرية بالعديد من الكتب الأجنبية باللغات المختلفة وسوف يفيد دارسى الآثار.

ويعد كتاب «حضارة مصر القديمة» من الكتب المهمة باعتباره عملاً علميًا جادًا يستطيع القارئ أن يلم من خلاله بكل ماهو جديد فى مجال الحضارة الفرعونية من خلال أحدث الاكتشافات الأثرية التى قد تغير الكثير من المعلومات المتعلقة بالحضارة المصرية القديمة وفضلاً عن ذلك فإن الدكتور رمضان عبده يقدم لنا أحدث المؤلفات والمراجع العلمية فى مجال الحضارة المصرية ومعروف عن الدكتور رمضان عبده دقته المتناهية فى العرض والتحليل واستخلاص النتائج العلمية.

ويسعدنى أن أقدم الجزء الأول من كتاب «حضارة مصر القديمة» الذى سيكون بلا شك إضافة جديدة للآثار والأثريين وطلاب الجامعات المهتمين بالدراسات المصرية القديمة . وأرجو أن يستكمل المؤلف باقى الأجزاء لتلبية حاجة المكتبة المصرية الأثرية .

كما يسعدنى أن أشكر فريق العاملين بمطبعة المجلس الأعلى للآثار بقيادة آمال صفوت على الإخراج الرائع لهذا الكتاب...

والله الموفق

د. زاهى حواس

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد النور وآله

****

في البداية لا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر العميق إلى السيد الأستاذ الدكتور/ **زاهى حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار** على موافقته السريعة على طبع هذا الكتاب ضمن سلسلة مطبوعات المجلس الأعلى للآثار.

وقد سبق للمجلس الأعلى للآثار مشكوراً تحت تسميته القديمة (هيئة الآثار المصرية) أن قام بطبع مؤلفى عن «تاريخ مصر القديمة» فى جزئين، فى سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب - الأول فى العدد ١٦ وظهر عام ١٩٨٨ والثانى فى العدد ٢١ وظهر عام ١٩٩٣.

وفى الواقع أنه عندما عرضت فكرة هذا الكتاب على أ.د/ **زاهى حواس**، تحمس لها كثيراً كما هى عادته دائمًا فهو يعرف جيداً قيمة التأليف العلمى فهو صاحب رصيد كبير وله مؤلفاته العلمية العديدة فى مجال علم المصريات.

وإذا استعرضنا قائمة مطبوعات سلسلة الثقافة الأثرية (مشروع المائة كتاب) وغيرها من مطبوعات المجلس الأعلى للآثار، نلاحظ خلو هذه السلسلة وغيرها من مؤلف عن مظاهر الحضارة المصرية بوجه عام منذ أقدم عصورها حتى نهاية الأسرات الوطنية، فهناك مؤلفات معدودة تتناول بعض العناصر من مظاهر الحضارة المصرية القديمة مثل:

الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة، لمحات فى تاريخ العمارة المصرية، بعض المؤلفات المترجمة من الإنجليزية لمؤلفين أجانب عن الديانة المصرية القديمة، فن الرسم عند قدماء المصريين، الفن المصرى القديم، العمارة المصرية القديمة، المسلات المصرية، مصر القديمة «دراسة طبوغرافية» وغيرها.

لهذا السبب تحمس أ.د/ **زاهى حواس** لنشر هذا المؤلف بأجزائه الثلاثة.

كما لايفوتنى أن أتقدم بالشكر إلى السيدة الفاضلة / **آمال صفوت الألفى** مدير عام مطبعة المجلس الأعلى للآثار وفريق العمل معها، مثال النشاط والخبرة الطويلة والرؤية الثاقبة، والتى بفضلها تخرج كل مطبوعات المجلس الأعلى للآثار فى أكمل صورة.

فلها منا عظيم الشكر والإمتنان.

الجزء الأول

مقدمة – تمهيد – البيئة والإنسان المصري القديم – نشأة الحضارة المصرية القديمة – عوامل تطور وازدهار الحضارة – نظم الحكم والإدارة – مظاهر الحياة الاجتماعية – مظاهر الحياة الاقتصادية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته والتابعين أجمعين .

يعد **تاريخ مصر القديم** من أعظم وأجل تواريخ الأمم والشعوب القديمة وارفعها فى تاريخ الإنسانية مكانا ، وأن **الحضارة المصرية القديمة** من أرقى حضارات الشعوب القديمة وأكثرها تأثيرا فى التراث الإنسانى القديم .

وبعد أن انتهينا من استعراض أهم الأحداث السياسية فى كل عصر من عصور تاريخ مصر القديم فى كتابنا عن " **تاريخ مصر القديم** " فى طبعته الحديثة[١] وما أشرنا فيه عن بعض المظاهر الحضارية التى تميز بها كل عصر ، رأينا أنه لكى تكتمل معرفتنا عن مصر القديمة من كل جوانبها أن نكتب كتابا مستقلا عن الحضارة " **حضارة مصر القديمة** " نتعرف من خلال صفحاته على أهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة المختلفة وما توصل إليه الإنسان المصرى القديم من معارف وخبرات .

مفهوم كلمة حضارة :

إن كلمة الحضارة كلمة عامة قد تكون غير واضحة للكثير من الناس . فمثلا يعبر عن لفظ حضارة فى اللغة الإنجليزية بكلمة :

Civilization وفى الفرنسية بالكلمة نفسها Civilisation ، وهو لفظ مشتق أساسا من كلمة Civilis فى اللاتينية بمعنى " المدنية " أو Civis بمعنى " ساكن المدينة "

---

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، جزءان يناير ٢٠٠١ .

أو Civilis بمعنى " مدنى أو ما يتعلق بســاكن المدينــة "[١] حيــث تقــوم الحيــاة المتحضرة بين سكان المدن ، وذلك لما يتوفر فى المدن من ثروات وخبرات فضـــلا عما يحققه الإنسان فيها من إنجازات وابتكارات ونتاج فكرى ومادى .[٢] ولهذا يــرى بعض الكتاب أن كلمة " مدنية " ما هى إلا ترجمة للفظ Civilization بينمـــا كلمــة " حضارة " ترجمة للفظ Culture ، على أساس أن المدنية فى نظر البعــض أكــثر اتصالا بالمظاهر المادية المتصلة بالحياة العملية ، وهذه بدورها وثيقة الصلة بــالعلوم الطبيعية بينما تنطوى الحضارة على مظاهر ثقافيــة ومعنويــة . وإذا رجعنــا إلــى الاشتقاق اللغوى للفظ Culture فنجد أنه مشتق من " فن حراثة التربــة أو الأرض " أى أن الثقافة فن تهذيب العقل بعد أن كان اللفــظ يتصــل بفــن تشــذيب الأرض أو الزراع ، ومن ثم فإن لفظ Culture يعبر عن طريق تفكــير الإنســان ومجموعــة أنظمته ونظرته إلى الحياة .[٣] ويرى بعض الكتاب أن اختصاص المدنية بـــالجوانب المادية والعلمية واختصاص الحضارة بالجوانب الثقافية قد أدى إلـــى اقـتراب لفـظ حضارة من لفظ الثقافة إلى حد صعوبة التمييز بينهما .[٤]

---

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) مؤسسة الثقافـــة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ٣ .

(٢) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فـــى مصــر القديمــة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٩٤ .

(٣) أن الثقافة لترتبط بالزراعة كما ترتبط المدنية بالمدينة ، ويشير بعض المؤلفيـــن هنا إلى الارتباط اللفظى بين الكلمتيـــن فـــى الإنجليزيـــة وهمـــا : Culture Agriculture وكذلك إلى العلاقة اللفظية بين كلمى Civilization ومعناهـــا " مدنية " وكلمة Civility ، ومعناها " رقة المعاملة " راجع : ول ديورانـــت : قصة الحضارة ، الجزء الأول من المجلد الأول ، نشأة الحضـــارة ، ترجمـــة : د. زكى نجيب محمود ، الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، ص ٥ .

(٤) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٤ – ٥ .

وإذا بحثنا فى القاموس عن معنى لفظ Civilization فنجده يعنــى باللغــة العربية : حضارة ، تمدن ، عمران ، تثقيف . ولفـــظ Culture يعنــى : تمــدن ، تهذيب ، تثقيف العقل ، تربية ، ثقافة أى أن المعنيين متقاربين .

ويرى بعض المفكرين أن هناك **فرقا** بين كل مفهوم : المدنيــة ، الثقافــة ، والحضارة .

فالمدنية تعنى : الإبداع ، والارتقاء بالوسائل المادية التى تحقــق للإنســان الرخاء فى مجال الصناعة ، والعمران ، والمواصلات ، والزراعة ... الــخ – أى أن **موضوعها وسائل الإنسان (عالم الأشياء) والإبداع فى مجال الماديات .**

وان **الثقافة** تعنى : الارتقاء بخصائص وصفات ومزايا الإنسان ، وحســن تأهيله وتربيته ، **واكتسابه مجموعة معارف تساهم بتشكيل شــخصيته** ، وتكويــن نظرته السوية إلى الكون والحياة ، وتحديد هدفــه وتكويــن نسـيجه العــام ، أى أن موضوعها الإنسان نفسه **(عالم الأفكار) والإبداع فى مجال المعنويات .**

أما **الحضارة** فتعنى : المدنية والثقافة معا أى **الإبداع والارتقاء بخصــائص وصفات ومزايا الإنسان .**

فإذا اقتصر التقدم العلمى على وسائل الإنسان وأشيائه المادية فقــط ، فــلا يخرج عن كونه تقدما مدنيا ولا يمكن تسميته حضارة ، وهذا هو الحاصل اليوم فــى التقدم العلمى للمدنية الحديثة ، حيث تتقدم أشياء الإنسان على حساب الإنسان ذاتــه . **لأن هذا التقدم أهمل إنسانيته ، وتنمية خصائصه وصفاته ، وتكوين ذوقــه العــام وتطهير وجدانه** ، والارتقاء بنظرته للحياة والأحياء ، إنه أخرج الإنسان بخصائصــه وصفاته من دائرة اهتمامه .

---

(١) عمر عبيد : فى كتاب الأمة : " قضية التخلف العلمــى والتقنــى فــى العــالم الإسلامى المعاصر " ، سلسلة فصلية ، تصدر عن مركز البحوث والمعلومــات برئاسة المحاكم الشرعية فى دولة قطر ، ١٩٨٨ ، ص ١٧ .

ويرى البعض الآخر أن كلمة " **مدنية** " أو " **حضارة** " تـدل علـى النظـام الاجتماعى والتشريعات الخلقية والنشاط العلمى ، أما كلمة " **ثقافة** " فهى تدل أما على ما يمارسه الناس فعلا من ألوان السلوك وأنواع الفنون ، وإما على مجموع ما لـدى الشعب من أنظمة اجتماعية وعادات وفنون .[١] ويفرق د. حزين بين هـذه المفـاهيم الثلاثة : فالمدنية هى الشئ المادى المتصل باليد ووسائل التعبير عنها . أمـا الثقافـة فهى الأشياء المعنوية والنابعة من الفكر . والحضارة تشـمل العنصريـن السـابقين معا .[٢]

وفى رأينا أن الكلمتين تستخدمان للدلالة على مفهوم واحد وهو " حضـارة " وأن لفظ **حضارة لفظ أعم وأشمل** من لفظى " مدنية وثقافة " وأن مفهوم لفظ الحضارة الحديثة والمعاصرة يقصد به مجموعة من المعانى والمفاهيم هي :

" تمدن ، عمران ، تثقيف وثقافة ، وتهذيب وتربية "

ويمكن التعبير عن هذه المعانى والمفاهيم فى أربع نقاط :

(١) أن الحضارة هى نتيجة التجاوب بين الإنسان وعناصر البيئة التى يعيش فيـها ، **ونتيجة التأثير والتأثر** المتبادل بين الإنسان والبيئة وما يترتب على ذلـك مـن عوامل استقرار وعمران وتمدن وبناء . أى هى نتاج التفـاعل بيـن الإنسـان وظروفه البيئية .

(٢) هى ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته المادية والمعنوية . أو بمعنى آخر فالحضارة هى كل ما يفرزه عقل الإنسان من إنجازات .

(٣) هى انعكاس لما يفكر فيه الإنسان ويشعر به ويتفاعل معه ويتأثر به ويؤمن بـه ويجعل منه منهجا وسلوكا فى حياته . فالحضارة هى **تعبير** عن إرادة الإنسـان التى تحرك الأشياء وتصنع الأحداث .

---

(١) ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة : د. زكى نجيب محمـود ، المرجـع السابق ، ص ٩ .
(٢) د. سليمان حزين : مستقبل الثقافة فى مصر العربية ، دار الشـروق ، ص ٧ – ١٠ .

(٤) هى المرآة التى تعكس لنا ظواهر حياة المجتمع ونشاط الإنسان فيه من كافة جوانبه الروحية والفكرية والمادية والعملية .

فالحضارة عبارة عن **صفة عامة** يتصف بها كل مجتمع إنسانى وتميزه عن المجتمع الآخر وربطت بين أفراده مجموعة من المصالح المادية المشتركة ، ومجموعة من القيم الروحية وقواعد السلوك . فالإنسان هو مقياس الأشياء جميعا ، أودع الله عز وجل فيه عقل مدبر وقلب مملوء بالمشاعر وإرادة وطاقات هائلة . وعلى ذلك فإن لفظ حضارة لا يقصد به نمط راق أو تقدم فى الحياة ، أو أن وصفها مقصور على بعض الشعوب دون الأخرى .

فالمعنى الفعلى للحضارة يبتعد تماما عن التقييم أو المفاضلة أو التمييز بين الشعوب والمجتمعات ، ويستبعد أيضا المعنى المتداول حديثا عند بعض كتاب الغرب والذى يميز بين شعوب متحضرة وشعوب غير متحضرة أو همجية أو متخلفة أو بربرية .[١] وذلك لأنه لكل شعب نصيبا من الحضارة قل أو كثر ومهما كان من البساطة رصيده المادى والثقافى . فسكان البادية والقبائل الرحل وسكان المناطق المنعزلة والجبال **لا يمكن أن ننفى عنهم صفة الحضارة** فهم يعيشون على نظم وأنماط معينة تلائم حياتهم وظروفهم والتى يمكن أن نطلق عليها نظم حضارية بسيطة .[٢]

فإذا أردنا الحديث عن حضارة أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات فإنه لا ينبغى أن يقتصر حديثنا على أنشطة الإنسان المختلفة داخل هذا المجتمع فى مجال نظم الحكم والإدارة ، والحياة الاجتماعية ، والحياة الاقتصادية ، والحياة الدينية ، والحياة الثقافية (الكتابة واللغة وفروع الأدب) والحياة العلمية (العلوم) ، والحياة الفنية واساليب التربية ونظم التعليم ، وأخيرا فى مجال التأثير والتأثر ولكن لابد من الحديث عن مجموعة القيم والمبادئ والفضائل التى تمسك الإنسان بها واحترمها

---

(١) د. أحمد صبحى : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) د. محمد ادريس : دراسات فى الحضارة الإسلامية ، ص ٦ .

والتزم باتباعها ، وكذلك عما آمن به من عدالة وتسامح تجـــاه الآخريـــن ويلخـــص شفيتسر كل هذه المعانى فى جملة واحدة : " ان الحضارة بصفة عامـــة هـــى التقـــدم الروحى والمادى للأفراد والجماهير على السواء " .(١)

فالحضارة هى أيضا **محصلة التفاعل** بين كل هذه المظـــاهر والأنظمـــة ، **ونسيج متكامل الخطوط** من كل هذه الأفكار والمعانى والقيم ، **وسجل لنشاط** المجتمع فى كل جوانب الحياة .(٢) وللإنسان الدور الرئيسى فى تحقيق هـــذا التفـــاعل وذلـــك الترابط بين هذه الخطوط المختلفة وهو مصدر هذا النشاط حتى تبدو الحضارة وحـــدة متكاملة الأطراف . وعليه أيضا أن يحافظ على كل ما حققه ويحافظ علـــى مظـــاهر حضارته من الاضمحلال ، فحين تضمحل حضارة يميل الإنسان بداخلها إلى ما هـــو سهل وسطحى وخفيف ، ويميل إلى ما يرضى العاطفة ولا يثير الفكر ويحمس النشاط ويلهب الإرادة ، ويفقد قيمه ومبادئه ويبعد عن الديانة ، ولا تصبح ذات تـــأثير فعـــال عليه ، ومن هنا يظهر أهمية دور الإنسان الذى يبنى فيرتقى ، أو يهدم فينحدر وينهار معه كل شئ معنوى ومادى .

فالحضارة تعنى كذلك دراسة **حياة الإنسان** فى ماضيه وحاضره فى مختلف ظواهرها . **فالحضارة سابقة على التاريخ** بل هى أساس الأحداث التاريخية نفسها .

فالحضارة والتاريخ مرتبطان بعضهما ببعض . **فالحضارة هـــى** الصـــورة المتكاملة بكل تفاصيلها لحياة هذا الإنسان ، **والتاريخ هو** الإطار العام الـــذى يعطـــى لهذه الصورة قيمتها . فدارس الحضارة يهتم بنشـــأة الحضـــارة وتطـــور مظاهرهـــا وازدهارها . ودارس التاريخ يهتم باسباب قيام الحضارة ونتائج وآثار مظاهرها فـــى جوانبها المختلفة سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافيـــة وعلميـــة أو فنية .

---

(١) البرت شفيتسر : فلسفة الحضارة (ترجمة : د. عبـــد الرحمـــن بـــدوى) دار الأندلس ، ١٩٨٠ ، ص ٣٤ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفـــة الجامعية ، اسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٤٧ .

وعلى ذلك فإن هناك صلة وثيقة بين دراسة الحضارة ودراسة التاريخ من حيث الاهتمام بحياة الإنسان فى ماضيه .[١]

والحضارة والتاريخ هما من صنع الإنسان . ولهذا لا ينبغى أن نقلل من شأن الإنسان فى كليهما . فكما أن الإنسان وراء كل بناء حضارى فإنه صانع كل أحداث التاريخ والمؤثر الفعال فى مجرياته .

وخلاصة القول أن كل هذه المعانى والمفاهيم التى وضعها أهل الفكر فى عصرنا الحالى لمعنى كلمة حضارة ، من **تمدن وعمران وثقافة وتربية** ، وما تعبر عنه من **نشاط مادى وفكرى وروحى** للإنسان ، وما تعكسه من صور لحياة الإنسان نجدها **تنطبق فى أغلبها على مفهوم الحضارات القديمة بوجه عام والحضارة المصرية القديمة بوجه خاص** . ولكن هناك اختلاف فى **الصفات** بين الحضارات القديمة أو الحضارة الحديثة ***فيما يأتى*** :

أولا : من الصعب تحديد **بداية تاريخية ثابتة** للحضارات بما فيها الحضارة المصرية القديمة ؛ لأن المقومات التى ساعدت على نشأة هذه الحضارات ليست كلها متشابهة أو متجانسة فى كل بلد ، ولكن نجد أن بداية ونشأة الحضارات الحديثة معروفة ومحددة بتواريخ ثابتة .

ثانيا : هناك **اختلاف كبير** بين مظاهر الحضارات القديمة ومنجزاتها ومظاهر الحضارات الحديثة أو الحضارة الحديثة . فنجد أن الحضارات القديمة

---

(١) اهتم ابن خلدون (٨٠٨هـ) فى مقدمته بفن التاريخ ، فأشار إلى " أنه فى الظاهر لا يعدو أن يكون مجرد أخبار عن الأيام والدولة القديمة والأمم الماضية ، ولكنه فى الباطن نظر وتحقيق ، وتعليل دقيق للكائنات ومبادئها وهو يطلعنا على أسباب الوقائع والأحداث وكيفية حدوثها " ، راجع : د. عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨١ ، ص ٣٣ حاشية (٣) .

اهتمت بما هو **روحى ومادى** . كما كان لكل حضارة قديمة مظاهرها التـــى تتميز بها عن غيرها .

فالحضارة المصرية القديمة ما هى إلا نتيجة للنشـــاط الروحـــى والفكرى والمادى للإنسان المصرى القديم . وبدأت بتأثير الإنسان المصرى القديم وتأثره بعناصر البيئة المحلية التى عاش فيها ، وكيف نجح فى التغلـــب على الصعوبات التى واجهته فى البداية فى منشأ هذه الحضارة ، وكيف نجح فى وضع أسس العمران والتخطيط العمرانى ، وكيـــف تطـــور بعـــد ذلـــك بحضارته المحلية فى مجال نظم الحكم والإدارة ومجال المظاهر الاجتماعيـــة والاقتصادية وفى العقيدة والمعتقد ، وفى الحياة الثقافيـــة والعلميـــة والفنيـــة والتعليمية ، وفى مجال علاقاته بالشعوب الأخرى المجاورة . ونســـتطيع أن نقول مصر بلد ذات حضارة عريقة ، إشارة إلى جذورها الممتدة فى أعمـــاق التاريخ . وكانت الحضارة المصرية القديمة فى كافة عصورهـــا ومراحلـــها وحدة تاريخية متكاملة ، كما أن الأصول الروحية والمادية التى قامت عليـــها هذه الحضارة ظلت ماثلة فى كيـــان وقلـــب المجتمـــع المصـــرى القديـــم . فالحضارة هى نتاج أصحاب قلوب حاضرة وعامرة بالإيمان ؛ لأنهم عاشـــوا فى عصور بعض الرسل والأنبياء الذين وطئت أقدامهم الشريفة أرض مصر وعاشوا فيها فترة وتأثر مجموعة من المصريين بما نادوا بـــه مـــن إيمـــان وتوحيد . أما بالنسبة لمظاهر الحضارة الحديثة فنجد أنها تهتم بالتقدم العلمـــى والتكنولوجى وتهتم بالنظم وتطويرها ولا تهتم بما هو روحى وقد ينطبق هـذا على مظاهر حضارة الغرب ، **أما الحضارة الإسلامية فجمعت بين ما هـــو روحى وما هو مادى** أيضا مثل الحضارة المصرية .

ثالثا : تتسم الحضارات القديمة **بصفة المحلية** وتترابط كل حضارة باسم البلد الـــذى نشأت وتطورت وازدهرت فيه ، كما أنها ترتبـــط بشـــخصية أهـــل البـــلاد ودورهم **الفعال** فى داخل هذه الحضارة مثل الحضارة المصريـــة القديمـــة . ولكن الحضارة الحديثة تتسم بصفة واحدة ، **هى صفة العالمية** ، فيقال مثـــلا

حضارة الغرب أو عصر النهضة أو عصر الأحياء (القرن السادس عشر) فى أوربا ولا يقال حضارة إنجلترا أو فرنسا أو ألمانيا .

فالحضارة المصرية القديمة تعد من **أرقى الحضارات** التى ظهرت فى تاريخ الإنسانية ، كما **تعتبر الحضارة الرائدة** فى جميع مظاهرها التى توصل إليها الإنسان المصرى القديم ، فقد **نشأت وتطورت وازدهرت** عبر آلاف السنين من التاريخ المكتوب أو المعروف وذلك بفضل مجهودات صانعيها ، ثم توقفت مسيرة هذه الحضارة منذ أكثر من ألفى عام ولكنها على الرغم من ذلك لا تزال تتبوأ مكان الصدارة فى مجال الأبحاث والتأليف ، فمنذ حوالى مائتى عام ، كرس الكثيرون من العلماء والمؤرخين والباحثين الأجانب حياتهم العلمية كلها للبحث فى مظاهر هذه الحضارة الرائدة ، حتى ظهر علم خاص بها ، هو علم " **الاجيبتولوجى** " أى " علم الدراسات المصرية القديمة " .(١)

كما ظهرت آلاف الكتب والمؤلفات والمجلات العلمية والبحوث التى كتبها متخصصون وغيرهم فى أحداث تاريخ مصر القديم ومظاهر الحضارة المصرية .(٢) ولا زالت آثار هذه الحضارة القائمة فى جميع أرجاء الوطن والمعروض منها فى متاحف مصر فى الداخل والمتاحف العالمية فى الخارج تجذب أنظار الزوار المبهورين أمام ضخامة وعظمة ودقة صنع هذه الآثار .

وكما جذب تاريخ مصر القديم ولا يزال أقلام وأفكار العديد من العلماء الأجانب والمصريين ، فقد جذبت حضارة مصر القديمة الكثير منهم ولا زالت ، وما أكثر ما كتبه العلماء الأجانب من جميع أنحاء العالم عن حضارة مصر القديمة بجميع

---

(١) عن نشأة علم المصريات القديمة وتطوره وازدهاره : راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٢٤ – ٢٠٧ .

(٢) عن مصادر دراسة تاريخ مصر القديم وحضارتها ، راجع : د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ – ٣١٦ .

اللغات[١] وهى مؤلفات عديدة ومتنوعة وسوف نذكرها فى سياق حديثنا عن مظاهر الحضارة المصرية ، ولا تزال هذه الحضارة حتى وقتنا هذا تجذب بل وتشد الانتباه حتى لغير المتخصصين فى الحضارة المصرية أو علم الدراسات المصرية القديمة ، وذلك لتطورها فى أكثر من مجال ، ولما تحتويه من معارف متعددة ، ولما تزخر به من عقائد وعبادات وحكم وآداب وسلوكيات وقيم وفضائل ، وعلوم ومعارف متعددة وفنون دقيقة ، ولما تشمله أيضا من أسرار لمعارف لم يكشف النقاب عن حقيقتها حتى الآن .

قلة ما كتب عن حضارة مصر القديمة :

على الرغمن من أهمية موضوع الحضارة المصرية القديمة ، إلا أنها لم تلق الغناية الكافية من أقلام الباحثين المصريين ، فالقلة منهم كتبت عن مظاهر الحضارة المصرية القديمة **بوجه عام**[٢] ، ومنهم من ألف عن **بعض** مظاهر هذه الحضارة[٣] ، ومنهم من **ترجم** إلى العربية بعض المؤلفات الأجنبية عن الحضارة

---

(١) من أحدث المراجع الأجنبية عن الحضارة المصرية القديمة والتى اعتمدنا عليها ، هى :

Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne, Paris (1959); Pirenne – Mekhitarian, Histoire de la Civilisation de L'Égypte Ancienne, Neuchatel (1962); Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, Paris (1965).

(٢) من أهم هذه المراجع والتى اعتمدنا عليها فى دراستنا هذه ، هى :
ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٤ ، وهو مؤلف أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومى ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم، الجزء ٥ : الحضارة المصرية ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ .

(٣) مثال ذلك : بول غليونجي – زينب الدواخلي : الحضارة الطبية فى مصر ==

المصرية القديمة أو بعض مظاهرها .[1] وهذا هو ما دفعنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع ، لعلى بهذا الكتاب عن حضارة مصر القديمة أكون قد أسهمت فى سد

= القديمة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٦٦ ؛ وليم نظير : الثروة النباتية عند قدماء المصريين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٠ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٠ ؛ د. مختار رسمى : فضل الحضارة المصرية على العلوم ، المكتبة الثقافية ، العدد ٢٩١ ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، الجزء الأول – العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٤ ؛ محمد سميح : التعدين فى مصر قديما وحديثا، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة، ١٩٨٥؛ د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ؛ د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٦ ؛ د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ؛ مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية اللبنانية ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٨٦ ؛ د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلية المصرية ، العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٤ ؛ د. أحمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : الجريمة والعقاب فى الفكر المصرى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ .

(١) مثال ذلك : الفريد لوكاس : الموارد والصناعات عند قدماء المصريين – ترجمة : د. زكى اسكندر – زكريا غنيم ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٤٥ ؛ ارمان رانكه : مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة – =

النقص فى المكتبة العربية بعامة . ولعلنى أردت الكتابة فى هذا الموضوع ، لسببين

== ترجمة : د. عبد المنعم أبو بكر – محرم كمال ، القاهرة ، ١٩٥٣ ؛ جون ولسون : الحضارة المصرية – ترجمة : د. أحمد فخرى ، مجموعة الألف كتاب، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٤ ؛ جيمس برستد : انتصار الحضارة – ترجمة : د. أحمد فخرى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ؛ بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة – ترجمة : عزيز مرقس ، ومراجعة : عبد الحميد الدواخلى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ ؛ فلندرز بترى : الحياة الاجتماعية فى مصر القديمة – ترجمة : حسن جوهر – عبد المنعم عبد الحليم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ؛ سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة – ترجمة : د. زينب الكوردى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٥ ؛ د. ايفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سنة – ترجمة : شاكر إبراهيم ، ومراجعة : د. أبو المحاسن عصفور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ ؛ فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة : زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ن القاهرة ، ١٩٨٦ ؛ ج. سبنسر : الموتى وعالمهم فى مصر القديمة ، الألف كتاب (الثانى) (ترجمة : أحمد صليحه) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٨ ؛ رندل كلارك : الرمز والأسطورة فى مصر القديمة (ترجمة : أحمد صليحه) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ ؛ وفى سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، المجلس الأعلى للآثار ، ظهرت عدة كتب مترجمة منها : ياروسلاف شرنى : الديانة المصرية القديمة ، ترجمة : د. أحمد قدرى ؛ وليم بيك : فن الرسم عند قدماء المصريين ، ترجمة : مختار السويفى ؛ سيريل الدريد : الفن المصرى القديم ، ترجمة : د. أحمد زهير ؛ د. اسكندر بدوى : العمارة المصرية القديمة (جزء أول)، ترجمة : د. محمود عبد الرازق – صلاح رمضان؛ يان أسمان : ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة (ترجمة : د. زكية طبوزاده ===

آخرين أولهما : أنه موضوع طريف وشـائق ؛ لأنـه يتصـل بـالنظم والمظـاهر الحضارية المصرية القديمة التى هى جزء من شخصيتنا وقوميتنا ، وهو تراث غنـى بما فيه من نظم ومظاهر حضارية . والقارئ المثقف ما زال فى حاجة إلـى كتـب كثيرة تتناول مختلف مظاهر الحضارة المصرية وتقدم له نتائج أحـدث الاكتشـافات وتجلى له بعض النقاط الغامضة فى مجالات الحضارة قدر المستطاع .

وأليس من المستغرب ألا يعرف المثقفون فى مصر عن تاريخ مصر القديـم وحضارتها إلا شذرات لا تعنى شيئا ، بل وقد يكـون أغلبـها مغلوطـا ومخلوطـا بالخرافات .[1] وفى الوقت نفسه يدرك المتعلمون ومحبو الثقافة فى جميع أنحاء العالم أهمية تاريخ مصر القديم ومظاهر الحضارة المصرية القديمة ويهتمون بالقراءة عنـها وعما حققته وأنجزته . وأليس من المستغرب أيضا إذا أردنا البحث فى كل تاريخنـا القومى القديم أن نجد فيضا هائلا مما كتبه علماء الغرب ، ونجد قلة قليلة فى المراجع العربية ، وهذه القلة لا تكفى إلى التعمق فى تاريخ بلادنا القديم ، ولذلك نضطر إلـى الرجوع إلى الفيض الكبير المملوء أحيانا بوجهات نظر العلماء الأجانب ، وهذا نقص معيب يؤخذ علينا إذ معناه أننا لا نهتم كما يجب بـالتعرف علـى تاريخنـا القديـم وحضارتنا القديمة ، وهو عيب كبير لأن الأمة التى تريد أن تتبـوأ مكانـا جديـرا

== ود. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيـع ، القـاهرة ١٩٩٦ ؛ جورج بوزنر (وآخرون) معجم الحضارة المصرية القديمة ، ترجمة : أميـن سلامه ومراجعة د. سيد توفيق ، الهيئة المصريـة العامـة للكتـاب ، ١٩٩٦ ؛ فرانسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية، ترجمة : ماهر جويجاتى، المشـروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ ؛ بـارى كيمـب : تشـريح حضارة ، ترجمة : أحمد محمود ، المشروع القومى للترجمة ، المجلس الأعلـى للثقافة ، ٢٠٠٠ .

(١) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية اللبنانيـة ١٩٨٦ ، ص ٨٠ .

بالاحترام يجب أن تصل بين حاضرها وماضيها لتحسن إعداد بناء مستقبلها .[(١)]

وثانيهما : أنه على الرغم مما بذله العلماء من جهد ونشاط فى دراسة ونشر أغلب الآثار المصرية القديمة وترجمة ما عليها من نقوش وكتابات وتحليل تلك المعلومات وتصنيفها منذ أواسط القرن الماضى ، إلا أنه من الصعب كتابة كتاب عن تاريخ مصر القديم وحضارتها ، فهذه ليست بالمهمة السهلة أو اليسيرة .

وكما ذكر أستاذنا الراحل د. بدوى أن هناك اختلاف فى دراسة الحضارات القديمة والحديثة[(٢)] ، فالحديثة أشبه **بالشاب** الذى يمكن تتبع نشأته ومراحل نموه وتطوره ونضوجه من المهد حتى اللحد ، أما الحضارات القديمة فهى أشبه **بالشيخ** الذى توفى منذ آلاف السنين أو مئات السنين ، وبعد فترة عثر علماء الآثار على بقايا هيكله العظمى وعلى بقايا ما وضع معه من متاع جنائزى ثمين أو بسيط وعديد أو معدود ، فقاموا بجمعها وترميمها وتصنيفها وإعدادها للدراسة ، وعليهم أن يرجعوا فى دراسة كل هذه المخلفات الأثرية إلى أيام طفولته الأولى ومعرفة كيف نما وكبر عبر السنين الطويلة ، وما هى التجارب التى مر بها ، وما هى المظاهر الحضارية التى حققها ، وما هى المظاهر التى طرأت عليه حتى بلغ سن الكهولة وكيف انتهت أيامه .

فالكتابة عن كل هذه المراحل هى فى الواقع مهمة شاقة وعسرة وتحتاج إلى دراسة كل التفاصيل وكل صغيرة وكبيرة وتتطلب الحرص الشديد عند كتابة أية معلومة حتى يستطيع العلماء أن يرسموا فى النهاية صورة أقرب إلى الواقع لما كانت عليه حياة هذا الشيخ الهرم ، أى هذا الإنسان المصرى القديم ، أى صانع هذه الحضارة القديمة . وهو الأمر الذى تعد الكتابة فيه باللغة العربية صعبة .

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر ، عصر البطالمة ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، الأنجلو المصرية ١٩٦٦ ، المقدمة ص (أ) .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٤ .

وقد قسمت هذا الكتاب إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة عشر بابا – ويشتمل كـــل باب على عدة فصول أو عناصر رئيسية أو نقاط هامة فى شكل عنـــاوين صغــيرة . ووزعت هذه الأبواب على ثلاثة أجزاء .

أما ***المقدمة*** فقد تحدثت فيها عن : **مفهوم كلمة الحضارة** وقلة ما كتب عــن حضارة مصر القديمة باللغة العربية بالنسبة لما كتب ويكتب باللغات الأجنبية . ومدى صعوبة الكتابة فى هذا الموضوع باللغة العربية مع تغطية كافة مظـــاهر الحضــارة المصرية القديمة .

وفى **التمهيد** تحدثت عن **أهمية دراسة ومعرفة مظـــاهر حضـــارة مصـــر القديمة** وحاولت الربط بين الأحداث التاريخية لكل عصر من عصور تاريخ مصـــر القديم وبين ما ظهر فى كل عصر من مظاهر حضارية لها دلالاتها .

وفى الباب الأول : تناولت **البيئة والإنسان المصرى القديم** ، وقسمته إلى :

(١) عناصر ومقومات البيئة المصرية :

الموقع الجغرافى ، وفرة التكوينات الصخرية والأحجار والمعادن المتنوعـة ومواد أخرى ، وجود نهر النيل ومياهه الغزيرة الدائمة وطميه الغنى ، تكون أراضى الوادى الطويلة والتربة الصالحة والوديان والواحات الشاسعة ، وجود الحدود الطبيعية الحامية (كالصحارى المترامية والجبال والبحار) وتوافر المناخ المعتدل ، ثم تحدثت عن **تكامل** عناصر البيئة المصرية .

(٢) أصل الإنسان المصرى القديم .

(٣) استغلال الإنسان المصرى القديم لعناصر البيئة .

(٤) تأثير عناصر البيئة وظواهرها على طبيعة ومجهود الإنسان المصرى القديم .

وفى **الباب الثانى** : تحدثت عن : **نشأة الحضـــارة المصريـــة القديمـــة** ، وقسمته إلى :

(١) **العمران** المصرى القديم والتجارب التى مر بها الإنسان المصرى القديم ووضع فى أثنائها أسس العمران المصرى القديم .[١]

(٢) **تطور صور العمران** على الأرض المصرية وظهور الأقاليم .

(٣) **العمران وعلاقته** بكثافة السكان فى مصر القديمة .

(٤) **الأسماء التى أطلقها** المصريون القدماء على أرضهم وبلادهم ودلالاتها .

(٥) **تأثير عناصر البيئة على النتاج الحضارى** المصرى القديم .

(٦) **الحضارة المصرية بين النشأة والتطور** أو فترات النشوء والتكوين والتطور .

وفى **الباب الثالث** : تحدثت عن **العوامل التى أدت إلى تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة** ، وهى العوامل **الآتية** :

(١) **مساهمة عناصر البيئة** وأهمها النيل فى توفير عامل الاستقرار للحضارة المصرية كما مهدت لها هذه العناصر سبل التطور والتفوق والازدهار بفضل الدور الفعال الذى قام به السكان الأوائل .

(٢) **رسوخ العقيدة** وتأثيرها الفعال فى حياة الإنسان المصرى وفيما حققه من مظاهر حضارية .

(٣) **تبجيل واحترام الحاكم وطاعته والتفانى فى خدمته** مما أصبغ حياتهم السياسية والاجتماعية بطابع الهدوء والاستقرار .

(٤) **وجود قوانين ثابتة** مستقرة تكفل العدالة للجميع . وتحمى الصغير قبل الكبير .

(٥) **توافر عوامل الأمن والأمان** بفضل إتباع سياسة عادلة مستقرة فى الداخل ودفاعية قوية فى الخارج .

---

(١) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٢ ، ص ٢ – ٥ .

(٦) **تدفق عطاء الإنسان المصرى القديم** وبروز قدراته فـــى أكـــثر مـــن مجـــال حضارى .

(٧) **احترام العمل وذوبان ذاتية الفرد** فى الجماعة وأصبح العمل قيمة فـــى حيـــاة ونشاط الإنسان المصرى القديم .

(٨) **ارتباط العمل بالفكر والتخطيط** الســليم فتحقـــق الاتقـــان وأعظـــم المنجـــزات والمعجزات .

(٩) **قيام مجتمع متماسك البناء** تربط بين أفراده روابط وعادات وتقاليد راسخة .

(١٠) **التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا** التى كانت ثابتة الأركان فـى حياة المصريين القدماء فى كل عصر .

(١١) **المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال** المتلاحقة سواء كـــان تراثـــا فكريا أو علميا أو ماديا .

(١٢) **ثبات مقومات الحضارة أمام المحن** ولم تتغير أو تفقد أصالتها لأنها كـــانت تعبر عن خصائص المصريين القدماء أنفسهم وتؤكد علـــى ذاتـــهم المصريـــة الأصيلة .

وابتداء من الباب الرابع حتى الحادى عشر تناولت أهم مظـــاهر الحضـــارة المصرية القديمة .

ففى **الباب الرابع** تناولت **نظم الحكم والإدارة** . وتحدثت فيه عـــن مراحـــل التطور السياسى قبل قيام الأسرة الأولى ، ثم قيام الملكية المصرية وتطور نظم الحكـم والإدارة عبر العصور التاريخية ، وعن اختيار مكان العاصمة الرئيسية للحكم ، **ثـــم تحدثت بالتفصيل عن :**

(١) **نظم الحكم : الملك** وحق وراثة العرش ، ارتقاء العرش ومراسم التتويج ، ألقابه الرسمية ، صفات وألقاب أخرى ، صفاته المقدسة ، زينته وملابسه الرســمية ،

سلطاته وواجباته وأعماله الرسمية ، حياته الشخصية ، ثقافته وخبرته ، إشـــراك ولى العهد فى الحكم .

(٢) **نظم الإدارة** : الوزير واختصاصاته ، كبار الموظفين ، موظفو القصر الملكى ، موظفوا الإدارات الحكومية ، وما يجب أن يكـــون عليـــه كـــل موظـــف مـــن سلوكيات ، والإدارات الحكومية المختلفة .

(٣) **النظام المالى** : الضرائب ، إدارة بيتى المال .

(٤) **النظم القضائية : مفهوم كلمة " ماعت " ، القوانين . دور القضـــاء ، أنـــواع الدعاوى ، أنواع العقوبات .**

(٥) **النظم العسكرية : الشرطة وأقسامها** ، وسائل البحث الجنائى ، وسائل التحقيـــق الجنائى ، واجبات أخرى للشرطة . **الجيش** : فرق الجيش ، التدريب ، التربيـــة العسكرية لأبناء الأمراء ، إدارة الأسلحة والمعدات ، تجميع الأسلحة وتوزيعها ، مخازن الغلال والمؤن . **البحرية والأسطول – التقاليد العسكرية .**

(٦) **نظم الحكم والإدارة فى الأقاليم** ، العدالة فى القرية المصرية ، مسئولية الدولة .

(٧) **مظاهر الأوضاع السياسية فى الداخل عبر الأسرات الحاكمة** المختلفة منذ أقـــدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات المصرية .

(٨) **مظاهر السياسة الخارجية عبر الأسرات الحاكمة .**

وفى **الباب الخامس** تحدثت عن **مظاهر الحياة الاجتماعية** ، وتحدثت عن :

(١) **المجتمع وطبقاته** : الطبقة العليا ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا ، حالـــة طبقة العمال والصناع والحرفيين والفنانين والتجار والأقليات الأجنبية ، الرعايـــة الصحية وسن الشيخوخة ، المشكلات الاجتماعية .

(٢) **الأسرة** : الزواج ، شروط الزواج ، خطوات الزواج ومراســـيمه ، وعقـــود الزواج ووثائق الانفصال ، الحياة الزوجية ، العلاقـــات الزوجيـــة ، واجبـــات الوالدين نحو الأبناء ، واجبات الزوجة ، واجبات الزوج ، واجبـــات الأبنـــاء ،

صيغ البر بالوالدين فى حياتهما وبعد مماتهما ، صيغ الترابط السرى بين الأبناء داخل الأسرة الواحدة ، صيغ البر بالآخرين من أفراد الأسرة ، صور ومناظر وأوضاع بعض التماثيل التى تعبر عن الترابط الأسرى ، صور من انفصال الترابط الأسرى ، وفاء الزوج لذكرى زوجته .

(٣) **بعض مظاهر وأنشطة الحياة الأسرية** ، أماكن معيشة الأسرة ، الخدم والعبيد فى المنزل ، والعناية بالنظافة بوجه عام ، والملابس والزينة ، وإعداد الطعام والوجبات ، والطهى ، وجود الحيوانات الأليفة فى المنازل .

(٤) **أساليب شغل أوقات الفراغ** : الرياضة بأنواعها ، مشاهدة العاب الأطفال ، وسائل التسلية والعاب الخط والفكر ، والمآدب والولائم ، والخروج للصيد ، والخروج للتنزه .

(٥) **الاحتفال بالأعياد والمناسبات والمشاركة فى المواكب .**

(٦) بعض السلوكيات والعادات والتقاليد الاجتماعية .

وفى الباب السادس تحدثت عن **مظاهر الحياة الاقتصادية** ، ثم تحدثت **بالتفصيل عن :**

(١) **تقسيم الأراضى** : الأراضى الملكية ، أراضى المعابد ، إقطاعات كبار الموظفين ، إقطاعات كبار العسكريين ، أراضى الهبات ، أراضى الملكية الخاصة .

(٢) **الثروة الزراعية** : الملكية الزراعية ، حياة الفلاح ، الأدوات الزراعية ، مراحل الزراعة ، **المحاصيل الزراعية** : الحبوب الغذائية ، الحبوب الزيتية ، الكتان ، الكروم وغيرها من الفاكهة ، الأشجار ، أعداء الزراعة ، أعياد الزراعة ، البساتين والحدائق والزهور ، تربية النحل واستخراج العسل ، وإعداد المواد التموينية .

(٣) **الثروة الحيوانية** : تربية الماشية والأغنام والماعز ، المنتجات الحيوانية ، ترويض الحيوانات .

(٤) **تربية الدواجن** : تربية الأوز وتربية الحمام ، منتجات الدواجن .

(٥) **الثروة السمكية** : صيد الأسماك وحفظها وتجفيفها .

(٦) **الصيد والقنص وأدواتهما .**

(٧) **إعداد المواد التموينية ، الأطعمة والمشروبات .**

(٨) **الصناعات والحرف والمهن المختلفة** : المحاجر وتصنيع الأحجار ، المناجم وتصنيع المعادن : الأشغال الخشبية ومجالاتها ، صناعة الزجاج ، صناعة القشانى ، صناعة الفخار ، صناعة الطوب اللبن والملاط ، صناعة الورق من البردى ، صناعة النسيج ، صناعة أدوات الزينة ، صناعة الجلود والدباغة والصباغة ، المصنوعات من القرون والعظم والعاج والأبنوس ، صناعة العطور ، والدهونات ، صناعة أدوات التسلية ، صناعة السلال والحبال والحصر والفرش ، وصناعة الجعة ، واستخراج الملح ، ومهن وصناعات أخرى .

(٩) **التجارة** : **التجارة الداخلية** : الحبوب الغذائية ، الحبوب الزيتية ، الكتان والمنسوجات ، الفاكهة والنبيذ ، الجعة ، الأدوات المعدنية ، ورق البردى ، الجلود ، الأسماك .

التجارة الخارجية : **واردات مصر** : من بلاد الشرق ، ومن الجنوب .

صادرات مصر : الحبوب ، الأسماك المملحة ، ورق البردى .

(١٠) **طرق التجارة ووسائل النقل** : المعاملات المالية والتجارية .

وفي الباب السابع تناولت **نشأة العقائد الدينية وتطورها ومظاهر الحياة الدينية** نظرا لارتباط الحضارة المصرية الوثيق بعامل الدين والعقيدة . وتحدثت عن مصادر دراستها وركزت على مجالين ، الأول : المعتقدات الدنيوية : مفهوم كلمة نثر وتقديس المعبودات ونشأتها وخصائصها ، وتطور الفكر الديني ونشأت المذاهب الدينية ، وظهور نصوص وأناشيد الخليقة والأساطير الدينية والغرض منها ، ومعابد المعبودات الرئيسية والمحلية والمعابد الجنائزية ، ودور العاملين فيها والشعائر والطقوس والاحتفالات الدينية التى تقام بها .

والثانى : المعتقدات فى عالم الآخرة : معتقدات البعث والخلود، نشأتها، ومقوماتها : إعداد المقبرة ، التحنيط ، إعداد المتاع الجنائزى ، عـــادات ومراسـيم الدفن ، تأمين المقبرة ، تقديم القرابين وواجبات كاهن الروح . وتأمينها أيضا بتسجيل وتلاوة الصيغ الجنائزية والمتون والفصول الدينية المختلفة ، وبعض التصورات عـن عقيدة البعث وعالم الآخرة : البعث اليومى والمتجدد ، البعث فى عالم الآخرة وفكـرة الثواب والعقاب ، صور الجنة والحياة فى الآخرة كما تخيلها المصريين القدماء .

وفى الباب الثامن تحدثت عن الحياة الثقافية ومجالاتها وبدأته بتمهيد عـن مفهوم الثقافة ومصادرها وأهميتها ودورها ومراكزها ومجالاتها وتأثيرها . وركزت على مجالين :

الأول : نشأة الكتابة واللغة المصرية القديمة وتطورها :

(١) أقدم المحاولات لحل رموز اللغة المصرية القديمة .

(٢) العثور على حجر رشيد ومحاولات العلماء حل رموزه .

(٣) دور شامبوليون فى حل رموز الكتابة الهيروغليفية .

(٤) تتبع نشأة اللغة المصرية القديمة وتطورها : نشأة الكتابة ، تطور الكتابة ومعرفة اللغة .

(٥) اختراع وتطور أدوات الكتابة .

(٦) أهمية اللغة والكتابات المصرية القديمة .

الثانى : فنون الأدب : أهميته ، أصالته ، غنى أسلوبه ، تنوعه :

(١) **الأدب الدينى** (وفيه أدب الأسطورة والملحمة الدينية ، المتون والكتب الدينيـة ، الأناشيد الدينية ، نصوص الوحدانية ، أشعار التسابيح ، الحوار الدينى) .

(٢) **الأدب التهذيبى والتعليمى** أو أدب التعاليم والحكم والأمثال ، وهو من أهم فروع الأدب لأنه يؤثر فى تكوين شخصية الإنسان وسلوكه وثقافته .

(٣) أدب القصة .

(٤) أدب الحوار .

(٥) أدب الملاحم والمديح .

(٦) كتابة الأغانى والغزل (أو الشعر) .

(٧) أدب النقد والهجاء .

(٨) أدب التراجم الشخصية .

(٩) أدب المراسلات وصيغ الخطابات .

وفى الباب التاسع تحدثت عن : الحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف ، وتحدثت فيه عن نشأة المعارف والعلوم ، ثم تناولت بعد ذلك :

(١) ما يسمى حديثاً بالعلوم الطبيعية :
الطب والكيمياء : الطب بأنواعه وأصول معرفتنا للطب المصرى القديم ، مدارس الطب ، طبقة الأطباء ، الأمراض المعروفة ، التشريح ، التحنيط ، الجراحة والكسور والخلوع ، الحروق والأورام ، طرق العلاج العامة ، العقاقير والمراهم والأربطة والتدليك والعلاج الطبيعى ، الرعاية الصحية ، العناية بالنظافة كوسيلة للوقاية .

- معارف الكيمياء

(٢) ما يسمى حديثاً بالعلوم الصحيحة :
الرياضة ، الهندسة ، الفلك : التوقيت ، كيفية قياس الوقت ، الأجرام السماوية ، نتائج تقويم الأيام ، تفسير الأحلام ومعرفة الطالع ، النبؤات .

(٣) السحر والتعاويذ : اللوحات ذات النصوص السحرية والشافية .

وفى الباب العاشر تناولت الحياة الفنية ومظاهرها وبدأته بتمهيد عن مفهوم الفنون ، وركزت على مجالين : الفنون التشكيلية والتعبيرية

أولا : الفنون التشكيلية وتشمل :

الفصل الأول : عن

(١) الرسم .

(٢) النقش .

(٣) النحت .

(٤) التلوين .

(٥) الزخرفة وفن التطعيم .

وتحدثت عن نشأة أساليب الرسم والنقش والنحت فى فجر العصور التاريخية والمراحل التى مرت بها ، وتطور أساليب الرسم والنقش والنحت والمراحل التى مرت بها فى عصر الدولة الحديثة ، التلوين ، الزخرفة وفن التطعيم .

الفصل الثانى : عن العمارة وأشكالها : وتحدثت فى البداية عن البيئة والعمارة والعوامل الأخرى التى أثرت فيها ثم تحدثت عن :

(١) العمارة الدنيوية : المدن ، عمارة القصور والمنازل عبر العصور المختلفة ، الإدارات ، السدود ، الحصون .

(٢) **العمارة الدينية** : معابد المعبودات ، المعابد الصخرية ، المقاصير ، جواسق اليوبيل .

(٣) **العمارة الجنائزية** : تطور عمارة المقبرة عبر العصور المختلفة ، المقابر الملكية ، مقابر كبار الشخصيات ، مقابر العمال ، المقابر التذكارية ، المعابد الجنائزية ، السراديب .

ثانيا : الفنون التعبيرية وتشمل :

(١) الموسيقى .

(٢) الغناء .

(٣) الرقص بأنواعه .

كما أشرت إلى ما يمكن أن نسميه :

(٤) فن المسرح : كما عرفه المصرى القديم .

ثم تحدثت بعد ذلك عن :

(٥) فن الرسم الساخر : وهو لون من ألوان التعبير الثقافى .

وفى الباب الحادى عشر : تناولت أساليب التربية ونظم التعليم وتحدثت فيه عن :

(١) مفهوم التربية والتعليم .

(٢) مصادر دراسة نظم التربية والتعليم .

(٣) أهمية العلم والتعلم .

(٤) الأهداف من وراء التعلم .

(٥) دور المعلم ووسائله التعليمية .

(٦) مراحل التعليم ونظمه .

(٧) المكتبات وأنواعها .

(٨) مناهج التعليم والدراسة : اللغة ، التربية الدينية ، التربية الخلقية ، الرياضيات ، التاريخ ، الجغرافيا ، الرسم ، التربية البدنية .

(٩) طرق ووسائل التقويم ، صور التقييم ، تعليم الفتاة .

(١٠) عشاق الثقافة العامة .

وفى الباب الثانى عشر تحدثت عن مظاهر الحضارة المصرية القديمة وتأثيرها وتأثرها فى مجال العلاقات الخارجية ، أى تأثير وتأثر مظاهر الحضارة المصرية بمظاهر حضارات الشعوب الأخرى والتى كانت لها علاقات بمصر القديمة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وتأثر الحضارة المصرية نفسها بمظاهر

حضارات هذه الشعوب فى أكثر من مجال . وسوف نجد أن عوامل التأثير والتأثر أكثر ظهورا فى المجالات الآتية :

- نظم الحكم والإدارة وخاصة فى مجال السياسة الخارجية .
- مظاهر الحياة الاجتماعية وخاصة بالنسبة للأقليات الأجنبية والأسرى والعمال الأجانب .
- مظاهر الحياة الاقتصادية وخاصة فى العلاقات التجارية .
- مظاهر الحياة الدينية وخاصة تأثير الديانة المصرية فى معتقدات الشعوب الأخرى المجاورة والبعيدة .
- الحياة الثقافية ومجالاتها والحياة العلمية وما بها من تجارب ومعارف ، نجد أن العامل الثقافى للحضارة المصرية القديمة كان أكثر العوامل تأثيرا وأسرعها فاعلية وأكثرها بقاءا ودواما بين الشعوب المحيطة بمصر ، وسوف نشير إلى التأثير الملموس للثقافة المصرية القديمة حديثا .
- الحياة الفنية ومظاهرها كان لها تأثيرها الفعال أيضا .
- أساليب التربية ونظم التعليم أثرت هذه الأساليب فى أهل الشرق وخاصة أهل الفكر فى بلاد اليونان .

وأخيرا فى الباب الثالث عشر تناولت **مظاهر الحضارة المصرية القديمة بين مراحل الازدهار ومراحل الأفول وأسبابه** . وتحدثت عما وقع من أحداث وتغيرات وتأثيرات فى نهاية الأسرات المصرية الوطنية وأدت إلى أفول مظاهر الحضارة المصرية القديمة تدريجيا . **وهذه الأحداث الأربعة هى :**

(١) دخول الإسكندر مصر عام ٣٣٢ ق. م .

(٢) دخول الرومان مصر عام ٣٠ ق. م .

(٣) ثم دخول المسيحية فى النصف الأول من القرن الثانى الميلادى .

(٤) أخيرا دخول الإسلام مصر عام ٦٤٠ ميلادية .

وأخيرا تحدثت عما بقى من هذا التراث الحضارى العظيم من آثار مادية تشمل جميع العصور على أرض مصر الطيبة .

وبذلك أرجو أن أكون قد وفقت فى إعطاء صورة عامة عن مظاهر الحضارة فى مصر القديمة ، أو بتعبير آخر تقديم " **لوحة متكاملة الخطوط والألوان** " لعناصر هذه الحضارة فى مختلف مجالاتها .

وهدفى من ذلك كله أن اصحب القارئ المصرى المعاصر والمثقف فى جولة تاريخية حضارية عبر هذه الصفحات للتحدث معه والرجوع به إلى الوراء فى باطن التاريخ وعبر آلاف السنين عما أنجزه نظيره الإنسان المصرى القديم منذ آلاف السنين لكى يقف على مآثر أجداده ، ويستمد منها زادا لحاضره ومستقبله .

وأرجو أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه وفيما أردت أن أعرضه ، والله أسأله التوفيق دائما .

المؤلف ،،

تمهيد

أهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة

فى هذا الزمن الذى تسيطر فيه على عقولنا البحوث العلمية المتقدمة فى المجالات المتعددة والتكنولوجيا الحديثة ، والغنية بالآمال بالنسبة للحاضر والمستقبل ، وفى عصر تطغى فيه مشاكل الحياة المادية على تفكيرنا ، فإنه قد يبدو غير منطقى أن نهتم بالماضى وبدراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة ، التى تبعد عنا كثر من حيث الزمن ومن حيث طبيعة المظاهر الحضارية ، ونترك تلك المشاكل التى تفرضها علينا حضارة العصر الحديث دون التفكير فيها وفى محاولة حلها . وقد يراه الكثيرون نوعا من " **الترف الثقافى** " الحديث عن الاهتمام بدراسة آثار مصر وتراثها الحضارى القديم ، فى الوقت الذى يعانى فيه الناس أساسا من ارتفاع تكاليف المعيشة ، ومن التصارع للحصول على لقمة العيش . ولكن رغم تقديرنا الكامل لأولوية اهتمام الناس بالمطالب اليومية التى تتزايد أعباؤها إلا أن إحياء التراث الحضارى فى ضمير أبناء أمتنا سيكون له أكبر الأثر فى تحقيق نهضة مصر واستلهام المثل العليا والقيم من مظاهر حضارتنا القديمة .

فهناك أكثر من سبعة آلاف عام أو أكثر قد مضت؟، منذ قيام ملوك مصر الأوائل بحكم مصر فى دولة متحدة القطرين ، وهناك ما يقرب من عشرين قرنا قد مضت منذ أن ثرت آخر معالم هذه الحضارة . لذلك لنا أن نسأل ما هى أهمية دراسة ومعرفة مظاهر حضارة مصر القديمة ؟ والإجابة على مثل هذا التساؤل تنحصر فى ابراز النقاط **الآتية** :

أولا : أن هذه الحضارة تعتبر من **أقدم الحضارات البشرية** . وأن أقدمية حضارة مصر القديمة هى التى خلقت هذا الاهتمام لدراستها وإبراز أهمية علم الدراسات المصرية القديمة فى دول أوربا وأمريكا واليابان واستراليا .

وفى الواقع أننا لا نستطيع تحديد البداية الزمنية التى وضع فيها الإنسان المصرى الأول أسس هذه الحضارة المحلية الوطنية القديمة فى وادى النيل وفى جنباته ، ولكن يمكن القول بأن نشأة هذه الحضارة ترجع إلى عصور ما قبل التأريخ ، ففى تلك العصور البعيدة نجح الإنسان المصرى القديم فى وضع أسس هذه الحضارة وتوصل أثناءها إلى عدة معارف سلك بها طريقه فى البداية واستطاع أن يتطور بمعالم حضارته بعد ذلك عبر العصور المختلفة .

ثانيا : أن هذه الحضارة تتميز **بطابع التطور المستمر** الذى لم توقفه إلا بعض فترات الضعف السياسى . فالدارس للحضارة المصرية القديمة لا يكاد يجد فاصلا بين حضارات العصور الحجرية القديمة وعصور التطور الحضارى بعد ذلك ، خلال العصور التاريخية الطويلة ، فكلاهما مكمل للآخر ، أى أن هذه الحضارة عبارة عن **سلسلة متعاقبة** الحلقات ، أو " **شجرة** " غرست جذورها فى الأرض منذ أقدم العصور ونمت وترعرعت عبر العصور المختلفة ، لتؤتى بثمارها الحضارية فى كل عصر ، من عمرها الطويل ، بفضل مراعاة أبنائها ومجهوداتهم فى المحافظة عليها .

ثالثا : أن هذه الحضارة تتميز **بطابع التماسك والمحافظة** على اصالتها . فلم يسلم تاريخ مصر القديم السياسى من أحداث داخلية وخارجية فى شكل ثورة اجتماعية أو اضطرابات اقتصادية أو غزوات أجنبية عديدة وتسربات وهجرات أجنبية من وقت لآخر . ولكن كل هذه الأحداث لم تكن من القوة الكافية لكى تغير من الطابع المحلى للحضارة أو تعوق مسيرة الركب الحضارى ، أو تؤثر فى تماسكها وأصالتها . فالغزاة الذين غزوا البلاد أكثر من مرة نجد أنهم خرجوا منها دون أن يتركوا أى أثر فعال فى معالم هذه الحضارة وإما أن بعضهم اندمج بسرعة فى تيار تلك الحضارة التى جذبتهم وتفاعلوا معها وتأثروا بها واعتنقوا مظاهرها وفى كل مرة بقى الطابع العام للحضارة المصرية القديمة كما هو دائما . وإن كان بعض هؤلاء الأجانب من بلاد ذات حضارة مثل بلاد فارس وبلاد النهرين أو بلاد اليونان ، إلا أنهم بما جلبوا من أفكار لم يستطيعوا أن يغيروا من الطابع العام للحضارة المصرية القديمة التى أخذت من الحضارات الأخرى ما يلائم ظروفها المحلية .

رابعا : أن هذه الحضارة كانت تمتاز **بطابع التجانس** ، فالمصريين الذين عاشوا فى عصر الدولة الحديثة ، صقل الأحجار من الصوان على الرغم من معرفتهم للبرونز ، واستخدموا أيضا الأدوات المصنوعة من الأحجار المصقولة مثل التى كان يستخدمها هؤلاء الذين عاشوا فى عصر المعادن بوادى النيل ، ولكن بمرور الزمن أصبحوا أكثر خبرة وأكثر تجربة . وكان الكهنة يرتلون العبارات والصيغ نفسها التى كان يرددها أسلافهم البعيدون ، والتى كانوا يتداولونها فيما بينهم شفهيا . قبل التوصل إلى معرفة الكتابة .

خامسا : أن حضارة مصر القديمة **تعد أطول تجربة خاضها الإنسان** المصرى القديم ، وذلك ابتداء من عصور ما قبل التأريخ حتى دخول المسيحية . وفى أثناء هذه الفترة الطويلة كان على الإنسان المصرى الأول أن يتكيف مع ظروف البيئة المحيطة به . وكان عليه أن يتغلب على كثير من الصعاب التى واجهته ، حتى نجح فى استغلال مصادر الثروة الطبيعية فى تطوير حياته وحضارته .

وفى الواقع نجح المصرى القديم نجاحا كبيرا فى السيطرة على مصادر البيئة التى اكتشفها من حوله واستغلالها لصالحه أحسن استغلال . وكل ذلك يدل على قدرته وصبره . وأنه لم ينهر أمام الصعاب التى واجهته فى أية لحظة من اللحظات . ونجح كذلك فى وضع الأسس لحضارة محلية عريقة وساهم فى صنع الكثير من الأحداث صغيرة كانت أم كبيرة ، والتى لازمت تطور الحضارة المصرية ، وكيف أنه استطاع فى مثل هذه الظروف والإمكانيات المادية الموجودة أن يؤسس ويضيف ويجدد عبر تاريخه الطويل حضارة عريقة ، وأن يترك بصماته الحضارية على هذه الأرض الطيبة .

ولهذا فإن الحضارة المصرية تتفق مع الإطار الجغرافى الذى نشأ فيه والذى ساهم إلى حد كبير فى تطويرها والمحافظة عليها ، وهذا الطابع المحلى المتأثر أساسا بعوامل البيئة وظروفها وعناصرها وكل ما فيها أصبح هو الصبغة المميزة لما توصل إليه الإنسان المصرى القديم من أفكار فى نظم الحكم والإدارة ، وفى النظم الاجتماعية ، وفى النظم الاقتصادية ، وفى حياته الدينية وفى مظاهر الحياة الثقافية

والعلمية ، وفى الأساليب التربوية والنظم التعليمية ، وفى مجال الفنون المتعددة ، وفى مجال علاقاته الخارجية بالشعوب والبلاد المحيطة به .

ويعد ما خاضه الإنسان المصرى القديم من تجارب وما توصل غليه من معارف ، وما حققه من منجزات حضارية ، جزءا هاما من المنجزات التى توصل إليها الإنسان فى الشرق القديم ، ولم تكن هذه المنجزات مجرد نشاط حضارى ظهر وانقرض فى الحدود المحلية للمنطقة ، وإنما كانت منجزات أثرت فى غيرها من المناطق واستمر تأثيرها كأساس للتطور الحضارى فيما بعد .(١)

سادسا : حتى يومنا هذا يميل بعض الباحثين إلى اعتبار حضارة مصر القديمة حضارة أجنبية مجمدة فى إطار ثابت غير إنسانى لم يتغير(٢)، ولكنها فى الواقع شئ يختلف عن كل هذا التجنى بل هى العكس من كل هذا ، ولا توجد حضارة عبرت عن القيم والعدالة الا الحضارة المصرية . وذلك لأن رسوم ونقوش آثارها تعبر عن أعماق ونزعات إنسانية متعددة . وكان شعبها أكثر الشعوب تنظيما وتقدما وكانوا أكثر الشعوب إنسانية ، وأكثرها احتراما لحياة البشر من أى بلد آخر فى العالم القديم ، وفى كل البلاد التى وجدت فيها قسوة ينعكس ذلك فى رسمها ونقوشها ولكن فى مصر القديمة لا نجد أى أثر لهذه القسوة فكل شئ مصور بطريقة هادئة وملائمة ومناسبة ومحببة . وتصور لنا النصوص الأدبية المعانى والقيم الإنسانية والسلوكيات والآداب التى يجب أن يتبعها الإنسان أو الابن نحو والديه وأخوته ونحو أفراد عائلته ونحو الآخرين فى مدينته ومجتمعه .

وعندما نادوا بآداب السلوك وحسن التصرف كانوا يطبقونها بحزم ، وكان المصرى فخورا بفضائله . وكان مسلكه يتميز بمجهود حقيقى لإطاعة ما نادى به أهل الفكر والكهنة من تعاليم وحكم وقيم ومبادئ ، وكان المصرى القديم يؤدى عمله

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : اليونان ، مقدمة فى التاريخ الحضارى ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٧ ، ص ٢٣ .

(٢) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 8.

بنوع من التقوى والحيوية والإتقان والصبر التى لم تكن معروفة حينئذ فى المجتمعات الأخرى .

ونجد صدى لهذه المعانى فى مختلف النصوص ، وقد عبر عنها أكثر من فرد من طبقات المجتمع ، فنجد هذه المعانى فى النقوش التى تخص سير كبار الشخصيات من حكام أقاليم وقواد ونبلاء وكبار كهنة ، وأيضا فى بعض النصوص التى تخفى الأشخاص العاديين . فمثلا يقول حاكم إقليم فى **نقوشه** : " أنه قام بتوزيع الحبوب على الناس " .[١] **وآخر يقول** : " اننى لم أرتكب أى عنف ضد أى إنسان " .[٢] ويقول القائد **ونى** عن تصرفات **جنوده** : " أن لا أحد من جنوده الذين اشتركوا فى الحملة قد نهب مدنيا أو سرق أغذية من القرى التى عبروها " .[٣] وقد وصف أحد النبلاء الذين عاشوا فى عهد الملك تحوتمس الثالث بأنه " هو الذى يهتم بالأغنياء وأيضا الفقراء ، والذى يحمى الأرامل دون عائل ، والذى يساعد المسنين والعجزة ، والذى يعين الأبناء فى الوظائف التى كان يشغلها آباؤهم ، والذى يوفر السعادة لكل إنسان " .[٤]

ويقول **المتوفى** عندما يبعث فى عالم الآخرة ويقف أمام محكمة المعبودات فى العالم الآخر : " أنا لم أمنع الخبز عن الجائع ولا الماء عن الظمآن ولا الملبس عن العارى " .[٥] أو " لم أكن سببا فى بكاء أحد ، لم أصب أحدا بألم ، لم أبعد اللبن عن فم صغار الأطفال .... لم أجدف على المعبود ، لم امتلئ صلفا " .[٦]

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٤) د. إبراهيم نصحى : تاريخ التربية والتعليم فى مصر (الجزء الثانى – عصر البطالمة) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٩٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٦) فرانسوا دوما : آلهة مصر ، ترجمة : زكى سوس ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ص ١٠٢ .

ونرى أيضا أن الأدب المصرى القديم قد توصل إلى وصف دقيق لمشـاعر الإنسان وعواطفه وهو لا يزال يؤثر فى أنفسنا على الرغم مـن الفـاصل الزمنـى الطويل الذى يبعدنا عنه .[1]

وعلى الرغم من أن الثراء المادى والتطور فى أوجه النشاط المختلفة فـى الدولة الحديثة فإن المصريين احتفظوا بالكثير من صفاتهم التى عرفناها عنـهم فـى العصور السابقة ، فقد بقيت تلك الصفات كما هى على **الرغم مـن التغـير المـادى الكبير الذى طرأ على حياتهم اليومية نفسها** ، وقد بقى الشـعب متيقظـا ومعروفـا بإنسانيته أكثر من الشعوب التى تحيط به . وعلى الرغم من أن معاملـة المصرييـن القدماء لبعض الأسرى فى عصر الدولة الحديثة قد نشر نوعا من القسوة والسـيطرة عن بعض القادة المصريين ، إلا أنه يمكن القول بأن هؤلاء الذين كانوا يعيشون فـى معظم بلاد الشرق القديم ، وكانوا يعاملون معاملة إنسانية قبل كل شئ[2] وإذا كـانت هناك بعض المناظر التى تدل على القسوة أثناء المعارك الحربية فهذا يرجع أيضا إلى الظروف العسكرية وأساليب التخويف والتهديد والمبالغة فى تمثيل مناظر المعـارك الحربية .

سابعا : أن لمظاهر الحياة الدينية ومظاهر التنشئة الخلقية والسلوكية فـى الحضارة المصرية القديمة رسالة روحية تخاطب الإنسان وما يجب أن يتمسك به فى معتقده وفى تصرفاته وفى قيمه التى يجب أن يتحلى بها . فقد آمن المصريون القدماء بالموت واعتقدوا فى البعث والخلود وكرموا الروح وآمنوا بفكرة الثواب والعقاب فـى الآخرة ومما تركه المصريون القدماء من نصوص دينية عديدة كنصوص أو متـون الأهرام ونصوص أو متون التوابيت وفصول من كتاب الموتى ، والكتب الجنائزيـة الأخرى ، نجد أنها تعكس جزءا كبيرا من معتقداتهم فـى الحيـاة والمـوت وعـالم الآخرة . وتحتوى على الكثير من أسرار الديانة لهذه الحضارة البعيـدة ، وتعطينـا

---

(١) Vercoutter, op. cit., p. 8.

(٢) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

درسا فى الروحانيات طبقا لمعتقداتهم . ولهذا فبالإضافة إلى المظاهر المادية للحضارة المصرية القديمة والتى نرى آثارها فى كل مكان ، نقول أن لهذه الحضارة رسالة روحية تخاطب معتقد الإنسان فى كل وقت وزمان .(١)

فقد دخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام منهم سيدنا إبراهيم ويعقوب ويوسف الذى اصبح أمينا على خزائن أرضها ، دخلها أخوته عليهم السلام . ونشأ فيها سيدنا موسى عليه السلام وتربى فى قصر المسئول – فرعون . ونادى برسالة الإسلام والوحدانية ، ولاشك فى أن مجئ هؤلاء الأنبياء قد أثر فى فكر وعقيدة بعض المصريين القدماء ، واصبح هذا التأثير جزءا من رسالة مصر القديمة الروحية ، لأنها الأرض الوحيدة التى شرفت بمجئ كل هؤلاء الأنبياء .

فقد زارها بعد ذلك سيدنا عيسى عليه السلام طفلا ، الذى جاء إليها مع السيدة العذراء . وقد روى أنه دخلها من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا ما يزيد على مائة رجل . ودفن بقرافتها جماعة منهم لأنها المكان الآمن لكل من دخلها من الرسل والأنبياء .(٢)

ثامنا : تعتبر الحضارة المصرية القديمة إحدى دعامات الحضارات البشرية ولهذا يصبح من الواجب علينا أن ندرس ونعرف هذه الحضارة وتجارب الإنسان المختلفة فيها لكى نقارنها بحضارتنا الحديثة ، ونرى إلى أى مدى تغير الإنسان منذ هذه العصور البعيدة الساحقة حتى الآن ، وكيف تطورت حياة المجتمعات الإنسانية منذ القديم حتى الآن ، ولذلك فإن حضارة مصر القديمة يجب أن تكون معروفة لنا جيدا ، ولا سيما وأن الإنسان المصرى القديم قد سجل جميع معارفه وتجاربه العديدة على جميع أنواع الآثار التى وصلت إلينا .

---

(١) Guilmot, le Message spirituel de L'Égypte Ancienne, Paris (1970), p. 15 – 33.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٠ – ٢٨٣ .

لهذا فإن دراسة حضارة مصر القديمة هام بوجه خاص بالنسبة لدراسة وفهم الحضارات القديمة للشعوب المجاورة ، لكي ندرك إلى أي مدى ســـاهمت حضـــارة مصر القديمة في تطور الحضارات الأخرى للعالم القديم ، وكيف أنها اســتطاعت أن تغني التراث الإنساني بأكمله ، ونظرا لموقعها الجغرافي المتوسط بين قـــارتي آســيا وأفريقيا ، فهي كانت تعتبر نقطة اتصال بين حضارات الشرق القديـــم وحضـــارات أفريقيا القديمة وحضارات البلاد المطلة على البحر المتوسط .

فنجد أن بعض الحضارات القديمة قد استفادتْ مـــن العلـــوم والمعـــارف والتجارب التي حققها الإنسان المصري القديم ، **ومن ذلك** :

(١) كان **لاختراع المصري القديم لصناعة** الورق من البردي واستخدامه في الكتابـة أثر كبير في تقدم العلوم والمعارف والثقافة ، فقد لعبـت لفـائف الـبردي دورا كبيرا في نشر العلوم والآداب في العالم القديم ، وما زال اسم البردي يتردد على لسان كل غربي عندما يشير إلى الورق . فإن اسمه في اللغة الإنجليزية مشـــتق من كلمة بابيروس ، وهو الاسم اليوناني لهذا النبات الذي اســـتخدم المصـــري القديم سيقانه في صناعة الورق .[١]

(٢) نعرف أن **الحروف الأبجدية** التي تستخدم كل يوم في أوربا كتبت في الأصـــل بحروف لاتينية المأخوذة من الرومان والتي أخذهـــا الرومـــان بدورهـــم عـــن اليونانيين وأخذها اليونانيين بدورهم عن الفينيقييـــن . وأن الأبجديـــة الفينيقيـــة استمدت أصولها من بعض المصادر أهمها الكتابة المصرية السينائية . فقد عـثر في شبه جزيرة سيناء على نقوش عرفها العلماء باسم " مخربشات سيناء " والتي استمدت منها الكتابة الفينيقية الكثير من أصولها اللغوية .[٢]

---

(١) د. أحمد فخري : مصر الفرعونية ، مكتبة الأنجلـو المصريـــة ، ١٩٨١ ، ص ٤٤٧ ؛ د. حسن رجب : البردي ، دار المعارف ، ١٩٨٠ ، ص ٣٧ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٤٤٧ ؛ آلن جاردنر : مصر الفرعونية (ترجمة : نجيـــب ميخائيل ومراجعة عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتـاب ١٩٧٣ ، ص ٤٠ – ٤١ .

(٣) يعتقد أغلب المفكرين فى الغرب أنهم مدينون بالشئ الكثير فى مدنيتهم الحالية لمصدرين أولهما : اليونان والرومان ، والثانى الكتاب المقدس ... وقد استمد هذا الأخير الكثير من أصوله من أدب بلاد بين النهرين ومصر . أما عن اليونانيين فقد تعلموا الكثير من مصر واعترف الكثيرون ممن وضعوا أسس معارفهم فى مختلف فروع الحضارة كالقانون والطب والرياضيات والموسيقى بأنهم تعلموا ما نشروه بين مواطنيهم من الكهنة المصريين عندما أقاموا معهم وتتلمذوا عليهم فى مصر لمدة عدة سنوات ، أمثال أفلاطون وغيرهم . وأثينا وهى لفظ غير يونانى قد اسسها مصرى يدعى سيكرابس .(١)

كما أخذ الرومان الشئ الكثير من الحضارة المصرية ، ففى مجال العقيدة نعرف أنه قبل ظهور المسيحية وفى أوائل أيامها كانت عبادة المعبودة إيزيس المصرية منتشرة فى جنوب أوربا ، ولها معابدها وكان يقوم على خدمة تلك المعابد كهنة مصريين يساعدهم كهنة من أبناء البلاد . وكانت مواكب أعياد هذه المعبودة وتمثيل قصتها كل عام ذات أثر كبير على أفكار الناس عامة فى ذلك العهد .(٢)

(٤) كان الإنسان المصرى القديم المفكر الأول والمبدع والمخترع والرائد الأول لعدة تجارب علوم ومعارف ، تلك المعارف التى أفادت البشرية بعد ذلك وكانت الأساس فيما نسميه الآن " **بتاريخ العلوم** " ولهذا فليس من الغريب أن نرى اليوم أن الدراسات الحديثة فى شتى فروع العلوم والفنون والآداب تبدأ أولا بدراسة ما حققه المصرى القديم من خطوات رائدة فى هذه المعارف .(٣)

---

(١) د. أحمد صبحى : فى فلسفة الحضارة (الحضارة الإغريقية) ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الإسكندرية ، ص ١٧ – ١٨ .
(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٤٥١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) مكتبة النهضة المصرية ، ص ٦١٩ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، دار المعارف ١٩٨٤ ، ص ١٥٨ – ١٥٩ .
(٣) د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ٥ .

فنجد أن ما توصل إليه المصرى القديم فى مجال الديانة اصبح من الضروريات عند دراسة " **علم مقارنة الأديان** " . وما توصل إليه فى مظاهر الحياة السياسية من نظم الحكم والسياسة والإدارة ، وأصبح الأساس فى دراسة ما يسمى " بالعلوم السياسية " حتى أن القانون المصرى القديم يعتبر من المواد الهامة التى تدرس فى كليات الحقوق والاقتصاد فى الخارج عند التعرض لتاريخ القانون . وكذلك ما عرفه المصرى القديم من نظم اجتماعية دخلت الآن فيما يسمى " بتاريخ علم الاجتماع " . وكذلك ما عرفه وتوصل غليه فى الحياة الاقتصادية من نظم ومعاملات وغيرها ، نجد له أثر فى دراسة " **تاريخ النظم الاقتصادية** " . أما بالنسبة لما توصل إليه فى مجال العلوم المختلفة من طب وكيمياء ، نجد أن ما توصل إليه المصرى القديم فى مجال الطب يدرس ضمن مادة " **تاريخ الطب** " ، وكذلك الكيمياء فى مادة " **تاريخ الكيمياء** " . ويرى بعض العلماء أن اصل كلمة كيمياء مأخوذة من كلمة كمت بمعنى أرض مصر السوداء أى الأرض الطينية السوداء . وما توصل إليه المصرى فى مجال **الحياة الفنية** وخاصة فى العمارة والنحت والنقوش والرسم والتلوين يدرس حاليا فى كليات الفنون الجميلة وفى أقسام العمارة وفى كليات الهندسة ، ضمن مادة **تاريخ الفنون** ، وكذلك ما توصل إليه المصرى القديم فى مجال الرياضيات يدخل ضمن مادة **تاريخ العلوم أو الرياضة** . وأخيراً ما قام به المصرى فى مجال العلاقات الخارجية ، ما يبين لنا أقدم صور العلاقات الدبلوماسية بين مصر والبلاد الأخرى فى الشرق والجنوب والشمال .

تاسعا : لم تعرف حضارة مصر القديمة التعصب فى معتقداتها وعبادتها الدينية . فسلمت الحضارة المصرية من نوازع التطرف والفتن ولهذا سلمت معظم معالمها الأثرية من الضياع ولم تخرب إلا فى حالات قليلة نادرة . وكان المصريون القدماء يمتازون بالتسامح فيما يخص العقيدة والمعتقد . فكان لكل إقليم معبوده أو معبودته الخاصة به ، ويعترف فى الوقت نفسه بالمعبودات التى تعبد وتقدس فى الأقاليم الأخرى البعيدة . ويمكننا أن نجد إلى جانب عبادة المعبود الرئيسى عبادات أخرى لمجموعة من معبودات الأقاليم كما أننا نجد إلى جانب عبادة المعبود المحلى فى الأقاليم عبادات أخرى لمعبودات مختلفة ، ومن ناحية أخرى يمكن لكاهن واحد أن

يكون فى خدمة أكثر من معبود أو معبودة ، ويصبح كاهنا لمجموعة من المعبـودات ويتولى أكثر من وظيفة لخدمة الطقوس المختلفة لهذه المعبودات فى المعابد الرئيسية أو المحلية .

وتعد روح التسامح هذه من أهم خصائص الديانة المصرية القديمة ، وتـدل أيضا على سمو تفكير المصرى القديم فى معتقده .

عاشرا : أن دراسة الحضارة المصرية القديمة لا تقتصر أهميتها وقيمتـها على ما توصل الإنسان المصرى القديم فيها من مظاهر حضارية متعددة أو ما تمثلـه هذه الحضارة فى مسار الحضارات العالمية القديمة ودورها فى هذا المسار ، تـأثيرا وتأثرا ، ولكن هذه الدراسة لها قيمتها الخاصة بالنسبة لنا ، إذ أنها تعرفنا **بشخصيتنا الحضارية** وهويتنا الحضارية القديمة التى هى جزء من **ترابنا وتراثنا وقوميتنا** .

أن من واجب كل مواطن مصرى أن يتعرف على مظاهر هـذه الحضـارة لأنها جزء منه . ومع الأسف فما زال أكثر المصريين ، بما فى ذلك عدد كبير مـن المثقفين يجهلون مظاهر هذه الحضارة . أما العامة فلا يحفون بها ولا يتأثرون بذكـر مظاهرها أو مشاهدة آثارها العظيمة والإعجاب بها ، بل أن بعضهم ينفر مـن هـذه المظاهر المعمارية ويكاد ينكرها ويعتبره حضارة وثنية وذلك لعـدم توافـر الفـهم والوعى الكافى عن حقيقة هذه الآثار وما تحمله من معان .

وأخيرا فإن واحدة فقط من هذه النقاط السابقة كفيلة وحدها بأن تدفعنا إلـى الاهتمام بدراسة مظاهر حضارة مصر القديمة ، فما بالك كلها مجتمعة . ويبقى بعـد ذلك كله أن كتابة تاريخ حضارة أمة من الأمم بقلم أحد أبنائها إنما يصدر عن إحساس عميق بما كان عليه ماضيها ، وإيمان قوى بحاضرها ، وثقة كاملة فى مستقبلها .

ويتناول هذا الكتاب " **حضارة مصر القديمة** " منذ أقدم العصور حتى عـام ٣٣٢ قبل الميلاد أى نهاية تاريخ الأسرات الوطنية المصرية ، ويلقى الضـوء علـى الحضارة المصرية القديمة فى مظاهرها المختلفة ، مع الإشارة إلى أهـم المظـاهر والتطورات التى توصل إليها الإنسان المصرى القديم فى كل عصر من عصور هـذه الحضارة وتفسير أسباب التطور الحضارى لكل عصر .

والحقيقة أن تاريخ مصر القديم زاخر وعامر بالتطورات الحضارية التى تعبر عن مدى قدرة الإنسان المصرى على تطوير سبل حياته ، وما بذله من جهد واضح أثمر كل هذه المظاهر الحضارية المتميزة التى تشيد بذكائه وقدرته وصبره وجلده على صنع حضارة من أعظم الحضارات البشرية فحضارته سلسلة متصلة الحلقات من التطور المستمر .

وكان أول واجب على علماء الدراسات المصرية القديمة ممن جاءوا بعد شامبوليون أن يضعوا النظام الحقيقى لترتيب ملوك مصر الوطنيين . الذين حكموا قبل ملوك البطالمة وأباطرة الرومان . فلم يجدوا نظاما أفضل من النظام الذى وضعه الكاهن المصرى مانيتون الذى عاش فى عهد بطلميوس الأول والثانى .

فقد أخذ مانيتون على عاتقه أمر تدوين تاريخ الملوك المصريين السابقين على حكم البطالمة . وقسم مانيتون فى مؤلفه التاريخ الكامل لمصر منذ أقدم العصور أى منذ حكم المعبودات وأنصاف المعبودات لأرضها ، إلى إحدى وثلاثين أسرة من العائلات الملكية التى حكمت بطريقة شرعية والتى تبدأ بالملك نعرمر – منى وتنتهى بغزو الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق. م .

ورغم ما جاء من قصور فى هذا التقسيم إلى أسرات فإنه يعد من الأسس الثابتة فى دراسة تاريخ مصر القديم بحيث لم يستطع العلماء تبديله أو التخلى عنه باختراع تقسيم آخر . وعلى الرغم من أن سجلات هذا التاريخ قد فقدت فى حريق مكتبة الإسكندرية عام ٤٧ ق. م . إلا أن فقرات كثيرة حفظت منه فى كتابات المؤرخ اليهودى يوسيفوس (التى ظهرت فى عام ٩٣ أو ٩٤ ميلادية) وبقيت بعض الفقرات المختصرة المشوهة فى مؤلفات المؤرخين المسيحيين : جوليوس الأفريقى (فى أول القرن الثالث الميلادى) ويوسبيوس (من أوائل القرن الرابع الميلادى) وجورج الراهب المعروف باسم " سينسللوس " (حوالى القرن الثامن الميلادى) .(١)

---

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة : د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٦٤ .

وبالإضافة إلى ما وصل إلينا من تاريخ مانيتون فهناك قوائم ملكية أخرى تكمل ما جاء عنده كحوليات حجر بالرمو وقائمة الكرنك وقائمتا أبيدوس وقائمة سقارة وبردية تورين وقائمة لوحة الأنساب من الأسرة الثانية والعشرين .(١)

وكان لكل عصر من عصور تاريخ مصر القديم مظاهره الحضارية منذ أقدم العصور (أى منذ عصور ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات) حتى نهاية التاريخ الوطنى والأسرات الوطنية المصرية . ففى عصور **ما قبل التأريخ أو ما قبل الأسرات** توصل الإنسان المصرى القديم إلى العديد من المعارف . منها معرفته للزراعة واستغلاله لأراضى البلاد وتجاوبه مع عناصر البيئة ، وتكوين عناصر ديانته وبعض معتقداته ، كما أنه تطور بفنه ، وبدأ فى اختراع بعض حروف الكتابة وبعض الحروف الهجائية والعلامات الرمزية ، واتقن بعض الصناعات مثل صناعة الفخار والأوانى الحجرية والأدوات المعدنية والنسيج والحلى وإعداد الجلود مما يدل على نوع من الرقى الحضارى فى بعض المجالات فى هذه الفترة المبكرة .

أما فى **عصر بداية الأسرات** (الأسرة الأولى والثانية) الذى يعتبر فترة تبلور للحضارة المصرية ، فقد توصل الإنسان المصرى القديم إلى معرفة الكتابة وما ترتب على هذا الاختراع من عوامل تقدم فى كافة المجالات لا سيما مجال حكم الإدارة والحياة الثقافية والعلمية .

وارتبط **بعصر الدولة القديمة** (من الأسرة الثالثة حتى نهاية السادسة) الكثير من المظاهر الحضارية وتطور نظم الحكم والإدارة ، وتطور الحياة الثقافية والعلمية وظهور الحكم والتعاليم وآداب السلوك والتى كانت تطبق بحزم . وظهور المعارف والتجارب العديدة فى مجال الطب والكيمياء وخاصة توصل الإنسان المصرى القديم إلى معرفة التحنيط وتقدمه فى علم الرياضيات ، ويشهد بهذا التقدم الأسس والأبعاد الرياضية التى بنيت عليها الأهرام الكبرى ، ولهذا السبب عد الهرم الأكبر إحدى معجزات الدنيا السبع .

---

(١) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٦٧ – ٦٩ .

أما في العصر الوسيط الأول (من الأسرة السابعة حتى العاشرة) فكان فترة ضعف سياسي في الداخل وانعكس ذلك على المظاهر الحضارية وعدم تطورها . وتعطلت الفنون والنتاج الصناعي وتوقفت عجلة التطور الحضاري .

أما في عصر الدولة الوسطى (من الأسرة الحادية عشرة حتى الثانية عشرة) فقد استعادت مصر وحدتها السياسية وعاود المصري القديم السير في مجال التطور الحضاري . وقام بتنفيذ العديد من المشروعات وخاصة في مجال الري واستصلاح الأراضي في منطقة الفيوم . وازدهرت التجارة مع سوريا . وبدأ ذهب بلاد النوبة والصحراء الشرقية يتدفق على خزائن الملك . وساعد ذلك كله على انتشار عوامل الرخاء وازدهرت في هذا العصر الصناعة والتجارة والفنون والآداب .

وفي العصر الوسيط الثاني (من الأسرة الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة) تمزقت وحدة البلاد السياسية مرة ثانية وتعرضت للغزو الأجنبي من قبل الهكسوس وذلك لأول مرة في تاريخها وفي عهد الغزاة تعطلت الصناعات والفنون أيضا . وتفرغ الناس لمقاومة الاحتلال الأجنبي وإعداد الخطة لطرده حتى نجح أمراء طيبة في هذه المهمة القومية .

وفي عصر الدولة الحديثة (من الأسرة الثامنة عشرة حتى الأسرة العشرين) تم طرد الهكسوس وقامت حكومة قوية ، نظمت الجيش وطبقة الموظفين ، وزادت اتصالات مصر بالشعوب والدول في الشرق القديم ، وأصبح لها سيادة ونفوذ سياسي قوي فيما يعرف ببلاد الشام ، وانعكس ذلك على تجارتها وتدفق الثروات والخيرات على خزانتها من الشرق والجنوب ، وانتشر الرخاء بين طبقات الشعب ، وشيد الملوك المعابد الضخمة والقصور الفخمة ، وشيد الأغنياء البيوت المزودة بأحسن الأثاث وأفخمه .

وبذلك كله عدت مصر أعظم الممالك المتحضرة في هذه الفترة ، وجاء إلى عاصمتها طيبة السفراء والرسل والزوار من الشرق والشمال والجنوب محملين

بهداياهم لملوكها ، وظلت مصر على قوتها السياسية فى الداخل والخارج حتى بداية الأسرة العشرين .

وفى **العصر الوسيط الثالث** (من الأسرة الحادية والعشرين حتى الأسرة الخامسة والعشرين) وكذلك فى **العصر المتأخر** (من الأسرة السادسة والعشرين حتى الحادية والثلاثين) عاشت البلاد فترات ضعف سياسى فى الداخل والخارج ، كما عاشت فترات قوة . فعندما تولى حكم البلاد فى نهاية الأسرة العشرين ملوك ضعاف ، ساءت فى عهدهم إدارة البلاد وحالتها الاقتصادية ، وفقدت مصر هيبتها فى الخارج . وكان ذلك بداية للعصر المتأخر . ولكن عرفت مصر بعد ذلك فترات قوة على يد ملوك الأسرة السادسة والعشرين ولكن على الرغم من فترات الضعف السياسى أحيانا فإن مصر ظلت دائما مركزا حضاريا هاما ، ذا اثر مباشر على الشعوب التى تعيش من حولها . وكانت فى أكثر عصر من عصورها شعلة وضاءة تضفى من نور المعرفة على كل من حولها وكل من يتصل بها حتى فى ظل ظروف الاحتلال الأجنبى أى فى العصر البطلمى – الرومانى .(١)

ويعتقد بعض مفكرى الغرب بأن المصريين القدماء الذين صنعوا هذه الآثار ، كانوا أناس غير طبيعين يتمتعون بقدرة فائقة على الإتيان بالخوارق وأنهم استعانوا بالسحر أحيانا فى تنفيذ كل هذه **العناصر المعمارية الهائلة من أهرام ومعابد منحوتة فى الصخر** وغيرها ، فعليهم الرجوع إلى الكتب والمؤلفات العلمية والتى تتحدث عما وضعه المصريون القدماء من نظم ومظاهر حضارية فى **الحكم والإدارة والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية والحياة الدينية والحياة الثقافية والحياة العلمية والحياة الفنية والأساليب التربوية ونظم التعليم** ومجالات العلاقات الخارجية .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) ، ص ٦٢٠ .

ليدرك أنه توافر لهذه الحضارة عدة مقومات وأسس جعلتها تخرج من هذه الصورة المتكاملة منها : **مساهمة عناصر البيئة ، رسوخ عقيدته ومعتقداته ، تبجيل الحاكم وطاعته والتفانى فى خدمته ، وجود قوانين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع ، توافر عوامل الأمن والأمان ، تدفق عطاء الإنسان المصرى ، احترام العمل وذوبان ذاتية الفرد فى الجماعة ، ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم ، قيام مجتمع متماسك تربط بين أفراده روابط وعادات وتقاليد راسخة ، التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا ، المحافظة على التراث** الذى توارثته الأجيال المتلاحقة،ثبات مقومات الحضارة أمام المحن والصعاب . أضف إلى كل هذا مقومات **حب المصرى القديم لوطنه وأرضه** كما لم يفعل شعب من شعوب الأرض وأثر هذا الحب الصادق للوطن على إرادة الإنسان واستعداده الطبيعى فكان البذل والعطاء فى سبيل بناء حضارة محلية اصيلة ، فتحقق له ما أراد من منجزات .

وليدرك أيضا أن **شجرة الحضارة** التى غرست أصولها فى أعماق أرض مصر الطيبة أخذت تنمو وتزدهر لتؤتى بثمارها ومظاهرها الحضارية عبر العصور المختلفة من عمرها الطويل الذى يمتد إلى آلاف السنين حتى أصبحت شاهقة الطول مزدهرة الفروع ضاربة بجذورها فى أعماق التاريخ ، بفضل مراعاة أبنائها لها ومحافظتهم على مظاهرها وعملهم على تطورها وازدهارها بقلوب عامرة بالإيمان الحقيقى وعزيمة لا تعرف الكلل ولهذا خرجت رائعة ومزدهرة فى كل مظاهرها .

على الرغم من توقف عطاء هذه الشجرة منذ أكثر من ألفى عام بعد إصابتها بعوامل القدم وعواصف الأزمات ، ورياح التغير ، وإحجام الكثير من رجال الدين والكهنة والعلماء عن توريث معارفهم وتجاربهم وعلومهم التى توصلوا إليها عبر هذا التاريخ الطويل إلى غيرهم، وعدم الإفصاح عن تفاصيلها فى نصوصهم على مختلف الآثار التى خلفوها، لأنهم لم يجدوا من بين معاصريهم من هم أهل لحمل هذه الأمانة وأسرارها، فاختفت هذه الأسرار باختفاء أهلها، وما توصلوا إليه من معارف فى شتى المجالات، وستظل البقايا الأثرية لهذه الحضارة والمنتشرة فى أرض مصر وصحاريها مثل الشواهد الراسخة ، والشامخة التى جذبت ولا تزال تجذب المئات من المتخصصين، والآلاف من غير المتخصصين فى العصر الحديث من شتى بقاع العالم، ومن جميع الجنسيات لكى ينهلوا من معارفها ، ويشيعوها بين

الناس فى كتبهم ، ومؤلفاتهم ، ومقالاتهم ومحاولين أيضا إلقاء الضوء على أسـرارها وغموض الكثير من مظاهرها التى تدعوا إلى الحيرة ، والتى يعجز العقـل البشـرى عن تفسير حقيقتها وكيفية تحقيقها .

وسيظل هذا التراث لأعظم حضارة إنسانية صنعها الإنسان المصرى القديـم منهلا لثقافة الإنسان بوجه عام فى كل مكان وزمان .

الباب الأول

البيئة والإنسان المصرى القديم

قد يسأل سائل ما هى العوامل التى ساعدت على نشأة وتطور الحضارة على هذه الأرض عبر هذه القرون الطويلة من الزمان ؟

نقول أن هناك عدة عوامل لابد من توافرها لقيام أى حضارة إنسانية ، ومن أهم هذه العوامل هى عناصر البيئة ، فقد أثبتت البحوث العلمية أن لظروف البيئة الطبيعية أثر فعال على المجموعات البشرية فى كل العصور وبخاصة فى العصور القديمة التى لم يكن فيها الإنسان قد سيطر بعد على عناصر ومقومات البيئة الطبيعية بالشكل الذى عرفه فى العصور التالية من حضارته . ومن ثم كان الإنسان أكثر تأثرا وانطباعا بهذه الظروف وعناصر البيئة . فإما أن تكون ظروف البيئة ملائمة للنشاط البشرى فيصبح هناك استقرار وانطلاق وعطاء وإنجاز بشرى وحضارى ، وإما لا تكون مواتية ، فيصبح هناك نوع من عدم الاستقرار والقلق والتنقل المستمر كما يصيب الأفكار نوع من الركود والخمول[1] ويؤدى ذلك إلى قلة الإنتاج وعدم ترك آثار ذات قيمة حضارية .

وعلى ذلك كان هناك أكثر من ظرف جغرافى ترك أثره بشكل واضح وفعال على طابع الاستقرار والعمران بالنسبة للمصرى القديم وأدى إلى ارتباطه بأرضه وتمسكه بها ، أى لعناصر البيئة أثر هام فى تطور وازدهار الحضارة .

من أهم صفات الحضارة المصرية القديمة : صفة الأصالة ، فقد نشأت هذه الحضارة فى مصر ، ثم نمت وتطورت وازدهرت فى جميع المجالات نتيجة

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٢٧ .

للتجاوب الشديد الذى حدث بين الإنسان المصرى القديم وبين عناصر البيئة التى وجدها من حوله وعاش بجوارها ونتيجة لروح الكفاح والجهاد وقوة العزيمة المتأصلة فيه ، بل لصبره وجلده على العمل الشاق المتواصل نجده قد تطور وتقدم بحضارته المحلية الوطنية إلى مستوى رفيع ، وأصبحت حضارة عميقة الجذور راسخة البنيان .[١]

وترتبط الأحداث التاريخية ووضع أسس الحضارة المحلية فى أرض مصر ارتباطا وثيقا بعوامل البيئة الجغرافية . فقد ساهمت مقومات البيئة الطبيعية فى تقدم هذه الحضارة ، وفى الوقت نفسه كانت البيئة مسرحا صالحا[٢] استخدمه الإنسان المصرى القديم واستغله لإبراز جهوده وقدراته ونبوغه ، فأنتج هذه الحضارة العريقة وارتقى بها حتى أصبحت من أعظم حضارات العالم القديم .

فالبيئة والإنسان يرتبط كل منهما بالآخر . والحضارة ما هى إلا تفاعل جهود الإنسان وذكائه مع مؤشرات ومقومات البيئة . ولهذا فإن البيئة تساهم أيضا فى صنع هذه الحضارة[٣] ، وعلى أرض البيئة المصرية أقام الإنسان المصرى ذلك التراث الأثرى الضخم المتعدد ، الذى هو خير شاهد على حسن صنيعه ، ولولا اعتدال مناخ مصر لما حفظت لنا البيئة ذلك التراث آلاف السنين .

والتاريخ ما هو إلا تسجيل لهذا التفاعل بين الإنسان والبيئة ، فأرض مصر هى التى عاصرت أحداث تاريخ مصر القديم فى جميع عصوره ، وعلى أرض مصر قامت هذه الثروة الأثرية ، فارتبط تاريخ مصر القديم وحضارتها بثرى هذا البلد الذى

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) ص ٤٥٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٣) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقلة إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٤ – ٥ .

لا يوجد فيه شبر واحد لم يمتزج بعرق أولئك الأجداد جيلا بعد جيل منذ آلاف السنين ، ذلك الثرى الذى لا يزال يحتفظ بالكثير من آثاره وأسراره التى لم يكشف النقاب عنها كلها حتى الآن .

(١)

عناصر ومقومات البيئة المصرية

كانت مصر تمتلك منذ أقدم العصور الجيولوجية ، المقومات البيئية الطبيعية والعناصر الضرورية لتأسيس حضارة محلية عريقة .

وهذه العناصر البيئية ذات الملامح المحددة قد أثرت بدورها فى أقدم السلالات البشرية التى استقرت على أرض مصر . كما أثرت هذه العناصر البيئية تأثيرا كبيرا فى نشأة الحضارة المصرية القديمة كما ساهمت فى نموها وتطورها بفضل مجهودات الإنسان المصرى القديم عبر عصوره التاريخية الطويلة .

وهذه المقومات والعناصر هى :

الموقع الجغرافي الفريد ، وفرة التكوينات الصخرية والأحجار والمعادن المتنوعة ومواد أخرى ، وجود نهر النيل ومياهه الغزيرة الدائمة وطميه الغني ، تكون أراضي الوادي الطويلة والتربة الصالحة والواحات الشاسعة ، وجود الحدود الطبيعية الحامية (كالصحارى المترامية والجبال والبحار) وتوافر المناخ المعتدل .

وكان هناك نوعا من التوافق بين عناصر البيئة الطبيعية والجغرافية . وقد استغل الإنسان المصرى القديم معظم هذه المقومات والعناصر الطبيعية منذ أقدم العصور ، واستغل البعض الآخر خلال عصوره التاريخية الطويلة عندما أصبح أكثر خبرة فى مجال البناء الحضارى . وكما يذكر د. حزين : " أن علاقة الإنسان ببيئته الجغرافية في مصر القديمة كانت علاقة تأثير متبادل متطور المظاهر " .[١]

---

(١) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ١.

كما أن الإنسان وجد مصادر أخرى فى البيئة الطبيعية استغلها لنفعه ولاستقراره ولبناء حضارته ، مثل استغلاله للمنخفضات التى تحولت إلى بحيرات، واستغلاله للأحراش وما ينبت فيها .

أولا : الموقع الجغرافى الفريد :

تقع مصر فى أقصى الشمال الشرقى للقارة الأفريقية . وتبلغ الرقعة التى تحتلها مصر نحو ٣ % من مساحة القارة الأفريقية .(١)

وجعل هذا الموقع من مصر مفرق البحرين : البحر المتوسط والبحر الأحمر وملتقى القارتين وشعوب من آسيا وأفريقيا وجنوب أوروبا .

ولهذا تعتبر مصر بحكم موقعها المتوسط جزءا هاما من منطقة نشوء ومولد حضارات الشرق القديم . وبغض النظر عن الترتيب الزمنى لظهور هذه الحضارات ، وهى بلاد فارس وبلاد النهرين وآسيا الصغرى وبلاد الشام (بالمعنى الجغرافى القديم والذى كان يشمل المنطقة الممتدة من حدود آسيا الصغرى شمالا إلى حدود مصر عند الحد الشرقى لشبه جزيرة سيناء جنوبا) وشبه الجزيرة العربية ، فإن نشأة الحضارة المصرية القديمة كان مرتبطا بنشوء الحضارات فى هذه المنطقة وأصبحت جزءا رئيسيا من المسار والتيار الحضارى الذى عم منطقة الشرق القديم منذ آلاف السنين ، أو بمعنى آخر أن نشأة هذه الحضارة فى مصر تعتبر الحلقة الرئيسية في سلسلة نشوء الحضارات القديمة في هذه المنطقة ، أو أن هذه النشأة كانت ضرورة ملحة لكى تكتمل حلقات سلسلة حضارات الشرق القديم أو لكى تكتمل الشخصية الحضارية للمنطقة صاحبة المنجزات الحضارية الأولى للإنسان منذ آلاف السنين . فالتيارات الحضارية لا تعرف الحدود الجغرافية ولا تتوقف عندها سواء أكانت هذه الحدود قومية أو قارية ، ولهذا لا يمكننا فصل نشأة الحضارة المصرية

---

(١) د. محمد صفى الدين : مروفولوجية الأراضى المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ١ .

القديمة على أرض مصر عند منطقة نشوء ومولد حضارات الشرق القديم ، فحضارات الشرق القديم تقع في قارة آسيا ، والحضارة المصرية تقع بين قارتي آسيا وأفريقيا . ولهذا أصبحت مصر بحكم موقعها وبالضرورة جزءا من هذا التيار الحضاري القومي الذي اجتاح المنطقة منذ القدم .

أما بالنسبة للتوقيت الدقيق لنشأة كل حضارة على حده فهو لا يزال أمرا من الصعب البت فيه برأي قاطع . ولكن يمكن القول بأن أقدم دور حضاري كبير في منطقة نشوء الحضارات كان من نصيب مصر وبلاد النهرين وبلاد الشام .(١)

وكان هذا الموقع الفريد يتحكم في مواصلات الشرق والغرب والشمال والجنوب ، مما ساعد على نشأة الصلات والعلاقات بمختلف مظاهرها وأشكالها وصورها بين مصر وبقية أقطار العالم القديم التي كانت تحيط بها والذين تأثروا بحضارة أهلها .

ثانيا : وفرة التكوينات الصخرية والأحجار والمعادن المتنوعة ومواد أخرى :

تتكون صخور السطح في مصر من أنواع مختلفة من الصخور النارية والرسوبية والمتحولة(٢) وتبلغ نسبة توزيع التكوينات الصخرية الأساسية فوق

---

(١) د. لطفي عبد الوهاب : العرب في العصور القديمة ، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٣٣ .

(٢) مصر جزءا من قارة أفريقيا وهذه القارة كانت جزءا من قارة أضخم هي جندوانا – لاند التي بدأت تتكسر في الزمن الجيولوجي الثاني . وكان تكوين جندوانا أساسا من الصخور البللورية الشست، الكوارتزيت ، الفيلليت، المرمر ، بالإضافة إلى تداخل كتل جرانتية ضخمة . أما قارة أفريقيا نفسها فهي تتكون من الناحية الجيولوجية من هضبة عظيمة الاتساع ذات قدم تاريخي قلما يوجد له نظير ، فأجزاء كثيرة من القارة عمرها يزيد على ٥٠٠ مليون سنة ، كما أن حوالي ثلثها ينتمي إلى التكوينات الأريكة التي يزيد عمرها على ====

الأراضى المصرية كما يأتي .

(١) الصخور البللورية ، وهى تعتبر من أقدم أنواع الصخور فوق سطح الأراضى المصرية . ويرجع عمرها الجيولوجي إلى أقدم الأزمنة الجيولوجية المعروفة وهو الزمن الأركى أو ما قبل الكمبرى .[1] ولهذا تسمى أيضا الصخور الأركية .

=== ٨٠٠ مليون سنة ، راجع :

د. محمد رياض – د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٧٥ ، ٩٢ .

(١) أجمع العلماء على تقسيم عمر كوكب الأرض منذ نشأتها حتى الآن إلى أربعة أحقاب متعاقبة هي :

١– حقبة الأركي (أو ما قبل الكمبرى) وطولها من ٤٥٠٠ – ٦٠٠٠ مليون سنة .

٢– حقبة الباليوزوى : وطولها تقريبا ٣٥٠ مليون سنة . وتشمل هذه الحقبة الأزمنة الآتية :

الكمبرى ٧٠ مليون سنة ظهور أول الحياة البحرية .

حقبة الحياة القديمة الاوردوفيشى ٧٠ مليون سنة ظهور الأسماك .

– أو الأولى من الزمن السيللورى ٣٥ مليون سنة ظهور النباتات والحيوانات البرية

الأول الديفونى ٥٠ مليون سنة

الفحمى أو الكربونى ٦٥ مليون سنة كثرة النباتات

البرمى الأول ٥٥ مليون سنة موت كثير من الحيوانات

٣– حقبة الميزوزوى : وطولها تقريبا ١٦٠ مليون سنة وتشمل الأزمنة الآتية:

حقبة الحياة الترياسى ٣٥ مليون سنة أولى الديناصورات

الوسطى أو الجوارسى ٥٤ مليون سنة

– الزمن الثانى الكريتاسى ٧١ مليون سنة النباتات المزهرة

وهى عبارة عن مركب صخرى معقد تختلط فيه الصخور النارية والمتحولة ذات الأصل النارى أو الرسوبى والتى تكون الأساس الجيولوجى القاعدى .

== ٤- حقبة الكاينوزى أو السينوزى وطولها تقريبا ٦٥ مليون سنة وتمتد حتى الآن وتشمل الأزمنة الآتية :

	الباليوسين	١١ مليون سنة	ظهور الحيوانات ذات الخف والأظافر
	الايوسين	١٦ مليون سنة	ظهور النباتات البرية
حقبة الحياة	الاوليجوسين	١٢ مليون سنة	ظهور الحشائش
الحديثة أو	الميوسين	١٩ مليون سنة	
- الزمن الثالث	البليوسين	٤,٥ مليون سنة	آكلات اللحوم الضخمة
	البلايستوسين	٢ مليون سنة	وانتهى منذ عشرة آلاف سنة*
- الزمن الرابع	الهولوسين (الحديث)**		

* ظهور بداية الإنسان العاقل فى الهولوسين . وبنهاية البلايستوسين انتهى أيضا العصر الحجرى القديم (الأسفل ، الأوسط ، الأعلى) وبدأ ما تعارف على تسميته بالعصر الحجرى الوسيط (١٠,٠٠٠ سنة ق. م) واستمر حوالى ٧٠٠٠ – ٥٠٠٠ سنة ق. م . ثم بدأ بعد ذلك العصر الحجرى الحديث منذ ٥٠٠٠ سنة ق. م ، ثم بدأ بعد ذلك عصر المعادن فى نهاية العصر الحجرى الحديث .

يرى بعض العلماء أن ظهور الإنسان العاقل Homo- Sapiens الذى يعتبر الجد الأكبر للبشرية فى حوالى ٢٠ ألف سنة قبل الميلاد . وأن العصر الحجرى القديم (بما فيه العصر الحجرى الوسيط يبدأ من ٢٠ ألف سنة إلى ٦٠٠٠ ق. م) وأن العصر الحجرى الحديث من ٦٠٠٠ إلى ٣٢٠٠ ق. م .(== راجع تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ١٧ – ١٨) .

** وبين أزمنة البلايستوسين والهولوسين كانت توجد الفترات الجليدية على المناطق الشمالية من الكرة الأرضية ، وكانت تشمل أربع فترات هى : عصر جونز الجليدى انتهى من ٣٣٠ ألف سنة
عصر ميندل الجليدى
عصر ريس الجليدى انتهى من ١٠٠ ألف سنة
عصر فيرم الجليدى انتهى من ١١ ألف سنة

راجع لهذا التقسيم الجيولوجى ، الجدول الذى جاء فى مذكرات د. محمود عاشور مذكرات فى الجغرافيا الطبيعية – كلية الآداب – جامعة عين شمس ، عام ١٩٦٢ ، ص ٢٦ .

وتشغل هذه الصخور حوالى ١٠ % (٩٣ ألف كيلو متر مربع) من المساحة الإجمالية لأراضى البلاد . وتظهر مكاشفها الرئيسية فى الصحراء الشرقية حيث تتواجد جبال البحر الأحمر كما تغطى الثلث الجنوبى من شبه جزيرة سيناء ، كما تظهر أيضا فى أقصى جنوب غرب مصر فى جبل عوينات وفى المناطق المتفرقة فى جنوب الصحراء الغربية . وتبرز بعض الكتل من هذه الصخور فى قاع نهر النيل وعلى ضفتيه كما هو الحال فى منطقة كلابشة عند الجندل الأول .(١)

ومن أهم أنواع الصخور النارية التى جذبت انتباه الإنسان المصرى القديم صخور الجرانيت التى تتكون منها الكثير من القمم الجبلية فى الصحراء الشرقية وفى منطقة أسوان التى تتميز بنوع وردى كبير الحبيبات جيد التبلور وهو ما يعرف علميا باسم " جرانيت أسوان التذكارى " Aswan Monumental Granite " .

وكذلك صخر الديوريت الأسود وهو صخر نارى جوفى قاعدى ويتواجد مع هذه المجموعة كما يكون بعض التلال المميزة مثل التل الموجود بجنوب الصحراء الغربية وجنوبى غرب أسوان ، والتى استقطع منها الحجر المصنوع منه تمثال الملك خفرع الشهير الموجود بالمتحف المصرى ، ولذلك أطلق عليه اسم " ديوريت خفرع – Kephren Diorite " .

ومن بين الصخور المتحولة والتى تنتمى إلى هذه المجموعة أنواع كثيرة أشهرها صخور النايس والشست(٢) والكوارتزيت التى تتواجد بوضوح فى الجزء الجنوبى من الصحراء الشرقية حيث تكون صخور النايس(٣) سلسلة جبال (حفافيت) و (سكيت) وحول وادى الجمال الذى استقر فيها المصريون القدماء ولا تزال

---

(١)د. محمد صفى الدين : مرفولوجية الأراضى المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢)الذى يحتمل أنه يرجع أصلا إلى حجر طينى ، راجع : د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣)المرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٨ .

أطلال مدينة سكيت قائمة حول مناجم إنتاج حجر البريل[1] Beryl الذى كان يستخدم فى أدوات الزينة الخاصة بالملكات .

كما تظهر صخور الشست فى أنحاء متفرقة من الصحراء الشرقية وخاصة حول وادى الجرف فى الجنوب . وقد استخدمه المصريون القدماء فى صناعة بعض التماثيل نظرا لدقة حبيباته وانتشاره فى هذه الأماكن .

وينتشر حجر الكوارتزيت الأحمر ، الذى صنع منه المصريون القدماء كثيرا من تماثيلهم ولوحاتهم ، فى منطقة الجبل الأحمر ، وهذا الجبل جزء من جبل المقطم وقد تكون فى عصر الميوسين من الزمن الثالث الجيولوجى .[2] ويوجد الكوارتزيت كذلك فى منطقة جبلين .

ومن صخور هذه المجموعة أيضا صخور الاردواز وصخور البرشا التى تكون جزءا من مجموعة الرسوبيات التى تجمعت فى بعض أحواض صغيرة فى الصحراء الشرقية بعد حركات الرافعة للجبال . واشهر مناطق تواجدها فى وادى الحمامات التى سميت باسمه " رواسب الحمامات " .

وتمثل هذه المجموعة أحدث صخور القاعدة المركبة الغير متحولة . وتتميز صخور الإردواز بصلابتها ودقة حبيباتها وبألوانها الخضراء والحمراء وكذلك صخور البرشيا التى استخدمها المصرى القديم فى عمل ألواح رخامية وهى مشهورة باسمها اللاتينى :

" Breccia Rosso Antico and Bressia Verdi Antico "

وتوجد محاجر هذه الصخور بمنطقة الفواخير على طريق قفط القصير حول مناجم الذهب القديمة .

---

(١) " حجر كريم أخضر اللون " .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ١٩٨ .

أما صخور البازلت فهى صخور بركانية قاعدية دقيقة الحبيبات شديدة الصلابة ويمثل أحدث الصخور النارية التى نتجب عن نشاط بركانى فى عصر الاوليجوسين التابع للزمن الثالث الجيولوجى .[١]

وتظهر صخور البازلت فى منطقة جبل القطرانى بمنطقة الفيوم وبمنطقة أبو زعبل وفى شمال غربى أهرام الجيزة[٢] وعلى امتداد طريق مصر السويس وكذلك فى جنوب غرب سيناء كما تظهر أيضا فى عدة مواضع بالصحراء الغربية جنوبى الواحات البحرية وفى مناطق متناثرة شرقى النيل عند سمالوط والبهنسا ومنقلوط .[٣] ولا تزال هذه الأحجار البازلتية تستخدم حتى الآن فى شتى أعمال البناء والتشييد .

وأخيرا أحجار الصوان أو الظران التى توجد فى مناطق متفرقة فى جميع الأراضى والصحارى المصرية .

(٢) الأحجار الرملية النوبية التى تغطى حوالى ٢٩ % من مساحة الأراضى المصرية بسمك حوالى ٥٠٠ متر وتمتد إلى مسافات كبيرة خارج حدود البلاد حيث يمكن تتبعها بمسافة تزيد على ١٥٠٠ كم غربا كما تمتد بطول المسافة نفسها تقريبا إلى الجنوب .

وتتميز هذه الأحجار بأنها جيدة التصنيف متعددة الألوان وصالحة لمختلف الأغراض فى البناء والتشييد . هذا إلى جانب المرمر " الكلسيت " ويوجد بالقرب من حلوان وفى جنوب شرقى تل العمارنة والالباستر المصرى .

(٣) الصخور البحرية الطباشيرية والجيرية وتغطى حوالى ٤٣ % من سطح الأراضى المصرية ، وهى تنتمى إلى عصور جيولوجية مختلفة أهمها الكريتاسى من الزمن الثانى والأيوسين والميوسين من الزمن الثالث بنسب متفاوتة .[٤] وقد تكونت

---

(١) د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٦ – ٤٨ .

(٣) د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٤ – ٢٥ ، ٣٦ – ٣٨ .

هذه الأحجار نتيجة لتقدم بحر تيثز Tethys الجيولوجى القديم الذى يعتبر أصل البحر المتوسط الحالى[١] والحجر الجيرى ، وهو حجر البناء الرئيسى فى العمارة المصرية القديمة ، تمتد طبقاته بين القاهرة وقنا .

(٤) تلال الحجر الجيرى البويضى فى شمال الصحراء الغربية ، والرواسب البحرية ، والشواطئ المرتفعة ، ورواسب الوادى والدلتا ، والتلال الرملية والشعاب المرجانية ... وهى تغطى جميعا نحو ١٦ % من المساحة الإجمالية للبلاد .

(٥) صخور أخرى كرواسب الحصى والدماليك من عصر الاوليجوسين ، والصخور البازلتيه ، وتحتل ٢ % من مساحة البلاد .

وقد سمحت صلابة بعض هذه الصخور والأحجار أن تبقى أكثر مما عداها دواما واستمرارا . هذا إلى جانب توافر مواد البناء والتشييد وأحجار الزينة وبعض المعادن والمواد الأخرى فى باطن الأرض وعلى سطوحها . فمن وادى الحمامات كان المصرى القديم يحصل على نوع خاص من الحجر البركانى وعلى بعض أنواع الجرانيت . وفى وادى العلاقى كانت توجد مناجم الذهب ، وفىوادى الهودىكانت توجد مناجم النحاس والذهب والبيريت وحجر الجمشت الذى كان يستخدم فى زينة الحلى . وفى وادى المغارة مناجم الفيروز . وفى وادى النطرون كان يوجد النطرون الذى يدخل كثير من الصناعات والأغراض .

وكان يوجد أيضا بعض المواد الأخرى مثل طمى النيل ومواد النباتات من البردى والغاب وجذوع بعض الأشجار مثل النخيل والجميز .

ثالثا : وجود نهر النيل ومياهه الغزيرة الدائمة وطميه الغنى :

كان له أكبر الأثر فى تكوين أرض هذا الوادى ، وإعدادها لتكون مهدا لاستقرار الإنسان المصرى القديم وتكوين حضارة عريقة أصلية ، وهو يعد من أطول

---

(١) د. محمد صفى الدين ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

أنهار العالم ، إذ يبلغ طوله بالكيلو متر ٦,٦٧١[١] ، واتجاهه العام هو من الجنوب إلى الشمال . وهو يمر فى مناطق متنوعة يربط بينها ، فهو ينبع فى المنطقة الاستوائية المرتفعة ، وتمر بعض منابعه فى أخاويد يشبه مناخها النوع الاستوائى المنخفض . ثم يمر فى منطقة حوض الجبل والغزال ذات شبه المناخ شبه الاستوائى . ويتلقى بعد ذلك من الشرق منابعه الحبشية التى تأتى من المنطقة شبه موسيمية ، ثم يمر بالسودان ، وهو يمثل منطقة مناخية قائمة بذاتها .

أما عن التطور الجيولوجي لنهر النيل فيمكن القول أنه لم يكن دائما فى صورته التى نراه عليها الآن ، وإنما كانت فى أول الأمر ثلاثة فروع نهرية يستقل كل منها عن الآخرين : أولها فى الهضبة الاستوائية ، وثانيها فى الهضبة الحبشية ، وثالثها فى بلاد النوبة ومصر .

وقد دلت البحوث إلى أنه قبل أن يتكون نهر النيل بصورته الحالية فى أرض مصر ، كان هناك نهر أطلق عليه اسم " النيل القديم " أو " النهر الليبى "[٢] ، وهو نهر قديم كانت دلتاه تقع فى شمال منطقة الفيوم الحالية . وعندها كان يبدأ ساحل البحر المتوسط الذى كان يصل إذ ذاك حتى شمال الفيوم ثم تكامل تكوين هذه الدلتا عند مطلع زمن الميوسين ، وحدثت اضطرابات بركانية هى التى ظهرت بسببها تكوينات جبل القطرانى فى شمال الفيوم ، ولا يعرف بالضبط مجرى ذلك النهر القديم .

وقد بدأ ذلك النهر القديم فى جريانه على أرض مصر نحو الشمال بعد أن انحسر البحر المتوسط القديم على أرض مصر نحو الشمال ، واشتد جريان ذلك النهر

---

(١) أطول أنهار أفريقيا وثانى أنهار العالم بعد المسيسبى ، وحوضه عظيم المساحة إذ يبلغ أكثر قليلا من ثلاثة ملايين من الكيلو مترات المربعة و ٣,٠٠٧,٠٠٠ ، راجع : د. محمد رياض – د. كوثر عبد الرسول : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧ – ٩ .

على الخصوص خلال زمن الاوليجوسين .

وخلال عصر الميوسين حدثت اضطرابات فى أرض مصر وفــى منطقــة البحر الأحمر ظهرت على اثرها تلال البحر الأحمر فى مصر من جهــة ، وجبــال الحجاز فى الجانب الشرقى من جهة أخرى ، وارتفاع الأرض فــى شــمال شــرقى أفريقيا من ناحية ثالثة . وقد أدى ذلك إلى حدوث تغيير فى نظــام جريــان الميــاه ، فانتهى النيل القديم بصورته التى أشرنا إليها ، وبدأ نظام نهر النيل الحالى .

وفى خلال هذا العصر أيضا حدث هبوط خفيف فى المنطقة التى يجرى فيها نهر النيل الحالى ، فتجمعت المياه فى ذلك الهبوط ، وجرت نحو الشمال إلى البحـــر المتوسط . وبذلك بدأ نهر النيل الحالى يحفر مجراه الذى نعرفه فى أرض بلاد النوبــة ومصر .

وعندما جاء عصر البليوسين عادت الأرض فهبطت قليــلا بالنســبة إلــى البحر . وكان النهر قد عمق مجراه ، فطغت مياه البحر من جديد فــى هيئــة لســان طويل من الماء المالح ووصل إلى منطقة أسوان ذاتها . وترك ذلك الخليج المســتطيل أثره فى تكوينات ملحية توجد الآن آثارها فى قاع الوادى وعلى بعض جوانبه .[1]

وفى نهاية عصر البليوسين بدأ عصر مطير ، ثم أخذت هذه الأمطــار فــى القلة بعد ذلك . وامتاز هذا العصر الممطر بزيادة الأمطار أيضا فى بلاد الحبشة وفى شرق أفريقيا . وترتب على ذلك ازدياد فى كمية المياه والرواسب التى تصــل إلــى مصر إبان الفيضان . وكان من نتائج ذلك أن جاءت سلسلة من الفيضانات العاليــة[2] التى جلبت مزيدا من الرواسب إلى أرض مصر ، وألقت بها على ســطح التربــة ، فردمت ما تخلف من مستنقعات قديمة وأكملت تكوين الدلتا وقاع الوادى فى كل مكان من مصر الوسطى والعليا ، وبذلك زاد تمهيد الأرض وإعداد التربة وتوسيع رقعــة

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠ – ١١ .

(٢) عن تذبذب فيضان النيل ، راجع : د. مدحت جابر : بعض جوانــب جغرافيــة العمران فى مصر القديمة ، ص ٥ – ٦ .

الطمى والأرض السوداء ، مما ساعد بالتدريج على تكوين بيئة الاستقرار الزراعى فى أرض مصر فيما بعد .(١)

وترتب على بداية العصر المطير فى مصر وبلاد النوبة فى أواخر زمن البليوسين على زيادة الأمطار واشتداد جريان المياه فى نهر النيل ، وزادت عملية نحت الصخور وجرف الرواسب من مرتفعات النوبة وشرق السودان وأطراف ارتيريا وشمال الحبشة وكذلك من الصحراء الشرقية فى مصر .

وكان نهر النيل يجمع كل تلك المياه والرواسب ، وامتاز مجراه فى بلاد النوبة بالنحت ، وامتاز مجراه فى مصر بالارساب . ونتيجة لتلك الرواسب الكثيرة ردم مجرى الخليج القديم ، وتكونت مدرجات نهرية على جوانب النيل . وتكونت هذه المدرجات بالتدريج ابتداء من عصر البليوسين حتى مطلع البلايستوسين .

وكانت هذه الرواسب كذلك بمثابة " البطانة " لما جاء بعدها من رواسب دقيقة جاءت من الحبشة والمكونة من الطمى وقشيرات الميكا الدقيقة التى جلبتها الروافد الحبشية ، بعد أن اتصلت بنهر النيل فى زمن البلايستوسين .

فى أواسط زمن البلايستوسين حدثت بعض الاضطرابات الأرضية فاتصلت هذه الروافد الحبشية ببعضها واتخذ النهر صورته التى نراها عليه الآن من اتصال أجزائه بعضها ببعض . ونتيجة لاتصال النيل بهذه الروافد ومروه بالمناطق المختلفة أن امتلأت مياهه بالرواسب من الحصى والحصباء والغرين ، أى مواد طينية وصلصالية .(٢)

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٧ – ٩ ، ١١ ، ١٥ .

(٢) د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٩٤ – ١٠٣ ، ١٩٧ – ٢٠٠ ، ٢٢٤ – ٢٢٥ ؛ وعن تطور شكل النيل وتطور دلتاه ، راجع : د. محمد عوض : نهر النيل ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ١٧٩ – ١٩٨ .

أصبح النيل يكون بين منطقة بربرة وأسوان خمسة جنادل . وكان يصل إلى البحر المتوسط عن طريق سبعة أفرع هي :

الفرع البيلوزى ، الفرع التانيتى ، الفرع المنديــزى ن الفــرع الفــاتنيتى ، الفرع السبنيتى ، الفرع البلبيتى ، الفرع الكانوبى .(١)

وبفضل مياه الحبشة ونتيجة للأمطار الاستوائية التى لها صفة الدوام طــوال العام ، أصبح النيل يمتلك مصدرا لا ينقطع من المياه ، وأصبح النيــل نــهرا دائــم الجريان .(٢) ولولا ذلك لتحول النيل فى مصر العليا بالتدريج إلى واحــد مــن تلــك الأودية الجافة التى نراها الآن بالصحراء الشرقية أو فى بلاد النوبة .

ووصول مياه الحبشة غزيرة ووفيرة الطمى ، تساعد بما تحمل من رواسـب على تمهيد مجرى النيل وإزالة العقبات منه ، لا سيما فى مناطق الجنادل لأن المــواد التى تحملها مياه النيل كانت بمثابة المعاول التى تجرف قاع النــهر وتقطــع جوانبــه وتمهد مجراه .

وبفضل الأمطار التى تتساقط على هضبة الحبشــة المرتفعــة ، والأمطــار الاستوائية تحدث تلك الظاهرة الطبيعية التى جذبت أنظار العالم القديــم ، ألا وهــى فيضان النيل . وبسبب طول المسافة التى تجرى فيها مياه النيل ، فإن الفيضان الــذى يبدأ فى المناطق الحارة فى شهرى مايو ويونيه لا يصل فى مصر إلا فى شهر يوليــو ، وابتداء من هذا التاريخ فإن الفيضان يزداد بفضل أمطار الحبشة ، (حيــث يصــل أعلى منسوب للأمطار من شهر يونيه إلى أكتوبر) لذلك فإن فيضان النيــل يعتــبر فيضانا صيفيا .

---

(١) انظر : Daumas, La Civilisation de L'Égypte Pharaonique, Paris : 1965, p. 512 carte I, 1.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣ – ١٤ .

وقد فحص العلماء ماء النيل فوجدوه مشتملا على مواد غازية نافعة في غذاء النباتات ، وهذا بيان بما وجد في اللتر الواحد منه[١] :

حامض كربونيك	٥,٠٧ سم مكعب
أزوت	١١,٧١
أوكسجين	٤,٨٨

وفي اللتر الواحد نجد المواد الجامدة الآتية[٢] :

سلسالات	٠,٠٣٤
حمض الكبريت	٠,٠١٧
جير	٠,٠١٠
كلور	٠,٠٠٤
حمض الفسفور	اثر

وحمض الفسفور والبوتاسا ، وهما العنصران المعدنيان اللذان عليهما الدور الأعظم في الخصوبة ، تكثر كميتهما في شهري أغسطس وسبتمبر ، بخلاف باقي الأشهر .[٣]

أما الأملاح الجيرية وأملاح المنيزيا فهي بعكس ذلك ، أي قليلة في ماء النيل كثيرة في غيره ، ولذلك كان موصوفا في كل الأزمان بالخفة وجودة الاستعمال ، وكذا الصودا قليلة في ماء النيل بالنسبة لغيره ، وأما البوتاسا فهي كثيرة فيه ، وكل ذلك في اشهر الفيضان الثلاثة يونيو ويوليو وأغسطس ، عندما تكون

---

(١) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث دراسة وتحقيق : د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ص ٤٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٥ .

المواد الذائبة مستجمعة لأعظم صفات الخصوبة .[١]

رابعا : تكون أراضى الوادى الطويلة والتربة الصالحة :

مرت الأرض المصرية بعدة مراحل من التطور فى العصور الجيولوجية الطويلة قبل أن تصبح آهلة بالسكان من السلالات البشرية القديمة حتى استقرت على صورتها الحالية .

يقال أن تاريخ أرض مصر الجيولوجى بدأ فى فجر الباليوسين بفترة طويلة من النحت تعرضت لها الصخور النارية والمتحولة والتى تكونت قبل هذا التاريخ ، واستمرت حتى أواسط زمن الأيوسين وتبعتها سلسلة من الانخفاضات ارتبط بها تكون أراضى حسر وغمر ، استمرت حتى نهاية هذا الزمن ، وتكونت رواسب هذه الفترة أكثر من ٥٠ % من مساحة الأراضى المصرية .[٢]

وفى عصر الأوليجوسين كانت مياه البحر الأبيض المتوسط تصل إلى جنوب إسنا ، ثم حدث ارتفاع فى الأراضى المصرية فى هذا العصر أدى إلى ظهور أكثر الأراضى المصرية ، كما أن نهر النيل بدأ يشق واديه فوق هذه الرواسب ، وأن يملأه فى أواخر عصر الميوسين واتخذه مجراه الحالى تقريبا .[٣]

وأصبح شكل الوادى هو الشكل الحالى عبارة عن خط مستطيل فى أغلب الأحوال ، ومتعرج أحيانا ، ينتهى فى النهاية بما يشبه الرقم " سبعة " أى أن الخط المستطيل هو الوجه القبلى ، ينتهى بالمثلث المقلوب الذى يمثل الدلتا والتى تبدأ شمالى مدينة القاهرة بنحو ٣٠ كيلو متر .[٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥ .
(٢) د. محمد صفى الدين ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٣ ، ١٢٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

وتسمية الدلتا هى تسمية يونانية لأن شكلها يشبه حرف الدلتا اليونانية ، وقد ظل هذا الاسم يطلق عليها حتى الآن ، وكان هذا المثلث المقلوب مكونا من الأراضى المنخفضة ، ويبلغ طول قاعدته على شاطئ البحر المتوسط حوالى ٢٤٠ كيلو متر .[١] وكان للرواسب التى تكونت ابتداء من عصر البالیوسين أثرها فى تكوين التربة المصرية . إذ أننا نجد ابتداء من هذه الفترة أن الوادى كان يحتوى على طبقات خشنة فى القاع تعتبر بمثابة المصفاه التى تتشرب المياه وتجرى بها تحت سطح الأرض حتى تبلغ البحر . أما الطبقة العليا من التربة فهى تلك التى تتكون من مواد غريبة ناعمة وغير مسامية . وقد اشتغل كثير من العلماء قديما وحديثا بتقدير سمك الطبقة التى يعلو بها وادى النيل فى كل قرن ، وبعد أبحاث طويلة قدروا أنها ١٢٦ مرة من المتر أى ١٢,٢٦ سم ، وأن قاع النيل يعلو بقرب أسوان فى كل مائة عام ١٣٢ ملليمتر (١٣,٢ سم) وفى مدينة القاهرة مائة وعشرين ملليمتر (١٢ سم) ، ولا ش: أن هذا التفاوت ناشئ عن انحدار النيل وسرعة جريانه .[٢]

وعرف بالتجارب الصحيحة أن علو أرض النيل بالطمى يبلغ فى كل ألف سنة ١,٢٦ متر . فيكون ارتفاع أرض الوادى بالطمى من عهد الملك نعرمر – منى أول ملوك الأسرة وبداية تسجيل ارتفاع فيضان النيل عام ٣٣٠٠ ق. م . إلى عام ١٩٦٠ ميلادية بداية حجز الطمى وراء السد العالى أى فى مدة ٥,٢٦٠ سنة حوالى ٦,٦٢ متر .

ها هى صورة أرض مصر نفسها التى هى عليها الآن ، وهى الصورة نفسها التى كونتها الطبيعة . ونجد أن الأرض المزروعة كانت أكثر اتساعا فى الدلتا ، وفى أماكن أخرى نجد أن الوادى لا يتسع إلا لعدة كيلو مترات .[٣]

---

(١) عن المراحل التطورية التى مرت بها الدلتا فى العصور الجيولوجية ، راجع : د. محمد صفى الدين : المرجع السابق ، ص ٢٣٥ .

(٢) الأعمال الكاملة لعلى مبارك : المرجع السابق ، ص ١٤١ – ١٤٢ ، ١٥١ .

(٣) كما تعتبر أراضى شمال سيناء من أجود الأراضى المصرية الخصبة الصالحة لزراعة القمح والشعير لتوافر مياه الآبار والأمطار التى تنحدر من أعالى قمم الجبال المحاطة بها صحراء وسط سيناء والتى تأخذ معها ما يسمى بطمى الجبال الذى يغمر الأرض بعدها والذى يعتبر كالسماد الخصب للتربة لأنه يحتوى على ١٦ عنصرا من العناصر التى يتغذى عليها النبات .

ولنا أن نفكر أيضا أن مصر بامتدادها الذى يبلغ مساحة بلجيكا أو ضعف طول فرنسا لا تبلغ المساحة المنزرعة منها سوى ٣٠ ألف متر مربع .(١)

الوديان والواحات الشاسعة والصحارى المترامية :

كان للنيل عدة روافد فى الصحراء الشرقية لم يبق منها غير أثر مجاريها فى الوديان هناك . وقد جفت هذه الروافد فى العصر الحجرى القديم (الباليوليتى) وفى زمن الميوسين كان النيل قد اتخذ مجراه الحالى تقريبا . وكانت له عدة روافد فى الصحراء الشرقية ولم يأت العصر الحجرى القديم على مصر حتى كانت هذه الروافد قد جفت ، وانفصل خليج السويس عن البحر المتوسط وانكمش خليج العقبة وظهر منخفض الفيوم ، إذ سار فرع من النيل إلى ذلك المنخفض الشبيه بالواحة . وقد تغيرت عوامل الطبيعة فجففت فرعا للنيل كان يسير فى الصحراء الغربية منذ زمن الميوسين وبقى حتى نهاية زمن البليوسين .(٢)

ومن أهم أماكن الوديان القديمة التى استخدمها الإنسان المصرى القديم واستغل ما فيها من ثروات طبيعية : وادى الحمامات ، وادى العلاقى ، وادى الهودى ، وادى المغارة ، وادى النطرون .

أما عن الواحات فيوجد منها عدد غير قليل فى صحراء سيناء وفى الصحراء الشرقية ، ولكن العدد الأكبر منها نجده فى الصحراء الغربية ، وكانت فى الأصل سبع واحات ولكنها الآن خمس فقط وهى : البحرية ، والخارجة ، والداخلة ، والفرافرة ، وسيوه .

وكانت أرضها صالحة للزراعة ووفيرة الخيرات لذلك استغلها الإنسان المصرى أفضل استغلال وذلك منذ أقدم العصور .

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤١ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٣٤ – ٣٥ .

أما عن الصحارى فكانت فى العصر الحجرى القديم المسرح الأول لنشاط الإنسان فى هذا الركن من أفريقيا . أما بعد انقضاء عصر الأمطار وطول الجفاف نزح السكان أو الجماعات المتنقلة إلى الوادى واضطروا إلى الإقامة على ضفافه . وقد جفت الصحارى تماما فى العصور التاريخية ، وقل بها السكان ، عدا بعض القبائل المتنقلة فى الصحراء الشرقية ، وفى شمال الصحراء الغربية ، وبعض السكان المستقرين بالواحات .

ولم تستطع هذه الصحارى المترامية أن تغير من أسس الحضارة المحلية بل على العكس من ذلك فقد أعطت مصر نوع من الأمان ، وكانت مثل الدروع التى تقى أرض مصر أو أرض الوادى من شر الغزوات .(١)

خامسا : توافر المناخ المعتدل :

ان الخطوات الأولى التى خطاها الإنسان على طريق الحضارة فى العصر الحجرى القديم ، وهو أول العصور الحضارية للمجموعات البشرية ، قد عاصر زمن البلايستوسين وهو أحدث العصور الجيولوجية وآخر عصورها فى تاريخ الأرض – وكان ابتداؤه منذ نحو نصف مليون سنة ونهايته فى أوائل الألف العاشرة ق. م. تقريبا .

ولقد شهدت الأرض فى هذا الزمن أربع فترات طويلة من الزحف الجليدى على المناطق الشمالية من الكرة الأرضية ، كانت تناظرها فى المناطق الاستوائية أربع فترات من الأمطار الغزيرة . ووقوع منطقة نشوء ومولد حضارات الشرق القديم بما فيها مصر فى مكان وسط بين الظروف الجغرافية القاسية ، أى بين الزحف الجليدى فى الشمال ، والأمطار المستمرة الغزيرة فى الجنوب ، جعلها تتمتع بمناخ معتدل نسبيا لا يعوق النشاط الإيجابى للمجموعات البشرية التى تقطنها ، ومن ثم لا

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩ ، ٢٥ .

تعوق حرية تحركاتها وتنقلاتها .[١]

كانت الأمطار الشتوية فى مصر فى العصر الحجرى الحديث أوفر منها الآن ، وعندما كانت تهطل الأمطار فى المناطق الصحراوية كانت تملأ بعض المنخفضات فتحيلها إلى بحيرات ، تنبت حولها الأشجار والأحراش ، وتغذيها مياه الأمطار التى تسقط فيها وفى مجارى الوديان المختلفة التى تصب فى تلك المنخفضات .[٢]

وقد أدى هذا المناخ الرطب الذى ساد فى هذه الفترة إلى تدعيم الحياة النباتية المتنوعة فى الوادى وحول حوافه ، وكذا فى تلال البحر الأحمر . فكانت الأمطار تغذى النباتات طوال أشهر الشتاء . ويذكر بوتزر أن الأمطار أخذت تقل فى الصحراء الشرقية والغربية بحيث أصبحت غير كافية لتدعيم وإعاشة أى حجم سكانى ، باستثناء المناطق ذات الأودية والينابيع والواحات ، ولهذا لم يحدث انتقال الإنسان إلى الوادى فجأة . ولكن واكب ذلك التطور المناخى فى المنطقة .[٣] وساء بعد ذلك الطقس الصحراوى فيما عدا المناطق الساحلية فى شمال الدلتا ، وأصبحت الأمطار نادرة جدا (تبلغ فى المتوسط ٣٣ ملليمتر فى العام) . وأصبحت الرياح جافة (باستثناء الرياح الشمالية) ، وأصبحت درجة الحرارة اليومية تختلف بفارق كبير فى النهار عنها فى الليل . وتصل الفوارق فى الشتاء بين ١٥ – ١٦ درجة . وصارت الشمس ساطعة طوال النهار ، شديدة الحرارة فى الصيف ، كان لها تأثير على ظهور النبات ونضوجه . واعتدال المناخ جعل الأرض صالحة لأن تنمو بها محاصيل البلاد الدفيئة والمعتدلة على حد سواء .[٤]

---

(١) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٣٥ .

(٣) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥ .

سادسا : تكامل عناصر البيئة المصرية :

نقصد بالتكامل هو التوافق بين عناصر البيئة الطبيعية والجغرافية ، ويظهر هذا التكامل فى أكثر من عنصر أو ظاهرة :

(١) توافر المناخ الصالح للإنبات والنمو والحصاد ، فاعتدال المناخ جعل الأرض صالحة لأن تنمو بها محاصيل البلاد الدفيئة والمعتدلة على حد سواء .

(٢) توافر التربة الخصبة والطمى الغنى الذى تجلبه مياه الفيضان .

(٣) وفرة المياه فى كل أوقات العام بفضل النيل وتوافر الأمطار الشتوية فى فترة من الفترات . يأتى الفيضان فى أواخر الصيف وأوائل الخريف . ومنتصف الخريف هو الوقت الملائم للزراعة . فكان الفيضان يأتى ويغمر الأرض بالطمى أو الغرين والماء ثم ينحسر عنها فى أصلح وقت لزراعة النباتات الشتوية وأهمها الشعير والقمح . هذا إلى جانب أن الأمطار الشتوية فى مصر كانت فى العصر الحجرى الحديث أوفر منها الآن ، فكانت تغذى النباتات طوال اشهر الشتاء ، هذا بالإضافة إلى الرى بمياه النيل وحتى إذا ما حل آخر الربيع وأول الصيف تصبح نباتات الشتاء فى كامل نموها وتنقطع الأمطار ويحين حصادها .[1]

(٤) نجد هذا التكامل أيضا فى مياه نهر النيل الضرورية للأرض الزراعية ولحياة الإنسان فإذا كانت هذه المياه تسمح بتأمين ثروته الزراعية ، فإنه تؤمن له مصدرا آخر للغذاء وهى الثروة السمكية المتنوعة .

(٥) المناخ عامل مساعد للتربة :

فبعد أن يتم الحصاد ، يجئ أول الصيف ، وهو فصل شديد الحرارة ، فتجف التربة وتتشقق الأرض الزراعية ، وتموت الحشائش الضارة ، ويؤدى هذا

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .

التشقق إلى تفتح التربة ودخول غازات الـــهواء داخـل التربـة التـى تجـدد خصوبتها . حتى إذا ما جاء الفيضان من جديد فى آخر الصيف ، عـاد فغطـى الأرض من جديد وتدخل كمية من الطمى فى التشققات الأرضية وتكسر سـطح الأرض طبقة إضافية من الطمى ، حتى تنحسر مياه الفيضان ويجـئ الإنسـان ليزرع الأرض فيجدها مثل الخميرة المعدة للتفاعل مع كل ما يلقى فى باطنها من بذور .

(٦) نجد هذا التكامل أيضا فى أن نهر النيل يأتى من الجنوب فيندفـع تيـاره مـن الصعيد إلى الوجه البحرى ، ويدفع ذلك التيار المراكب فـى ذلـك الاتجـاه . وكانت الرياح الشمالية الدائمة ، ولا زالت تجرى فى أغلب السـنة فـى اتجـاه شمال جنوب ، وبذلك استطاع الإنسان المصرى القديم أن يستغل قـوة اندفـاع الرياح ، وظهر الشراع وانطلقت المراكب الشراعية من الدلتـا نحـو الصعيـد مغالبة تيار النهر حتى فى أيام فصل الفيضان .

ولذلك عبر المصرى القديم فى نصوصه عن الإبحار مـن الجنـوب إلـى الشمال " بالنزول " مع قوة اندفاع تيار نهر النيل ، ومن الشمال إلى الجنـوب " بالصعود " مع قوة اندفاع الرياح الشمالية .

(٧) لا يقف التكامل بين عناصر البيئة الطبيعية فى مصر عند هذه الظواهـر التـى ذكرناها ، ولكن نجد الوادى والصحراء . فالصحراء تحيط بالوادى من جنباته ، وتقيه كأنها دروع من الشرق والغرب . وقد أبرزت هذه الصحـراء الصفـراء أهمية الوادى فى الشمال ومجرى النيل السريع وجنادله فى الجنوب .

(٢)

أصل الإنسان المصرى القديم

هناك من يعتقد بأن المصريين القدماء كانوا من أصل حامى ، أو مزيج من الساميين والحاميين ، أو أن التأثير الزنجى كان هو أقوى التأثيرات على المصريين القدماء ، بل هناك من يربط بين المصريين القدماء الأصليين والجنس القوقازى .

ولقد درست هذه الآراء والتصورات خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بواسطة علماء المصريات والمؤرخين وعلماء الأنثروبولوجيا الطبيعية ، كما تمت الدراسة عن طريق الصور وكتابات المؤرخين القدماء والكتب المقدسة ومقاييس بقايا الجماجم والهياكل العظمية والعادات والتقاليد .. الخ . ولكن لم يصل العلماء فى هذا الموضوع إلى نتائج مرضية حتى الآن . ولقد عقدت هيئة اليونسكو مؤتمرا علميا فى القاهرة سنة ١٩٧٤ عن موضوع " أصل المصريين القدماء " ، وثبت أن هذا الموضوع لا يزال يحتاج إلى دراسات متعددة تشمل بعض جهات مصر وبعض المناطق خارج مصر من النواحى الأثرية والأنثروبولوجية ، كما تعوزه دراسة شاملة للهجرات القديمة إلى مصر ومسالكها المتعددة ، وخاصة أن مصر لم تعرف الهجرات الكبيرة التى هاجرت إلى بلاد الشام والعراق ، بل كانت الهجرات السامية محدودة ، كذلك لم تدرس بعد البقايا البشرية الدراسة العلمية الكافية .

وأخيرا فإنه لابد من بحث مدى تأثر مصر بالعادات والتقاليد الأفريقية مثلا ، بل أن الموضوع يحتاج إلى الاستعانة بما سوف يتم فى المستقبل من دراسات تاريخية وأثرية وأنثروبولوجية خاصة بشبه الجزيرة العربية بما فيها مناطقها الشرقية والجنوبية .[1]

---

(١) د. جمال مختار : دور منطقة الخليج فى الحضارة القديمة ، فى مجلة ثمار الفكر ، جامعة قطر – العدد الثانى عشر ، ١٩٨٧ ، ص ١٢٦ .

ولكن نستطيع أن نقول أنه منذ العصر الحجرى القديم – أى منذ أقدم العصور التى ترجع إليها بالنسبة لعصور ما قبل التاريخ بوجه عام – كان الإنسان المصرى يعيش فى الصحارى ، أما بعد انقضاء عصر الأمطار وحلول الجفاف فقد نزح الإنسان إلى الوادى ، واضطر إلى الإقامة على ضفاف النيل .

وليس من السهل معرفة أو التأكد من أى جنس كان ينتمى هذا الإنسان ولا نستطيع أيضا معرفة ، هل هذا العنصر من السكان قد استمر فى حياته بين هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى وادى النيل فى بداية العصر الحجرى الحديث أم لا ؟ ولكن من المحتمل – على أية حال – إذا وجدت بعض هذه العناصر البشرية فى بداية العصر الحجرى الحديث ، فلابد أنها قد اندمجت مع عناصر المهاجرين الجدد والسلالات البشرية الأخرى .[١]

ويرى بعض العلماء أن هناك فترة جفاف قد حلت فى شمال وشرق أفريقيا فى بداية العصر الحجرى القديم الأعلى ، ولذلك اضطرت الأجناس التى كانت تتنقل فوق الهضبة الصحراوية فى العصر الحجرى القديم الأعلى ، إلى الهجرة والبحث عن أماكن نقاط المياه . ويرجع إلى هذه الفترة – بدون شك – أول استقرار حقيقى للإنسان فى مصر . فقد عثر من هذا العصر على بقايا هيكل عظمى فى منطقة كوم امبو .[٢] ولا نستطيع القول بأنها تنتمى إلى عنصر بشرى واحد ، ولا نستطيع القول أيضا بأن سكان مصر الأصليين قد انتموا فى هذه الفترات البعيدة إلى جنس نقى موحد ، ولكن يمكن القول بأن العنصر الأساسى والرئيسى المسيطر على هؤلاء السكان ، كان بالضرورة من أصل أفريقى . هذا بالإضافة إلى عنصر مغذى بصفة

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤ – ١٥ ، ٢٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

وحديثا عثرت بعثة جيولوجية فى بداية عام ١٩٨٧ على هيكل عظمى كامل متحجر لإنسان مصرى عاش فى منطقة وادى الكوبانية غرب نهر النيل فى كوم امبو يرجع تاريخه إلى ثلاثين ألف سنة قبل الميلاد .

دائمة وهو العنصر الحامي ، أى العنصر القريب من سكان شمال وشـــرق أفريقيــا كالبربر الذى ينتمى إليهم حاليا قبائل التوارج والقبيل والبجه من شـــرق أفريقيـــا .[١] ويبدو أيضا أن هذا العنصر الحامى ، لم يحافظ على نقائه أو على الأقل بقـــى نقيـــا ، فلابد أن عناصر سامية قد اختلطت به منذ البداية أيضا . وقد جاءت تلك العناصر من الشرق عن طريق شبه جزيرة سيناء ، ومن الجنوب وهذا من المحتمل أيضا ، عـــن طريق البحر الأحمر ، وصحراء الجزيرة العربية .

ويذكر د. فخرى قوله : " روى قدماء المصريين فى العصر المتأخر لبعـض الرحالة أنهم جاءوا من الشرق والجنوب ، وأنهم علموا الحضارة لمن كانوا فى البـلاد وأخضعوهم لسيطرتهم " .[٢]

وفى الواقع أن هذه الأقوال قائمة على ما تذكره أيضا الأساطير المصريـــة من أن المصريين كانوا ينتمون إلى " اتباع المعبود حورس " وأن هؤلاء الأتباع هـــم الذين جاءوا من الجنوب والشـــرق وعلمـــوا المصرييـــن (الأصليـــن) الحضـــارة وأخضعوا البلاد لسيطرتهم . وقد رأى الكثير من المؤرخين فى هذه الإشارة إلـــى أن أتباع المعبود حورس قد جاءوا بالفعل من شبه الجزيرة العربيـــة . وعـــبروا البحـــر الأحمر وساروا على طول ساحل البحر الأحمر الغربى ثم تقدموا شمالا حتى وصلـــوا إلى مصر .[٣]

وقد بالغ بعض المؤرخين فى حجم هذه الهجرة السامية ، ولكنها فى الواقـــع سرعان ما اختلطت بالعناصر الأفريقية والنوبية والتى كان لها وجود وتأثير واضـــح

---

(١) د. السيد غلاب – د. يسرى الجوهرى : الجغرافيـــا التاريخيـــة ، ١٩٧٠ ، ص ٣٦٣ – ٣٦٤ .

(٢) د. أحمد فخرى : دراسات فى تـــاريخ الشـــرق القديـــم ، ١٩٥٨ ، ص ١٣٩ – ١٤١ .

(٣) د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ١٩٧٩ ، ص ٧٦ – ٧٧ ، ١٥٢ .

أيضا وبالعناصر الحامية التى كانت قليلة العدد .

ويمكن القول بأنه منذ العصر الحجرى الحديث الأعلى وبداية عصر الأسرات ، وكان سكان مصر يمثلون أجناسا أفريقية ونوبية اختلطت بها بعض العناصر الحامية والسامية . ولم يتغير هؤلاء السكان قط على مر آلاف السنين ، حتى أننا نجد اليوم عند بعض أهالى مصر العليا تلك السمات التى كان يمتاز بها العنصر المصرى القديم .

وبناء على ذلك يمكن القول بأن غالبية سكان مصر فى بداية عصر الأسرات ، كانوا من أصل أفريقى ، وإن كانوا ذوى بشرة بيضاء[١] ، أما العناصر الحامية من ناحية والسامية من ناحية أخرى ، التى استطاعت أن تختلط بالسكان الأصليين ، فلم تكن كثيرة العدد ، بحيث كان فى مقدورها تغيير المظهر العام والسمات الخاصة بالسكان .

---

(١) حتى فى داخل أفريقيا نجد السكان ذو البشرتين . فمنذ خمسة آلاف سنة ق.م . على الأقل نجد أن الصحراء كانت تمثل عازلا حقيقيا بين أفريقيا الزنجية وأفريقيا البيضاء أو القوقازية . ولكن الاختلاط بين السلالتين الرئيسيتين قد تم فى مناطق عديدة داخل نطاق السفانا السودانية وعلى الأخص فى الشرق ، فى جنوب السودان وأثيوبيا وأوغندا وكينيا . أما عن السلالة الزنجية فى أفريقيا ، فهناك الزنوج القدماء ، ويعيشون فى نطاق واسع يمتد من وسط أفريقيا (حوض الكنغو) وشمال ووسط أنجولا ، غانا السفلى ، وكل الإقليم الساحلى لغرب أفريقيا حتى دكار ، ولهم امتداد عبر البحر الأدنى إلى هضبة جوس ، وأيضا زنوج النيل ويحتلون معظم السودان الجنوبى ، راجع : د. محمد رياض – د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، ص ٢١٦ ، ٢٢٢ (١) ، ٢٢٣ (٤) .

فكانت سلالة أهل الدلتا تمتاز باستطالة الرأس واعتدال القامـــة ، أمـــا فـــى الصعيد فقد كانت سلالة السكان تمتاز باستعراض الوجه نوعا مـــا ، وقـــوة الفـــك ، وبروز عظام الحاجب ، وطول القامة .[١]

إن المجموعات البشرية الأولى أو السلالات البشرية الأولى التـــى جـــاءت واستقرت على أرض مصر والتى غليها يرجع الفضل فى وضع أصـــول الحضـــارة المصرية القديمة كانت جزءا من الحركة الدائمة والدائبة لهجرات العديد من شـــعوب وأقوام وقبائل ، هاجرت من مواطنها الأصلية فى قارتى آسيا وأفريقيا ، فى حوالـــى الألف العاشرة ق. م .[٢] أو ربما قبل هذا التاريخ ، بحيث كانت تفصل بين كل هجرة والتى تليها فترة قد تطول أو تقصر . واستقرت عناصر منـــها علـــى أرض مصـــر واستقر البعض الآخر فى مناطق أخرى من بلاد الشرق القديم . ولهذا يمكـــن القـــول بأن سلالات عديدة اختلطت على أرض مصر وتجمعـــت علـــى فـــترات وأجبرتـــها ظروف البيئة على الاستقرار فى أماكن معينة . ومن هنا كانت البداية ، وأخذ الإنسان المصرى القديم الذى انحدر أصله من هذه السلالات القديمة فى الارتقاء قليلا .. قليـــلا فى مجال العمران والبناء الحضارى .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٩ .

ونستطيع أن نجد هذه السمات فى صور الملك نعرمـــر – منـــى أول ملـــوك الأسرة الأولى ، المنقوشة على لوحته من الشست ، والموجودة الآن بـــالمتحف المصرى . وكذلك تمثال الملك خع سخم من الأسرة الثانية والمعروض أيضـــا بـــالمتحف المصـــرى ، راجـــع : Saleh – Sourouzian, Official Catalogue the Egyptian Museum Cairo, no. 8; no. 14.

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٣)

استغلال الإنسان المصرى القديم لعناصر البيئة

ساعدت عناصر البيئة الإنسان المصرى القديم على الاستقرار وارتباطه بالأرض وترك بصماته على ترابها ، ويأتى فى مقدمة هذه العناصر :

- **توسط الموقع الجغرافى** بين قارتى آسيا وأفريقيا ؛ لذلك أصبح من السهل على المصريين القدماء فى بداية العمران والاستقرار أن يتلقوا البذور من الشرق أو الشمال أو الجنوب . وسوف يلعب هذا الموقع دورا كبيرا فى علاقات واتصالات مصر بالشعوب المجاورة .

- توفر عدد كبير من **المواد الأولية** فى أرض مصر ، مثل وفرة المعادن وفرة نسبية ، وكثرة أحجارها مع تعدد أنواع هذه الحجارة وألوانها ، وفرة نباتها وأعشابها ، أعطى المصرى القديم الموارد الكافية دون حاجة للاستيراد من الخارج إلا فى حدود فأعطاه ذلك نوع من الكفاية والاستقرار مما زاده تمسكا بأرضه ، التى وفرت له موارد الإنتاج فأحسن استغلالها .

- **نهر النيل** الذى كان أبا حانيا لحضارة المصريين القدماء ن على الرغم من الجبروت الظاهر لفيضانه .[١]

فالإنسان المصرى القديم الذى تواجد على أرض مصر منذ العصر الحجرى القديم كان يعيش فى الصحارى ، أى فى حركة تنقل دائمة ، أما بعد انقضاء عصر

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٣ .

الأمطار وحلول فترات الجفاف نزح هذا الإنسان إلى الوادى ، وطابت له الإقامة على ضفافه . ومن هنا بدأ الإنسان يفكر فى الاستفادة من مياه النيل لحياة مستقرة ثابتة ، وخاصة فى حياته الزراعية ؛ لأنه كان من أقدم الشعوب التى عرفت الزراعة فى العصر الحجرى الحديث . وكانت الزراعة أهم تطور حضارى توصل إليه فكر الإنسان المصرى فى هذه الفترة من العصور الحجرية .

فإذا كان النيل أبا حانيا لحضارة المصريين القدماء ، فإن الأرض الخصبة كانت أمهم الحانية . فقد وفرت الزراعة لأهلها نصيبا من موارد العيش فأمنوا رزقهم وقوتهم . كما وفرت لهم نصيبا من الاستقرار لم يكن يعهدونه فى عهود الصيد والجمع والتقاط الثمار التى سبقت العصر الحجرى الحديث .

كما أن التوصل إلى الحرف والمهن البسيطة إلى جانب الزراعة قد زاد من عوامل الاستقرار هذه . ولا نعنى هنا الاستقرار السكنى وحده وإنما نعنى أيضا الاستقرار المعيشى ، ذلك الاستقرار الذى توفر للإنسان المصرى بعد أن أمن محصول أرضه وحاجته من الحيوانات المستأنسة وضمن قوته طوال العام بما كان يدخره من حبوب فى مطامير الغلال منذ العصر الحجرى الحديث . وأدى هذا الاستقرار أيضا إلى نوع من الرخاء النسبى . وهذا الرخاء يتيح للإنسان أن يرضى ذوقه ويرضى فكره أيضا وذلك بابتداع أشياء جديدة يستطيع أن يكمل بها راحته ويستفيد منها فى حياته اليومية . ومن هنا بدأ الاهتمام بالكماليات ونتيجة لذلك ارتقت الأذواق رقيا نسبيا فى البداية ثم تطورت بعد ذلك خلال العصور التاريخية الطويلة .

لقد أحس المصرى القديم بأهمية ظاهرة الفيضان التى ليس لها نظير فى البيئات الأخرى ، ولهذا طبع حياته الزراعية فى الوادى والدلتا بنظام معين فى رى الأحواض . وقد حاكى المصرى القديم النيل فى طوله وذلك بشق الترع وحفر القنوات بشكل طولى كذلك .

وعلى أقدم قوائم الملوك ، حجر بالرمو ، الذى يرجع إلى الأسرة الخامسة ، نجد أنه يعطينا قوائم بأسماء الملوك منذ الأسرة الأولى مع ذكر الحدث الأكثر أهمية أثناء حكم كل ملك ، ألا وهو تسجيل ارتفاع منسوب الفيضان فى كل

عام .[١] فالحياة الزراعية ترتبط فى كل عام بمدى ارتفاع منسوب المياه ، ويعتمد فرض وتحديد الضرائب على الأراضى الزراعية على حالة الفيضان .

وكان لهذا الفيضان أهمية اقتصادية أدركها المصرى أيضا . فالفيضان العالى كان يعنى رخاء البلاد . أما الفيضان المنخفض فكان يعنى عدم كفاية الماء لرى الأرض مما يؤدى إلى ضآلة المحصول واضطراب الحالة الاقتصادية وربما يؤدى ذلك إلى مجاعة أيضا .[٢]

ويرى فانديه أن " النيل يعتبر أساسا للحياة المادية والإجتماعية فى مصر " [٣]

---

(١) استخدم المصريون القدماء " الذراع " كوحدة لقياس عمق المجرى أو ارتفاع المياه . وطول هذا الذراع عبارة عن المسافة بين كوع الرجل العادى وطرف إصبعه الوسطى ، راجع : مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ٣٦ .

(٢) بالنسبة لقياسات النيل فى فصول الفيضان ، كانت القاعدة أنه إذا وصل منسوب المياه إلى ١٢ ذراعا ولم يتجاوزه ، فإن معنى ذلك القحط وقلة المحاصيل وحدوث مجاعة إذ لم يكن هناك مخزون فائض . وإذا وصل المنسوب إلى ١٤ ذراعا فسيتوافر الطعام للجميع . أما إذا وصل إلى ١٦ ذراعا فسيعم الخير وتمتلئ المخازن والمستودعات بالحبوب ، وإذا تخطت المياه هذا المنسوب ، فهذا يعنى فيضان خطر يجب أخذ جميع الاحتياطات لتجنب أضراره ، راجع : مختار سويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٦ ، ٤١ . ويقول المسعودى المتوفى فى عام ٣٤٦هـ فى كتابه " فإذا بلغ ست عشرة ذراعا ففيه تمام الخراج وخصب الأرض وريع للبلد عام ، راجع المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى عبد الحميد ، المجلد الأول ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان ١٩٨٢ ، ص ٣٤٢ – ٣٤٣ ؛ Vandier, la Famine dans l`Egypte Ancienne, p. 47 .
وتحدث فانديه فى ص ٤٥ – ٤٨ عن الفيضان المرتفع والمنخفض للنيل ، ويقال r ḫpr sḫn Ḥcpy nḏs " عندما يحدث انخفاض (للمياه) (بسبب) الفيضان القليل " . وعبر المصرى القديم عن الفيضان القليل بعدة ألفاظ منها Ḥcpy nḏs " فيضان قليل " ، Ḥcpy šrw " فيضان صغير " ، mw nḏs " مياه قليلة " ، tm iw Ḥcpy " الفيضان لم يأت " ، Ḥcpy iṯ înî " الفيضان المتذبذب " (راجع : Meeks, Alex. I, p. 51) راجع لكل هذه التعبيرات : Vandier, op. cit., p. 71 (a-e).

(٣) Vandier, op. cit., p. 47 .

وهكذا نرى أن النيل قد أرسى للإنسان المصرى القديم حضارة استقرار فيما يأتى :

(١) ان الإنسان المصرى ارتبط بالأرض التى قام بإعدادهـا وحرثـها وزراعتـها وحصادها وبذل فى ذلك مجهودات مضنية ومتواصلة وما يتطلبه هـذا العمـل الزراعى من صبر ويقظة ، ففيضانات النهر كانت، على الرغم مـن وجودهـا وانتظام مواسمها، تستدعى من المصرى اليقظة لمواجهتها . وقد ظل البعـض يردد ما قاله هيرودوت بأن مصر هبة النيل . ولكن يمكن القول بأنـه إذا كـان النيل قد أعطاها المياه والطمى فإن إعداد الأرض الخصبة للزراعة كـان مـن عمل الإنسان . فقد ساهم الإنسان المصرى القديم بثقافته فـى وضـع الأسـس لحضارة الاستقرار هذه .

ولنا أن نقول أنه عندما قال هيرودوت قولته المشهورة هذه فربما قـد سمعها بنفسه من أفواه أحد الكهنة فسجلها على أنها مقولة من أفكاره . والدليـل على ذلك اننا نقرأ فى أكثر من نص من نصوص المعابد البطلمية الجملـة المكـررة التى تربط الفيضان بمصر وتشبه الملك بالفيضان ويقال له : " فليعش المعبود الكـامل حعبى (أى الفيضان) مصر (Ḥcpy n kmt) ملك الأرضين مع الشـواطئ " .(١) ويقال أيضا : " فليعش المعبود الكامل حعبى مصر (Ḥcpy n b3kt) الذى يغـرق الأرضين " .(٢) " فليعش المعبود الكامل حعبى مصر (وجات) الذى يكدس المعـابد بالمؤن "(٣) . وتكرار هذه الجملة يدل على أن المصريين القدماء قد أدركوا هم أنفسهم أهمية هذه الظاهرة البيئية المحلية المؤثرة والفعالة بالنسبة لأرضهم وخيراتها .(٤)

فنظرا لبطء تيار النهر عندما يصل إلى مصر ، فإن ذلك يساعد علـى ترسب الطمى فى الحقول التى تغطيها مياه الفيضان . وهذا الطمى الذى تكملـه عناصر أخرى نباتية خصبة هو الذى كون أرض مصر الخصبة ، والتى سمحت بزراعة محصولين أو ثلاثة سنويا .

(٢) فقد ترتب على الاشتغال بالزراعة زيادة التماسك والترابط بين الأفـراد نتيجـة لإمكان الانتفاع بمجهود الجماعة فى عمليات الزراعة ، ثم زيـادة الاسـتقرار السكنى بين المزارعين نتيجة لحرصهم على الإقامة بجوار مزروعاتهم لرعايتها وحمايتها ثم للانتفاع بها ، وزيادة الاستقرار المعيشى بينهم نتيجة لإمكان تحكـم الإنسان فى محصول أرضه بقدر ما يبذله فيها من الجـهد والعـرق ، وزيـادة

---

(١) ذكرت هذه الجملة فى نصوص سبعة معابد : أوبت وادفو واسنا وطود ودندره وفيلة ، راجع : Chr. Zivie, BIFAO 74 (1974), p. 113 . وديـر شلويط ، راجع : Chr. Zivie, le temple de Deir Chelouit I, p. 68 (26)

(٢) ذكرت فى نصوص معبد طود ، راجع : Grenier, Tôd, p. 101, 103 ==

تعوده على الادخار أو خزن الغلال للاستعانة بهذا المحصول المدخر على المعيشة فى غير فصول الإنبات .(١)

وفى مواسم الجفاف ، مع زيادة التعاون بين الناس فى استصلاح المزيد من الأرض واستغلالها . وإزدياد الميل إلى التجمع بين السكان فى سبيل حماية المناطق المزروعة ودفع أخطار الفيضانات عنها .(٢) ثم التماس الفرد للأمن

=(٣) Daumas, les mammisis des temples egyptiens, p. 169, 173.

(٤) ففى هذه النوعية من النصوص البطلمية وصفوا الملك بصفتين لهما صلة بالفيضان فهو : Rnnwtt m t3wy nḫb أى " المغذى فى كل الأرضين " (Alex. 111, p. 171) أو K3w n kmt أى طعام أو مؤن مصر (Alex. 111, p. 306) . ولهذه النصوص راجع : Chr. Zivie, BIFAO 74, p. 112 – 113 . وأحيانا نجد المتوفى يختلط بحعبى فعلى كتلة حجرية لخع ام واست بالمتحف المصرى من عصر الدولة الحديثة نقرأ : " إنه أنا الذى يخرج مع الطوفان ، والذى أُعطى إليه الفيضان ، لكى اتملكه مثل حعبى " راجع : Chr. Zivie, BIFAO 76 (1976), p. 19 .
وعن فيضان النيل كمعبود ، راجع : Bonneau, la Crue du Nil, divinité égyptienne `a travers mille ans d'histoire Paris 1964, p. 378 – 79 .

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) نعرف أنه ابتداء من عهد الملك عج – ايب سادس ملوك الأسرة الأولى ، كان هناك إحصاء كل عامين وكان يحدد فى هذا الإحصاء حصر الأراضى التى خربها الفيضان . كما كان يوجد ابتداء من هذه الفترة أيضا موظف كبير يحمل لقب " عج– مر " أى الإدارى ويبدو أنه كان مسئولا عن نظام توزيع أنصبة المزارع من المياه مع إشرافه على تنظيمها مع إشرافه على مشروعات الرى وصيانة الجسور والسدود . وهو فى نفس الوقت إدارى كبير يشرف على الشئون الإدارية والمالية فى كل إقليم ، راجع فيما بعد ، ص ١٨٦ حاشية (٢) ، ٣٧٩ حاشية (١) . وبخصوص دفع أخطار الفيضان نرى فى إحدى رسائل حقا نخت التى كتبها إلى ولده الأكبر مرسو ، وهى مؤرخة من الأسرة الحادية عشرة ، يقول فيها لولده الذى كان يشرف أرضه أثناء غيابه :
" إذا طغى الفيضان على أرضى فالويل لرجالي ولك ولن ألقى المسئولية إلا عليك " ، ويقول أيضا " عليك أن تبذل الجهد فى أرضى واجتهد بأقصى ما تستطيع ، اعزق الأرض ، وتدخل فى كل عمل " ترجمة : د. عبد العزيز =

والطمأنينة وسط الجماعة وفي حماية المجموع ، مع زيادة إحساسه بأمنه الغذائى نتيجة لما اصبح يمتلكه من الأرض وما يستغله عليها من الحيوانات الأليفة والتى عرفها منذ العصر الحجرى الحديث .

(٣) تقسيم السنة إلى فصول تبدأ بقدومه . فقد لاحظ المصريون القدماء أن بدء مجئ الفيضان يتفق بشكل واضح مع الدورة السنوية لنجم ثابت معين هو نجم الشعرى اليمانية ، يبدو ويشرق بوضوح فى السماء مع بداية الفيضان مرة كل عام . ولهذا جعل المصريون القدماء اليوم الذى تظهر فيه أولى علامات الفيضان بمثابة أول أيام العام الجديد . وقسموا هذه السنة النيلية إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير إلى ثلاثة فصول مرتبطة بالدورة الزراعية :

آخت : (الفيضان من منتصف يوليو حتى منتصف نوفمبر) وسمى هذا الفصل بآخت لأن وجه الأرض الزراعية المغطى بالطمى يصبح مهيأ للزراعة والبذر ، ونلاحظ أن هناك صلة بين كلمتى آخت بمعنى أفق وفيضان على أساس أن بداية خروج الزرع من الأرض يشبه بزوغ الشمس من الأفق وتكتب كلمة آخت " فيضان " برمز الأرض التى يخرج منها النبات . وتكتب كلمة أخت " أفق " برمز الجبل الذى تخرج منه الشمس .

برت : (الشتاء من منتصف نوفمبر حتى منتصف مارس) وهو فصل خروج النبات والزراع بالكامل من باطن الأرض .

شمو : (الخريف + الصيف من منتصف مارس حتى منتصف يوليو) وهو فصل الحصاد والجفاف والتحاريق .

ولتفادى إضعاف التربة ، كانت الأرض لا تزرع زراعة ثقيلة ثلاثة أعوام

= صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٦٠ ، وأخذ البطالمة عن ملوك مصر القدماء مواجهة الفيضانات المرتفعة بالتعبئة العامة والسنوية . وكانت تدوم عشرة أيام أو أحد عشر يوما . ولا يعفى منها إلا الطبقات الممتازة : الإغريق والكهنة فى مقابل ضريبة معينة . وكان سكان الريف ينهمكون فى أداء هذا الواجب من شهر إبريل حتى اللحظة التى يبلغ الفيضان أقصى ارتفاعه . وقد كان يباشر شئون الرى مهندسون إغريق ، يشد أزرهم خبراء مصريون ، راجع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤ .وعن هذا الإدارى بالنسبة للفيضان ، راجع :

Vandier, la famine dans l'Égypte Ancienne, p. 58 .

متتابعة فقسمان يزرعان قمحا أو شعيرا والقسم الثالث زراعة ضعيفة مثل البقول وعلف الماشية . وربطوا بين هذه الدورة الزراعية التى تتكرر كل عام والمعبود اوزير ، معبود البعث ، على أساس أن فى تكرارها تصوير للحياة على الأرض " وأن اوزير هو الحبة التى توضع فى باطن الأرض (وهذا يدل على الموت) ثم تبقى محتفظة بعناصر الحياة فى ظلمة الأرض (العالم السفلى أو عالم الآخرة) ثم لا تلبث أن تدفع بساق أخضر إلى سطح الأرض ليلقى نور الشمس وهواء الطبيعة ويثمر سنابل مليئة بالحبوب (عودة الحياة) .[١] ووصف بعض الحكماء مصر فقال :

" ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء ، وثلاثة أشهر مسكة سوداء ، وثلاثة أشهر زمردة خضراء ، وثلاثة أشهر سبيكة (ذهب) حمراء . فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر فى شهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء ، وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب ، قد أحاطت المياه بها من كل وجه . وأما المسكة السوداء فإن فى شهر بابه وهاتور وكهياك ينكشف الماء عنها وينضب عن أرضها ، فتصير أرضا سوداء ، وفيها تقع الزراعات ، وللأرض روائح طيبة تشبه روائح المسك ، وأما الزمردة الخضراء ، فإن فى شهر طوبة وأمشير وبرمهات تلمع ويكثر عشبها ونباتها ، فتصير كالزمردة الخضراء وأما السبيكة الحمراء فإن فى شهر برمودة وبشنس وبؤونه – يكتمل نضوج الزرع وخاصة القمح فهو كسبيكة الذهب منظرا ومنفعا " .[٢]

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ١٣٠ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٣٩ ؛ المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروفة بالخطط المقريزية) الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٦ .

وعلى أية حال فلا يزال هذا التقويم القديم مأخوذا به فى أساسه حتى الآن فى السنة الزراعية أو ما يعرف خطأ باسم السنة القبطية . ويفضله المزارعون عادة على التقويم الميلادى وشهوره الإفرنجية ، ويرونه أنسب لتحديد مواقيت الحرث والبذر والرى والحصاد والجنى والتخزين وهى توت ، بابه ، هاتور ، كهياك ، طوبة ، أمشير ، برمهات ، برمودة ، بشنس ، بؤونة ، أبيب ، مسرى . فهذه أثنتا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما . وإذا كانت مدة شهر مسرى كاملة وهو الشهر الثانى عشر زادوا أيام النسئ بعد ذلك وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت .[١]

(٤) وكما كان الفيضان مصدرا للخير فكان أحيانا يهدد حياة السكان جميعا فى الوادى وعلى جوانب النهر وفى دلتاه . فكان لابد من توحيد الجهود وتنظيمها لإقامة الجسور القوية وبناء السدود وادخار الماء لأوقات الجفاف وتخضع كل هذه المشاريع للإشراف من قبل الحكومة المركزية . كما أن توزيع المياه يحتم شق القنوات وحفر الترع .

(٥) وفى أثناء فصل الشتاء عندما ينخفض منسوب مياه النيل ، كان لابد من إيجاد واختراع وسيلة بسيطة لرفع المياه لرى الأرض فاخترع الشادوف الذى عرف منذ عصر ما قبل الأسرات أو منذ بداية الأسرات ، وكذلك الطنبور (لولب ارخميدس) والساقية اللذين ظهرا فى العصر البطلمى الرومانى .[٢]

(٦) امتاز نهر النيل بأنه وسيلة مواصلات للبشر والبضائع . فهو يمتاز بأنه مجرى مائى تياره هادئ غير عنيف ، جعله من أنسب مجارى الاتصالات المائية التى

---

(١) المقريزى : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) وكانت هاتان الآلتان من ثمرة العلم الإغريقى ، ويحدثنا ديودور الصقلى فى القرن الثانى ق. م، أن الطنبور كان يستخدم فى رى أراضى الدلتا ، راجع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ١٠ – ١١ .

ساعدت الإنسان المصرى القديم على الحركة والانتقال من مكان لآخر ، وساعدت بالتالى على انتقال الجماعات وتبادل الأفكار بينها . والدليل على ذلك هو اندماج المراكز الحضارية فى الجنوب والشمال ، فبعض المظاهر الحضارية التى ظهرت فى أعالى الوادى فى عصور ما قبل الأسرات ، كانت موجودة بصورة ما فى المراكز الحضارية فى الشمال وخاصة فى مرمرة بنى سلامة من العصر الحجرى الحديث .

(٧) أن النيل ربط أجزاء مصر وأقاليمها بعضها ببعض ، ويسر الاتصال بين سكان هذه الأقاليم . وقد ترتب على ذلك الاتصال المتاح بينهم بعض الأثر فى الإيحاء إلى الحكام والمفكرين المصريين القدماء بقوة الترابط الطبيعى بين أجزاء أرضهم ومدى اتصال مصالحها ومقومات قوميتها . وأدى هذا الأثر مع غيره من مجريات الحوادث القديمة ، إلى التبكير بظهور أول وحدة سياسية كبيرة مستقرة فى تاريخ البشرية[١] ، وبذلك اصبحت مصر دولة ذات تجمع سياسى قوى متماسك ، وفى الوقت نفسه ذات تجمع إدارى منظم .

وقد عبر المصريون القدماء أنفسهم عن هذا الدور الذى يقوم به النيل فى توحيد أراضى البلاد فى منظر منقوش على قاعدة تمثال رمسيس الثانى أمام معبد الأقصر يمثل نيل الدلتا ونيل الصعيد فى هيئة بشرية ويتوج رأسهما نباتى اللوتس والبردى اللذين يرمزان إلى نباتات القطرين .[٢] ويقوم النيلان بربط نباتين آخرين للوتس والبردى أمامهما بواسطة حبلين على هيئة نباتى اللوتس والبردى وذلك حول علامة " سما " التى تدل على الوحدة . وقد أرادوا بذلك أن يعبروا بدلالة واضحة على هذا الربط والوحدة التى يقوم بها النيل بين قطرى مصر : الوجه القبلى والوجه البحرى . مما يشير بطريقة غير مباشرة إلى أن

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣ .
(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢١٤ ، شكل ١٦ .

هذه الوحدة التى يحققها النيل بمثابة القصبة الهوائية بالنسبة للجسد أو الرئة بالنسبة للجسد .[١] وعندما زار العبدرى ، وهو من علماء المغرب مصر فى أخريات النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، أعجب بالنيل ، فقال عنه :

" ...... ونيلها من عجائب الدنيا عذوبة واتساعا وغلة وانتفاعا ، وقد وضعت عليه المدائن والقرى ، فصار كسلك انتظم دررا " .[٢]

وتمشيا مع تحقيق هذه الوحدة السياسية والترابط كان لابد من إحراز تقدم فى وسائل الملاحة ، مثل التقدم فى صناعة المراكب الشراعية منذ أقدم العصور . وأدى ذلك أيضا إلى توصل المصريون القدماء إلى اختراع الدفة . وكل ذلك كان له أثر فى تطور النظام الاقتصادى ودخل الدولة من المحاصيل الزراعية التى كانت تنقل عبر النيل فى مراكب شراعية .

ومن كل هذا نرى أن النيل كان عنصرا حيويا وأساسيا فى حياة استقرار المصرى القديم ، ومما يدل على أهمية هذا العنصر أيضا ، وجود أكثر من سبعة عشر لفظا فى اللغة المصرية القديمة للتعبير عن كيفية انسياب مياه النيل وفيضانه .[٣] بل أننا نجد صدى لأهمية مياه النيل فى النصوص المصرية القديمة كمصدر هام لشرب السكان فى حياتهم وفى مماتهم ، فالماء هو القربان الأساسى الذى يقدم للمتوفى أو ينثر تحية ووفاء لذكراه على قبره .

---

(١) تعددت الآراء بالنسبة لتفسير معنى هذه العلامة ، فهل هى تمثل القصبة الهوائية أو الشريان أو العمود الفقرى (؟) ملتصق بها الرئتين أو الكليتين أو غدتين أو الأمعاء فهى تشير إلى الارتباط الوثيق لهذه الأعضاء وأهميتها داخل جسم الإنسان . وأقدم ظهور لهذه العلامة ظهر على آثار الأسرة الأولى ، راجع :
Schafer, MDIAK 12 (1943), p. 75

(٢) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ١٤٤ .

(٣) Wb. V11, p. 160- 181.

وبفضل كل هذه المزايا ندرك جيدا السبب الذى جعل المصريين القدماء يقدسون ذلك النهر تقديسا يصل حتى العبادة . فكانوا يطلقون على النيل اسم " ايترو " أى نهر أو " ايترو – عا " النهر العظيم ، وتصوروا أن هناك روح تكمن وراء هذا النهر العظيم والتى تدفع بمياه فيضه حاملة الخصب والنماء ، هى روح المعبود حعبى .(١) وحعبى تعنى معبود الفيضان ، ويوجد فى اللغة المصرية لفظ آخر يرادفه وهو لفظ " بعحى " وهو الفيض والوفرة والخير .(٢)

ولهذا صور المصرى القديم هذا المعبود فى هيئة بشرية تجمع الأنوثة والذكورة فى هيئة صيد السمك ويحمل مائدة تتدلى منها فروع نباتات معلقة بها أسماك النيل ، ويلتحى باللحية التقليدية للمعبودات له ثديا امرأة دلالة على العطاء المستمر وبطن مترهل علامة على الغذاء الوفير والخير وكان يصور على جدران المعابد الكبرى فى صورته هذه وهو يقدم خيراته إلى المعبودات الرئيسية فى هذه المعابد .(٣)

أما الاسم " نيل " الذى اشتق من اللفظة اليونانية " نيلوس Nileus "(٤) والتى وردت فى كتابات الرحالة اليونان فإننا لا نعرف أصله وإن كان البعض يرجعه

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٢) تعبر كلمة " حعبى " عن " الفيضان " راجع : Traunecker, BIFAO 72 (1972), p. 210 n. (2).

(٣) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٣١ .

(٤) عرفت هذه التسمية كاسم لرجل يدعى : نيلوس Neilos ، جاء على بردية بالمتحف المصرى تحمل رقم ٥٧٨٧٥ من العصر الرومانى ، هى عبارة عن عقد بيع بين رجل يدعى نيلوس وآخر يدعى اسيدوروس ، راجع : د. سيد توفيق – د. سيد الناصرى : معالم تاريخ وحضارة مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربى ، دار النهضة العربية ١٩٧٧ ، ص ٣٠٦ حاشية (١) .

إلى أصل فينيقى[١] ، وهذا الأصل الفينيقى مشتق من الكلمة السامية " نهل " أو " نخل " بمعنى " جرى " أو " مجرى " أو " نهر " .[٢]

وفى رأينا أنها كلمة من أصل مصرى قديم مشتقة مـــن نـــا – ايـــترو أى " الفروع " ويشير معناها الإجمالى إلى " النهر ذو الفروع " .[٣] وكانوا يطلقون اســـم حبت إنت ايترو على " مجرى النهر " واسم ايترو نوكمـــت علـــى " فـــروع الأرض السوداء " أى فروع النيل فى أرض مصر .[٤]

مدى علم المصريين القدماء بأعالي النيل :

من الصعب أن نذكر بشئ من الدقة جميـــع الأقطـــار التـــى اتصـــل بـــها المصريون القدماء والتى كان لهم بها علم . غير أننا نعرف أنهم كان لـــهم اتصـــال وثيق بثلاثة مناطق هامة فى جنوب مصر ، وهى : بلاد كوش ، بلاد أيـــام ، بـــلاد بونت .

وربما لم نصبح بعيدين عن الصواب إذا افترضنا أن المصريين القدماء كـــان لهم علم بمجرى النيل وبأعاليه إلى نقطة اتصال النيل بالسوباط كما كان لـــهم بعـــض العلم بإقليم بحر الغزال ، وذلك منذ عصر الدولة القديمة ، فعندما ذهـــب حرخـــوف

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ١٩٦٦ ، ص ٩٧١ حاشية (٤) ؛ تـــاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجـــزء الأول ، ص ٢١٥ .

(٢) د. فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنـــان وفلســـطين ، الجـــزء الأول ، بـــيروت ١٩٥٨ ، ص ١٠٧ حاشية (٤) .

(٣) Meeks, Alex. 111, p. 38.

(٤) Meeks, Alex. I, p. 50.

للحصول على قزمه بالقرب من مواطن الأقزام فى ذلك العهد ، فإن هـــذه المواطـــن كانت قريبة من إقليم بحر الغزال أو أعالى النيل الأبيض .(١)

فالمصريون إذن ، حتى فى أوائل عهدهم ، لم يكونوا بالأمة المنعزلة عـــن العالم القانعة بالبقاء فى واديها الخصيب ، بل كانوا مجدين فى الاستكشاف والاتصـــال بالبلاد الأخرى . وكان لهم علم بكثير من الأقطار التى يتألف منها حـــوض النيـــل ، وإن كنا للأسف عاجزين عن تقرير مبلغ علمهم بمنابع هذا النهر .

وعندما دخل اليونان مصر تناولوا مسألة منابع النيل بالبحث والاســتقصاء . فرأوا أنه نهر ليس له فى العالم الذى يعرفونه نظير ، وجهلهم التام بمجـــراه الأعلـــى أثار فى نفوسهم الرغبة الشديدة لمعرفة شئ عن منابع النيل .

وحين زار هيرودوت مصر عام ٤٤٨ ق. م . سافر إلـــى الجنـــدل الأول . وهناك حاول عبثا أن يحصل على معلومات أكيدة ثابتة عن منابع النيـــل بالاستفســـار من التجار والرحالة . وكل ما اهتدى إليه أن منابع النيل الأصلية مجهولة وأن جـــزءا من مياه النيل يأتى من بلاد الحبشة . وأما منابعه الكبرى فربما كانت فى الغـــرب .(٢) كما شرح هيرودوت بالتفصيل التكوين الطبيعى لأرض مصر ، والتى تكونت نتيجـــة لطمى النيل ، ووصف فيضان النيل ، والخصائص الطبيعية للدلتا وحياة البحـــيرات . وخصص فصولا طويلة عن حيوانات البلاد والحيوانات التى كانت تعيش فى النيـــل : فتحدث عن التمساح وسبع البحر .(٣)

وبعد فتح الإسكندر لمصر وتأسيس حكم البطالمة كثر وفود اليونـــــان إلـــى مصر من تجار وعلماء ، وكثر ارتيادهم لأعالى النيل ، لكنهم لم يكونوا يتوغلون إلـــى

---

(١) د. محمد عوض : النيل ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، دار نهضة الشرق بحرم جامعة القاهرة ، ٢٠٠١ ، ص ٢٤٨ .

ما وراء نقطة التقاء النيل الأزرق والأبيض إلا نادرا .

وأول جغرافى درس مجرى النيل بشئ من الدقة هو اراتوسـثينيس الـذى عاش فى الإسكندرية فى القرن الثالث ق. م . وكان أمينا لمكتبة الإسـكندرية ومـن أكبر الجغرافيين فى زمانه . وقد وصف نهر النيل وصفا جيـدا إلـى ملتقـى النيـل الأبيض والأزرق وأشار إلى أن هناك بحيرات ينبع منها النهر .

وأكبر جغرافى جاء بعد اراتوسثينيس وهو سترابون والذى زار مصر مـا بين عامى ٢٥ – ٢٤ ق. م . وعاش أكثر من خمس سنوات فى الإسـكندرية ، ولـم يزد على أن زار مصر وساح فيها حتى وصل إلى الجندل الأول وتوغل قليلا فيمـا وراءه ، لكنه لم يستطيع أن يزيد الشئ الكثير على ما أتى به سلفه .(١)

ولعل التوغل فى بلاد السودان فى ذلك العهد إلى ما وراء ملتقـى النـهرين كان محفوفا بالمخاطر فلم يحاول أحد أن يقوم على هذا الأمر حتى جاء الإمـبراطور نيرون وكان على استبداده محبا للعلم شغفا بالاستطلاع ، فأرسل فى سـنة ٦٦ بعـد الميلاد اثنين من ضباط جيشه فى بعثة لاستكشاف منابع النيل الأبيض ، وقد ركبـت هذه البعثة الزوارق وسافرت إلى الجنوب حتى بلغت منطقة السـدود والمسـتنقعات وهنالك رأت أن المضى فى طريقها ضرب من المحال فعادت ادراجها حاملـة إلـى روما من المعلومات عن الرحلة ما يثبط الهمة ، فلم يجرؤ أحد بعدها على التوغل فى أعالى النيل من هذه الجهة ، وبقى شرف اجتياز منطقة المستنقعات لم يحزه أحد فيمـا نعلمه إلى أن أحرزه رجال محمد على فيما بعد فى العصر الحديث .

وكان هناك تاجرا وفلاحا يونانيا اسمه ديوجين سافر فى تجارة له إلى شـرق أفريقية ونزل بساحلها الشرقى عند بلدة كان اسمها فى ذلك الوقت رابتم وموقعها عنـد مصب نهر بانجانى غير بعيد من الساحل المقابل لجزيرة زنجبار . وقد زعـم هـذا التاجر أنه سافر من الساحل متوغلا فى أواسط أفريقية مدة خمسة وعشرين يوما حتى صار على مقربة من البحيرات الكبرى والجبال الشاهقة المكسوة بالجليد التى يسـتمد

---

(١) د. محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٩ .

منها النيل ماءه .

ويظن الكثيرون أن هذا اليوناني قد حصل على معلومات جديدة موثوق بها عن منابع النيل . فقد نقل ديوجين أن في أواسط أفريقية عدة بحيرات وأن النيل إنما ينبع من اثنتين منها وأن في جنوب البحيرات جبالا عالية مغطاة بالجليد تدعى جبال القمر لما لقممها من اللون الأبيض الناصع .

ولم يكتب ديوجين كتابا عن رحلته لكنه قصها على رجل جغرافي من بلدة صور اسمه ماريانوس ، ولسوء الحظ ضاعت مؤلفات ماريانوس وكادت تذهب كلها لولا أن الجزء الخاص منها بنهر النيل قد نقله إلينا بطلميوس .

وجاء بعد ذلك بطلميوس وهو رجل مصري يوناني ولد بقرية في شمال الدلتا وعاش بالإسكندرية حيث دون أكثر مؤلفاته في أواسط القرن الثاني بعد الميلاد . وهو من غير شك أعظم الجغرافيين القدماء . وقد تناولت أبحاثه الجغرافية جميع أقطار العالم ، ورسم خرائط عديدة للعالم ولنهر النيل . وظلت كتبه وخرائطه هي المرجع الأكبر لدراسة الجغرافية عامة ونهر النيل خاصة إلى أواسط القرن السادس عشر .

فقد وصف بطلميوس مجرى النيل وصفا دقيقا حتى مدينة مروى وهي مدينة باقية آثارها إلى اليوم بين الدامر وشندى (وليست مروى الحديثة الواقعة جنوب الجندل الرابع) على الضفة اليمنى للنيل على نحو خمسين ميلا جنوب نقطة اتصال العطبرة بالنيل ، بالقرب من بلدة كبوشية .(١)

---

(١) د. محمد عوض : المرجع السابق ، ص ١٠ .

خرافة عروس النيل :

من أهم الخرافات التي أشيعت عن علاقة المصريين القدماء بالنيل أنهم كانوا يلقون إليه كل عام بعروس بكر جميلة ، مزدانة بأفخر الحلى والثياب ، ويزفونها إليه بإلقائها حية فى جوفه لتبتلعها مياه النهر[1] وجاء ذكر هذه الخرافة عند أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم الذى توفى عام ٢٥٧هـ (٨٧١ ميلادية) ، وهو الذى كتب " فتوح مصر والمغرب "[2] وكان فقيها عظيما ومؤرخا عربيا كبيرا ، قال : " ولما فتح عمرو بن العاص مصر ، أتى أهلها إلى عمرو حين دخل شهر بؤونه " فقالوا له : أيها الأمير أن لنيلنا سنة لا يجرى إلا بها . فقال لهم : وما ذاك ؟ ... قالوا : أنه كلما جاءت الليلة الثانية عشرة من هذا الشهر ، عمدنا إلى جارية بكر من أبويها ، فأرضينا أبويها ، وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ، ثم ألقيناها فى النيل .. فقال لهم عمرو : هذا لا يكون فى الإسلام ، وأن الإسلام يهدم ما قبله .. فأتوا شهر بؤونه وأبيب ومسرى والنيل لا يجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء ..

فلما رأى عمرو ذلك ، كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك ، فكتب إليه عمر أن قد أصبت ، أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى النيل إذا أتاك كتابى . فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فإذا فيها :

---

(١) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ١٩٨٦ ، ٦٦ – ٦٧ .

(٢) ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ، لجنة البيان العربى ، ١٩٦١ ؛ ذكره مختار السويفى : المرجع السابق ، ص ٦٧ ؛ وذكره أيضا د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥) من جوهر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ٤ (مقدمة) ، ص ٢٩٣ .

" من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر . أما بعد . فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك .. ".

" فألقى عمرو البطاقة فى النيل ، وكان أهل مصر قد تهيأوا للجلاء والخروج منها ، لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل ... وأصبحوا وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة ... ".[1]

ويلاحظ أن بعض المؤرخين والرحالة والجغرافيين العرب الذين تناولوا فى مؤلفاتهم وصف المدن وخططها وأحوالها من الذين جاءوا بعد ابن عبد الحكم وزاروا مصر وأقاموا فيها أو نشأوا فيها لم يذكروا هذه الفرية عند حديثهم عن النيل . ومن أمثال هؤلاء :

- المسعودى : ٣٤٦ هـ - ٩٥٦ ميلادية .[2]
- الكندى : ٣٥٠ هـ - ٩٦١ ميلادية .[3]
- ناصر خسرو : ٤٥٣ هـ - ١٠٦١ ميلادية .[4]

---

(١) روى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : " أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات " ، راجع : الكندى : فضائل مصر تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٥٩ .

(٢) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد) الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص ٩٨ - ١٠١ ، ٣٤٠ - ٣٤٥ ؛ وأيضا : أخبار الزمان (من إبادة الحدثان ، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران) ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ ، ص ١٣٢ - ١٤٦ .

(٣) الكندى : فضائل مصر : تحقيق إبراهيم العدوى وعلى عمر ، مكتبة وهبه ، القاهرة ، ودار الفكر ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٥٩ - ٦٣ .

(٤) ناصر خسرو : سفر نامه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ذكر مقتطفات من هذا المؤلف د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ٣٦ - ٤٠ .

- الادريسى : المتوفى نحو ٥٦٠ هـ .[١]
- أبو الصلت امية الذى جاء إلى مصر عام ٤٨٩ هـ .[٢]
- ابن جبير الذى وصل إلى مصر عام ١١٨٣ ميلادية .[٣]
- عبد اللطيف البغدادى جاء إلى مصر عام ١١٩٤ ميلادية .[٤]

وقد ظلت هذه الخرافة تروى على مدى أكثر من ألف سنة منذ أن قيلت لدرجة أن أحمد شوقى قد ذكرها فى قصيدته الشهيرة عن " النيل " : وفى كل عام درة تهدى إليد وحرة لا تصدق " .[٥]

وإذا رجعنا إلى الوراء إلى المصادر الأثرية نفسها للبحث عن إشارة أو ذكر لهذه العادة ، فنقول إننا لم نجد أية دليل مادى على صحة هذه العادة ، بل هناك أكثر من وثيقة تدل على كذب هذه الخرافة :

أولا : لم يعرف المصريين القدماء فى تاريخهم المعروف والمدون ، أنهم كانوا يقدمون تضحية بشرية لأى معبودمقدس ومهما علا شأنه . وهناك عشرات

---

(١) الادريسى : أنس المهج وروض الفرج ، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، جامعة فرانكفورت ، ١٩٨٤ ، ص ١٧ – ٢٨ ، ٤٨ – ٤٩ .

(٢) أبو الصلت : الرسالة المصرية ، لجنة التأليف والنشر عام ١٩٥١ ، ذكره د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٤٤ – ٤٦ ، ٩٢ .

(٣) ابن جبير : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار ، دار الفكر العربى ، حققها حسين نصار ، ذكرها د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٨٦ ، ٢٩٢ .

(٤) عبد اللطيف البغدادى : الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، ذكره د. عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٧٤ ، ٢٩٢ .

(٥) مختار السويفى : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

اللوحات والبرديات التى كانت تصف أحوال النيل ، ســواء عنـد حـدوث الفيضان المعتدل الذى يجلب معه الخير ، أو عند حدوث الفيضـان العـالى الذى يغرق الأرض ويبعث الخوف فى نفـوس النـاس ، أو عـن حـدوث الفيضان المنخفض الذى يؤدى إلى كوارث ومجاعات ، ولم يرد فى أى مـن هذه الآثار جميعا أى ذكر لعروس عذراء تقدم للنهر قربانا .[١]

والحقيقة أنه عثر حتى الآن على ثلاث لوحات تصـف كـل منـها بالتفصيل جميع المراسم التى كانت تقام والشعار والأغانى التى كانت تلقـى فى الاحتفالات التى كانت تقام لدعوة النيل إلى الفيضـان والإتيـان بـالخير الوفير ، وكانت في الغالب تأخذ طابعا دينيا وشعبيا . وترجع هذه اللوحـات إلى عهود رمسيس الثانى ومرنبتاح ورمسيس الثالث .

ومن هذه اللوحات يتضح لنا أن الملك كـان يحضـر بنفسـه هـذا الاحتفال الرئيسى الذى كان يبدأ عادة بذبح عجل أبيض وأوز وبـط ودجـاج كقربان ، ثم تلقى فى النيل " رسالة " مكتوبة على ورق من أوراق الـبردى ، تتضمن بعض الدعوات والمدائح فى النيل ، اعترافا بفضلـه وابتـهالا لـه لمواصلة الفيضان فى كل عام بما فيه خير للبلاد .[٢] فلو كـان المصريـون القدماء يقدمون للنيل عروسة حية ، فهل كان من الممكن عـدم ذكـر ذلـك وإغفاله فى تلك اللوحات التى تركها هؤلاء الملوك الكبار .

كما عثر على العديد من الابتهالات والدعوات المكتوبة التى كـانت ترفع للنيل أو تلقى فيه ، خصوصا حين يأتى الفيضـان منخفضـا ومـهددا بالمجاعة ، ولم يذكر في أى نص من هذه الابتهالات أو الدعوات أن عروسا قد ألقيت فى النيل كسبيل للتوسل إليه .[٣]

---

(١) مختار السويفى : المرجع السابق ، ص ٦٩ – ٧٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٧٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٧٠ .

ثانيا : أن النيل نفسه كان محل تقديس لدى المصريين القدماء ، ومنحوه صفة المعبود وسموه " حعبي " ويتخذ المعبود حابي صورة رجل ذي جسم ممتلئ وتظهر ملامحه سمات من النيل والغنى . ولكن الغريب أن له بطنا كبيرة كبطون الحبالى ، وثديان كبيران كأنهما ثديا امرأة تنبثق المياه من حلمتيهما مثل اللبن الذي تغذى به الأم أبناءها مما يجسد معنى العطاء والخصوبة والقوة التي تمنحها الأم لأبناءها الصغار ، فكيف يستقيم معنى العطاء والحنان مع معنى الموت وإزهاق روح إنسانة بريئة بإلقائها في جوف النيل .

ثالثا : هناك مجموعة من الأناشيد الموجهة لمعبود النيل التي كان يرددها الكهنة والناس في مدح معبود النيل لبيان قدرته وأفضاله على الناس . وسوف نتحدث عن هذه الأناشيد بالتفصيل في الباب الخاص بالحياة الثقافية .

فكان النيل " حعبي " معبودا يختلف عن غيره من المعبودات لأنه لم تكن له معابد خاصة ، أو كهنة يقومون على خدمته وخدمة طقوسه كباقي المعبودات ، ولهذا فإن هذه الأناشيد كانت ترتل في مناسبات الاحتفالات بالفيضان وهذه الأناشيد محفوظة على لوحتين لصبيين من صبية المدارس كانا يقومان بنسخ مقتطفات من هذه الأناشيد ، وهناك جزءا آخر من هذه الأناشيد مسطرا على بردية تورين وأيضا على برديات ساليبه رقم (٢)، وانستاسي رقم (٧) ، وشستربيتي رقم (٥) وهي موجودة بالمتحف البريطاني (تحت أرقام ١٠١٨٢ ، ١٠٢٢٢ ، ١٠٦٨٥) وهذه البرديات مؤرخة من الأسرة التاسعة عشرة ويبدو أنها نسخت من أصل يرجع إلى عصر أقدم من الأسرة التاسعة عشرة .[١]

---

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 106-107; Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, p. 516; 11, p. 143-144, 314-315 . وكان المصري القديم حريصا على المحافظة على انسياب مياه النيل وعدم العبث بمياهه . ففي الفصل ١٢٥ من فصول كتاب الموتى ، نقرأ : " أنا لم أمنع الماء في وقته ، ولم أقم حاجزا لسد المياه المنساب ، يا اير – ام – ايب – إف الذي يخرج من ثبو ، أنا لم أعبث فوق المياه " راجع : Vandier, la Famine dans l'Egypte Ancienne, p. 52-53 .

ويختلف النص الموجود على بردية تورين عن النص الموجود على البرديات الأخرى . ونجد فى هذه الأناشيد ثلاث صور للنيل وفيضانه ، تصف لنا الصورة الأولى حالة الناس ، والحالة العامة عند مجئ الفيضان . وتصف لنا الصورة الثانية كيفية احتفال الناس به . وتصف لنا الصورة الثالثة حالة الناس إذا جاء الفيضان منخفضا . ونجد الصورة الأولى فى بردية تورين : " أنه هو الذى يروى المراعى ، وهو المخلوق من رع ليغذى كل الماشية ، وهو الذى يسقى الأراضى الصحراوية البعيدة عن الماء ، فإن ماءه هو الذى يسقط من السماء " .... " أنه هو الذى يأتى بالقوت ، وهو الذى يكثر الطعام ، وهو الذى يخلق كل شئ طيب ، ويمدحه الناس " .... " هو الذى يخلق العشب للماشية ، ويمد كل معبود بقرابينه سواء أكان فى العالم السفلى أم فى السماء أو فى الأرض " ... " هو الذى يملأ المخازن ، ويزيد من حجم شئون الغلال ، وهو الذى يعطى للفقراء " ... " هو الذى يجعل الثمار تنمو كما يشتهى الجميع ، فلا ينقص الناس أى شئ " ... ومن كان حزينا يصبح مسرور ويبتهج كل قلب ... وهو الذى يسعد الإنسان ويجعله يحب أخيه [١] ... (انت) الفيضان الذى ينساب على الأرض الخضراء ... لكى يعطى الحياة إلى جميع الظمآى ، وعندما ترتفع تشدو الأرض (كلها) فرحانة " .[٢]

ونجد الصورة الثانية فى برديات المتحف البريطانى : " وعندما تفيض يقربون لك القرابين ، وتذبح لك الماشية ، ويقام لك احتفال كبير .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤١٣ – ٤١٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٧ ؛ Vercoutter, L'Égypte Ancienne, p. 18

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 18

د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٣٥١ .

وتسمن لك الطيور ويصيدون لك الغزلان من الصحراء ويكافئك الناس بكل ما هو طيب ... أنت مزدهر ، أيها النيل ، أنت مزدهر ، فالنيل هو الذى يجعل الإنسان يحيا من خير ماشيته وتعيش ماشيته على المراعى " .[1]

ونجد الصورة الثالثة فى بردية تورين : " وإذا ما تباطأ تنسد الخياشيم ، ويفتقر كل الناس ، وتنقص أقوات المعبودات ويهلك ملايين الناس " ، " وإذا ما قسا تصبح البلاد كلها فى فزع ، ويندب الكبار والصغار ... " .[2] ونجد هذه الصورة فى تلك الأنشودة الدينية الجميلة التى ألفها اخناتون والتى ذكر فيها النيل بأنه نهر أرضى يخرج من باطن الأرض :

أنت خلقت النيل فى العالم الأرضى .

وأنت تخرجه بأمرك فتحفظ به الناس .

يا معبود الجميع ، حين يتسرب إليهم الضعف .

يا رب كل منزل ، أنت تشرق من أجلهم .

يا شمس النهار ، يا من تخشاه البلاد القاصية .

أنت موجد حياتهم

أنت الذى خلقت فى السماء نيلا .

لكى ينزل عليهم ولهم .

يتساقط الفيضان على الجبال كالبحر الزاخر .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، ٤١٥ ؛ James, op. cit., p. 106 – 107.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق ، ص ٤١٣ – ٤١٥ ؛ وأيضا د. محمد عوض : نهر النيل ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ، ص ٤ – ٥ .

فيسقى مزارعهم وسط ديارهم .
ما أبدع تدابيرك يا معبود الأبدية .
فى السماء نيل للأمم الغربية .
ولماشية البلاد الأخرى ودوابها . ولكل ما يمشى على رجلين .
أما النيل الذى يروى أرض مصر فإنه يجئ من باطن الأرض .(١)

لم ترد فى هذه الصور الثلاث أى ذكر لعروس تقدم كقربان بل تتحدث الصورة الثانية عن قرابين من الماشية والحيوانات والطيور والقرابين المادية .

رابعا : تحتفظ لنا بردية هاريس من عصر رمسيس الثالث بقائمة من القرابين من جميع الأنواع وأيضا حيوانات وفواكه وغلال ونباتات وزهور التى خصصت للمعابد وفى نهاية هذه القائمة ، نجد ذكر لتماثيل لمعبود النيل ، من الذهب ، والفضة ، والأحجار الكريمة ، والنحاس ، والحديد ، والحجارة ، والخشب وتماثيل لمعبودة النيل (أطلقوا عليها اسم ربعت) . وكل القرابين مع التماثيل كانت تلقى فى النيل مع ما يسمى بـ " كتب النيل "(٢) وربما يعنى هذا طقس الزواج المقدس ومنه تنتج خصوبة النيل وزيادته . وهكذا تظهر بردية هاريس تخفيف هذا الطقس عن طريق التماثيل (٣) وأحيانا تكون هذه التماثيل على شاكلة اوزير من الطين الذى خصب بماء النيل .(٤)

خامسا: قمنا من ناحيتنا بتجميع (١١) نصا عن فضل الفيضان منها ثمانية نصوص من العصر البطلمى ، وذلك فى مؤلفنا عن " تاريخ مصر القديم "(٥) فنقرأ على بردية فى نيويورك على لسان تحوتى : " اننى أجعل الفيضان يأتى فأخصب الحقول وأجعل المعبودات والناس يعيشون " .(٦) وعلى لوحتى المطاعنة وقفط من عصر الملك طهرقا ، نقرأ فى السطر ١٠ : " طلب جلالتى نيلا (مرتفعا) من والده آمون رع ، سيد عروش الأرضيين حتى لا يسمح بحدوث مجاعة فى عصره ".(٧) وفى بعض النصوص البطلمية التى

---

(١) د. محمد عوض : المرجع السابق ، ص ٤ حاشية (١) .
(٢) أو كتب حعبى ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 144 .
(٣) Moret, la Mise `a Mort du dieu en Egypte, p. 11 – 13 .
(٤) Id., op. cit., p. 37 – 38.
(٥) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٣٥١ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٣٥١ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

جمعناها (من معابد ادفو واسنا ومدامود ودير شلويط) نقرأ فى إحداهـــا : " (الملك بطلميوس) يأتى إليك يا مونتو – رع ، سيد طيبـــة فـــى وســط مدامود ، ويحضر لك نيل الجنوب مع كل ثرواته الطيبة ، (هو) الذى يأتى فى موسمه كل عام ويزود مائدة قرابينك بالأغذية والمؤن لكى يعيش قلبـــك أبديا " .(١)

فى كل هذه النصوص لم يرد ذكر لعروس أو قرابين بشرية تــؤدى للنيل بسبب فيضانه كما لم يرد فى أى نص آخر وصف للتضحية بعروس أو بخطيبة للنيل.(٢)

سادسا : قام فانديه فى مؤلفه القيم عن " المجاعة فى مصر القديمة " بتجميـــع عـــدد كبير من النصوص التى تتحدث عن المجاعة . وجميع هذه النصوص مـــن نصوص الأهرام ولوحات ونقوش مقابر وبرديات وتوابيت وتماثيل ونقـــوش معابد بطلمية (مثل معابد دندرة وادفو وفيله وكوم امبو والكرنـــك وقـــوص وطود والدكه) .(٣) وفى هذه المصادر التى يبلغ عددها أكثر من ٥٥ (ومن مصدر واحد وهو معبد ادفو ذكر ٣٥ نصا و ٩ نصوص معبد دندرة) لـــم يأت ذكر لأى عروس فى نصوص هذه المصادر . ولم يكتف فانديه بذلك بل قام بالبحث فى النصوص القبطية من تعبيرات تعنى " المجاعة " ووجد منـــها خمسة .(٤) وهى تخلو أيضا من أى ذكر لعروس أو تضحية بشرية للنيل فـــى حالة مجيئه منخفضا .

سابعا : قام بعض الرحالة اليونان والرومان بزيارة مصر ، فيما بين القرنين السادس والأول ق. م . من أمثال هيكاتيه الذى جاء إلى مصر فى القرن السادس قبل الميـــلاد واهتـــم بالكتابـــة عـــن الظواهـــر الطبيعيـــة لأرض مصـــــــر . وهيرودوت الذى زار مصـــر فى حوالى سنة ٤٤٨ ق. م . وقام بشـــرح

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٣٥١ – ٣٥٢ .

(٢) Moret , op. cit ., p. 12.

(٣) Vandier, la Famine dans l'Égypte Ancienne, Paris (1936), p. 99 – 149 .

(٤) Id., op. cit., p. 93 – 97.

التكوين الطبيعى لأرض مصر ووصف بعض الظواهر الجغرافية والفيضان وبعض عادات المصريين . وديودور الصقلي الذى زار مصر فى حوالى سنة ٥٩ ق. م . وكتب عن معتقدات المصريين . وسترابون الجغرافى الشهير الذى زار مصر بين عامى ٢٥ – ٢٤ ق. م . وعاش فى الإسكندرية أكثر من خمس سنوات وحدثنا عن المدن المصرية وعادات سكانها . ولكن لا نجد أن أحد من هؤلاء المؤرخين يتحدث أو يشير إلى أن المصريين كانوا يزفون للنيل كل عام عروسة حية وأن أحدهم يذكر أنه سمع عن وجود هذه العادات وخاصة هيرودوت الذى كان لديه حب استطلاع جارف .[١]

ثامنا : كان فتح مصر سنة ٦٤٠ ميلادية . وكان المصريون آنئذ قد اعتنقوا المسيحية وهى دين سماوى ولا يمكن أن يقبل أو يقر قصة إلقاء عروسة بكر حية لتموت غريقة فى النيل .[٢]

تاسعا : ان ابن عبد الحكم كتب هذه القصة بعد فتح مصر على يد عمرو بن العاص بنحو ٢٣٠ سنة ، فإما أن تكون هذه القصة قد رويت له بمعرفة أحد المخرفين ، وإما أن تكون الحكاية برمتها من تأليفه هو ، بقصد تنفير المصريين من مظاهر حضارتهم وعقائدهم القديمة والدعوة إلى الإسلام .[٣] ويذكر د. زايد : " قصة إلقاء فتاة في النيل التي رواها المؤرخ العربي ابن الحكم لا تعدو أن تكون أكذوبة من الأكاذيب المدعاة على مصر القديمة أو سوء فهم لبعض ما قام به المصريون عند الاحتفال بوفاء النيل في قصة عروس النيل كما رواها ابن الحكم فهى غير معقولة ، وواضح فيها الاختراع والتلفيق فنحن لم نعرف عن المصريين القدماء عادة التضحية البشرية .

عاشرا : وفى عام ١٦٥٧ رأى تفنوه فى ١٨ أغسطس ، احتفالات وفاء النيل ، فبعد فتح الخليج يقومون بذبح بعض الخراف ويلقون فى النيل تمثالين من الخشب يمثلان رجلا وامرأة ، خطاب النيل ، وأحيانا يكتفون بتمثال واحد ، يلقى إلى النيل إشارة إلى خصوبته .[٤] وهذا يطابق ما جاء من قبل على بردية هاريس .

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ – ٢٥٢ ؛ مختار السويفى ، المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٢) مختار السويفي : المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٦٩ .
(٤) Moret, op. cit., p. 12.

كما رأينا نصوص المصادر الأثرية من عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى – الرومانى ، كما لم يذكر أو يشير إلى قصة عروس النيل أى مؤرخ آخر إغريقى أو رومانى أو عربى ، وقد كانت مصر عندما فتحها العرب تدين بالمسيحية التى لا يمكن أن تقر ذلك العمل . بل أن المصريين تحدثوا بإفاضة عن الاحتفالات بوفاء النيل وعن سنى الجدب والمجاعة التى حلت بمصر بسبب انخفاض النيل ، ولم يذكروا قط أن عروسا قد ألقيت فيه .(١) وهناك إلى جانب ذلك الكثير من الأدلة التاريخية والمنطقية التى لا تقر هذه القصة .(٢)

عرف المصري القديم حسن استغلال أراضي الوادى الطويلة في الزراعة وعرف الارتباط بهذه الأرض ، وعرف معنى الاستقرار وكان من نتيجة استقامة أرض الوادى سهولة الانتقال بين أرجاء البلاد وسهولة الانتقال

---

(١) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٧١ – ٩٧٢ .

(٢) يعتقد جومار أحد علماء الحملة الفرنسية أن هذه القصة مزورة وأن هذا التقليد ملئ بالغموض والشك . وعند الاحتفال بفتح الخليج كان يقام فى وسط مجرى الخليج ، أمام السد ، كتلة من الطين غير محددة الشكل تسمى " عروسة " تقذف فى الماء أو على الأحرى تقلبها المياه عند فتح مدخل السد ، راجع : جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل (ترجمة د. أيمن فؤاد) مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ١٩٨٨ ، ص ٣٢ . ويذكر د. بدوى أن قصة عروس النيل التى ورد ذكرها أيام الفتح العربى ، لم تكن غير مسخ وسوء فهم لبعض ما عرف عن المصريين القدماء أيام احتفائهم بوفاء النيل ، إذ كانوا يقربون له قربان الشكر ، فيلقون فيه بعدد من الدمى أو التماثيل على هيئة اوزير ، ولم يشر تاريخ مصر إلى شئ من تلك الضحايا البشرية وأن الوقت الذى نسبت إليه تلك القصة كانت مصر قد دخلت فى الدين المسيحى ، دين السماحة والرحمة والبر بالإنسانية ، راجع : أعمال أحمد بدوى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ١٠٥ .

معناها تيسير الالتقاء والتعامل والتحرك والتفاعل بين الجماعات السكانية فى أرجاء البلاد ، ومن ثم الانتفاع المتبادل بتجارب كل مجموعة ، الأمر الذى أدى إلى تطوير إنجازات هذه الجماعات واختيار أفضل الأماكن للاستقرار .

عرف المصريون القدماء قيمة الأرض الزراعية ، ولكى يعبروا عن طبيعة أرض بلادهم أطلقوا عليها عدة أسماء تصف هذه الأرض وتصف طبيعتها ، وتعكس ما يقوم به الإنسان فيها . وتعكس كل هذه التسميات طابع الاستقرار والثبات فى هذه الحضارة . فأطلقوا عليها الأسماء الآتية :

" تا " : الأرض ، أرض مصر كلها ، وهى تكتب بعلامة الأرض المنبسطة والمسطحة . ويلاحظ أن هناك تشابه كبير فى اللغة المصرية القديمة فى كتابة " تا " بمعنى أرض و (ت) بمعنى خبز . ويبدو أن المصرى القديم أدرك أهمية الأرض كمصدر للغذاء فأطلق عليها التسمية نفسها التى يطلق على الخبز . وخاصة وأن كلمة خبز نراها فى جميع صيغ القرابين الرسمية كأول ما يطلبه المتوفى من خيرات وفى صيغة أكثر تطورا نقرأ " قرابين " مما تخلفه الأرض ونتيجة السماء بفضل مائها وما يحضره حعبى من " خيرات " .

" تاوى " : الأرضيين ، أرض مصر العليا وأرض الوجه البحرى = مصر

" كمت " : وهى أكثر التسميات تعبيرا عن طبيعة أرض الوادى الزراعية ، فهى تعنى الأرض السوداء ، أى الأرض المغطاة بالطمى والطين السود على عكس الصحراء الجرداء التى تتميز باللون الوردى أحيانا طبقا لوجود صخور المناجم والمحاجر فيها ولهذا أطلقوا عليها اسم " دشرت " .

وعرفت التسمية كمت عند اليونانيين تحت اسم خميا والتى نعبر عن الأراضى الزراعية الخصبة . وأطلق العرب فيما بعد على أرض مصر التسمية نفسها " أرض السواد " .

" **خبشوت** " : أرض القوة ، أى القوة فى سواعد أبنائها وقوة عزيمتهم وربما تعكس هذه التسمية أيضا تفانى أبنائها فى العطاء وبقوة .

" **سنوت** " : أرض عيد اليوم السادس (من كل شهر حيث يكتمل القمر) . وهو عيد معروف منذ عصر الدولة القديمة . وأصبح هذا العيد صفة لما كان يعم أرض مصر وعما يسود بين أفراد المجتمع المصرى القديم من احتفالات وبهجة فى العصر البطلمى .(١)

" **تامرى** " : أرض الفيضان أو المياه المرتفعة . واستخدمت كلمة تا كأداة تعريف للمؤنث فى العصر المتأخر .(٢) وهى أصل التسمية العربية لكلمة " دميرة "(٣) بمعنى وقت أن تغمر مياه الفيضان الأرض الزراعية . .

" **بيا** " : أرض المعجزات أى الهبات والخيرات والفضائل التى وهبتها المعبودات لهذه الأرض .

ولهذا كله أحب المصرى القديم وطنه وأرضه كما لم يفعل شعب من شعوب الأرض . وأثر هذا الحب الصادق للوطن على إرادة الإنسان واستعداده الطبيعى فكان البذل والعطاء فى سبيل بناء حضارة محلية وطنية وكان الجهد والعزيمة والصبر

---

(١) Aufrère, L'Univers mineral dans la pensée égyptienne, BdE 150 (1991), p. 272 – 273 n. k; Altenmuller, LA 11, p. 173; Meeks, Alex. 11, p. 331; 111, p. 257; Wb 1V, 153, 4 – 7; R•el Sayed, Documents relatifs `a Sais, p. 66 n. (C).

(٢) Černy , Coptic Etymological Dictionary, p. 35; Meeks, Alex. I, p. 411; 11, p. 407; 111, p. 319; Wb V, 223, 4 – 10.

(٣) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٤٨ ؛ محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، الجزء الثانى ، ص ٨٦ .

والجلد فى سبيل تطورها وازدهارها .

وأكثر من ذلك نجد أن اللغة المصرية القديمة نفسها تأثرت بعناصر البيئة المحلية ، فعندما اخترع المصرى القديم مع بداية الأسرة الأولى وبعدها علامات الكتابة الهيروغليفية ، نجد أنه اتخذ هذه العلامات من الأشياء المادية الموجودة فى البيئة ومظاهرها المختلفة وما كان يحيط به من كائنات حية من حيوان وطير وأسماك وعناصر نباتية ومظاهر البيئة .

فنجد علامات ترمز إلى الأرض ، السماء ، الماء ، الجبال ، النباتات مثل البردى واللوتس والبوص والأثل وزعف النخيل ، والأشجار ، الحيوان مثل الوعل ، الحمار ، الثور ، الثعلب ، ابن آوى ، الكبش ، الماعز ، سبع البحر والطيور مثل الأبيس (أبو قردان) الصقر ، البومة ، العصفور ، والأسماك بأنواعها ، والزواحف مثل الثعبان والحية ، والضفدع وعلامات ترمز إلى الذهب والنحاس أى تشير إلى المناجم والمحاجر .

ونلاحظ أيضا أن كلمة " سبات " التى تعبر عن المقاطعة أو الإقليم كانت تكتب بعلامة ترمز إلى قطعة أرض مقسمة إلى مربعات صغيرة ، أى كأنها قطعة من الأرض الزراعية مقسمة إلى أحواض .

ومما يؤكد عامل الاستقرار هذا ، أنهم يذكرون فى صيغ الدعوات والتمنيات كلمة " جد " بمعنى " استقرار أو ثبات أو دوام " على هذه الأرض الطيبة أثناء حياة الإنسان ، أو الاستقرار والثبات على أرضها أيضا فى العالم السفلى . كما كانوا يذكرون كلمتى نحح " إلى الأبد " وجت " الأبدين " فى كل الصيغ تقريبا .

كما أنهم كانوا يصنعون تمائم من اللازورد على هيئة علامة " جد "[1] يرجى من ورائها لصاحبها أمنية الاستقرار هذه .

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٩١٩ .

ولهذا فرق المصريون القدماء بين هذه التسميات التى تعبر عن ارتباطهم بأرضهم وبالقبائل البدوية التى تعيش فى صحراء سيناء مثلا ، الذين يعيشون حياة التجوال والترحال ، ولذلك أطلقوا عليهم التسمية " عامو حر يوشع " أى " البدو الذين فوق الرمال " .(١)

ويظهر هذا الانتماء للأرض فى مقاومة الإنسان المصرى القديم للغزوات الأجنبية التى تعرض لها وطنه خلال العصور التاريخية ، وكذلك مقاومته للكوارث الطبيعية ، التى قد تحدث أحيانا ، فقد عرفت مصر عدة فترات من الجفاف والقحط نتيجة لانخفاض مستوى مياه النيل وعدم فيضانه ، وكانت كل فترة منها تمتد أحيانا لعدة سنوات ولدينا من عهد الملك جسر مؤسس الأسرة الثالثة ، قصة المجاعة التى سجلت نصوصها فى العصر البطلمى على صخرة(٢) كبيرة باقية فى جزيرة سهيل جنوبى أسوان ، ويطلق عليها اصطلاحا اسم لوحة المجاعة . وتقص نقوشها أنه حدث فى العام الثامن عشر من حكم جسر أن زاد ضيق البلاد بعد أن عز الفيضان عليها سبع سنين ، فقلت الحبوب وتضاءلت المحاصيل واستشعر المسنون وشباب وأطفال البلاد بآلام المجاعة ، حتى الملك نفسه لحقه الهم وأراد أن يتحرى الأصول والأسباب لما لحق ببلده من بلاء فاستدعى رئيس الكهنة المرتلين ايمحوتب وطلب إليه أن يتعرف على منبع النهر والمعبود الذى يجمع ماءه . ورأى الملك المعبود فى رؤيا ، وعندما أفاق أمر بأن توقف بعض خيرات المنطقة لصالحه . ولعل فى تحديد فترة السبع سنوات العجاف فيها ما يماثل فترة المجاعة فى مصر أيام سيدنا يوسف عليه السلام ، كما أن ذكر الرؤيا والاهتمام بتفسيرها ما يشبه رؤيا

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ؛ د. أحمد بدوى - هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ١٦٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٢ - ٤٩٣ ، وأيضا : Barguet, la Stèle de la famine `a Sahel (BdE 24), le Caire (1953), p. 16; Vandier, la Famine dans L'Égypte Ancienne, p. 132 – 139.

العزيز(١) وطلبه من يوسف عليه السلام تدبير الشئون الاقتصادية للبلاد خلال سنوات المجاعة السبع ويذكر المسعودى المتوفى عام ٣٤٦ هـ : " فأقام يوسف عليه السلام يدبر ملك مصر كيف شاء ، وجاءت سنى الخصب فأخذ يوسف غلاتها فخزن أكثرها فى سنابلها ، واشترى الغلات الجسيمة ، وأكثر غلات الناس ، وخزن من ذلك ما لا يحصر قدره . ثم جاءت سنى الجدب وبدأ النيل فى النقصان ، فكان ينقص فى كل سنة أكثر نقصانا فى السنة التى قبلها ، فغلا السعر حتى بيع المأكول بالجوهر والمال والثياب والآنية والعقار ، وكاد أهل مصر أن يرحلوا عنها لولا تدبير يوسف عليه السلام ".(٢)

ويذكر لنا " عنخ تيفى " الذى كان حاكما على أقاليم الفنتين وأدفو وأرمنت والذى كان معاصرا لملوك الأسرة التاسعة فى اهناسيا ، فى نقوش مقبرته بالمعلا (بين الأقصر واسنا) بأنه كانت هناك مجاعة فتكت بالصعيد ولم ينج منها غير إقليمه لأنه ساعد الناس ، وكان يوزع عليهم الحبوب ، وحمى الضعفاء من الأقوياء حتى مرت تلك المحنة بسلام .(٣)

وهناك نص يخص شخص يدعى " آتى " كان يعمل مساعد لأحد رؤساء بيت المال فى عهد منتوحتب الأول يقول فيه :

" أنه أحيى منطقة الجبلين فى سنوات قل الخير فيها وتعطل فيها أربعمائة عامل ، وأكد أن نفسه أبت عليه أن يستغل ابنة فقير أو يغتصب أرضه ... وسد كفاية

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٦١ .

(٢) المسعودى : أخبار الزمان (ومن إبادة الحدثان) وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨٣ ، ص ٢٦٢ .

(٣) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ١٩٦ ؛ Vandier, La famine de L'Égypte Ancienne, p. 105 .

الجبلين بالغلال ، وأفاض ما بقى من غلاله على منطقة إسنا " .(١)

ويذكر رجل اسمه " أميني " ، الذى كان حاكما على إقليم الوعل فى مصر الوسطى ، فى عهد سنوسرت الأول ، الأسرة الثانية عشرة ، فى نقوش مقبرته ببنى حسن بأنه : " عندما تعاقبت سنوات القحط اشرف على استغلال إقليم الوعل من جنوبه إلى شماله وكفل الحياة لأهله ووفر لهم الأقوات فقل بينهم المحتاج وأهدى الأرملة كما أهدى ذات البعل ولم يميز عظيما على فقير فيما أعطاه ، وعندما عادت الفيضانات العالية وازدادت المحاصيل وتوفر كل شئ تجاوز عن متأخرات ضرائب المزارع " .(٢)

وفى النص رقم (٢٠) من محاجر حاتنوب ، يقال عن حاكم إقليم الأرنب نهرى ابن كمن (من الأسرة العاشرة) : " انه جعل مدينته تعيش ، أثناء سنوات النيل المنخفض ، الذى كان يمولها ، بينما كان لا يوجد بها أى شئ " .(٣)

وفى نص على لوحة لشخص يدعى تحوتى (الأسرة الحادية عشرة) يقول : زودت بالمؤن معبد آمون أثناء سنوات البؤس " .(٤)

وفى نص على لوحة حور حرخوف إف (الأسرة الثالثة عشرة) يقول : " أعطيت الخبز للجائع ، والملبس للعارى ، ونعلا لمن لا يملك واحدا ، وأعطيت الحبوب للبلاد كلها ، وأنقذت مدينتى من المجاعة " .(٥)

---

(١) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٥٦ حاشية (٧) ؛ وأيضا : Vandier, op. cit., p. 106; Breasted, Ancient Records I, p. 459.

(٢) Newberry, Beni – Hassan I, p. 23 – 24, p. 8; Vandier, op. cit., p. 114; Maspero, RT (1879), p. 171 – 174; Erman, L'Égypte des Pharaons, p. 134.

(٣) Vandier, op. cit., p. 103.

(٤) Id, op. cit., p. 109.

(٥) Id, op. cit., p. 115.

وعلى الرغم من هذه المحن التى حدثت على فترات متفاوتة لم يترك المصرى القديم أرضه ووطنه وهاجر إلى مناطق أخرى . فكان لديه شعور الانتماء هذا حتى ولو اضطرته الظروف للخروج خارج وطنه كان هذا الشعور لا يموت فى قلبه بل يظل حيا حتى يعود مرة أخرى ، كما فى قصة " سنوهى " وقد ناله عفو شامل عن هروبه الذى اتسم بالتهور قبل ذلك بأعوام كثيرة ولقيته عند الحدود بعثة ملكية محملة بكافة الأشياء الطيبة . وعند وصوله إلى العاصمة اقتيد وهو فى وعثاء السفر إلى الحضرة الملكية حيث رحب به الملك بكلمات قليلة عطوفة : " ثم قال جلالته للزوجة الملكية هاك سنوهى الذى أقبل كعام من نسل قوم ستيو (أى الآسيويين) فصرخت عاليا وهكذا فعل كل الأطفال الملكيون بصوت واحد " وقالوا لجلالته : حقا أنه ليس هو . وقال جلالته : بل أنه هو .. هو حقا " .(١)

وكان المصريون القدماء يقاسون مرارا من هذه الكوارث وخاصة القحط نتيجة لعدم فيضان النيل ، وأشاروا إلى ذلك فى نصوصهم من عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى – الرومانى .(٢) والشئ ذاته نجده فى بلاد النهرين . فقد عرفت هذه المنطقة فترات مشابهة من الجفاف والقحط فى عصورها المختلفة نتيجة لانخفاض منسوب المياه فى مجرى دجلة والفرات فى وقت الفيضان ، ولم يفكر أهل بلاد النهرين فى الهجرة .(٣)

وحسبنا أن المقريزى ، شيخ المؤرخين المصريين فى العصور الوسطى ، ألف كتاب : " إغاثة الأمة بكشف الغمة " بحث فيه المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م) ، فتقصى أسبابها ، وأشار إلى الأساليب الممكنة لعلاجها .(٤) ففى القرن الأول الهجرى ، حدث قحط فى سنة سبع

---

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة : د. نجيب ميخائيل ، ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٦٣ .

(٢) Vandier, la Famine dans l'Egypte Ancienne, p. 99 – 149 (les textes).
كما درس فانديه أسباب المجاعة : فيضانات ضعيفة أو قوية جدا ،أو حرب أهلية ، وكيفية مواجهتها (Id., op. cit., p. 45 – 58)

(٣) د. لطفى عبد الوهاب : العرب فى العصور القديمة (مدخل حضارى فى تاريخ العرب قبل الإسلام) الإسكندرية ، ص ٧٢ – ٧٣ .

(٤) الأعمال الكاملة لعلى مبارك ، المجلد الثالث ، دراسة وتحقيق د. محمد عمارة : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١ ، ==

وثمانين هجرية فى ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان . وحدثنا عبـــد اللطيــف البغدادى صاحب كتاب " الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحــوادث المعاينــة بأرض مصر " الذى ألفه حوالى سنة ١٢٠٠ ميلادية ، عن مجاعة أصابت مصر أيـلم العادل سيف الدين الذى تولى الحكم عام ٥٩٦ هـ (١١٩٩م) ، نتيجــة لانخفــاض مياه النيل وانتشرت المجاعة لمدة عامين متوالين .(١)

وفى عهد الخليفة الفاطمى المستنصر قصر النيل فى فيضانه مـــدة خمــس سنوات فهدد البلاد بالمجاعة وامتد الجوع إلى سنة ٤٦٤ هـ . وكـــان أشـــده ســنة ٤٦٢ هـ ، ثم توالت القلاقل التى اقتضت الإسراف فى الحبوب المخزونة ، ونـــدرت الحنطة وبلغ ثمن الأردب الواحد مائة دينار ورافق هذا الغـــلاء وبـــاء مكــث ســبع سنين .(٢)

ساعدت الصحارى التى تحيط بالبلاد من الشرق والغرب وبعض المنـــاطق فى الجنوب ، على عملية الاستقرار ، فعلى نحو ما كان النيل أبـــا حانيـــا لحضـــارة المصريين القدماء ، على الرغم من الجبروت الظاهر لفيضانه ، وعلى نحو ما كـــانت الأرض الزراعية أما لهذه الحضارة ، فإن الصحارى كانت بمثابة الدرع الواقى .

فكانت هذه الصحارى بمثابة الأسوار الطبيعية ، فقد أدى اتساعها وانتشـارها إلى التقليل من استخدامها سبيلا للغزوات الخارجية التى يمكن أن تهدد اسـتقرار وادى النيل وجعلت حضارة مصر بمنأى عن المؤثرات الأجنبية ، فكانت بمثابـــة الجـــدران

== ص ٢١ وحاشية (١) ؛ د. زكى حسن : الرحالـــة المســلمون فـــى العصـــور الوسطى ، دار الرائد العربى ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ ، ص ١١٣ .

(١) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها (٩٦٩ – ١٨٢٥) من جوهـر القائد إلى الجبرتى المؤرخ ، الدار المصرية للتأليف والترجمـــة ، ١٩٦٦ ، ص ٧٤ .

(٢) الأعمال الكاملة لعلى مبارك : المرجع السابق ، ص ٢١ ؛ د. عبـــد الرحمــن زكى : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

الخارجية للوعاء الذى تتفاعل بداخله كل مقومات الحضارة المحلية ، كما ساعدت على تطور الحياة فى الوادى وعلى تقدم الحضارة التى كانت تنعم بفترات استقرار طويلة لم تعرفها الكثير من حضارات العالم القديم . ولهذا كانت لهذه الصحارى آثارها البعيدة فى حياة السكان ، فالصحراء الوعرة المترامية الجافة أجبرت الإنسان على تركيز جهوده فى الوادى والاستقرار فيه . وهذا ما أبرز غنى الوادى الأخضر . وعلى الرغم من قسوتها ، فإن هذه الصحارى وما بها من مرتفعات ، أعطت للإنسان المصرى مقومات حضارته المادية ، نتيجة لوفرة المعادن فى محاجرها وكثرة ما بها من أحجار متنوعة ، كما استطاع الإنسان المصرى أن يستغل رمال الصحراء وجفافها فى جهة الغرب فى المحافظة على رفات موتاه .[١]

المناخ المعتدل نسبيا والبعيد ، والقسوة ، أو التقلب المستمر ، أو صراع الظواهر الطبيعية ، فكان ذلك واقعا لنشاط الإنسان المصرى القديم الإيجابى فانصرف هذا الإنسان إلى الاستقرار وعمران الوادى . ولم ينصرف مجهوده إلى الدفاع عن نفسه من ظروف مناخية قاسية ، أو صعبة أو متغيرة ومتقلبة ، مما أتاح المجال أمامه لما يمكن أن نسميه بالتأثير والتأثر بين هذا الإنسان وظروف البيئة التى تحيط به ، أى التغلب على صعوباتها تارة ، والانتفاع بمميزاتها تارة أخرى ، ومن ثم كانت الإنجازات الحضارية .[٢]

وهكذا بفضل الموقع الجغرافى المتوسط ، وتوفر عدد كبير من المواد الأولية فى أرض مصر ، وجريان نهر النيل وتوافر مياهه وطميه ، ووفرة الأرض الزراعية ، واستقامة أرض الوادى ، ووجود الصحارى الحامية ، وتوافر المناخ المعتدل ، انطبعت مظاهر الحضارة المصرية القديمة بطابع الاستقرار والاستمرار .

وقد اعتقد بعض العلماء الأجانب أن هذه الحضارة كانت دخيلة على أرض مصر ومن صنع أو نتيجة ثقافة سكان أجانب دخلاء على مصر ، ولكن من خلال ما

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣ .

(٢) د. لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

استعرضناه يمكن القول بأن هذه الحضارة ولدت ونشأت على أرض مصر وتطورت على أيدى الإنسان المصرى القديم ، الذى كان أكثر إدراكا ومعرفة وفهما بظروف بيئته وما فيها أكثر من غيره ، فهى بالضرورة حضارة مصرية نيلية المولد وزراعية النشأة ، ولهذا تميزت بالاستقرار والثبات وعدم التنقل أو الهجرة .

واننا نعيش فوق تلك " الأرض المحبوبة " على حد تعبير المصريين القدماء ، وليس فى تلك الحقول الخضراء شبر واحد لم يمتزج ثراه بعرق أولئك الأجداد البعيدين جيلا بعد جيل منذ آلاف السنين .

وهذا النيل المبارك المعطاء ، ما زال يسير بين الشاطئين كما فعل منذ مئات القرون .(١)

(٤)

تأثير عناصر البيئة وظواهرها على طبيعة ومجهود الإنسان المصرى القديم

تقوم الأبحاث العلمية الحديثة بالكشف عن تأثير محيط البيئة على المجتمع الإنسانى وما يحيط به . وقد اعتقد اليونانيون فى هذا التأثير . وقام عالم الطب الشهير " هيبوقراط " بتقسيم سكان المناطق المرتفعة مثلا إلى طول قامة ، ذوى الشجاعة وطابع هادئ . وسكان البلاد القليلة الأشجار بدون مياه إلى عصبيين ، شديدى المراس .(٢)

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ ، ص ٤٥ .
(٢) أكبر علماء الطب ، ولد فى جزيرة كوس فى اليونان فى حوالى ===

وقد شعر هيرودوت نفسه بكل هذه المميزات للبيئة المصرية ذلك عندما زارها فى القرن الخامس ق. م . وقد كتب فى بداية تاريخه : " أن المصريين الذين يعيشون فى جو فريد ، على حافة نهر يمتاز عن بقية الأنهار الأخرى ، كانت لهم معتقدات فى كل الأشياء والمجالات تقريبا ، وعادات وتقاليد على اختلاف الشعوب الأخرى ."[1]

وكان من الأفضل لنا ، أن نتعرف على مدى تأثير الطقس الصحراوى على الإنسان المصرى نفسه ، وللأسف الشديد أن مثل هذه الدراسة الخاصة بتأثير الطقس على جسم الإنسان ، لا زالت فى مرحلة أولية .

وقد تناولت بعض الدراسات الحديثة إظهار مدى تأثير الرياح والرطوبة والرعد على تكوين جسم الإنسان ، وبينت أن الطقس قد أدى دورا هاما وضروريا فى تكوين وتطور أهل المجتمع الإنسانى ، ويقول سور[2] :

" أنه ليس هناك أية مجموعة من البشر قادرة على الاستقرار فى مكان ما مع المحافظة كلية على صفاتها العامة وتكوين سائر أعضاء أجسامها " .

= عام ٤٦٠ ق. م. وتوفى عام ٣٧٣ ق. م . واهتم بدراسة بعض الأعضاء الداخلية فى جسم الإنسان ، راجع : Petit Larousse, Paris (1967) (1423)

(١) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على ، دار النهضة العربية – بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١ ؛ Herodote – Thcydide, Oeuvres Completes, texte presenté, traduit et annoté par A. Barguet, Paris (1964), p. 155 (35).

(٢) هو مكسليان سور : أستاذ الجغرافيا بجامعة السربون فى الفترة من ١٩٣٠ – ١٩٤٠ ، راجع : Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 22.

ويناقش سور الدور الذى تؤثر فيه بعض الظواهر البيئية على تكوين جسم الإنسان مثل : " شدة الضوء ، انخفاض الضغط ، جفاف الهواء فى المناطق المرتفعة ، شدة الرياح فى المناطق الساحلية " . وعلى ذلك فإن التأثير الذى أحدثه الطقس الفريد على إنسان وادى النيل ، من الأفضل أن يدرس بمزيد من الاستفاضة والاهتمام بواسطة عالم طبيعة ، أجدى مما لو تدارسه مؤرخ .

ولكن على الرغم من ذلك نستطيع أن نقول أن عناصر البيئة الستة التى ذكرناها قد أثرت بفاعلية على طبيعة الإنسان المصرى القديم نفسه ، فقد أكسبت هذه العناصر من : موقع متوسط ومتميز أعطى للبلاد حدودا طبيعية محصنة ، وفرة التكوينات الصخرية ، ووفرة مواد البناء والتشييد ، جريان النيل الخير بمياهه المتجددة الفائضة ، والذى يجئ بالفيضان المحمل بالغرين الغنى ، ووجود أرض الوادى الطويلة الخصبة والواحات الغنية بمواردها ، والصحارى المترامية الجافة ، توافر المناخ الجاف والمعتدل ، والشمس الساطعة التى لا تغيب إلا لتشرق من جديد فى الصباح .

للإنسان المصرى القديم عدة صفات شخصية عرف بها وهى :

الطبيعة السمحة الخيرة : التى اكتسبها من سهولة الحياة على ضفاف النيل ووفرت الخيرات فى أرض مصر ، وما تمتاز به البيئة من مباهج الحياة[١] وجعلته يغلب الخير على الشر .

طابع الهدوء : أصبحت هذه الصفة من أهم سمات الإنسان المصرى القديم طوال عصوره التاريخية ويتعجب بعض المؤرخين من استقرار شعب مصر وهدوئه والذى يعتبر " أقل الشعوب ثورة وتمردا " .[٢] فالموقع الجغرافى جعل المصرى

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ١٩٦٥ ، ص ١ – ٢ .

(٢) Vercoutter, op. cit., p. 18 .

القديم يشعر بالطمأنينة وبأنه فى بلاد آمنة ذات موقع ممتاز محمى بفضـــل حـدوده الطبيعية .

<u>الإحساس المرهف الرقيق</u> : ويتضح هذا الإحساس فيمـــا أخرجـه الفنـان المصرى القديم من رسوم ونقوش ونحت ، ونجدها جميعا خالية من عنصر العنف أو القسوة . ويظهر هذا الإحساس المرهف وذلك المنظر المنقوش على تـابوت إحـدى ملكات الدولة الوسطى ، وهو يمثل حلب بقرة بواسطة عامل أو مزارع ، وقد ربـط صغيرها فى إحدى ساقيها الأماميتين ، ليزداد إدرارها للبن ، ولكـن البقـرة تبكـى لإدراكها أن اللبن لن يكون من نصيب وليدها ، وقام الفنان بنقش قطرة من دموعـها تنساب من عينها اليمنى .[١]

<u>النشاط في العمل</u> : وقوة العزيمة والصبر ، فلم يعرف المصرى القديم الملل ولم يركن إلى الراحة ، فقد شيد بنشاطه الجم وقوة عزيمته صرحا من الآثار الماديـة ظهر أن الزمن عجز عن محوه محوا تاما . وأقام هذا الصرح مـن الآثـار بأبسـط الوسائل المادية والمعدات مما يصعب تحقيقه فى عصر الآلة والتقدم التكنولوجى فـى عصرنا الحالى .[٢]

وتلك العزيمة والصبر كانتا من سماتهم منذ أقدم العصور حتـى آخرهـا . وليس أمامنا إلا أن نعجب بما أخرجوا من أعداد لا تحصى من الأوانى الجميلة مـن مختلف أنواع الأحجار وأصلبها فى عصور ما قبل الأسرات . وبدايـة الأسـرات[٣] والتى أخرجت فى دقة واتقان بالطين . وليس أمامنا أيضا إلا أن نحنى رءوسنا إجلالا

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجـزء الأول ، شكل ٣٠٤ ؛ وأيضا د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصـر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ١٠٤ ؛ Saleh – Sourouzian, Official Catalogue : The Egyptian Museum Cairo, no. 68 (c) .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمـة ، ص ٤٨ ؛ د. أحمـد فخـرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٣) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

وتقديرا أمام تلك المنشآت المعمارية الضخمة التى أقامها المصريـون القدمـاء منـذ عصور الدولة القديمة والممثلة فى أهرام الجيزة . وخاصة إذا علمنا أنهم لم يستخدموا فى إقامتها سوى العقل والزلاقات ، وبناء الجسور من الطوب اللبن[١] وليس أدل على وصف هذه القدرة إلا ما قاله الأديب والشاعر الأندلسى أبو الصلت أمية الذى وصـل إلى الإسكندرية فى عام ٤٩٨ هـ (١٠٩٥ – ١٠٩٦ م) ثم جـاء إلـى القـاهرة ، وكتب عندما شاهد الأهرام :

" وأى شئ أعجب وأغرب من مقدرات الله ومصنوعاته ، من القدرة علـى بناء جسيم من أعظم الحجارة ... فى غاية من حسن التقدير بحيث لـم يتـأثر أبـدا بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل " .[٢]

ولعل فى الكلمات التى وجهها الملك خيتـى الثـالث (أو الرابـع) لابنـه مريكارع من العصر الاهناسى ما يشير إلى هذه العزيمة والحرص على العمل بجديـة ونشاط فهو يقول له :

" احترم حياة مملوءة بالنشاط ... ولعل يدك لا تصبح عاطلة ، ولكن أقبـل على عملك منشرحا ، فالتراخى يقضى على السماء نفسها " .[٣]

ومما يؤكد هذه الروح هى القصة التى سطرها لنا أحد حكام الأقاليم الـذى يحكى فيه قصة اشتراك أهل مدينته جميعا طواعية لسحب تمثال له بلغ وزنه حوالـى ستين طنا وأراد إدخاله داخل المقبرة المعدة له ، وكان بين الناس المتطوعين لسـحب هذا التمثال رجلا هرما ، الذى كان يستند على كتف طفل صغير ، ويقـول تحوتـى

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) د. عبد الرحمن زكى : القاهرة تاريخها وآثارها ، ص ٤٧ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجـزء الأول ، طبعـة ٢٠٠١ ، ص ٦١٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـد الأول – الجزء الأول ، شكل ٣٢٧ .

نخت فى نصوص مقبرته تعقيبا على ذلك :

" لقد كانت شجاعتهم كبيرة ، وأصبحت سواعدهم أكثر قوة ، وبذل كل واحد مجهودا يعادل ألف رجل " .(١)

وليس أمامنا إلا أن نعجب كذلك بتلك المقابر الملكية المحفورة فى الصخر وخاصة منطقة البر الغربى فى طيبة ، والتى تتكون من غرف ودهاليز وممرات مستقيمة تارة ، وملتوية تارة أخرى ، وقد يصل طولها إلى أكثر من مائة متر فى باطن الأرض ، وتؤدى فى النهاية إلى حجرة الدفن .(٢) وكذلك المعابد المنحوتة فى الصخر فى بلاد النوبة ، وعلى رأسها معبدى أبو سمبل من عهد رمسيس الثانى . وتحقيقهم لمثل هذه الأعمال الشاقة ، سمح لهم بالعمل فى مجموعات متآزرة متعاونة . وكانت السبب فى تعارفهم وتواردهم . وكانوا يؤدونها أيضا بنوع من التقوى والحيوية الغير مألوفة ، والغير معروفة عند أهل المجتمعات الأخرى فى الحضارات المجاورة أو البعيدة . وهى أعمال اشترك فيها العديد من العمال والحرفيين ، والبنائين ، والمهندسين المصريين القدماء .

الخيال الخصب : ويظهر ذلك فيما أخرجه الكاتب المصرى القديم من إنتاج (أو نتاج) أدبى غزير نلاحظ فيه تأثير البيئة بما فيها من مظاهر طبيعية جميلة .

الاعتدال فى المزاج ، وحب الوطن والدفاع عنه ، والميل إلى التطور فى أسباب المعيشة ، والبعد عن حياة الهمجية والضراوة والعنف . الشدة عند مواجهة الأخطار ، فتعلم المصرى القديم عند مواجهته لفيضان النيل الزائد كيفية مواجهة المحن والأخطار فى حياته ، ومحن الغزوات الأجنبية التى تعرضت لها البلاد طوال تاريخها التى قاومها بشجاعة ، وسواعد فتية ، وبإصرار شديد نابع من قوة إيمانه بقيمة أرضه وبقيمة ما أنجزه من مظاهر حضارية .

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 77 – 78.

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٤٢٨ .

الباب الثانى

نشأة الحضارة المصرية القديمة

كان لتوسط الموقع الجغرافى وتوافر المواد الصخرية والحجرية والمواد الخام فوق سطح وفى باطن الأرض الصحراوية ، وجريان النيل بمياهه وطميه ، وتوافر التربة الزراعية ، ووجود الوديان والواحات والصحارى المترامية ، واعتدال المناخ ، أثره الكبير فى البناء الحضارى وظهور معالم العمران المصرى القديم . فكل هذه العناصر بدون مجهود الإنسان لا قيمة لها . لذلك ارتبطت مظاهر الحضارة المصرية والعمران المصرى منذ البداية بهذه الظروف البيئية وتلك العوامل الجغرافية ومجهود الإنسان المصرى نفسه .

ومهما قيل أو اعتقد بعض العلماء فإن هذه الحضارة كانت دخيلة على أرض مصر ومن صنع عناصر أجنبية دخيلة على مصر (١) ، فإن هذه الحضارة قد ولدت ونشأت على أرض مصر وتطورت على أيدى الإنسان المصرى القديم ، الذى كان أكثر إدراكا ومعرفة بظروف بيئته وما فيها أكثر من غيره ، فهى بالضرورة حضارة مصرية المولد والنشأة والتطور من صنع ومجهود وتفكير الإنسان المصرى.

وقد تحدث بعض العلماء أيضا عن هذه العناصر الفريدة للحياة على ضفاف النيل ناسين أن هذه العناصر ليست إلا نتيجة لمجهود الإنسان المصرى الذى روى الأرض وأعدها للزراعة وأقام عليها مساكنه وشيد قراه .(٢)

وعلى الرغم من ذلك فقد ظل البعض الآخر يردد ما قاله هيرودوت بأن

---

(١) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 6-7 .

(٢) Id., . op. cit., p. 14 – 15 .

مصر هبة النيل " (١) . ولكن إذا كان النيل قد أعطاها المياه والطمى فإن إعداد الأرض فقد ساهم الإنسان المصرى القديم بمجهوده الوافر فى وضع أسس هذه الحضارة وذلك منذ أن أصبح الوادى صالحا للسكنى ، ولم يحدث أن جفت الصحراء مرة واحدة ولكن كان ذلك على مراحل متتالية .

وبدأ جزء من السكان الذين كانوا يعيشون على الهضبة الصحراوية ويعيشون فى البداية على جمع النباتات والتقاط الثمرات والصيد والقنص ، يستقرون حول مناطق المياه وخاصة بالقرب من الوادى .(٢)

وقد ساهم هؤلاء السكان الأوائل فى استيطان الوادى بصفة مستمرة ، وإلى هذه الجماعات أو السلالات البشرية الأولى ، المكونة من عناصر مختلفة ، ينتمى أصل الشعب المصرى فى العصور التاريخية .

(١)

العمران المصرى القديم والتجارب التى مر بها الإنسان المصرى القديم

فرضت عوامل الطبيعة على السكان الأوائل طابع التجمع والعمل المشترك . فالاستفادة من مياه النيل وتنظيم الوسائل للاستفادة من فيضانه كانا يتطلبان مجهود الجماعة وليس الفرد . فكان من الضرورى حفر الترع وشق القنوات وقياس ارتفاع منسوب المياه ، وتوزيع المياه فى أحواض ، كل ذلك يحتاج إلى جهود الجماعة . وكما كان الفيضان مصدرا للخير ، كان أيضا مصدرا للخطر وكان يهدد حياة السكان أحيانا فكان عليهم إقامة الجسور للحد من خطورته . وفرض هذا العمل

---

(١) حرفيا : هبة النيل : ، راجع :
Vandier , la Famine dans L'Égypte ancienne, Paris (1936), p. XI (introd) n. 5 = Barguet , Herodote – Thucydide d'Athenes, Paris (1964) , p. 143 (5) = Herodote 11,5 .

(٢) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٥ .

الجغرافى على السكان طابع التجمع للبحث عن مأوى بعيـــدا عــن تــأثير أخطــار الفيضان ، مع عدم فقدان الكثير من الأراضى الصالحة للزراعة . وابتداء مــن هــذه اللحظة بدأ الإنسان يعيش بفضل إنتاجه ومجهوده يديه . فأســتغل المنــاخ الصــالح والأرض الخصبة ووفرة المياه وتوصل إلى معرفة الزراعة . وكما اعطتـــه البيئــة الأرض الصالحة للزراعة ، أعطته أيضا الأرض والمواد لتشييد مسكنه . وكان عليــه أن يختار الموقع الذى يستقر فيه والأكثر ملائمة له [١] . فكــان يتجنــب الأراضــى المنخفضة ، سواء فى الوادى أو فى الدلتا ، نظــرا لانتشــار المســتنقعات وكــثرة الحيوانات المتوحشة التى تعيش فيها ، ولذلك كان يختار المواقع المرتفعة ، بعيدا عــن المستنقعات وبعيدا عن خطر الفيضان السنوى ، ويمكن الدفاع عنــها . ولــهذا شــيد المصرى القديم مسكنه فى قــرى علــى أطــراف الأراضــى الزراعيــة المتاخمــة للصحراء . وذلك بسبب عدم استطاعته إقامة مسكنه فوق هضبة او تل مرتفع لعــدم وجود مثل هذه الهضاب المسطحة فى البيئة . ومن هنا جاء ارتباط المصرى القديــم بموطنه الصغير الذى شيد فيه مسكنه وتركزت حوله جهوده ونشاطه .

كم اهتم المصرى القديم أيضا ببناء مسكنه بالقرب من مصــادر الميــاه إن أمكن ، وبالقرب من طرق المواصلات البرية والنهرية ، وعلى مواقع مــن الســهل الدفاع عنها ضد أى اعتداء خارجى ويستطيع أن يراقب منها الطرق والمسالك .[٢]

وقد ساعدت العناصر المادية الموجودة فى البيئة الإنسان المصــرى القديــم على الاستقرار ، فإلى جانب وجود التكوينات الصخرية والأحجار المتنوعة التى سبق ذكرها ، كان يوجد أيضا طمى النيل ، وأعواد نبات البردى الذى كان ينمو بكثرة فــى أحراش الدلتا ، وأعواد الغاب أو البوص والسمار . كما استخدم فروع وجذوع بعــض

---

(١) وقد بدأ الإنسان المصرى القديم التأثر بالبيئة الطبيعية فــى اختيــاره لمواضــع محلاته وسكناه فى عصور ما قبل التأريخ ، راجع : د. مدحت جابر : بعــض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية القديمة ، ص ٦١ ؛ د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢ .

الأشجار مثل الآثل والجميز والنخيل فى بناء عمارته الأولى .[١]

ويمكن القول ايضا بان عوامل الاستقرار قد توافرت أيضا بفضل وجود حكومة مركزي تستطيع ان ترعى شئون الرى وتنظيم وتوزيع المياه . وفى الواقع أن الصورة الكاملة لمجهود الإنسان فى البيئة لا تتم إلا بمعرفة ما كان يقوم الإنسان بزراعته أو يستخدمه ويستأنسه من حيوان .

معرفة الزراعة : انتقل الإنسان من مرحلة الإنبات الطبيعى إلى مرحلة الاستنبات المصطنع فبعد أن قلت الأمطار فى الصحارى المجاورة ، وحل الجفاف فى آخر العصر الحجرى الحديث حلت بالتدريج الظروف التى ألزمت الإنسان بمعرفة الزراعة وأصبحت الزراعة المتوسعة هى حرفة السواد الأعظم من الشعب رغم ان الفيضان خلال شهور أخريات الصيف كان عائقا مؤقتا دون ذلك مما حول نشاط العاملين إلى مجال العمارة والصناعات اليدوية . ولقد كان طمى النيل الكثير سببا لخصوبة شديدة ولكن الإفادة منه لم تكن تتم إلا عن طريق الكد الذى تلهبه الحماسة فلا يفتر . ويبدأ الحرث والبذر بمجرد انخفاض المياه .

ونستطيع أن نقول أن ثروة مصر في النباتات الطبيعية فى أواخر عصور ما قبل التأريخ كانت تتكون من الحشائش التى ترعاها الماشية والأغنام فى شمال الدلتا وكذلك البردي وبعض النباتات المائية التى استغلها الإنسان فى مختلف أغراضه ومنها إقامة الأكواخ وصناعة الحصير وورق البردى فيما بعد . واستطاع ان يخرج من الأرض ، التى كانت مهملة لا تخرج إلا الحشائش والأشجار ، أصناف النباتات النافعة الكثيرة ، فكان منها نبات الحبوب التى تمس إليها حاجة القوت ، وأشجار الفاكهة ، ثم حول الأرض المغطاة بالبحيرات والمناقع إلى أرض زراعية صالحة .

واستطاع الإنسان أن يحسن استنبات كثير من النباتات التى وجدها تنمو طبيعية فى واديه وصحاريه المجاورة .

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤١ .

وبفضل الموقع الجغرافى المتوسط أمكن للإنسان المصرى القديم ان يتصل بالشعوب التى تحيط به فى البلدان المجاورة ، ونقل عنها معرفة زراعة بعض النباتات والبذور من المناطق الشرقية او الشمالية أو الجنوبية .

كما انه تعلم من شعوب هذه المناطق أيضا تربية واستئناس بعض السلالات الحيوانية . ويبدو أن الشعير والقمح كانا من أقدم نباتات الحبوب المزروعة فى وادى النيل . فقد كشف عن بعض حبوب الحنطة والشعير بين آثار العصر الحجرى الحديث فى الفيوم ، وكذلك على حبوب الشعير فى حضارة العمرى . ويبدو أن الإنسان المصرى قد عرف الشعير من شمال شرق أفريقيا (١) . أما . أما القمح فقد اكتشفت حبوبه أيضا بين آثار العصر الحجرى الحديث . ومن المرجح ان يكون وطنه الاصلى غرب آسيا وجنوبها الغربى ، فقد وجدت بعض أنواعه تنمو وتتكاثر برية فى منطقى جبال إيران والأناضول . وكذلك المنطقة الجبلية إلى الغرب من حوران (جنوب غرب سورية وشمال فلسطين) وأيضا الذرة الأفريقية ، الذى عرف استنباته فى جزء ما من شرق أفريقيا فى حوالى بداية العصر الحجرى الحديث أو بعد ذلك بقليل ، ثم انتشرت زراعته فى مصر بعد ذلك . ويمكن القول بان مساحة الأراضى المزروعة فى الوادى فى عصر ما قبل الأسرات حتى عصر الدولة الوسطى كانت فى حدود ٨٠٠٠ كم^{٢} .(٢)

أما أشجار الفاكهة فالرأى السائد الآن ان حوض البحر المتوسط هو الموطن الأصلى لكل من الكروم والزيتون وخاصة الساحل الشمالى من أفريقيا ومن هناك انتقلا إلى دلتا مصر وساحل مريوط . ويغلب على الظن ان يكون شرق البحر المتوسط هو موطن التين ، وأن يكون جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا موطن نخيل التمر التى استغلها الإنسان . وكان لهذا النبات اثره فى فن العمارة وتقليد عناصره فى النحت .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥ ، ١٨ ، ٢٤- ٢٥.

(٢) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص٢٦ .

ومن النباتات التى عرفها الإنسان المصرى فى العصر الحجرى الحديث او بداية المعادن البقول والحضر وبعض الأشجار كالجميز والسنط وغيرها من أشجار البيئة المصرية القديمة .

ويلزم معرفة الزراعة معرفة أدواتها ، فالفأس الحجرية عرفت فى أواخر العصر الحجرى القديم واستخدمت فى الزراعة منذ العصر الحجرى الحديث . ولكنها تطورت وأصبحت فأسا معدنية فى أوائل عصر بداية الأسرات ، ثم تطورت إلى المحراث التى تجره الثيران ، وقد بدأ باستخدامه منذ عصر الدولة القديمة تقريبا . وكان سلاحه من الحجر فى أول الأمر ، ثم اصبح من البرونز ثم من الحديد بعد ذلك وكذلك حل المنجل المعدنى محل المنجل الحجرى . واستخدم الشادوف منذ عصر ما قبل الأسرات او منذ عصر بداية الأسرات ، أما الطنبور والساقية فلم يظهرا إلا فى العصر البطلمى – الرومانى .[١]

وعثر فى حضارة الفيوم على مطامير للغلال ، منها ما كان مصنوعا من سلال من القش ، واستخدم اهل حضارة مرمدة بنى سلامة ، المطامير من السلال او الجرار الكبيرة من الفخار ، عثر فى حضارة العمرى على رحى كثيرة لطحن الحبوب إلى دقيق .[٢]

استئناس الحيوان : أما بالنسبة لاستئناس الحيوانات ، فقد عثر فى حضارة مرمدة بنى سلامة على بقايا حيوانات مثل فرس النهر والتمساح والسلحفاة ، وبقايا من الأسماك وعظام حيوانات مستأنسة مثل الخنزير ، والأغنام والماعز ، والأبقار والكلاب . وقد عرف البقر الأفريقى ذو القرون الطويلة منذ أوائل العصر الحجرى الحديث . ويبدو أن استئناس هذا الحيوان قد بدأ فى شرق أفريقيا . كذلك عرف أولئك

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ١٠ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٦ – ٢٨ .

(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ١٩٦٦ ، ص ٥٨ – ٦٠ .

السكان الأغنام بأنواعها المختلفة فى العصر الحجرى الحديث ، ولابد أن استئناس الأغنام كان معروفا أيضا فى شمال غرب أفريقيا . وعرف الإنسان الحمار منذ عصر ما قبل الأسرات ، وكان هذا الحيوان معروفا اصلا فى شمال شرق أفريقيا أو غرب آسيا .

ولم يعرف الجمل فى عصور الأسرات المصرية ولكن استخدامه فى الصحارى لم ينتشر إلا فى العصر البطلمي – الروماني [١] ، وهو من موطن الحمار .

أما الحصان فقد استؤنس أول المر فى داخل آسيا حتى ادخله الهكسوس إلى مصر فى حوالى القرن السابع عشر ق.م .[٢]

أى انه سعى لاستئناس بعض الحيوانات وذلك لتربيتها ، فتم له ما قصده منها من مساعدتها له فى خدمة الأرض وكثير من أعماله وأصبحت تحت تصرفه يخرج منها ما ينفعه فى قوته وملبسه .

---

(١) م . رسو فتزف : تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية (مراجعة م . فريزر وترجمة إلى العربية وراجعه زكى علي ومحمد سليم) ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ١٩٤ . يرى أن الجمل لم يكن معروفا فى مصر فى زمن العصور المصرية القديمة ، فهو يظهر لأول مرة ن فى أوائل عصر البطالمة . ففى المنزل رقم (١٣) المسمى بمنزل اوريليوس بتيس بتونا الجبل من العصر الرومانى ، نجد قبل الركن الأيمن للصالة الأمامية رسما بالحبر الأسود يمثل جنديا يحمل على كتفيه سيفا بينما يمسك فى يده اليمنى سوطا وبيسراه حبل ربط إلى جمل والجمل يحمل جرتين ربما للمياه ، راجع د. إبراهيم سعد : تونا الجبل ، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٩٩ ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٢) وليم نظير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ٤٥ – ٦٨ .

(٢)

تطور صور العمران على الأرض المصرية وظهور الأقاليم

ظهرت معالم العمران المصرى القديم عندما بدأ الإنسان فى استغلال مقومات وعناصر البيئة فأستغل الأرض والتربة وأصبحت الزراعة أساسا هى حرفة المصرى القديم المستقر فى الوادى والدلتا . وتطورت بعد ذلك معرفة هذا الإنسان للأدوات المستخدمة فى الزراعة منذ أواخر العصر الحجرى الحديث وما بعده [١] . وبدا الإنسان المصرى يواجه تذبذب مستوى فيضان النيل وأصبحت الأرض الزراعية مقسمة إلى مساحات مربعة طبقا لنظام الرى .

وبعد أن احترف المصرى القديم الزراعة والري اتجه إلى العمران والتجمع فى قرى صغيرة وتطور بمساكنه ، وتطورت القرى الصغيرة إلى قرى كبيرة وأصبح هناك نوع من النظام الإدارى ونشأت المحلات الحضارية الكبرى ثم المدن والأقاليم أو المقاطعات .

وهناك ما يدل على ان مصر فى عصور ما قبل التأريخ كانت مقسمة إلى عدة أقاليم أو مقاطعات وسمى المصرى القديم الإقليم باسم " سبات " وهى تعنى جزءا أو قسما من الأراضى الزراعية .

ومنذ البداية وضح الفرق بين الصعيد والدلتا فى التطور العمرانى وظهر ذلك فى عدد الأقاليم وحدودها التى كانت اكثر ثباتا عبر العصور التاريخية فى الصعيد منها فى الدلتا المتغيرة والمتطورة نتيجة تحول مجارى وفروع النيل واستصلاح

---

(١) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٨ .

الأراضى .[١]

وحاول بعض العلماء عمل جداول لتوضيح التوزيع العمرانـــى والمراكــز العمرانية فى مصر العليا ومقاطعة منف أو الجدار الأبيض أول مقاطعــات أو أقــاليم الدلتا ، ومن هذا التوزيع نستنتج انه كان هناك :

١٧ مدينة كبرى .

٢٤ مركزا حضريا .

٢٩ مركزا اصغر .

١٣٨ قرية كبيرة .

يضاف إلى ذلك ٧٠ مركزا جرى التنبؤ بوجودها ، وكذلـــك ١٧٠ قريــة كبيرة [٢] . وكانت هذه المدن والمراكز والقرى توجد فيها ما يسمى بالإقليم " نوم " .

ظهور الأقاليم :

كانت هذه الأقاليم تختلف كثيرا فى مساحتها بحسب المنطقة التى تقوم فيــها وظروفها الطبيعية . وكانت عاصمة الإقليم تمثل الخلية الأولـــى للتكويــن السياســى والإدارى والدينى . وكانت نشأة عاصمة الأقاليم ونموها مرتبطا بالأحوال الاقتصاديــة فى الأقاليم واستقرار الأمن فيه . وروعى أيضا التوازن بين حجم السكان وموضـــع العاصمة بحيث يكون ممكنا لسكان أقصى المناطق فى الإقليم المجئ إلى السوق فـــى العاصمة والعودة فى مدى نهار واحد [٣] . وذلك بإحدى طرق المواصلات المتاحـــة آنذاك ، وهى إما راجلا ، او بالدواب ، أو بـــالمواصلات النيليــة [٤] . وكـــان مـــن الأفضل ان تبنى صوامع الغلال فى عواصم الإقاليم والتى كانت لابد ان تتباعد علـــى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

مسافات مناسبة لحفظ وتخزين الحبوب .(١)

ويربط " بترى " بين تباعد المدن المصرية القديمة ، وبين توافر الفائض من الحبوب الذى أدى إلى تواجد أسباب القوة السياسية ، وظهور " حكومـــات المـــدن " وهناك قوائم بإماء تلك الأقاليم ، تبين لنـــا التقســيم الإدارى لكــل إقليــم ، والأرض المزروعة والملحة والصحراوية وحدودها ومساحتها بالذراع ، كما تبين لنا القنـــوات التى كانت تروى الأراضى الزراعية فى كل إقليم .(٢)

ومن هذه الأقاليم ظهرت مدن لعبت دور عواصم للبلاد ، وســـوف نـــرى أسماءها تتردد طوال فترات التاريخ وعصوره . وكان لكل إقليم رمزه الخاص بـــه ، ومعبوده الرئيسى ، ومعبوده الحامى له ، والرفات المقدس به .

جاء ترتيب هذه الأقاليم وعددها فى الدلتا مختلفا فى كل القوائم التى وصلت إلينا فى المعابد البطلمية ، خلافا لماعليه الحال فى الوجـــه القبلـــى ، وذلـــك نتيجـــة للمتغيرات التى طرأت نتيجة تحول مجارى فروع النيل واستصلاح الأراضى مما أثر على العمران وعدل من الحدود كثيرا .

ثبتت إقليم الوجه القبلى منذ الأسرة الخامسة وحتى العصر البطلمـــى علـــى اثنين وعشرين إقليما ، ولكن الوضع كان مختلفا بالنسبة لأقاليم الدلتا ، التـــى كـــانت حتى الأسرة الرابعة ، أربعة عشر إقليما ، ثم أصبحت فى الأسرة الخامســـة ســـبعة عشر إقليما ، وفى الأسرة الثانية عشر ستة عشر إقليما ، وفى عصر الدولة الحديثـــة زادت إلى ثمانية عشر إقليما ، ثم أصبحت فى الأسرة الخامسة والعشرين أربعة عشر إقليما ، وزادت فى الأسرة السابعة والعشرين إلى سبعة عشر إقليما ، وبلغـــت فـــى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢) مثل قائمة الملك سنوسرت الأول من الأسرة الثانية عشرة ، والتى عثر عليـــها منقوشة على الجدران الخارجية لمقصورته التى عثر عليـــها فـــى الكرنـــك ، راجع : Lacau – Chevrier , Une Chapelle de Sesostris I er a'karnak , p. 2 – 50 .

العصر البلطي حوالي عشرين إقليما .[١]

ويرى بعض العلماء إن تقسيم أقاليم مصر إلى أثنين وأربعين إقليمـــا فـــى العصر البطلمى – الرومانى فى قوائم معابد ادفو ودندرة واوبت وغيرها ، يرجع إلـــى عدد الجزاء التى قطع إليها جسد المعبود اوزير فى أسطورة الصراع بيـــن أوزيـــر وست ، أو إلى عدد القضاة الذين يجلسون مع اوزير أثناء محاكمة الموتى فى عـــالم الآخرة ، أو إلى عدد الكتب الدينية المقدسة التى كانت معروفة لدى المصريين القدماء وذلك طبقا لأقوال " كلمنت السكندرى " (فى القرن الثانى الميلادى) .[٢]

وتتكون أقاليم مصر العليا من اثنين وعشرين إقليما يمكـــن ترتيبـــها مـــن الجنوب إلى الشمال كالآتى :[٣]

الاسم المصرى القديم	العاصمة بالمصرية القديمة	الاسم الحديث
(١) تا – ستى [٤]	آبو	أسوان

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشـــرق الأدنـــى القديـــم ، الجـزء ه ، الحضارة المصرية ، ص ١٥٥ – ١٥٦ ، ١٦٨ – ١٧٩ ؛ وأيضا د. مدحـــت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمـــة ، ص ١٦ ؛ محمـــد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية فى عهد قدماء المصريين إلى سـنة ١٩٤٥ ، دار الكتـــب المصريـــة ، القـــاهرة ، ١٩٥٣ – ١٩٧ ، ص ١–٣ ، وأيضا :
Montet , La Géographie de L'Égypte Ancienne I , p. 20 ; Baines – Malek , Atlas of Ancient Egypt , London (1958) p. 15 .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٥٦ – ١٧٩ ؛ وأيضا :
Baines – Malek , op. cit., p. 15 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجـــزء الأول ، ص ١١٢ – ١١٣ ؛ Baines – Malek, op. cit ., p. 15 .

(٤) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المجلدان الســـادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٦٦٩ .

(٢) وثس – حور[١]	جبع	أدفو
(٣) نخن [٢]	خن	الكاب ، الكوم الأحمر
(٤) واست [٣]	واست	الأقصر
(٥) بيكو اونثرى [٤]	جبتو	قفط
(٦) ابتى [٥]	ايونت	دندرة
(٧) بات [٦]	باتيو(بات)	هو،على بعـــد ٥كــم جنوبى نجع حمادى
(٨) تاو – ور[٧]	ثنى	العرابة المدفونة
(٩) منو [٨]	منو	أخميم
(١٠) واجت [٩]	واجيت	كوم أشقاو

---

(١) المرجع السابق ، ص ٦٦٩ ؛ ويعطى د. انجلباخ : مدخـــل إلـــى علـــم الآثـــار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ن العـــــدد ٢٧ لعـــام ١٩٨٨ ، ص ٩٠ – ٩١ ، قائمة بـــ ٢٢ مقاطعة .

(٢) موسوعة المجالس القومية ن المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٦٠٩ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٥٧١ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٥٧١ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٥٧٢ .

(١١) شاى[١]	مركو	شطب
(١٢) جو – فت [٢]	برعنتى	البر الشرقى من أسيوط
(١٣) نجفت-خنتت[٣]	ساوت	أسيوط
(١٤) نجفت – بحتت [٤]	قسى	القوصية
(١٥) أونو [٥]	خمنو	الاشمونين
(١٦) ما-حج[٦]	حبنو	بالقرب من المنيا
(١٧) أنبو [٧]	حنو	القيس
(١٨) عنتى[٨]	دون عوى	الحيبة
(١٩) وابو [٩]	سبت مرو	البهنسة
(٢٠) نعرت – خنتت[١٠]	ننونسوت	إهناسيا المدينة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٤٩ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٤٩.
(٥) المرجع السابق ، ص ٥١٢ .
(٦) المرجع السابق ، ص ٥١١ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٥١١ .
(٨) المرجع السابق ، ص ٤٩٦ .
(٩) المرجع السابق ، ص ٥١١
(١٠) المرجع السابق ، ص ٤٩٥ .

(٢١) نعرت -بحتت	شنع خنوت	البر الغربى ، شرق أبو صير الملق
(٢٢) مدينت[١]	برايدت	أطفيح

أما أقاليم الدلتا فكانت تتكون من عشرين إقليما فى العصر البطلمى وهى :

(١) انب حج [٢]	انب حج	منف
	ومن -نفر	ميت رهينة
	وعنخ – تاوى [٣]	
(٢) أيوع[٤]	خم	أوسيم
(٣) ايمنتى[٥]	بربنت إيماو	كوم الحصن
(٤) نيت رسى[٦]	جقع بر	زاوية رزين على بعد ٥ كم جنوب غرب منوف

---

(١)المرجع السابق ، ص ٤٩٥ .

(٢)المرجع السابق ، ص ٣٠٩ – ٣٢٠ ، ٣٢٦ – ٣٣٦ .

(٣)أى التى تمد الأرضين بالقوت ، على أساس أن اوزير غرق فى هـذا المكـان ودفن فى منف ، ولهذا أصبحت أرض منف هى أخصب الأراضى المصرية من ناحية الإنتاج الزراعى ، راجع : د. بيومى مـهران : المرجـع السـابق ، ص ٢٥٩ ؛ د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فـى مفـردات اللغـة المصرية القديمة ، ص ٣٩ .

(٤)موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

(٥)المرجع السابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٦٣ – ٢٨٢ .

(٦)المرجع السابق ، ص ٢٢٣ – ٢٣١ ، ٢٣٥ .

(٥) نيت محت[١]	ساو	صا الحجر
(٦) جو خاسو[٢]	خاسو	سخا
(٧) واع امنيتى[٣]	واع امنيتى	العطف
(٨) واع ايبتى[٤]	ثكو	تل المسخوطة
(٩) عنجتى	جدو	أبو صير بنا
(١٠) ايح كم (أو كاكم)[٥] حوت تامرى أيب تل أتريب		
(١١) ايح حسب[٦]	----	بالقرب من هربيط
(١٢) تب - نثر[٧]	----	سمنود
(١٣) حقا - عنج	ايونو	المطرية
(١٤) خنت ايبت[٨]	بنو	صان الحجر
(١٥) تحوتى[٩]	برتحوتى وب رحوى	دمنهور
(١٦) حات محيت[١٠]	جدت	تل الربع ، تمى الأمديد

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٦ - ٢١٢ ، ٢٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٣ ، ٢٣٧ ، ٢٦٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٧٠ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٦١ ، ١٦٣ - ١٧٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٧٠ - ٧١ ، ١١٥ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ ، ٢١٤ .

(٨) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ١١٥ .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٧١ ، ١١٥ ، ١٢٣ - ١٢٩ .

(١٧) بحدت[١]	بحدت	تل البلامون
(١٨) امتى خنتى[٢]	باست	تل بسطة
(١٩) امتى بحتى[٣]	بوتو	تل الفراعين
(٢٠) سبدو[٤]	برسبدو	صفط الحنة

وبمرور الوقت اكتملت الخطوط العامة للمدن ونظمت فيها المباني العامة والمساكن والمباني الأخرى ، وأصبح هناك مجتمع يسمى بمجتمع المدينة المصرية القديمة ، وما كان يشمل كل مدينة من تركيب سكانى أو عرقى ، ونشأت العواصم المبكرة مثل بوتو فى الشمال ، ونخن فى الجنوب (هيرَاقونبوليس)، وإيونو التى يرجع تاريخها إلى حوالى عام ٤٢٤٠ ق. م . ومن العواصم التى لعبت دورا هاما فى السياسة بعد ذلك : منف، اهناسيا، وايثت تاوى (فى الفيوم)، وطيبة ، وسليس . وعلى الرغم من زوال أهمية بعض المدن كعواصم سياسية وأفول نجمها إداريا إلا أنها ظلت تحتفظ بقداستها الدينية مثل إيونو وطيبة وكانت هناك مدن الفكر الثقافي والديني مثل إيونو ومنف والاشمونين (أونو) ومدن الزيارة المقدسة مثل أبيدوس وسايس وبوتو وبوزيريس[٥]، ومحلات المستودعات التجارية ومراقبة التجارة النيلية[٦]،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧١ ، ٨٦ – ٩٢ ، ١٠٠ – ١٠٢ .

(٣) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ – ١٠٥ ، ١٨٤ – ١٩١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٦ ، ٧١ ؛ ويعطى ر. انجلباخ : المرجع السابق ، ص ٩١ – ٩٢ ، قائمة بـ ٢٠ مقاطعة .

(٥) Vandier, La Religion Égyptienne, Paris (1949), p. 94 – 95, 139, 237.

(٦) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٩٨ – ٩٩ ، ١٢٨ – ١٢٩ ، ١٣١ – ١٣٩ ، ١٥٠ – ١٥٢ .

والجبانات علي الضفة الغربية للنيل ابتداء من الجيزة حتى أسوان فيما عدا مقابر بنـى حسن ، كما شيدت الحصون فى الشرق مثل حائط الأمير وحصن ثارو ، وفى الغرب مثل حصنى الغربانات قرب برج العرب والحصون الأخرى عند زاويـة أم الرخـم غربى مرسى مطروح ، وفي الجنوب حصنى سمنة وقمة .

كما ارتاد الإنسان فى توسعه العمرانى واستغلاله لعناصر البيئة أماكن الوديان القديمة حيث توجد مناطق المناجم والتحجير ، ومنها :

وادى الحمامات : وهو جزء من الدرب الذى يخترق الصحراء الشـرقية بين النيل والقصير ، ويطلق على الدرب كله اسم وادى الحمامات وترجع شهرته إلـى أنه كان طريقا للتجارة منذ أقدم العصور ، كما كان الطريق الموصـل إلـى بعـض المناجم القديمة ، وبخاصة مناجم الذهب ، وإلى المحاجر الشهيرة التى كان المصـرى القديم يحصل منها على نوع خاص من الحجر البركانى ، ويسمى فى المصرية باسـم " بخن " وعلى بعض أنواع الجرانيت . وفى منطقة المناجم القديمة فى وسـط هـذا الطريق يوجد مئات من النقوش المحفورة على واجهات الصخـور ، منـذ الأسـرة الخامسة حتى الأسرة الثلاثين ، تركها أعضاء البعثات التى ذهبت للحصـول علـى الأحجار اللازمة لتماثيل الملوك وتوابيتهم ومعابدهم وهى فى جملتها مـن المصـادر الهامة فى تاريخ مصر القديم . وكان للطريق التجارى أهمية خاصة عند المصريين القدماء ، وكانوا يسمونه " طريق المعبودات " لأنهم ذكروا أن أجدادهم جـاءوا إلـى وادى النيل من هذا الطريق .[١]

وادى العلاقى : هو واحد من وديان الصحراء الشرقية ، يصب فـى وادى النيل إلى الجنوب من الدكة . وقد اشتهر منذ عصر الدولة الوسطى بسـبب منـاجم الذهب التى تقع فيه ، واستغل المصرى القديم هذه المنـاجم ، منـذ عصـر الدولـة الوسطى ، وحتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة .[٢]

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجـزء الأول ، ص ٣٢٩ – ٣٣٠ ، ٤٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٨ .

وادى الهودى : واد بالصحراء الشرقية يبعد نحو ٢٥ كم جنوب شرقى أسوان ، وفيه آثار عدة مناجم قديمة لاستخراج الذهب والنحاس والبيريت ، إلا أن شهرته الكبيرة ترجع إلى وجود محاجر الاماتيست (حجر الجمشت) الذى كان يستخدم فى الحلى ، وبدأ استغلاله منذ عصر الدولة الوسطى . وعلى مقربة من المحاجر القديمة نجد بقايا المواقع التى كانت تقيم فيها العمال .(١)

وادى المغارة وسرابية الخادم : ترجع أهمية شبه جزيرة سيناء إلى خمسة عوامل :

أولا : لأنها تحتوى على النحاس والفيروز فى وادى المغارة وفى سرابية الخادم فيوجد النحاس فى جبال المغارة ، وعثر فى صخوره على نقوش باسم سنفرو وخوفو . واستمر استغلال هذه المناجم فى عصر الأسرة الثانية عشرة والدولة الحديثة . واشتهرت سرابية الخادم بمناجم الفيروز ، وهى تقع فى جنوب شبه الجزيرة ، وتقع المناجم فى منطقة جبلية وعرة بها مناجم النحاس أيضا . وقد بدأ استغلال المصرى القديم لهذه المناجم منذ أيام الأسرة الثانية عشرة . وأقام المصريون فيها معبدا للمعبودة حتحور سيدة جبل الفيروز التى كانت هناك .(٢)

وفى عام ١٩٠١ ذهبت إحدى الشركات الإنجليزية لاستغلال مناجم الفيروز ، واستخدمت الديناميت فى تحطيم الطبقات التى يوجد فيها الفيروز ، فحطمت أغلب النصوص التاريخية التى كانت توجد على مقربة من فتحات المناجم القديمة ، وقد قام بترى عام ١٩٠٥ بنقل ما بقى من النقوش إلى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٩ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢١٠ ؛ وأيضا : Fakhery, The Amethyst Quarries of Wadi el Hudi, (1952), p. 19 – 23; Sadek, The Amethyst Mining Inscriptions of Wadi el Hudi, London (1979), p. 4 – 15; p. 100 – 101.

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٢٦٩ .

المتحف المصرى ولم يترك إلا نقشا واحدا فقط وهو نقش الملك سخم خت لأنه كان على ارتفاع كبير .[١]

ثانيا : من أهم ما يرتبط بمنطقة سرابية الخادم تلك النقوش المعروفة باسم " النقوش السينائية " التى كتبها بعض العمال غير المصريين ، الذين جاءوا من سورية للعمل هناك ، وقد كتبوها على بعض التماثيل وعلى جنوب مغارات وعلى بعض الأحجار ، واتضح من دراستها أنها كانت الأصل لبعض الحروف التى استخدمها الفينيقيون القدماء .[٢]

ثالثا : أن شبه جزيرة سيناء أقدم طريق حربى " القنطرة – رفح " فى تاريخ العالم القديم يمر فى شمالها وهو الطريق الذى سارت عليه جيوش مصر عند ذهابها إلى آسيا ، والذى سارت عليه أيضا جميع الجيوش التى جاءت من تلك البلاد عند غزوها لوادى النيل .[٣]

رابعا : خرج إليها بنى إسرائيل عند خروجهم من مصر ، وبها جبل سيدنا موسى .[٤]

---

(١) د. عبد القادر خليل : علاقات مصر بشرق البحر المتوسط حتى نهاية عصر الدولة الحديثة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ ، ص ١٨ حاشية (٣)، ص ٢٠ لوحة رقم ٣ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، السادس عشر والسابع عشر ، ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٢٥ – ٢٧ .

(٣) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٩ – ٤٢ .

(٤) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٢٨ – ٢٩ ، ٣٧ – ٣٨ .

خامسا : بها الأديرة المسيحية المتعددة وبخاصة فى الجزء الجنوبى منــــها وبعــض المنشآت والكنائس فى واحة فيران . ومنذ القرن السادس الميلادى شيد فيها دير سانت كاترين .[١]

وادى النطرون : ورد اسمه فى بعض النصوص القديمة ، وشيد فيه الملك امنمحات الأول معبدا داخل حصن لتأمين الحدود الغربية للبلاد ، وكان المصريـــون القدماء فى العصر المتأخر من تاريخهم ، يذكرون سبع واحات فى صحـــراء مصــر الغربية كان وادى النطرون واحد منها . وفى هذا الوادى كـــان يوجــد عــدد مــن البحيرات ، التى كانت تعتبر من أهم مصادر الحصول على النطرون الذى يدخل فــى كثير من الصناعات والأغراض الأخرى .

وأصبح وادى النطرون من أهم مراكز الرهبنة فى القرن الثالث الميــلادى ، وكانت فيه أديرة كثيرة .[٢]

وامتد العمران أيضا إلى أراضى الواحات . ويوجد من هذه الواحات عـــدد غير قليل فى صحراء سيناء وفى الصحراء الشرقية ، ولكن العدد الأكبر منـــه نجـده فى الصحراء الغربية وكانت آهلة بالسكان فى العصور القديمة .[٣] وكلمة واحة كلمـة مصرية قديمة من " واحيت " .[٤]

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجـــع الســـابق ، ص ٢٦٩ ، ٢٨٢ ، ٣٧٢ ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ، ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع الســـابق ، ص ٢٩ – ٣٧ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٩ ؛ موسوعة المجـــالس القومية المتخصصة ، ١٩٧٤ – ١٩٩٤، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ – ٢٥٠.

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(٤) Wb. I, 258, 6; Fakhry, Bahria Oasis I, p. 10; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 35 no. (4) ;
موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع الســـابق ، ص ٤٦٨ – ٤٩١ .

وراجع أيضا د. رمضان عبده : ذكر الواحات في المصادر المصرية القديمة، (دراسة وثائقية)، سوف ينشر ضمن أعمال ندوة لجنـــة الآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، عن "آثار الواحات المصرية عبر العصور" في ١٧–١٨يناير ٢٠٠٤.

وكانوا يطلقون هذه الكلمة فى نصوص معبد إدفو على سبع واحات هـــى : الخارجة والداخلة والفرافرة والبحرية والحيز (التى تقع بين الفرافــرة والبحريـــة) ، وسيوة ، وأخيرا وادى النطرون . أما الآن فالواحات المعروفة فى الصحراء الغربيـــة خمسة فقط هي : البحرية ، والخارجة ، والداخلة ، والفرافرة ، وسيوة .(١)

وكانت هذه الواحات تستخدم كحصون أمامية للدفاع عن الوادي ، وكــــانت تقام بها الحاميات والمعابد والمتامير ، والقرى والمقابر . وكـــانت وفـــيرة الخـــيرات وأرضها صالحة للزراعة . وكانت تمد الوادى بالنبيذ والزيوت والأمـــلاح المعدنيـــة (النطرون) . وهى مواد هامة كانت تستخدم فى الطقوس الدينيـــة وفـــى عمليـــات التحنيط . ومن أجل ذلك عمد المصريون القدمـــاء إلـــى أن تظـــل الواحـــات تحـــت سيطرتهم فى كل العصور .(٢)

البحرية : كان يطلق عليها " واحة زسزس " وأحيانا " الواحات الشـــمالية " أى " البحرية " . وقد ورد اسمها فى نصوص الدولة الوسطى ، وتوجد بـــــها مقـــبرة لحاكم هذه الواحة ، وكان يسمى امنحتب الذى كان من أهلها وعاش فى عصر الدولـــة الحديثة . غير أن فترة الازدهار الكبيرة فى هذه الواحـــة كـــانت الأســـرة السادســـة والعشرين عندما جعل منها الملك ابريس ، والملك امازيس حصنا أماميا للدفاع عــــن الوادى . فأمروا بالتوسع فى حفر الآبار وزراعة الأراضــــى وإنشـــاء الحاميـــات ، وقامت بها فى ذلك الوقت معابد كثيرة . كما ترك لنا حكامها وكهنتها مقابر ملونـــة . أما آثار العصر البطلمى – الرومانى فهى كثيرة من بينــــها حصـــون وبقايـــا قـــرى ومقابر .(٣)

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢١ – ٤٢٢ .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٢٨٦ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢١ ؛ موسوعة المجـــالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع الســـابق ، ص ٤٨٦ – ٤٩١ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر (ترجمة د. جاب الله) المجلد الأول : واحـــة سيوة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (رقـم ٢٠) ١٩٩٣ ، ص ٩٩ – ١٠٠ ، ١٠٧ – ١٢٢ ، ١٦٣ – ١٧٧ .

الخارجة : أهم الواحات الخمسة ، وكانت تسمى فى النصوص المصرية باسم " هبت " أى المحراث (هيبس فى اليونانية) .[١] وكانت وفيرة الخيرات وأرضها صالحة للزراعة ، وكان بها الكثير من العيون والآبار . وقد عثر فيها على آثار من أقدم العصور ، منها كثير من أدوات الظران (الصوان) التى استخدمها الإنسان المصرى القديم الذى عاش فى العصور الحجرية . كما نجد بها آثار أخرى من عصر الدولة القديمة حتى العصر البطلمى – الرومانى . ووصلت إلينا لوحات من عصر الأسرة الثانية عشرة لرؤساء بعض الحملات التى كانت تقوم من أبيدوس أو طيبة ، للتفتيش على الواحة ، والتأكد من حالة الأمن فيها . وكانت الخارجة والداخلة تكونان وحدة إدارية واحدة ، ولهما حاكم واحد ، يتبع حاكم إقليمى ثينى . وفى مناظر بعض مقابر البر الغربى فى طيبة من الدولة الحديثة ، نرى كلا من حاكمى الواحات الخارجة (والداخلة) ، والبحرية (والفرافرة) يأتيان على رأس وفد من زعماء الواحات لتقديم هداياهم إلى الملك فى المناسبات الرسمية . ويوجد بالواحات الخارجة بقايا معابد كثيرة وبقايا الحصون والنقاط العسكرية . وعلى مقربة من مدينة الخارجة ، جبانة من أهم الآثار المسيحية فى مصر وهى جبانة البجوات ، ويرجع تاريخها بالتحديد بين القرن الرابع والقرن الثامن الميلادى ، وما زالت هياكلها قائمة حتى الآن ، وبينها خمسة بها نقوش ملونة ، وأكثرها مناظر دينية من قصص العهد القديم ، كقصة سيدنا آدم وحواء ، وقصة سيدنا إبراهيم وابنه اسحق ، وقصة سيدنا نوح ، وخروج بنى إسرائيل من مصر .[٢]

الداخلة : وكان يطلق عليها اسم " كتمت " فى النصوص المصرية . وكانت تكون مع الخارجة وحدة إدارية واحدة . وقد عثر فى الداخلة ، منذ سنوات قليلة ، فى منطقة أمهدا ، على لوحة من الدولة الوسطى ، كما عثر أيضا على لوحات

---

(١) Gauthier, DGIV, p. 4 ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٦٨ – ٤٨٠ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٣ – ٤٢٤ ، موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٧٧ .

من الأسرة الثامنة عشرة فى بلدة بلاط ، التى توجد فيها بقايـــا معبـد مـــن الدولـــة الحديثة ، لم تبق منه إلا أحجار قليلة . وذكرت الداخلة فى النصوص المصرية لجودة نبيذها ووفرة كروم المعبود آمون رع . وأهم المناطق الأثرية فيها هما بلاط ، وبلـدة موط حيث عثر فى الخيرة على لوحتين ، أولهما من الأســرة الثانيــة والعشــرين ، وتمدنا بمعلومات هامة عن ملكية العيون والآبار . والأخرى من الأســـرة الخامســة والعشرين[١] ، وهما الآن فى متحف الاشموليان بأكسفورد . ويوجد فى بلدة القصـــر آثار لمعبد المعبود تحوتى .

الفرافرة : كان يطلق عليها اسم " تـــا – احــت " أى أرض البقــرة .[٢] وذكرت فى النصوص المصرية القديمة منذ الأسرة العاشرة ، وفى نصوص أخـــرى من أيام الدولة الحديثة ، لأنها كانت من بين المناطق التى يستخرج منها المعـــادن . وبها بقايا معبد رومانى عند عين بس . وكانت تعتبر إحدى المواقـــع الاســتراتيجية الهامة فى الصحراء الغربية .

سيوة : وكانت تسمى أيضا " واحة آمون " ومن أقدم الآثار القائمة بـــهذه الواحة معبد آمون أو معبد النبؤة أو الوحى الذى ذاعت شهرته فـــى عـالم البحـــر المتوسط منذ بداية الأسرة السادسة والعشرين . وهو مشيد من الحجر الجيرى فـــوق صخرة " اغرومى " إذ أنه من أيام الملك امازيس مــــن ملـوك الأســـرة السادســة والعشرين ، وهو المعبد الذى زاره الإسكندر الأكبر فى بداية عام ٣٣١ ق. م . ووقـف فى هيكله، يستمع إلى رد المعبود آمون أو وحيه على أسئلته، تلك الزيارة التى تركت أثرا كبيرا فى نفسه حتى يوم وفاته.[٣] وهناك أجزاء من معبد آخر لآمون عند ســـفح

---

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع الســـابق ، ص ٤٨١ – ٤٨٣ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع الســـابق ، ص ٤٨٣ – ٤٨٥ ; Wb V, 221, 17;

(٣) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى ====

صخرة اغرومى ، وهو من عهد الملك نختنبو الثانى من الأسرة الثلاثين .[١] وهنـــاك مقابر منحوتة فى الصخر فى منطقة " جبل الموتى " على بعد كيلو متر ونصف مـــن سيوة ، اشهرها مقبرة سى – آمون ، وهى أهم مقبرة قديمة فى الصحـــراء الغربيـــة كلها ، وعلى جدرانها مناظر تمثل صاحبها وزوجته وابنيه ، وهم يقدمـــون القرابيـــن للمعبودات ، وهى من العصر البطلمى (حوالى القرن الثانى ق. م) .[٢]

ومن أشهر ما يتصل بتاريخ واحة سيوة القصة التى رواها هيرودوت عـــن الجيش الذى أرسله قمبيز للقضاء على كهنة آمون ومعبدهم ، فخرج الجيش من طيبـــة إلى الخارجة ، ثم ترك الخارجة فى طريقه إلى سيوة ، فابتلعته رمال الصحراء ، ولـــم يعثر أحد على أثره حتى الآن . ولم ينجح أحد فى العثور على أى خيط قد يؤدى إلـــى إماطة اللثام عن هذا اللغز ، وحتى حينما استخدمت الطائرات الصغـــيرة لـــم يســـفر البحث عن أى شئ . ومن المعروف أن العواصف الرملية فى مناطق الكثبان تســـبب الكوارث ، ففى عام ١٨٠٥ دفنت نفس رمال الصحراء قافلة مكونة من ألفـــى رجـــل ومعهم إبلهم بينما كانوا فى الطريق من غرب السودان إلى أسيوط . وفى " مخطـــوط

== (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربيـــة – بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ٣٩ ؛ د. أحمد فخـــرى : واحـــات مصـــر ، المرجـــع السابق ، ص ٣٨ ، ١٠٧ – ١١٤ ، ١٨١ – ١٩٥ .

(١) يوجد هذا المعبد فى أم عبيدة : وقد أضاف نختنبو الثانى بوابة إلى معبد وحـــى آمون ، راجع : د. رمضان عبده : معالم تاريخ مصر القديم ، مكتبـــة نهضـــة الشرق ، ١٩٨٤ ، ص ٦٤٣ ؛ د. أحمد فخرى : واحـــات مصـــر ، المرجـــع السابق ، ص ١٩٥ – ١٩٩ ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصـــة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٠٢ – ٣٠٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٤ – ٤٢٦ ؛ موســـوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع الســـابق ، ص ٤٦٩ ، ٣٠٣ ، ٤٣٧ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع الســابق ، ص ٢١٤ – ٢٢٠ شكل ٧٠ – ٨١ .

سيوة " الذى كتبه زعيم عائلة " أبو مسلم " نقرأ فى موضعين عن جيشين دفنتهما العواصف الرملية . وقد تكون كلتا الروايتين صحيحة وربما تكون كل منهما مجرد صدى لقصة جيش قمبيز .(١)

وتكثر فى سيوة عيون الماء التى كان لبعضها شهرة كبيرة منذ أكثر من ٢٥٠٠ سنة مثل عين الجوبة ، التى تعرف قديما باسم " عين الشمس " وقد ذكرها هيرودوت فى كتاباته .(٢)

(٣)

العمران وعلاقته بكثافة السكان

فى مصر القديمة

أما بالنسبة لكثافة السكان فقد اختلفت فى كل إقليم .(٣) وقام بوتزر بعمل جدول تقريبى لتوزيع عدد السكان فى الأقاليم والمدن الكبرى المختلفة فى مصر العليا

---

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٦٩ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع السابق ، ص ٦٧ ، ١٠٩ – ١١١ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ٤٢٦ – ٤٢٧ ؛ موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٧٠ ؛ د. أحمد فخرى : واحات مصر ، المرجع السابق ، ص ٤٦ – ٤٧ .

(٣) تواجه الباحث صعوبات جمة فى معرفة عدد سكان مدينة ما ، ====

فى عصور الأسرات المختلفة ، ويذكر بوتزر أسماء ٢٤ مدينة آخرها منف ، وبيانها كالآتى : [١]

(١)	الفنتين	كان بها حوالى	٣٩ ألف نسمة .
(٢)	إدفو	كان بها حوالى	٥٢ ألف نسمة
(٣)	الكاب	كان بها حوالى	٨٢ ألف نسمة
(٤)	الكرنك	كان بها حوالى	٨٧ ألف نسمة .
(٥)	قفط	كان بها حوالى	٣٩ ألف نسمة .
(٦)	دندرة	كان بها حوالى	٢٩ ألف نسمة .
(٧)	هو	كان بها حوالى	٣٨ ألف نسمة .
(٨)	البربا	كان بها حوالى	٥٠ ألف نسمة
(٩)	أخميم	كان بها حوالى	٥٠ ألف نسمة .
(١٠)	كوم اشقاو	كان بها حوالى	٣٧ ألف نسمة .
(١١)	شطب	كان بها حوالى	٢٨ ألف نسمة .
(١٢)	العكاوية	كان بها حوالى	٢٥ ألف نسمة .
(١٣)	أسيوط	كان بها حوالى	٢٦ ألف نسمة

== أو بلد ما فى مختلف فترات تاريخ مصر القديم . فالمصادر التاريخية لا تزودنا بمعلومات عن أعداد السكان ، سواء فى المدن ، أو فى الأقاليم ، أم فى البلاد ككل ، ولم تكن تقديرات الرحالة أقرب إلى الصحة ، إذ اعتمدت ، فى كثير من الأحيان على اعتبارات خاطئة أو مبالغ فيها ، أو على معلومات من مصادر غير موثوقة .

(١) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٠ – ٢١ .

(١٤)	القوصية [١]	كان بها حوالى	٢٥ ألف نسمة .
(١٥)	الأشمونين	كان بها حوالى	٨٠ ألف نسمة .
(١٦)	الكوم الأخضر	كان بها حوالى	٤١ ألف نسمة .
(١٧)	الشيخ فضل	كان بها حوالى	٣٩ ألف نسمة .
(١٨)	الحيبة	كان بها حوالى	٣٥ ألف نسمة .
(١٩)	البهنسا	كان بها حوالى	٣٠ ألف نسمة .
(٢٠)	اهناسيا	كان بها حوالى	٨٠ ألف نسمة .
(٢١)	الفيوم	كان بها حوالى	٧٧ ألف نسمة .
(٢٢)	كفر عمار	كان بها حوالى	٣٤ ألف نسمة .
(٢٣)	أطفيح	كان بها حوالى	٢٦ ألف نسمة .
(٢٤)	منف	كان بها حوالى	٧٦ ألف نسمة .
	المجموع		١,١٢٥,٠٠٠مليون نسمة

ويلاحظ أنه كان هناك ستة مدن وأقاليم كانت تتمتع بنوع من الكثافة السكانية هى بالترتيب : الكرنك ، الكاب ،الأشمونين ، اهناسيا ، الفيوم ، منف . وكان أقلها كثافة ستة أخرى هى بالترتيب : دندرة ، شطب ، أسيوط ، أطفيح ، العكاوية ، القوصية .

ويقدر بوتزر كثافة السكان في مصر فى بداية البناء الحضارى أى فى عصر حضارة البدارى (العصر الحجرى الحديث) بحوالى ٢٥٠ ألف نسمة .[٢] وبعدها نتيجة التطورات فى استغلال الأراضى الزراعية وعوامل الاستقرار زادت

---

(١) عن هذا الإقليم ، راجع رسالة الدكتوراه غير المنشورة التى قام بإعدادها د. محمود الزراعى تحت عنوان : الإقليم الرابع عشر من أقاليم مصر العليا " (دراسة تاريخية وأثرية ولغوية حتى نهاية الدولة الوسطى) كلية الآداب – جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٠ .

(٢) د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٢٧ .

كثافة السكان إلى ١,١مليون نسمة فى العهود المزدهرة من عصر الدولتين القديمـــة والوسطى . ويجب أن نذكر أن الكوارث الطبيعية وانخفاض منسوب النيل على وجـه الخصوص كان له أثره السلبى على حجم السكان .

ولا شك أن كثافة السكان كانت تؤثر على مساحة الأرض الزراعية ويبـــدو أن نمط الاستغلال فى عصور ما قبل الأسرات كان واسعا ، وكان الاعتماد أساســـا على الأرض مع بعض الرعى والجمع والتقاط الثمار والصيد .(١)

ويرى بترى أن عدد السكان وصل إلى أقصى عدد لهم فى عصر الدولـــة القديمة . وقدر عددهم فى عصر الرعامسة بحوالى ١٠ – ١٢ مليونـــا .(٢) ويذكـــر محمد رمزى أن عددهم كان يتراوح من ٦ إلى ١٢ مليونا .(٣)

أما بوتزر فقد قدر عدد سكان مصر فى العصر نفسه ما بيـــن ٢,٤ – ٣,٦ مليون نسمة(٤) أو أزيد بقليل وبعد انتهاء فترة حكم البطالمة تراوح العـــدد بيـــن ٧ – ٧,٥ مليون . ويرى أيضا أن نسبة المواليد فى مصر القديمة كانت حوالى ٦٠ فـــى الألف، وأن ربع هذا العدد من المواليد يموت قبل أن يبلغ سن الالتحاق بالمدارس .(٥)

ويذكر يوسيفوس الذى عاش فى الإسكندرية فى بداية العصر الرومـــانى أن عدد ســـكان مصر عدا أهل الإسكندرية الذين كان لهم سجل خاص بهم ، هو ســـبعة

---

(١) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) المرجـــع الســـابق ، ص ٣٠ ، وأيضـــا : Butzer, Early Hydraulic Civilization in Egypt, Chicago – London (1967), p. 90.

(٣) محمد رمزى : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصرييـــن إلى سنة ١٩٤٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القســم الأول ، ١٩٩٤ ، ص ٣٠ .

(٤) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠ .

ملايين ونصف مليون .[١] ويرى د. العبادي أننا نستطيع أن نثق فى صحة هذا الرقم نظرا لأن الإدارة البطلمية والرومانية كانت تحتفظ بإحصاءات دقيقة عن عدد السكان ، كما كانت تسجل المواليد والوفيات بانتظام نظرا لارتباط ذلك بتحصيل الضرائب التى كانت تفرض على كل فرد .[٢]

ويذكر ديودور الصقلى أن عدد سكان الإسكندرية من الأحرار فى الفترة الأخيرة من الحكم البطلمى هو ثلاثمائة ألف شخصا .[٣]

---

(١) ايدرس بل : مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى (نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف على) دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٠ ، ١٠٣ - ١٠٤ ؛ يذكر د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٣١ " أن عدد السكان كان حوالى سبعة ملايين نسمة " كان جميع سكان مصر فى نظر الحكومة الرومانية بمثابة مصريين فيما عدا المواطنين الرومان ومواطنى المدن الإغريقية الحرة . وقد أدخل الرومان نظام التعداد المنتظم الذى كان يجرى مرة كل أربع عشرة سنة ، وكانت هناك شهادة تحرر عند الميلاد وعند الوفاة . وقد أنشأ الرومان أيضا إلى جانب دور المحفوظات المركزية بالإسكندرية دورا أخرى لحفظ السجلات الرسمية فى جميع عواصم الأقاليم . وقد انقسمت هذه الدور إلى اثنتين : أولهما : دار المحفوظات العامة وكانت مختصة بحفظ جميع الأوراق الرسمية كالمكاتبات وكشوف الضرائب وسجلات التعداد وقوائم التعداد . والأخرى : خى دار التسجيل العقارى وكانت مختصة بتسجيل الأراضى والمنازل وكذلك العبيد .

(٢) ويقترح د. العبادى أن يكون متوسط عدد سكان مصر فى العصر اليونانى - الرومانى هو ثمانية ملايين نسمة ، راجع : د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) ايدرس بل : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

وحاول بعض العلماء إعطاء تقديرات تقريبية لأعداد سكان مصر فى مصر القديمة بوجه عام فى الفترات المختلفة ، فالبعض اقترح القائمة الآتية[١] :

الفترة	عدد السكان التقريبى
فى حوالى عام ١٥٠٠ ق. م.	كان حوالى ٣ مليون نسمة .
فى حوالى عام ١٤٠٠ ق. م .	كان حوالى ٢٧ مليون نسمة .
فى حوالى عام ١٢٩٢ – ١٢٢٥ ق. م .	كان حوالى ٧ مليون نسمة (طبقا لتقديرات ديوديور الصقلى) .[٢]
فى حوالى عام ١٠٠٠ ق. م.	كان حوالى ١٨ مليون نسمة .
فى حوالى عام ١٠٠ ق. م .	كان حوالى ٣ مليون نسمة .
فى حوالى عام ٣٠ ق. م .	كان حوالى ٧ مليون نسمة .

وقد قام بوتزر بعمل قائمة حديثة عام ١٩٧٦ للتطور الافتراضى لكثافة السكان فى مصر القديمة وجاءت قائمته كما يأتى [٣] :

الفترة	عدد السكان التقريبى
فى حوالى عام ٤٠٠٠ ق. م.	كان حوالى ٣٥ ألف نسمة .
فى حوالى عام ٣٠٠٠ ق. م .	كان حوالى ٨٧ ألف نسمة .
فى حوالى عام ٢٥٠٠ ق. م .	كان حوالى ١,٥ مليون نسمة .
فى حوالى عام ١٨٠٠ ق. م .	كان حوالى ٢ مليون نسمة .
فى حوالى عام ١٥٠٠ ق. م.	كان حوالى ٢,٩ مليون نسمة .
فى حوالى عام ١٢٥٠ ق. م .	كان حوالى ٤,٩ مليون نسمة .

---

(١) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٣٢ .
(٢) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٩٣١ .
(٣) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

وتوضع هذه الجداول والافتراضات الوضع المحير لكل من تصدى لدراسة موضوع كثافة السكان فى مصر القديمة . وتواجه أى باحث فى هذا الموضوع صعوبات جمة ؛ لأن المصادر الأثرية لا تزودنا بمعلومات عن أعداد السكان ، سواء فى العواصم الكبرى ، أم فى عواصم الأقاليم ، أم فى المدن والقرى الكبرى . وسجل لنا حجر بالرمو أنه فى عهد الملك دن خامس ملوك الأسرة الأولى كان يحدث إحصاء شامل فى البلاد كل عامين .(١)

ومن الباحثين من اعتمد على معرفة عدد المنازل ومتوسط عدد أفراد الأسرة الساكنة فى البيت الواحد فى كل مدينة ، واعتمد بعض الباحثين على مقدار مساحات الأراضى المنزرعة ، وممتلكات المعابد ومن يعملون فيها . فطبقا لنقوش معبد إدفو فقد كان هناك ٩ مليون آرورا من الأراضى المزروعة أى حوالى ٢٤,٦٠٠ كم٢ (٢) .

ويمكن القول بأن مصر عرفت طوال عصورها التاريخية ، فترات زاد فيها عدد السكان نتيجة لإقامة مدن وعواصم جديدة ، أو تعرضت لنقص فى عدد السكان كما ذكر فى بعض النصوص .(٣)

ونحن نرجح أن عدد سكان مصر القديمة كان بين ٢,٩ و ٤,٩ فى الفترتين ١٥٠٠ و ١٢٥٠ أى فترة الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الأسرة التاسعة عشرة . وذلك لأن أغلب فترات الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة كانت من أكثر الفترات استقرارا فى تاريخ مصر القديم . وقد تركت لنا هاتان الفترتان الكثير من الآثار

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٨١ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية (رقم ١٦) ، الجزء الأول ، ١٩٨٨ ، ص ١٧٧ .

(٢) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٢٨ ؛ وأيضا : Meeks, le Grand texte des donations au temple d'"Edfou (BdE) (1972), p. 4 – 25.

(٣) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, Paris (1963), p. 2.

والوثائق التى تحدثنا عن التطور الذى أصـــاب أوجـه النشـاط الحضـارى . وأن المصريين قد جنوا ثمار انتفاضتهم القوية عندما أبعدوا وطردوا الهكسوس من بلادهم وتغير المناخ السياسى فى البلاد ، والذى كان أساسا وليدا لمجهودات ملوك وشـــعب هاتين الأسرتين . وإذا كان الطابع العام للسياسة الحربية فى عصر الدولتين القديمـــة والوسطى ، هو الدفاع عن الحدود ، فإن الدولة الحديثة بدأت سياسة تكوين مواطـــن نفوذ والفتح فى الشرق القديم ، وسياسة تأمين الحدود فى الغرب والجنوب .

وكان من الطبيعى أن تزداد صلات مصر بشعوب الشرق القديم ، وأصبحت طيبة عاصمة عالمية تأتى إليها الوفود والرسل مـــن الشـرق والغـرب والجنـوب والشمال ، ولتحقيق كل ذلك كان لابد من وجود قوة بشـــرية أو عـدد ملائـم مـن السكان ، وهذا ما كان يشعر به المصريون القدماء أنفسهم ، ففى بردية النصائح التـى وجهها الملك خيتى الثالث (أو الرابع) من ملوك الأسرة العاشـــرة (٢١٣٠ ق. م) لابنه مريكارع ، نجد أنه يحث ابنه على إنشاء المدن المحصنة على حواف الـــوادى وتعميرها بخير الرجال يسكنونها ويزرعون ما حولها ويتحصنون بها وقـــت الشـدة ويصدون منها غارات أهل البادية ، وقال له فى هذا الصدد :

" لا تتهيب العدو فهو لا يغير إلا على الموطن المنعزل ، ولا يجـرأ علـى مهاجمة مدينة عامرة بالسكان " . ويقول له أيضا :

" (إن) البلد العامرة بالسكان لن يمسها سوء ، فابن مدنا " .(١)

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعـراق ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثانية ١٩٧٦ ، ص ١٤٩ .

(٤)

الأسماء التى أطلقها المصريون القدماء على أرضهم وبلادهم ودلالاتها

عرف المصريون القدماء قيمة الأرض الزراعية ، ولكى يعبروا عن طبيعة أرض بلادهم أطلقوا عليها عدة أسماء تصف أرضهم وطبيعتها ، فأطلقوا عليها أكثر من ستة عشر اسما ترجع إلى عصور مختلفة .(١)

الدولة القديمة :

تاوى : أى الأرضان (كناية عن مصر) ، أرض الوجه القبلى والوجه البحرى .(٢) أو بالتحديد تا – شمعو ، أرض الوجه القبلى ، وتا – محو أرض الوجه البحرى .(٣) ويترجمها البعض بـ " مصر " (٤)

تا : فقط بمعنى أرض البلاد كلها .(٥) ويترجمها البعض بـ " مصر "(٦) ويترجم التعبير T3 r dr. f الأرض كلها بـ " مصر كلها " .(٧)

كمت : أى الأرض السوداء(٨) على عكس الصحراء الجرداء التى تتميز باللون

---

(١) Wb, index VI, p. 4 .

(٢) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ٢٧٠ ؛ Wb. V, 217, I

(٣) Wb. V, 224, 10; 227, 4, 13; Meeks, Alex. 11, p. 170, 407.

(٤) Meeks, Alex. 11, p. 406; 111, p. 318.

(٥) Meeks, op. cit., 11, p. 408; Wb. V, 215, I.

(٦) Meeks, op. cit., I, p. 410; 111, p. 318.

(٧) Varille, Inscript. Concernant l'architecte Amenhotep fils de Hapou, BdE 44 (1968), p. 108 – 109.

(٨) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

Meeks , Alex. I, p. 398; 11, p. 310 .

وأحيانا كان يطلق على أقليم اتريب اسم كمى بمعنى " الأسود " اختصارا للأسم كم –ور " الثور الأسود العظيم " للأقليم (راجع Id., p. 38; Vernus Athribis, p. 349 , 350 , 429 n . 2 .

كما كانت تطلق التسمية كمت على " سرابيوم " منف (راجع Meeks, op. cit. 11, p. 398; Vercoutter, Textes biographiques du Serapeum de Memphis, p. 17, 28 , 35 , 44 وهنا يحتمل أن يكون للأسم معنين : مكان السواد (أى الحزن) " أو " مكان (نهاية العمر) " عن هذا المعنى الأخير ، راجع Meeks, op. cit. I, p. 398; 111, p. 310 .

الوردى[١] ، والتى أطلقوا عليها اسم " دشرت " .[٢]

ادبوى : الضفتان أو الشاطئان .[٣]

جب : كانت تشير إلى إله الأرض ثم أصبحت رمزا للأرض نفسها ، وأصبحت في اللغة اليونانية كلمة جايا أو جى Ge . وهى آلهة الأرض فى الخرافات اليونانية ، بينما كلمة لوجيا أو لوجى عبارة عن كلمة لاحقة تشير إلى معنى المعرفة بالشئ ، وبناء عليه فالترجمة الحرفية لكلمة جيولوجيا تعنى المعرفة بالأرض أو علم الأرض ، ذات أصل مصرى قديم .[٤]

---

(١) وهذه التسمية معروفة عند اليونانيين تحت اسم " خميا " والتى تعبر عن طبيعة الأراضى الزراعية التى تكونت فى الواقع بواسطة طمى النيل ، ذى اللون الرمادى الأسود ، راجع: Wb. V, 126, 7; Gauthier, DG V, p. 203;
Vercoutter, L'Egypte Ancienne, Paris (1963), p. 26.
وهو عين اللفظ الذى تطور ، عن طريق السحر الأسود فى العصور الوسطى ، إلى التعبير الحديث " كيمياء " وأطلق لفظ كمت على المصريين أنفسهم ، أى ذوى البشرة السوداء وينطبق هذا الوصف أكثر على أهالى الصعيد وبلاد النوبة ، راجع :
Mokhtar, General History of Africa II (1981), p. 41 – 42.
وهناك لفظ : تاو كمت " أراضى السود " ، راجع : Wb. V, 126, 17
وقد أطلق العرب فيما بعد على أرض مصر التسمية نفسها " أرض السواد " .

(٢) Wb V, 126, 10; 494, 5.

(٣) Wb. I, 153, 5; Meeks, op. cit., I, p. 53; II, p. 58; III, p.39 ؛ وأيضا: د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٣١

(٤) د. على السكرى : الآلات الحجرية وعصور ما قبل التاريخ ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٦ ، ص ٩٣ – ٩٤ .

الدولة الوسطى :

<u>اترتى</u> : بمعنى (بلاد) المقصورتين للوجه القبلى والبحرى .(١)

<u>ادبورى حور</u> : أى ضفتى (المعبود) حورس .(٢)

<u>خبشوت</u> : أى أرض القوة ، أى ذوى السواعد القوية .(٣)

الدولة الحديثة :

تامرى : أى أرض الفيضان أو المياه المرتفعة " دميرة " .(٤)

---

(١) Wb. I, 148, I.

(٢) Wb. I, 153, 7; Meeks, Alex. II, 58; III, p. 39.

(٣) Wb. 111. 270 . 12 .

(٤) راجع فيما سبق ص ١٠٨ حاشية (٣) وفيما بعد ص ١٦١ ؛ د. أحمد بـــدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ١٠٢ ، ٢٧٠ ؛ Wb. V, 223, 4 – 8 ، وجاءت هذه التسمية فى أسطورة أنوريس ، عندما كان تحوتى يصف لتفنـــوت الكمال الذى بلغته مصر " على أنها بلد رع والنيل الـــذى يجتازهـــا والحقـــول المزروعة يانعة الخضرة ، والقرى والمدائن التى تجعل منها بلدا منظما: راجع: فرانسوا دوما : آلهة مصر ، الألف كتاب (الثانى) الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ٥٥ . ويرى بعض العلماء أن المقصود بكلمة " <u>تاكمت</u> " هو أرض مصر كلها ، وأن تامرى يقصد بـــه " <u>أرض وادى النيـــل</u> " فقـــط ، راجع : Grimal, les Termes de la propogande royale égyptienne : Paris (1986), p. 46 n. (7) .

ولكن فى رأينا الشخصى أن " تـــاكمت " يقصـــد بـــها أرض وادى النيـــل ، وتامرى هى أرض وادى النيل أيضا وتا هى أرض مصر كلـــها بصحاريـــها . والدليل على ذلك أننا نجد فى بعض النصوص التسمية تامرى إرجـــراس " أرض الفيضان أو المياه المرتفعة حتى نهايتها "، راجع : Meeks, op. cit., II, p.:

تاوكمت : أى " أراضى السود " .[١]

العصر المتأخر :

ايرت رع : أى " عين (معبود الشمس رع) " .[٢]

وجات : أى " عين المعبود الصحيحة (يقصد بها عين حورس) " .[٣]

باكت : أى " الأرض المضيئة " أو " أرض الصفا أو الإخلاص " .[٤]

باتا ان كمت : أى " أرض السواد " .[٥]

العصر البطلمى :

ايستى : أى " بلاد (رمز) البوصتين " .[٦]

بيا : أى " أرض المعجزات " .[٧]

---

(١) Wb. V, 126, 17.

(٢) Wb. I, 107. 11.

(٣) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٦٧ ؛ Wb. I, 402, 4; Meeks, Alex. 11, p. 113.

(٤) Wb. I, 425, 18; Meeks, op. cit., 11, p. 120; Devauchelle, RdE 37 (1986), p. 50. ؛ د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٥) Wb. V, 126, 125; 216, 2.

(٦) Wb. I, 127, 10.

(٧) Wb. I, 442, 6.

سنوت : أى " أرض عيد اليوم السادس (من كل شهر) وهو عيد معروف منذ عصر الدولة القديمة ، وأصبح اسم هذا العيد صفة تعبر عما يسود بين أفراد المجتمع الواحد من احتفالات وبهجة بصفة مستمرة .(١)

اياووت : أى " أرض التلال " .(٢)

تانثرو : أى " أرض المقدسات " .(٣) ويقصد بها بعض البقاع الواقعة شرقى مصر أى سيناء ولبنان وبخاصة بقاع البخور ، بونت .(٤)

تعبر هذه التسميات المتعددة التى أطلقها المصريون القدماء على أرض مصر فى العصور المختلفة عما كان يجول فى خاطرهم من أفكار عن عناصر البيئة الطبيعية في بلادهم ، وفهمهم أيضا لأهمية هذه العناصر ، وفهمهم كذلك لدور الإنسان في التكيف مع هذه العناصر ، وفهمهم أخيرا لمميزات هذه البلاد . كما تعبر بعض هذه التسميات عن انتمائهم وحبهم لهذه البلاد ، وشعورهم بأن المعبودات تحميها . فنجد إشارة إلى عناصر البيئة الطبيعية من :

- المناخ فى التسمية : باكت " المضيئة " بنور شمسها الساطعة دائما .

---

(١) فهناك أعياد اليوم الرابع والسابع ، والخامس عشر ، والثالث والعشرين ، والثامن والعشرين من كل شهر ، راجع : Altenmuller, LAII, p. 173

(٢) Wb. I, 26, 13.

(٣) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris (1968), p. 15; Wb. V, 225. 1.

(٤) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٧٠ .

- الأرض والتربة فى التسمية : تاوي ويقصد بها " الأرضين " ، " تا – شـــمعو " أرض الوجه القبلى ، و" تاو – محو " أرض الوجه البحـــرى ، " تـــا "[(١)] أرض البلاد كلها ، كمت " الأرض السوداء " أى التربـــة الطينيـــة الزراعيـــة ، أرض الوادى ، باتا ان كمت " أرض السواد " .

- نهر النيل فى التسميتين : ادبوي ويقصد بها " الضفتين " وادبوى حور " ضفتـــى (المعبود) حورس " .

- الأحراش فى التسمية : ايستي ويقصد بها " البوصتين " من نبات البوص الـــذى كان ينمو فى الأحراش فى الدلتا وفى الصعيد .

- التكوينات الصخرية فى التسمية : اياووت " التلال " .

- الصحراء فى التسمية : دشرت " الأرض التى تتميز بـــاللون الـــوردى " وهـــى أرض المقدسات فى التسميتين :

اترتي : " (بلاد المقصورتين) " ويقصد بها أقدم مقصورتين للعبادة فـــى الوجـــه القبلى والوجه البحرى .

تا – نثرو : " أرض المقدسات " وما بها من معابد ومقاصير . وهى باستمرار محـــل رعاية المعبودات فى التسميتين :

ايرت رع : " عين (معبود) الشمس رع " .

وجات : " عين (المعبود) حورس رمز الصحة والسلامة والحصانة " .

وهناك تسميات تبين السمات العامـــة للإنســـان المصـــرى القديـــم ودوره وارتباطه بهذه الأرض فى التسميات الآتية :

---

(١) هناك تشابه كبير فى اللغة المصرية القديمة فى كتابة كلمة " تا " بمعنى أرض ، وكلمة " ت " بمعنى خبز ، ويبدو أن المصرى القديم أدرك تماما أهميـــة الأرض كمصدر للخبز ، د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

سنوت : أرض عيد اليوم السادس (من كل شهر حيث يكتمل القمر) .(١)

تاو كمت : " أراضى السود " لفظ يطلق على أهالى الوجه القبلى وبلاد النوبة .

خيشوت : " أرض القوة " أى قوة سواعد أهلها وقوة عزيمتهم .

بيا : " أرض المعجزات " التى حققها الإنسان المصرى على أرضها من عمران وتعمير . ولهذا فهى موضع حبهم دائما فى التسمية :

تا- مرى : " أرض الفيضان أو المياه المرتفعة " ، واستخدمت كلمة تا كأداة تعريف للمؤنث فى العصر المتأخر . وهى أصل التسمية العربية لكلمة دميرة بمعنى وقت أن تغمر مياه الفيضان الأرض الزراعية .(٢) ويقال أيضا عن رعايا مصر وسكانها : " هؤلاء الذين فى تا - مرى "(٣) أو " رعايا تا - مرى .(٤)

أما عن التسمية مصر فقد جاءت فى بعض المصادر القديمة وآيات القرآن الكريم . ففى المصادر الاشورية والكلدانية ، ذكر هذا الاسم أربع مرات :

فقد جاء فى نص للملك تيجلات بلاصر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٨ ق.م) إنه عين حاكما على " موصرى "(٥) ، وفى نص آخر للملك سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) جاء :

---

(١) راجع فيما سبق ، ص ١٠٨ حاشية (١) .

(٢) راجع فيما سبق ،ص ١٠٨ حاشية(٢ - ٣) .

(٣) Wb V, 223, 12.

(٤) Meeks, Alex. 111, p. 124.

(٥) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ العرب القديم ، الرياض ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٧ ، ص ٢٣٠ .

(تلقيت الجزية من برعو صاحب " موسرو " التي لا يمكن أن تعني شيئا سوى " تلقيت الجزية من فرعون صاحب مصر ").[١] وفي نص ثالث من عهد الملك نابو بلاصر (٦٠١ ق. م) يحدثنا عن إعداده لحملة ضد ملك مصر نكاو الثاني للحد من تدخله في شئون فلسطين . وكان نابوخذ نصر ولي العهد هو الذي يقود كل هذه العمليات الحربية بدلا من أبيه الذي ضعف لكبر سنه ، ويذكر النص أنه كان على رأس جيش متقدم صوب : مات – مي – سير mat mi – sir " بلاد مصر ".[٢]

وفي نص رابع من عهد الملك نابوخذ نصر (٥٦٨ – ٥٦٧ ق. م) يحدثنا عن استئناف الصراع ضد مصر لتدخلها في فلسطين في عهد الملك امازيس ، ودخل امازيس مع نابوخذ نصر في معركة ، ولكن يبدو أن نتيجتها لم تكن حاسمة ويذكر لنا النص اسم امازيس ملك مصر[٣] : اما اسو – شار – مي – سير .

A- Ma – a – Su – Šar – mi – sir

وفي الآرامية سميت <u>مصرين</u> ، وفي العربية <u>مصرايم</u> ، التي تعني الحد أو الحاجز أو المكان الحصين[٤] ، وذكر اسم مصرايم ٦٨٠ مرة في كتابات العهد

---

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص ٣٧٣ حاشية (٤) .

(٢) حياة إبراهيم : نبوخذ نصر الثاني المؤسسة العامة للآثار والتراث ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨٣ ، ص ٦٤ حاشية (١٤) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ حاشية (٧٦) .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٦٧ ، ص ٣١ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية القديمة : العصر اليوناني الروماني – المجلد الثاني ، ص ٢٢٧ ؛ وكذلك Posener, Dictionnaire de La Civilisation Égyptienne, Paris (1959), p. 97 – 98 .

القديم(١) ، وقرأ بواسطة أغلب الباحثين " مصر ".(٢)

ويرى بعض الأخباريين أن أهل مصر كانوا من العماليق ، والعماليق في رأيهم ، كجدهم من العرب العاربة ، ولكنهم في الوقت نفسه يرون أن أهل مصر من أبناء " مصرايم بن حام بن نوح " ، وتلك في الواقع إنما هي رواية التوراة (التكوين ١٠ : ٦) وهكذا فإن المصريين في نظر المؤرخين المسلمين ساميون وحاميون في الوقت نفسه .(٣)

وذهب فريق آخر إلى أن كلمة " مصرايم التي جاءت في التوراة ، لا تدل على مصر وإنما على الإقليم الواقع شمال بلاد العرب ، والذي يمتد غربا حتى حدود مصر الشرقية ، ولهذا فإن ما يقال عن إقامة العبرانيين في مصر ، إنما يعني إقامتهم في جنوب فلسطين ، أو في شبه جزيرة سيناء ، وطبقا لهذا الرأي ، فإن خروج بني إسرائيل لم يحدث من مصر ، وإنما من هذه المناطق المشار إليها . ويرى الباحث هوجو فنلكر أن اسم " مصرايم " لم يكن استعماله في البداية مقصور على الإشارة إلى مصر ، ولكنه كان يشمل كذلك الإقليم الذي سماه البابليون " مصر أو موصري " ، والذي يقع جنوب البحر الميت ، شمال شبه جزيرة العرب ، ويمتد غربا حتى حدود مصر الشرقية ، ويضم جبل سعيد ومدينة البتراء وأراضي مدين وأدوم .(٤)

---

(١) Posener, op. cit., p. 108 – 109.
د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٣٧٠ .

(٢) حياة إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٣) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

وربما أن التسمية " مصرايم " التى جاءت فى بعض النصوص ، تشير إلى الصحراء المصرية ، وليس إلى اسم " مصر " بالذات .

واستنادا على ما جاء في التوراة من وصف لجو مصر وأحوالها ، وأثر الأدب المصرى فى أدب العبرانيين ، ونصوص التوراة التى تتحدث عن دخول بنى إسرائيل مصر ، ويؤكد ان المقصود هنا أرض الكنانة . وبناء على ذلك فإن مصر التى جاءت فى بعض النصوص ليست هى موصري الواقعى إلى شمال غربى بلاد العرب ، وإنما هى مصر كنانة الله فى أرضه ، ومن ثم فإن ما جاء فى نص تيجلات بلاصر الثالث من أنه عين حاكما على موصرى فإنما يعنى هذه المقاطعة العربية ، والتى تقع إلى الشمال من نخل موصرى أى وادى موصرى .[١]

وإذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم نجد انه قد أشير إلى مصر وأرضها وعاصمتها بأربعة أسماء :

(أ) مصر (خمس مرات) فى الآيات الآتية :[٢]

سورة البقرة – آية ٦١ . فى قوله تعالى مخاطبا بنى إسرائيل :

" اهبطوا مصر فإن لكم ما سالتم "

سورة يونس – آيه ٨٧ . فى قوله تعالى مخاطبا موسى وأخيه عليهما السلام :

" وأوحينا إلى موسى وأخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين " .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢) أبو العباس القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الأنشاء ، المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة د. ت ، الجزء الثالث ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ ؛ المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد)، الجزء الأول ، دار المعرفة بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٣٣٩ ، ٣٤١ .

سورة يوسف – آية ٢١ ، ٩٩ : فى قوله تعالى :

" وقال الذى اشتراه من مصر " ، " وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين "

سورة الزخرف – آية ٥١ :

" ونادى فرعون فى قومه يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجـــرى من تحتى " .

وعندما تعرض أغلب المفسرين المؤرخين العرب لاسم مصر فـــى ســـورة يوسف ، ذكرها أغلبهم بالتسمية نفسها ، ونذكر هنا ما جاء عند بعضهم :

اليعقوبى : بعد ٢٩٢هـــ ، وكان بيصر بن حام بن نوح ، لما خرج مـــن بابل بولده وأهل بيته ، وكانوا ثلاثين نفسا ، أربعة أولاد له ، وهم : مصر ، وفارق ، وماح ، وياح ، ونساؤهم ، وأولادهم قد سار بهم إلى منف ، وكان بيصر قـــد كـــبر وضعف ، وكان مصر أكبر ولده وأحبهم إليه ، فاستخلفه ، وأوصاه بأخوته ، واقتطـع مصر لنفسه وولده ، مسيرة شهرين من أربعة أوجه ، وكان منتهى ذلك من الشجرتين بين رفح والعريش إلى اسوان طولا ، ومن برقة إلى ايلة عرضا .[١]

الطبرى ٣١٠ هـــ : " مصر " .[٢]

المسعودى ٣٤٦هـــ : وهى مصر ، واسمها كمعناها ، وعلـــى اســـمها سميت الأمصار ، ومنه اشتق هذا الاسم عند علماء المصريين .[٣]

---

(١) اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، المجلد الأول ، دار صادر ، بـيروت ، ص ١٨٥ ، مصدر سبق ذكره فى المصادر العربية .

(٢) أبو جعفر الطبرى : تفسير الطبرى : جامع البيان عن تأويل أى القرآن ، الجزء ١٦ ، حققه وخرج أحاديثه محمود شاكر ، دار المعارف ، القـــاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٧ – ٢٠ .

(٣) أبى الحسن المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (تحقيق محمد محيـــى الدين عبد الحميد) الجزء الأول ، دار المعرفة ، بيروت – لبنـــان ، ١٩٨٢ ، ص ٣٤٢ .

أبو السعود : ٩٥١ هـ : " مصر ".[١]

الألوسى : ١٢٧٠ هـ : " مصر ".[٢]

وجاء فى لسان العرب :

" ولمصر " : الحاجز والحد بين الشيئين . والجمع مصور . ويقال اشترى الدار بمصورها أى بحدودها . وأهل مصر يكتبون فى شروطهم : اشترى فلان الدار بمصورها أى بحدودها ، وكذلك يكتب أهل هجر والمصر : الحد فى كل شئ ، وقيل : المصر الحد فى الأرض خاصة .

الجوهرى : مصر هى المدينة المعروفة ، تذكر وتؤنث ، عن ابن سيراج والمصر واحد الأمصار . والمصر : الكورة ، والجمع أمصار . ومصروا الموضع : جعلوه مصرا . وتمصر المكان : صار مَصرا . ومصر : مدينة بعينها سميت بذلك لتمصرها ، وقد زعموا أن الذى بناها إنما هو المصر بن نوح عليه السلام ، قال ابن سيده : ولا أدرى كيف ذاك ، هى تصرف ولا تصرف . قال سيبويه فى قوله تعالى : اهبطوا مصرا ، قال : بلغنا أنه يريد مصر بعينها .

وقال الليث : المصر فى كلام العرب كل كورة تقام الحدود ويقسم فيها الفئ والصدقات من غير مؤامرة للخليفة . وكان عمر رضى الله عنه ، مصر الأمصار منها البصر والكوفة . والمصر : الطين الأحمر وثوب ممصر : مصبوغ بالطين الأحمر أو بحمرة خفيفة .[٣]

---

(١) أبو السعود العماوى : تفسير أبى السعود ، المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، الجزء الثالث ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ص ٢٦٢ .

(٢) أبو الفضل الألوسى : روح المعانى فى تفسير القرآن الكريم والسبع المثانى ، الجزء الحادى عشر ، قام بنشره وتصحيحه والتعليق عليه السيد الألوسى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ص ٢٠٦ .

(٣) أبو منظور الأفريقى : لسان العرب ، دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، المجلد الخامس ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١٧٥ – ١٧٧ .

وأخيرا جاء فى معجم الوسيط : " يقال مصر الأمصار : بناها . الماصر : الحاجز بين الشيئين . المصر : الحاجز بين الشيئين أو بين الأرضين . مصور يقال اشترى دار بمصورها " .(١)

وبناء على ذلك فإن التسمية مصر كاسم علم منقول عن اسم رجل تسميته لا تؤيدها النصوص المصرية القديمة . لعدم العثور عليها فى أى نص من النصوص العديدة التى نملكها والتى ترجع إلى أقدم العصور .

وأغلب الاحتمالات أن التسمية : مصر التى جاءت فى التوراة (مصر خزائن الله)(٢) ، والتى جاءت فى الآيات الخمس من سور القرآن الكريم والتى جاء ذكرها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو بن العاص رضى الله عنه ، وبعض الصحابة ، وفى كتابات بعض المفسرين والكتاب أو المؤرخين العرب ، جاءت من تسمية التوراة التى تعنى مصر . وعرب هذا الاسم ودخل آيات القرآن . وأصبحت تسمية عربية مشتقة من اللفظ " مصور " بمعنى حدود " أى البلد ذى الحدود الطبيعية " والمعروفة منذ أقدم العصور . أو البلاد ذات الحدود (الممصورة أو المصورة) يجئ الناس إليها . وكما جاء فى لسان العرب تشير التسمية : المصر إلى الطين الأحمر . وفى هذه الحالة ربما تعبر هذه التسمية عن لون طمى النيل بعد احتراقه .

وهذه التسمية العربية مصر بمعنى البلد المحدود وهى فى الواقع كناية عن إحدى التسميتين القديمتين : كمت أو تامرى . وهى تشير إلى الأوصاف التى وصف بها الله عز وجل أرضها . فإن كانت كمت تشير إلى أرضها السوداء وتامرى تشير إلى إنها بلد الفيضان والأرض الخصبة فإن التسمية مصر تعنى كل هذه المعانى ،

---

(١) د. إبراهيم أنيس – د. عبد الحليم منتصر – عطيه الصوالحى – محمد أحمد : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، طبع على نفقة إدارة إحياء التراث الإسلامى بدولة قطر ، الجزء الثانى ١٩٨٥ ، ص ٧٨٣ .

(٢) أبو العباس القلقشندى : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

فالبلد ذى الحدود أو المصور فيه الخيرات ، والاستقرار والأمن والأمان .

وكلا التسميتين يذكران فى النصوص المصرية القديمة بمخصص المدينــــة مما يدل على أن المقصود بهما " بلاد منظمة إداريا ولها عاصمة " ، وقد ذكرنا هاتين التسميتين بكثرة فى النصوص المصرية القديمة . وقد يذكران معا فى نص واحـــد . مثال ذلك لوحة المتحف المصرى رقم CG 34025 (من عهد الملك مرنبتــاح)(١) نجد ذكر للتسميتين بمخصص المدينة فـــى الأســطر : ٢ ، ٥ ، ١١ – ١٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٥ .

وكما ذكرنا من قبل فإن التسمية المصرية كمت تشير إلى طبيعة الأراضـــى الزراعية أو طبيعة أرض الوادى الخصبة ، كما تدعو إلى الاستقرار وتامرى تشـــير إلى البلاد التى يجتازها النيل وبها الحقول المزروعـــة اليانعـــة الخضـــراء والقـــرى والمدائن التى تجعل منها بلدا منظما محبوبا . وتامرى قريبة من التسمية مصر .

ونظرا لهذه المكانة نشأ فيها موسى عليه السلام ، وتربى فى قصر فرعــون (سورة القصص : آيات ٧ ، ٩) ، ودخلها جماعة من الأنبياء عليهم السلام منـــهم سيدنا إبراهيم ، ويعقوب ، ويوسف ، وأخوته عليهم السلام ، وزارها أيضـــا الســيد المسيح عليه السلام ، الذى جاء إليها مع السيدة العذراء . وقد روى أنه دخلـــها مـــن الصحابة رضوان الله عليهم ما يزيد على مائة رجل ، ودفن بقرافتها جماعة منهم .(٢) كما كان آمن لكل من دخلها من الرسل والأنبياء .

---

(١) Lacau, les Stèles du Nouvel Empire CGC I, p. 54 – 57.

(٢) أبو العباس القلقشندى : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ – ٢٨٣ .

(٣) الأرض (خمس عشرة مرة) :

" وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض " (الآية ٢١ ، ٥٦ من سورة يوسف)
" قال اجعلنى على خزائن الأرض[1] انى حفيظ عليم " (الآية ٥٥) .

" قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين " (الآية : ٧٣) . " فلن أبرح الأرض حتى يأذن لى أبى " (الآية : ٨٠) .

__سورة الأعراف__ : " وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الأرض " (الآية : ١٢٧) ، " قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض (١٢٩) " .

__سورة يونس__ : " وتكون لكما الكبرياء فى الأرض " (الآية : ٧٨) ، " وان فرعون لعال فى الأرض " (الآية : ٨٣) .

__سورة القصص__ : " ان فرعون علا فى الأرض " (الآية : ٤) . " ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض " (الآية : ٥) . " ونمكن لهم فى الأرض " (الآية : ٦). " إن تريد إلا أن تكون جبارا فى الأرض " (الآية : ١٩) . " واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق " (الآية : ٣٩) .

__سورة الشعراء__ : " يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره فماذا تأمرون " (الآية : ٣٥) .

---

(١) أول من تنبه إلى أن معنى " خزائن الأرض " يقصد بها مصر هو المسعودى : المرجع السابق ، ص ٣٤١ ؛ المقريزى : كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروفة بالخطط المقريزية) الجزء الأول ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٤ ؛ وابن اياس : المرجع السابق ، ص ٥ .

وكان المصريون القدماء يطلقون على أرضهم وبلادهم لفظ : تا كناية عـــن أرض مصر كلها[١] ، وهو المعنى نفسه الذى عبرت عنه آيات القرآن الكريم .

(٣) المدينة (أربع مرات) :

سورة يوسف : " وقال نسوة فى المدينة امرات العزيز تراود فتاها عـــن نفسه " (الآية : ٣٠) .

سورة القصص : " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلـــها " (الآيـــة : ١٥) . " وجاء رجل من اقصا المدينة يسعى قال يا موسى ان الملأ يـــأتمرون بـــك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين " (الآية : ٢٠) .

سورة الأعراف : " قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم أن هـــذا لمكـــر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون " (الآية ١٢٣) .

(٤) القرية (مرة واحدة) :

سورة يوسف : " وسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها وانـــا لصادقون " (الآية : ٨٢) .

ويشير هذان الاسمان إلى العاصمة ، ومن بلاغة القرآن الكريم أنه اســـتخدم اللفظين : المدينة والقرية للمعنى نفسه ، كما كان يعبر عنه فـــى اللغـــة المصريـــة القديمة ؛ لأنه كان يعبر عن لفظى مدينة أو قرية فى المصرية بلفـــظ واحـــد هـــو : نيوت[٢] وقد فسر الطبرى لفظى المدينة والقرية فى سورة يوسف على أنهما يـــدلان

---

(١) د. أحمد بدوى – د. هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١٥ .

على مصر[1] ، أما الصابونى فقد فسر كلمة المدينة بأنها " مدينة مصر "[2] ، أما ابن عاشور والكندى فيقولا : " مدينة مصر هى (منفيس) ، ويقال منف وهـــى قـاعدة مصر السفلى " .[3] وأخيرا جاء فى الوسيط : " المدينة : المصر الجامع " .[4]

أما عن أصل التسمية المعروفة فى اللغات الأوربية بـ " إجيبت " Egypt فهى غير واضحة :

- فيرى البعض أن هــذه التسـمية جـاءت مـن التسـمية ايجبتـوس aigptos على أساس أن معبد مدينة منف كان يسمى فى النصـوص المصريـة القديمـة " حوت – كا – بتاح " (معبد – شخص[5] – المعبود بتاح) وعندما أصبحت منف العاصمة فى الدولة القديمة ، فإن هذه التسمية أصبحت تعبر أحيانا عن العاصمة نفسها ، وعرفت هذه التسمية فى بعض النقوش البابليـة القديمـة تحت اسم hi – ku – ptah " حى – كو– بتاح " .[6] وسمع اليونان بعد ذلك هذا الاسم فأخذوه وأسموا مصر باسم " ايجبتوس[7] ، وقد ورد هذا الاسم أكثر مـن مرة فى أشعار هوميروس ، ومنه ربما جاءت التسمية إجيبت .[8]

---

(١) الطبرى : المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٢١٢ – ٢١٣ .

(٢) محمد الصابونى : صفوة التفاسير ، المجلد الثانى ، مكتبة جده ، جـده ١٩٨٠ ، ص ٤٩ ، ٦٤ .

(٣) محمد بن عاشور : تفسير التحرير والتنوير ، الجزء الثـانى عشـر ، الـدار التونسية للنشر ، تونس ١٩٨٤ ، ص ٢٤٥ .

(٤) د. إبراهيم أنيس – د. عبد الحليم منتصر وآخرون : المرجـع السـابق ، ص ٨٥٩ .

(٥) عن هذا المعنى لكلمة كا ، راجع : Meeks,Alex. II, p. 306

(٦) على وزن hwt ntr n.t b3w Iwnw " معبد قوى ايونو " = Meeks, Alex. 111, p. 82.

(٧) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1979), p. 17, 82.

د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصريـة القديمة ، ص ١٤٩ .

(٨) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – ===

- يرى البعض الآخر أن هذه التسمية الأخيرة تقارب الكلمة المصرية القديمة " آجب " التى تعبر عن مياه النيل وفيضانه ، وأصبحت تطلق على الوادى من الشمال حتى الجندل الأول فى الجنوب .(١)

- ويرى فريق ثالث أن هذه التسمية جاءت من كلمة قبطى نسبة إلى القبط ، وقبطى معناه مصرى .(٢) والقبطية فى الواقع ليست دينا ولا مذهبا ، وإنما هى جنسا وشعبا هو الشعب المصرى كله ، ولفظ قبط ، هو لفظ نطق به العرب وأطلقوه على المصريين جميعا أيام الفتح العربى .(٣) ومن المصريين (القبط) من دخل فى الدين الإسلامى ومنهم من بقى على ديانته المسيحية . وصار القبط أعوانا للمسلمين وأصبح القبط بعد الفتح الإسلامى فى غبطة وسرور لتخلصهم من اضطهاد الرومان .(٤) أما التسمية اليونانية كوبتوس فهى فى الأصل تعبيرا عن

== المجلد الأول – مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢٢٧ ؛ آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ ، ١٥ .

(١) Gauthier, DG. I, p. 12 et p. 111; Naville, JEA 4 (1917), p. 229 – 230; R. el Sayed, BIFAO 76 (1976), p. 96 n. (b).

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٢٧ .

(٣) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، الجزء الأول : العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٨ ؛ د. حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، الجزء الأول : الدولة العربية ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٣ ؛ د. عبد العزيز سالم : تاريخ الدولة العربية ، مؤسسة شباب الجامعة ، الجزء٢ ، ص ٢١٧ .

(٤) فطبقا للنظم الإدارية التى وضعها الرومان يأتى الرومان والاسكندريين فى المرتبة الأولى وبعدها يأتى سائر السكان الذين كانوا اصطلاحا يسمون " مصريين " وكانوا ينقسمون بدورهم إلى طبقات وفئات مختلفة المنزلة والمكانة ، راجع : د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر حتى ==

الكلمة المصرية جبتيو التى تعنى مدينة قفط فى مصر العليا . وكانت تسمى قفط أو قبتو فى الوثائق القبطية ولا يعنى بها كلمة مصر .[١]

وفى رأينا الشخصى أن التسمية حوت – كا – بتاح (معبد – شخص[٢] – بتاح) أى المعبد الرئيسى فى منف لأقدم عاصمة فى مصر هو الأصل الذى جاءت منه التسمية اليونانية ايجبتوس ومنها جاءت التسمية الأوربية الحديثة إجيبت ؛ لأن هذه التسمية تتوافق مع التسميتين المقدستين اللتين أطلقهما المصريون القدماء على بلادهم :

ايرت رع (عين – (معبود) الشمس رع) ، ووجات (عين (= المعبود) حورس) ، ويمكن أن تعبر التسمية حوت – كا – بتاح (معبد – شخص – بتاح) عن أقدم المعابد فى مصر وأقدم عاصمة وجد فيها ولهذا فهما يمكن أن يعبرا عن اسم مصر . ونلاحظ فى هذه التسميات الثلاث بأن المصريين القدماء جمعوا فيها بين ثلاث من أكبر المعبودات المصرية وأقدمها : رع ، بتاح ، حورس ، فهى عين رع المضيئة ، وعين حورس السليمة ، ومعبد التمثال الشخصى والرئيسى للمعبود بتاح . وأطلق المصريون القدماء على أنفسهم تسعة أسماء هى :

- رمث : أى " الناس أو العامة " ، من عصر الدولة القديمة (نصوص الأهرام)[٣] ، وكان هذا اللفظ يعبر عن " المصريين أنفسهم " فى بعض النصوص . وأحيانا كان يعبر عن " المواطنين " بوجه عام ، وأحيانا أخرى كان يطلق على طبقة النبلاء اسم رمث – عاو " الناس العظماء " .[٤]
- رمثوإن باتا : أى " أهل الأرض " من الأسرة العشرين .[٥]

---

(١) Černy, Etymological Dictionary, Cambridge, 1976, p. 345.
(٢) عن هذا المعنى لكلمة k3 ، راجع Meeks, Alex. 11, p. 393
(٣) Wb. 11, 421, 9; Meeks, Alex. I, p. 216.
(٤) Meeks, Alex. I, p. 216 = Goedicke, The Protocol of Neferyt, p. 84.
(٥) Wb. 11, 423, 10.

- **كمت** : " ذوى البشرة السوداء " من عصر الدولة الوسطى .(١)

- **كمتيو** : نفس المعنى السابق من العصر البطلمى .(٢)

- **رمث إن كمت** : " أهل الأرض السوداء " من عصر الدولة الوسطى .(٣)

- **إمى تامرى** : " الذين (يعيشون) على الأرض المحبوبة " من العصر البطلمى .(٤)

- **عنخو نب نوتا إن تامرى** : " كل أحياء الأرض من الأرض المحسوبة " من عصر الدولة الحديثة .(٥)

- **تا – ير – عا** : " أرض فرعون (الملك أو الحاكم) " من عصر الأسرة التاسعة عشرة .(٦)

- **باتا – إن – ير – عا** : " نفس المعنى السابق " .(٧)

وأطلق المصريون القدماء على جيرانهم عدة أسماء . ففى الجنوب أطلقوا التسمية " نحسيو " الذين كانوا يسكنون بلاد النوبة ، وسكان الصحراء من بلاد النوبة من جنس أكثر خشونة استعانت مصر بهم كرجال شرطة ، وأطلق عليهم اسم " مدجايو " .(٨) وأما ما وراء الجندل الثانى فكان يطلق عليها أرض " كاس " التى

---

(١) Meeks, Alex. V, 127 , 20.

(٢) Wb. V, 128, 1.

(٣) Wb. 11, 423, 9; V, 127, 14.

(٤) Wb. V, 223, 12.

(٥) Wb. V, 223, 11.

(٦) Meeks, Alex. 111, p. 318.

(٧) Meeks, Alex. 111, p. 318.

(٨) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٥٠ .

عرفت فيما بعد باسم " كاش " وهى " كوش " ولكن سرعان ما عم مدلولها بحيث اشتملت كل الأراضى الواقعة بعيدا إلى الجنوب حتى البلاد التى تحمل اسم " واوات " .(١) أما فى غرب الحدود المصرية فنستطيع أن نميز فى العصور القديمة مجموعتين أولهما الـ " تحنو " والـ " تمحو " .

ويبدو أنهم هم الذين كانوا يسكنون فى الواحات . وكان التمحو يشبهون من ناحية الجنس والثقافة المصريين فى غرب الدلتا . ويتزينون بخصلة شعر تتدلى من أحد جانبى الرأس ، ويحملون ريشا فى شعورهم .(٢) وأما قبيلة الـ " لبو " فلم نسمع عنها إلا فى عهد مرنبتاح حين قامت على رأس حلف من الغزاة الذين قدموا من أقاليم أبعد غربا .(٣) ومن اسم هذه القبيلة جاءت التسمية " ليبيا " .

وأما فى الشرق ، فهناك إشارات عن مدى الخطر الذى كان يتهدد مصر من هذه الناحية حوالى عام ١٩٧٠ ق. م . فى الحديث عن " أسوار الحاكم " التى شيدت لصد " السيتو " (أى الآسيويين) ولتقضى على " حريوشع " ومعناه الحرفى " أولئك الذين فوق الرمال " .(٤) وتحدثنا بعض النصوص أحيانا عن المدن الموجودة فى فلسطين أو سورية . ففى نص مرنبتاح الذى سبق ذكره نجده يذكر :

" وأمسكت التحنو ، وخاتى هدأت ، وأصيبت كنعان بكل أذى ، واستسلمت عسقلون ، وأخذت جزر، وينعم أصبحت كأنها لم تكن، (وعنصر) اليسيريارو سحق ولم يعد له بذرة، وخارو أصبحت أرملة لتاميرى ".(٥) وكان يطلق على بيبلوس اسم " كبن " .(٦)

---

(١) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٥١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٥٣ ، ١١٧ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٣٠ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم، الجزء الثانى ،طبعة ٢٠٠١، ص ٢٥٥– ٢٥٧ .
(٦) د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٦١ .

وفى الشمال أطلق على البحر المتوسط اسم " واج ور " الأخضر العظيم " فى أناشيد اخناتون .[١] وعلى جزر البحر المتوسط " هاو نبو " فى لوحة الكرنك من عهد أحمس الأول . وجاء فى نص الجدار الشرقى لفناء الخبيئة بالكرنك من عهد مرنبتاح[٢] (السطر الأول) أسماء بعض شعوب البحر الذين جاءوا أساسا من الشمال من إيطاليا واليونان وآسيا الصغرى ، وهم :

الايكاواشا : وهم الآخيون من اليونان ، وكانوا أصلا من جزيرة تسالى وغزوا جزر اليونان فى بداية الألف الثانية .[٣]

التورشا : هم أصل شعب الاتروسك ، وهو شعب ظهر فى نهاية القرن الثامن ق. م . فى إيطاليا .[٤]

الروكو : شعب من آسيا الصغرى .[٥]

الشاردنا : من جزيرة سردينيا فى إيطاليا ، جنوب كورسيكا .[٦]

---

(١) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٢٥٢ حاشية (١) .

(٢) Kitchen, RI IV, p. 2 – 12.

(٣) Nouveau : Petit Larousse (1095); Lalouette, L'Émpire des Ramses, p. 68 – 69, 267 – 270; Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 270.

وقد جاء ذكر هذه الشعوب فى النص نفسه فى الأسطر ١٤ ، ٥٢ ، ٥٤ .

(٤) Nouveau : Petit Larousse (1324); Gardiner, op. cit., p. 271.

وقد جاء ذكر هذه الشعوب أيضا فى النص نفسه فى الأسطر ١٤، ٥٣، ٥٦ .

(٥) Id. op. cit., (1498); Gardiner, op. cit., p. 271 .

ذكروا أيضا فى السطر ١٤ .

(٦) ذكروا أيضا فى الأسطر ١٤ ، ٥٢ ، ٥٣ .

Id., op. cit., (1678) .

الشكروشا : هم الشعب البدائى كشرق جزيرة صقلية .(١)

وتعرف من نصوص أخرى الاسم الذى أطلق علـــى جزيـــرة كريت وهو " كفتيو " .(٢)

(٥)

تأثير عناصر البيئة على النتاج الحضارى المصرى القديم

وكما أثرت عناصر البيئة على طبيعة الإنسان المصرى القديـــم وســـلالاته وأجياله المختلفة منذ أقدم العصور فإنها أثرت أيضا على نتاجه ونشاطه الحضـــارى . وحاول الإنسان من جانبه أن يتكيف مع هذه العناصر البيئية وحاول استغلال أغلـــب هذه العناصر فيما يلائم ويناسب حياته اليومية . وأثر استقرار البيئة ووضوح معالمها فيما عرفه الإنسان المصرى القديم من نظم وحضارة ، ففـــى مجـــال نظـــم الحكـــم والإدارة . كان المصرى القديم من أول الشعوب التى عرفت الوحدة السياسية وحـــافظ عليها ودافع عنها طوال عصوره التاريخية . تلك الوحـــدة التـــى أوجـــدت القوميـــة المصرية القديمة أو الشخصية المصرية القديمة لأفراد شـــعب متجـــانس مـــترابط لا يعرف التعصب أو العنصرية بين سكان الجنوب والشمال ، وكان ذلك من المقومـــات الأساسية التى قامت عليها مظاهر الحضارة المصرية القديمة .

---

(١) Id., op. cit., (1700); Gardiner, op. cit., p. 271 .

(٢) د. أحمد بدوى – د. هرمن كيس : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

وأدت هذه العناصر إلى ميل المصـــرى القديـم إلـى التجمـع والـترابط الاجتماعي لتأمين مصادر اقتصاده وثروته الطبيعية .

وأثرت هذه العناصر فى عقيدته ، وكـان قلبـه يفيـض اعترافـا بجميـل المعبودات عليه وفضلها عليه فيما وهبته من خيرات وهبات علـى هـذه الأرض ، فبحث بإخلاص عن التقرب إلى المعبودات ، وبحث بإخلاص عن القيم والمبـادئ ، فاعتنقها لأنه اعتبرها جزءا من طاعة المعبودات .

فضلا عن ثبات عقائده الدينية التى استوحها من بيئته ، وبعده عن مظـاهر التعصب المذهبى وتغلب طابع الرحمة فى أربابه على طابع العنف والشـدة ، كمـا أثرت عناصر البيئة فى تفكير المصرى القديم عن عالم الآخـرة ، عـالم يجـد فيـه الطمأنينة والاستقرار كما وجدها فى دنياه .(١)

كما أثرت عناصر البيئة فى ثبات تقاليد المصريين القدماء ووضوح ثقافتـهم وتوصلهم إلى العديد من المعارف والعلوم ، فضلا عن صبغ إنتاجهم الفنـى بصبغـة غالبة من بساطة الخطوط ووضوح التعبير .

ولكى نرى إلى أى مدى أثر كل عنصر من عناصر البيئة فى هـذا النتـاج الحضارى نقول أن الموقع الجغرافي الفريد لمصر أثر فى حياة المصرى القديم فـى أكثر من ناحية : أن جعل مصر تتصل بالدول والشعوب المجـاورة لحدودهـا منـذ عصور ما قبل التأريخ واستمرت هذه الاتصالات حتى نهاية تاريخ مصر القديم . وقد اختلفت طبيعة ونوعية وطريقة هذه الاتصالات طبقا للسياسة الخارجية التـى اتبعـها ملوك مصر القديمة بصفة خاصة ، ونتيجة لما يحدث من جانب الـدول والشـعوب المجاورة لحدود مصر الشرقية والغربية والجنوبية ، فأحيانا هى علاقات قائمة علـى حسن الجوار وما يترتب على ذلك من تبادل للأفكار الثقافية والدينية ، وأحيانا أخـرى علاقات ذات طابع تجارى ، وأحيانا ثالثة علاقات ذات صبغة عسكرية لدفع خطر مـا

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعـراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٤ .

وتأمين الحدود ضد الغزوات الأجنبية ، أو سياسة فتح وغزو وخاصة فـــى منــاطق الشاطئ الغربى للبحر المتوسط ، وينطبق هذا على السياسة الخارجية لملوك مصـــر القديمة فى عصر الدولة الحديثة .

وقد أدرك المصريون القدماء أنفسهم أهمية الموقـــع الجغرافـــى لبلادهـــم ، وحاولوا ربط النيل بالبحر الأحمر عن طريق قناة للاتصال بالبحر المتوســـط . وقـــد فكر فى هذا المشروع أحد ملوك الدولة الوسطى ربما سنوسرت الأول أو الثـــالث ؟ والملك نكاو فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ولكنه لم ينفذ هذا المشروع ونفـــذه فقط الملك الفارسى دارا الأول فى عصر الأسرة السابعة والعشرين .(١)

وأدرك البطالمة أهمية موقع مصر بالنسبة لطـــرق المواصـــلات . وعمـــد البطالمة إلى تنظيم استغلال موارد مصر الداخلية وإعداد مصـــر لأن تكـــون قـــاعدة صالحة للتحكم فى طرق المواصلات فى الشرق القديم . فعمدوا إلى تحسين وســـائل الإدارة وفتح طرق التجارة خصوصا عن طريق البحر الأحمر إلـــى شـــرق أفريقيـــا والهند ، فأصبحت مصر بالتدرج حلقة الاتصال التجارى فى العالم القديم . وجعلـــها تتحكم فى طرق المواصلات بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب . وبفضل هـــذا الموقع أصبح من السهل على المصريين فى بداية العمـــران والاســـتقرار أن يتلقـــوا النباتات والبذور من الجنوب أو الشرق أو الشمال .

استفاد المصرى القديم من التكوينات الصخرية والحجرية الموجـــودة فـــى بيئته ، وقد سمحت صلابة هذه الصخور والأحجار أن تبقى أكثر مما عداهـــا دوامـــا واستمرارا . هذا إلى جانب توافر مواد البناء والتشييد ، وأحجـــار الزينـــة وبعـــض المعادن الأخرى فى باطن الأرض وعلى سطوحها . ولا ننسى أيضـــا أن المصـــرى القديم قد استفاد من طمى النيل وصنع منه الطوب اللبن ، وذلك بخلطه برمل أو تبـــن ليقوى تماسكه ، واستفاد كذلك من أعواد النباتات من البردى التى صنع منها لفائفـــه الصالحة للكتابة ، وكذلك الغاب وجذوع الأشجار مثل النخيل والجميز .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٥ .

ومن هذه الأحجار المتنوعة والمواد المختلفة استطاع الفنان المصرى القديم أن يصنع أدواته ، ويشيد الكثير من مختلف مظاهر العمارة الدنيوية من مدن بها القصور والمنازل ، والأدوات ، وما يحيط بها من أسوار ، كما شيد الحصون والسدود ، ودينية من معابد للمعبودات ، ومقاصير وهياكل وجواسق للملوك ، وجنائزية من مقابر للملوك والملكات والأمراء من أهرام ومعابد جنائزية ، ومقابر لكبار الشخصيات من رجال الدولة ، ومقابر لبقية الأفراد والعمال . هذا إلى جانب أنه نحت وأقام العديد من التماثيل واللوحات والتحف الصغيرة ، من كل هذه المواد . ولم تكن أدوات المصرين القدماء وآلاتهم لقطع الأحجار وإعدادها واستخدامها فى البناء سوى أدوات بسيطة من حجر ، ونحاس ، وبرونز وخشب .(١)

وقد أثرت بعض العناصر النباتية الموجودة فى البيئة فى فن العمارة ، فقد أصبح تقليد هذه العناصر من عناصر الزخرفة التقليدية مثل تقليد أعواد البوص أو الخيرزان ، التى حلى بها المصرى القديم الجدران الخارجية الهامة والأبواب لما فيها من تناسق وجمال .(٢)

ومن أبرز مميزات العمارة المصرية ومفاخرها ، الأساطين التى تقلد عناصر نباتية مثل البردى واللوتس والنخيل . فاختار الفنان المصرى شكل زهرة البردى ، أو اللوتس المتفتحة أكمامها ، وجريد أو سعف النخيل لتحلية أعالى وتيجان الأساطين ، وذلك لكثرة هذه النباتات بين نباتات البيئة المصرية ، أو لأنه أعجب بها أكثر من غيرها لجمال أشكالها .

أثر النيل فى حياة الإنسان المصرى القديم ، فكان الإنسان الذى تواجد على أرض مصر فى العصر الحجرى القديم يعيش فى الصحارى ، أما بعد انقضاء عصر الأمطار وحلول الجفاف ، نزح الإنسان إلى الوادى ، واضطر إلى الإقامة على

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٩ ؛ د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٢ – ٥٣ .

ضفافه .[١] وبدأ الإنسان يفكر فى الاستفادة من مياه النيل فى الشـــرب والزراعـــة ، وتنظيم الوسائل للاستفادة من فيضانه . وللاستفادة من مياه النيـــل يجـب ألا يكــون مستواها مرتفعا جدا أو منخفضا جدا .[٢]

وعلى أقدم قوائم الملوك ، حجر بالرمو ، نجد مع ذكر أسماء الملوك نوعـــا من الترتيب التاريخى للأحداث السياسية الهامة التى وقعت أثناء فترة حكم كل منـــهم للبلاد ، مع ذكر الحدث الهام فى كل عام ، ألا وهو تسجيل ارتفاع منسوب الفيضان . فالحياة الزراعية ترتبط فى كل عام بمدى ارتفاع هذا المنســـوب ، ويعتمـد فـرض وتحديد الضرائب أيضا على حالة الفيضان . وفى أثناء فصل الشتاء عندما ينخفـــض منسوب مياه النهر ، كان لابد من إيجاد وسائل بسيطة لرفـــع الميــاه لـــرى الأرض فاخترع الشادوف الذى عرف منذ عصر ما قبل الأسرات ، أو منـــذ عصــر بدايـــة الأسرات ، ولكن الطنبور ظهر فى العصر اليونانى والساقية فى العصر البطلمـــى - الرومانى .[٣]

وكما كان الفيضان مصدرا للخير فكان أحيانا يهدد حياة السكان جميعا فـــى وادى النيل أو على جوانب النهر وفى دلتاه ، فكان لابد من توحيد الجهود وتنظيمـــها لتوزيع المياه بطريقة سليمة . فمشكلة توزيع المياه تعتبر المشكلة الرئيســـية ، فـــهى تحتم شق القنوات ، وحفر الترع ، وبناء الخزانات والسدود . وللحماية مـــن أخطـــار

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٤ .

(٢) قام فانديه بتجميع عدد كبير من الجمل التى تعبر عن الأمل فى وصول الفيضان فى ميعاده وعدم تجاوزه المقاييس المتعارف عليها فينتج الخير وتعم البهجـــة ، كما تعبر بعض الجمل الأخرى عن الخوف مـــن انخفاضـــه وتعـــرض البـــلاد للمجاعة ويحل البؤس والحـــزن ، راجـــع : Vandier, la famine dans : L'Égypte an-cienne, Paris (1936), p. 139 – 149.

كما جمع فانديه أكثر من ٣٥ كلمة تعبر عن المجاعة والبؤس ، راجع : Id., op. cit., p. 151 – 158.

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٧ .

الفيضان لابد من تضافر الجهود أيضا لإقامة الجسور القوية فمنذ أقدم العصور مارس المصريون القدماء لونا من ألوان التحكم فى المياه ، وذلك عن طريق رفـــع ضفتـــى النهر إلى حد يحصر أعلى فيضان متوقع . وتخضع كل هــذه المشــاريع للإشــراف من قبل الحكومة المركزية التى لابد من وجودها لكى تستطيع أن تتحكـــم فـــى هـــذا الإشراف ، وترعى شئون الرى ، وتنظيم توزيع المياه فى كل الأقاليم . ويعتبر قيـاس ارتفاع مياه الفيضان وكيفية الاستفادة منها ودفع أخطارها مثلا واضحا لمـــدى تـــأثير عنصر من عناصر البيئة على الحياة الإدارية فى مصر القديمة ، ومدى تـــأثير ذلـــك فى السياسة الداخلية لبعض الملوك . فلدينا على سبيل المثال أقدم نقش على أثر يمثـل ملكا مصريا وهو يقوم بشق ترعة .(١)

وهكذا كان على المصرى القديم أن يواجه ظاهرة تذبذب فيضان نهر النيـــل فى كل عام طوال تاريخه . ونذكر هنا أن الفيضان لعـــب دورا آخـــر فـــى حمايـــة العمران المصرى أحيانا من الغزاة ، فعندما تقدم الجيش الفارسى لمحاصرة منف فـــى بداية الأسرة الثلاثين لم يستطع الاستيلاء عليها . ويبدو أن فيضان النيل والتنافس بين القواد على تولى القيادة هو الذى عجل بانسحاب العدو .(٢)

لقد أحس المصرى القديم بأهمية ظاهرة الفيضان التى ليس لها نظـــير فـــى البيئات الأخرى ، ولهذا طبع حياته الزراعية فى الوادى والدلتا بنظام معين فـــى رى الأحواض . وقد حاكى المصرى القديم النيل فى طوله فى شق الترع والقنوات بشـــكل

---

(١) يوجد هذا المنظر فى نقوش رأس مقمعة القتال من العـــاج والخاصـــة بـــالملك العقرب ، راجع : Vandier, Manuel d'Archeologie I, p. 600 – 602 Fig. 393; Quibell, Hierakonpolis I (1900), pl. 25 – 26 (2) (4).

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثـــانى ، طبعـــة ٢٠٠١ ، ص ٤٥٢ ؛ د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمـــة ، ص ٦ .

طولى .[١] ومن هنا بدأ الإنسان يتكيف مع هذه الظاهرة الطبيعية الضرورية لحياته الزراعية ، حتى أن هيرودوت ذكر قولته الشهيرة بأن " مصر هبة النيل " .[٢]

ولكن يمكن القول بأن المصريين أنفسهم كانوا يدركون هذه الحقيقة الجغرافية ، ففى نص من نصوص العصر البطلمى نقرأ " الأرض السوداء للنيل "[٣]، والتى يمكن فهمها بمعنى " مصر النيل " والتى ربما قد سمعها هيرودوت قبل هذا التاريخ من أفواه أحد الكهنة فسجلها على إنها مقولة من أفكاره .

ولقد أصبح النيل شريانا للمواصلات ، فمصر ليس لديها طريق أخر غير النهر[٤] ، الذى كان يربط بين سكان الوادى والدلتا فى الجنوب والشمال ، وساعد على ربط أجزاء مصر ، ومهد ذلك لقيام وحدتها السياسية .[٥] فمصر أصبحت دولة ذات تجمع سياسى قوى ومتماسك ، وفى الوقت نفسه ذات تجمع إدارى منظم . ونتيجة لذلك كان لابد من إحراز تقدم سريع فى وسائل الملاحة ، والتقدم فى صناعة المراكب الشراعية ، وأدى ذلك إلى توصل المصريون إلى اختراع الدفة ، وكل ذلك كان له أثر فى تطور النظام الاقتصادى ودخل الدولة من المحاصيل التى كانت تنقل عن طريق المراكب . فلدينا بردية من الدولة الحديثة موجودة فى متحف اللوفر تحدثنا

---

(١) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٨ ، حاشية (٣) .

(٢) جون ولسون : الحضارة المصرية (ترجمة د. أحمد فخرى) ، ١٩٥٥ ، ص ٣٧ .

(٣) يوجد هذا النقش فى معبد اوبت بالكرنك .

(٤) إلى جانب أهمية النيل الاقتصادية فإنه كان وما زال طريقا ملاحيا ممتازا فى أفريقيا ، يتوغل فيها من البحر المتوسط إلى حافة هضبة البحيرات عند جوبا ، باستثناء منطقة الجندل فى بلاد النوبة ، راجع : د. محمد رياض – د. كوثر عبد الرسول : أفريقيا ، دراسة لمقومات القارة ، ص ١٢٧ ، ٣٣١ .

(٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .

عن نقل التمر من إقليم لآخر بواسطة المراكب .(١)

وأهمية اقتصادية أخرى لهذا النهر ، ففيضانه العالى كان يعنى رخاء البلاد ، أما الفيضان المنخفض فكان يعنى عدم كفاية الماء لرى الأرض مما يؤدى إلى ضآلة المحصول ، واضطراب الحالة الاقتصادية وربما يؤدى إلى مجاعة أحيانا .(٢)

ونظرا لبطء تيار النهر عندما يصل إلى مصر ، فإن ذلك يساعد على ترسب الطمى فى الحقول التى تغطيها مياه الفيضان . وهذا الطمى الذى تكمله عناصر أخرى نباتية خصبة هو الذى كون أرض مصر الخصبة ، والتى تسمح بزراعة محصولين أو ثلاثة سنويا .

ولنا أن نفهم جيدا ، لماذا جعل المصريون من ذلك النهر الذى يجلب لهم المياه ، ويساعد على إعداد الأرض الخصبة على السواء بفضل طميه ، معبودا ، هو المعبود " حعبى " وقاموا بترتيل الأناشيد(٣) وعمل الطقوس الدينية تكريما له .

بل أننا نجد صدى لأهمية الماء فى النصوص المصرية القديمة ، فالماء هو القربان الأساسى الذى يقدم للمتوفى ، أو ينثر تحية ووفاء لذكراه .(٤) ونجد فى تلك الخطابات الغريبة التى يرسلها الأحياء إلى الموتى ، صيغة تهديد بالنسبة لهؤلاء الذين لم يطيعوا الأوامر الموجهة إليهم ، فلن " يصب إليهم الماء " .(٥) ومن هنا نرى أن الماء اعتبر عنصرا حيويا وأساسيا بالنسبة لتأدية القرابين والطقوس .

---

(١) Megally, Notions de Comptabilité. A propos du papyrus E. 3226 du Musée du Louvre, p. 15.

(٢) أشرنا من قبل إلى نص جزيرة سهيل بأسوان الذى يتحدث عن سنوات المجاعة التى حلت بالبلاد فى عهد الملك جسر فى بداية الأسرة الثالثة .

(٣) انظر فيما بعد الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٤) Garnot, L'Appel Aux Vivants, p. 25 n. (2); Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 570 – 571.

(٥) Gardiner – Sethe, Egyptian letters to the Dead, p. 15.

ونرى فى نص آخر أن تمييز طبقة السكان فى مختلف أنحاء البــلاد ، تــم طبقا لمصدر شرب الناس الماء ، فهناك من يشربون من ماء النيل ، أو مياه الآبــار ومياه الترع ، أو مياه الأمطار المخزونة . وكان هناك سقاءون لتوزيع الميــاه علــى البيوت فى المدينة ، وفى نص لأحد حكام أسيوط يقول فيه أنه قام : " بتعيين سـقاءين لتوزيع المياه على البيوت فى المدينة " .(١)

وأخيرا مما يدل على أهمية هذا العنصر ، وجود أكثر من سبعة عشر لفظـا فى اللغة المصرية القديمة للتعبير عن كيفية انسياب مياه النيل ومياه الفيضان .(٢)

أثر طول الوادى واتساعه واختلاف وتغير طبوغرافيته على الحياة السياسـية والإدارية للبلاد .(٣) فطول مصر يبلغ عشرة أضعاف عرضها ، وكان له أثـره فـى تطور نظم الحكم والإدارة . فهذا الشريط الطويل الذى يمثل أرض مصـر ، والـذى ليس له طريق غير نهر النيل ، كان يعمل فى الاتجـاه المضـاد ، ويسـاعد علـى الانفصال الذى يتعارض مع الوحدة التى تتطلبها ظروف الحياة ، ويساعد أيضا علـى تفتت السلطة المركزية .

وكان من الصعب على اى ملك أن يمارس أيه سلطة بنشاط فى الأقـاليم أو فى المناطق التى تبعد أكثر من ألف كيلو مترا عن العاصمة . فالوصول إلـى تلـك الأقاليم البعيدة ، كان يتطلب الإبحار فى النهر لعدة أيام . ولهذا السبب فعندما تصـاب السلطة المركزية بنوع من الضعف ، نرى حكام الأقاليم يتحولون على الفـور إلـى ملوك صغار شبه مستقلين عن السلطة المركزية .

ولهذا نرى منذ البداية ، أن تاريخ مصر السياسى كان يتأرجح بين الاتجـاه إلى التجمع السياسى الذى تتطلبه الاحتياجات الضروريـة للبـلاد ، والاتجـاه إلـى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعـراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٦ .

(٢) Wb. VI, index (1957), p. 180 .

(٣) د. مدحت جابر : المرجع السابق ، ص ٦ – ٨ .

الانفصال الذى ساعد عليه امتداد البلاد طولا . ومن هنا نشأت أيضا ، أهمية الأقـاليم فى نظم الحكم والإدارة . فقد كان لزاما على كل إقليم أن يعيش ويتمتع بنـوع مـن الحكم الذاتى نظرا لبعده الكبير عن السلطة المركزية والإدارية فى العاصمة . وكـان حاكم الإقليم هو الذى يهتم بكل مشاريع الرى واستصلاح الأراضى ..

كما أن طول البلاد ، كان يتطلب من الناحية السياسـية والإداريـة وجـود عاصمة ويجب أن تكون فى مكان متوسط من البلاد إلى حد ما ، حتى يستطيع الحاكم القوى ان يبسط سـلطانه على جميع أنحاء الـوادى دون عـائق . ومنـذ العصـر الثينى ، وبدون شك منذ عصور ما قبل التأريخ ، كان هذا الموقع المتوسط الحيـوى يتمثل فى إقليم منف (الذى لا يبعد كثيرا عن الجنوب القـاهرة الآن) . ومـن هـذا المكان ، استطاعت الإدارة الملكية أن تتحكم في الإشراف على الدلتا وعلـى أعـالى الوادى . وسوف نرى فيما بعد ، أن هذا الموقع الذى كان يمثل العاصمة المثالية فـى عصر الدولة القديمة ، نجد أن ملوك الدولة الوسطى ، لسبب سياسى داخلى ، اتجـهوا إلى إقرار عاصمتهم فى الفيوم . واتجه ملوك الدولة الحديثة لسبب دينى أكـثر منـه سياسى إلى إقرار عاصمتهم فى طيبة ، التى وأن كانت تمتاز بأنها أكثر قربا إلى بلاد النوبة التى اتسعت حدود مصر تجاهها إلى أقصى درجة ، إلا أنها لا تمثل العاصمـة المثالية ، نظرا لبعدها الشاسع عن الدلتا . ولهذا اتجه بعض ملوك الأسـرة التاسـعة عشرة إلى نقل الثقل السياسى والعاصمة إلى الدلتا . وأسس الملك رمسـيس الثـانى عاصمة جديدة فى " بر – رعمسس " وأقام فيها من بعده ابنه مرنبتاح .[١] واحتفظـت طيبة بمكانتها الدينية . وكان من أسباب نقل العاصمة بالقرب من الشمال الشرقى هـو أن الإمبراطوريات الآسيوية بدأت تتوسع نحو الغرب . وأقام رمسيس الثانى حكمـه فى بر – رعمسس ليسهل عليه مراقبة ما يحدث على الحدود الشرقية .

وتغير مكان العاصمة أكثر من مرة بعد ذلك ، نظرا للتطورات فى السياسـة الخارجية لبعض بلدان الشرق القديم وفى البلاد المطلة على حوض البحر المتوسـط ، فاتخذ ملوك الأسرة الحادية والعشرين من مدينة صان الحجر فى شرق الدلتا عاصمـة

---

(١) Lalouette, L'Empire des Ramsès , Paris (1985) , p. 266 .

لهم ، واتخذ ملوك الأسرة الرابعة والعشرين والسادسة والعشرين من مدينة صا الحجر فى غرب الدلتا عاصمة لهم ، واتخذ ملوك الأسرة التاسعة والعشرين من مدينة مندس (تمى الامديد) فى وسط الدلتا عاصمة لهم .

ومن ناحية أخرى كان على حكام مصر منذ بداية الأسرات وخلال العصور التاريخية أن ينتبهوا لما يحدث باستمرار من تحركات للشعوب والقبائل التى تعيش فى المناطق المتاخمة للحدود الشرقية والغربية والجنوبية وكذلك من الغزوات الأكثر أهمية ، والتى كان الغرض منها جميعا النيل من خيرات أرض مصر وثرواتها والاستقرار فى أرضها الخصبة ، أو للسيطرة على موقعها المتوسط ، فنعمها وخيراتها كانت أحيانا سببا فى تعاستها عندما كان يطمع فى خيراتها الطامعون فتعرضت للغزوات والهجرات .

أثرت الوديان القديمة والواحات والصحارى فى حياة الإنسان المصرى القديم . ففى أماكن الوديان القديمة تقع جبال المحاجر والمناجم والتى استغلها المصرى القديم أفضل استغلال فى كافة أغراضه الصناعية وحياته اليومية . كما استغل الإنسان المصرى القديم منذ أقدم العصور الواحات ، مثل الواحات الخارجة التى عثر فيها على أدوات من الظران التى استخدمها الإنسان فى العصر الحجرى القديم (١) ، وكان بها الأرض الصالحة للزراعة وبخاصة البلح والزيتون ، وتمتاز باعتدال جوها مثل الواحة البحرية ، والداخلة التى كانت تشتهر بجودة نبيذها ووفرة كرومها . ولحسن استغلالها قام الإنسان المصرى القديم بحفر العيون والآبار فى جميع الواحات للحصول على الماء الصالح للشرب وللرى وكانت هذه الواحات بمثابة نقاط الدفاع الأمامية ، فأقام بها الحصون والنقاط العسكرية ، فمثلا واحة الفرافرة كانت تعد أحدى المواقع الاستراتيجية الهامة فى الصحراء الغربية .(٢)

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٤٢٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٢٢ – ٤٢٦ .

وقد أثرت الصحارى فى حياة الإنسان المصرى القديم ، فالصحراء تحيط بالبلاد من الشرق والغرب ، وفى الجنوب توجد بعض المناطق الصحراوية . وكانت هذه الصحارى بمثابة الموانع الطبيعية والجغرافية ضد التدخلات الأجنبية فى فترات الضعف السياسى . فكانت تلك الموانع بمثابة حصنا طبيعيا مترامى الأطراف من الرمال المتراكمة على مسافات طويلة تكسر من حدة هجمات المغيرين أحيانا وحمت حدود مصر من شر الطامعين أحيانا أخرى . وساعدت تلك الموانع على تطور الحياة وعلى تطور مظاهر الحضارة المصرية القديمة التى كانت تنعم بفترات استقرار طويلة لم تعرفها الكثير من حضارات العالم القديم ، فهذه الصحارى جعلت حضارة مصر القديمة بمنأى عن المؤثرات الأجنبية الخارجية ، وكانت بمثابة الجدران الخارجية للوعاء الذى تتفاعل بداخله كل المقومات والمظاهر الحضارية ، وهذا ما ساعد ، بطريقة غير مباشرة ، على ازدهار الحضارة المصرية . كما كان لهذه الصحارى أثرها البعيد فى حياة السكان . فلولا وجودها على جانبى الوادى لتغير وجه التاريخ والحضارة المصرية فى أكثر من مظهر [1] . فالصحراء الوعرة المترامية أجبرت الإنسان على تركيزه جهوده فى الوادى وحسن استغلاله لأراضيه ، وهذا ما أبرزه غنى الوادى الأخضر . واستطاع المصرى أن يستغل رمال الصحراء وجفافها فى جهة الغرب فى المحافظة على رفات موتاه .[2]

ونتيجة للمناخ الحار ، فى بلد عديم الأمطار ، تبلغ فيه درجة الحرارة السنوية حوالى أكثر من ٢٠ درجة ، كان لابد للإنسان من امتلاك مسكن . ومن هذا ظهرت أهمية البناء منذ عصور ما قبل التأريخ ، حتى فى العصر الحجرى الحديث عندما كانت الأمطار الشتوية شديدة ، كان عليه أن يحتمى فى مسكن . وقد أثرت قلة الأمطار فى العمارة المصرية القديمة ، ومن أجل ذلك شيدت الأفنية المتسعة الغير مغطاه فى المعابد . وللسبب نفسه أصبحت سطوح المبانى وخاصة فى العمارة

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٤ ، ٤٩١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٣ .

الحجرية طوال العصور التاريخية مستوية .[١] كما أن وجود الشمس الساطعة التي تغمر البلاد بضوئها القوى ، أثر في إعداد المداخل والأبواب في المعابد والمقابر التي كانت كبيرة ، ليدخل منها ضوء كاف يضئ مساحات كبيرة ، ويضئ كذلك النقوش الغائرة على السطوح الخارجية ، والتي كانت معرضة لضوء الشمس بما يقيها العطب ، ويسمح للأضواء والظلال أن تتلاعب عليها بما يخفف من حدة الضوء الشديد ويضفى على الجدران الخارجية جمالا .[٢]

وأثرت هذه الظواهر المناخية في أحاسيس الفنان المصري القديم وصبغ إنتاجه بصبغة غالبة من بساطة الخطوط ووضوح التعبير وسماحة الهيئة .[٣]

وأثر شروق الشمس وغروبها في عقيدة المصريين ، وربطوا بين البعث وحركة الشمس في دورتها اليومية ، فهي تشرق لنفعهم ثم تتجه إلى الأفق الغربي عند الغروب حيث توجد أغلب مقابرهم ، وتخيلوا أن هذا الكوكب يعبر السماء في قاربين ، قاربا يعبر به سماء الأحياء في النهار ، وقاربا يعبر به سماء الموتى في الليل .

وكان " نسيم رياح الشمال " العليل يلطف من حرارة الجو في أيام الصيف ، لذلك كانت واجهات البيوت تستقبل عادة جهة الشمال ، كما كانت تنشأ في السقوف ملاقف تتلقى الهواء الرطب .

وكانت الرياح الشمالية دائمة ، ولا زالت تجرى في أغلب فصول السنة في اتجاه شمالي جنوبي ، وبذلك استطاع المصري أن يستغل قوة دفع الرياح واخترع

---

(١) د. أنور شكري : العمارة في مصر القديمة ، ص ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦ – ٣٨ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣١ .

الشراع فى المراكب[٤] ، وانطلق بمراكبه من الدلتا نحو الصعيد مغالبا تيـــار النـــهر الذى يندفع من الجنوب إلى الشمال .

(٦)

الحضارة المصرية بين النشأة والتطور

(أو فترات النشوء والتكوين والتطور)

أثبتت نتائج الحفائر التى تمت فى نخن (هيراقو نبوليس) وأبيدوس وسـقارة وحلوان وغيرها من جبانات عصر الأسرتين الأولى والثانية أن الحضارة المصريـــة فى هذا العصر العتيق كانت أكثر تقدما مما كنا نعتقد . ولهذا فالأسرة الأولى والثانيــة تمثلان فترة تبلور للحضارة المصرية . فقد تجمعت العناصر المادية الضرورية لنشأة هذه الحضارة فى العصور السابقة على عصـــر الأســرتين مـــن اســتغلال الأرض للزراعة . والتحكم فى صناعة الأحجار والفخار والمعادن والنسيج والحلى ... إلـــخ . ويمكن القول بأن الأسرتين الأولى والثانية قد حولتا هذه الحضارة التى كانت فـي دور النشأة إلى حضارة متطورة ؛ ولهذا فنحن نأسف لأننا لم نسـتطع أن نتعـرف علـى المشاكل التى كانت تخص تطور نظام الحكم والإدارة في البلاد . فالآثـــار ودراســة الأساطير الدينية هى التى سمحت لنا إلى حد ما بمعرفة الطريقة التـى اتحـدت بـها البلاد وكيف أن الممالك المتعارضة فى الجنوب والشمال قد اندمجت بعد فترة صــراع على يد أول ملك هو نعر مر – منى[٢] ، ولم تفصح لنا الوثائق الأثرية ولا الأســاطير

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ .

(٢) نعرمر هو لقبه الحورى ، ومنى الذى يكتب خطأ ، مينا هو لقبه الملكى ===

الدينية عن الطريقة التى نشأت عليها الدولة المصرية . ونحن نعلم أنـــه منـــذ بدايـــة عصر الأسرة الأولى كان هناك ملك واحد ، ففى عصر الملـــك دن خـــامس ملـــوك الأسرة ظهر لقب ملك مصر العليا والوجه البحرى ، وأن البلاد كانت مقسمة إلى عدة أقاليم وضع على رأس كل منها موظفون ملكيون ، ولم يكن كل ذلك إلا نتيجة لعوامل التطور .(١) وقد دلت الحفائر على وجود مدن من الطوب اللبن بـــالقرب مـــن نخـــن وأبيدوس .

وكان لابد من إنشاء العاصمة الإدارية للحكم ، وأسســـت مدينـــة الجـــدار الأبيض التى عرفت باسم منف ، وكان لابد أيضا من تشييد القصر الملكـــى فيـــها ، فعلى لوحة الملك واجى فى اللوفر نرى البوابة الرمزية للقصر الذى كان يسكن فيـــه الملك ، ويبدو أنه كان من الطوب والأخشاب والحصير والبوص . وأعقـــب تشـــييد العاصمة تتويج الملك وكانت هذه المراسيم تشمل : تتويج الملـــك بالتـــاج الأبيـــض والأحمر ، مراسيم اتحاد القطرين ، وأخيرا الدوران حول الجدار الأبيض .(٢) وكـــان يصاحب هذه الاحتفالات احتفالات دينية ، فهى احتفـــالات شـــرعية مدنيـــة ودينيـــة مقدسة . فالملك اعتبر شبه معبود على الأرض ؛ لأنه كـــان يســـتمد ســـلطاته مـــن المعبودات وظل هذا الطابع الدينى من أهم معالم الملكيـــة المصريـــة حتـــى الفتـــح المقدونى .(٣)

=== بمعنى المثبت أو المدعم ، وهذا اللقب هو الذى ورد فى القوائم الملكية كاســـم لأول ملوك الأسرة الأولى ، راجع : آلن جاردنر : مصر الفراعنة ، ترجمـــة د. نجيب ميخائيل ، ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر ، الهيئة المصرية العامـــة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٤٦٨ .

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجـــزء الأول ، طبعـــة ٢٠٠١ ، ص ٤٢١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

وكان يعاون الملك مجموعة من كبار الموظفين على رأسهم الوزير ، فقد كان لابد للملوك الذين حققوا وحدة البلاد أن يكون بالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم . فعلى ظهر لوحة الملك نعرمر (منى) ، نجد تمثيل شخص كان يسبق الملك ومميز عن الآخرين بطوله وحلته وشعره المستعار ، ربما ينطبق هذا على شخصية الوزير ، وخاصة وهو يحمل لقب ثت أى وزير ، وكان حول ملوك الأسرتين الأولى والثانية بعض الإداريين ، عثر على ألقابهم فى الوثائق ، ولكن لا نستطيع ترتيبهم بشئ من التأكيد ، فكان هناك " مستشار الوجه البحرى " وكان له دور هام وفعال ؛ لأنه كان يتحكم فى الجزء الشمالى الأكثر غنى فى البلاد . ولو إننا لا نملك أى دليل مؤكد فإنه كانت توجد وظيفة مماثلة فى الجنوب . ومن عهد الملك برايب سن سادس ملوك الأسرة الثانية نعرف أنه إلى جانب مستشار قبائل الشمال ، كان هناك بيت مال أبيض ويشرف عليه رئيس ، ويختص بضرائب الوجه القبلى ، ويوجد أيضا بيت مال أحمر ويختص بضرائب الوجه البحرى .[١]

وكان القصر هو مركز الحكومة ، والذى يشرف عليه هو رئيس القصر الملكى ، وكان هذا القصر يتضمن جزءا خاصا بالحريم يشرف عليه أحد الموظفين . وكان هناك مدير للصالة الوسطى يمثل رئيس التشريفات الذى يقوم بتقديم الموظفين إلى الملك .

ونعرف من النقوش كل أسماء مجموعات المبانى التى كانت تدار بواسطة أفراد متخصصين ، وكان حول الملك بلاط به أصدقاء . وكانت مخصصات القصر لها مميزات أكبر من مخصصات كبار رجال الدولة .[٢]

فقد كان يوجد " محاسب للأوانى وذهب المعبود حورس " وكانت حدائق كروم الملك تدار بواسطة مدير ، ونعرف أيضا " المشرف على تموين البيت الأحمر ، وحدائق وكروم ملك مصر العليا والوجه البحرى " . وكان هناك أيضا من

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٥١ .

يهتمون بالحدائق ، والعمارة والنحت ، والرسم ، والعمال اللازمون لصناعة الأثـــاث للملك .

وكان يوجد رئيس للجيش ، حيث عثر على لقبه فى أقدم نقوش سيناء مـــن عصر الأسرة الثالثة ، مما يدل على وجوده قبل ذلك . فقد أصبحت الملكية فى تلـــك الفترة قوية بما فيه الكفاية لكى ترسل البعثات خارج مصـــر ، فـــالجيوش المصريـــة ذهبت حتى سيناء للبحث عن الأحجار الكريمة ، وتوغلت بعمق فى بلاد النوبة وفـــى الصحراء الشرقية .(١) وقد دلت الحفائر على وجود بعض التحصينات بـــالقرب مـــن الحدود الغربية . ويذكر الأفريقى عن ملوك الأسرة الثانية أنه تقرر فى عهد ثالثهم نى نثر أحقية المرأة فى تولى الحكم .(٢)

وبالنسبة للحياة الاجتماعية فنعرف من هذه الفترة وجود طبقـــة عليـــا مـــن الملك ، وكبار رجال الدولة ، وطبقة دنيا من عامة الشعب . فقد عثر على مجموعـــة كبيرة من المقابر التى تخص الملوك وكبار الشخصيات فى سقارة وأبيدوس وحلوان . فقد عثر فى عام ١٩٥٤ على مقابر ذات أهمية كبرى فى منطقـــة حلـــوان ، كـــانت تخص بعض كبار الشخصيات ، وعثر فيها على مدى ما يدل على غنى هذه الطبقة ، فقد عثر فيها على أسرة ومقاعد وصناديق وعصى ، وكانت أرجل الآسرة تقلد أرجـــل الثيران ، وكانت من العاج أو الأبنوس . وقد عثر أيضا على ملابس من الكتان تمتـــاز بجمال نسيجها وحياكتها .(٣)

وعلى العكس من ذلك عثر بالقرب من قرية بلاص على كثير من الأفـــران التى تحتوى على حبوب القمح والشعير المجفف ، مما يدل على أن هذه الأفران كانت تستخدم لتجفيف الحبوب لإعدادها لاستخراج الجعة .

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٤١ ؛ آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ٤٦٩ حاشـــية
(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

وبالنسبة للحياة الاقتصادية ، فطبقا لحجر بالرمو ، نعلم أنه ابتداء من عصر الملك عج ايب سادس ملوك الأسرة الأولى كان هناك إحصاء كل عامين ، وكان أول من سن هذا الإحصاء هو الملك دن خامس ملوك الأسرة .[١] وهذه التفاصيل تسمح لنا بتخيل أن هناك ضرائب ، تدفع عينيه ، والإحصاء يسمح بتحديد مساحة الأرض التى خربت بواسطة الفيضان . ونرى على أثرين من آثار تلك الفترة ، الملك وهو يقوم بافتتاح مشاريع حفر الترع أو الرى . وكان هناك أحد كبار الموظفين الذى يحمل " عج – مر " أى الإدارى[٢] ، وهو أيضا أحد ألقاب " حاكم الإقليم " وتقع على عاتق حاكم الإقليم مسئولية الاهتمام بالمشاريع الزراعية والأعمال الإدارية والمالية ومراقبة الصحارى .[٣]

كما يحدثنا حجر بالرمو عن أحداث الملك نى نثر ثالث ملوك الأسرة الثانية فأشار إلى قيامه بعمل إحصاء . وقد تقدمت فى هذه الفترة بعض الصناعات التى كانت معروفة من قبل فى عصور ما قبل التأريخ ، فقد تقدمت فى هذه الفترة صناعة الطلاء بالمنيا ، وتعددت ألوانها ، وتقدمت صناعة الأوانى الحجرية ، والأدوات النحاسية ، والأدوات المصنوعة من الأحجار الكريمة . فقد عثر على أسرة ومقاعد وصناديق وعصى ، كان بعضها من العاج أو الأبنوس فى مقابر حلوان ، وعثر على ملابس من الكتان .[٤]

وبالنسبة للحياة الدينية ، بدأت تظهر فى النقوش أسماء بعض المعبودات المحلية التى كانت معروفة فى كل مدينة وفى كل إقليم ، فعلى الصلاية التى تخص الملك نعرمر (منى) الذى قام بإتمام عملية الوحدة السياسية للبلاد ، نجد تمثيل الرأس للمعبودة حتحور ، كما أن هذه الصلاية عثر عليها فى معبد المعبود حورس فى نخن مما يدل على مكانة هذا المعبود فى هذه الفترة ، والذى سيصبح بعد ذلك معبودا للملكية المصرية . ويذكر لنا هيرودوت أن الملك (نعرمر – منى) قام

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٣٨ ، ٤٥١ ؛ وراجع فيما سبق ، ص ٧٨ حاشية (٢) ، وفيما بعد ص ٣٧٩ حاشية (١) ..

(٢) عن هذا اللقب ، الذى كان يحمله أيضا مهندس أمنحتب الثالث ، امنحتب بن حابو ، راجع : Varille, Inscript, concernant l'architecte d'Amenhotep fils de Hapou, BdE 44 (1968), p. 92 (30).

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٥١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ .

بتجفيف سهل منف لكى يقيم الجدار الأبيض ومعبد المعبود بتاح كنواة للعاصمـــة .(١) كما ظهر اسم المعبودة نيت معبودة سايس فى اسم الملكة نيت حتب زوجة نعرمــر - منى(٢) التى عثر لها على بقرة ضخمة فى نقادة عام ١٨٩٦ . ويذكر ديودور الصقلـى أن المصريين قد تعلموا عن نعرمر - منى كيف يتعبدون المعبودات ويعيشون حيـــاة متحضرة .(٣)

وقام الملك دن بالاحتفال بأعياد المعبودة واجيت معبودة بوتو وغيرها مـــن المعبودات .(٤) وكما ذكر اسم المعبود رع فى اسم ثانى ملوك الأسرة الثانية نــب رع بمعنى " السيد هو رع " ، وهذه هى المرة الأولى فى تاريخ مصر القديم التى يظـــهر فيها اسم رع ، معبود الشمس ، الذى أخذت أهميته تزداد بعد ذلك . وفـــى الأســرة الثانية عاد للظهور اسم المعبود ست ، وقد اعتنق الملك برايب سن عبادتـــه وتــرك عبادة حورس .(٥) وشيد الملك خع سخموى ثامن ملوك الأسرة الثانية فى مدينة نخــن معبدا للمعبود حورس ، كانت بوابته من الجرانيت الصلب .(٦)

ويذكر الأفريقى أنه فى عهد الملك نب رع ثانى ملوك الأسرة الثانيـــة عبــد العجل أبيس فى منف ، والعجل منيفس فى إيونو .(٧)

وفى الواقع أن معظم المعبودات التى ذكرناها كانت معروفة فى عصور مـــا قبل الأسرتين الأولى والثانية . فقد عثر على نص فى معبد حتحور بدندرة ، يحدثنـــا

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٤١ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٤٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٤٤٥ – ٤٤٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

عن طقوس دينية كانت تزور خلالها المعبودة حتحور أدفو ، لكـــي تــرى زوجـــها المعبود حورس . ويرجع تاريخ هذه الطقوس إلى قبيـــل قيـــام الأســرتين الأولـــى والثانية(١) ، كما عثر في حضارة جرزة من العصر الحجرى الحديث على صـــورة لصقر مرسومة على لوحة رقيقة من القصدير موضوعة على نموذج من الخشـــب(٢) وفى حضارة العمرة عثر على ألواح لإعداد الكحل من الأحجار الصلبة كانت تتخـــذ رمز المعبودة حتحور .(٣)

وفى أثناء مراحل التكوين السياسى فى عصر ما قبل الأســرات ، ظـــهرت عواصم أو مدن رئيسية فى الدلتا وفى صعيد مصر ، كانت تعبد فيها عدة معبـــودات نعرف منها :

عنجتى فى مدينة جدو فى شرق الدلتا ، وحورس فى دمنهور فـــى غـــرب الدلتا . نيت فى سايس فى غرب الدلتا ، وست فى امبوس فى محافظة قنا ، واوزيـــر فى جدو ، وواجيت وحورس فى بوتو ، وحورس فى نخن ، ونخبت فى مدينة نخـــب على الضفة الشرقية للنيل فى مدينة الكاب الحالية(٤) وغيرها .

وتشهد المقابر التى عثر عليها فى سقارة وأبيدوس وحلوان مـــدى تطـــور أفكارهم بالنسبة لعقيدة البعث والخلود . وكانت تنقسم إلى جزئين : أحدهمـــا تحـــت سطح الأرض مخصص للمتوفى ، والآخر فوق سطح الأرض معد لاستقبال الأحيـــاء لتأدية الطقوس الجنائزية . كما عثر بجوار مقابر ملوك الأسرة الأولى فى سقارة حفر لمراكب ضخمة كانت تستخدم للزيـــارة إلـــى المـــدن المقدســـة ســـايس ، بوتـــو ، وبوز يريس وأبيدوس .(٥)

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق الجزء الأول ، ص ٤٢٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٠١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٤١٨ – ٤٢٠ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

أما بالنسبة للحياة الثقافية ، تعتبر الكتابة من أهم اختراعات الإنسان المصرى القديم ، ومن الصعب تحديد أقدمية الكتابة ، ولكن عثر فى الممرات السفلية لهرم جسر فى سقارة ، على ممرين سليمين أحدهما مملوء بأكوام من الأوانى المصنوعة من الأحجار الصلبة المتنوعة ، وهى تحمل سواء بالنقش أو بالكتابة بالمداد ، على بعض العلامات الهيروغليفية التى تعطى أسماء ملكية وبعض الألقاب . وقد استخدم مؤسس الأسرة الثالثة هذا المخزن الثمين من أوانى سابقيه نظرا لجمالها ، وربما رغبة منه فى المحافظة عليها داخل هرمه . وترجع هذه الأوانى إلى الأسرتين الأولى والثانية ، ونجد فيها أثر الاتجاه لمحاولة نطق بعض الضمائر الشخصية وعلامات الجمع والتعبير عن بعض المخصصات . والآثار القليلة التى وصلت إلينا تسمح لنا بالقول بأن الكتابة كانت تستخدم بواسطة أهل العصر الثينى فى تسجيل بعض الأعمال الإدارية ، كما يبين لنا لقب " مستشار الجنوب لكل الكتابات " ولا نعرف على وجه التحديد دور هذا صاحب اللقب ، ويمكننا القول أيضا أن اللغة كانت تصويرية أى يعبر عنها بالصورة ، ويمكن قراءتها عن طريق الصور التى أعطيت لها .(١)

حتى وسائل الكتابة قد اصابها التطور . ففى مقبرة أحد موظفى الملك واجى عثر على لوحتين لأحد الكتبة ، عليهما محبرة تحمل آثار المداد الأحمر ، والأسود ، وعثر أيضا على بقايا حجرية عليها حسابات من نفس عهد هذا الملك . وفى مقبرة حماكا وزير الملك دن عثر على جراب مستدير من الخشب يحتوى على عدد من البرديات التى لم تستخدم للكتابة عليها . مما يدل على أنهم توصلوا إلى صناعة الورق من سيقان البردى من قبل هذه الفترة .(٢)

بالنسبة للحياة العلمية ، يذكر لنا مانيتون أن للملك جر ثالث ملوك الأسرة الأولى ألف بعض الكتب فى الطب وخصائص جسم الإنسان ، وكان طبيبا وملما

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٨ .

بالتشريح .(١)

وبالنسبة للحياة الفنية ، فقد تطورت حضارة الأسرتين الأولى والثانية بالمعارف ، وبالتجارب والخبرات التى اكتسبها الإنسان المصرى القديم فى مجال الفنون فى العصور السابقة على عصر هاتين الأسرتين ، فى النحت والنقش والرسم والعمارة ، وليس أدل على تطورهم فى مجال العمارة من تلك المقابر التى عثر عليها فى أبيدوس وسقارة وحلوان . ففى مقابر حلوان التى تخص بعض كبار الشخصيات كانت حجرة الدفن مشيدة من كتل كبيرة من الأحجار الجيرية . أما الجزء العلوى فكان من الطوب اللبن .(٢)

وعثر فى نخن التى كانت فيما يبدو العاصمة السياسية لملوك الصعيد قبل اتحاد القطرين ، على بعض الآثار للملك العقرب ، منها إناء أسطوانى الشكل ، وعلى سطحه الخارجى يوجد نقش بارز يمثل مجموعة من الصقور ، وضع كل منها على ما يشبه الحامل ، ونقش اسم الملك العقرب تحت اسم هذه الطيور . وقد نفذ كل ذلك بدقة متناهية ، دليل خبرة الفنان المصرى . كما عثر للملك نعرمر – منى على صلاية فى معبد نخن ، صور عليها الملك بالنقش البارز وهو متوج بتاج الوجه القبلى ، ويقوم بتأديب أسير راكع بمقمعة القتال ، وتعتبر نقوش الوجه الآخر للصلاية مكملة لنصر نعرمر – منى ، فصورته متوجا بتاج الوجه البحرى ، ويسبقه إدارى كبير متوج بشعر مستعار وهو يحمل لقب ثت .(٣)

ولهذا يمكن القول بأن فترة الأسرتين الأولى والثانية ، والتى استمرت نحو خمسة قرون من ٣٢٠٠ إلى ٢٧٨٠ ق. م . تعتبر فترة طويلة إلى حد ما سمحت لكثير من مظاهر الحضارة المصرية أن تتطور وتتقدم ، ومما يؤسف له تنقصنا أغلب المصادر الأثرية والوثائق التى تعوقنا عن تحليل هذا التطور ، فهى الفترة التى تكاملت فيها – إلى حد ما – مظاهر الحضارة المصرية ، وسوف تظهر لنا صورة هذا التكامل واضحة فى العصور التالية .

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٤١ – ٤٤٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٤٢٧ – ٤٢٨ .

الباب الثالث

عوامل تطور وازدهار الحضارة المصرية القديمة

أخذت مظاهر الحضارة المصرية القديمة فى التطور منذ تحقيق الوحدة السياسية للبلاد على يد أول ملوك الأسرة الأولى . وعلى الرغم من أن هذه الوحدة تعتبر إحدى مظاهر هذه الحضارة ، إلا أن الوحدة السياسية جاءت تثبيتا لها ، وتوسيعا لآفاقها ، وعاملا هاما لازدهارها . وقد عرف المصريون القدماء قبل قيام الأسرة الأولى مبادئ الحضارة ، كالزراعة والصناعات الصغيرة كالفخار واستخراج المعادن وقطع الأحجار وبناء المساكن وحفر المقابر ومعرفة فن النحت والنقش والرسم . ولكن شعور المصريين القدماء بأنهم فى حاجة إلى حياة متطورة منظمة جعلهم أسبق الأمم في البحث عن المقومات الحضارية فى بلادهم .

وترجع عوامل تطور ازدهار الحضارة المصرية القديمة إلى صفة الاستمرارية فى قيام الإنسان وعناصر البيئة بدورهما . هذا بالإضافة إلى عوامل أخرى ظلت تؤدى دورها حتى أصبحت من ثوابت ازدهار الحضارة المصرية القديمة وأصبحت من أهم مقوماتها . وأصبحت صفة الاستمرارية هذه هي الطابع الغالب في العوامل الآتية :

(١) مساهمة عناصر البيئة وأهمها النيل فى توفير عامل الاستقرار للحضارة المصرية القديمة ن كما مهدت لها هذه العناصر سبل التطور والازدهار بفضل الدور الفعال الذى قام به السكان الأوائل الذين كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة الظروف البيئية والمناخية التى عاشوا فيها ولا يوجد شبر واحد فى ثرى هذه الأرض إلا وامتزج بعرق أولئك الأجداد جيلا بعد جيل ، كما انهم كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة هذا النهر ، فكان النيل معلمهم الأول ومبعث وحيهم الدائم .

(٢) رسوخ العقيدة وتأثيرها الفعال فى حياة الإنسان المصرى وفيما حققه من مظاهر حضارية .

(٣) تبجيل واحترام الحاكم وطاعته والتفاني في خدمته مما اصبغ حياتهم السياسية والاجتماعية بطابع الهدوء والاستقرار.

(٤) وجود قوانين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع ، وتحمي الصغير قبل الكبير فكانت هناك تشريعات مصدرها المعبودات مما زاد إقدام الشعب لها وعمل على تطبيقها والالتزام بها ، وتشريعات مصدرها الإنسان أى الملك الذى كان له حق التشريع وبان أوامره كانت لها قوة القانون ، ولكنه كان أول الناس التزاما بها .

(٥) توافر عوامل الأمن والأمان بفضل ابتاع سياسة عادلة مستقرة فى الداخل ودفاعية قوية فى الخارج .

(٦) تدفق عطاء الإنسان المصرى القديم وبروز قدراته فى أكثر من مجال حضارى .

(٧) احترام العمل وذوبان ذاتية الفرد في الجماعة وأصبح العمل قيمة فى حياة الإنسان المصرى القديم ، قيمة يمجدها الحكام أنفسهم وتحث عليها الحكم والتعاليم فكانوا خاضعين لنظام من الحكم يقوم على " التكافل الاجتماعى للجميع " والإيمان الشديد بحق كل إنسان فى المأكل والمأوى والأمن ، مادام يؤدى واجبه كفرد فى جماعة مترابطة محكمة التنظيم لا تخضع للسخرة أو لحكم جائر كما يعتقد البعض ، ولم تكن المكافأة المادية تمثل قيمة كبيرة له ، فقد كانت المكافأة الحقيقية هى إحساسه بإجادة العمل والتفانى فى إنجازه ارضاءا لمعبوده وملكه .

(٨) ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم فظهر الإتقان وتحققت أعظم المنجزات والمعجزات .

(٩) قيام مجتمع متماسك البناء تربط بين جميع أفراده روابط وعادات وتقاليد راسخة وعميقة .

(١٠) التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا التى كانت ثابتة الأركان فى حياة المصريين القدماء فى كل عصر .

(١١) المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال المتلاحقة سـواء أكـان تراثـا فكريا أو علميا أو ماديا .

(١٢) ثبات هذه المقومات أمام المحن ولم تتغير او تفقد أصالتها لأنها كانت تعـبر عن خصائص المصريين القدماء أنفسهم وتؤكد ذاتهم المصرية الأصلية .

فكما قامت العمارة المصرية القديمة بأهرامها الضخمة الشـاهقة ومعابدهـا المتناسقة الجميلة على أساسات راسخة فـى الأرض ، قـامت حضارتـها القديمـة وازدهرت بفضل هذه العوامل مجتمعة فأصبحت كالركائز الثابتة التى تمتد جذورهـا فى الأعماق ولهذا لم تتأثر بطول الزمن وعواصف الأزمات وريـاح التغـير . لأن كثير من مقومات الحضارة المصرية كان قائما منذ آلاف السنين فى مصر ولم تمـت خبرة كل جيل بانتهائه ولم يخبوا نشاطه لأن كل جيل كان يسلم شعلة الحضارة لغـيره حتى أوصلوها إلى ما وصلت إليه .

أولا - مساهمة عناصر البيئة وأهمها النيل فى توفير عامل الاسـتقرار للحضـارة المصرية ، كما مهدت لها هذه العناصر سبل التطور والازدهار بفضل الدور الفعـال الذى قام به السكان الأوائل الذين كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة الظروف البيئية والمناخيـة التى عاشوا فيها ولا يوجد شبر واحد فى ثرى هذه الأرض إلا وأمتزج بعرق أولئـك الأجداد جيلا بعد جيل ، كما أنهم كيفوا حياتهم طبقا لطبيعة هذا النهر ، فكـان النيـل معلمهم الأول ومبعث وحيهم الدائم[١] فهو الذى علمهم معنـى الـترابط الاجتمـاعى ومعنى الوحدة السياسية وأن لابد لهم من حكومة ونظام للإدارة والأمن يسهران علـى الاستفادة من مياه النيل وتوزيع مياهه بين الناس بالعدل والقسطاس ومواجهة أخطـار ارتفاع مياه الفيضان ، وعلمهم أهمية الزراعة وأهمية الارتباط بالأرض والانتظام فى مراقبة النهر وأحواله . فمن اجل الزراعة تعلم المصريون القدماء تقسيم السـنة إلـى فصول تبدأ بقدوم فيضانه ، وعلمـهم قيـاس الأرض وتقسـيمها وشـق القنـوات

---

(١) مختار السويفى : مصر والنيل (فى أربعة كتب عالمية) ، الـدار المصريـة اللبنانية ١٩٨٦ ، ص ٢٧ - ٢٨ ، ٦٥ ، ٧٠ .

والمصارف (١)، وعلمهم تسجيل ارتفاع منسوب المياه وإقامة الجسور وبناء السدود ، وعلمهم اختراع وسائل الزراعة والرى لرفع مياهه لرى الأراضى البعيدة عن مجرى النيل ومجرى الترع ، وعلمهم التقدم فى صناعة المراكب الشراعية لنقل الإنسان والبضائع فكان لهم بمثابة طريق المواصلات الطبيعية السهلة ، ومن طميه المجفف شيدوا بيوتهم وقراهم على روابى عالية فى الريف ، وعن طريق النيل نقلوا الكتل الحجرية الصلبة من أماكن المحاجر على الضفة الشرقية ومن أسوان ليشيدوا عمائرهم الضخمة ، ومن نبات البردى الذى كان ينمو على ضفافه وفى مستنقعاته صنع المصريون القدماء الورق الذى سجلوا عليه كل معارفهم وعلومهم وآدابهم ومعتقداتهم بعد أن توصلوا إلى معرفة الكتابة واللغة ، وفى مواجهة فيضانه الزائد علمهم كيفية مواجهة المحن والأخطار فى حياتهم وبناء السدود والخزانات مثل ما كان فى منخفض الفيوم .

ولهذا كان النيل محل تقديس لدى المصريين القدماء ، ومنحوه صفة القداسة وسموه " حعبى " ويتخذ المعبود حعبى صورة رجل ذو جسم ممتلئ له بطن كبيرة وثديان كبيران تنبثق المياه من حلمتيهما رمزا للخصوبة والعطاء لأرض مصر الطيبة وللناس فيأتى النيل بالمياه التى تروى ظمأ الأرض وظمأ الناس ، وبالطمى الذى يخصب الأرض ويمنحهما المزيد من القوة والقدرة على العطاء لنشر الخير الوفير ولإسعاد الناس فى ربوع الوادى ، وفى هذا تجلت صفة " العطاء " التى أسبغها النيل على طبيعة المصريين القدماء . كما تعلموا من نيلهم معنى الوفاء ن فكان ذلك من أعظم الدروس المستفادة من معلمهم الأول ومبعث وحيهم الدائم .(٢)

---

(١) هناك بردية فى ليل بفرنسا من العصر البطلمى تعطينا صورة تخطيط الأرض لشق القنوات والمصارف فى إحدى ضياع الفيوم ، راجع : د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٦ حاشية (١٩) .

(٢) وفى هذا قال الشيخ صدر الدين بن عبد الحق :

" لا تعجبوا من أهل مصر وإن وفوا بعهودهم ما فى الوفاء منهم خفا
وفى لهم فى كل عام نيلهم فتعلموا من نيلهم ذاك الوفا "

راجع : ابن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور حققها وكتب المقدمة لها محمد مصطفى، الجزء الأول، القسم . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢، ص ٥١ .

وتحدثنا فى البابين الأول والثانى عن أهمية هذا العامل وأثره بشكل واضح وفعال على طابع الاستقرار والعمران بالنسبة للإنسان المصرى القديم وأدى ذلك إلى ارتباطه بأرضه وعدم التفكير فى الهجرة منها . كما استطاع بفضل موارد البيئة وسواعده القوية ان يحقق لنفسه نوع من الأمن الغذائي ومصدر دائم ومستمر للغذاء وبفضل ذلك حقق الكثير فى حياته الاقتصادية . وعندما ضمن مصدر غذائه انطلق إلى البناء الحضارى لكى يحافظ على تدفق واستمرارية عطاء هذا المصدر ومن هنا برزت شخصيته القومية . فقد ترتب على الاشتغال بالزراعة زيادة التماسك والترابط بين الأفراد وزيادة عوامل الاستقرار المعيشى بينهم للاستفادة من محاصيل أراضيهم واستغلال الفائض منها على المعيشة فى غير فصول الإنبات وفى مواسم الجفاف . وحتى فى أوقات الجفاف والقحط نتيجة لانخفاض مستوى مياه النيل وعدم فيضانه . نجد انه لم يترك أرضه ووطنه ويهاجر إلى البلاد المجاورة أو يحاول ان يقوم بغزو أو حملة حربية للاستيلاء على أراضى وخيرات الآخرين ، لأنه كان يعرف أن مثل هذه الكوارث هى كوارث عرضية ، على الرغم من ان بعض هذه الكوارث كان يمتد أحيانا إلى عدة سنوات . وكما ذكرنا فى الباب الأول نجد انهم كانوا يستخدمون بصفة دائمة فى صيغ الدعوات والتمنيات كلمة " جد " بمعنى " استقرار أو ثبات أو دوام " على هذه الأرض الطيبة أثناء حياة الإنسان أو على أرض عالم الآخرة بعد وفاته .

ثانيا – رسوخ العقيدة وتأثيرها الفعال فى حياة الإنسان المصرى وفيما حققه من مظاهر حضارية فقد قامت الحضارة المصرية على عقائد دينية وعقائد فى البعث والخلود استوحها الإنسان المصرى القديم من بيئته مما أصبغ حياته بطابع الطمأنينة والهدوء بعيدا عن مظاهر التعصب الدينى الذى لم تعرفه الحضارة المصرية . ويمكن القول بأن الديانة هى السمة الواضحة فى شتى مراحل تطور الفكر المصرى القديم ، لأن هؤلاء المصريين القدماء الذين عاشوا على ضفاف النيل منذ آلاف السنين كانوا يؤمنون بأن هناك قوى خفيه هى التى خلقت السماء والأرض والإنسان والحيوان والطير والنبات والماء والهواء ، كما كانوا يعتقدون بان الحياة على الأرض ليست إلا تمهيدا أو مرحلة انتقال إلى حياة أطول وأسعد فى عالم الآخرة . وكان كل

سكان مصر القديمة متشابهين فيما يتعلق بأفكارهم الدينية عن الحياة الدنيا والآخرة ، حتى الملوك أنفسهم .

اعتقد المصريون القدماء أنفسهم فى ارتباط الحضارة بالديانة ، وتتمثل الديانة هنا فى أسطورة اوزير ، التى ترجع فى أصولها إلى عصور ما قبل التاريخ أو ما قبل الأسرات ، والتى هى واحدة من اعظم الأساطير التى خلقها آهل الفكر فى الديانة فى مصر القديمة ، فاوزير يرمز إلى الحضارة " الذى ما كاد يجلس على عرش مصر حتى حرر الناس من الحياة البدائية وعلمهم الزراعة وشرع لهم القوانين وحثهم على التقوى واحترام المعبودات ، ومن ثم جاس أرجاء البلاد لينشر الحضارة بين الناس أجمعين " .[١]

انه هو " الذى يرسى ماعت (العدالة) فى أرجاء القطرين (الوجه القبلى والوجه البحرى) والذى يضع الابن على كرسى أبيه ، الذى لا يكف عن تقديم الحمد لأبيه جب (الأرض) والذى لا يكف عن حب أمه نوت (السماء) .[٢]

كما اعتبر أوزير معبودا للزرع يموت أثناء فصل الجفاف ، ولكن ايزيس زوجته تعيد الحياة إليه ، ومن جديد ، تعد الأرض لكى يخرج النبات فيحيا ويأتى بالثمار ، على شريطة أن يسود القطر النظام [٣] . والنظام هو مظهر من مظاهر الحضارة أيضا .

ولهذا كانت الديانة هى الرائد للحضارة المصرية القديمة فى كل العصور

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ١٢٩ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزءه ، الحضارة المصرية ، ص ٢٨٦ .

(٢) فرانسوا دوما : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) سلسلة الألف كتاب (الثانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

وتغلغلت الديانة فى كل كبيرة وصغيرة حتى أصبحت الحافز الأكبر والموجه الأول لكل شئ فى حياة الإنسان المصرى القديم . فكانت الديانة المؤثر فى اتجاهاته الفكرية والثقافية وفى سلوكياته وفى علومه وآدابه وسائر فنونه (١) . وهذا ما يمثل عامل القوة فى الحضارة المصرية ، وهذا العامل هو الذى دفع الإنسان المصرى إلى اتخاذ خطوات رائدة فى وضع أسس البناء الحضارى ، وبفضل الديانة حقق المصرى القديم الكثير من المعجزات والمنجزات فأقام العمائر الضخمة بواعز من العقيدة والمعتقد . فما من اضطهاد مهما اشتدت وطأته بقادر على ان يولد ذلك الحماس وتلك الطاقة ، ولا يخفى علينا الآن ما للأديان من آثار عميقة فى قيام الحضارات وما تمثله من قوة دافعة للشعوب لكى يحقق المعجزات . وبفضل الديانة كان المصرى القديم وفيا لماضيه ومؤمنا بحاضره ولديه الأمل القوى فى الخلود والبعث بعد الموت .

كانت البيئة المصرية بما فيها من مظاهر وعناصر وكائنات ونباتات وحيوانات هو الذى دفعهم إلى الاعتقاد فى عقائد الدنيا .

فقد ترتب على انضمام بعض القرى إلى بعض أن نشأ عدد من الأقاليم ذات الحدود الاعتبارية والحدود الطبيعية ، وأصبح لكل إقليم عاصمته ومعبوده ورمزه ، ذا صلة بخصائص الإقليم أو ذا صلة بالمهنة الغالبة فى الإقليم أو ذا صلة بالصفات التى يعتقدها أهل الإقليم فى المعبود نفسه ، أو ان اختيار هذا الرمز يرجع فى الأصل إلى ان هذا الحيوان أو الطائر هو الكائن الغالب والمنتشر فى المنطقة أو ذو تأثير كبير فى حياة السكان وحمايتهم من ضرر ما .

ولم يكن اختيار المصريين القدماء لنوع من الحيوانات كرمز دينى مجرد صدفة بل كان من اختصاص الكهنة ، الذين كانوا يستمدون هذا الرمز من بيئتهم المحلية . فمثلا اتخذت البقرة كرمز مقدس فى المناطق التى تكثر فيها المراعى ومناطق العشب فى أماكن بعيدة ، والتمساح فى المناطق التى تكثر فيها الجزر أو

---

(١) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٥٧ .

البحيرات ، فعبد فى منطقة دندرة ، عند ثنية قنا ، حيث ينحنى النيل ويتخلف عن انحنائه عدة جزر ، كما عبد فى منطقة وادى كوم أمبو ، وفى الفيوم حيث توجد بحيرة ميرس (مر–ور) التى كانت أكبر حجما واتساعا منذ أقدم العصور ولكنها انكمشت بمرور الوقت إلى بحيرة قارون الحالية ، وما كان يتصل بها من بحيرات صغيرة تتناثر بها الجزر التى تأوى إليها التماسيح .

كم عبد الصقر فى مناطق التقاء الوديان أو الطرق الصحراوية بوادى النيل ، فضلا عن المناطق التى تتاخم الصحراء والتى تقع فى أقصى شرق الدلتا أو غربها ، كما عبد ابن آوى فى تلال أسيوط شبه الجبلية وفى أقاليم مصر الوسطى ، وعبد الوعل فى منطقة بنى حسن حيث يكثر فيها نظرا للطبيعة الجبلية الزراعية للمنطقة ، وعبدت القطة فى بوباست فى شرق الدلتا حيث المناطق الشاسعة ولهذا كثر وجودها هناك .

كما عبدت الثعابين والأفاعى فى مناطق التلال القريبة من الوادى ، حيث يكثر وجودها هناك ، وغير ذلك من حيوانات وطيور وزواحف . ورأوا فى كل حيوان صفة خيرة لنفعهم ، فرأوا فى حيوية الكبش رمزا للإخصاب ، ورمزوا بقوة الثور إلى قوة البأس والإخصاب أيضا ، ورمزوا بنفع البقرة ووداعتها إلى الأمومة والحنان والعطاء ، ورمزوا بقوة السباع واللبؤات إلى القوة والعنف ، ورمزوا بفراسة القرد واتزان طائر أى منجل إلى الحكمة والعلم و المعرفة ، ورمزوا بالحيات والضفادع إلى الأزلية والأبدية .

ونلاحظ ان المصريين القدماء لم يقدسوا الحيوان لذاته ، وإنما كان اهتمامهم بما تخيروه من حيوان او طير يرجع رغبتين :

(١) رغبة الرمز إلى صفات معبود خفى هو الذى خلق هذا الحيوان أو هذا الكائن ووضع فيه كل الصفات الخيرة أو الشريرة ، الخيرة للاستفادة منها والشريرة لتجنبها .

(٢) رغبة منهم فى التقرب إلى هذا المعبود المبهم والمجهول الشكل بالنسبة لهم عن طريق الرعاية التى يقدمونها إلى رمزه هذا .

ولم يكن اختيار المصريين لرمز أو نوع من الحيوانات أو الطيور يؤدى إلى تقديس كل أنواع الحيوان وسلالاته والطيور وأنواعها ، ولم يكن من بأس على الإقليم وأهله وأن يتعبدوا إلى البقرة مثلا ، وأن تستخدم هذه البقرة فى الأعمال الزراعيـــة ، ويمكن لهم ذبحها إذا احتاج الأمر . ولكن مسئولية اختيار حيوان معيـــن مـــن هـــذه السلالة أو ينوب عن حيوانات السلالة كلها ، له صفة معينة ، تقع على كاهل الكهنة ، الذين يحتفظون به فى ملحق خارج المعبد كآية حية ومشهودة أو ملموســـة للمعبــود حتى ينفق بمفرده لكبر سنه أو لمرضه .

ولم يقدس المصريون المعبود ذا الرمز الحيوانـــى أو رمـــز طـــائر باســـم الحيوان أو الطائر المادى المتعارف عليه ، فهم لم يقدسوا البقرة باســـمها " آهـــت " وإنما باسم " حتحور " ، ولم يقدسوا التمساح باسمه " مسح " ولكن باسم " سبك " ولـــم يقدسوا الكبش باسمه الحيوانى " با " ولكن بالاسمين المقدسين " خنوم وآمون " ، ولـــم يقدسوا الصقر باسمه " بيك " ولكن باسم " حور " . وبعض الأسماء تشـــرح صفـــات هذه المعبودات كما هى فى البيئة ، فاسم حور للصقر يعنى العالى أو البعيد فى عـــالم السماء ، واسم سخمت للبوءة يعنى القوة والقدرة والبطش ، واسم آمون للكبش يعنـــى الخفى أى أن جسم الحيوان خفى تحت فروته التى تغطى جسمه ، واسم خنوم للكبـــش أيضا يعنى الذى يجمع قطعيه ، وغيره من الأسماء .

وإلى جانب هذه المعبودات المحلية المعروفة فى كل إقليم ، كـــانت هنـــاك مجموعة أخرى من المعبودات الكبرى مثل معبود الشمس رع ، ومعبـــودة الســـماء نوت ، ومعبود الأرض جب ، ومعبود الفضاء شو ، ومعبود القمر خونسو . ثم هناك مجموعة ثالثة من المعبودات التى كانت شائعة فى مصر القديمة ولها سمات جغرافية وترتبط بالزراعة والحياة العامة ، وانضمت إلى هذه المعبودات بعـــض المعبـــودات الأجنبية . وصنعوا لهذه المعبودات تماثيل تتخذ جسم بشرى وراس حيوان أو طـــائر ، وذكر بلوتارخ فى هذا الصدد نقلا عن محدثيه من المصريين :

" المسألة ليست أننا نكرم هذه الأشياء (أى التماثيل نفسها) بل أننـــا نكـــرم عن طريقها الألوهية ما دامت هى بطبيعتها أشد المرايا صفاء لإظهار الألوهية لذلـــك

يجب علينا ان نعتبر هذه الأشياء بمثابة أداة (فى يد) المعبـــود الــذى ينظـــم كــل شئ " .(١)

بالإضافة إلى ذلك حاول الكهنة ، مع تطور الأساطير والفكر الدينى تفســير أسرار الكون والوجود والخليقة ونشأة الأرض وبدء الحياة عليها ، وذلك بطريقة اكثر تعقيدا وبفكر فلسفى ، فنشأت فى بداية الأمر فكرة المذاهب الدينية فى أقـــدم المــدن المقدسة : مذهب التاسوع المقدس فى ايونو ، ومذهب الثامون فى خمنـــو ، مذهــب الخلق عن طريق القلب واللسان اى الفكر والكلمة فى منف ، فكـــانت منــف اكــثر المدارس الدينية عمقا وأكثرها فلسفة . وكان هناك مذاهب أو نظريات دينية أخــرى ، مثل المذهب الذى عثرنا على نصوصه فى الفقرتين ٤٠٧ – ٤٠٨ من متون التوابيت (التى عثر عليها فى البرشا ومير وأسيوط) والتى تعبر عن فكرة الخلق طبقا لســبع مراحل أو سبع كلمات من محت ورت (الموج العظيم أو المد العظيم) .(٢) وهنـــاك بعض المدن الأخرى التى اعتنقت هذه المذاهب مثل طيبة التى تبنت فكرة التاســـوع المقدس ولكنها زادته وشكلته بطريقة تختلف اختلافا يسيرا عن ايونو .

ومن هنا برز دور المعابد والمقاصير فى الحياة الدينية فى مصر القديمـــة ، فكان كل معبد يحتوى على رمز أو تمثال المعبود الذى يوضع فى قدس الأقـــداس ، وكان يلحق بهذه المعابد مجموعة كبيرة من الكهنة ، وعلى رأسهم الكاهن الأول الذى كان عليه أداء الطقوس والشعائر الدينية المختلفة هو ومن معه من كهنة مســـاعدين . وكان يلحق بهذه المعـــابد مجموعـــة كبـــيرة مـــن العلمـــاء والخـــبراء والإداريــين والمتخصصين فى كافة المجالات .

وكانت أغلب المعتقدات تتفق مع بعضها البعض فيما عدا فـــى العصـــور

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلــد الأول – الجــزء الأول ، ص ٣٠٨ .

(٢) R. el Sayed , RdE 26 (1974) , p. 70 – 82 .

القديمة ، وكان من النادر أن نجد صراعا دينيا ، بل قامت الديانـــة المصريـــة علـــى حرية العبادة ، وهذا ما اعطى قوة دفع للحضارة المصرية ، وكنا نجد فـــى الإقليم الواحد أكثر من معبود يتعبد إليه الناس ، وأحيانا أيضا نجد كاهن المعبود المحلى يقوم بخدمة اكثر من معبود .

وبروح التسامح هذه ، التى لم تعرفها أغلب الحضارات القديمـــة ، خلـدت أسماء الكثير من المعبودات التى كانت تقام لها أعياد دينية يشترك فيها جميع النـاس . فمثلا فى معبد الكرنك نجد انه كان يحيط بمعبد آمون هيـــاكل لأكـثر مـن عشـرة معبودات . كما كان يحتفى بأعياد البعث أوزير فى شهر كهياك فى أربع عشـــرة أو ست عشرة مدينة ، وكانت أعياد البعث هذه تتم فى ورع شديد كما جاء فى نصـوص معبد دندرة .(١)

انعكس كل ذلك على حياة المصرى القديم فاصطبغت حياته من يوم مولـــده إلى يوم وفاته بصبغة دينية عميقة . فاهتم المصريون القدماء بعملية الولادة التى كانوا يعتقدون أنه تباركها معبودة للحمل والولادة وتقوم بها قابلات متخصصات فى المنازل وكذلك فى هياكل الميلاد المقدس حيث كان يحتفل بالميلاد المقدس للملك ، كما كـانت توجد معبودات مألوفة ، حاميات للميلاد وحاميات للنساء اللاتى يضعن مولودهن .

فكانت المعبودة تاورت " العظيمة " التى تمثل على شكل انثى فرس النـــهر هى التى تحمى الحاملات (٢) . ومسخنت التى كانت تمثل فى شخصيتها مقعد القرميد الذى كانت تستريح عليه الأم للوضع . وكانت أشكال هذه المعبودات تنحـت فـوق

---

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) صورت على هيئة انثى فرس النهر منتصبة على قدميها الخلفيتيـن ومرتكـزة بإحدى قدميها الأماميتين على علامة سا الهيروغليفية التى تعنى الحمايـة وقـد تدلت أطراف بطنها الضخمة وثدييها الكبيرين ، وهى ترمـز إلـى الخصـب البشرى وتحمى الحوامل من الولادة المتعسرة .

الكراسى ذات المساند التى كانت تعد للجلوس عليها أو على أخشاب الأسرة . وكانت هناك تمائم وفيرة العدد بأشكال هذه المعبودات تحملها النساء اللاتى على وشك الوضع . وهناك أيضا المعبود بس الذى اعتبره المصريون حاميا للمرأة التى وضعت وليدها فيبعد عنها العين الشريرة والحسد . وكانوا شغوفين أيضا بمعرفة طالع المولود . كانوا يعتمدون فى ذلك على مجموعة من سبع معبودات معروفة باسم " السبع حتحورات " لمعرفة ما قدر للمولود الجديد من سعادة او شقاء على هذه الأرض . وكانوا يعتقدون أيضا فيما جاء بتقويم أيام التفاؤل وأيام التشاؤم لمعرفة طالع الطفل الذى سيولد فى يوم معين .

وكانت تسمية المولود أمرا ضروريا وهى أسماء قصيرة جدا فى بعض الأحيان . وكان معظم الآباء يؤثرون أن يضعوا أبنائهم تحت رعاية إحدى المعبودات . وقد يدل معنى الاسم على رضى المعبود وحمايته للطفل . مثل بتاح حتب الذى يعنى " المعبود بتاح راضى " امنحتب الذى يعنى " المعبود آمون راضى " حم رع " خادم رع " نيت خدب إرت بنت " المعبودة نيت تقضى على العين الشريرة " خنوم خو اف وى الذى اختصر إلى خوفو ويعنى " المعبود خنوم يحمينى " .

وكان البيت هو المدرسة التى يستقى فيها الطفل معارفه الأولى عن الحياة الإنسانية ، وكان الآباء حريصين على تربية أولادهم التربية الدينية الضرورية . ويذكر سترابون بدهشة تقليدا خاصا كان يتمسك به المصريون القدماء كثيرا وهو الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال . وكان الآباء حريصين كذلك على تعليم ابنائهم من الصغر ما عسى أن ينفعهم فى حياتهم المستقبلية وما يجوز وما لا يجوز وما هو حسن وضار فى نظر المعبودات .

وعندما يكبر النشئ ويصبح ناضجا ومسئولا عن تصرفاته يجب أن يتبع ويراعى تشريعات المعبود ويخضع لإرادة المعبود وعليه أن يتحلى بالاستقامة ويرتاد المعابد ويدعو بقلب محب خاشع . وفى هذا الصدد لدينا مجموعة من النصوص الأدبية ، مما يسمى بأدب التعاليم والحكم فيقول بتاح حتب من الأسرة الخامسة لابنه :

" أن ما أراده المعبود يتحقق ، فإذا عزمت ان تحيا بالقناعة اتاك مـــا قــدره لك ... والرزق وفق إرادة المعبود ، والجهول هو من يتعرض على إرادته " .(١)

ويقول " حرخوف " أحد حكام مدينة أسوان فى الدولة القديمة فـــى نقــوش مقبرته بأسوان :

" لقد أعطيت الخبز للجائع والملابس للعارى وعبرت النهر بالذى لا قــارب له وكنت أقول الكلمات الطيبة ولم اكرر إلا ما هو مقبول ... لأننى كنت أرغب فـــى ان أجد القبول لدى المعبود الأكبر " .(٢)

ومن اجمل ما قيل ما رواه أحد أحفاد الملك خيتى (الأول) مـــن العصــر الاهناسى :

" أن المعبود نفسه ينتقم ممن يعادى معبده " (٣) . ومما قاله " خيتى الثـــالث (أو الرابع) " لابنه " مريكارع " نقرأ :

" أن طباع رجل قويم السريه اكثر قبولا عند المعبود مـــن ثـــور (يقدمـــه إليه) رجل اعتاد الشرور . واعمل لربك يعمل لك بالمثل " .

وما اصدق عبارته التى يشير فيها إلى أن المعبود يوقع عقابه على بعــــض الناس لمعرفته بما في قلوبهم :

" أنه (أى معبود) يقضى على من يملأ الشر قلبه بينـــهم ... لأن المعبــود يعرف كل إنسان " .(٤)

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعــراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٢ .

(٢) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥٢ ، ٣٢١ ؛ د. أحمد فخــرى : مصــر الفرعونيــة ، ١٩٨١ ، ص ١٧٥ .

ومن عصر الدولة الحديثة يقول " رخمى رع " وزير الملك تحوتمس الثـالث " لقد كنت صادق القول أمام المعبود " (١) . ويقول بكى من عهد أمنحتب الثالث :

" انه وضع المعبود فى قلبه وأحيط علما بقدرته " ويقول إخناتون لمعبوده :

" انك تستقر على الدوام فى قلبى ، لا يوجد أحد آخر يعرفك سوى ابنـك ... لأنك أحطته علما بتدابيرك وقوتك " .(٢)

وسجلت نصوص سيتى حديثا لطيفا خاطب به المعبودات قائلا لهم :

" إنما أنا (خادم) خدوم طيب متيقظ لما تشاؤون .... ، مروا ولسوف يلبى آمركم فأنت السادة ، وأنا أبذل حياتى فى سبيل الإخـلاص لكـم (واتبـاع) سـبيل الحسنى معكم " .

ووصف سبيلهم هذا بقوله :

" إن من راعى كلمة المعبود سعد ولن تفشل مشاريعه " .(٣)

وأخيرا يقول آنى من الأسرة الحادية والعشرين :

" إن اسوأ ما يحدث فى بيت المعبود (أى المعبد) هو أحداث ضجـة ، أدع بقلب محب ، ولا تجهر بصوتك ، يستجيب المعبود لدعائك ويسمع ما تقول ويتقبـل قربانك " .(٤)

وأخيرا يقول امنؤبت من بداية الأسرة الثانية والعشرين :

" كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالإنسان فى مأمن فـى يـد المعبـود . والمعبود يمقت من يزور فى الكلام ، وكبر مقتا عند النفاق " .(٥)

---

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤٤ .

(٥) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ .

ونجد فى بعض نصوص التراجم الشخصية من العصر المتأخر أن الشخص يذكر أنه :

" سار على طريق المعبود " (وات - نثر) (١) أى طبقا لما يرضاه وما أمره به ، وعندما يصبح شابا ويأمل فى الزواج عليه أن يختار الزوجة الصالحة ويقول عنخ شاشنقى من القرن الأول ق.م (٢) . فى نصائحه لأبنه :

" من أفضل النعم زوجة حكيمة " ، ومن المعروف أن الحكمة من الـهبات التى تمنحها المعبودات للإنسان وكان للمعبود رع أربعة عشر " كا " من بينها " كا - الحكمة " .

وعندما يصبح الإنسان أبا ، فإن وصاياه الدينية التى تعلمها هو فى الصغر يحاول أن يغرسها فى نفوس أولاده ، وفى هذا الصدد يقول بتاح حتب من الأسرة الخامسة لأبنه :

" إذا كنت رجلا ناضجا واصبح لك ولدا تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلك شئ يسر له المعبود ، وإذا اقتدى بك ونسج على منوالك ، وإذا هو نظم من شئونك ورعاها ، فأعمل له كل ما هو طيب ، لأنه ولدك وقطعة من نفسك وروحك ولا تجعل قلبك يجافيه " .(٣)

وفى النهاية عندما يصل الإنسان إلى عتبة الموت ، يصبح فى قلب التصورات الدينية ويطمع فى الخلود وعندما يحل الموت يجب على الإنسان أن يكون مستعدا له ، ويقول بتاح حتب فى هذا الصدد :

" عندما يأتى الموت فأنه يصيب الطفل الرضيع المتعلق بثدى أمه ويصيب

---

(١) عن الصراط السوى " Courayer, le Chemin de vie en Égypte, dans Extrait de la Revue Biblique 56 (1949), p. 417; Otto, Gott und Mensch., (1964), p. 43 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٣) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

أيضا ذلك الذى اصبح هرما ، وعندما يأتى هذا الرسول (الموت) ليأخذك ، فيجب أن يجدك على استعداد له " .[١]

وكان المصريون القدماء أول أمة آمنت بالبعث والخلود من تلقاء نفسها وأصرت عليهما [٢] . وقد رتب المصرى القديم هدفه فى الوصول إلى عالم الخلود على العمل والعقيدة والمنطق والأمل فى آن واحد .

وكما كانت بعض مظاهر وكائنات البيئة المصرية هى العامل الرئيسى التى جعلتهم يعتقدون فى عقائد الدنيا . فإن هناك أيضا مجموعة من المسببات أو الظواهر الطبيعية فى البيئة هى التى جعلتهم يعتقدون فى البعث والخلود .

(١) : انهم اعتادوا دفن موتاهم منذ فجر التاريخ فى الحواف الصحراوية وشيئا فشيئا أدركوا أن هذه الحواف الصحراوية تحفظ جثث موتاهم بحالة لا بأس بها . وأن جفاف رمال الصحراء لها دور فى امتصاص رطوبة الجسد ، وفى المحافظة على الكثير من ملامح الجثث نتيجة لهذا الجفاف المطلق فيها . ولا شك فى أنهم دهشوا لحالة الحفظ التى كانوا يجدون عليها جثث أجدادهم وآبائهم ، فاعتقدوا أن الموت ليس إلا صورة من صور الحياة فى عالم الآخرة ، يفقد فيها الإنسان مقومات الحركة وحدها [٣] مما أوحى لهم بأنهم يمكنهم الاحتفاظ بجثث موتاهم بحالة جيدة فترة طويلة .

(٢) : أن فيضان النيل يتجدد كل عام ، فيخصب الأرض ، وينبت النبات ، وتتجدد الدورة الزراعية .

(٣) : لاحظوا أن الشمس فى دورتها اليومية ، تشرق فى الصباح وتغرب فى

---

(١) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٣٩ .

المساء أى أن هذه الظاهرة فيها تجدد دائم وأن الموت تعقبه الحيــاة كمــا أن البعث سوف يعقب هذه الحياة الدنيا .

وليس أدل على إيمانهم القوى فى عالم الآخــرة والبعــث مــن اختراعــهم للتحنيط . حتى انه لدينا مومياوات احتفظ أصحابهم بجلودهم وشــعورهم وأصابعــهم بأظافرهم ، على الرغم من مرور ما بين ثلاثة آلاف وثلاثة آلاف وخمســمائة عــام عليها . وقد استهدف المصريون من التحنيط هو الإبقاء على الجسم ســليما واضــح الملامح بقدر الإمكان ، ضمانا لبعث صاحبها وحتى تتعرف عليه الروح . فكان أمتــع ما سجله أصحاب الفكر الدينى فى هذا الصدد وعن رأيهم فى مصير الإنســان بعــد الموت بان " الجسد للأرض – والروح للسماء ".(١)

ولم يكن لهذا التحنيط من أثر ، إلا بفضل ما يتلى على المومياء من طقــوس دينية بعد الوفاة ، وعند التطهر والنظافة ، وعند الدفن ، وعند تقديم القرابين . وهنــا برز دور المقبرة لحفظ المومياء فيها بعد تحنيطها كما زودوا هــذه المقــابر بــأنواع المتاع الجنائزى . وصوروا على الجدران الداخلية فى الجزء العلوى مــن المقــبرة ، كل ما كان يقوم به المتوفى فى حياته الدنيا من أنشطة وكل مــا كــان يســتمع بــه واعتقدوا بان هذه المناظر وما يصاحبها من نصوص يمكن ان تتحول إلــى حقــائق تناسب العالم غير المنظور الذى سوف ينتقل إليه المتوفى ، بفضل ما يتلى عليها مــن طقوس دينية .

أما عن تصوراتهم عن عالم الآخرة ، فأوضح بما نستشهد به ما جــاء فــى نقش هام فى مقبرة أحد القضاة الذين عاشوا فى عهد الملك نى – اوسررع – آنى مــن الأسرة الخامسة ، وهو يبين أن الروح خالدة وأن الإنسان سوف يحاكم أمام المعبــود الأكبر وينبه إلى أهمية احترام المقبرة باعتبار أنها دار الآخرة ويجب عدم الاعتــداء على حرمتها ويقول فى هذا الصدد :

" وإذا جعل أى إنسان من هذا المكان مقبرته الخاصة أو سبب فيها بعــض

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

التلف ، فإنه سوف يحاكم ويقدم إلى العدالة أمام المعبود الأكبر ، لقد قمت بعمل هـذه المقبرة لكى تصبح كمأوى لى " .(١)

يدل هذا النص على أن الإنسان سوف يحـاكم أمـام المعبـود الأكـبر أى أوزير . وما جاء فى وصايا خيتى الثالث (أو الرابع) لولى عهده مريكـارع وهـو يوصيه بالتمسك بعقيدته وما يؤدى إلى السعادة فى الآخرة قائلا :

" أصلح مكانك في الآخرة بالاسـتقامة وأداء العدالـة .... ، فـإن قلـوب (المعبودات) ترتاح إليهما " .(٢) ويحدثه عن رأيه فى البعث والحساب فيقول :

" أن ذكرى الرجل الصالح هى التى تدوم إلى الأبد . ولا تضع ثقتـك فـى عدد السنين لأنه بالنسبة لمعبودات ساحة العدالة (فى الآخرة) فإن الحياة ليسـت إلا ساعة ، ويعيش الإنسان أيضا حتى بعد أن يصل إلى أبواب الموت ، وتوضع أعمالـه بجواره كأنها ثروته الوحيدة (من الدنيا) فالوجود فى عالم الآخـرة خـالد ، وليـس بعاقل من لا يكترث بذلك ، وإن من بلغها دون ان يرتكب أثما سوف يعتبر فيها كأنـه معبود ويسير (فيها) كأرباب الخلود " .(٣)

وعبر الكتبة الدنيويون فى الدولة الحديثة باللفظ والصورة عن فكرة الحسـاب في الآخرة . ومن أكثر الصور شيوعا وتأثيرا هو منظر دخول المتوفى الذى بعـث قاعة الحساب أى العدالة فى الفصل ١٢٥ من فصول كتاب الموتى ، ويجرى حسـابه عادة فى حضور معبود الآخرة اوزير ، ذلك المعبود الذى علم المصريين الحضارة ، وكان اوزير أيضا معبودا للخير . وعلى هذا كان واجبا على الإنسان أن يسير علـى تعاليمه ويمارس الخير . وعلى ذلك فكان اوزير هو الذى يقوم بحسابه قبل أن يدخلـه

---

(١) د. رمضان عبده : تـاريخ مصـر القديـم ، الجـزء الأول طبعـة ٢٠٠١ ، ص ٥٦٠ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٢ ؛ تاريخ مصـر القديمـة وآثارهـا – الموسـوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .

حياة النعيم ، وبجوار اوزير اثنين وأربعين قاضيا مقدسا يمثلون معبـودات عواصـم الأقاليم ، فيقوم المتوفى بتحية المعبود الكبير وكذلك الاثنين والأربعين معبودا الذيـن معه . ثم يبدأ بعد ذلك التنصل من آثام الدنيا (وعددها أربعا وثلاثين) وما من شـانه إغضاب المعبودات فى الحياة الدنيا ، ويبدأ كل عبارة بصيغة النفى " لم أفعـل كـذا وكذا " وانه " اتبع الصدق (أى العدالة) فى مصر " وينهى حديثه مؤكـدا محاسـنه وأعماله الطيبة . وعندما ينتهى من حديثه الطويل يعلن طهارته بقوله :

" أنى طاهر ، طاهر ، طاهر ، طاهر " وكان يجب عليه أن يكون مبرئا من كل هذه الأثام والخطايا ويؤكد لأوزير والمعبودات التى معـه انـه بـرئ مـن أى إثم . وكان عليه أن يجتاز بنجاح بعد ذلك عملية وزن القلب .

وفى منظر آخر نرى ميزانا (ميزان رع) وضع فى إحـدى كفتيـه قلـب المتوفى الذى بعث ، فالقلب هو مصدر النية والضمير وكـل المشـاعر والعواطـف ومصدر الصدق . بينما وضع فى الكفة الأخرى ريشة العدالة (مـاعت) أو تمثـال صغير لها . وهى تعبر عن الحق والعدل والاستقامة والنظام والاسـتقرار . وكـانت ماعت القوة الكونية للانسجام والنظام والاستقرار ، التى نزلت منـذ خلـق العـالم ، ونظمت كل ما تم خلقه من أرض وسماء ومعبودات وبشر وظواهر طبيعية ، وهـى أيضا صفة للحكم الصالح والإدارة الصالحة .[١]

وترمز ريشة العدالة من حيث الصورة إلى دقة الوزن وحساسـيته ويقـوم بعملية الوزن المعبود انوبيس ، حامى الجبانة ومعبود الموتى والذى اعتبره مصريون الدولة الحديثة ابنا لأوزير [٢] . ويقوم بتدوين نتيجة الوزن المعبود تحوتى ، معبـود الكتابة والحساب ، وبجانب الميزان تجلس المعبودة عمميت أو مفترسة الموتى وهـى التى تلتهم القلوب المذنبة ، وهى وحش خرافى مكون من راس تمساح وصدر أسـد

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـد الأول – الجـزء الأول ، ص ٣٥٧ – ٣٥٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

ومؤخرة فرس النهر (١) . وتبدأ بعد ذلك عملية الوزن فإذا تساوت الكفتان فهذا يعنى أن المتوفى كان صادقا فى كل ما قاله وأكد عليه ، أما إذا ثقلت كفة القلب فهذا يعنى انه كان مثقلا بالسيئات ، وهذا يعنى أيضا انه كان كاذبا فى كل ما قاله ، وفى هذه الحالة يشهد القلب ضد صاحبه وضد ما قاله كذبا .(٢)

وتدل شهادة المتوفى عندما يعرض على محكمة الآخرة على روح دينية قوية ترتكز هى الأخرى على مجموعة من الأسس والمبادئ الأخلاقية .

وكان يقوم على تقييم الحسنات والسيئات معبود الكتابة والحكمة تحوتى فيسطر على لوحة نتيجة الوزن ونتيجة دفاع المتوفى عن نفسه أمام المعبود الأكبر اوزير والمعبودات الأخرى .

وحينئذ يتحدد مصيره ، فإما إلي الجنة ، وهى ارض سوف يعيش الإنسان فيها فى راحة نفسية ، وهى أرض لا تمارس فيها شهوات الجنس ، ولكن سوف يمنح فيها الإنسان نورانية وشفافية عوضا عن الماء والهواء ومتعة الجنس ، وسوف يوهب فيها طمأنينة القلب عوضا عن الطعام والشراب وتخيل المصريون القدماء إن الجنة بها الحقول والغدران والبرك ، ويوجد بها مكانان يسمى أحدهما : سخت ايارو " حقل الغاب " فيه النبات والخضرة والعديد من الخيرات التى لا تنضب ، وترتفع فيها سنابل القمح إلى سبعة أذرع . ويسمى الأخر سخت حتب " حقل الطعوم " (٣) (حقل العطاء) فيه الطعام والشراب والنذر .

وإما إلي ارض العذاب ، وهى أرض قفر بدون ماء ولا هواء ، عميقة دفينة ، مظلمة موحشة لا حد لها ولا نهاية ، بها الكثير من صور الحرمان والفزع وعدم الطمأنينة والقلق وأذى الوحوش والحيات والحشرات والمردة الحمر . وهناك

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢٠٢ ؛د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

حفر النار ، وحبائل يخشاها الموتى على الصراط فى العالم الآخر ، وتسمى هذه الحفر باسم " حاد ومنها هاد " .(١)

وفى نص للملك سيتى الأول نجد حديثا يخاطب به المعبودات قائلا لهم :

" أنا أبذل حياتى فى سبيل الإخلاص لكم (واتباع) سبيل الحسنى معكم " ووصف سبيلهم هذا بقوله : " إن من راعى كلمة المعبود سعد ولن تفشل مشاريعه " ووعظ خلفاءه فقال : " إن من عطل مصالح غيره لقى جزاءه بالمثل ، والمغتصب سوف يغتصب " . ثم خوف خلفاءه من عذاب الآخرة قائلا :

" سيكون (المردة) حمرا مثل لهب الجحيم ، وسوف يشوون لحم من لا يستمعون إلى قولى " .(٢)

وكانوا يؤمنون إيمانا قويا بوجود أرض الخلود هذه ، وأرض الجحيم كذلك وإن الإنسان سوف يحاسب فى الآخرة ، وإن الكل وارد على هذه المحكمة وحساب الآخرة ولن يتخلف عنها أحد على أرض مصر ، ولن يقصر أحد فى بلوغها .

وهكذا نرى أن الروح الدينية كانت تسرى فى ثقافة المصرى القديم وقامت عليها كثير من تصوراته حتى نهاية عصوره التاريخية .

ويذكر امنموبت فى نصائحه ان مظهر الإنسان ليس هو كل شئ ، فنجده يقول : " لا تخصص عنايتك لمن اكتسى بثوب قشيب " .(٣)

ونجد فى " القصة الحقيقية لست نى (خع ام واست) وابنه سا اوزير " من العصر البطلمى(٤)، ما يؤكد استمرار هذه الروح وإيمان المصرى إن عمل الإنسان هو الذى يذكيه فى عالم الآخرة ولا يشفع مال أو غنى ، وتسرد لنا هذه البردية قصة الأب (ست نى) وأبنه (سا اوزير) اللذان شاهدا فى يوم ما جنازتين واحدة لرجل

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
(٢) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
(٣) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .
(٤) James, An Introduction to Ancient Egypt, p. 115 – 116 .

غنى والأخرى لرجل فقير . وهنا عبر الأب عن رغبته وأمله فى أن تعد له جنـــازة مثل جنازة هذا الرجل الغنى لما فيها من فخامة وهيبة ومظاهر مادية . ولكــن ولــده تمنى لنفسه أن تكون جنازته مثل جنازة الرجل الفقير ، بما فيها من بساطة وصمت . فأنزعج الأب من رد فعل الابن ، وحاول الابن أن يخفف من شـــدة انزعــاج أبيــه واقترح عليه أن يذهبا معا بفضل التعاويذ السحرية إلى العالم السفلى (الآخر) ليريـــا بعينهما كيف يعامل كل من الغنى والفقير بعد لحظة الحساب وعندما تواجدا هنـــاك ، وجدا رجل حسن المظهر جميل الهندام سعيد اتضح أنه الرجل الفقير ، وعندما بحثـــا عن الرجل الغنى وجداه فى جهنم يتعذب وأصابه الأذى ، منظره لا يسر .

ولعل أبلغ ما يدل على رسوخ العقيدة هى تلك الكلمات التـــى جـــاءت فـــى أنشودة إخناتون والمسجلة على جدران مقبرة آى فى تلك العمارنة ، ويتحدث فيها عن قدرة الخالق آتون وأفضاله على البشر :

" ما أكثر أعمالك ، إنك تتوارى أحيانا عن الأنظار، أيها المعبــود الأوحــد، فلا وجود بجوارك لآخر سواك ، لقد خلقت الأرض حسب رغبتك ، فى حين كنـــت بمفردك ، والبشر أيضا والأنعام كلها من ماشية وأغنام وكل ما يمشى علـــى الأرض وكل ما يحلق فيطير بأجنحته .. وتعطى كل إنسان مكانته وترزقه باحتياجاته . هكــذا ينل كل إنسان وقته ويقدر له زمن حياته ، ولغات البشر متعددة وأشـــكالها أيضـــا ، وألوان بشرتهم مختلفة ، لأنك ميزت الأجانب ... " .(١)

وتدور الفكرة حول القوة المنعمة للشمس كقوة طبيعية ، وقد جاهد إخنـــاتون بكل ما فى وسعه ليخلص هذه القوة البشرية ولم تحوى كلماته إلا قليلا مما ورد مـــن قبل فى أناشيد معبود الشمس . مما يشير إلى أن الآتونية لم تكن مجرد نظرية طبيعية ولكنها كانت توحيدا أصيلا ، وأن العظمة الحقيقية لهذا المصلح تكمن فـــى الشـــجاعة الغير مألوفة التى أراد بها أن يصرف النظر عن أساطير العقائد الموروثة من قبـــل ، وأن رؤيته لقدرة آتون كانت لها أبعاد كبيرة والدليل على ذلك أن ما جاء فى المزمور

---

(١) فرنسوا دوما : حضارة مصر الفرعونية (ترجمة ماهر جويجـــاتى) المجلـــس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ ، ص ٤٣٧ - ٤٣٩ .

١٠٤ كان مشابها كثيرا لهذه الأنشودة (١) . مما يدل على أن كلماتها لم تكن قاصرة على القوة المفعمة للشمس بل تعدتها إلى قوة أكبر ألا وهى قدرة الخالق .

ثالثا – تبجيل واحترام وتقديس الحاكم وطاعته والتفانى فى خدمته مما اصبغ حياتهم السياسية والاجتماعية بطابع الهدوء والاستقرار والاستمرار وأبعدهم عن مظاهر العنف والنقمة أو التمرد والقلق وتقلب الأهواء وأدى ذلك إلى تزكية إحساسهم المتصل بضرورة الانصياع لحكم مركزى مستقر . وأدى أيضا إلى ثبات دعائم ونظم الحكم والإدارة والوحدة السياسية فى أغلب العصور التاريخية . ولكن هذه النظرة المقدسة للحاكم لم تمنعه من قيامه بواجباته فى تحقيق العدالة ونشر الأمن والطمأنينة بين الناس والعمل على تحقيق السعادة والرفاهية لهم .

ومجمل هذه الفكرة أنه كان يحكم مصر على الدوام ملوك ، وأن الملوك الأوائل كانوا معبودات حقيقية ، قاموا بتنظيم شئون البلاد ، وعلموا المصريين الأوائل فنون الحضارة ، ووضعوا قواعد ديانتهم ن ثم ارتفعوا إلى السماء وخلفهم على العرش ملوك من البشر ، غير أن هؤلاء الملوك كانوا بشرا فى المظهر فحسب ، إذ كانوا فى الحقيقة صورة مجسمة للمعبودات . ولما كان آخر ملوك مصر من المعبودات الحقيقية يدعى حورس ، فإن خلفاءه من الملوك البشر الذين تربعوا بعده على عرش البلاد كانوا يحملون هذا اللقب ، الذى أصبح جزءا لا يتجزأ من ألقاب كافة الملوك ، لأنه كان دليلا على طبيعتهم المقدسة (٢) . وأن هذه الطبيعة المقدسة والربانية للمعبود حورس تنزل من الابن إلى الابن .

كانت مصر هى الأمة الأولى فى التاريخ القديم التى أجبرتها ظروفها الطبيعية على إيجاد حكومة مركزية قوية تسيطر على شمالها وجنوبها تحت حكم ملك

---

(١) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٢) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٤ .

واحد هو سيد البلاد المطلق وملك الوجهين القبلي والبحرى . وأغلب الظن أن تقديس الملك جاء نتيجة الصعوبات التى قابلت أبطال الوحدة بين الجنوب والشمال الذين امضوا وقتا طويلا يحاولون تحقيق الوحدة السياسية للبلاد . فخرج الكهنة بفكرة تقديس الملك وبرفع قدره بين الناس حتى يصل إلى المرتبة التى تعلو بمركزه كبشر حى ينتمى تارة إلى الجنوب وتارة أخرى إلى الشمال ورأوا فى فكرة تقديس الملك الضمان الوحيد لكسب ولاء حكام الأقاليم وعامة الشعب والضمان أيضا لاستقرار الأوضاع السياسية فى البلاد . ولم تتحقق قدسية الملك إلا على يدى الملك جسر أول ملوك الأسرة الثالثة .[١]

اعتبر المصريون القدماء ملكهم معبودا مقدسا ، وأطلقوا عليه لفظ نثر أى المقدس ، وأحيانا نفر – نثر المقدس الكامل أو المتكامل أو نثر منخ المقدس الخير .

وكانت الشخصية المقدسة التى كان يمتلكها الملك ميتافيزيقية وقانونية فى الوقت نفسه . فكان يتمثل بالمعبود حورس ، معبود الملكية ، وكان يطلق عليه انه ابن المعبود أو المعبوده ، وانه من نسل مقدس وبذرة مقدسة وخلف مقدس . ومن بين ألقابه المقدسة العديدة انه المحبوب من المعبود أو المعبودة . وفى تصورهم ان بعض الملوك كانوا كائنات مقدسة ، وكان الملك أمنحتب الأول من عدادهم ويبدو أن رمسيس الثانى كان كذلك حتى فى أثناء حياته . ولكنا نجهل السبب الذى دعا إلى هذه الترقية فى نظام وظائف الكائنات .

ونعرف القصة التى سطرتها الملكة حاتشبسوت على جدران معبدها فى الدير البحرى ، ومغزاها إنها ابنة المعبود آمون رع من صلبه وسطرت لنا هذه القصة بتفاصيل ميلادها المقدس أيضا وكتبت بمراحلها المتعددة.[٢] وتحكى هذه القصة إن أباه قد ارتدى ثوب المعبود آمون رع وأن هذا الأخير تمثل بشرا لأمه موت أم ويا وولد من هذا اللقاء ذكر أطلق عليه اسم أمنحتب .[٣]

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ١١٧ .

(٢) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais , p. 338 (Doc. 314) .

(٣) Id., op. cit., p. 338 – 339 (Doc. 315)
وراجع فيما بعد ، ص ٣١٨ حاشية (٢ – ٤) .

وسجل الملك رمسيس الثانى قصة مماثلة على كتلة من الحجر عثر عليها فى معبد مدينة هابو .[١] والحق بالمعابد البطلمية معبد صغير سمى " معبد الولادة " الماميزى حيث اعتاد المصريون تمثيل مولد الابن المقدس ورعايته على يد مجموعة من المعبودات .[٢]

وفى قصة الحلم الذى رآه تحوتمس الرابع وسجله على لوحة بين قدمى أبو الهول رأى فيه المعبود حور آختى يتحدث إليه بفمه لما لو كان أب يتحدث إلى ابنه ويقول : " تأملنى وانظر إلى يا بنى تحوتمس ، قال المعبود ، انى ابوك معبود الشمس (حور ام آخت) سوف أعطيك مملكتى على الأرض ، وسوف تصبح على رأس الأحياء ..... " .

ولهذا احيط الملك بصفات التكريم والاحترام ، وقد تملك بعض هؤلاء الملوك هذا المفهوم الدينى بأنهم مقدسين ، فمنهم من كان يعتقد فى نفسه انه كائن مقدس ، وكان يعتكف عن الناس ويتأمل ويفسر دين جديد ويخرج به على الناس كما فعل إخناتون .

وبهذه الصفة المقدسة كان الملك هو الوسيط الأوحد بين الناس وعالم المعبودات والكاهن الأكبر لجميع المعبودات التى قدسها المصريون القدماء . ولما كان من الصعب على الملك ان يشرف ككاهن أكبر على الخدمة اليومية لكل معبود فى كل معبد ، فقد اضطر أن ينيب عنه فى هذه المسئوليات بشرا عاديين ، يعملون بدلا منه وباسمه . وبلغ من تقديسهم للملك أنهم ذكروا اسم " الملك مجردا " بدون ذكر الاسم فى صيغة القرابين الرسمية بجوار اسم المعبود المحلى . وهى تبدأ دائما بالكلمات الآتية :

" قربان يقدمه الملك للمعبود ... لكى يعطى قربان من الخبز والجعة إلى فلان " . وقد أرادوا بذلك أن يشركوا الملك اشتراكا فعليا فى تقديم القربان للمتوفى .

---

(١) R. el Sayed, op. cit., p. 339 – 340 (2 – 4) .
(٢) Daumas, les Mammisis des temples égyptiens, Paris 1958, p. 382 – 425 ; R. el Sayed, op. cit., p. 339 (1) .

وهذا المتوفى ليس إلا أحد رعايا الملك على هذه الأرض . وتدل هذه الصيغة التي كانت تتلى فى المعابد على الأفضال الملكية الممنوحة للأحياء خلال حياتهم على الأرض ، والممنوحة للموتى فى مقابرهم ، وفى حياتهم فى عالم الآخرة . وهى تدل على أن سلطة الملك كانت سائدة فى كل مكان على أرض مصر .

وصورت لنا متون الأهرام صور بعث الملك وخلوده وتمجيده بصفته مقدسا . وذكر فى متون الأهرام بأن الملك سوف يرقى بعد موته إلى ملكوت السماء حيث يعتلى أحد عروشها ويكتب له الخلود فيها ، ويظهر فيها على هيئة النجم المضئ الخالد ، ولم يتركوا وسيلة مادية أو معنوية يمكن أن تساعده على الصعود إلى السماء إلا ذكروها فى متونهم وتمنوها من أجله .[١]

ولم تكن هذه الشخصية المقدسة تنتزع شيئا من صفة الملك البشرية . فكان على الملك تطبيق ماعت أى العدالة بين الناس وكان عليه ألا ينتهكها لأنه كان عرضة للعقاب والحساب فى الآخرة . فكان عليه أن يقدم بيان عن أعماله للمعبود رع وكان عليه نشر الأمانة والصدق والاستقامة بين الناس . وقد صور ايبوور من نهاية الأسرة السادسة هذا الحاكم على أنه :

" الراع لشعبه الذى لا تشوبه أية خطيئة ، وعندما تتفرق قطعانه ، عليه أن يهتم بجمع شملها " .[٢]

ويقول خيتى الثالث (أو الرابع) لابنه مريكارع أن الراع مسئول عن رعيته وأن الناس سواسية أمام خالقهم : " البشر رعايا المعبود ، خلق السماء والأرض بما يشتهون ، وأجرى المياه دافقة (من اجلهم) وأرسل لهم النسمات كى يحيوا بها ، هم أشباه له ، صدروا عن بدنه ... وهو الذى تعهد الحاكم منذ الصغر من

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣١٩ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٦٠٦ .ولقب راعى أطلق على عدة ملوك : سيتى الأول (الراعى الصالح أو الطيب mn jw nfr الذى يجعل قواته تعيش) رمسيس الثانى (الراعى الصالح للشعب) رمسيس الخامس (راعى مصر) واوسركون الثالث (الراعى الصالح للشعب) راجع : Grimal, les Termes de la Propogande Royale, p. 349 p. 350 n. 1160 – 1161,.

أجلهم ورفعهم (درجات) ليكونوا سند لظهورهم ضعفائهم " .[١]

ويقول عدة حكم أخرى تخص كسب حب الجماهير وتطبيق العدالة وأن يلتزم القدوة الحسنة قائلا له :

" قل الحق فى قصرك يخشاك عظماء الأرض ، فاستقامة الخلق اليق بالحاكم " .

" الزم العدل تخلد على الأرض " .[٢]

" اكسب إلى جانبك الجماهير وابعد عنها اللهيب ، فالشعب الغنى لا يثور ، فلا تفقره حتى لا تدفعه إلى الثورة لأن الفقير هو الذى يخلق المتاعب ... اعمل على غنى الفلاح وأهل المدينة " .[٣]

ويقول تحوتمس الثالث فى نصائحه لوزيره رخمي رع :

" لاحظ ان من يلى منصبا كبيرا يردد الهواء والماء كل ما يفعله ولا يمكن أن تستمر تصرفاته خافية ... تصرف وفقا للعدل ، فالمحاباة يمقتها الرب . وإليك نصيحة تتخلق بها : عامل من تعرفه كما تعامل من لا تعرفه ، وانظر إلى المقرب إليك نظرك إلى البعيد عنك ... لا تشح بوجهك عن صاحب شكوى ... ولسوف تنجح فى تحقيق الهدف من منصبك إذا نصرت الحق ، فالناس يتوقعون العدل فى كل تصرفات الوزير " .[٤]

ومما يلاحظ إن الثقة التى وضعها الشعب فى حكامه المقدسين لم تفسد

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٣) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦١٩ – ٦٢٠ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠١ ، وأيضا د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ١٣٠ .

طبيعتهم فقد عمل معظمهم على رعاية هذا الشعب والعطف عليه والاهتمام بمشـــاكله والتفكير في أموره .

وهناك نص الملك سيتى الأول يحمل طابع الشفقة والبساطة بعـد أن لمـس المعاناة التى يقاسى منها المسافر عبر الصحراء ومسالك المناجم فيها ويقول :

" هلم إلى عقلى حتى أفكر في راحتهم (المسافرين) واكفل لهم ما يصـــون حياتهم ويجعلهم يترحمون على ما في السنين المقبلة ، وعسانى اعمل عملا يشـكرنى عليه أهل الأجيال القادمة ، أنا الشفوق الذى يعنينى الرخاء " .(١)

وتجول في الصحراء حتى اهتدى إلى مكان ملائم لحفر بئر لجلب المياه .

وعندما تخيل أهل الديانة في نصوص الأهرام أن روح الملك البشرية سوف تصعد إلى السماء وتخلد هناك ، تخيلوا أيضا انه لابد لهذه الروح أن تحصل على أذن ربها ، وكان هناك عدة شروط لحصول صاحبها على نعيم في أخراه .(٢)

وجاء في نصوص سيتى الأول حديثا خاطب به المعبودات قائلا لهم (٣) :

" لا .... إنما أنا (خادم) خدوم طيب متيقـظ لمـا تشـاؤون .. ، مـروا ولسوف يلبى أمركم ، فأنتم السادة ، وأنا ابذل حياتى في سبيل الإخلاص لكم وسـبيل الحسنى معكم ..... ووصف سبيلهم بقول : " إن من راعى كلمة المعبود سعد ولـن تفشل مشاريعه " .(٤)

وقيل لمرنبتاح في نص على الجدار الشرقى لفناء الخبيئة بالكرنك : السـطر ١٠ : " عرش حورس وهب له لكى يحافظ على حياة عامة الناس ، وتوج كملك لكـى يحمى عامة الشعب ، وتواجدت القوة لكى يحقق هذه (الحماية) ضـد مـن يقـول

---

(١) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٢٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .
(٤) ترجمة المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

أنا ".(١)

ويقول مرنبتاح نفسه :

السطر ١٦ : " أنا الحاكم الذى يرعاكم واقضى نهارى باحثا (عما هو مفيد) " .

السطر ١٧ : " (أننى بالنسبة) لكم مثل الأب الذى يحافظ على حياة أبنائه " .

السطر ٧١ : " أننى مفيد لهم (للناس) اكثر من أب وأم وأولاده " .(٢)

وعندما ساءت الأوضاع السياسية فى أواخر الأسرة السادسة قامت أول ثورة طبقية ضد الملك ، وصور لنا حكيم مصرى يدعى إيبوور ما حدث ن وربما نجح فى مقابلة الملك نفسه ، وحاول ان يحمله هو وحكومته تبعة ما انتهت إليه أحوال البلاد على أيامه من ضعف ودمار . وحين قابل ايبوور الملك صور له جهله وحيرة شعبه قائلا :

" كان من الممكن أن يرتاح قلب الملك لو بلغته الحقيقة . ثم تجرأ الرجل على الملك وحاسبه قائلا : " لديك الوعى والبصيرة (وأسباب) العدالة ولكنك بعثت الفوضى فى البلاد مع أهل الفتن " .(٣)

وقد صورت لنا بعض النصوص تواضع بعض الملوك . فقد عرف الملك سنفرو فى الروايات الأدبية اللاحقة على انه " ملك طيب وخير " وتظهره النصوص وهو يتصرف فى بساطة مع الآخرين من حوله ويناديهم بلفظ " صديقى " و" زملائى " ويتمثل ذلك فى بردية وستكار الموجودة الآن فى متحف برلين وترجع إلى عصر الهكسوس وفيها يخاطب سنفرو الكاهن المرتل جاجا ام عنخ بلفظ " يا اخى " . وقد جاء فى تعاليم والد كايجمنى ان سنفرو كان يسمى " الملك الخير فى كل البلاد " . وفى بردية تنبؤوات نفرروهو (أو نفرتى) الموجودة الآن فى متحف

---

(١) Kitchen, RI 1V, p. 2-12 .

(٢) Id ., op . cit ., p. 11 – 12 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

لينجراد نرى الملك يخاطب نفرروهو بلفظ " يا صاحبى " .(١)

وأمر الملك ساحورع بتشييد باب وهمى لطبيبه الخاص بجبانة سقارة . وتقص علينا النقوش ان هذا الباب الوهمى قد نفذ بأمر الملك بواسطة صناع مهرة من معبد بتاح .

ومن عهد نفر – اركارع – كاكاى لدينا قصة واشبتاح الذى واتته نوبة أثناء وجوده مع الملك وحاول الملك إنقاذه عن طريق قراءة ما فى برديات الطب ولكن واشتبتاح توفى بعد قليل وأمر الملك بان يصنع له تابوت من الخشب مغطى بقطع من المرمر وطلب جلالته أن ينقش هذا الحدث على جدران مقبرته .

وهناك قصة رع ور الذى كان يعمل مديرا للقصر الملكى فى عهد الملك نفر – اركارع – كاكاى وكان يسير إلى جوار الملك أثناء احتفال رسمى وحدث أن لمست عصا الملك الذى كان يحركها ساق رع ور ، فاعتذر الملك له وأمر بأن يسجل هذا الاعتذار على لوحة وضعت فى مقبرة ذلك الموظف .(٢)

تصور لنا بعض النصوص استعذاب الملك لفصاحة أحد رعاياه فى قصة القروى الفصيح . ومن امتع ما وصل إلينا رسالة كتبها الملك جد كارع أسيسى إلى وزيره شبسس رع يقول له فيها ردا على رسالة منه فى أحد أعياده :

" اطلع جلالتى على الحديث الممتع الذى أرسلته إلى القصر فى هذا اليوم الجميل .. وسررت به لأنك تعرف كيف تتحدث بما يستحبه جلالتى ، وأن كل ما تقوله ليروق لى إلى أقصى حد .. وهأنذا أقول الآن وأردد باستمرار يا عزيز مولاه ، يا من أنعم عليه مولاه ، يا مستشار مولاه الحق ان رع أكرمنى بان وهبنى إياك ، وبحق حياتى الخالدة لئن أبديت لى أية رغبة بكتاب اليوم لقضيتها لك فى التو " .(٣)

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٩٥ .
(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٥٥٦ .
(٣) ترجمة د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٢٨ – ١٢٩ حاشية (٧٦) .

وفى قصة القروى الفصيح ، نرى مدى إعجاب كبير أمناء القصر الملكى بالأسلوب الذى كتب به هذا القروى شكايته الأولى إلى كبير أمناء القصر . فأسرع هذا الأخير إلى الملك وهو يقول :

" مولاى وجدت واحدا من أولئك القرويين جيد القلم يتحدث بالصواب ، بعد أن نهب متاعه واتانى يتظلم إلى " وقص قصته على الملك فرد الملك عليه بقوله :

" (استحلفك) بحق ما تحب أن ترانى معافى ، أن تؤخره هـا هنا ، ولا تغضب على شئ يقوله ، عساه يواصل الحديث ، ثم يؤتى إلينا بحديثه مكتوبا فنسمعه ، بشرط أن تتكفل برزق زوجته وأولاده . فالقروى من هؤلاء القرويين يأتينا عادة بعد إملاق ، وعليك كذلك ان تتكفل بمعاشه (طيلة بقائه هنا) بشرط أن تصرف له (رزقه) دون ان تشعره بأنك أنت معطيه " .(١)

وتصور لنا هذه البردية أيضا استعذاب الملك نفسه بفصاحة قروى من رعاياه ويتمنى ان يستزيد منها ثم يأمر بالإحسان إليه فى عاصمته دون ان يعرف من هو المحسن عليه ، فضلا عن الإحسان إلى أسرته فى قريتها .

ومن هذا المنطلق لم نجد أى نص فيه شكوى ضد الملك ، سوى تلك الثورة الاجتماعية فى أواخر الدولة القديمة والتى أدت إليها عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية .

وإذا كان بعض الفنانين فى عصر الدولة القديمة قد تعودوا أن يظهروا ملوكهم او يمثلونهم فى سمات ابناء المعبودات ، تكسوهم القداسة ويحف بهم الجلال والوقار حين يعتلون عروشهم كما يظهر ذلك فى تمثال خفرع الشهير ، أو عندما يظهرون مع أربابهم فى صحبة محببة او بنوة رفيقه كما يظهر فى تماثيل منكاورع ، إلا ان البعض الآخر شعر بأنه يمثل إنسانا قبل كل شئ ، ولهذا مثل الملك عاريا وهو يحن إلى حجر أمه ، وهناك أربعة تماثيل صغيرة للملك بيبى الأول ، مثله أحدها

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦٢٢ - ٦٢٦ .

عاريا فى سن الرضاعة ، ومثله آخر جالسا على حجر أمه فى سن الطفولة ، ومثله ثالث جاثيا على ركبتيه فى سن الشباب يقدم قربانا لمعبوده يبتغى منه الرضا ، ومثله رابع كهلا يدفع عصاه بيده ويقف بجواره ولى عهده مرى ان رع عاريا فى سن الطفولة . ولم يجرأ الفنان على تمثيل هذه الأوضاع للملوك قبل عهد بيبى [(١)] . وحتى إخناتون الذى اعتقد فى شخصه نوعا من القداسة ، نجد أن مدارس النحت والنقش فى عهده أخذت تصوره كما هو فى الطبيعة ، وصورته حين يأكل بشهية ، وحين يلاصق زوجته وتلاصقه ، وحين يمرح معها بعربته ، وحين يضم بناته فى شغف ، وحين يندب إحداهن فى أسى ، وحين يتعبد معبوده فى إخلاص وورع ، وحين يجود بالعطايا وحين يتقبل الهدايا .[(٢)]

ومارست مدارس النحت اوج نشاطها فى عهد رمسيس الثانى ، فأخرجت له تماثيل تفوق الحصر ، وكما صنعوا له تمثالا كمعبود وضع بين تماثيل بتاح ورع حور آختى وآمون رع فى قدس الأقداس فى معبد أبو سمبل نجد أن الفنان صنع له تمثالين آخرين أظهراه فى حجم صغير يزحف على الأرض فى تواضع وهو يقدم القربان إلى معبوده .[(٣)]

كان الملك هو المهيمن على كل شئون الحكم ، فكانت كلمته هى القانون ، فتوفر له نوع من الحكم المطلق مما أتاح له الأشراف والتحكم فى موارد البلاد وإمكانياتها المادية والبشرية وأدى إلى سيطرة الدولة على وسائل الإنتاج والنشاطات الاقتصادية وتوجيهها فى صالح الجماعة . فالملك راس الحكومة ، كان يعتبر بالتالى رأس الديانة ووريث وخلف الأرباب ، ولهذا أكد هؤلاء الملوك لأنفسهم ، قدرا كبيرا من القداسة الروحية الدينية على رعاياهم .

وقد ساعد الكهنة ملوكهم فيما ادعوه لأنفسهم من قداسة وسيادة ورددوه فى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ حاشية (١٧٣) .

نصوصهم الدنيوية والدينية مرارا وتكرارا . وكان الملك فيما صورته مذاهب الدين يعتبر من المتحكمين فى شئون الآخرة ومن المهيمنين على مصائر أهلها .

ولهذا كان يطلق على الملك لقب " نب " أى السيد المطلق ، وكان هذا اللقب يسبق لقب ملك مصر العليا والوجه البحرى .

واستطاع الملوك فى أغلب أحوالهم أن يستغلوا هذه السيطرة السياسية والاقتصادية والإدارية الواسعة والسيادة الدينية والقداسة الروحية أوسع استغلال واستطاعوا أن يكلفوا من يشاءون من القادرين على العمل من عامة الشعب ، بالعمل فى مشروعاتهم الدنيوية والدينية ولإقامة العديد من منشآتهم وليس من المستبعد أن الكهنة كانوا يتعمدون فى طقوسهم أن يشيدوا بقداسة الملك ودفعوا الكادحين من عامة الشعب إلى المشاركة فى مشروعات الملك مهما بلغت الصعوبات فى سبيل تعلقهم بشئ من الأمل فيما ينتظركم فى الآخرة من الشفاعة والرضا وحسن الجزاء من جانب ملوكهم الذين أوهموهم أنهم سوف يتحكمون فى شئون الآخرة كما يتحكمون فى شئون الحياة الدنيا سواء بسواء .

وتتمثل هذه السيطرة السياسية والدينية للملوك فى تشييد الأهرام . فقد تساءل بعض العلماء عما إذا كان المصريون القدماء قد شادوها وشادوا أمثالها ، راضين أم مجبرين .

نقول أن عوامل الإجبار والقسوة والسخرة لا تدفع الناس على إقامة مثل هذه الأهرام وملحقاتها . فالإمكانيات المادية والاقتصادية والسيطرة الإدرايـة ، وتقديس المصريين لملوكهم وعبادتهم بعد موتهم هى التى دفعتهم إلى التفانى فى بناء أهرامهم ومعابدها . كما حرص بعض أفراد الطبقات الكادحة على ان يدفنوا حول هرم خوفو حتى بعد أربعة قرون من وفاته مما يؤكد بقاء ذكراه الطيبة بينهم وتبركهم بمنطقته .[1]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

ونجد فى النص الذى تركه امينى سنب من الأسرة الثامنة عشرة ، وهو الذى اشرف على ترميم معبد اوزير فى أبيدوس . ما يبرر هذه الأعمال طمعا فى كسب رضى المعبود والملك ، وهو يقول :

" هكذا حققت أملى ، ورضى المعبود (اوزير) عنى واثنى الملك على " [١] وقد يتساءل البعض أيضا ألم يكن أولى بملوك مصر فى عصر الدولة القديمة أن يعملوا على توجيه الجهود التى بذلها رعاياهم فى تشييد أهرامهم إلى نواح عمرانية أخرى يعم نفعها على الشعب ؟

ليس لنا أن نحكم بمنطق عصرنا الحالى على مثل هذه الأمور . فالواقع أنه كان لكل طائفة من الحكام آفة . وكان من أمر الحكام الرومان الأقدمين حب البطش والجبروت ، وكان من آفة حكام العصور الوسطى الشرقيين بذل جانب من موارد البلاد فى بناء القصور ، فكان من آفة بعض ملوك مصر القديمة ، أنهم وجهوا جانبا كبيرا من موارد بلادهم إلى بناء الأهرام الضخمة فى منطقة الجيزة وسقارة ودهشور وأبو صير والفيوم ، والمعابد الشاهقة مثل الكرنك والأقصر والرمسيوم ومدينة هابو ، والمعابد المنحوتة فى الصخر فى بلاد النوبة وأشهرها معبدى أبو سمبل ، والمقابر المنحوتة فى باطن الصخر مثل المقابر الملكية فى البر الغربى فى طيبة ، كما وجهوا جانبا من هذه الموارد كهبات التى أوقفوها على المعابد مثل ما جاء على بردية هاريس التى يبلغ طولها حوالى أربعين مترا ، من عهد الملك رمسيس الثالث .

وقد ابتغوا من وراء كل هذه العمائر نعيم الآخرة ، وتكريم المعبودات ، واستمالة الكهنة ، وان يظهروا فى سمات التقوى والصلاح ، ولعل هذه آفة محببة بالمقارنة إلى الآفات الأخرى .

وعلى الرغم من إقامة هذه الأهرام والمعابد والهياكل والمقاصير فقد وجدنا من الملوك من يرغب فى المجد المعنوى المتمثل فى حب الشعب للحاكم وربما كان هذا الاتجاه من أفضل ما وصل إليه التفكير الإنسانى على مستوى الملوك فيقول الملك

---

(١) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

خيتى الثالث (أو الرابع) لولده مريكارع فى نصائحه :

" شيد لنفسك أثرا خالدا بحب رعاياك " و " كن عادلا حتى يظل اسمك خالدا " و" يعيش الإنسان أيضا حتى بعد أن يصل إلى أبواب الموت ، وتوضع أعماله بجواره كأنها ثروته (الوحيدة) ، فالوجود فى العالم الآخر خالد " .(١)

وهناك من أهل الفكر من يعتقد أن الحكم والتعاليم التى يتركها الكتبة فى مؤلفاتهم البردية هى أفضل الأعمال لتخليد أسمائهم ، ويقولون :

" أن كتب الحكمة هى أهرامهم والعلم ابنهم وإذا كانوا قد ذهبوا فإن أسماءهم ما زالت تذكر فى كتبهم وسوف تبقى ذكراهم إلى الأبد " .(٢)

وهذا يدل على أن هناك قلة مستنيرة من المصريين ترى أن الخلود يتحقق بفضل الأعمال الصالحة التى قام بها الإنسان على الأرض . وهذا يدل على مرونة العقائد المصرية القديمة وعدم التزامها صفة الجمود التى اعتادت أغلب المؤلفات الحديثة على أن تلصقها بها .

رابعا : وجود قوانين ثابتة مستقرة تكفل العدالة للجميع ، فكانت هناك تشريعات مصدرها المعبودات مما زاد احترام الشعب لها وعمل على تطبيقها والالتزام بها وتشريعات مصدرها الإنسان إى الملك الذى كان له حق التشريع وبأن أوامره كانت لها قوة القانون ، ولكنه كان اول الناس التزاما بها ، وكان الملك يظهر فى النقوش ملتزما بالحياد التام تجاه أحكام القضاة الذين كانوا يضعون أحكاما قضائية لها قوة التشريع . وطبقا لما ذكره بلوتارخ كان الملك يطلب من القضاة بالا يطيعوه إذا كانت أوامره إليهم ظالمة أى تتضمن ما يؤدى إلى خرق التشريعات(٣) ، ولهذا كان يعتبر

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦١٩ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٤٣ – ٣٤٤ .

(٣) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٩ – ٢١ .

رمزا للعدالة .

ومما يؤكد هذا الرأى ويدعمه أن اليمين الذى يحلفه القاضى بمناسبة تعيينه كان يتضمن : عدم إطاعة الملك إذا أمره بإتيان أى معصية أو اى ظلم وكان الملك يلح ويصر على أداء القاضى لهذه اليمين عند توليه مهام وظيفته .(١)

كان المصريون القدماء يفهمون – بفطنتهم وبذكائهم – أن العدالة أساس حماية واستقرار المجتمع ، وأن عدم سلامة جهاز القضاء أو انحرافه يهدد أمن المجتمع (٢) . بدأت مصر منذ أقدم العصور بنظام قانونى أصيل هو أقدم نظام عرفته الإنسانية وقد استمر هذا النظام قائما أكثر من أربعين قرنا . ولا يوجد له مثيل فى تاريخ الأمم القديمة الأخرى .

وكان من أبرز العادات عند المصريين القدماء حتمية حصول كل ذى حق على حقه ، وهذا أحد اسباب ازدهار حضارتهم ، ومن جهة اخرى أحس المصريون القدماء بأن أكثر ما يهدد استقرار المجتمع هو تفشى الظلم والفساد والرشوة والدسائس . ولهذا اختار المصريون أحسن الكفاءات وأكثر الرجال نزاهة فى مدنهم الرئيسية : ايونو ومنف وطيبة تولى أمور القضاء .(٣)

ويقول بتاح حتب بشأن توافر العدالة :

" العدالة هى أمر عظيم لا يجب أن تتغير ويجب أن تكون مكفولة للجميع .. أن أى عقبة فى طريق العدالة يعنى فتح الطريق أمام .... ان حدود العدالة لا تتغير .... إن معانيها تعاليم يتعلمها الابن من أبيه " .(٤)

والواقع أن حضارة مصر القديمة اعتبرت حق العقاب أو القضاء به بمثابة

---

(١) د. عبد الرحيم صدقى : المرجع السابق ، ص ٥٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ٥٦ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

تفويض من قبل السلطة الإلهية . ومن ثم فلقد كان أساس القضاء أساسا دينيا رغم ما طرأ على الفكر المصرى بوجه عام عبر العصور من تغيرات مختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية (١) . وفى نهاية الأسرة الثامنة عشرة تولى حور محب الذى سن القوانين الصالحة لمحاربة الرشوة والفساد فى دواوين الحكومة وأصلح المحاكم . وطاف فى أنحاء البلاد باحثا عن الأشخاص الأكفاء الذين يمكن أن يأتمنهم على شئون الحكم والعدل والقضاء بين الناس . ثم فرض على من يخالف القانون أشد أنواع العقاب يستوى فى ذلك الكبير والصغير . وقد وضع باك ان رن رف فى الأسرة الرابعة والعشرين قانونا جديدا عام ٧٤٠ ق.م . أدخل فيه كثيرا من الإصلاحات والتعديلات على القانون القديم . وأخرج قواعد القانون عن دائرتها الدينية وأضفى عليها طابعا مدنيا . وكان المصريون القدماء يعتقدون أن هناك صلة وثيقة بين القوانين الدنيوية (المدنية) والقوانين الدينية (٢) . وكان مفهوم ماعت (أى العدالة) عند المصريين القدماء يتخلص فى أمرين :

- أن الدولة موجودة لتتحقق الماعت .
- إن الماعت يجب أن تتحقق ليصبح العالم قابل للسكنى .(٣)

وإذا كانت السلطة القضائية العليا نظريا فى يد الملك لكنها عمليا كانت تفوض من جانبه إلى السلطة لقضائية الممثلة فى القضاء ورجال الدين وكبار رجال الدولة فأحيانا كان يقتصر دور الملك على إحالة الشكوى إلى القاضى المختص باعتباره الممثل المخلص للقانون فى البلاد أو إلى كبير الكهنة أو إلى الوزير الأول الذى كان تتجمع فى يده كل السلطات وكل الاختصاصات فهو يقضى فى

---

(١) د. عبد الرحيم صدقى : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) يان أسمان : ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية (ترجمة د. زكية طبوزاده ود. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ١١٨ .

الأمور المدنية والإدارية والجنائية .[١]

كان الملك يقدم إلى هؤلاء القضاة كل ما هو ضرورى لإعاشتهم . وكانت مخصصات رئيس العدالة أى رئيس المحكمة اكبر بكثير من مخصصات القضاة الأعضاء . وكان رئيس المحكمة يحمل فى عنقه سلسلة من الذهب يتدلى منها ميدالية بها شكل مرصع بالأحجار الكريمة يمثل معبودة العدالة ماعت . وكان يوضع بين يدى القضاة ثمانية مجلدات تضم تشريعات مصر القديمة .[٢]

عرف المجتمع المصرى القديم الأنظمة القضائية والإجرائية التى كانت من أدق الأنظمة – بوجه عام – وذلك للوصول إلى العدالة الحقيقية وتحقيق العدالة لكل إنسان والكل متساوى أمام القانون اى الأخذ بمبدأ المساواة أمام القانون ويذكر ديودور الصقلي :

" فى مصر كان يعاقب الناس على أساس نيتهم أو مقصدهم لا على أساس ثرواتهم " وهذا ما يؤكده خضوع الكل – الغنى والفقير – أفراد الطبقة العليا وأفراد الطبقة الدنيا لقانون واحد بلا تفرقة [٣] . وقامت القوانين المصرية أيضا على مبدأ احترام الإنسان وكرامته فى حياته وبعد وفاته . فلا توجد تفرقة فى المعاملة بين الإنسان الحر والعبد بصدد العقاب على جريمة القتل أيا كانت صورتها . كما يظهر هذا المبدأ فى احترام جثث الموتى إذ كانت كرامة الإنسان مصانة بالقانون بعد وفاته .

وعلى مبدأ احترام المعتقدات الدينية وحرية العقيدة للإنسان فله أن يتعبد لأى معبود فى إقليمه دون الإساءة إلى حرمة المعبودات وعقيدة الغير . وعلى هذه المبادئ الثلاثة قامت فلسفة العدالة والتشريع بوجه عام [٤] . حتي حياة الحيوانات

---

(١) د. عبد الرحيم صدقى : المرجع السابق ، ص ٧٥ – ٧٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ – ٨٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠ .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٠ .

كانت محمية بقانون العقوبات المصري . فالمعاملة السيئة للحيوان كانت جريمة عقوبتها دفع غرامة للكاهن ، وتصل العقوبة إلى حد الإعدام لو كان الاعتداء واقعا على حيوان مقدس (١) وهذا ما أكده أفلاطون حينما ذكر فى كتاباته :

" لقد كان لكل شئ في مصر القديمة قانون حتي الرسم والرقص والنحت " أى من يخرج عن قواعد قانون " الرقص " الذى كان ذا طابع دينى يعاقب قانونيا .(٢) ولجأ المجتمع المصرى القديم إلى وضع القوانين لحماية الدين والأخلاق والضمير من الانحراف . ووجد فى تغليظ العقوبة الوسيلة المثلى لتحقيق المجتمع المثالى . فوضع عقوبات للجرائم البسيطة والجنايات .

فهناك عقوبات لجريمة القتل وشهادة الزور أو اليمين الكاذبة والامتناع عن المساعدة فى إنقاذ ضحية من الجرائم وتقديم إقرارات الذمة بصورة مزورة . فوفقا للقانون المصرى القديم كان من الواجب على كل مصرى أن يقدم إقرارا يتضمن اسمه ومهنته او حرفته ودخله للسلطة القضائية ، وإذا ما تبين من فحص هذا الإقرار ورود بينات غير صحيحة فيه كان يعاقب الشخص بالإعدام . وهناك عقوبات للتزييف أو استخدام العملات أو الموازين أو المقاييس أو المعايير المغشوشة أو غير سليمة وللسرقة والزنا والبلاغ الكاذب وقتل الحيوانات والهروب من الحرب وعدم إطاعة الأوامر وإفشاء الأسرار العسكرية .(٣)

وكان هناك القضاء المدنى والقضاء العسكرى والقضاء التجارى والقضاء الكهنوتى ، ولكل نوع من القضاء اختصاصاته .(٤)

ومما يدل على رقى الحضارة المصرية القديمة هو ابتداع أسلوب الدعوى أو البلاغ مما يدل على عدم وجود فوضى فى أسلوب الاتهام . ويعنى ذلك معرفة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٣٦ – ٥٤ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٦٩ – ٧٣ .

المصريين القدماء بقيمة الضرر الاجتماعى للجريمة على أساس أنها فعل أو عمل يهم الكل لا المتضرر من الجريمة فحسب ولكن لأن آثارها تعم على كل أفراد المجتمع وبهذا سبقت مصر القديمة باقى دول العالم المتحضر حينما عرفت أن الجريمة مفهوما اجتماعيا .(١)

وكان هناك عدة إجراءات بالنسبة للدعاوى المدنية أو الدينية أو الإجراءات الجنائية غير العادية فى بعض الجرائم ، وكان لابد من التحقيق من صحة ما ورد باعتراف المتهم وشهادة الشهود (٢) . ويذكر على مبارك : أن سعادة مصر مؤسسة على عاملين مهمين : أولهما : بذل همم أهلها ، وطرح أثقال أسباب الكسل والفتور عن كواهلهم ، فبقدر بذل الهمم منهم فيها تكون ثروتهم .

ثانيهما هو " اتباع القوانين المنتظمة التى لا يتطرق إليها الخلل على حسب الأهواء والأغراض الشخصية ، فإنه بقدر رعايتها يكون الأمن العام ، وبحفظ حرمتها يدوم الملك على أحسن نظام ، وتتهيأ بذلك أسباب تقدم الجماعة ، ويصل الخير الخاص والعام لكل من الراعى والرعية " .(٣)

خامسا : توافر عوامل الأمن والأمان بفضل اتباع سياسة عادلة مستقرة فى الداخل ودفاعية قوية فى الخارج ولم يتبع الملوك سياسة هجومية . واعتمدت مصر على إمكانياتها الذاتية عند مواجهتها للتحديات والأزمات والأخطار الخارجية . والحق أن الزراعة فرضت على أهل البلاد حرفة مستمرة تستدعى الارتباط بالأرض وعدم تركها فترة من الزمن أو هجرها نهائيا ، وأيضا ظروف البلاد البيئية لم تكن قاسية بحيث تدفع إلى تطور حربى يتسم بالغزو والفتح والإغارة على أراضى الغير . وجاهد ملوك مصر القديمة فى سبيل حماية البلاد من أعدائها من الخارج أو من أخطار الفيضان فى الداخل . وكلفوا بذلك سعادة رعاياهم . ولا غزو فإن غزو

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٢ ، ٩٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠ - ١٠٣ .
(٣) الأعمال الكاملة لعلى مبارك المجلد الثالث دراسة وتحقيق د. محمد عمارة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨١ ، ص ١٠- ١١ .

الهكسوس قد استثار فى نفوس المصريين القدماء الشعور القومى والتعلق بالحرية والاستقلال . وحفزهم وملوكهم إلى الجهاد فى سبيل الذود عن الاستقلال . وتم لهم ما أرادوا .

ثم انهم فطنوا إلى ان تأمين الاستقلال لمصر لا يكون بتحصين حدودها فحسب . بل لابد لها من بسط نفوذها على البلاد المجاورة لحدودها الشرقية والتى جاء منها الغزو الأجنبى . ولم تكن هذه الحروب حروب هجومية هدفها الفتح والغزو والاستعمار أو احتلال أرض الغير بل كانت حروب قومية دفاعية أى كانت حروبا دفاعيا اقتضاها الدفاع عن الحدود وتأمين حرية البلاد واستقلالها [1] . ولذلك وجه ملوك الدولة الحديثة إلى تقوية الجيش المصرى ، وإذكاء روح الجهاد فى نفوس المصريين ليطمئنوا على سلامة الوطن وحريته .

أساء بعض علماء المصريات من الغرب فهم السياسة الخارجية التى قام بها ملوك مصر القديمة وخاصة فى عصر الدولة الحديثة . واظهروا هؤلاء الملوك فى صور الغزاة الذين رغبوا فى السيطرة وبسط النفوذ على البلاد المجاورة وخاصة فى الشرق . وهو مفهوم خاطئ من أساسه إذا القينا نظرة على مظاهر السياسة الخارجية لهؤلاء الملوك . ونقول ان علاقات مصر القديمة بالدول المحيطة بها فى الشرق والغرب والجنوب والشمال ، اتخذت صورا عديدة منها علاقات ود وصداقة او علاقات ترابط ومصاهرة ، او علاقات كان يسودها احيانا طابع التوتر والعنف والحملات العسكرية .

قامت السياسة الخارجية لملوك مصر القديمة على مبدأ الإشراف ومراقبة وحماية الحدود واستثمار الثروات الطبيعية للبلاد ، على امتداد الحدود الشرقية والجنوبية ومراقبة التحركات على الحدود الغربية مع إيثار مبدأ السلام المسلح القائم على تحصين الحدود فى الجهات الثلاث [2] . وعدم اللجوء إلى استخدام القوة على هذه الحدود إلا حين الضرورة الملحة والتهديد المباشر لأمن البلاد .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية فى مصر القديمة ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ٨٥ .
(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

فمنذ عصر الأسرة الأولى كان على ملوك مصر أن يتيقظوا بصفة دائمة لما يحدث على حدود بلادهم من نزوح وتحركات وتسربات فكان هناك أولا العمال الأجانب الذين يأتون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية بحثا عن مصدر رزق دائم وموطن استقرار آمن والعيش فى ربوعها فى سلام أو يأتى بغرض التجارة والتبادل التجارى أو يأتى لمهمة رسمية ويمكث داخل البلاد فترة من الزمان وعند مرورهم عبر الحدود كانوا يتعرضون لعملية مراقبة شديدة بواسطة رجال شرطة الحدود وكان يدون لكل شخص منهم :

(١) تاريخ الدخول والخروج عبر الحدود .

(٢) أصل الموطن الأصلى .

(٣) الحالة الاجتماعية واسم الأب .

(٤) الغرض من المجئ .

وكان هؤلاء العمال يقيمون فى البلاد ويؤدون أعملا وخاصة فى المشاريع المعمارية التى تحتاج إلى أيدى عاملة كثيرة وكانوا يعيشون فى ظل قوانين تكفل لهم الحماية والأمن والعيش فى سلام ويتمتعون بالحقوق نفسها التى يتمتع بها العامل المصرى . ومن هؤلاء الأجانب من يتجمع حسب جنسيته فى أحياء خاصة بهم فحول معبد الكرنك من أيام تحوتمس الثالث ، كانت تقيم جالية سورية وتجار سوريون . وحول المعبد الجنائزى لأمنحتب الثالث كان يوجد حى سورى تحت إدارة أحد المراء السوريين .

وكان هناك ثانيا الطامع والمعتدى ، وهذا ما كان يحسب له الملوك ألف حساب .

فكانت قبائل البدو فى الصحراء الشرقية و بدو سيناء وما وراءها أيضا ، وغيرها من شعوب مهاجرة من فلسطين ومن مواطن أخرى ، تحاول من وقت لآخر أن تثير الاضطرابات وتتسلل عبر حدود مصر الشرقية فى أى وقت من الأوقات حتى تحت حكم ملوك مصر الأقوياء ، وعلى الرغم من مجموعة الحصون التى كان

يقيمها الملوك أحيانا على الحدود الشرقية منذ عصر الدولة الوسطى ، فإنهم كانوا يقومون بإثارة القلاقل على الحدود الشرقية ويقومون بأعمال الاعتداء والسلب على مدن الحدود الشرقية والمناطق المتاخمة لها . أو يقومون بتهديد سبل التجارة ومسالك القوافل بين مصر وجيرانها فى الشرق . أو يقومون بتهديد بعثات المناجم والمحاجر فى شبه جزيرة سيناء بحثا عن مصدر مادى تعوض به حالة الضيق التى كانت تعيش فيها [١] فكان الملوك يرسلون بعثات التعدين منذ أقدم العصور إلى شبه جزيرة سيناء التى كانت تعد مصدرا هاما لبعض المواد الخام التى كان من أهمها معدن النحاس والدهنج والفيروز .

وكان الملوك يقودون هذه الحملات بأنفسهم أو انهم يرسلون قوادهم أو رؤساء البعثات بدلا منهم والذين كانوا يتركون نقوشا تحدثنا عما قاموا به من أعمال . وإذا لم تنجح هذه العناصر فى الاعتداء على بعثات التعدين ، كانوا يقومون بالدخول فى تحالفات وتدبير المؤامرات مع الأسر الحاكمة فى فلسطين وسوريا لمناهضة السياسة الدفاعية لمصر وإثارة القلاقل . أو يقومون بالاندماج فى موجات الهجرات الكبرى أو الغزوات الكبرى التى كانت تحاول من وقت لآخر تهديد حدود مصر الشرقية واجتيازها .

وكانت القبائل في الجنوب تهدد أيضا حدودها الجنوبية وتحاول أن تعبرها طمعا فى البحث عن مناطق استقرار فيها . وكانت هذه القبائل تهدد أيضا البعثات التى كان يرسلها الملك المصرى إلى الجنوب لجلب المعادن والأحجار الكريمة .

وفي الغرب كانت قبائل البدو وبعض العناصر الليبية تقوم بتهديد حدود مصر الغربية ، وتحاول التسلل إليها وعبورها بحثا عن أماكن استقرار لها فى أرض

---

(١) يذكرنا ذلك بفقرة جاءت فى بردية تنبؤات نفرتى الذى يقول : " كل الأشياء الجميلة اختفت ، والبلاد سقطت اسفل فى مستوى الأرض بسبب النكبة التى تأتى من خيراتها فالآسيويين انتشروا فى أرجاء البلاد " ، راجع :
Lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 38 – 39 n. 16 et n. 482 .

مصر الخصبة . وخاصة وأن أراضى الواحات الغربية كانت معروفة منذ أقدم العصور بوفرة مراعيها وانعامها .(١)

ومن الشمال جاءت شعوب البحر من مواطنها فى أوربا لكى تهدد حدود مصر الشمالية طمعا فى ثرواتها وخيراتها وذلك خلال الأسرة التاسعة عشرة والعشرين .

وانعكست هذه السياسة الخارجية على الأوضاع السياسية فى الداخل وما نسميه بالنتاج الحضارى . ويمكن القول بان هذه السياسة اليقظة من جانب ملوك مصر حمت البلاد وحضارتها من ويلات الاضطرابات الداخلية التى تنتج من غزو أجنبى . وقد نجحت هذه السياسة طالما كان ملوك مصر يتمتعون بالقوة وتمتع البلاد معهم بالاستقرار السياسى فى الداخل . وعندما أصاب ملوك مصر الضعف فى بعض فتراتهم التاريخية انعكس ذلك على السياسة الخارجية وتهديد حدود البلاد .

ولدينا من نهاية الأسرة الثانية عشرة وبداية الأسرة الثالثة عشرة ، مجموعة من النصوص كانت عبارة عن دعوات كتبها الكهنة والسحرة ، بالمداد الحمر على أوانى صغيرة من الفخار وتماثيل من الصلصال ، وصبوا اللعنة فيها على مجموعة من الحكام فى الشمال الشرقى وفى الغرب والجنوب للحدود المصرية .(٢)

وعندما تعرضت مصر لغزو الهكسوس واحتلوا أرضها لأول مرة فى تاريخها فى نهاية العصر الوسيط الثانى ، حاول الهكسوس ان يندمجوا مع المصريين وتقلدوا بالتقاليد المصرية . وكانوا ينتمون فى الأصل إلى قبائل جبلية تفتقد إلى الأصالة الحضارية . وبالتالى عجزوا عن إضافة اى مظهر إلى الحضارة المصرية . كما عجزوا عن تبديل تقاليدها الدينية والفكرية والأدبية والفنية الراسخة ، بل على العكس من ذلك ، نجدهم قد تأثروا وتطبعوا بمظاهر هذه الحضارة العريقة وتأثروا بها .

وخرج حكام مصر بعد كفاح مشرف ، من محنة الهكسوس وقد غلب على

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٧ .
(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثانى، طبعة ٢٠٠١، ص ١٣ - ١٧ .

تفكيرهم أنه لا أمان لاستقلالهم من غدر أعدائهم إلا إذا واصلوا الاهتمام بجيشـــهم ، وانه لا أمان لاقتصادهم من اعتداءات الهكسوس والشعوب المعاديـة وتـهديد سـبل التجارة مع الشرق إلا إذا أبعدوا هذه العناصر المعادية عن مسالك تجارتهم الخارجيـة . وأنه لا أمان لمستقبل بلادهم وحماية استقلالها من غزو هجرات جديدة مماثلـة إلا إذا سيطروا بأنفسهم على مداخل هذه الهجرات فى شمال سوريا وأطـراف العـراق وتكوين مناطق نفوذ موالية للملك المصرى ، وقد زاد هذا مـن الطـابع العسـكرى للسياسة الخارجية لمصر ، نتيجة لرد الفعل ضد الغزو الأجنبى والاحتلال ، وهذا مـا تكفل به الملوك الأوائل فى الأسرة الثامنة عشرة .

وكان أكثر الملوك نشاطا فى تنفيذ هذه السياسة الخارجيـة هـو تحوتمـس الثالث ، الذى خاض اكثر من ست عشرة حملة ، بعضها كانت من أجل قتال حقيقـى والبعض الآخر كانت حملات تأديبية والبعض الثالث كانت لإظهار القوة . ومما يـدل على أن هذه السياسة كانت سياسة دفاعية وأيضا لتكوين مناطق نفـوذ فـي شـمال وجنوب بلاد الشام ، أن تحوتمس كان يحضر إلى مصر أبناء الأمراء المحليين فـى آسيا ليقوم بتربيتهم فى مصر ويغرس فى قلوبهم حبها وثقافتها . وقد بلغ عـدد مـن أحضرهم من أبناء الأمراء إلى مصر فى حملته الأولى ستة وثلاثين طفـلا . ونجـد إشارة إلى هذه السياسة الدفاعية فى أقوال تحوتمس الثالث إلى كهنـة اوزيـر وكـان فخورا بما أداه لمصر : " لقد أطلقت حدود تامرى (أى مصر) إلى ما تحيط الشمس به ، وعوضت أهلها بعد خوفهم قوة (وأمنا) وأقصيت الشر عنها ، وجعلتها فـوق رأس الدنيا كلها " .[١]

وعندما قام بعض الملوك من أمثال سيتي الأول بأتباع السياسة نفسها لم يكن القصد منها توسيع حدود أو غزو عسكرى ، بقدر ما كانت للدفاع عن مناطق كـانت موالية لمصر .

وفى عهد خليفته رمسيس الثاني قامت حرب كبيرة بينه وبين الحيثيين دارت رحاها عند مدينة قادش، وكان السبب فيها هو حماية الولايات التي موالية لكل مـن

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

الطرفين . وانتهى الأمر برغبة الطرفين مصر وخيتا فى وضع حد لـــهذه الحـــروب التى نشبت بينهما ، والسبب الرئيسى وراء هذه الرغبة هو ظهور خطر جديد علـــى مسرح الأحداث وهو ظهور شعوب البحر التى جاءت من أوربا .

وهناك الحملة التى أمر الملك مرنبتاح بإرسالها فى العام الخامس من حكمـــه ضد بعض المدن الفلسطينية وشعوب اليسير يارو فى جنوب فلسطين وانتصار الملـــك عليهم وقضى على الأقوام الرجل الخارجين عن طاعته وكانوا يهددون حدود مصـــر الشرقية .(١)

وفى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين تعرضـــت مصـــر لثـــلاث غـــزوات آشورية ، وهذه هى المرة الثانية التى تتعرض فيـــها لاحتـــلال أجنبـــى ، ووصـــل الآشوريون فى حملتهم الثالثة حتى مدينة طيبة التى تعرضت للتخريب على أيديـــهم . وفى نهاية الأسرة السادسة والعشرين تعرضت مصر لثالث غزو أجنبى وهو الغـــزو الفارسى الذين دخلوا البلاد وحكموا خلال الأسرة السابعة والعشرين وغـــزو مصـــر للمرة الثانية وكونوا أسرة حاكمة فى نهاية الأسرة الثلاثين .

ولم يحدث أن هاجمت الجيوش المصرية الممـــالك والإمـــارات الآســـيوية للقضاء عليها وتكوين إمبراطورية كما حدث لها من جانب إمبراطوريات آسيوية وقـــد أشرنا إلى سياسة تحوتمس الثالث بالنسبة لأبناء الأمراء ، ولدينا نص القائد ونى مـــن فترة سابقة فى الأسرة السادسة الذى يحدثنا عن مسلك جنوده أثناء حملة تأديبية فـــى جنوب فلسطين . ويقول : " أنه لم يحدث أن أغتصب جندى كسرة خبز مـــن عـــابر سبيل أو اغتصب نعلة ، ولم يحدث أن نهب أحد جنوده خرقة من قريـــة ، أو ســـلب عنزة من عشيرة "(٢) ، حتى جاوز بجيشه مناطق الحدود الشمالية الشـــرقية ويقـــص ونى أن جنوده بلغوا الآلاف ، مما يدل على ان أهل الحكم فى عصـــره تعـــودوا أن

---

(١) التى جاءت أخبارها على لوحة نصى امنحتـــب الثـــالث ومرنبتـــاح ، راجـــع د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثـــانى ، طبعـــة ٢٠٠١ ، ص ٢٥٥ – ٢٥٨ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

يجندوا قطاعا واسعا من إمكانيات البلاد لأغراض الدفاع . ويبدو انه كان يصاحب هذه الحملات بعض رجال الدين الذين كانوا يثيرون حماس الجنود ويذكرونهم الجهاد فى سبيل الأرباب وضرورة الولاء للحكام والرؤساء والحرص على تقاليد الدين [١] وكان هناك بعض التراجمة الذين يعاونون القادة على التفاهم مع أهل البلاد أو المدن التى تفتح لهم أبوابا من تلقاء نفسها . ومما يدل على أنها كانت سياسة دفاعية أيضا أن الملك أمنمحات الأول من الأسرة الثانية عشرة ، شيد فى أيامه عدة تحصينات طويلة امتدت على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية وسميت فى مجملها باسم " حائط الأمير أو الحاكم " .[٢]

وتأكيدا لهذه السياسة نجد فى وصايا الملك خيتى الثالث (أو الرابع) كيفية الحد من اخطار البدو عن طريق إنشاء مدن محصنة على حواف الوادى وتعميرها بخير الرجال يسكنونها ويزرعون ما حلوها ويتحصنون بها حين الشدة ويصدون منها غارات قبائل الصحراء الشرقية وقال له فى ذلك :

" لا تتهيب العدو فهو لا يغير إلا على الموطن المنعزل ولا يجرأ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان " ثم شجعه على اتباع سياسته وقال له:

" أقم الحصون فى كل المناطق الشمالية ، ولاحظ ان سمعة الرجل فيما يفعله (لحدوده) ليست بالشئ الهين ، والبلدة العامرة بالسكان لن يمسها سوء ، فأبن مدنا " ثم هون عليه شأن أعدائه البدو وضعف حيلتهم فى عبارات أخرى تدل على معرفته بعاداتهم وأحوال المناطق التى يعتصمون بها وتتوافد هجراتهم منها ، قائلا له : " فالعدو اللعين موطنه وعر ، وماؤه آسن .... سيئة طرقاته بما يكتنفها من المرتفعات ن ولذلك لم يستقر فى مكان واحد ، وكان دائم الترحال ، وظل يشاغب منذ عهد (المعبود) (أى منذ أقدم العصور) فلا هو غالب ولا هو مغلوب " .[٣]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

ويقول له أيضا :

" قوى حدودك ، لنه من الأفضل أن تكون مستعدا للأحــداث المقبلــة " .(١)
وفى الغرب كانت العلاقة ومع بعض القبائل تمتاز أيضا بالتوتر منذ أقــدم العصــور حتى نهاية الأسرة العشرين . الذين كانوا يحاولون باستمرار مهاجمة غـــرب الدلتــا ودخول مصر والاستقرار فيها .

وفى عهد سيتى الأول بدأت عناصر من الهجرات الهند– أوربية تستقر فــى ليبيا وبدأوا يهددون الحدود الغربية لمصر . ولكن تصدى لهم ســيتى الأول . وفــى عهد رمسيس الثانى عاودت هذه العناصر تهديدها للحدود الغربية المصرية . وربمــا كان هذا الخطر هو السبب الرئيسى الذى جعل رمسيس الثــانى يبنــى سلســلة مــن الحصون على الحدود الغربية من مصر مثل حصن الغربانيات (على مقربة من برج العرب) وحصنا آخر عن العلمين وحصن عند زاوية أم الرخم إلـــى الغــرب مــن مرسى مطروح .

وفى عهد مرنبتاح قامت قبائل البدو الليبية ومعهم خمــس جماعــات آريــة مهاجرة من العناصر الهندوأوربية وهى الايكـــواش ، والتورشــا ، والروكـــى ، والشردانه ، والشكرش بالتجمع وأخذت تهاجم حدود مصر الغربية بشــدة ، ودفعــوا بنسائهم وأولادهم وقطعانهم القليلة وطمعوا فى أن يعبروا البرارى إلى الدلتا ويستقروا فى أرضها الخصبة ووصفت نصوص معبد الكرنك تحركاتهم بأنهم :

" (جاءوا مع) زعيمهم ، هؤلاء الذين يقضون النهار سعيا (فى) الأرض ويتقاتلون فى سبيل ملئ بطونهم يوميا ، واتجهوا نحو أرض مصــــر لكــى يبحثــوا (عن) احتياجات أفواههم " .(٢)

فخرج إليهم الملك مرنبتاح واستمرت المعركة ست ساعات انتهت بهزيمــــة

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦١٩ .
(٢) نص الجــدار الشــرقى لفنــاء الخبيئــة بــالكرنك ، الســطر ٢٢ ، راجــع :
Kitchen, RI 1V , p. 2 – 12 .

المهاجمين والمعتدين، ويقول شيخا منهم لولده :

" وانكبتاه على ليبيا ، حرم أهلها المعيشة والحالة الرغدة (فى مصر) وما عادوا يجرأون على السعى بين المزارع ، وتوقف سعيهم فى يوم واحد ".(١)

وعادوا الكرة فى عهد رمسيس الثالث فأوقعت بهم الجيوش المصرية هزيمة كبرى على حدود الدلتا الغربية وارتدوا إلى الصحراء فتتبعتهم الجيوش المصرية نحو عشرين كيلو مترا .

وفى الجنوب اتبع ملوك مصر القديمة السياسة نفسها ضد القبائل الزنجية منذ الأسرة الأولى ، الذين كانوا يحاولون باستمرار اجتياز حدود مصر الجنوبية عند الجندل الأول . فأرسل أكثر من ملك الحملات التأديبية ضد هذا الخطر المستمر .

وقام بعض الملوك أيضا بتشييد الحصون لحماية هذه الحدود الجنوبية فقام الملك سنوسرت الأول باقامة عدة تحصينات عند كوبان حتى بوهن عند الجندل الثانى . واتبع السياسة نفسها سنوسرت الثالث فقام بتشييد عدة تحصينات قوية عبارة عن حائط كبير من الطوب اللبن بطول الشاطئ الشرقى للنيل عند الجندل الأول وقام ببناء ثلاثة حصون كبيرة . وترك سنوسرت فى معبد حصن سمنه لوحتين من الجرانيت سجل كاتبه على أحدهما سياسته الحدودية . ويذكر أن الملك قام فى العام الثامن من حكمه لتفقد الأوضاع على حدوده الجنوبية عند وادى حلفا ، وأمر بألا يتعدى هذه الحدود أى زنجى قط عن طريق البر أو عن طريق النيل ، إلا من ابتغى التجارة ، أو أوفد فى مهمة فأولئك سوف يعاملون بالحسنى على حد قوله (٢) وذكر أيضا :

" أن أيا من ابنائى يحافظ على هذه الحدود التى أقرها جلالتى فإنه ابنى وولد

---

(١) لوحة نصى أمنحتب الثالث ومرنبتاح بالمتحف المصرى ، رقم ٣٤٠٢٥ ، السطر ١٠ ، راجع : Kitchen, RI IV, p. 12 – 19 ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٥٤ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

منى . وأما من يدمرها ويفشل فى الحفاظ عليها فليس ابنا لى ولم يولـــد منـــى "[١] . وأما كيف نفذت هذه السياسة بحزم فإن هذا تشير إليه الرسائل اليومية التـــى كـــانت تصل إلى العاصمة من رؤساء الحصون فى الجنوب وهـــى تبيـــن ان كـــان هنـــاك تحركات للقبائل أم لا . وتنتهى معظم الرسائل اليومية بالصيغة التقليدية :

" كل الأمور فى أملاك الملك فى أمن وسلام ، كـــل شـــئون الســـيد آمنـــة سليمة "[٢] . واتبع ملوك الدولة الحديثة سياسة الدفاع هذه وذهب اكثر من ملك إلـــى الجنوب ابتداء من أحمس الأول حتى مرنبتاح . وقامت بين ملـــوك مصـــر وحكـــام الشعوب المجاورة وخاصة فى الشـــرق علاقـــات ود وصداقـــة وعلاقـــة ترابـــط ومصاهرة ، وعلاقات ثقافية ، ولم تكن صور الحملات السابقة إلا جزءا من سياســـة خارجية قامت على تأمين الحدود .

فإذا كنا تحدثنا عن تهديد بعض القبائل الآسيوية لحملات بعثات تعدين فـــى سيناء ، نجد فى بعض النصوص ذكر لعناصر آســـيوية كـــانوا يرافقـــون البعثـــات المصرية وينضمون للعمل ضمن أفراد البعثات المصرية . مما يجعلنا نفترض وجـود نوع من التقارب بين المصريين وبعض العناصر الآسيوية المسالمة .

ومن قصة سنوهى نعلم أن أحد البدو تعرف عليه فمنحه ماء ولبنا مطبوخـــا وصحبه إلى قبيلته وعامله بالحسنى حتى وصل إلى جبيل وتعرف على أحد رؤســـاء القبائل وحكى لرئيس القبيلة قصته ، فرحب به الرجل وزوجة من كبرى بناته ووهبـه أرضا وقطعانا من الماشية .

ومن ناحية أخرى وجدت علاقات ودية بين ملوك الدولة الوسطى وأمـــراء شرق البحر المتوسط ، فكان الملوك المصريون وبعض أفراد أسرهم ، وبعض رجال

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٢٣١ ؛ سير آلن جـــاردنر : مصـــر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعة د. عبد المنعم أبو بكر) ، الهيئـة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ١٥٦ .

(٢) آلن جاردنر : المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

البلاط يرسلون الهدايا إلى أمراء سورية . فقد عثر على آثار مصرية في بيسان ومنطقة تل الدوير وقطنه شمالى حمص وفى رأس الشمرا وفى جبيل وفى مجدو . كما عثر فى مصر على آثار عبارة عن هدايا من بعض أمراء آسيا لموك مصر مثل ما عثر عليه فى معبد الطود .

ومن أشكال العلاقات الدبلوماسية الرسائل التى كانت متبادلة بين أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع وملوك وأمراء غرب آسيا ، والتى عثر عليها فى تل العمارنة وكتبت بالخط المسمارى ، وهو خط اللغة الأكدية التى كانت مستخدمة كلغة دبلوماسية ويعرفها بعض المصريون فى بلاط الملك . ويبلغ مجموع هذه الرسائل ٣٧٩ رسالة .(١) وتنقسم هذه الرسائل إلى مجموعتين منفصلتين :

خطابات متبادلة بين ملوك مصر وأصدقائهم من ملوك وأمراء شمال وجنوب بلاد الشام .

وخطابات متبادلة بين البلاط المصرى والأمراء الموالين لمصر والذين كانوا عرضة للتهديد الحيثى فى شمال وجنوب بلاد الشام .

ومن أشكال العلاقات الدولية، المعاهدة التى وقعها تحوتمس الثالث وخوزياس الثانى ملك الحيثيين فيما بين عامى ١٤٧٠ - ١٤٦٠ ق.م . والمعاهدة التى وقعها بعد ذلك رمسيس الثانى وخاتوسيل ملك خيتا ويتضح من بنود هذه المعاهدة أن الطرفين قد سئما الحرب ورغبا فى حياة سلام بينهما . وتضمنت بنود المعاهدة الدفاع المشترك والتعاون المشترك . وعادت المراسلات بين البلدين مصر وخيتا وتشير وثائق بوغاز. كوى إلى التهنئة التى كتبتها زوجة رمسيس الثانى نفرتارى إلى بودوهيبات ملكة الحيثيين وتقول فيها :

" أننى فى سلام وأرضى فى سلام وأننى اتمنى لك يا أختى السلام " وكان أبن رمسيس الثانى وفيا لبنود المعاهدة ، وعندما خربت شعوب البحر أرض الحيثيين وأشاعت المجاعة فيها ، أمر الملك مرنبتاح بإرسال شحنات كبيرة من الغلال عن طريق المراكب إلى بلاد خيتا .

---

(١) Knudtzon, Die El Amarna Tafeln, p. 991 – 996; Helck, LA I, p. 173.

ومن أشكال العلاقات أيضا ، علاقات المصاهرة ، تدعيما للعلاقـــات بيــن الدول المتجاورة وحكامها . فقد أرسل الملك ساحورع من الأسرة الخامسة بعثة إلــى سوريا لإحضار أميرة سورية لتكون زوجة لملك مصر . وزادت علاقات المصــاهرة فى الأسرة الثامنة عشرة ويقال أن تحوتمس الثالث قد تزوج من اكــثر مــن أمــيرة سورية . وامتلأ قصر أبنه أمنحتب الثانى بجوار آسيويات ، ربما حضرن مع إحــدى الأميرات التى تزوج منها الملك . وتزوج تحوتمس الرابع من أبنــه ملــك ميتــانى ارتاتاما ، وقيل أن أباها جادله فى قيمة مهرها عدة مرات قبل أن يزفها إليه .

وتزوج أمنحتب الثالث من الأميرة الميتانية جيلوهيبا ابنــة شــوتارنا التــى وصلت ومعها ثلثمائة وسبعة عشر من أتباعها اختيروا من بين النساء الأكثر جمــالا فى الحريم الملكى .

وتزوج إخناتون من زوجات أخريات من بينـــهن أمــيرة ميتانيــة تســمى تادوهيبا . وبعد توقيع معاهدة السلام بين رمسيس الثانى وخاتوسيل بحوالــى ثلاثــة عشر عاما ، جاء الملك الحيثى فى زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحبا معــه ابنتــه لتصبح زوجة لملك مصر ولتبدأ بذلك صفحة جديدة من العلاقات .

سادسا : تدفق عطاء الإنسان المصرى القديم وبروز قدراته فى أكثر مــن مجــال حضارى ، ونقصد هنا قدراته الذهنية والجسمانية معا وما حققه بفضلهما فى الحيــاة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية والعلمية والفنية وأساليب التربيــة ونظم التعليم . وتوصله فى هذه المظاهر والمجالات إلى العديد من المعارف وأبــدع فيها ووضع لبعضها أسسا عملية مما ساعده كثيرا فى تحقيق الكثــير مــن مظــاهر حضارية عريقة تعد من أقدم الحضارات البشـــرية . فبالمعرفــة والتجــارب أنشــأ المصرى القديم حضارته وبالعلم تطور بها وبقدراته ازدهر بها .

كان لدى الإنسان المصرى القديم طاقات هائلة ممثلة فى اســتعداد فطــرى للعمل والتعلم والبناء والتعمير . فكانت لديه القدرة على العمل ، فهو العامل اليقــظ ، الدءوب ، الصبور ، المتفانى ، صاحب الإرادة القوية . ولنا أن نتذكــر مــا ســجله

تحوتى حتب فى نقوش مقبرته عن العمال الذين قاموا بسحب تمثاله الذى يزن أكثر من ستين طنا إلى داخل المقبرة :

" لقد كانت شجاعتهم كبيرة وأصبحت سواعدهم أكثر قوة ، وبذل كل واحد مجهودا يعادل ألف رجل " .(١)

كان لديه أيضا الوعي الكافي لكى يعرف أغراضه فى الحياة ، وشارك ملوكه وحكامه فى الفهم والإدراك . وأن الملوك من جانبهم تزعموا وحكموا شعبا واعيا وقادوا شعبا مؤمنا بعقيدته وبما عليه من واجبات وماله من حقوق .

كان لديه كذلك الفكر الأصيل ، فصنع حضارته بفكره الخاص ، ولم يدخله أى تأثير أجنبى (٢) . وشعر المصرى بأن هذه الحضارة حضارته ، وهذا ما جعله يسعى دائما إلى المحافظة عليها وعلى مظاهرها والتطور بها ، وكل ما حققه من مظاهر حضارية نجد انه أسبغه بمصريته الأصيلة وبأفكاره الذاتية ، فكانت الأصالة المصرية فى جوهر الأشياء ، وكان التنظيم فى العمل وكانت الدقة فى التنفيذ ، وكان الإبداع فى الإخراج .

وأخيرا كان لديه فوق كل هذا الإيمان القوى ن فكان قلبه يفيض اعترافا بجميل المعبودات عليه وفضلها عليه وهبته من خيرات وهبات على هذه الأرض ، فبحث بإخلاص عن التقرب إلى المعبودات .

ونحن لا نقصد بهذا الكلام أن نشير إلى تفوق عنصر الجنس المصرى القديم على غيره ، فموضوع تفوق أو نقاء عنصر بشرى على آخر . ما هى إلا مفاهيم عنصرية حديثة ، لم تعرفها الحضارة المصرية القديمة خاصة . ولكن نقصد هنا الإشارة إلى مكونات الإنسان المصرى نفسه وقدراته من خلال النصوص التى

---

(١) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 77 – 78.

(٢) ذهب بعض المؤلفين إلى القول ، بأن بعض المظاهر الحضارية فى مصر كانت وافدة عليها من الخارج بسبب وفود الجانب ، فمثلا تطوير أساليب الرى وتجفيف المستنقعات عرفه المصريون من الخارج منكرين بذلك صفة الإبداع والأصالة المصرية ، راجع : د. مدحت جابر : بعض جوانب جغرافية العمران فى مصر القديمة ، ص ٨٤ .

وصلت إلينا فى هذا الصدد . فكانت له عقائده الدينية فى الدنيا وما ترتب على ذلـك من ظهور المعبودات والمذاهب الدينية والأساطير الدينية ، وشيد المعـابد الرئيسـية والمحلية ، وكان يتابع ويشارك فيما يؤدى فيها من طقوس وشعائر وأعياد دينية .

كما كانت له عقائد فى الآخرة والبعث والخلود وما ترتب على ذلـك مـن عادات جنائزية وعادات فى مراسيم الدفن وتقديم القرابين وأخذ يؤمن كل ذلك بالمتون والصيغ الجنائزية والفصول الدينية المختلفة .

ففى مجال المعارف والعلوم نجد ان المصريين القدماء كانوا مـن أوائـل الشعوب التى اخترعت الكتابة واللغة . ولم يذهب أهل الفكر فى مصر القديمـة فـى عصورهم العتيقة بعيدا للبحث عن حروف لهذه اللغة ، بل نجد انهم اشتقوا حروفا لـها مما هو موود فى بيئتهم من كائنات حية ومظاهر بيئية وكل ما كان يستخدمه الإنسـان فى حياته اليومية من أشياء مادية منذ أقدم العصور ، واتخـذوا مـن هـذه الأشـياء والعناصر رموزا أعطوا لها قيما صوتية وأصبحت تمثل حروفا هجائية . وكل ذلـك يدل على حسن تصرف ومقدرة وذكاء ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد . ولكن نجد انه منذ ظهرت العلامات الأولى للكتابة المصرية فى الألف الرابعة ق.م ، نجد أنها مرت بعدة مراحل للتطور حتى استقرت قواعدها وزادت مفرداتها وتطورت أشكال الكتابـة بها ، واستمرت هذه اللغة عدة آلاف من السنين وعاشـت حتـى دخـول المسـيحية مصر .

وهكذا نجد انه أثناء هذه الفترة الزمنية الطويلة من تـاريخ مصـر القديـم وحضارتها ، كان بداخل هذه الحضارة أناس يتكلمون لغة واحـدة ، يعـبرون بـها ويكتبون بها خطوط أربعة . وترك لنا المصريون القدماء ثروة لغوية ضخمة ممثلـة فى تلك النقوش والكتابات التى نجدها على الآثار المختلفة . فنجـد أن معظـم هـذه النقوش والكتابات سجلت بعبارات لغوية دقيقة نشعر من خلالها بقيمة كاتبـها فـالذى رسمها او نقشها او كتبها او سجلها كان كاتبا فنان او كاتبا كان لديه شـعور فنـان . وبالفعل نجد ان الكاتب فى مصر القديمة ، كان عادة رساما ونقاشا فـى آن واحـد . وكان الفنان سواء اكان رساما أو نقاشا كانت تسيطر عليه روح الكاتب . فكان يتحتـم

على الفنان أن يكون على علم تام بأصول اللغة وقواعدها ، وأن يلم بكل مـــا يقــوم بتسجيله من أحداث دينية أو تاريخية . ولم تكن كل هذه المعارف بـــالأمر الــهين . وربما كانت لديه أنماط من النصوص كان يقوم باقتباس أفضلها ويسجله كيفما يريـــد بطريقة متناسقة منظمة . ومما يدل على تمسك المصرى القديم بلغته واعتزازه بـــها أنه على الرغم مما تعرض له تاريخه السياسى من فترات ضعف ودخـــول اليونـــان والرومان مصر وحكمهم فيها لمدة عدة قرون ، ألا إننا نجد الخط الهيروغليفى هــــو الخط الذى سجلت به جميع نصوص المعابد الرئيسية من العصر البطلمى-الرومـــانى وجميع النصوص الرسمية ، كما تمسك المصرى أيضا بخطوطه الثلاثة الأخرى فـــى جميع كتاباته . ولم ينس مؤرخو وفلاسفة اليونان أن يذكروا أن " الكتابـــة مصريـــة النشأة " أى أن أول من اخترعها هو المصرى القديم . كما شهد هيرودوت للمصريين بالسبق فى مجال النقش على الأحجار فيقول :

" أنهم أول من حفر الصور على الحجار " أى أنهم أول من عرفوا الكتابـــة بالنقش على الحجار . فهم لم ينقشوا الصور فقط على الأحجـــار بـــل نقشـــوا أيضـــا النصوص التى تتناول وصف وتفسير هذه المناظر وتحديد الغرض منها .

ولعل أفضل ما يبين أهمية معرفة اللغة والكتابة فى مصر القديمـــة هـــو أن أهل الفكر ربطوا بين هذه المعرفة للكتابة وبين مجموعة من القيم ، فيقـــول المعلـــم لتلميذه :

" الكتابة أعز عنده من ميراث فى أرض مصر ، وأعز من ضريح فى عـالم الغرب " .

ولأهمية الكتابة أتخذ المصريون القدماء لبها معبودا ومعبودة وقدسوا أدوات الكتابة .

كما يبدو أيضا أن اختراع أدوات ووسائل الكتابة قد حدث أيضا منذ اقـــدم العصور أى قبيل بداية عصر الأسرات . ومما ساعد على تطور الكتابـــة وتقدمـــها توافر المواد الصالحة للكتابة والرسم والنقش كالأحجار ، اللخاف ، الشقف ، قطع مـن شطف الحجر الجيرى الأبيض ، كسر الفخار (الأوستراكا) وأخيرا البردى . الـــذى

عرف الإنسان المصرى القديم صناعته منذ عصر الأسرة الأولى كما يدل على ذلك البرديات الغير مكتوبة التى عثر عليها داخل جراب فى مقبرة حماكا الذى كان وزيرا فى عهد خامس ملوك الأسرة الأولى (دن) .[(١)]

وقد وصف بليني ، ذلك الجغرافى اليونانى الذى عاش بين عامى ٢٣ – ٧٩ ميلادية ، استخدم البردى فى الكتابة بأنه :

" الأداة الرئيسية فى حفظ تراث الإنسانية والتاريخ " كما استخدموا المداد السود فى التسطير العادى ، وأما المداد الأحمر فكان يستخدم فى تسطير العناوين وأوائل المفردات . واستخدم المصرى القديم كأداة للكتابة قصبة من البوص .

ولهذا كانت الكتابة من أهم المعارف التى توصل إليها الإنسان المصرى القديم ، وكان تسجيل الفكر بالكتابة فتحا كبيرا فى مجال الحياة الثقافية للحضارة المصرية وبالكتابة سجل ونقل المصرى القديم ما توصل إليه من مظاهر حضارية ، وبالكتابة أيضا سجل المصرى القديم أحداث تاريخه الطويل .

وترجع معرفتنا بالطب المصرى القديم إلى ما جاء فى النصوص الدينية على جدران بعض المقابر والمعابد ، وإلى ما جاء على لفائف البردى ، وإلى ما عثر عليه من المومياوات التى تم دراستها وتحليلها ..

ومن أهم لفائف او قراطيس البردى الطبية عشرة ؛ وهى برديات :
اللاهون ، ادوين سميث ، ابرس ، هرست ، برلين ، لندن ، كارلسبرج ، شستر بيتى ، ليدن ، ولندن – ليدن .[(٢)]

وكلها تحتوى على وصفات فى أمراض النساء ومعالجة الجروح والجراحة العامة ، وأمراض القلب والشرايين ووظائف الأعضاء ، ووصفات لأمراض العيون ، وأجزاء عن الطب البيطرى .

---

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٤٨ .

(٢) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١٩٩ – ٢١٧ .

وهناك برديات طبية أخرى أقل شهرة لمعالجة أمراض الأطراف وتحتوى على تعاويذ لحماية المرأة الحامل والطفل المولود .

وكانت هناك بعض المدارس لتعليم الطب ، ومن بينها مدرسة ايونو ومدرسة أنشئت فى سايس للمولدات اللاتى كن يقمن بدورهم بتدريس أمراض النساء للأطباء أنفسهم(١) ، ومدرسة أيمحوتب بمنف التى اشتهرت مكتبتها الطبية والتى كان يتردد عليها الأطباء .، وكان يطلق على هذه المدارس اسم " بيوت الحياة " يقوم الكتبة المتخصصون فيها والذى كانوا على جانب كبير من العلم ، بنسخ المعلومات والإسعاف الطبية ، ويذكر ديودور الصقلى بان هذا التعليم كان ينقل من الطبيب إلى ابنه شفويا حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه ومعارفه وتجاربه .

وكان ينظر إلى طبقة الأطباء فى مصر القديمة نظرة ملؤها التقدير والاحترام وكانوا ينقسمون إلى أربع فئات : الأطباء الكهنة ، الأطباء العاديون بكافة تخصصاتهم، والمساعدون، الأطباء البيطريون . وتوصلوا إلى معرفة أسباب بعض الأمراض المعروفة ، مثل الحمى ، والانكلستوما والذبحة الصدرية ، وشلل الأطفال ، وأمراض المعدة، وضغط الدم . وبلغ مجموع ما وصفوه فى بردياتهم ما يربو على ٢٥٠ مرضا باطنيات . كما عرفوا علاج الأمراض التناسلية وأمراض الرأس . وأمراض الأذن والأسنان والرئة والطحال والكبد والكليتين وأمراض العيون كالرمد والتهاب الجفون والكتراكت . وفى بردية ابرس مئات العقاقير التى خصص عشرها لعلاج أمراض العيون . وهناك نصوص أخرى تحدثنا عن بعض الأمراض وعلاقاتها بالدم والإفرازات .(٢)

ومارسوا الجراحة ، وعالجوا الجروح السطحية والكسور والخلوع والحروق والأورام . وأعدوا العقاقير المختلفة التى تتكون من مواد معدنية ومواد نباتية ومنتجات الحيوان وصفراء بعض الأسماك .(٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٤ – ١٧٥ ، ٣٥٩ – ٣٦١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٧٧ – ١٩٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ – ٣٤٣ .

وعرفوا التحنيط لكى يحتفظوا بجسم الإنسان المتوفى أطول فـــترة ممكنـــة وحاولوا بقدر الإمكان المحافظة على الملامح البشرية لــهذا الجســم ، وكــان ذلــك ضروريا لكى تتعرف الروح على هيئة جسم الإنسان الذى خرجت منه . ولهذا كـــان التحنيط ضرورة من ضروريات تحقيق البعث والخلود فى العالم الآخر .[١]

وعرفوا الكيمياء لصناعة الأدوية والعقاقير وإعداد وتحضير الألوان اللازمة للرسم والتلوين والتصوير والصباغة . كما نجحوا فــى إعــداد الروائــح والعطــور والزيوت ن مما يدل على معرفتهم الجيــدة بخــواص المــواد المعدنيــة والنباتــات والأعشاب المختلفة .[٢]

وعرفوا الرياضة (أى الحساب) للانتفاع بها فى حياتهم الاقتصادية فتنظيــم مياه النيل وقياسها وضبطها وحفر الترع وتحديد مواسم الزراعة والحصـــاد وعمليــة التبادل التجارى وجمع الضرائب العينية وتنفيذ المشروعات المعمارية الضخمة كـانت كلها أمور تدعوا إلى استخدام الرياضة فعرفوا الأعداد الحسابية العشــرات والمئــات والألوف وألوف الألوف . وكان المصريون ملمين بالنظام العشرى فى الحساب . كما عرفوا الجمع والطرح والضرب والقسمة وأيضا الكسور البسيطة والمعادلات الجبرية البسيطة .

وعرفوا الهندسة (فن العمارة)كما يظهر ذلك فـــى المنشــآت المعماريــة الضخمة التى شيدوها والتى تدل على أن التنفيذ كان قائما علـــى عمليــات حســابية وهندسية درست دراسة وافية . واستغل المصرى القديم هذه المعارف فيما أخرجـــه من فنون وفيما قام به من صناعات وحرف .

وعرفوا الفلك فاهتموا برصد الأجرام السماوية ودراسة حركاتها فى الســماء وخاصة وأن صفاء سماء البلاد ساعدهم على ذلك . وأطلقوا على الكواكب والنجــوم أسماء خاصة ورمزوا لها برموز الأقاليم المصرية . واتخذوا السنة النجميــة وحــدة

---

(١) عن التحنيط فى مصر القديمة ، راجع : R. el Sayed, فى مجلة كلية الآثــار العدد (٢) لعام ١٩٧٦ ، ص ٢٥٧ – ٢٧٠ .

(٢) د. سمير يحيى : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ – ٢٤١ .

أساسية لقياس الزمن والتقويم ومقدارها ٣٦٥ وربع يوما . وابتكروا أيضا السنة المدنية على أساس السنة النجمية ، وهى مكونة من أثنى عشر شهرا ويحتوى كل شهر على ثلاثين يوما يضاف إليها خمسة أيام تسمى أيام النسئ تقام فيها الأعياد الدينية .

وهكذا نجد أن المصريين القدماء قد استخدموا تقويما فلكيا دقيقا منذ أقدم العصور وابتكروا السنة المدنية . وهذا يدل على أنهم عنوا بدراسة حركة الشمس الظاهرية وسط النجوم الثابتة واستنبطوا من ذلك طول السنة النجمية .

ومن المحتمل ان الذين اشرفوا على بناء الأهرام وآثار أخرى مثل معبد أبى سنبل قد استعانوا بالعاملين فى الأرصاد الفلكية وذلك لتحديد الاتجاهات الأصلية ولهذا نجد أن الأهرام أقيمت عند خط عرض ٣٠ شمالا وإن أضلاع قواعدها تنطبق على الجهات الرئيسية الأربع .

وقسموا اليوم إلى أربع وعشرين ساعة : اثنتا عشرة ساعة للنهار واثنتا عشرة لليل . وكان لكل ساعة اسما معينا . كما استخدموا المزاول فى قياس الوقت وكذلك الساعات المائية . واعدوا نتائج لتقويم الأيام وللأعياد الدينية والرسمية .

وعرفوا أيضا السحر والتعاويذ . وكان الطب يخلط أحيانا بالسحر . وكانوا يعتقدون أن أسباب بعض الأمراض ترجع إلى تأثير أرواح شريرة مؤذية . ولذلك يمكن أن يبرأ منها الإنسان بواسطة التعاويذ السحرية بعد معرفة طبيعة هذه الروح الشريرة (١) . ويعمل الكاهن على طردها بالرجاء مرة وبالتهديد والوعيد مرة أخرى . وكان الإنسان يستعين بالسحر أيضا عندما يقف أمام مشكلة او صعوبة ما ولا يمكنه التغلب عليها بالطرق الطبيعية أو بالتصرف الطبيعى . فكان يلجأ إلى تذليلها بطريقة السحر .

أبدع المصريون القدماء فى المجالات الفنية المتعددة ووضعوا لها قواعد

---

(١) د. سمير يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

صارمة وأنظمة واستعانوا فى بعضها بمعارفهم العلمية والنظرية مع الدقة فى التنفيذ وإخراجها فى صورة متناسقة جميلة . وترك المصريون القدماء من عمال ومهندسين ومشرفين بصماتهم فى مجال العمارة الدنيوية والدينية والجنائزية عبر العصور المختلفة . فشيدو المدن والقصور والمنازل ودور الحكومة والسدود والحصون والمعابد والمقاصير والمقابر والمعابد الجنائزية . كما كانت لهم بصماتهم فى فن الرسم والنقش والنحت والتلوين والزخرفة وفن التطعيم والفنون الأخرى مثل الموسيقى والغناء والرقص . وكانوا أول من اخترع النوتة الموسيقية .

كما أخترع المصريون القدماء فنون اخرى مثل العاب الحظ والفكر والتسلية ووسائل ملء أوقات الفراغ ، وعرف كذلك فنون الرياضة .

وأبدع المصريون القدماء أيضا فى مجال أدب وتركوا لنا ثروة أدبية ما زلنا نعجب بها على الرغم من مضى ما يقرب من أربعة آلاف سنة على كتاباتها ومن هذه الثروة الأدبية نرى إبداعهم وبراعتهم فى التعبير والإنسان وجمال الأسلوب وجودته وبلاغته وانتقاء المعانى الجميلة وبداعة التصوير وساعدهم على ذلك مرونة اللغة المصرية القديمة وسهولة التعبير بها . وما بلغته هذه اللغة فى مجال المجاز والتشبيه والكناية والتورية والبيان والبديع والتهكم الرائع ، وما شابه ذلك من قواعد اللغة فنجد انهم ألفوا فى الأدب الديني ، ومالوا إلى كتابة القصة وهو نوع من الأدب كانت تفضله طائفة الملوك وجميع طبقات المجتمع الأخرى ، وكتبوا فى أدب الحوار وأدب النصيحة والتعاليم والحكم أى الأدب التهذيبى واقبلوا عليه أكثر من إقبالهم على أى نوع من أنواع الأدب الأخرى . ومالوا إلى أدب النقد والتوجهات للتعبير عما فى نفوسهم من أحاسيس وعما كان يصيبهم من مآسى وأحداث نتيجة لتدهور الأوضاع الاجتماعية فى فترات الضعف السياسى . كما اقبلوا على أدب المديح والشعر والأغانى التى كانت تفيض بالجمال وأرق المعانى. ومالوا كذلك إلى كتابة التراجم الشخصية وأدب المراسلات والخطابات . ومالوا كذلك إلى التعبير عن روح الفكاهة بالرسوم الكاريكاتيرية .

ونتيجة لهذه المعارف والعلوم والخبرات والتجارب والفنون والآداب اعتقد المصريون القدماء فى أهمية العلم أو التعلم الذى يساعد الإنسان على أن يسموا معنويا وروحيا وماديا . وأن الهدف من التعليم أسمى من أن يكون ماديا ، فكان له هدف روحي وهو بلوغ السعادة فى الدنيا ورضى النفس . وكان التعليم عندهم ضرورة من ضروريات الحياة . وعبر المصريون القدماء على لسان أصحاب النصائح والتعاليم والحكم والمعلمين فى المدارس عن تقديرهم وتبجيلهم للعلم والمعرفة .

ولهذا كانت هناك دور للتعليم فى المدن والأقاليم والعواصم ، وإلى جانب هذه المدارس التقليدية كانت توجد المدارس الفنية لتعليم الرسم والنحت والموسيقى والرقص . وهناك مدارس التربية العسكرية ، ومدارس الطب ، والمكتبات الضرورية لدور العلم .

وكان التلميذ يمر بعدة مراحل تعليمية حسب ظروفه وميوله واستعداده ولهذا كانت تعد المناهج التعليمية يدرس فيها التلميذ الكتابة واللغة وقواعدها ، الأدب ، التربية الدينية ، التربية الخلقية ، الرياضيات ، التاريخ ، الجغرافيا ، الرسم ، التربية البدنية . وكانت هناك طرق ووسائل للتقويم والتقييم .

سابعا : احترام العمل وذوبان ذاتية الفرد فى الجماعة وأصبح العمل " قيمة " فى حياة الإنسان المصرى القديم ، قيمة يمجدها الحكام انفسهم وتحث عليها الحكم والتعاليم فكانوا خاضعين لنظام من الحكم يقوم على " التكافل الاجتماعى للجميع " والأيمان الشديد بحق كل إنسان فى المأكل والمأوى والأمن ، مادام يؤدى واجبه كفرد فى جماعة مترابطة محكمة التنظيم لا تخضع للسخرة [1] أو لحاكم جائر كما يعتقد البعض . ولم تكن المكافأة المادية تمثل قيمة كبيرة له ، فقد كانت المكافأة الحقيقية هى إحساسه بإجادة العمل والتفاني فى إنجازه . مما اصبغ حياتهم بطابع التعاون المشترك وتنسيق الجهود وتنظيم الانتفاع بنتائجها . وأدى ذلك كله إلى

---

(١) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ،الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٨٦ ، ص ٩٤ .

التجانس بين عناصرها البشرية وندرة الفوارق الجنسية بينها ونزع عنها رداء الفردية والأنانية . وكانت أولى الفضائل المعروفة عند العامل المصرى هو طاعة الرئيس والأمانة فى أداء واجبه وحسن التصرف .

حتمت البيئة فى مصر على أهلها أن ينهجوا فى حياتهم نهجا يقوم على التعاون الوثيق يهيمن عليهم النظام الدقيق (١) . كما كان لدى المصرى القديم نزعة العمل الجماعى والتعاون المشترك . وقد ترتب على الاشتغال بالزراعة زيادة التماسك بين أفراد الجماعة نتيجة لإمكان انتفاع الكل بالمجهودات الجماعية فى عمليات الزراعة مع زيادة التعاون بين جماعة لاستصلاح المزيد من الأرض واستغلالها ازداد الميل إلى التجمع بين الجماعات فى سبيل حماية المناطق المزروعة ودرء أخطار الفيضانات عنها .

وقد أدت روح العمل الجماعى إلى نجاح المصرى القديم فى التغلب على الكثير من الصعوبات التى واجهته وأظهر موهبته ومهارته وإبداعه فيما أخرجته يداه . وهذا ما جعله يقطع شوطا كبيرا فى تحقيق الكثير من المظاهر الحضارية فى مختلف العصور بفضل روح التعاون الجماعى . وهذا ما جعله أيضا يحقق الكثير من المعجزات والمنجزات .

لقد أدرك المصرى القديم نعمة البيئة التى وجد فيها فالنيل يسير بانتظام فى الوادى ويفيض كل عام فى وقت محدد ومعه ينتشر الخصب وتكثر المحاصيل وتنمو الماشية وتنتشر القرى والمدن . ونتيجة لإدراكه قيمة هذه النعم التى اعتبرها منحة من المعبودات كرس نفسه للعمل الشاق والمتواصل خلال العام . فجزء منه أعطاه للأرض وجزء آخر أعطاه لخدمة المعبودات والملك فى بناء الأهرام والمعابد وكل المنشآت الملكية وحتى منشآت كبار الشخصيات .

فمنذ أقدم العصور ارتبط أداء المصرى بنوع من النظام . فقد تحولت حياته

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ١١٧ .

فى وادى النيل من التجول إلى الاستقرار وتعلم الزراعـــة منــذ العصــر الحجــرى الحديث . وتعلم الزراعة دفعه إلى مراقبة النيل وارتبطت حياته الزراعية بهذا النـــهر فبدأ ينظم حياته على أساس أن النيل يفيض فى وقت معين ، وإذا فـــاضت مياهــه ، هجر عمله فى الأرض الزراعية ، وبدأ يفكر فى عمل آخر بديل حتى لا يفقد طاقتـــه هذه ، فكان يذهب للعمل فى مشروعات الدولة .

فطبقا لأسطورة أوزير ، فبعد أن يغطـــى الفيضـــان الأراضـــى الصالحـــة للزراعة يجب إعداد الأرض حتى يخرج النبات فيحيا ويأتى بالثمار ، على شـــريطة أن يسود القطر النظام .(١)

كما أن تعلم الزراعة دفعه إلى التعاون مع من حوله مـــن النـــاس . اى أن النيل كان منذ أقدم العصور محور كل شئ فى حياته . ولاشك أن الإنسان المصـــرى القديم بوعيه قد أدرك منذ البداية الدور الكبير الذى يلعبه هذا النهر فى حياته .

وبفضل النيل تعلم الإنسان المصرى القديم النظام كما ســـاعد النيـــل علـــى تفجير الطاقات في داخله وفرض عليه التجمع والعمـــل المشـــترك . فـــأعد الأرض الزراعية فى وقت منتظم واخذ يراقب ارتفاع منسوب الميـــاه فـــى النـــهر ويخـــترع الوسائل لقياس هذا المنسوب ، كما أخذ يبنى السدود ويحفر الترع ويشـــق القنـــوات ويخترع آلات الرى لرفع مياه النيل ، واتخذ من طميه مادة لصناعة الطـــوب ليبنـــى مسكنه ، ومن طميه صنع أيضا أوانيه الفخارية ، ومن النباتات التى تنمو على ضفافه صنع الفلك التى ينتقل بها على صفحاته من مكان إلى مكان .

وأصبح العمل " قيمة " فى حد ذاته فى حياة المصرى القديم ، قيمة يمجدهـــا الحكام أنفسهم وتحث عليها الحكم والتعاليم . وكان المصـــرى القديـــم مدركـــا لـــهذه القيمة . والعمل بالنسبة له " عطاء ومقدرة وتحمل " فقد أطلق المصريون القدماء على العمل كلمة " كات " وأعطوا لها رمز رجل جالس يحمل فوق رأسه حملا قد يكـــون وعاءا تحمل فيه الرمال . ويمكن لنا تقريب كلمة كات من كلمة " كا " بمعنى " طاقـــة

---

(١) فرانسوا دوما : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

أو فاعلية أو نفس فاعلة أو إرادة حسنة أو نشاط أو فن "[1] ، وكانوا يصنعون تمـــائم على هيئة علامة " الكا " لهذا نجد انه أثناء محاكمة الإنسان فى عالم الآخرة عليـــه أن يعترف بانه أدى عمله على وجه الأكمل فيقول :

" لقد أحسنت عملى فى (بلدى) مصر "[2] . ومن هناك كانت الجدية فـــى العمل وقوة العزيمة، وكانوا يؤدونه أيضا بنوع من الحيوية والتقوى الغير مـــألوفتين والغير معروفتين عند أهل المجتمعات الأخرى فى الحضارات القديمة المجاورة . كما أن العمل فى مجموعات متآزرة متعاونة كان السبب فى تعارفهم وقوادهم .

ولم يعرف المصرى القديم الملل ولم يركن إلى الراحة ، فقد شـــيد بنشـــاطه الجم وقوة عزيمته والعمل فى جماعة صرحا من الآثار المادية ظهر أن الزمن عجـــز عن محوه محو تاما . وقد أقام هذا الصرح من العمائر المختلفـــة بأبســـط الوســـائل المادية والمعدات مما يصعب تحقيقه فى عصر الآلة والإمكانيـــات الماديـــة والتقـــدم التكنولوجى فى عصرنا الحالى .

وتلك العزيمة والصبر وحب العمل وتقديسه [3] والعمل الجماعي كانت مـــن سماتهم منذ أقدم العصور حتى آخر عصور تاريخ مصر القديم ، ولـــم تكـــن هـــذه السمات وليدة عصر معين واختفت بعد ذلك .

وكان يجب أن نركز هناك على هذه النقطة وهى روح العمل الجماعي هـــذه التى كانت تعتبر ركيزة من ركائز الحضارة المصرية . ومنذ أن أدرك الإنســـان أن قوته فى قوة الجماعة وأن أمنه مرتبط بها وازدهاره مرهون بغناها وتطورها فـــنزع من نفسيته رداء الفردية والأنانية والذاتية وأصبح عضوا فى الجماعة .

---

(١) لكل هذه المعانى راجع : Meeks, Alex. I, p. 394 – 395; 11 p. 394 – 395; 111, p. 306 – 307 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

(٣) أن حب العمل وتقديسه نجده مجسدا فى التعبير dwꜣ kꜣt " تقديس العمل " الذى ظهر فى نصوص عصر الرعامسة ، راجع : Meeks, Alex. 111 , p. 335 – Kitchen, RI 11, 361 , 12 . ، وأيضا التعبير k3t nt ẖrt ib . f العمل طبقا لرغبته = Meeks, Alex. 111, p. 307

ومن العوامل التى ساعدت على تقديس العمل والعمل الجماعي ، هو وجـود السلطة الحاكمة الواعية التى استشفت الموهبة الكامنة فى روح أفراد شعبها وعملـت على تفجير الطاقات الحيوية فيها . كما قامت السلطة الحاكمة بتبنى العنـاصر الفـذة ذات المواهب المتعددة من أبناء هذا الوطن وأسبغت عليهم كل ألوان التشجيع المـادى والمعنوى ، وكان الملك يقوم بنفسه بتفقد الأعمال فى منشآته المعمارية والتحدث إلـى العمال وإسباغ الهبات والهدايا عليهم فى المناسبات . واستجابت بقية أفـراد الشـعب لهذا التقدير وانساقت تحت هذه القيادات الفذة الذكية التى أحسنت توجيه أفراد الشـعب فكان أحسن توجيه ، كما تكلفت السلطة الحاكمة بحماية الحقوق وفرض القوانين كمـا رسمتها أنماط مظاهر الحضارة المصرية القديمة فى العصور المختلفة . ويقول عنـخ شاشنقي :

" أعط الشغال (أو العامل) رغيفا تأخذ رغيفين من كتفيـه "[١] هـذا إلـى جانب توافر مناخ الاستقرار السياسى فى أغلب العصور مما حقق للإنسان والعـامل والفنان المصرى القديم نصيب من الأمن والأمان فى مجتمعه مما دفعه إلى العطـاء والإبداع فيما اخرج وجعله يسعى ضاربا فى أرجاء الأرض على حد قول إخناتون :

" يستيقظ القطران ويشبان على قدمها ، لأنك أنت بلا شك مانح هذه اليقظـة فيهما ، فيبادر أهلهما إلى غسل أطرافهم وارتداء ثيابهم ، وأكفهم ممدودة إلـى أعـلا يقدسون صباحك ، ثم يسعى كل حي إلى عمله ضاربا في أرجاء الكون " .[٢]

وليس أمامنا إلا نعجب أولا بما اخرجوا من أعداد لا تحصى مـن الأوانـى الجميلة من مختلف أنواع الأحجار وأصلبها فى عصور ما قبـل الأسـرات وبدايـة الأسرات ، والتى صنعت بمهارة فائقة ودقة وإتقان بالغين .

وليس أمامنا إلا أن نحنى رؤوسنا ثانيا إجلالا وتقديرا أمام تلـك المنشـآت المعمارية الضخمة التى أقامها المصريون القدمـاء منـذ عصـور الدولـة القديمـة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .
(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثـانى ، طبعـة ٢٠٠١ ، ص ١٧٩ .

والوسطى والحديثة والممثلة فى أهرام الجيزة وخاصة إذا علمنا أنهم لم يستخدموا فى إقامتها سوى العقل والزلاقات وبناء الجسور من الطوب اللبن وربما وسائل أخرى نجهل كنهها . والممثلة أيضا فى تلك المقابر الملكية المحفورة فى الصخر وخاصة فى منطقة البر الغربى فى طيبة ، والتى تتكون من غرف ودهاليز وممرات مستقيمة تارة وملتوية تارة أخرى ، قد يصل طولها أحيانا إلى أكثر من مائة متر منحوتة فى باطن الصخر ، وتؤدى فى النهاية إلى حجرة الدفن . مثل مقابر تحوتمس الأول ، وتحوتمس الثانى ، وتحوتمس الثالث ، وأمنحتب الثانى وتحوتمس الرابع ، سيتى الأول . والممثلة كذلك بهو الأساطين الكبير فى الكرنك الذى بدأه رمسيس الأول وسيتى الأول ورمسيس الثانى . وهو أضخم بهو من نوعه فى العالم القديم . أراد المهندسون الذين خططوا هذا البهو أن يجعلوا فى وسطه ممرا واسعا تعبره المواكب الدينية والرسمية التى تزور معبد آمون وخلال أعياده الدينية فى هيبة كبيرة . فشيدوا فى سبيل إظهار هذا الممر الأوسط وفى سبيل تحديده ، صفين هائلين من أساطين حجرية ضخمة شاهقة ، يتجاوز ارتفاع كل اسطون منها عشرين مترا ويبلغ قطره أكثر من عشرة أمتار .

وأقام الفنانون تماثيل ضخمة هائلة فى معبد الرمسيوم من عهد رمسيس والتى كانت تقام أمام المدخل وتمثل الملك جالسا ، ويبلغ ارتفاعها حوالى ثمانية عشر مترا تقريبا . وهى منحوتة فى كتلة واحدة من الجرانيت الذى يستجلب من الجندل الأول ويبلغ وزنها أكثر من ألف طن .

وكل هذه الأعمال كانت تستلزم أعدادا كبيرة من العمال والنحاتين . والممثلة أيضا فى تلك المعابد المنحوتة فى الصخر فى بلاد النوبة وأهمها معبدى أبو سمبل ، وخاصة المعبد الكبير الذى حفر بعمق ثلاثة وستين مترا داخل الصخر . ونحتوا فى واجهة المعبد أربعة تماثيل هائلة ضخمة لرمسيس الثانى يزيد ارتفاع كل منها عن تسعة عشر مترا . وجعلوا محور المعبد مستقيما من الشرق إلى الغرب حتى تصافح أشعة الشمس التماثيل المقدسة الأربعة الموجودة فى قدس الأقداس وهو أعمق مكان فى المعبد ولاسيما تماثيل معبود الشمس رع حور آختى والملك نفسه وآمون رع وبتاح ومن القاعة الطولية يدخل ضوء الشمس إلى القاعة العرضية ثم إلى قدس

الأقداس الذى يتعمق مكانه فى قلب الصخر بنحو ١٨٠ قدما . وقد وضـــع التصميـم الهندسى لهذا المكان العميق طبقا لقواعد فلكية دقيقة تتيح لأشعة الشمس أن تدخل إليـه مرتين فقط كل عام :

(١) فى اليوم الثالث والعشرين من شهر فبراير (يوم مولد رمسيس الثانى) ؟ .

(٢) وفى اليوم الثالث والعشرين من شهر أكتوبر (يوم تتويجه) ؟ .(١)

وعلى الرغم من بعد هذا المعبد ما يقرب من ألف ميل عن عاصمة الملـــك رمسيس الثانى برعمسس فى شرق الدلتا ، وحوالى ٢٨٠ كم جنوبى أسوان والبيئـــة الفقيرة البعيدة القاسية فإن المهندس المعمارى الذى أشرف على العمل وكذلك العمـــال المصريين قد أتموا عملهم بنوع من الإتقان والدقة فـــى كـــل مـــا نحتـــوه ونقشـــوه ولونوه بإمكانيات عصرهم وما أتيح لهم من معدات وأدوات .(٢)

وقد غمرت مياه السد العالى موقع هذين المعبدين كباقى معابد بلاد النوبـــة حيث تضافرت جهود العالم لإنقاذ هذه المعابد واشتركت عن طريق منظمة اليونسـكو فى دفع نفقات مشروع أساسه تقطيع صخور هذين المعبدين إلى أجزاء يسهل نقلـــها وقد بدأ التنفيذ فى يونيو ١٩٦٤ وانتهى فى سبتمبر ١٩٦٨ .(٣)

وكما ذكرنا من قبل أن وراء هذه المنجزات الضخمـــة ســـواعد الفنـــانين والصنـــاع والعمال المصريين والرأس المخطط والمدبر من طبقة المهندســـين المعمـــارين مـــن أمثال إيمحوتب الذى أشرف على المجموعة الهرمية الرائعة للملـــك جســـر مؤســـس الأسرة الثالثة بسقارة ، والتى تشمل الهرم المدرج وملحقاته . ولاشـــك فـــى أن وراء بناء هرمى سنفرو بدهشور شخصية مهندس مجهول لا نعرفه حتى الآن . أما هـــرم خوفو فنعرف أن الذى أشرف على بنائه حم ايونو والذى ربما كان يمت بصلة قرابـــة

---

(١) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ١٦٦ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ – ٢٥٨ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـــد الأول – الجـــزء الأول ، ص ٧٢ .

لخوفو . ومن عصر الدولة الحديثة نعرف المهندس المعمارى انيني الذى أشرف على نحت مقبرة تحوتمس الأول ، وسنموت الذى أشرف على المعبد الجنائزى للملكة حاتشبسوت فى الدير البحرى . وأمنحتب بن حابو الذى شيد المعبد الجنائزى للملك أمنحتب الثالث فى البر الغربى وكذلك معبد الأقصر .

واحتفظت أجيال المصريين بذكرى إيمحوتب قرونا طويلة ، وجعله المتعلمون فى الدولة الحديثة على راس أهل الحكمة والتعاليم ، واعتبروه من رعاة المثقفين ، واستحبوا أن يسكبوا قطرات من الماء من الأوانى الصغيرة المتصلة بمحابرهم مع التمتمه باسمه ، تبركا به كلما بدأوا بكتابة أمر خطير . ثم زادوا فقدسوه فى عصورهم المتأخرة واعتبروه ولدا للمعبود بتاح رب الفن والصناعة . وأخيرا ذكره الإغريق المتمصرون باسم ايموتس واعتبروه معبودا للشفاء .(١)

كما ذاعت أيضا شهرة امنحتب بن حابو مهندس امنحتب الثالث وترتب على سمعته الطيبة أن قدسه المصريون بعد وفاته واعتبروه من المعبودات ثم عبدوه فى عصورهم المتأخرة وشاركهم الإغريق فى تأليهه ، وقدسوا أمه وصوروها على هيئة المعبودة سشات راعية الكتابة والحساب . وأعادوا بناء مقصورة شعائره فى غرب طيبة وأحالوها إلى معبد كبير ، وجمعوا بينه وبين ايمحوتب وخصصوا لهما مقصورتين فى المسطح العلوى من معبد حاتشبسوت بالدير البحرى ، وشادوا بكرماته فى قضاء حوائجهم وشفاء مرضاهم إذا باتوا فى معبده ، ثم جمعوا بينه وبين ملكة فى أسطورة سموها " تنبؤات الفخرانى " .(٢)

وذلك يبين مدى المكانة التى كانت تحتلها بعض شخصيات كبار الأفراد ، وذلك على عكس الظن الشائع باختفاء شخصية الفرد المصرى إلى جانب قدسية

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٩١ ؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٧٨ حاشية (١) .

(٢) المرجع السابق ، ص٢٠٤؛ د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١٥٧ – ١٥٨ ، ١٦٤ وعن هذه الشخصيات الشهيرة راجع الدراسات التى قمنا بها عنهم : R. el Sayed فى مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٤ لعام ١٩٧٧، ص ٥٠ – ٥٢، ٥٥، والعدد ٢٦ لعام ١٩٧٩، ص ٢٣، وراجع أيضا : Wildung, Imhotep und Amenhotep p. 42 – 64 .

ملكه . ولم تقتصر مجهودات العمال المصريين على المنشآت المعمارية الخاصة بالملوك ، بل نجد أنهم بذلوا المجهودات نفسها بالنسبة للآثار التي كانت تقام لكبار الشخصيات فمن أهم مقابر سقارة وأكبرها حجما واجملها نقوشا مقبرة مرى روكا ، فهى فريدة بين مقابر سقارة وغيرها من مقابر الدولة القديمة فى فخامتها وعدد حجراتها إذ يبلغ طولها ٤٠ مترا وعرضها ٢٤ مترا ، ولا يقل عدد حجراتها عن ٣٢ ومشيدة كلها من الحجر[١] . وكذلك مقبرة منتومحات الكاهن الرابع لآمون فى عصر الأسرة الخامسة والعشرين ، والتى حفرت فى الصخر فى البر الغربى فى طيبة .[٢]

ومما يؤكد هذه الروح فى العمل والتعاون هى القصة التى سطرها لنا أحد حكام الأقاليم الذى يدعى " تحوتى حتب الثانى " فى نقوش مقبرته فى البرشا من عصر الدولة الوسطى ، والتى يحكى فيها قصة اشتراك ١٧٢ رجلا من بينهم مأجورين ومجندين ومتطوعين [٣] . جاءوا من غرب وشرق إقليم الأرنب ، جاءوا بنوع من الرضى ، ولهذا يكرر تحوتى حتب هذه الصيغة أمام كل مجموعة من الأفراد ، وحضروا لكى يشتركوا فى سحب تمثال له من المرمر أذن الملك له بإقامته فى مقصورته مقبرته فى الجزء الذى يعلو سطح الأرض ، وقد بلغ ارتفاعه ما يقرب من ستة أمتار وثلاثة أرباع المتر ، وبلغ وزنه حوالى ستين طنا وكان من بين المتطوعين لسحب هذا التمثال رجل هرم كان يستند على كتف طفل ، ويقول تحوتى حتب فى نصوص مقبرته تعقيبا على هذا الحدث :

" لقد كانت شجاعتهم كبيرة ، وأصبحت سواعدهم أكثر قوة ، وبذل كل واحد مجهودا يعادل ألف رجل " .

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٦٥ .

(٢) R. el Sayed مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ٢٦ لعام ١٩٧٩ ، ص ١٥ – ١٦ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص ٣١٩ شكل ٣٢٧ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ؛ د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٦٦٨ – ٦٦٩ .

ولعل فى الكلمات التى وجهها الملك خيتى الثالث (أو الرابع) لأبنه مريكارع من العصر الاهناسى ما يشير إلى هذه الروح أيضا والحث على العمل بجدية ونشاط ونبذ الكسل والخمول فهو يقول :

" واحترم حياة مملوءة بالنشاط ... ولعل يدك لا تصبح عاطلة ، ولكن اقبل على عملك منشرحا ، فالتراخى يقضى على السماء نفسها " .[١]

وتظهر هذه الروح أيضا فى النقوش الى تسجل مراحل البعثة التى أرسلتها الملكة حاتشبسوت إلى بلاد بونت . فكانت هذه الحملة التى ذهبت عن طريق البحر الأحمر مجهزة فيما يبدو بمجموعة من الفنانين الرسامين الذين قاموا بدور " المشاهدين " والذين كتبوا أدق تقرير علمى مصور ناطق ، فى بلاد بونت ، سواء من الناحية الطبيعية أو البيئية ، ومن ناحية جغرافيتها البشرية والأجناس المختلفة التى تسكنها ، وتقاليد وعادات أهلها الذين يعيشون هناك . وهذا بالإضافة إلى دراسة علمية ممتعة لمختلف أنواع الأسماك والأحياء المائية فى البحر الأحمر .[٢]

وقد ذكرنا فيما سبق مقولة على مبارك فى أن سعادة مصر مؤسسة على عاملين مهمين :

الأول : " بذل همم أهلها ، وطرح أثقال أسباب الكسل والفتور عن كواهلهم " .

والثانى : " اتباع القوانين المنتظمة التى لا يتطرق إليها الخلل " .

ثامنا : ارتباط العمل بالفكر والتخطيط السليم فتحقق الإتقان وأعظم المنجزات والمعجزات ، ونرى هذا التخطيط السليم القائم على دراسة وعلم وكذلك التنفيذ الدقيق فى أكثر من مجال ففى مجال العمارة نراه فى بناء الأهرام وحفر مقابر الملكية فى البر الغربى فى طيبة وحفر معابد رمسيس الثانى فى بلاد النوبة وحفر السراديب

---

(١) د. رمضان السيد : المرجع السابق ، ص ٦١٩ .
(٢) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ١١٣ .
(٣) راجع فيما سبق ، ص ٢٣٨ وحاشية (٣) .

الطويلة تحت سطح الأرض فى سقارة وفى تونا الجبل والممرات أسفل الهرم المدرج والهرم المدفون فى سقارة . وفى مجال اختراع الألوان والتخطيط ووسائل الإضاءة وفى مجال الطب والفلك والرياضة والحساب ، وفى مجالات الفنون المختلفة وأليس العمل (k3t) نوع من أنواع الفن ، وعمل المعبود نفسه هو فنه ، لذا ارتبط مفهوم العمل بالفن والتخطيط السليم .(١)

تاسعا : قيام مجتمع متماسك البناء تربط بين أفراده روابط وعادات وتقاليد راسخة مما جعل المجتمع فى منأى عن المشاكل والانحرافات التى تعرفها المجتمعات المعاصرة . فمصر القديمة كانت تعتز بتقاليدها المتوارثة ، التى تنظم حياة المجتمع عاملة والأسرة خاصة ، حتى بدت لنا هذه التقاليد وكأنها تضارع الأهرام فى رسوخها وثباتها (٢) . ويجب آن ندرك كذلك أن الاحتفاظ بهذه التقاليد يرجع إلى سيطرة الديانة على عقول المصريين القدماء ، فكان لها أثر كبير فى حياتهم ، ووقفت حائلا أمام كل تقليد أو عادة أجنبية قد تتسرب إلى المجتمع المصرى نتيجة لاتصالات مصر بالشعوب الأخرى ، ولا تتفق مع التقاليد المجتمع المتوارثة أو قد تؤثر عليها بطريقة سلبية ، ولهذا ظلت تقاليدهم وعاداتهم الأصيلة المتوارثة هى السائدة طوال فترات تاريخهم وانصهر كل ما هو خارج وغريب عنها فى بوتقة هذه الأصالة المتأصلة .

تدل النصوص على أن الأسرة كانت أساس المجتمع فى مصر القديمة ، وكانت تسود كل أسرة الروابط الأسرية التى تحكمها صلات الرحم والود والاحترام والوفاء وقد أهدت الأسرة المصرية القديمة للمجتمع المصرى خير عناصره . وكان الآباء حريصين على أن يجعلوا من فلذات كبدهم لبنات قوية فى البناء الاجتماعى وأحجار صلبة فى أساسه . فأعطت الأسرة المصرية الأبناء الأوفياء والقادة والحكام الذين بنوا فأحسنوا البناء ، وأعطوا لمجتمعهم ولبلادهم فكان خير عطاء .

---

(١) عن هذا المعنى ، راجع : Meeks, Alex. 111, p. 308

(٢) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٦ ، ص ٣ .

كان يسود الأسرة الواحدة عدة فضائل . وكان المصريون احرص الناس على إقامة علاقات زوجية ناجحة وموفقة ، فحرص كل مصرى على إسعاد زوجته ومعاملتها بالحسنى ورعايتها والمحافظة عليها . فأغلب المصريات كن زوجات مثاليات صالحات وأمهات طيبات . وعرفت الزوجة المصرية بالطاعة وحسن العشرة والوفاء والحنو الصادق والبر الخالص والسيرة الطيبة الحسنة ، فهى تبذل كل ما فى وسعها لرعاية زوجها وتدبير شئون حياته . كما كان المصريون أزواجا أوفياء ذوى طبيعة خيرة . وكان الزوج لا يتوانى فى بذل كل ما يستطيع من نفقات فى سبيل إسعاد قلب زوجته وإدخال السرور عليها بكل ما هو طيب . وكان يحرص على توفير سبل الراحة المادية والمعنوية لها . وقد حثت الصيغ والنصوص التى جاءت فى بعض التعاليم على أهمية المحافظة على العلاقات القوية التى تربط بين الزوجين . ويقول بتاح حتب فى سياق حديثه لولده :

" إذا أصبحت رجلا معروفا ، فتزوج وأحبب زوجتك كما يليق لها ، قدم لها الطعام واستر ظهرها بالملابس فأفضل دواء لأعضائها هو العطر الطيب ، فاسعد قلبها ما حييت ، إنها حقل خصب لولى أمرها ... ولا تتهمها عن سوء ظن ، ... "(١)

ويقول آني :

" كن كريما مع من فى منزلك ، لا تكثر من إصدار الأوامر إلى زوجتك فى منزلها إذا كنت تعرف إنها ماهرة فى عملها ... " .(٢)

وكان الزوج يحرص دائما على مناداة زوجته ، كما كان الحال قبل الزواج ، بلفظ " يا أختى " وليس " حمت " بمعنى زوجة ، وتناديه هى أيضا بلفظ " يا أخى " . وكان الآباء ملتزمون بتربية أولادهم تربية فاضلة ، وإذا فحصنا فقرات من التعاليم والنصائح والحكم نجد أن جزء كبير منها يحث على واجبات الأبناء نحو الوالدين ، من حب للوالدين واحترامها وطاعتهما والعطف عليهما عند الكبر والبر بهما والإحسان إليهما ، والترحم عليهما بعد الوفاة . فيقول خيتى بن دواواف لابنه :

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٥٦٤ .
(٢) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٣٤٨ .

" أحبب الكتب كحبك لأمك ، فليس فى الحياة ما هو أغلى منها "[١] ويقول آنى أيضا لولده :

" أطع أمك واحترمها ، فإن المعبود هو الذى أعطاها لك " . " ضاعف الخبز الذى يجب ان تعطيه لأمك وأحملها كما حملتك . وهى كم من مرة اعتنت بك ، ولم تتخل عنك . وعندما وضعتك بعد شهور من حملك أعطتك ثدييها فى فمك لمدة ثلاث سنوات بصبر ووضعتك فى المدرسة وبينما (كانوا) يعلمونك الكتابة كانت هى تنتظرك أثناء غيابك كل يوم بالطعام والشراب من منزلها . والآن وأنت فى زهرة العمر واتخذت لك زوجا وصار لك بيتا اتجه بنظرك إلى الطريقة التى تربيت بها والتى تغذيت عليها ، فإن كل (هذا) من عمل أمك فلا تجعلها تلومك حتى لا ترفع يديها نحو المعبود (شاكية) فيستجيب لشكوها " .[٢]

ونقرأ فى تعاليم بتاح حتب من الأسرة الخامسة ، ما يجب أن يقوم به الابن نحو أبيه :

" كم هو جميل أن يطيع الابن أباه " " ما أجمل طاعة الابن المطيع فهو يأتى ويستمع مطيعا ، إن الطاعة هى خير ما فى الوجود . إن المطيع هو رجل كامل فى نظر الكبار ، فإذا تقبل الابن كلام أبيه بقبول حسن وتنبه وأطاع ، فإن الابن سيكون حكيما وتصبح أعماله موافقة " .

ويجب اتخاذ الأب قدوة حسنة يقتدى بها ، وفى هذا المعنى يقول :

" ما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته إليه الشيخوخة " .[٣] وكما حث الحكيم آنى ابنه على العناية بأمه فى كبرها وأن يحملها كما حملته نجد أن كبير كهنة آمون امنمحات الذى عاش فى عصر الأسرة الثامنة عشرة ، يحدثنا عما يفعله مع أبيه المسن ، فيقول :

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٨٠ .
(٢) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٣٤٨ .
(٣) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٥٦٣ .

" كنت عصا الشيخوخة لأبى عندما كان حيا . اذهب واجئ طبقا لأوامره ، لم أخالف كلام فمه قط ، ونفذت بعناية كل ما كلفنى به ، ولم أهمل التعليمات التى أعطانى إياها ، ولم أنظر إليه بحده ، ولكن كنت اخفض رأسى عندما يتحدث إلى ، ولم أتفاخر بعمل (شئ) لم يكن على علم به " .(١)

وبعد وفاة الوالدين كان على الابن الأكبر أن يكون وفيا لذكراهم . وذلك بإقامة النصب تخليدا لذكراهم أو تقديم القرابين باسمهما فى الجبانة كما تشير بذلك بعض الصيغ فى نصوص الدولة القديمة ، التى تشير إلى صفة التراحم هذه ، فتقول بعض هذه الصيغ :

" إلى أبى وأمى ، أنا فعلت هذا لهما بعد أن دخلوا فى الغرب (اى توفيا) "

" أدى الطقوس للمعبود من اجل أبيك وأمك اللذين وضعاك على طريق الأحياء (أى الحياة) " .

" قدم الماء (المقدس) لأبيك وأمك اللذين يرقدان فى الوادى (الجبانة) " (٢)

<u>عاشرا : التمسك بالقيم الخلقية والفضائل والمثل العليا التى كانت ثابتة الأركان فى حياة المصريين القدماء وكان لها أثر كبير فى تزكية نفوسهم وتمسكهم بالمبادئ والفضائل</u> . وكان لها تأثيرها المباشر أيضا فى حياتهم وسلوكهم ، حتى انه يمكن القول بأن حضارتهم من زاوية معينة – تعتبر فى المقام الأول – حضارة أخلاقية . وكانت أولى الفضائل طاعة الوالدين والرئيس والقدرة على حفظ اللسان فى كل المناسبات ثم أدب الحديث وحسن التصرف فى المجتمعات والأمانة فى أداء الواجب . ولما كان شعب مصر القديم يتحلى بهذه الصفات فإن هذا يفسر أسباب ازدهار واحدة من اقدم الحضارات التى عرفها العالم حتى اليوم .

---

(١) Gardiner, The tomb of Amenemhat, ZAS 47 (1910), p. 87- 99; R. el Sayed ، مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العدد ٢٥ لعام ١٩٧٨ ، ص ٥٤ .

(٢) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى ، كما قمنا بدراسة صيغ التراجم هذه فى : Melanges Gamal Mokhtar, BdE 97 11 (1985), p. 271 – 292 .

اعتمدت حضارة مصر القديمة على القيم الخلقية التى كانت ثابتة ومستقرة فى نفوس الناس يعملون بها ويحافظون عليها ويتمسكون بها فى صدق وقناعة ، فارتبطت حضارة المصريين القدماء بالديانة والقيم الخلقية يكمل كل منهما الآخر فالتسلح بالديانة والتحلي بالمثل الخلقية السائدة أعطيا للمصرى القديم قوة دفع كبيرة جعلته يقيم سياجا من القيم حول حضارته وبذلك جمع بين ما هو روحانى والسلوك والأخلاق . وحين تتجرد حضارة أمة من سياج الأخلاق فذلك يعنى ان آفة كالسوس بدأت تنخر فى كيانها . فالقيم هى حماية للقوانين وتطبيق لها من الناحية المعنوية بل إنها كذلك من أهم العوامل فى استمرارها وبقائها متماسكة لأطول فترة ممكنة .

كان الآباء يربون أولادهم على مبادئ الرجولة وفضائل الأخلاق وآداب السلوك وحسن المعاملة فى أثناء التربية المنزلية . وليس أدل على ذلك من أن كتب ومؤلفات المصريين فى التربية قد صيغت فى أسلوب النصائح والتعاليم ، يزود بها الآباء أبناءهم ، وفيها ثروة من تجاربهم فى الحياة التى عركوها وسجلوا هذه النتائج ما ينير سبل الحياة لأبنائهم ، وفيها نماذج من الفضائل الخلقية يجدر بالأبناء التمسك بها كما كانوا يحثون أبنائهم على التسلح بالإيمان والتقوى . وصلات الرحم كالبر بالوالدين وحسن معاملة الزوجة واحترام الغير والتسامح والتواضع والاستقامة واتباع طريق العدل والعطف على الآخرين والمحافظة على الأسرار والأمانة والإخلاص والصبر وحسن اختيار الأصدقاء وغير ذلك من القيم والآداب والسلوكيات . وبمثل هذه القيم والآداب حرص الآباء على تهذيب أخلاق الأبناء فى الصغر قبل أن يغادروا المنزل إلى دار الحياة الكبرى حتى يصبحوا مدربين على حسن المعاملة والسلوك ويستطيعوا أن يتكيفوا مع الآخرين فى جو من المحبة والصداقة والنضوج والوعى .

والعقيدة هى الأساس فى قيام نظام أخلاقى متكامل لأن الخوف من العقاب والطمع فى الثواب هما الأساس فى الامتناع عن المحرمات والالتزام بالطاعات والعدالة .

ولا توجد حضارة عبرت عن القيم والعدالة بقدر ما عبرت عنها الحضارة المصرية . وذلك لأن رسوم ونقوش آثارها تعبر عن أعماق ونزعات إنسانية متعددة وكان شعبها اكثر الشعوب إنسانية وأكثرها احتراما لحياة البشر من أي بلد آخر فى

العالم القديم . وفى كل البلاد التى وجدت فيها قسوة ينعكس ذلك فى رسمها ونقوشها ولكن فى مصر القديمة لا نجد أى أثر لهذه القسوة فكل شئ مصور بطريقة هادئة وملائمة ومناسبة ومحببة إلى النفس . وتصور لنا النصوص الأدبية المعانى والقيم الإنسانية والسلوكيات والآداب التى كان يتبعها المصرى القديم وقد سبق أن أشرنا إلى الروابط التى كانت تربط بين أفراد الأسرة الواحدة الابن نحو والديه ونحو أفراد عائلته ونحو الآخرين فى مدينته ومجتمعه ككل .

وعندما نادوا بالتعاليم والحكم كانوا يطبقونها بحزم ، وكان المصرى القديم فخورا بفضائله . وكان مسلكه يتميز بمجهود حقيقى لإطاعة ما حثت عليه مبادئ الديانة وما نادى به أهل الفكر والكهنة من تعاليم وحكم ومبادئ وقيم .

ونجد صدى لهذه المعانى فى مختلف النصوص . وقد عبر عنها أكثر من فرد من طبقات المجتمع . فنجد هذه المعانى فى النقوش التى تخص سير كبار الشخصيات من حكام أقاليم وقواد ونبلاء وكبار كهنة ، وكهنة عاديون ، وأيضا فى بعض النصوص التى تخص الأشخاص العاديين .

ركز أهل الفكر وأصحاب التعاليم والحكم فى وصاياهم على عدة فضائل خلقية ، وكان المعلمون يختارون من هذه التعاليم العبارات والجمل التى تحث التلميذ أو الابن على ضرورة اتباع الحق وإقامة العدالة التى هى جزء من القيم الخلقية ، فإتباع العدالة يعنى الاستقامة وفعل الخير تطوعا يعنى رقى النفس [١] . وكذلك حثوا على الأخلاق الفاضلة التى هى ثروة الإنسان ، ومساعدة الغير على اعتبار أنها فضيلة ، ومقاومة الالتواء فى النفس ففيه تزكية لها ، والابتعاد عما يغضب المعبودات ، والحث على الفضيلة والابتعاد عن الإثم والفجور ، وعدم الطمع فيما يملكه الآخرون ، والتواضع مع الآخرين . ونجد كل هذه المعانى فى النصوص المختلفة .

---

(١) يان اسمان : ماعت مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية (ترجمة د. زكية طبوزاده د. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ٥٢ .

وركز المعلمون فى اختيارهم لفقرات من تعاليم أهل الحكم على العبـــارات التى يحذر التلميذ أو الابن من عدة أمور . فيقول والـــد كـــايجمنى " كـــاارس " فـــى تعاليمه ، التى تعتبر أقدم التعاليم التى وصلت إلينا ، وترجع إلى الأسرة الرابعة :

" لا تتفاخر بقوتك بين أقرانك فى السن ، وكن على حذر من كـــل إنســـان حتى من نفسك ، إن الإنسان لا يدرى ماذا سيحدث أو ما الذى سيفعله المعبود عندمـــا ينزل عقابه " .(١)

" كل البيوت تفتح أبوابها لغير المتكبرين ، ولصاحب اللسان المتواضع توجد حجرات عديدة ، وهناك سيف حاد يوقف من يرغب فى أن يظهر أهميته " .

ويقول أحد القضاة الذين عاشوا فى عهد الملك نى – اوسررع – آنـــى مـــن الأسرة الخامسة :

" أنا لم استول على شئ يخص الآخرين علىالإطلاق ... أننى لم ارتكب أى عنف ضد اى إنسان " .(٢)

ولعل التعاليم التى تعتبر أكثر التعاليم شمولا ، هى تعاليم الوزير بتاح حتـــب الذى عاش فى عهد الملك جد كارع أسيسى من الأسرة الخامسة ، ويقول فيها لابنه :

- " لا يداخلنك الغرور بسبب علمك ، ولا تتعال لأنك رجل عالم " .
- " إذا كنت رئيسا يحكم الناس فلا تسع إلا وراء كل ما اكتملت محاسنه حتى تظـل صفاتك الخلقية دون ثغرة . ما اعظم العدالة فإن قيمتها خالدة ولـــم ينـــل منـــها (اى) إنسان ... "
- " تمسك باهداب الصدق ولا تتخطه حتى ولو كان ما تقوله قد خلا مما يرضـــى (الآخرين) وأحذر من أن تشوه الحديث ... " .(٣)

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٩٤ .
(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٥٦٠ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٦٣ .

- " إذا أردت أن يحسن خلقك وتصون نفسك من كطل سوء فأحذر من الطمع ، فهو مرض عضال لا دواء له ، ولا يمكن لإنسان أن يطمئن إلى وجوده معه ، فهو يحيل الصديق حلو المودة إلى عدو مرير ، ويبعد الخادم الموثوق به عن سيده ، ويفصل ما بين الآباء والأمهات والأخوة الذين ولدتهم أم واحدة ، ويفرق بين الزوجة وزوجها ".(١)

وحثه على الإيمان والثقة بالنفس ما يكفل له الاتزان السلوكي في عمله ويغنيه عن تملق الرؤساء وذل الرجاء ، قائلا له :

" الرجل من قال اكتسبت بعملى ... ، وليس الرجل من قال اتمنى لنفسى . وقد يقول إنسان لسوف اشبع هنا ، فإذا هو فى غده محروم من خيرات ويقول لسوف أغنى هناك ، ثم ينتهى إلى ترك ثروته لمن لا يعلمه ... فإن ما أراده المعبود يتحقق ، فإذا عزمت أن تحيا بالقناعة أتاك ما قدره لك الأرباب بأكمله ... ، والرزق وفق إرادة الرب ، والجهول هو من يعترض على إرادته ".(٢)

" ما أطول حياة الإنسان وما أسعده إذا كان خلقه متحليا بالاستقامة فإن من يلتزم جادتها كون لنفسه ثروة ".(٣)

ويذكر حرخوف من الأسرة السادسة الذى كان أصلا من الفنتين ، فى نقوش مقبرته ما قام بعمله :

" لقد كنت إنسانا طيبا ، أثيرا لدى أبيه ، محبوبا من أمه ، ومحبوبا من جميع اخوته ، وقد أعطيت الخبز للجائع والملابس للعارى وعبرت النهر بالذى لا قارب له وكنت أقول الكلمات الطيبة ولم أكرر إلا ما هو مقبول ولم أقل أبدا أية كلمة سيئة لدى رجل فى السلطة ضد أى إنسان ... ولم يحدث أن أكدت شيئا على الإطلاق يمكن أن يحرم أبنا من ميراث أبيه لأننى كنت أرغب فى أن أجد القبول لدى المعبود

---

(١) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى .
(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥١ - ٣٥٢ .
(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣١ - ٤٣٤ .

الأكبر " (١) . ويقول ايبى فى نقوش مقبرته فى دير الجبراوى من الأسرة السادسة :

" لقد أعطيت الخبز للجائع ، والملبس للعارى " .(٢) ويقول حاكم إقليم من العصر الوسيط الأول أنه اعتبر نفسه :

" زوجا للأرمل وأبا لليتيم ، وأنه آوى من لا عائل له ودفن من لا أهل له " (٣) ومن العصر الاهناسي ، نجد الملك خيتى الثالث (أو الرابع) يقول لأبنه مريكارع :

" اعمل من أجل أن تكن لك كل البلاد الحب ، فالأخلاق الحميدة ، هى الشئ الذى يكون موضعا للذكرى " .(٤)

ومدح أحد كتبة أسيوط خيتى بن تف ايب حاكم أسيوط فى العصر الاهناسي : " ما أجمل ما تم فى عهدك ، لقد رضيت المدينة بك ، وما كان مستغلقا على الناس جعلته مكشوفا مباحا من تلقاء نفسك ، عن رغبة منك فى إسعاد أهل أسيوط ، ولقد جعلت كل موظف يستقر فى منصبه ... (٥)

ويقول خيتى بن تف ايب فى نصوص مقبرته :

" استمعوا إلى أهل الغد ، لقد كنت سخيا مع الناس جميعهم .. سديد الرأى ، نافعا لبلده ، سمحا مع الشاكى إذ جنى الليل (اطمأن) النائم فى الطريق ودعا لى وأصبح شانه شأن من نام فى داره تحرسه هيبة رجل الشرطة " .(٦)

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٧٦ .
(٢) Urk I, p. 145, 103 – 4.
(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .
(٤) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٦١٩ .
(٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

وقال أيضا :

" بان الشخص النبيل (من ناحية الخلق) هو الذى يستطيع ان يتفوق بمآثره على مآثر أبيه ، وأن جزاءه على ذلك سوف يكون الرحمة فى الآخرة ... فضلا عن حسن سمعته فى بلده ، وتعظيم الناس لتمثاله بعد موته ".[١]

وفى قصة القروى الفصيح من العصر الاهناسي أيضا ، نقرأ ما يجب عليه أن يكون الإنسان وما يجب أن يتحلى به ، فيقول القروى لرنسي بن مرو :

" أنت أب لليتيم وزوج للأرملة وأخ للمرأة المطلقة ، وأنت ثوب (أى دثار) لمن لا أم له " . " رجل البستان الشرير يروى أرضه بالمساوئ فتتحول أرضه إلى أرض للكذب ، وينمو كل ما هو سئ فى ضيعته " . ويقول أيضا :

" أقم العدالة من اجل سيد العدالة لأن عدالته هى العدالة الحقيقية " .

ويذكر القروى الفصيح كذلك : " أن العدالة خالدة ابدا وهى تنزل القبر مع من يمارسها ، فإذا توارى هذا الإنسان فى قبره (فإن) اسمه سوف لا يمحى ، وسوف تظل ذكراه (خالدة) بسبب الخير الذى فعله " [٢] . ويقول موظف فى بيت المال فى الأسرة الحادية عشرة عن نفسه :

" انه مواطن كفء ، يعمل بساعده ، و"أضاف انه كان يعتبر سندا فى إقليم طيبة ، وأنه أحيى منطقة الجبلين فى سنوات قل الخير فيها وتعطل فيها أربعمائة رجل " [١]
ويقول حعبى جفاى من الأسرة الثانية عشرة عن نفسه أيضا :

" أنه اهتدى بعقله إلى سبيل الحسنى ، وعرف دائما كيف يقدر خطواته ".[٣] ومن عصر الدولة الحديثة لدينا نصوص عديدة : فهناك نص يخص الأمير كارس من عهد أحمس الأول ، وكان رئيسا لديوان الأم الملكة أعح حتب ، وصف فيه بأنه :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٧ .
(٢) المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٢٤ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٦ .

" حسن الكلمة ، متحفظ الروح ، الذى يدير القصر ، ممسك اللسان عما يسمعه فيه ، لا يمنح لنفسه أى تسلية بالليل أو النهار وأنه الرجل الذى يحب العدالة أمين للغاية ، حكيم فى قراراته ، الذى يحمى الضعيف ، الذى يدافع عمن لا حامى له ، ذو الكلمة التى ترضى المتخاصمين وتؤدى إلى صلحهما ، وهو أيضا عادل كالميزان "(١) . ويقول الملك تحوتمس الثالث لوزيره رخمى رع :

" تصرف وفقا للعدل ، فالمحاباه يمقتها الرب ، وإليك نصيحة تتخلق بها : عامل من تعرفه كما تعامل من لا تعرفه " ... (٢) . وعمل رخمى رع بنصيحة ملكه وها هو يقول :

" لقد سموت بالعدالة حتى عنان السماء ، وجعلت بهاءها يعم الأرض باتساعها ، فاستقرت فى خياشيم الناس كنسمة الشمال التى تطرد عكوسات البدن ... وأبيت المنكر ولم أفعله وجعلت النمام يلقى على أم رأسه " " لم أضح بحق من أجل مكانة ، ولم أصم اذنى عن صفر اليدين ولم أقبل رشوة إنسان "(٣) ووصف " اوسر " احد وزراء تحوتمس الثالث كما لو كان الرجل : " الذى يفعل ما تحبه كل الطبقات من أعلى وأيضا من أسفل ، الذى يهتم بالأغنياء وأيضا بالفقراء ، الذى يحمى الأرامل دون عائل ، الذى يساعد الشيوخ العجزة ويوفر السعادة لكل إنسان "(٤)

ووصف حاجب الملك تحوتمس الثالث ، يدعى انتف بانه : " ليس من أحد لا يعرفه ... خادم للفقير ، أب لليتيم " ثم قال : سيطر على ضميرى ودفعنى إلى أن أفعل ما فعلت ، وهو وازع جليل ، لم اتعد وحيه ، وخشيت ان أخالف صوته ، فنعمت به كثيرا وأصبحت كاملا بما دفعنى إلى عمله ، وذا مقام بفضل توجيهه ... فهو الذى قال الناس عنه أنه معجزة الأرباب ، ذلك الكائن فى كل (جسد) ، هو الوازع ، وهو الهادى إلى خير طريق لبلوغ الكمال .... " .(٥)

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٧٢ .
(٢) د. عبد العزيز صالح: المرجع السابق ، ص ٢٠١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .
(٤) د. رمضان السيد : معالم تاريخ مصر القديم ، طبعة عام ١٩٨٤ ، مكتبة نهضة الشرق ، ص ٣٩٤ .
(٥) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

ويصور لنا الكتبة المصريون عاقبة الإنسان حميد السيرة فى هذه الكلمات الموجهة إلى روح رجل يسمى أمنمحات رئيس الأعمال فى عهد تحوتمس الثالث :

" يا امنمحات ، لعل ذكراك تبقى خالدة فى منزلك وفى تماثيلك وفى مقاصيرك ، وتبقى روحك حيه وجسدك فى أمان وفى مقبرته ، لعل اسمك يعيش إلى البد على لسان أطفالك ...."(١) . ويقول معلم لتلميذه من عصر الدولة الحديثة أيضا :

" إذا رجاك يتيم مسكين اضطهده آخر وود هلاكه فسارع إليه وقدم العون إليه واجعل نفسك منقذا له ، فمن أعانه المعبود حق عليه ان يعين كثيرين غيره " .(٢)

وآخر يقول : " حرر غيرك إن وجدته رهين القيد وكن حاميا للضعيف " .(٣) ومن عصر الأسرة الحادية والعشرين : ويقول آني :

" إياك ألا تقاوم الالتواء فى أعماق نفسك " .(٤) ويقول امنموبت من عصر الأسرة الثانية والعشرين :

" الرجل النافع أو الحكيم هو الذى يسيطر على مشاعره ويمتاز بالتفكير الصائب الصامت ويقول عنه : " الرجل الصامت مثل الشجرة التى تنمو فى بستان وتقف أمام صاحبها مزدهرة مثمرة وان ثمارها لطيبة وأن ظلها لمنعش " .(٥)

ويقول عنخ شاشنقي : " لا تكره إنسانا (لمجرد) رؤيته ما دمت لا تعرف حقيقة خلقه " . ويقول أيضا : " لا تكن ساقط الهمة حين الشدة ، وأفعل الخير وأرمه وسط البحر ، وإذا فعلت معروفا لخمسمائة إنسان وراعاه واحد (فقط) فحسبك أن

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١٢٢ .

(٢) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٣) المرجع السابق .

(٤) المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

جزءا منه لم يضع " .[١]

ومن أجمل ما قاله عنخ شاشنقى ، ولا زلنا نردده حتى يومنا هذا بأن الخلـق قبل العلم ، وها هو يقول :

" وإنما يتأتى التعليم بعد رقى الخلق " .

" ولا تقل إنى عالم وتفرغ للعلم " .[٢]

ونجد ان هذه المعانى نفسها يرددها المتوفى بعد بعثه أمام محكمة الآخـرة . وهى خصال على أرفع مستوى خلقى يجب أن يتحلى به كل إنسان على وجه الأرض فيقول المتوفى الذى بعث :

" لم اكنن سببا فى بكاء أحد ، لم أصب أحدا بألم ، لم أبعد اللبـن عـن فـم صغار الأطفال .... لم أجدف على المعبود ، لم امتلى صلفا " .[٣] وفى نسخ أخـرى يقول :

" أنا لم أكذب ، أنا لم أغش " .[٤] " أنا لم أقتل ، أنا لم أسرق ، أنا لم أسبب نزاعا ، أنا لم أكذب ، أنا لم اطمع فى أى شئ ، أنا لم أسب ، أنا لم أغضـب ، لقـد تجنبت اللغو فى الحديث ، لم أقم بالتسلط على الآخرين ، أنا لم أكن متكبرا ، أنا لـم ألعن اسم المعبود ، أنا لم ارتكب أية خطيئة خلقية ، أنا لم امنع الخبز عن الجـائع ، ولا الماء عن الظمآن ، ولا الملبس عن العارى ، ولا أحمـل أثـر الخطيئـة علـى

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .
(٣) فرانسوا دوما " : آلهة مصر (ترجمة زكى سوس) الألف كتـاب (الثـانى) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١٠٢ .
(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـد الأول – الجـزء الأول ، ص ٣٦٢ .

جسدى " .(١) وعندما ينتهى من حديثه الطويل يعلن طهارته بقوله :

" إنى طاهر ، طاهر ، طاهر ، طاهر " أى طاهر النفس والبدن . وهكذا نجد أن الروح الأخلاقية تسرى فى كل الوصايا الملكية والشعبية التى وصلت إلينا من نصوص مصر القديمة ، حتى انه يمكن القول بان حضارتهم من زاوية معينة – تعتبر في المقام الأول – حضارة أخلاقية .

حادى عشر : المحافظة على التراث الذى توارثته الأجيال المتلاحقة سواء اكان تراثا فكريا أو عمليا او ماديا فقد لازمت خاصية المحافظة ومسايرة الجديد للقديم دون ان يقضى عليه الحضارة المصرية فى كل أطوارها وفى كل مظاهرها ، فقد توارثت مظاهر هذه الحضارة أجيال عديدة من المصريين القدماء ، فحافظت عليها وأحاطتها بسياج من العقيدة الراسخة والقيم والمبادئ (٢) . فعاشت تلك المظاهر عميقة فى داخل نفس كل مصرى قديم ، الذى كان لديه شعورا عميقا بالمحافظة على ما هو قديم لأنه جزء من تراث أجداده ، وبمحافظته على القديم من التراث كان له عظيم الأثر فى الحفاظ على أغلب ما توصل إليه أجداده الأوائل من معارف وعلوم وآداب والحفاظ أيضا على كل من أقاموه من آثار معمارية .(٣)

وخير ما نستشهد به بالنسبة لأهمية المحافظة على التراث هو ما جاء على لسان الوزير بتاح حتب الذى عاش فى القرن الخامس والعشرين ق.م . وهو من أقدم أصحاب التعاليم وفى سياق حديثه عن تراث السلف يقول :

" أن ذكراهم لتجرى على ألسنة الناس ، لأن أقوالهم سديدة ، كل كلمة منها

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٦ .

(٢) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر الفرعونية فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، مكتبة الأنجلو المصرية ن القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٢٦٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

(تراث) موروث ، لا تذهب واحدة منها سدى على هذه الأرض " .[١] ويذكر ننفر كابتاح فى بردية ديموطيقية من العصر المتأخر : " انه كان يريد قراءة النصوص الهيروغليفية وأدراك الكلمات الصحيحة للأقدمين " .[٢]

ومما يدل على ان بعض هذه المفاهيم لمقومات الحضارة المصرية كانت راسخة في عقائد عامة الناس وتفكيرهم ، وإنها مفاهيم ضرورية وشبه مقدسة لأنها جزءا من حياتهم اليومية ، نجد إنهم كانوا يصنعون تمائم تعبر عن بعض هذه المقومات ، كانوا يرجون من ورائها الحماية والتأثير فيما يريدون القيام بهم من أعمال . فالتعبير عن مقومات أو خصائص :

الاستقرار : نجد فى صنع تمائم على هيئة عمود " جد " .

مكونات الإنسان المصرى : نجدها فى صنع تمائم تمثل أعضاء الجسم مثل اليد تارة مقبوضة وتارة مبسوطة ، والذراع والساق والقلب ، وهذا ما نجده ممثلا أيضا فى حروف اللغة المصرية القديمة .

العقائد الدينية : نجدها فى صنع نماذج تمثل معبودات أمثال حورس وبس وإيزيس وانوبيس ونفتيس وبتاح وخنوم ونيت واوزير . وهى كلها معبودات تلعب دورا كبيرا فى حماية البشر أحياء كانوا أو امواتا كما أننا نجد مجموعة من الحيوانات المقدسة مثل البقرة والعجل والتمساح والقرد ورأس الثور ورأس الصقر وطائر الأيبس والعجل المقدس والعين الحامية وجات .[٣]

تقديس الحاكم : نجده فى صنع تمائم تمثل التيجان الملكية على اختلاف أشكالها .

---

(١) راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٢) آلن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ومراجعه د. عبد المنعم أبو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٥ .

(٣) Baines - Malek, Atlas of Ancient Egypt, p. 211 .

تقديس العمل : نجده فى صنـــع مجموعـــة مـــن التمـــائم تمثـــل أدوات المـــهندس المعمارى .[١]

المحافظة على التراث : نراه فى معظم البقايا المعمارية والأثرية العديدة المتنوعـــة المنتشرة فى جميع المناطق الأثرية وتدل من نفسها على أن المصرى القديم لم يعبـث أو يخربها أو يهمل فى صيانتها على مر آلاف السنين وهى تعبر خير شـــاهد علـــى روح المحافظة هذه التى كان يؤمن بها المصرى القديم فسلمت آثاره وحافظت علـــى خصائصها .

وتتجلى هذه الروح فيما قام به ملوك الأسرة السادسة والعشرين . فقد انتابت جميع ملوك هذه الأسرة نزعة عارمة لإحياء تراث الحضارة المصريـــة ومظاهرهـــا المتعددة وبعث تقاليدها ومثلها العليا . وبدأوا بالفعل حركة تسجيل وتدويـــن لجميـــع النصوص الأدبية والدينية والعلوم الرياضية والهندسية وتقليد الفنـــون التـــى كـــانت معروفة فى عصر الدولة القديمة ، وحاولوا أيضا تقليد الأسلوب القديم فـــى الكتابـــة وعادوا من جديد إلى إحياء الأسماء القديمة والعادات القديمة وبحثـــوا عـــن وثـــائق وكتابات العصور القديمة وأعادوا ترتيبها وترميمها . وقد تم تقليـــد ألقـــاب الشـــرف القديمة واخذ النحاتون والنقاشون ينسخون فى حرية نقوش الدولـــة القديمـــة وزينـــوا بعض المقابر فى سقارة بمقتطفات نقلت عن متون الأهرام [٢] هـــذا بالإضافـــة إلـــى قيامهم بالعديد من أعمال الصيانة والترميم لمعظم الآثار التى خلفها ملوك الأســـرات السابقة .[٣] وفى عصر الأسرة الثلاثين قام الملك نختنبو الأول بنشاط معمارى كبـــير فخلف آثار كثيرة فى أكثر المناطق فى الصعيد والدلتا وقام بترميم العديد من المعـــابد كما قام الملك نختبو الثانى ببناء وترميم العديد من المعابد فى أرجاء البـــلاد وأظـــهر

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـــد الأول – الجـــزء الأول ، ص ١٩١ .

(٢) الن جاردنر : مصر الفراعنة (ترجمة د. نجيب ميخائيل ود. عبد المنعـــم أبـــو بكر) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، ص ٣٨٨ .

(٣) مختار السويفى : مصر والنيل فى أربعة كتب عالمية ، ص ١٣١ .

المهندس والفنان المصريان أن الجذوة لم تزل متقدة فى النفوس فعاد للفن كثير من جماله واخرج المثالون قطعا فنية تثير الإعجاب .(١)

ثانى عشر : ثبات مقومات الحضارة أمام المحن ولم تتغير أو تفقد أصالتها لأنها كانت تعبر عن خصائص المصريين القدماء أنفسهم وتؤكد على ذاتهم المصرية الأصلية . لأن الحضارات لا تزدهر إلا إذا كانت معبرة عن خصائص شعبها مستلهمة إمكانياته وقدراته ومعبرة عن فكرة ومتسقة مع روحه الوطنية . ففى خلال العصور التاريخية الطويلة عانى الشعب المصرى من فترات الضعف التى يمكن ان يتعرض لها أى مجتمع إنسانى مثل الاضطرابات الاجتماعية والأزمات والثورات والمجاعة والغزوات والاحتلال الأجنبى ولم يسلم من اى من هذه الأمور ، ولكن أى من هذه العوامل لم يؤثر فى عمق أو جوهر مقومات حضارته . فظلت الحضارة المصرية محتفظة بكيانها وشخصيتها الوطنية فى أعقاب الثورة الاجتماعية فى نهاية الدولة القديمة وفى عهود المجاعة فى عصر الملك جسر من الأسرة الثالثة . وفى العصر الاهناسى كما تشير إلى ذلك نقوش المعلا وفى عصر الدولة الوسطى وفى أوقات احتلال الهكسوس لأرض مصر وفى أثناء الثورة الدينية التى قام بها إخناتون وفى أثناء الاضطرابات الاقتصادية التى وقعت فى نهاية حكم الملك رمسيس الثالث وفى أثناء الاحتلال الآشورى لها وفى أثناء الغزو الفارسى وقيام الحكم الفارسى على أرض مصر ، وفى أثناء غزو الإسكندر وقيام حكم البطالمة والرومان من بعدهم ، ونجد أن الحضارة المصرية ظلت أثناء هذه المحن تعبر عن خصائص شعبها ولم تتغير مقوماتها ولم تغلب على أمرها أو تنطوى أو تخمد طاقات الفكر والعمل عند الإنسان المصرى القديم إذ ظلت الروح المصرية حية تنبض فى صدور أهلها . واستطاعت العصبية الوطنية الشديدة لدى المواطنين المصرين أن تجد متنفسا عن طريق عدة مظاهر سياسية وحضارية .

وتشير الأدلة الأثرية والوثائق من عصر البطالمة والرومان إلى إن

---

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، الطبعة الخامسة ١٩٨١ ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .

المصريين بوجه عام استمروا يعيشون كما كان يعيش أجدادهم من قبل ، محتفظين بنظمهم الإدارية التى عرفوها منذ عصر الدولة القديمة ويخضعون لقوانينهم التى توارثوها ، ويمارسون عاداتهم وتقاليدهم المألوفة [١] ، وأن ملايينهم كانوا يفلحون الأرض وألوفهم يشتغلون بالصناعات والحرف والتجارة ، ويعبدون المعبودات التى آمنوا بها ، ومنذ تلك الفترة نلحظ ازديادا واضحا فى التدين المصرى ، ويتخاطبون ويكتبون بلغتهم الوطنية معتزين بثقافتهم الأدبية والعلمية وخير شاهد على ذلك إشادة كتاب الإغريق بحكمة المصريين القدماء ووفود الكثيرين من أبرز الشخصيات الإغريقية على مصر لينهلوا من مواردها الغنية فقد كان كهنة مصر أوسع أهلها علما ، محافظين على نقاوة فنونهم وروح الإبداع فيها . لذلك عندما غطى الغشاء اليونانى هذه الروح المصرية الأصيلة كان غطاءا رقيقا وازداد رقة حتى لا تبدو ملامحه كلما توغلنا فى جنوب الوادى وبعدنا عن ساحل البحر المتوسط الذى كانت المراكز الإغريقية فى الأغلب منحصرة عليه وخاصة فى الإسكندرية .

لقد عجزت الروح اليونانية عن أن تتغلغل فتسرى فى أعماق العقلية المصرية ، إذ كان الدين راسخا فى الأعماق ومن ثم يتعذر ان تزعزعه أو تقتلعه روح عشقت زخرف الحياة الدنيا ولم تتجاوزه دون التفكير فى عالم الأخرة الذى آمن به المصريون القدماء أشد الإيمان . واستسلم اليونانيون للطقوس الدينية المصرية ، وتوج الإسكندر على الطريقة المصرية ، وظهرت صور ملوك البطالمة والأباطرة الرومان على جدران المعابد المصرية وهم يتعبدون إلى المعبودات المصرية . ولم تظهر آلهة المدن الإغريقية على جدران المعابد المصرية لأن آلهة الإغريق تتصرف كالبشر وليس لها نفس القدسية لهذا وجد الملوك البطالمة البديل لإشباع وجدانهم الدينى فى الظهور على جدران المعابد المصرية وهم يتعبدون إلى المعبودات المصريين ويتقربون إليها ، ويحاولون أن ينهلوا من ذلك الينبوع الدينى العتيق ، وذلك الينبوع الذى نهلت منه حضارة المصريين القدماء أسباب وجودها

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، النجلو المصرية ١٩٦٦ ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

واستمرارها . وربما كانوا فخورون أن تظهر صورهم على جدران أهم المعابد المصرية .

ولم تكشف لنا الحفائر عن أى معبد للآلهة الإغريقية له أية قيمة دينية أو تاريخية وأن كنا نعرف أنه قد أنشئت معابد كثيرة لهذه المعبودات فى الإسكندرية(١). وقد قصر البطالمة منشآتهم الدينية فى بداية عهدهم على الدور التقليدى الذى كان ملوك مصر يقومون به فى العصور السابقة ، وهو القيام ببعض الترميمات أو الإضافات الجزئية أو إكمال زخرفة بعض الجدران . ففى معبد الأقصر أقيم فى عهد الإسكندر الأكبر هيكل صغير كان مصريا في تصميمه وعمارته وزخرفته . وفى معبد الكرنك أنشئ هيكل آخر من الطراز نفسه أيام فيليب ارهيدايوس وهو أخ غير شقيق للإسكندر الأكبر (٢) وتم زخرفة إحدى قاعات هذا المعبد فى عهد الإسكندر الرابع (٣) ، إلى جانب إضافات فى هذا المعبد من عهدى بطلميوس الثالث والرابع والثامن ، كما نرى إضافات البطالمة فى المعابد الجنائزية فى البر الغربى .(٤)

إلى جانب هذه المنشآت الثانوية ، أنشأ البطالمة معابد مصرية كبيرة للمعبودات المصرية فى أدفو ودندرة وكوم أمبو وإسنا وفيلة ودير شلويط ، وهى معابد مصرية فى تصميمها وعمارتها وطرازها وزخرفتها وتخلو من التأثيرات الإغريقية خلوا تاما . فقد استطاعت مصر دائما عقب الغزوات الخارجية التى تعرضت لها أن تقيم ثانية فى كل مرة أسرة ملكية جديدة من أهل البلاد ، تحتفظ

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، ص ٢٦٦ حاشية (١٩) .

(٢) راجع د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٤٤ .

(٣) الإسكندر الرابع جاء بعد فيليب ارهيدايوس ، وحكم مقدونيا ، راجع المرجع السابق ، ص ٧٠ . ولا شك أن فى ماتم باسم فيليب ارهيدايوس والإسكندر الرابع كان من عمل بطلميوس الأول عندما كان حاكما على مصر ويحكم باسميهما ، راجع : المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ٢٦٥ .

(٤) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ٢٦٨ – ٢٦٩ .

بالتقاليد القومية القديمة فى نظم ومظاهر الحضارة المتوارثة ، ولكن منذ هذه اللحظة لم يرتق عرش مصر ثانية ملك وطنى ، فإنه منذ قدوم الإسكندر خضعت مصر ما يقرب من عشرة قرون لحكام أجانب من البطالمة ثم الرومان . وبعد ذلك أصبحت جزءا من الدولة الإسلامية ، فاكتسبت بذلك ديانة جديدة ونظام حكم جديد ونظام اجتماعى جديد وثقافة جديدة (خاصة فى مجال اللغة) وعلوم جديدة وفنون جديدة وأساليب تربوية ونظم تعليم جديدة وبذلك توقفت استمرارية الحضارة المصرية القديمة وبدأت مسيرة الحضارة الإسلامية على ثرى الأرض الطيبة نفسها واستطاعت أن تغشيها تماما الحضارة الإسلامية ذات الروعة والجمال والتى شيدتها الأجيال من المصريين جيلا بعد جيل .

ونجد أن هذه العوامل أو المقومات التى ساعدت على تطور وازدهار الحضارة المصرية ، والتى قمنا باستخلاصها من النصوص ودراسة الآثار التى وصلت إلينا قد جرت الإشارة إليها أو إلى بعضها فى كتابات المؤرخين والرحالة والجغرافيين اليونان والرومان الذين زاروا مصر فيما بين القرن السادس قبل الميلاد والثانى بعد الميلاد ، وكذلك فى كتابات بعض الفلاسفة وأهل الفكر اليونان كما تنبه الملوك البطالمة والأباطرة الرومان عند حكمهم لمصر إلى أهمية هذه العوامل وهذه المقومات .

فبالنسبة لعامل البيئة وأثره على استقرار الحضارة نجد أن هيكاتيه الملتى اهتم بالنواحى الجغرافية لطبيعة أرض مصر أكثر من اهتمامه بسكان البلاد وتاريخهم . وتحدث هيرودوت أيضا عن جغرافية مصر ومدنها ، فنجده يذكر :

" أن المصريين الذين يعيشون فى جو فريد ، على حافة نهر يمتاز عن بقية الأنهار الأخرى ، كانت لهم معتقدات فى كل شئ والمجالات تقريبا ، وعادات وتقاليد على اختلاف الشعوب الأخرى " .[١] وشرح بتفصيل التكوين الطبيعى لأرض مصر

---

(١) Herodote – Thusydide, Oeuvres Completes, texte presenté, traduit et annoté par A.Barguet, Paris (1964), p. 155 (35) .

التى تكونت نتيجة لطمى النيل ، ووصف أيضا بعض الظواهر الجغرافيـة والنيـل : مصادره ، فيضانه ، المناظر الطبيعية المختلفة ، خصائص الدلتا ، وحياة البحيرات .

وبالنسبة لتدفق عطاء الإنسان المصرى القديم نجد انه فى عـهد البطالمـة والرومان أقام المعابد الضخمة فى أدفو ودندرة وكوم أمبو وإسنا وفيلة ، وهى معـابد مصرية فى تصميمها وعمارتها وطرازها وزخرفتها ونرى بصمات يد الفنان العـامل والنقاش المصرى فى كل مكان ، فعبر عن هذه النقوش والمناظر المتعـددة أراد أن يعبر عن روحه المصرية الصميمة وعطائه المستمر فشيدها بنفس الإتقان والمـهارة وأخرجها فى أحسن صورة كما هى العادة دائما ، وربما بصورة أكثر اتقانا مـن ذى قبل ليثبت ذاته المصرية وقدرته التى تتحدى الوجـود الأجنبـى وأراد عـبر هـذه المنجزات أن يثبت كذلك أن الأصالة المصرية لا تموت ، فعبر هذه الصـورة علـى الجدران إنما هو يقاوم فى صمت وأن تراثه حى ولم يمت .

وبالنسبة إلى الجانب الديني نجد أن هيرودوت تحدث عن المعتقدات الدينيـة الى ارتبطت برموز حيوانية وكان مصدر حيرة له . وزار المعابد الكبرى فى سـايس وتل بسطة ومنف . ونلمس فى كتاباته أن المعتقدات الدينية قـد أثـرت فيـه كثـيرا وجذبت انتباهه وقد أراد أن يرى فى المعبودات المصرية صورة طبق الأصـل مـن المعبودات اليونانية . وأشار إلى الأعياد الدينية التى كان يحتفـى بـها فـى المـدن الكبرى ، مثل عيد القناديل الموقدة فى سايس ، وعن وحـى المعبـودات والعـادات الجنائزية وكان يتحدث عن المعبود اوزير باحترام بالغ ، وكان يمتنع غالبا عن ذكـر بعض التفاصيل التى من شأنها أن تكشف أسرار قد تعتبر انتهاكا للحرمات .(١)

وتحدث ديودور الصقلى فى كتابه عن معتقـدات المصريـين والمعبـودات المصرية التى كانت تعبد فى مختلف المدن .(٢)

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول طبعـة ٢٠٠١ ، ص ٢٤٨ - ٢٥٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥ .

واهتم بلوتارخ بالعقائد المصرية[١] وخاصة أسطورة اوزيـر وايـزه حتـى افلاطون تأثر فى آخر مؤلفاته بالديانة المصرية وشبه المعبودة نيت ، معبودة سـايس بآثينا (خاصة فى الفقرة ٢٣) .[٢] وشعر الملوك البطالمة والرومـان بأهميـة هـذا العامل فى حياة المصريين فشيدوا من جانبهم المعابد الضخمة فى أدفو ودندرة وإسـنا وكوم أمبو وفيله ومدامود وارمنت وفى دوش بالواحات ، وكلابشه فى بـلاد النوبـة (نقل الآن جنوب أسوان) .

وبالنسبة لجانب تقديس الحاكم وطاعته نجد أن الملوك البطالمة والرومان قـد تشبهوا بملوك مصر السابقين فأضفوا على أنفسهم طابع القداسة . فتلقبوا بألقاب ابـن المعبود أو المعبودة والمحبوب من المعبود أو المعبودة . وركزوا على فكرة الميـلاد المقدس ، حتى يقنعوا الشعب المصرى بأنهم مثل حكامهم السابقين من نسل وخلـف مقدس ، فكان يلحق بالمعابد البطلمية والرومانية معبد صغير يسمى " معبـد الميـلاد (المقدس) " [٣] . ومن هذه المعابد (الماميزى) الباقية حتى الآن ما هـو ملحـق بمعابد : دندرة ، فيلة ، كوم امبو ، أدفو ، ارمنت ، كلابشة [٤] وكان يؤدى فى هـذه المعابد طقوس يومية وخاصة طقوس تقديم " اللبن " للطفل المولود .[٥]

وبالنسبة للقوانين فيذكر ديودور الصقلي أن التشريعات كانت دائما موضوعة تحـت أعين القضاه . وهذا ما أكده أفلاطون حينما قرر فى كتاباته : " لقد كان لكل شئ فـى مصر القديمة قانون "[٦] وبالنسبة لعامل احترام العمل وذوبان ذاتية الفرد فقـد فـهم الملوك البطالمة والرومان أهمية هذا العامل وقميته عند المصريين القدمـاء بجميـع طبقاتهم فوجهوا الطاقات المعهودة والمعروفة إلى تشييد المعابد الضخمة التى ذكرناها من قبل معابد أدفو ودندرة وكوم أمبو وإسنا وفيله .

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٢٥٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .
(٣) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعـة الثالثة ، ١٩٦٦ ، ص ١٢ – ٢٨ ؛ Daumas, les Mammisis des temples égyptiens, Paris 1958 , p 88 – 223 .
(٤) Daumas, op. cit., p. 79 – 122 .
(٥) Daumas, op. cit., p. 163 – 232 .
(٦) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، ص ٢٨ .

وقد زينت جدران هذه المعابد بزخارف مصرية صميمة ، تمتاز بدقة صنعها وحسن انسجامها وبجمال ما فيها من التوازن بين شخصيات مناظرها وما حولها من النقوش الهيروغليفية التى تفسر هذه المناظر . واكمل هذه المعابد اليوم وأكبرها هى المعابد الثلاثة الأولى : دندرة ، أدفو ، كوم أمبو .

وقد استغرق تشييد معبد أدفو وتزينه حوالى مائة وثمانين عاما ، لنا أن نفهم الدقة التى خرجت عليها صورة هذا المعبد ودقة كل نقش وكل كلمة منقوشة على جدرانه .(١)

أما بالنسبة لقيام مجتمع متماسك البناء فقد استبدت الدهشة بالرحالة اليونانيين من وضع المرأة فى المجتمع المصرى القديم . ويروى ديودور الصقلى فى شئ من الضيق بأن الرجل على ضفاف النيل كان يفرض عليه عقد الزواج الطاعة لزوجته ، وقد فهم الحرص على مراعاة الزوجة والمحافظة عليها على أنه طاعة لها ، فقد دأب الرحالة اليونان أن يشاهدوا ربط نسائهم بحبل قصير وجرهن وراءهم .(٢)

أما بالنسبة للتمسك بالقيم الخلقية ، فقد لمس الرحالة اليونان ذلك بأنفسهم ، ويقول سترابون :

" من التقاليد التى كان يرعاها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " .

ويقول ديدور الصقلي : " أن مما يميز حياة المصريين أن الطفل عندهم يلقى حظه الكامل من التربية والرعاية " .

وقد شهد هيرودوت للمصريين بعدة فضائل سبقوا بها كافة الشعوب منها : " انهم أول من راعى السنة أو التقاليد التى تحرم مباشرة النساء فى المعابد ودخولها بعد ذلك دون اغتسال " أى دون طهارة .(٣)

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ١٩٦٦ ، ص ٢٧١ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣ – ٢٧٥ .
(٣) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٢٤٥ .

ونعرف بلوتارخ (٤٦ م - ١٢٠م) ذلك المؤرخ اليونانى الذى درس الفلسفة ولا سيما الفلسفة الأخلاقية والذى زار بلاد كثيرة من بينها الإسكندرية ، نجده يتحدث فى مؤلفه " الأخلاقيات " عن عقيدة اوزير وايزه لما فيها من معانى خلقية : الوفاء والصراع بين الخير والشر الذى هو صراع أبدى .

وبالنسبة لثبات المقومات أمام المحن وأنها لم تتغير أو تفقد أصالتها ، نجده أن ذلك يتمثل فى فن العمارة وفيما أخرجته يد الفنان المصرى الأصيل فى بناء المعابد فى عصر البطالمة والرومان فمعبد أدفو الذى بدأ فيه فى عهد بطلميوس الثالث وانتهى من تزينه ومن تكملة بقية أجزائه فى عام ٥٧ ق.م . هو معبد مصرى بحت فى تصميمه وعمارته وطراز زخرفته ، حتى أن علماء الآثار لم يستطيعوا التعرف على تاريخه قبل قراءة نصوصه ، مما يدل على أنه يخلو من التأثيرات الإغريقية خلوا تاما . (١) ومعبد دندرة الذى بدأه بطلميوس التاسع (سوتر الثانى) نجد أنه لم يتم بناؤه إلا حوالى منتصف القرن الأول فى عهد الأباطرة الرومان . وهذا المعبد كغيره من معابد البطالمة والرومان ، بالرغم من تأخر عهده وإنشائه بعد زوال عصر الأسرات المصرية السابقة لا نلمس فيه أى أثر للفن الإغريقى ، فهو مصرى خالص فى تخطيطه وعمارته ونقوشه ومواضيع زخرفته .(٢)

وأخيرا بالنسبة لمعبد كوم أمبو فقد أنشئ فى عهد بطلميوس السادس (فيلومتور) لكن زخرفته لم تتم إلا فى العصر الرومانى . ونرى فى هذا المعبد أيضا الخواص نفسها التى نجدها فى غيره فى المعابد المصرية البطلمية من حيث التصميم والعمارة والزخرفة المصرية الأصيلة .(٣)

وهناك أيضا معبد فيله الذى بدأ بناؤه فى عهد بطلميوس الثانى (فيلادلفوس)

----

(١) د. إبراهيم نصحى : المرجع السابق ، ص ٢٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٧٥ .

ويمتاز هذا المعبد ببهائه ورونقه ، إذ بنى جميعه من جرانين اسوان الأحمر [١] ، وأكمل هذا المعبد بطلميوس الثالث وبعض الملوك البطالمة . ومعبد إسنا الذى بدأ بناؤه فى عهد الملك بطلميوس السادس (فيلومتور) [٢] . ومن المحتمل أن البطالمة أقاموا لإيزيس عدة معابد فى الإسكندرية وما يجاورها [٣] وذلك فى طراز مصرى صميم .

وأخيرا فإن هذه العوامل التى ذكرناها وكانت السبب الرئيسى فى تطور وازدهار الحضارة المصرية قد استمرت لفترات طويلة جدا مما يدل على تأصلها العميق فى حياة المصريين القدماء ، ويدل على أهمية طابع الاستمرار فى هذه الحضارة . وبالإضافة إلى تأصل هذه العوامل فى نفوس المصريين القدماء وتأثيرها المباشر فى حياتهم اليومية ، فقد كان لهذه العوامل تأثير أيضا فى حياة الشعوب والحضارات التى اتصلت بالحضارة المصرية وأفادت منها وفى مقدمتها الحضارة اليونانية التى نجح فلاسفتها وأهل الفكر فيها فى امتصاص رحيق ازدهار تلك الحضارة والنهل من معين ثقافتها وعلومها وآدابها . ولا يزال ذلك الرحيق وهذا النهل يجذبان الكثيرين من المتخصصين وغير المتخصصين فى العصر الحديث من شتى بقاع العالم لكى ينهلوا منه ويشيعوه بين الناس فى كتبهم ومؤلفاتهم .

وإذا ساد الاعتقاد عند بعض الزوار الأجانب المبهورين أمام ضخامة الآثار المصرية بان المصريين القدماء الذين صنعوا تلك الآثار ، أناس غير طبيعيين يتمتعون بقدرة فائقة على الإتيان بالخوارق ، وأنهم قد استعانوا بالسحر فى تنفيذ كل هذه الإنشاءات الهائلة ، فعليهم الرجوع إلى تلك العوامل التى ذكرناها ليدركوا أن وجود هذه العوامل مجتمعة تحقق المعجزات وهى التى منحتهم القدرة على إرساء أقدم وأعظم حضارة عرفها تاريخ البشرية الحضارى . ففى الوقت الذى كان فيه

---

(١) د. إبراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، الجزء الثانى ، الطبعة الثالثة ، ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٨ حاشية (٧) .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

الأسلاف البعيدين لهؤلاء الزوار الأجانب يعيشون على الصيد من أجل الحصول على قوتهم ويسكنون الكهوف ، كان المصريون القدماء يعرفـون العديـد مـن مظـاهر الحضارة وبفضلهم أصبحت مصر ذلك البلد القديم فى حضارته أول بلد عرف أهلـه الزراعة ، وعرفوا كيف يعيشون فى مدن ، وكيف يصنعون الأدوات مـن الحجـارة ومن المعادن ، وكانوا أول من اخترع الكتابة والحروف والرموز ، وأول مـن أعـد قوائم التقويم واختراع مزاول الشمس ، وكانوا أول من عرف نظم الحكـم والإدارة ، وأول من اعتقد فى قدرة الأرباب ، وكانت لهم معتقدات فـى الحيـاة الدنيـا وعـالم الآخرة ، وأول من توصل إلى المعارف الدقيقة فى العلوم وخاصة العلـوم الهندسـية والرياضيات ، وأول من عرف الفنون وخاصة العمارة وضخامة البناء وروعته ودقة النحت والنقش والرسم فكان هؤلاء المصريون القدماء فنانين أقدر من فنانى العصـر الحاضر ، وقوما يحبون الجمال فى الفن أكثر من الآن ، ولهذا أقاموا الآثار ضخمـة ظلت آلافا من السنين من بعدهم كشاهد للعالم عن قدرتهم ومقدرتهم وكرمز معبر عن ازدهار حضارتهم . ولاتزال هذه الآثار كالأهرام والمعابد والمقابر المنتشـرة علـى طول البلاد تلقى فى نفس كل من يراها الإعجاب والدهشة ، فاعجب بـها الأجـانب سواء من العلماء أو من غير المتخصصين أو من الأشخاص العـاديين أكـثر مـن إعجابهم بآثار أى شعب آخر . ويمكن القول فى النهاية بأنه لو فرض أنـه لـم يبـق لمصر من مظاهر حضارتها القديمة سوى عمارة هذه الأهرام والمعابد والمقابر لكفـى ذلك كدليل مادى خالد على المعارف التى توصل إليها هؤلاء المصريون القدماء فـى مظاهر حضارتهم العريقة .

الباب الرابع

نظم الحكم والإدارة

كان المصريون القدماء من أوائل شعوب العالم التى عرفت معنى الوحـــدة السياسية . وبفضل هذه الوحدة أصبح هناك ملك واحد يطيعه الناس عن حب واحترام وتقديس وكان لابد للملوك الأوائل الذين حققوا وحدة البلاد السياسية أن يكون بـالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم . فمنذ عصر بداية الأسـرات تكونت الحكومة فى مصر القديمة وذلك من مجموعة كبيرة من كبار الموظفين الذيـن كانوا يقومون بتنفيذ أوامر الملك وتلقى التعليمات منه . هذا إلى جانب عدد معين مـن صغار الموظفين ، ومن هنا نشأت الإدارات الحكومية المختلفة .

وفى البداية كانت الوظائف محدودة ، ولكن الوظائف محدودة ، ولكن نظـرا لتطور النظام الإدارى فى البلاد بعد ذلك ، أصبح الجهاز الحكومى متعـــدد الأفـراد والوظائف وهكذا كان المصريون القدماء من أقدم شعوب العالم التى وضعت أسـس نظم الحكم والإدارة . وكل هذه النظم كان لها أثرها الفعال فـى توطيـد الأوضـاع السياسية فى مصر القديمة وتثبيت دعائمها . وعلى الرغم من تركيز السلطة فى يـد الملك إلا أنه لم يكن ينفرد بالرأى . ولهذا خلا تاريخ مصر السياسى القديم فى أغلـب عصوره من الثورات الكبرى التى تقوم ضد الحاكم فى أوقـات الضعـف السياسـى والأزمات الاقتصادية . وبالطبع عرف تاريخ مصر القديم ثورة واحدة كـبرى فـى مكان العاصمة منف نتيجة للضعف السياسى الذى أصاب البلاد فـى نهايـة عصـر الدولة القديمة ، كما عرف ثورات أخرى فى أماكن محدودة وعلى فـترات محـدودة نتيجة للأزمات الاقتصادية التى كانت تصيب البلاد أحيانا ، ولكن لم يكن هناك تمـرد أو عصيان دائم أو عام ولكن ثورات عنيفة ومستمرة ضد المحتلين الأجانب .

وكان مسلك الشعب المصرى القديم يتميز بمجهود حقيقى لإطاعة المعبودات واحترام قوانين الدولة واحترام وتبجيل الملك ، لكى يصبح فـى علاقـة طيبـة مـع

المعبودات والحكام ، وكان المصريون ، سكانا طيبين ، من السهل حكمهم ، متحفظين إلى درجة كبيرة فى عاداتهم ولم يخرجوا عن قواعد السلوك العامة . وكان كل ملك يرغب فى أن تسود عدالة حكمه . فكانت كلمته هى القانون ، وكان يحكم بين الناس بالعدل .

مراحل التطور السياسى قبل قيام الأسرة الأولى :

نزحت إلى مصر منذ أقدم العصور قبائل وجماعات ، سكنت الصحارى أولا ، ثم هاجرت إلى ضفاف النيل حيث وجدت سبل الرزق سهلة ميسورة ، وسرعان ما تعلمت الزراعة واستئناس الحيوان وعمدت إلى الاستقرار .

ويمكن القول أن ظروف الحياة فى البيئة المصرية هى التى فرضت على الإنسان عامل التعاون المشترك . وذلك لنفع مشترك ، وهو الاستفادة من مياه النيل وتنظيم الرى عن طريق شق الترع والقنوات والعمل على توسيعها وتنظيفها كل عام. وإما لدفع خطر مشترك وهو تجنب الأخطار الجانبية التى تنتج عن فيضان النيل وذلك بإقامة الجسور وتقويمها ومراقبتها وصيانتها .

وأخذت تلك الجماعات تتجمع وزادت أعدادها ولجأت إلى إقامة المساكن الدائمة المتجاورة فى المناطق البعيدة عن الفيضان وأخطاره . وبدأ يطرأ على هذه الجماعات التغير فى حياتهم الاجتماعية ، وبدأت تنتقل من حياة القبيلة إلى حياة القرية ، وأخذت تتجمع فى قرى صغيرة ، وبعد ذلك اندمجت تلك القرى مع بعضها البعض وأدى ذلك إلى نشأة المدينة . وانتقلوا بعد ذلك من حياة القرية أو المدينة إلى حياة أوسع أفقا هى حياة الإقليم ، الذى تمثل فى مملكة صغيرة يحكمها حاكم يقوم على رعاية شئونها وتدبير أمورها الإدارية .[١]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٢ ، ص ٩٢ – ٩٣ .

وكان لابد من قيام حاكم أو رئيس من البداية لتوجيه الناس والاستفادة من جهودهم وتوحيد تلك الجهود فى مجال الرى والزراعة واستصلاح الأراضى . ومن هنا قامت السلطة المركزية فى الأقاليم التى تنظم العمل وتشرف عليه وإلى جانب ظهور الأقاليم المختلفة ظهرت كذلك بعض المدن التى كانت تتمتع بنوع من القداسة الدينية منذ أقدم العصور ، أو المدن التى كانت تتمتع بنوع من القوة السياسية بفضل حكامها ولعبت دورا فى التطور السياسى .

ففى العصور التى سبقت قيام الأسرة الأولى ، كانت مصر مقسمة فيما يبدو إلى عدة أقاليم قامت فى بعضها بيوت قوية وممالك هامة . وكان لبعض هذه الأقاليم عواصم أو مدن رئيسية . ووصلت إلينا فيما بعد قوائم بعدد هذه الأقاليم ، اختلفت أعدادها عبر العصور، وفى الواقع أنها قليلة العدد فى عصور ما قبل الأسرات . ولكن نعرف من بعض النقوش من العصور التالية أنه نشأ اثنان وعشرون إقليما فى الوجه القبلى وعدد يتراوح فى العصور المختلفة بين الستة عشر والعشرين إقليما فى الوجه البحرى .

وكان لكل إقليم رمزه الذى يميزه عن غيره من الأقاليم ، وقد اتخذت هذه الشارات فى بعض الحالات أشكال المعبودات المحلية أو الرموز التى تشير إليها ، والتى عبدت فى الأقاليم المختلفة منذ أقدم العصور وكانت هذه الرموز تصور فوق أعلام تثبت فوق العلامة الهيروغليفية التى تعبر عن اسم الإقليم . وكان على رأس كل إقليم حاكمه ، وعن هؤلاء الحكام لم يصلنا أى أثر حتى الآن .

ثم أخذت تلك الأقاليم تتحد مع بعضها تارة بدافع المصلحة المشتركة ، وتارة عن طريق الغزو وذلك عندما حاول بعض حكام الأقاليم بدافع الطمع والرغبة فى بسط النفوذ ، ضم الأقاليم الأخرى الصغيرة تحت لوائه ، مما أدى إلى تكوين دويلات صغيرة أو ممالك صغيرة تضم كل منها بعض تلك الأقاليم . وظهرت فى تلك الأقاليم أيضا بعض المدن الهامة .

ومرت هذه الممالك الصغيرة والمدن الهامة بمراحل سياسية شتى حتى انتهى الأمر بالتوحيد السياسى للبلاد من ممالك صغيرة فى الوجه القبلى والوجه

البحرى إلى مملكتين كبيرتين فى كلا الوجهين إلى مملكة واحدة أو أسرة ملكية واحدة هى الأسرة الأولى .

ونعتمد فى تحليلنا لتلك المراحل على نقوش الصلايات ومقامع القتال وبعض الآثار الصغيرة الأخرى . وما جاء فى متون الأهرام من إشارات عن أحداث قديمة . وربما على ضوء بعض العناصر الأثرية التى كشف عنها منذ فترة فى سقارة وحلوان ربما نستطيع أن نحدد تنظيم البلاد إداريا أكثر فأكثر فى قلب تلك القرون الغامضة من عصور ما قبل الأسرات . ولهذا فنحن نأسف لأننا لم نستطيع أن نتعرف على المشاكل التى كانت تخص النظام الإدارى للبلاد . وكل ما نستطيع أن نقوله أن تلك الأقاليم المصرية وبعض مدنها مرت بمراحل صراع سياسى ، بلغت ثمانية ، فى سبيل تكوين الوحدة السياسية فى عصور ما قبل الأسرات ، وذلك كما بينها فى كتابنا السابق .(١)

وظهرت تبعا لذلك ممالك صغيرة قوية فى الوجه القبلى والبحرى ودخلت فى صراع فيما بينهما ، وكانت الغلبة لأحدهما على الأخرى وفى كل مرة كانت المملكة فى الوجهين تتخذ عاصمة جديدة وتحاول أن تروج لمعبودها كمعبود رسمى .

وفى المرحلة السابعة من الصراع ، انفصلت مملكة الوجه القبلىعن مملكة الوجه البحرى ، وعادت مصر إلى مملكتين إحداهما فى الشمال واتخذت عاصمتها فيما يبدو فى مدينة " ب او بوتو " ، وهى تل ابطو أو تل الفراعين الحالية فى شمال شرقى دسوق ، وقد اتخذ البيت الحاكم الذى تأسس فى هذه العاصمة ، المعبودة واجيت حامية لهم ، ويرمز إليها بالحية ، كرمز الحماية ، وكانت تعبد فى مدينة مجاورة لمدينة ب .

واصبح نبات البردى الذى ينمو بكثرة فى المستنقعات المجاورة ، هو الرمز العام للوجه البحرى . واتخذ حكام المملكة النحلة شعارا ملكيا لهم واتخذوا التاج

---

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤١٦ – ٤٢١ .

الأحمر تاجا ملكيا لهم . وظلوا أوفياء لعبادة معبودهم فى مدينة "ب" وهـو المعبـود حورس حامى الملكية . وقامت مملكة فى الجنوب واتخذت عاصمتها فى مدينة " نخن " التى أطلق عليها الإغريق اسم هيراقونبوليس بمعنى مدينة الصقر ، التى تسمى الآن الكوم الأحمر شمال إدفو بنحو ٢٠ كم ، واتخذ البيت الحاكم الذى تأسـس فـى هـذه العاصمة ،المعبود نخبت التى كان يرمز إليها بأنثى العقاب حامية لمملكتهم . وكـانت تعبد فى مدينة نخب على الضفة الشرقية للنيل فى مدينة الكاب الحالية ، وأصبح نبـات اللوتس الذى كان ينمو بكثرة فى بعض أراضى الوجه القبلى هو الرمز العام للوجـه القبلى . واتخذ حكام المملكة نبات البوص أو الخيزران أو الأثل الذى كان يطلق عليـه اسم سوت رمزا ملكيا لهم . واتخذوا التاج الأبيض تاجا ملكيا لهم . وظلـوا أوفيـاء لعبادة معبودهم الرئيسى أو الرسمى حورس الذى وفد عليهم أصلا من الشمال فقدسوه واعتبروا أنفسهم اتباعا له .

ويبدو أن هذه المملكة اقتصرت على الجزء الذى ينحصـر بيـن القصـير وإدفو . وفى المرحلة الثامنة والأخيرة قبل قيام الأسرة الأولى بثلاثة قرون ونصـف ، قامت سلالة ملكية أو بيت مالك جديد فى مدينة ثينى (طينة) التى تقوم على أطلالـها حاليا أو تقع بالقرب منها مدينة جرجا . وكان حكام الوجه القبلى قد انتقلوا إليها وذلـك قبل قيامهم بتوحيد البلاد مباشرة نظرا لموقعها الذى يتوسط أراضى الصعيد وقربـها من جبانتها ابيدوس وهى العرابة المدفونة حاليا . ومن المحتمل أيضا أن هذه السـلالة قد هزمت البيت المالك فى نخن ، وحلت محلها . ومن المحتمل كذلك أن أسرة ثينـى ربما كانت فرعا من البيت المالك فى نخن . وكان حكام ثينى يدينون بالولاء للمعبـود حورس أيضا . ويلاحظ أن كلا من المملكتين فى الشمال والجنوب اتخذتـا المعبـود حورس معبودا رسميا وذلك مما يدل على أهمية هذا المعبود فى هذه الفترة .

ولا نعرف حقيقة الظروف التى حاطت بقيام الوحدة السياسية للبلاد على يـد أو ملوك الأسرة الأولى نعرمر – منى . ونعلم فقط أن الأسرة الحاكمة القوية فى ثينى بالوجه القبلى اعتزمت محاربة مملكة الوجه البحرى فزحفت إلى الشمال ونجحت فـى مهمتها ووحدت الوجهين فى مملكة واحدة فلما تم توحيد الوجهين أصبح الملك يلقـب بلقب " ملك مصر العليا والوجه البحرى " ويتحلى بتاجين أحدهما يرمز إلـى الوجـه

القبلى وهو التاج الأبيض ، والأخر إلى الوجه البحرى وهو التاج الأحمر . ومن هنا اخذ المصرى القديم يعبر عن كل ما يخص نظم الحكم والإدارة فى البلاد بالمثنى . وظلت هذه الثنائية فيما يخص الإدارات التى تتصل بالشئون الإدارية للوجه القبلى وللوجه البحرى ، وظهرت أيضا فى ألقاب الموظفين المحلقين بتلك الإدارات .(١)

وهكذا نجد أن اتحاد البلاد فى ظل حكومة قوية كان ثمرة جهاد وكفاح طويلين .(٢)

قيام الملكية المصرية وتطور نظم الحكم والإدارة عبر العصور التاريخية :

لم تفصح لنا الآثار ولا الأساطير الدينية عن الطريقة التى نشأت بها الحكومة المصرية والمملكة المصرية التى تكونت عناصرها واكتملت فى العصور التالية على الأسرة الأولى (٣) . ونحن نعلم انه منذ بداية عصر الأسرة الأولى أخذت معالم الملكية المصرية تتكون شيئا فشيئا وأصبح هناك ملك واحد يحكم على البلاد كلها . وتم تتويجه وتعينه رسميا ، وهو الذى قام باختيار العاصمة فى المكان الأكثر ملاءمة للظروف السياسية وللأوضاع الداخلية ، وتشييد القصر الملكي فيها والاهتمام بمعبد معبودها المحلى ، وأسبغت على الملك صفة القداسة ، وأطلقت عليه عدة ألقاب وأسماء ، وتم تحديد بعض اختصاصاته والأعباء التى يقوم بها ، وإلى جانب الملك أنشئت الوظائف الحكومية والإدارات المختلفة ، التى كان يشرف عليها عدد كبير من الموظفين ورجال البلاط وكبار الشخصيات ، وذلك لمعاونة الملك فى إدارة دفة الأمور فى البلاد . ومنذ بداية الأسرة الأولى كان موظفو الملك يطبعون أسماءهم وألقابهم على سدادات الأوانى الفخارية ، أو ينقشونها على بطاقات صغيرة من العاج

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٩ – ١١٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٩٤ .
(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ٧٣ – ٧٥ .

أو نصب صغيرة . أما فى عصر الدولة القديمة فقد عرفنا ألقابهم عن طريق لوحاتهم وتماثيلهم أو نقوش مقابرهم ، أو عن طريق برديات أرشيف المعابد ، مثل بردية أرشيف أبو صير (١) التى تمدنا بالألقاب وأسماء الإدارات التى كانت من الكثرة بحيث تكفى لمعرفة تطور نظم الحكم والإدارة فى هذه الفترة . وعثر على بردتين تحتويان على قوائم بترتيب الوظائف :

أولهما : بردية بولاق رقم ١٨ وترجع إلى بداية الأسرة الثالثة عشرة أو النصف الأول منها (٢) وتذكر لنا بالإضافة إلى الملك الملكة وأخوات الملك ويبدو طبقا للبردية ان هؤلاء كن يقمن بوظائف إدارية فى الدولة ولكن لسوء الحظ لا نستطيع أن نحدد طبيعة هذه الوظائف . وهناك قائمة طويلة بالموظفين ، ومما يؤسف له أن التدرج الوظيفى لم يؤخذ به إلا بالنسبة لأربع وظائف هامة هى :

الوزير وكان معه ثلاثة من المستشارين وهم : قائد الجيش ، ورئيس الزراعة ، كاتب السجلات الملكية . وتشمل بقية القائمة مجموعة من ألقاب البلاط سواء أكانت ألقابا شرفية أم فعلية مثل رئيس الديوان الملكى الذى كان مكلفا بنقل الأوامر الملكية الشفهية إلى الكتبة . وكان يشرف أيضا على " مكتب تبرعات الشعب " ومثل " كبير مقاطعة المدنيين " وهى الوظيفة المعروفة حاليا باسم العمدة . ولم تهمل البردية ذكر ابسط الوظائف فى تلك القوائم ، كوظيفة الموسيقيين والمغنيين من ذكور أو إناث وكالمهرجين وكذلك طائفة العمال والصناع والزراع الملحقين بإدارات وممتلكات القصر الملكى .

ثانيهما : وثيقة من عصر الرعامسة تحتوى على قائمتين بالنسبة لترتيب الوظائف على رأس القائمة الأولى أسماء المعبودات تليها أنصاف المعبودات ، والملك الحاكم

---

(١) Posener - Krieger, les Archives du temple funéraire I, p. 109 – 110 ; 11 , p. 57 – 661 .

(٢) Hayes , Egypt : from the Death of Ammenemes III to Seqenenre II (Cambridge Ancient History) p. 9 – 10 ; Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952) p. 304 – 305 .

فالزوجة الملكية ، فوالدة الملك ، وأبناء الملك ، والوزير ، والحاكم الذين كانوا يلقبون بأبناء الملك ، وكبار رؤساء الفرق العسكرية ، والكتبة الملحقين بالمكتبة الملكية ، ورجال المراسيم والتشريعات ، وحامل المظلة ، وحامل المروحة ، وكتبة القصر ، وكبار موظفى البيت الأبيض (بيت المال) وكبير كتبة ملفات المحكمة العليا ، وكتبة الضرائب المقررة . ثم تشمل القائمة الثانية ممثلى الملك فى الأقاليم وفى المدن وفى الخارج والمبعوثين الملكيين فى كل البلاد ، وحاملى أختام الملك فى الموانى النهرية والبحرية .(١)

وكان لكل موظف كبير عدد من الموظفين المساعدين يعينونه على أداء وظيفته وكان يشغل كل إدارة فرقة حقيقية من الموظفين . وكانت الإدارة المصرية تميل إلى التوسع وإنشاء إدارات وظائف جديدة حسب مقتضيات العصر والأوضاع السياسية فى الداخل والخارج .

اختيار مكان العاصمة الرئيسية للحكم:

يمكن القول بأن مكان العاصمة فى مصر القديمة كان يتغير أحيانا طبقا للظروف السياسية فى الداخل والأوضاع السياسية فى الخارج وذلك طوال العصور التاريخية . فظهرت بعض المدن الكبرى كعواصم نظرا لخروج حكام أو ملوك البلاد من هذه المدن ، وإذا انحسر الدور السياسى عن هذه المدن وآلت الصدارة لمدن أخرى ، احتفظت تلك المدن بمكانتها المقدسة وتصبح عاصمة دينية أو تحتفظ بنشاطها السياسى وتظهر كعاصمة مرة أخرى ، أو تحتفظ بمكانتها الإدارية أو تؤدى دور العاصمة الثانية .

وكما ذكرنا من قبل فى كتابنا (٢) ، إن اسم الملك نعرمر لم يرد فى بداية

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ ؛ Montet , la Vie Quotidienne en Egypt au temps des Ramsès , p. 245 n.(1) .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٢٩ .

القوائم الملكية كأول ملوك الأسرة الأولى ولكن عثر له على آثار تؤكد بأنه أول من حقق وحدة البلاد السياسية . وتنسب بعض الروايات إلى الملك منى أنه رأس الأسرة الأولى ، وبه تبدأ القوائم الملكية . ولكننا رجحنا الرأى القائل بأن نعرمر هو منى وأن اسم منى ليس إلا لقبا له يعنى " المثبت أو المدعم " لأركان حكمه الجديد .

وتركز النشاط السياسى والدينى فى عصر بداية الأسرات ، وفى ثلاث مدن كبيرة ، وهى نخن وثينى والجدار الأبيض :[1]

- نخن : هى العاصمة القديمة وأصبحت عاصمة دينية فقط ، وأقام فيها أوائل الحكام من الأسرة الأولى العديد من الآثار وذلك فى معبد معبودها حورس الذى أصبح معبودا وحاميا للملكية المصرية .

- ثينى : أو طينة اتخذتها سلالة نعرمر – منى عاصمة لها وهى تقع على مقربة من ابيدوس ، وأصبحت ثينى أول العواصم السياسية المصرية ، وظلت طيلة أيام حكم ملوك الأسرتين الأولى والثانية عاصمة للبلاد والمقر الرسمى لملوكها . ولو أن بعض ملوك هاتين الأسرتين كانوا يقيمون أحيانا فى مدينة الجدار الأبيض .

وكان (نعرمر) منى هو أول من فكر فى تخطيط مدينة أو قلعة محصنة فى الجدار الأبيض ، تلك القلعة التى سوف تصبح النواة لعاصمة مصر بعد ذلك . ويبدو أن الملك شيد هذه المدينة وسورها بأسوار عالية أحاطتها من كل جانب ، وكان يجئ لكى يستقر فيها من آن لآخر ، لأنه فهم ان استقراره فى الجنوب لن يساعده على حكم الدلتا ، ولذلك أقام فى منف أو مدينة الدار الأبيض .[2]

فمن أهم الأحداث السياسية التى تمت فى عهد جسر (نثررخت) أول

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٨٠ – ٨٢ ؛ د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٧٦ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

ملوك الأسرة الثالثة هو نقل العاصمة السياسية من ثيني إلى منف [1] التي لعبت هذا الدور حتى نهاية الأسرة السادسة ، أما بالنسبة للأسرتين السابعة والثامنة فخرج حكامها من إقليم قفط ومنف . أما ملوك الأسرة التاسعة والعاشرة فخرج حكامها من إقليم هيراقليوبوليس (اهناسيا المدينة) . وفى الدولة الوسطى ظهرت أهمية مدينة طيبة مع بداية الأسرة الحادية عشرة وظهرت أيضا أهمية معبودها آمون . ونقل امنمحات الأول مع بداية الأسرة الثانية عشرة الإدارة من طيبة إلى نقطة اكثر مركزية فى ايثت تاوي بالقرب من بمها أو اللشت الحالية فى الفيوم .

أما ملوك الأسرة الثالثة عشرة فيقال أن أصلهم كان يرجع إلى طيبة . أما ملوك الأسرة الرابعة عشرة فكانوا من إقليم سخا بمحافظة كفر الشيخ . أما ملوك الهكسوس فقد اتخذوا عاصمتهم فى افاريس فى شرق الدلتا واستمر حكمهم خلال الأسرة الخامسة عشرة حتى السابعة عشرة . وفى الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين والحادية والعشرين أصبحت طيبة عاصمة لمصر كلها على الرغم من أن أخناتون شيد له عاصمة دينية فى تل العمارنة . وشيد رمسيس الثانى مقر إقامة بر رعمسس فى شرق الدلتا . وفى عصر الأسرة الحادية والعشرين أصبحت هناك عاصمة ثانية بجوار طيبة هى تانيس فى شرق الدلتا .

وخرج ملوك الأسرة الثانية والعشرين من هيراقليوبوليس ، ولكن نجدهم قد تركوا منطقة هيراقليوبوليس لكى يستقروا فيما يبدو فى تل بسطة شرق الدلتا . ومع ملوك الأسرة الثالثة والعشرين ظهرت أهمية بوباست أو تل بسطة كعاصمة للأسرة الجديدة فى شرق الدلتا . ومع الأسرة الرابعة والعشرين التى حكم فيها ملكان فقط ، ظهرت أهمية مدينة سايس ومعبودتها نيت ، كعاصمة جديدة فى غرب الدلتا . [2]

ومع قيام الأسرة الخامسة والعشرين الكوشية فى مصر عادت إلى طيبة أهميتها ، ومع الأسرة السادسة والعشرين أصبحت سايس من جديد عاصمة لمصر .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٠ .

(٢) R. el Sayed , Documents Relatifs à Sais et ses divinités, BdE 69 (1975) , p. 73 – 286 .

وأصبحت عامرة بالكثير من المباني وكان معبد نيت من أجمل المعابد وأكبرها .(١)

وفى خلال الأسرة السابعة والعشرين حكم الفرس مصر واستقر بعضهم فى منف . وخرج الملك الوحيد اميرتى فى الأسرة الثامنة والعشرين من سايس ، أما الأسرة التاسعة والعشرين فأصل ملوكها الأربعة كان من مندس (تمى الامديد فى الدلتا) . وأول ملوك الأسرة الثلاثين نختنبو الأول كان من مدينة سمنود فى وسط الدلتا .

أولاً – نظم الحكم:

الملك:

تتويجه :

لا نملك أية تفاصيل عن كيفية تتويج الملك فى الفترة التى سبقت قيام الأسرة الأولى سواء فى مملكة الوجه القبلى أو مملكة الوجه البحرى . ولا شك أن التتويج كان يتم طبقا لمراسيم معينة لا نعرفها لعدم وجود آثار تشير إلى ذلك وكذلك لعدم التطور فى استخدام الكتابة على الآثار فى هذه الفترة ، فليس هناك نص منقوش يحدثنا عن ذلك . ولكن لدينا بعض الحقائق منها أنه على رأس مقمعة القتال الخاصة بالملك العقرب – التى عثر عليها فى هيراقونبوليس قبل اتحاد الوجهين مباشرة – كان الملك ممثلا يرتدى التاج الأبيض . ولكن الموحد الحقيقى للبلاد كان خليفته نعرمر – منى الذى عثر له على أثرين فى معبد حورس فى هيراقونبوليس يبدو أنهما يسجلان نجاحه فى إتمام الوحدة السياسية التى بدأها الملك العقرب ، وأن الملك بهذه

---

(١) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, BdE 86 (1982) , p. 267 – 483 .

المناسبة الهامة أهدى هذين الأثرين لمعبد حورس ، ليصبح هـــذا الانتصـــار تحـــت رعايته . فعلى الأثر الأول وهو صلاية من الشست وهى محفوظـــة الآن بـــالمتحف المصرى ، صور الملك على وجهها الأمامى متوجا بتاج الوجـــه القبلـــى ، وعلـــى وجهها الخلفى متوجا بتاج الوجه البحرى . وعلى الأثر الثانى وهو رأس مقمعة قتـــال صور وهو متوجا بتاج الوجه البحرى تأكيدا لشرعية حكمه على الدلتا وقد أراد بذلـــك أن يؤكد انتصاره على أهل الوجه البحرى (١) . ولا شك أنه عقب انتصاراته هذه تـــم تتويجه ملكا على الوجهين ، ولاشك أن مثل هذا الحدث الهام فى التـــاريخ السياســـى للبلاد قد سجل على أكثر من أثر لا تزال أرض مصر تحتفظ بأسراره وتفاصيله .

نعلم أن مراسيم التتويج كانت تتم فى البداية على أربع مراحل :

- فى البداية يظهر المرشح للملك على منصة مرتفعة عليها مقصورتـــان ، وكـــل مقصورة عرش للوجه القبلى والبحرى . ويصعد الملك على هذه المنصة ويجلس فترة على عرش الشمال مرتديا التاج الأحمر ، وبعدهـــا يصعـــد علـــى عـــرش الجنوب مرتديا التاج الأبيض .

- يقوم بضم الأرضيين ويتمثل ذلك فى ضم النباتين البردى واللوتس حول العمـــود " سما " الذى يرمز إلى الوحدة ، وهو يقوم بهذه الحركة الرمزية إشـــارة إلـــى التوحيد الوجهين تحت حكمه .

- يقوم بعد ذلك بالطوف حول جدار مدينة منف ، الجدار الأبيض ، ليثبت سـيطرته على عاصمة البلاد .

- تسجل الأسماء والألقاب الخمسة التى يجب أن يحملها الملك عند توليه العـــرش وبعد الانتهاء من احتفالات التتويج تسجل هذه الأحداث فوق بردية وترسل نسخ

---

(١) Saleh - Sourouzian, Official Catalogue ; Egyptian Museum Cairo No. 8a – b .

- منها لكل حكام الأقاليم لأخبارهم بهذا الحدث السياسي . وبعد ذلك تقام الاحتفالات فى جميع أنحاء البلاد بهذه المناسبة .(١)

ونعلم من النقوش فى المعابد وعلى الآثار المختلفة من العصور التالية بأن مراسيم التتويج تبدأ عامة بإثبات أحقية الملك فى العرش على أساس أن المعبودات قد اختارته منذ أن كان طفلا رضيعا ليكون ملكا على البلاد ، وعلى الكهنة أن يروجوا لهذا الميلاد المقدس بكافة الصور . فإذا ما استكمل الملك هذه الصفة المقدسة اجتمع كبار الكهنة ليختاروا اسم العرش الخاص بهذا الملك (٢) ولإضافة طابع القداسة على هذا التتويج فإنه بعد أن يتم هذا الاختيار يقوم المعبودان حورس وست بتطهير الملك بالماء المقدس ثم يضعان فوق رأسه التاجين ويقومان بعملية رمزية تمثل توحيد القطرين وتتم بربط ساقين إحداهما من نبات البردى والأخرى من نبات اللوتس بعلامة سما (٣) (علامة الوحدة) .

وبعد أن تتم هذه المراسيم المقدسة يجلس الملك تحت شجرة مقدسة ، شجرة الأشد) (٤) ومن خلف الملك المعبود آتوم ، معبود الخليقة وأقدم المعبودات ويقوم بمراقبة ما يحدث . وأما الملك المعبود تحوتى والمعبودة سشات يقومان بتسجيل اسمه على أوراق هذه الشجرة وهى شجرة الخلود ، متمنين له طول العمر ، ثم يقام بعد ذلك احتفال بإقامة العمود " جد " الذى يرمز إلى الاستقرار والأمن ويتبعه احتفال تطلق فيه أربعة سهام يصوب كل منها نحو ناحية من الجهات الأصلية الأربع . ثم

---

(١) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٥٢ – ٤٥٣ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ١٧٠ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٤) المرجع السابق ، شكل ١٤٣ .

يطلق الملك أربعة طيور يتجه كل منها نحو الجهات الأربع . والمقصود بهذه السهام إنها نذير وتحذير للأعداء فى الجهات الأربع ، أما الطيور فهى تطلق لتعلن على العالم أجمع خبر تتويج الملك على عرش البلاد .(١)

وكما رأينا كانت مراسيم التتويج تتضمن جانبا مدنيا وجانبا دينيا فهى احتفالات شرعية وقانونية ودينية مقدسة . فكان على الملك أن يؤدى المراسيم المدنية وبما أنه اعتبر شبه مقدس أو صاحب قداسة على الأرض ، فإن المعبودات تشاركه وتباركه وتحميه أثناء احتفالات التتويج فما هو مدنى بالنسبة للملك لا ينفصل عن ما هو دينى أيضا .

ألقابه الرسمية :

بعد مراسيم التتويج كان يطلق على الملك أسماء أو ألقاب رسمية ثلاثة وذلك منذ عصر بداية الأسرات ، وهي :(٢)

١- اللقب الحورى :

وهو الذى يربط الملك بالمعبود حورس . فالملك هو الممثل الشرعى للمعبود حورس (الصقر) على الأرض ، وهو معبود الأسرات والملكية المصرية ، فهو لم يكن معبودا فقط بل كان ملكا وورث الملك والملكية عن أبيه اوزير (المعبود

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧١ ؛ وأيضا : Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 55 , 65 , 68 .

(٢) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٥ – ٧٦ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ١٩٧٩ ، ص ٢٩ حاشية (١) ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزءة : الحضارة المصرية ، ص ١٠٩ – ١١٢ .

الخير) وجده جب وهو آخر المعبودات التى حكمت على الأرض ، وأصبح الملــوك البشر يعتقدون أنهم ورثة حورس والممثلون له ، وأن ملوك الصعيد فى عصر ما قبل الأسرات كانوا يتعبدون للمعبود حورس فى مدينة نخن ، وعندما نجحوا فى توحيــد البلاد احتفظوا برمز هذا المعبود وأصبح يعلو السرخ الذى يمثــل واجهــة القصــر الملكى كما نرى على لوحة الملك جت فى متحف اللوفر [١] ، أى أ، القصر الملكــى بمن فيه تحت حماية المعبودوظهر هذا اللقب فى القاب ملوك الأسرةالرابعــة وظــل مستخدما حتى العصر البطلمى – الرومانى وقد ذكــر بكــثرة فــى مقــابر الدولــة القديمة.[٢] وفى الأسرة الثامنة عشرة أضيفت إلى هذا اللقب صفة " الثور القوى ".[٣]

٢- اللقب النبتى :

وهو الاسم الذى يربط الملك بـــالمعبودتين الرســميتين للوجــهين القبلــى والبحرى ، وهما أيضا المعبودتان الحاميتان منذ الأسرة الأولى ، فعندما كانت مصــر مقسمة إلى مملكتين قبل الأسرة الأولى ، كانت المعبودة " نخبت " أنثى العقاب حاميــة للوجه القبلى ومقر عبادتها فى الكاب ، والمعبودة " واجيت " التى يرمز إليها بالحيــة ، حامية للوجه البحرى ، مقر عبادتها فى بوتو . وتدل هذه التسمية على ان الملك كــان ممثلا لسلطانهما ويحكم على مملكة مزدوجة تحت حمايتها المقدسة [٤] . وكدلالة على هذه الحماية المقدسة نجد أن الصل المقدس الذى يزين مقدمة التاج الملكى يتكون مــن

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 49 – 50 fig. 22 .

(٢) Gardiner, Egyptian Grammar, London (1957), p. 71 – 75; Dobrev, BIFAO 93 (1993), p. 184-187 .

(٣) عن هذه الألقاب ، راجع د. رمضان عبده : المرجـــع الســابق ، ص ٤٥٤ – ٤٦٠ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

رأسين صغيرتين تمثلان هاتين المعبودتين (١) . وظهر هذا اللقب فى ألقـــاب ملـــوك الأسرة الرابعة .(٢)

٣- لقب النسوبيتى :

لم تكتف كل من مملكة الوجه القبلى والبحرى قبل اتحادهما بمعبودة وحامية فحسب وإنما اتخذت كل منهما شعارا ملكيا مميزا لها ، فاتخذت مملكة الصعيد نبـــات السوت أو الأثل شعارا ملكيا لها ، واتخذت ممكلة الوجه البحرى شعارا ملكيا لها وهو النحلة . فلما اتحد الوجهان تعمد ملوك الأسرة الأولى ان يؤكدوا اتخاذهم للشـــعارين معا فى اسم ثالث وهو ما يعبر عنه بالنسوبيتى اى المنتسب إلى نبات السوت وإلـــى النحلة ، ويحتمل أن أول ملك اتخذ هذا اللقب هو الملك دن (أو وديمو) خامس ملوك الأسرة الأولى .(٣) ومنذ عهده اصبح هذا اللقب من أهم الألقاب الملكية التى يتخذهـــا كل ملك عند جلوسه على العرش وبعد تتويجه (٤) . وعند تتويج الملك رســميا كـــان يتخذ لقب " نسوت " فقط ، الذى أصبح يعنى بوجه عام " ملك " (٥) . وأضيـــف إلـــى هذه الأسماء الثلاثة لقبين آخرين فى عصر الدولة القديمة (٦) وهما :

٤- لقب حورس الذهبى :

أصبح الملك فى الأسرة الرابعة يتلقب بلقب حـــورس الذهبـــى ، ويبـــدو أن سنفرو من الأسرة الرابعة ومران رع من الأسرة السادسة قد حملا هذا اللقب.(٧) فنجد

---

(١) كما نرى على رأس تمثال ملك من الأســـرة السادســـة والعشـــرين ، راجـــع :
Daumas, op. cit., p. 98 fig. 41.

(٢) Dobrev, op. cit., p. 187 – 188.

(٣) Dobrev, op. cit., p. 195 n. 52.

(٤) Daumas, op. cit., p. 129.

(٥) Grimal, les Termes de la Propogande Royale, Paris, (1986), p. 222.

(٦) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛
Daumas, op. cit., p. 45 – 46.

(٧) Dobrev, op. cit., p. 189 – 194.

رمز الصقر ممثلا واقفا على علامة الذهب . وقد أدلى العلماء بعــــدة آراء بالنســبة لتفسير معنى هذا اللقب ، رأى البعض أنه يعنى " حورس الذهبى " ، والذهـــب هنـــا يعبر عن جسد المعبودات ، فالمعبود رع عندما تحدث قال : " جلـــدى مـــن الذهـــب الخالص " . وهناك إشارة إلى أن لحوم المعبودات من ذهب وعظامهم مـــن الفضـــة وشعورهم من اللازورد . ويرى البعض الآخر أن علامة الذهب فى هذا اللقب تعــبر عن اسم معبود الشر ست ، الذى كان يطلق عليه اسم نوبتى وعلى مقر عبادته اســـم نوبت وبذلك فاللقب يعنى " حورس (المنتصر على) ست " ، وهــذا يعنــى أيضــا انتصار الخير على الشر .(١) ويمكننا أن نضيف تفسير آخر وهو أن هذا اللقب يبيــن الصلة بين المعبودين رع وحورس وارتباطهما معا ، وحورس هو صورة من صــور رع المتعددة (٢) ويقال للمعبود رع فى النصوص البطلمية :

" الذى يتلألأ مثل الذهب "(٣) أو " قرص الشمس المذهب ".(٤) وفى رأينا أن هذا اللقب يحوى من ناحية كل هذه التفسيرات ، أى أن الملك وجســـده فـــى نفاســة الذهب ، وهو المنتصر على عنصر الشر دائما ، وهو الذى يتلألأ كالذهب فى ســماء مصر يوميا . ومن ناحية أخرى يربط بين الملك وبين أقـــوى الطيــور فـــى البيئـــة المصرية (٥) ، وهو الصقر ، ويربطه أيضا بمعدن من أنفس المعادن فى الأراضــــى المصرية وهو الذهب .

---

(١) Frankfort, la Royauté et les dieux, Paris (1951), p. 83; Gunn – Gardiner, JEA 4 (1917), p. 248; Daumas, op. cit., p. 45.

(٢) Lalouette, L'Empire des Ramsès, Paris (1985), p. 26 et p. 481 N3.

(٣) Daumas, Mammisis de Dendara, p. 106, 103; Chassinat, Edf. V, p. 342, 1. 12.

(٤) Chassinat, Edf. V, p. 148, 1. 2; p. 251, 1. 12.

(٥) Lalouette, op. cit., p. 481 n. (3).

٥- لقب سارع :

أى ابن معبود الشمس رع ، وكان يسبق الاسم الفعلى للملك . وهو اللقب الذى يحمل الملك منذ صعوده على العرش . وهو يضع الملك تحت حماية المعبود رع الذى ظهر فى السماء يوميا . ويبدو أن هذا اللقب قد ظهر عند جدف رع لأول مرة واستخدم بكثرة على آثار خفرع ومنكاورع فى الأسرة الرابعة وقد وجد مكتوبا فى داخل خانة ملكية .(١)

٦- لقب بر – عا :

أن الأوصاف التى وصفت بها القرآن الكريم فرعون الذى عاصر سيدنا موسى عليه السلام ، تختلف عن المعنى المعروف لهذا اللقب فى النصوص المصرية القديمة . كان يطلق على القصر الملكى منذ عصر بداية الأسرات ، اسم " برنسوت " بمعنى " البيت الملكى " وأحيانا اسم بر – عا بمعنى " البيت الكبير " . وكان يقصد " بالبيت الكبير " القصر الذى يسكن فيه الحاكم أو الملك ، والذى كان يجب أن يكون مميزا عن بقية البيوت الأخرى لكبار رجال الدولة (٢) . والذى كان يتجه الجميع إليه فى حالة رهبة وخشوع (٣) . وبمرور الوقت أعطى هذا اللقب مدلولا أشمل وأكبر ، فأصبح يدل على القصر وساكنه أيضا ، مثل التعبير الذى

---

(١) Lalouette , op. cit ., p. p . 62; Dobrev, op. cit., p. 196-197 .

(٢) ويرى د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزءة : الحضارة المصرية ، ص ١٢٩ حاشية (١) ، أن " برنسوت " كان يقصد به بيت الملك او الإدراة الملكية أما " بر – عا " فتعنى المقر الرئيسى للحكومة .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 629 .

عرف خلال الحكم العثمانى بعد بآلاف السنين وهو " البـــاب العـــالى " [1] أو حاليـــا " البيت الأبيض " ، " قصر الأليزيه " ، الذى يعبر عن قصر الحاكم وبالتــــالى عـــن الحاكم نفسه .

ومنذ عصر بداية الأسرات أطلق على الملك المصرى كما رأينا سابقا ألقــاب وأسماء ثلاثة أضيفت إليها فى عصر الدولة القديمة لقبان آخران . ولم يطلق لقب بـــر – عا إلا على القصر الملكى . وأصبح لكل ملك متوج أسماء وألقاب خمســـة تطلـــق عليه ونجدها على أغلب الآثار التى تركوها لنا . ولم يطلق المصريون القدماء لقـــب بر – عا على بعض الملوك إلا بعد ذلك بعدة قرون . وعندما أطلقوه علــــى بعـــض ملوكهم فهذا لا يعنى انه كان حاكما جائرا أو صاحب سلطة غاشـــــمة ، بـــل كـــانوا يقصدون من ورائه معنى " ساكن القصر الملكى " اى صاحب السلطة الشـــــرعية أى الملك نفسه .

وعرف هذا اللقب فى القبطية [2] ب – رو و ب – ررو وباليونانية بــــو – رو وقد حرف العبرانيون اللقب بر – عو إلى فرعو ثم أضيف إليه فى اللغة العربيـــة نون أخيرة ليصبح " فرعون " [3] . ولم يطلق لقب فرعون على أى ملك من ملـــــوك الدولة القديمة والوسطى .[4]

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 629 ; Drioton – Vandier, L'Égypte (éd. 1946) , p. 175 .

(٢) Pestman , Textes démotiques et bilingues I, p.104 n . (12).

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ د. بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الأول ، ١٩٨٠ ، ص ٨٠ – ٨١ .

(٤) ظهر هذا اللقب فى ألقاب بعض الأشخاص الذى كانوا يعملون فى القصر الملكى وفى وظائف مختلفة تربطهم بالقصر الملكى فى عصر الدولة القديمة ، وكــــان يعبر فى هذه الفترة عن " القصر الملكى " فمثلا نجد الوظائف : ===

وظـــهر أيضـــا فـــى بعـــض نصـــوص الأســـرة الثامنـــة عشــرة بمعنـــى " القصـــر الملكـــى "(١) وبمعنـــى " فرعـــون " فـــى خطـــاب من عهد أمنحتب الرابع ولكنه يرجع إلى عهد تحوتمس الثالث (٢) ولكن فى الأســـرة التاسعة عشرة ، أشير فى نصوص قصائد معركة قادش وفى مصادر أخـــرى إلـــى الملك رمسيس الثانى بالتسمية " فرعون " أكثر من خمسين مرة (٣) وكذلك إلى الملـك

== " الملحق بالقصر الملكى ، طبيب القصر الملكى ، مغنى القصـــر الملكـــى ، كاتب القصر الملكى ، مشرف حدائق القصـــر الملكـــى ، حـــارس القصـــر الملكى ، مصفف الشعر فى القصر الملكى ، راجع :

Posener- Krieger, les Archives du temple funéraire I, p 109 n. 2 ; t. 11 p. 385 , 103 , 6-8, 386, 1. 12 , 14 , 19 ; 387, 1. 22, 27 – 28 ; 388 1. 44 – 45 ; 389 , 1.1 –2 ; 391 , 1. 1,2, 4 ; 404 (d2) ; 588 , 607 , 657 – 661 ; Meeks, Alex. I, p. 130 no . 77 . 140 ; 131 no 77. 1410 ; t . p . 137 no 78 . 1459 ; t . 111 , p. 96 no 79 . 0985; Faulkner, Concise Dictionary , p. 89 .

(١) وذلك على لوحة بالمتحف المصرى رقم JE. 72274 الخاصة بآمن ام ســتنب الذى كان يحمل لقب " حارس القصر الملكى " راجع : Chr . Zivie, Giza au Deuxieme Millénaire , p. 222 , . 1.2. وفى بعض نقـــوش معبـــد الدير البحرى التى تمثل حاملى القرابين الذين كانوا يحملـــون القبـــائل مثـــل : " سمير القصر الملكى " ، " مصفف الشعر فى القصـــر الملكـــى "، راجـــع :
Naville, Deir el Bahari IV , p1. 109 .

(٢) وذلـــك علـــى برديـــة مـــن غـــراب ، راجـــع :
Griffith , Hieratic Papyri From kahun and Gurob, p1 . 38 , 1 . 10 ; Gurob 1 . 1 . = Gardiner , Egyptian Grammar (third edition) p. 75 , n . 10 .

(٣) Kitchen , Ramesside Insciption II, p. 92 , 1.10 ; 104 , 1. 11 ; 16 – 105 , 1. 11-15 ; 113. 1.5-14 ; 114 , 1.1 – 2 ; 115 , 1.15 – 16 ; 116 , 1.6- 10 ; 117 , 1. 1-2 ; 129 , 1. 1-2 ; 130 , 1.1 –10 ; 131 , 1.1 – 10 ; 132 , 1.11 , 14 – 15 ; 133 , 1 . 10 , 13 – 14 ; 159 , 1 . 15 ; 174 , 1 . 13 – 14 , 176, 1 . 5 , 8 ; 180 , 1 . 1 – 2 ; 181 , 1 . 1 –3 ; 182 , 1. 5, 12 ; 222 , 1. 15 ;226,1.8,10 ; 383 ,13.

مرنبتاح اكثر من مرة [١] وفى عصر الأسرة التاسعة عشرة نفسها أطلق لفظ بر – عا على حاكم أرض مصر باعتبار أن ملك مصر هو الحاكم سيد الأرضيين (الوجه القبلي والوجه البحرى) وهى تحت حمايته ولهذا يقال تا – بر – عا بمعنى " أرض الملك أو الحاكم " أو با – تا – ان بر – عا وهى تدل على المعنى نفسه .[٢]

وظهر هذا اللقب كذلك فى الخطابات التى ترجع إلى نهاية الأسرة العشرين ، وذلك دون ذكر اسم الملك صراحة ، وذلك على أكثر من ثلاثة عشر خطابا ، ولكن من المعروف أن المقصود بهذه التسمية هو الملك رمسيس الحادى عشر [٣] . ويضيف شرنى أن هذا اللقب كان يطلق على الملك الحي .[٤]

وظهر هذا اللقب مرة أخرى فى عصر الأسرة الحادية والعشرين فى ألقاب بعض رجال البلاط الذين كانوا يعملون فى خدمة الملك بسوسينس الأول بمعنى القصر الملكى . وعثر هذه الألقاب على بعض الكتل التى عثر عليها فى مقابرهم فى تانيس[٥] ولم يستخدم هذا اللقب أمام أسماء بعض الملوك فى النصوص الرسمية كلقب للملك بمعنى " فرعون " إلا ابتداء من عصر الملك شِشنق الثالث من عصر الأسرة

---

(١) راجع نص قناء الخبيئة بالكرنك السطر ٢٨ – ٢٩ ،

Kitchen, op. cit. IV, p. 5, l. 28 – 29.

ولوحة اتريب ، السطر ٦ من النص الخلفى ، راجع :

Lefebvre, ASAE 27 (1927), p. 22.

(٢) Meeks, Alex. 111, p. 318.

(٣) Wente, late Ramesside letters, p. 4 n. 15; 21; 32 – 33; 37; 42; 49, 52 – 54; 61; 69.

(٤) Cerny – Peet, JEA 13 (1927), p. 38 verso 1. 2.

(٥) Von Kaenel, BSFE 100 (juin 1984), p. 34 – 35 fig. (1); 36 fig. (2); 40 fig. (6). وهذه الألقاب هى :

" مدير مراسم القصر الملكى " ، " مدير فنانى القصر الملكى " ، " مدير ضياع القصر الملكى " ، " مدير خزانة القصر الملكى " ، " كاتب القصر الملكى " . ويلاحظ أن Von Kaenel ترجمة هذا اللقب بـ " فرعون " ولكن فى رأينا ان المقصود به هنا هو " القصر الملكى " .

الثانية والعشرين [١] . وظهر بعد ذلك أمام أسماء بعض الملوك من الأسرة الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين والسابعة والعشرين والثلاثين ، أمثال :

طهرقا ، بسماتيك الأول ، بسماتيك الثانى ، ابريس ، امازيس ، دارا الأول ، نختنبو الأول ، تيوس ، نختنبو الثانى ، خباباشا . أمام أسماء بعض الحكام اليونان أمثال : الاسكندر الأكبر ، الاسكندر الثانى ، وبعض الملوك البطالمة أمثال : بطلميوس الأول ، بطلميوس العاشر ، بطلميوس الثالث عشر [٢] ، وبعض أسماء الأباطرة الرومان ، أمثال : اغسطس ، كلوديوس ، نيرون [٣] . ويذكر لنا شرنى أن هذا اللقب أطلق على الملك وعلى الملكة وأن هناك ثلاثة أسماء مركبة ظهرت فى النصوص الديموطيقية والقبطية يظهر فيها لقب برعا بمعنى " ملك أو فرعون " برى – برعا " القصر الملكى " ، بر – عا " قصر الملك " ، بريت – برعا " بلاط الفرعون " .[٤]

كان الملك يتقلد هذه الألقاب الخمسة أو الستة السابقة عند ارتقائه العرش وتتويجه ملكا . يضاف إليها اسمين لهما دلالة دينية ويربطان الملك بصفة من صفات المعبودات . الاسم الذى حمله الملك منذ مولده ، أى الاسم الأصلى ويستمر فى حمله بعد ارتقائه العرش ، مثل اسم رمسيس (رع ولده) . واسم العرش ، وهو الذى كان يطلق على الملك بعد تتويجه ، مثل وسر – ماعت – رع (أى قوية عدالة رع)

---

(١) J. Gordon , Hommages Sauneron I, p. 180 – 182 ; Meeks , Alex . 111, p. 96 n . 79 . p. 985 .

(٢) ظهر هذا اللقب أيضا فى معبد دندرة ، راجع : Chassinat, Dendara VIII, 59 , 5 .

(٣) وقد ذكر هذا اللقب بكثرة فى البرديات الديموطيقية ، راجع : Malinine, Choix de Textes jurdiques, 2 partie(1982), p. 5, 7, 9, 11, 14, 17, 20, 22, 29, 30-35, 48-53; Gauthier, LRIV, p. 441 – 442; t. v, p. 244 (index)

(٤) Černy , Coptic Etymological Dictionary, Cambridge 1976 , p. 128 . عن هذا اللقب وتطور معناه عبر العصور راجع : د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٥٩ – ٤٦٠ ؛ المؤلف نفسه : فى مجلة التاريخ والمستقبل ، كلية الآداب جامعة المنيا ، عدد يناير ١٩٩٩ ، ص ١٠٦ – ١١٤ .

وهو الاسم الذى اتخذه رمسيس الثانى بعد تتويجه . وكان هذان الاسمان يحاطان بشكل بيضاوى وهو ما يطلق عليه اسم خرطوش (ملكى) أو خانة ملكية .[١]

٧- صفات وألقاب أخرى :

إلى جانب هذه الألقاب الخمسة التى يمكن أن نقول عنها أنها ألقاب رسمية وكانت تطلق أغلبها على كل ملك فى كل مصر ، كان يوجد مجموعة أخرى من الألقاب والنعوت تضفى على الملك صفات عديدة على سبيل الدعاية والمبالغة ، وأهمها هى التى تظهر الصفات الآتية :

- صفاته المقدسة :

كان المصريون ينظرون إلى الحاكم على انه معبود بكل معانى هذه الكلمة يخشاه الناس ولكنهم فى الوقت نفسه يطيعونه عن احترام وتقديس . وسوف يصبح هذا الطابع المقدس من أهم معالم الملكية المصرية حتى الغزو المقدونى . وطبقا للتقاليد الدينية فقد ورث الملك الملكية عن حورس ، المعبود الشرعى الذى آل إليه حكم مصر من قبل المعبودات بعد صراعه المرير ضد معبود الشر ست . ويعد الملك فى الوقت نفسه الممثل الشخصى للمعبود حورس . وكما رأينا سابقا ، أن مجموعة الأسماء والألقاب الخمسة التى كانت تطلق على الملك منذ بداية الأسرات مدى ارتباط الملك بالمعبودات : حورس ، رع ، نخبت وواجيت . وقد أطلق على الملك كذلك ، طوال العصور التاريخية المختلفة ، ألقاب ونعوت أخرى على سبيل المبالغة . وهى تبين نشأته المقدسة وأصله المقدس وطبيعته المقدسة وأنه صاحب الميراث المقدس لحورس ، وارتبط اسمه بصفة دائمة باسم المعبودات الأخرى كمولود منها أو مخلوق منها أو كابن لها أو كمحبوب منها أو هى التى أشرفت على تربيته وأرضعته ، أو هى التى تكفل له الحماية . بل أن هناك ألقابا أخرى تشبهه

---

(١) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ٢٠٨٩ – ٢٠٩ .

بالمعبودات نفسها . وهناك ألقاب تبين صفاته الجسمانية وارتباطها بأجساد المعبودات الخالدة .(١)

إلى جانب هذا حاول الملوك من جانبهم أن يروجوا لهذه الأحقية الشرعية المقدسة التى تؤهلهم للحكم . والمثال الأول على ذلك هو أقدم عليه ملوك الأسرة الخامسة فى عصر الدولة القديمة ، إذ وصلتنا بردية تسمى بردية وستكار تحكى لنا قصة ميلاد الملوك الأوائل من الأسرة الخامسة وكيف أنهم أبناء للمعبود رع ومن صلبه ، وأن المعبودات الأخرى هن اللاتى ساعدن فى ولادتهم وهيأت لهم التيجان .

وقد تكررت هذه القصة مرة ثانية ، إذ صورت الملكة حاتشبسوت على جدران معبدها الجنائزى فى الدير البحرى فى البر الغربى فى طيبة مناظرا تمثل مولدها المقدس وكيف أن أمها حملت من المعبود آمون نفسه . وكيف أنه قد أراد عن قصد أن تتولى ابنته حاتشبسوت عرش البلاد .(٢)

وقد سار الملك أمنحتب الثالث على هذا المنوال من إرجاع نسبه للمعبود آمون مباشرة وصور هذه القصة لميلاده المقدس فى معبد الأقصر (٣) . وصور الملك رمسيس الثانى القصة نفسها على بقايا كتلة من معبد مدينة هابو .(٤) وتبنى بعض الملوك البطالمة والرومان هذا التقليد . فالحقوا بالمعابد البطلمية مثل معبد دندرة وادفو وكوم امبو وفيلة ما يسمى " بمعابد الميلاد المقدس " التى تبين نقوش جدرانه أن الملك البطلمى لا يختلف عن بعض الملوك المصريين وأنه كان يعتبر نفسه ابنا للمعبود وأن المعبودات الأخرى هى التى تكلفت بولادته ورعايته لأنه الطفل المقدس من بذرة مقدسة .(٥)

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٩ .

(٢) R. el Sayed, la Déesse Neith de Sais, p. 338 (Doc. 314) .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ١٥٩؛ R. el Sayed, op. cit., p. 338 (Doc. 315)

(٤) R. el Sayed, op. cit., p. 339 (1) ، وراجع فيما سبق ، ص ٢١٤ حاشية (٢-٣) .

(٥) Daumas, les Mammisis des temples égyptiens, Paris 1958, p. 29-64, 79-122; R. el Sayed, op. cit., p. 339- 340 (2-4) .

وقد كلف الكهنة بنقش هذه القصص على جدران المعـــابد ليراهـــا النـــاس ويؤمنوا بأحقية الملك فى الحكم وشرعيته المقدسة فى الحكم .[١]

اعتبر الملك الكاهن الأول أو الكاهن الأكبر لكل المعبودات ، وذلك لأنه كان يعتبر فى الوقت نفسه ابنا لهم جميعا . وصور فى جميع المعابد ، حتى المعابد التـــى شيدت أو حفرت فى الصخر فى المناطق البعيدة مثل بلاد النوبة ، وهو يقـــوم تأديـــة الطقوس للمعبودات ، حتى ولو أنه لم يذهب إلى هذه الأماكن البعيدة ، ولكن صـــــور هكذا تأكيدا لصفته ولسلطته المقدسة ، وكان ينوب عنه فى تأدية الطقـــوس الكـــاهن الأكبر فى المعبد . ومن جانبه اهتم الملك بتشـــييد المعـــابد والمقـــاصير والـــهياكل للمعبودات وأوقف عليها الأراضى والضياع المعفاة من الضرائب .

وترتبط اسم الملك باسم المعبود انوبيس ، أو اوزير فى جميع صيغ القرابين الرسمية ، وذلك بصفته المقدسة وبصفته الكاهن الأول لكـــل المعبـــودات ، فكـــانت القرابين تقدم باسمه فى جميع معابد المعبودات .[٢]

ولهذا كله أيضا أصبحت تنظم عبادة للملك باعتباره معبـــودا وكـــانت تقـــام الشعائر الجنائزية له بعد وفاته . وبسبب هذه الصفة والمكانة المقدسة ، اشترك النـــاس فى بناء آثار الملك الضخمة من معابد وحفروا مقبرته فى الصخر شديد الصلابة وفـــى ظروف غاية فى الصعوبة ، واحضروا الأحجار الصلبة من المحـــاجر البعيـــدة فـــى الصحراء الشاقة الوعرة ، كل ذلك عن طواعية ورضى .

ولتأكيد هذه الصفات المقدسة كان يطلق على الملك مجموعة مـــن الألقـــاب تعبر عن هذه المعانى وهى عن :

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضـــارة المصريـــة ، ص ١٣٠ ، د. بيومـــى مهران : دراسة فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزءة : الحضارة المصرية ، ص ٩٩ – ١٠٩ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦ – ١١٧ .

نشأة الملك وأصله المقدس :

فكان يطلق عليه ألقاب : " البذرة المقدسة "(١) ، " البذرة النشطة "(٢) ، " النسل المقدس "(٣) ، " النسل النشط "(٤) ، " البيضة الكاملة " ، " البيضة الشرعية " (٥) ، الطفل المقدس ،(٦) الخلف المقدس .(٧)

طبيعته المقدسة :

وكان يطلق عليه أيضا ألقاب : نثر الذى يترجمه أغلب علماء المصريات بالإله ولكن نفضل ترجمته " بالمعبود " (٨) ، ولكن فى رأينا الشخصى إن لقب نثر يقصد به هنا " المقدس أو صاحب القداسة "(٩)، ولا يقصد به المعبود بمعنى معبود

---

(١) Grimal, les Termes de la Propogande Royale Egyptienne, Paris (1986), p. 96 (232) .

(٢) Grimal , op . cit ., p. 100 (249) .

(٣) Id., op . cit ., p . 110 (229) .

(٤) Id ., op . cit ., p. 68 (249), 71 (129) .

(٥) Id ., op. cit ., p. 97 (236 – 240) .

(٦) Grimal, op. cit., p. 98 n. 243 – 244.

(٧) Meeks, Alex. I, p. 312 .

(٨) Grimal , op. cit ., p. 125 (338) .

(٩) اعتاد علماء على المصريات من الأجانب والمصريين على ترجمة كلمة نثر بمعنى " إله " ونثرت بمعنى " إلهة " ونثرو بمعنى آلهة ونثروت بمعنى آلهات . وقد ناقش " بدج " معانى هذه الكلمة وترجمها بمعانى كثيرة : " شبيه الإله ، المقدس ، إلهى ، ذو قداسة ، قوة ، قوى ، حماية " وأضاف أنه ليس متأكدا من اى معنى من هذه المعانى (راجع Budge, BD : The Papyus of Ani, vol. 11 (1913) , p. 99 – 121)
ونقل لنا رأى " بروجش " الذى ذكر أن نثر تعنى " القوة النشطة التى تنتج وتخلق الأشياء فى انتظام متكرر (Id., op. cit ., p. 99) . وفى ===

يعبد ، وكان يطلق على المعبود نفسه ثلاثة ألقاب رئيسية : نـــتر – عـــا " المعبـــود الكبير " (مثل آتوم واوزير ورع وخنوم وبتاح وجـــب وغيرهـــا) ، ونـــتر – ور " المعبود العظيم " (مثل خونسو وغيره) ، ونتر – نفر " المعبود الكامل "[1] (مثـــل اوزير) . وكانت هذه الألقاب الثلاثة تطلق أيضاً على الملـــك بمعنـــى " المقـــدس الكبير ، المقدس العظيم ، المقدس الكامل " .[2] وأول من حمل لقب نتر – عـــا هـــو سنفرو ، وأول من حمل لقب نتر – نفر هو جدف رع .[3] ومثل لقب نتر فـــى هـــذه الحالة مثل لقب " نب " الذى يعنى " رب " بالنسبة للمعبود ، ويطلق على الملك بمعنى " سيد (الكل) " . وقد ادخل لقب نتر " المقدس " فى ألقاب أخرى تؤكد على مكانـــة وطبيعة الملك المقدسة مثل : نسوت – نثرى الملك المقدس[4] ، حقا – نثرى الحـــاكم

== رأينا أن هذا التفسير مقبول ومنطقى . أما مورنز فيترجم هذه الكلمة بمعنى آلـــه ويذكر إن العلامة التى تتكون منها الكلمة هى عبارة عن فاس يرمز إلى القـــوة الكامنة فى المعبود نفسه (راجع : Morenz , la Religion Egyptienne , Paris (1962) , p. 41

كما أشار مونز إلى رأى بيسينج الذى كتب مقالا مطولا عن هذه الكلمـة وأشار إلى أن نتر ترجع فى اصلها إلى كلمة نثرى بمعنى النطرون الذى يعـــبر عن فكرة الطهارة والنقاء (راجع . Id., op . cit ., p. 41 n . 2)

وفى رأينا أنه يجب التمييز بين لقب نتر بمعنى معبود الذى يعبد ، والذى كـــان يطلق على المعبودات بوجه عام وعلى المعبودات فى صحبة معبود الشـــمس وعلـــى معبودات الشعوب أعداء مصر . ونتر بمعنى مقدس أى له قداسة وكان يطلق علـــى الملك الحى أو المتوفى أو على حاشيته أو على بعـــض الأشـــخاص المتوفيـــن ذوى المكانة ، راجع : . Meeks, Alex.I,p. 205 – 206; 11, p. 211; 1.11, p. 166

(١) Grimal, op . cit ., p. 108 – 110 .

(٢) Grimal, op . cit ., p.62 (89) , 109 (284) , 125 – 128, 136 لأن كلمة " معبود لا تحتاج إلى أية تفاصيل أخرى لأن المعبود يتصف أساسا بالكمال .

- عن مفهوم كلمة نتر ومعانيها المتعددة فى فكر المصرى القديم ، راجـــع الجـــزء الثانى ، الباب السابع ، ص ٤٠ – ٧٩

(٣) Dobrev, BIFAO 93 (1993), p. 200 n. 76 – 78.

(٤) Meeks, Alex. 111, p. 161; Grimal, op. cit., p. 125 (340) .

المقدس[١] ، نثر – نثرى المقدس قداسة[٢] ، وع – نثر الوحيد المقدس[٣] ، نثر – ور المقدس العظيم[٤] ، نثر – منخ المقدس الخير .[٥]

صاحب الميراث المقدس :

" الوريث النافع أو المفيد مثل حورس " [٦]

ارتباطه بالمعبودات :

فيقال له مثلا " المولد من رع أو آتـــوم " [٧] ، " المولـــود مـــن المعبـــودة (X)"[٨] ، " المخلوق من رع ، آمون رع ، آتوم ، بتـــاح "[٩] ، " الـــذى أرضعتـــه المعبودة (X) "[١٠] ، " الذى ربته المعبودة (X) "[١١] ، " ابن آمـــون " أو " ابـــن رع "[١٢] ، " ابن المعبـــودة (X) "[١٣] ، " المحبـــوب مـــن المعبـــود (X)[١٤] ، " المحبوب من المعبودة (X) .

---

(١) Grimal, op. cit., p. 126 (341).

(٢) Wb11, 363, 1-2; Id., Alex. 11, p. 212; 111, p. 161; Grimal, op. cit., p. 125 (339) .

(٣) Vikentiev, La Haute crue du Nil, p. 15; Grimal, op. cit., p. 101 (253) .

(٤) Meeks, Alex. 11, p. 211; 111, p. 71.

(٥) Wb 11, 85, 8-9; 358, 11 .

(٦) Id., op. cit ., p. 178 (531) .

(٧) Id., op. cit ., p . 102 (225 – 257) , 104 (268) .

(٨) Id., op. cit ., p. 62 (89) , 71 (128) , 102 – 103 .

(٩) Id., op. cit ., p . 105 (274 – 276) .

(١٠) Id., op. cit ., p. 103 (265) , 1204 – 106 .

(١١) Id., op. cit ., p. 62 (89) , 115 (91) .

(١٢) Id., op. cit ., p. 71 (126 – 127), 109 (284), 155 (455) .

(١٣) Id., op. cit ., p . 84 (183).

(١٤) Meeks, Alex. 11, p. 166; Wb 11, 101, 3; Piankoff, leCoeur, p. 86.

تشبهه بالمعبودات :

مثل حورس[١] وست [٢] ، أنه " رع بالنسبة بمصر وللعامـــة "[٣] ، أى رع النافع بالنسبة للبلاد وللعامة التى يسكنون فيها ، " ذو الأشعة الساطعة "[٤]

صفاته الجسمانية :

" الجميل " [٥] ، " جسده من ذهب ، وعظامه من الفضة " [٦] ، " الجبل مــن الذهب "[٧]

موهبته :

مثل : " الحكيم والعارف والذكى " .[٨]

تتويجه كملك:

" سيد التيجان " [٩] ، " مجدد التيجان " .[١٠]

---

(١) Id., op. cit ., p . 72 (135) , 73 (138) , 76(151, 91(211).

(٢) Id., op. cit ., p. 88 (196) , 91 (211) .

(٣) Id., op. cit ., p. 370 (1242) , 371 (1247) .

(٤) Id., op. cit ., p . 382 (1065) .

(٥) Id., op. cit ., p . 72 (135) .

(٦) Id., op. cit ., p . 126 (345) .

(٧) Id., op. cit ., p . 127 (349) (351) .

(٨) Lalouette , L'Empire des Ramsès, p. 370 – 372 .

(٩) Grimal , op. cit ., p. 211 – 228 , 382 (1302) .

(١٠) Id., op. cit ., p . 714 (872) .

كصاحب سلطة :

فهو " الملك "(١) ، " الحاكم "(٢) ، " السيد "(٣) ، " العـــاهل "(٤) ، ويطلـق عليه أيضا " ملك الأرضيين "(٥) ، " سيد الأرضيين "(٦)، " سيد أرض الجنـوب " (٧) ، " سيد الجنوب " (٨) ، " حاكم الضفتين "(٩) ، " حاكم الأرضيين "(١٠) ، " حاكم الأرض السوداء " .(١١) .

وفى عصر الأسرة التاسعة عشرة ذكرت التسمية : تا بـــر – عـــا " أرض الحاكم أو الملك " (١٢) أى أن ملك مصر هو الحاكم المطلق وسيد الأرضيين . الـــذى يترأس الأرضيين "(١٣) ، " الذى على رأس الأرضيين "(١٤) ، " ملك مصـــر "(١٥) ، " سيد مصر "(١٦) ، " الحاكم العظيم لمصر "(١٧) ، " حاكم كل ما يحيط بالشـــمس "(١٨) . وهو أيضا : " ملك عامة العشب "(١٩) ، " ملك الأحياء "(٢٠) ، " سيد العامـــة "(٢١) ،

---

(١) Id., op. cit ., p . 170 (508).
(٢) Id., op. cit ., p . 383 (1307).
(٣) Id., op. cit ., p . 562 (13).
(٤) Id., op. cit ., p . 383 (1307) .
(٥) Id ., op . cit ., p. 486 (219).
(٦) Id ., op . cit ., p. 513 (345).
(٧) Id ., op . cit ., p. 562 (10).
(٨) Id ., op . cit ., p. 321 (1038).
(٩) Id ., op . cit ., p. 574 (83).
(١٠) Id ., op . cit ., p. 339 – 342 , 371 (1250) . 440 (5) .
(١١) Id ., op . cit ., p. 574 (85).
(١٢) Meeks . Alex . 111 , p. 318 .
(١٣) Grimal , op . cit ., p. 130 (369).
(١٤) Id ., op . cit ., p. 73 (138).
(١٥) Id ., op . cit ., p. 242 (24).
(١٦) Id ., op . cit ., p. 565 (24).
(١٧) Id ., op . cit ., p. 576 (90)
(١٨) Id ., op . cit ., p. 59 (78).
(١٩) Id ., op . cit ., p. 237 (749).
(٢٠) Id ., op . cit ., p. 565 (5).
(٢١) Id ., op . cit ., p. 561 (5) .

" الذى على رأس عامة الشعب "[١]

سياسته الداخلية :

ما يجب عليه نحو بلاده وشعبه :

فهو " موحد الأرضيين "[٢]، " منظم الأرضيين "[٣]، " مجمل الأرضيين "[٤] ، " الذى يهدئ الأرضيين "[٥] ، " الذى يسبب الهدوء للأرضيين "[٦] ، " الذى يجعل الأرضيين (فى) سلام "[٧] ، " الذى يحافظ على حياة الأرضيين "[٨] ، الذى يمد الأرضيين بالغذاء "[٩] ، " (مصدر) الغذاء لمصر "[١٠]، " الذى يحافظ على حياة العامة "[١١]، " الذى يهب نسيم الحياة "[١٢]، " الراعى الطيب للعامة "[١٣]، " الراعى الطيب لعامة الناس "[١٤]، " الراعى الطيب الذى يحافظ على حياة قواته "[١٥]، " راعى تا - مرى = مصر " [١٦]

(١) Id ., op . cit ., p. 367 (1224).
(٢) Id ., op . cit ., p. 319 (1027).
(٣) Id ., op . cit ., p. 321 (1034).
(٤) Id ., op . cit ., p. 320 (1033).
(٥) Id ., op . cit ., p. 317 (1018).
(٦) Id ., op . cit ., p. 316 (1015).
(٧) Id ., op . cit ., p. 314 (1011).
(٨) Id ., op . cit ., p. 231 (727).
(٩) Id ., op . cit ., p. 261 (817) , 264 .
(١٠) Id ., op . cit ., p. 263 (823).
(١١) Id ., op . cit ., p. 235 (739).
(١٢) Id ., op . cit ., p. 242 (761).
(١٣) أحد ألقاب رمسيس الثانى = Id ., op . cit ., p. 349 (737).
(١٤) أحد ألقاب اوسركون الثالث = Id ., op . cit ., p. 349 (1161).
(١٥) أحد ألقاب سيتى الأول = Id ., op . cit ., p. 350 (1162).
(١٦) أحد ألقاب رمسيس الخامس = Id., op. cit., p. 349 (1160). وفى كتاب البوابات المسجل داخل مقبرة رمسيس السادس مثل حورس " راعى البشر " متكئا على عصا فى وضع راعى وهو يقوم على رعاية البشر الممثلين بأربعة من المصريين وأربعة من الفلسطينيين وأربعة من النوبيين وأربعة من الليبيين ، راجع : Sanneron- Yoyotte, la Naissance du monde, p. 76.

" الملك المحبوب " ، " العادل "[١] ، " المرشد للبلاد "[٢] ، فهو الذى يعطـــى التعــاليم وهو الذى يسبب " الرخاء ، والفيضـــان والنـــور " للنـــاس [٣] ، " راعـــى تـــامرى (مصر) [٤] ، " أب وأم للكل "[٥] ، " الذى يطبق العدالة "[٦] ، " الذى يثبت العدالـــة عبر الضفتين "[٧] ، " سيد القوانين الصالحة "[٨] ، " ذو القوانيـــن النشـــطة "[٩] ، ذو القـــرارات الصائبـــة "[١٠] ، " ذو التصرفـــات الناجحـــة "[١١] ، " ذو المعجـــــزات العظيمة "[١٢] ، " سيد الطقوس "[١٣] ، " سيد الأعياد " .

<u>**وما يجب عليه نحو المعبودات**</u> : " الذى يرضى كل المعبودات "[١٤] ، " الذى يرضى المعبودات بتحقيق العدالة "[١٥] ، " الذى يرضى المعبود بما يحبه "[١٦] ، " الذى يفعـــل ما تحب المعبودات "[١٧] ، " الذى يعمل ما هو سار لجميع المعبودات "[١٨] ، " الـــذى يجعل المعبودات راضية بما تحبه "[١٩] ، " الذى يجعـــل المعبـــودات راضيـــة فـــى مقاصيرها " .[٢٠]

---

(١) Id., op. cit ., p. 55 (61) , p. 345 – 347 .
(٢) Id., op. cit ., p. 348 – 351 .
(٣) Id., op. cit ., p. 229 , 294 – 338 .
(٤) Id., op. cit ., p. 349 (1160) .
(٥) Id., op. cit ., p. 350 (1162) .
(٦) Id., op. cit ., p. 55 (61) .
(٧) Id., op. cit ., p. 54 (57) .
(٨) Id., op. cit ., p. 348 (1149) .
(٩) Id., op. cit ., p. 233 (733) .
(١٠) Id., op. cit ., p. 348 (1149) .
(١١) Id., op. cit ., p . 317 (1018) .
(١٢) Id., op. cit ., p . 353 (1178) , 354 .
(١٣) Id., op. cit ., p. 513 (345) .
(١٤) Meeks, Alex. 11, p. 342.
(١٥) Grimal, op. cit., p. 300 n. 943.
(١٦) R. el Sayed, Documents relatifs `a Sais, p. 124 n. (0).
(١٧) Zivie. Hermopolis, p. 124 – 125, 127, 130.
(١٨) Grimal, op. cit., p. 343 n. 1130.
(١٩) Id., op. cit., p. 515 n. 353.
(٢٠) Id., op. cit., p. 301.

سياسته الخارجية :

نشاطه الحربى والدفاع عن البلاد :

" سيد القوة "[١] ، " عظيم وشديد القوة "[٢] ، " الملك القـوى "[٣] ، " الملـك القوى الذى يحمى مصر "[٤] ، " العاهل الذى يحمى مصـــر "[٥] ، " الـذى يحمـى مصر "[٦] ، " درع البلاد "[٧] ، " ذو الذراع القوية " .[٨]

وتشبهه بعض الألقاب بالحيوانات والطيور المفترسة وذلك للدفاع عن البلاد: فهو الصقر حورس " الذى يحمى مصر بجناحيه "[٩] ، " الصقر المقدس عندما يتوغـل بين الطيور "[١٠]، فهو أيضا " الفهد أو الأسد أو الثور "[١١] فهو " الثور القـوى "[١٢] ، " ثور على حدوده "[١٣] ، " الثور الفتى "[١٤] ، " الثور الفتى لحمايـــة مصـــر "[١٥] ، " ذئب الوادى "[١٦] ، وعند القتـــال هـــو " ســيد الســيف "[١٧] ، " حــامل القــوس الماهر "[١٨] ، " ماهر فى القتال "[١٩] ، وهو أيضا : " ذو القوة العظيمــة ضــد كــل

(١) Id., op. cit ., p. 704 (819).
(٢) Id., op. cit ., p. 81 (171), 83 , 703 (814 – 817) , 705 .
(٣) Id., op. cit ., p. 242 (762) .
(٤) Id., op. cit ., p. 326 (1053) .
(٥) Id., op. cit ., p. 231 (725) .
(٦) Id., op. cit ., p. 322 (1040) , 700 (801) .
(٧) Lalouette , L'Empire des Ramsès ,p. 376 .
(٨) Grimal, op. cit ., p. 231 (727) .
(٩) Grimal , op. cit ., p. 75 (147) .
(١٠) Id., op. cit ., p. 77 (156).
(١١) Lalouette , op. cit ., p. 308 , 380, 382, 392 , 399; Grimal, op. cit ., p. 404 – 430 .
(١٢) Grimal , op. cit ., p. 230 (367) .
(١٣) Id., op. cit ., p. 684 (692) .
(١٤) Id., op. cit ., p. 84 (183), 89 (199) , 155 (455) .
(١٥) Id., op. cit ., p. 328 (1065) .
(١٦) Id., op. cit ., p. 429 (1479) .
(١٧) Id., op. cit ., p. 513 (345) .
(١٨) Id., op. cit ., p. 714 (873) .
(١٩) Id., op. cit ., p. 710 (851) .

البلاد الأجنبية "(١) ، " الذى يطأ كل البلاد الأجنبية "(٢) ، " (الذى) أخضع البلاد الأجنبية "(٣) ، " ذو الصيت العظيم فى كل البلاد "(٤) ، " الحاكم ذو الانتصارات العظيمة ضد كل البلاد الأجنبية ".(٥)

وكانت كل هذه الألقاب والنعوت التى كانت تطلق على الملك تكتب وتنسخ عادة فيما يسمى باسم " بيت الحياة " وهو مكان مخصص لنسخ كل النصوص والمؤلفات الدينية وغيرها . وكان هذا المكان ملحقا بالمعابد الكبرى فى مصر القديمة . أما إذا كان هناك لقب جديد فكان ينشر بواسطة الموظفين ورجال البلاط فى كل أنحاء البلاد .

زينته وملابسه الرسمية :

كان الملك يستيقظ مبكرا فى الصباح ، ثم يستحم ويقوم مصفف الشعر بالقصر الملكى بتصفيف شعره وتقليم أظافر الأيدى والأرجل . وكان الملك لا يظهر مطلقا عارى الرأس أمام الجماهير، بل كان يضع زيا على رأسه حتى وهو بين خاصته . وكان يضع على رأسه شعرا مستعارا مستدير الشكل يحوطه إكليل معقود من الخلف . ويلتف فوق الكليل ثعبان الكوبرا المصنوع من الذهب ، انتفخ عنقه فانتصب وسط الجبين وأثناء الاحتفالات أو المقابلات الرسمية يضع التاج المزدوج .

وكان الملك يفضل أن يضع على رأسه أثناء استعراض الجيش وخلال الحروب ، الخوذة الزرقاء ذات الخطوط المتعرجة . وكان يضع أحيانا غطاء الرأس نمس ، المصنوع من القماش الأبيض ومخطط بخطوط حمراء ، وكان يضعه أيضا

---

(١) Id., op. cit ., p. 703 (814) .

(٢) Id., op. cit ., p. 668 (612) .

(٣) Id., op. cit ., p. 700 (801) .

(٤) Id., op. cit ., p. 696 (774) .

(٥) Id., op. cit ., p. 580 (114).

أثناء الحفلات .

ومن أزياء الحفلات أيضا اللحية المستعارة ذات الجدائل والتي تثبت بمشبكين مع زى الرأس ، مهما كان نوعه ، وكان الملك في العادة يحلق ذقنه وشاربه ، وأحيانا كان يترك شعر الذقن ينمو قليلا ثم يحلقه فتصبح مربعة الشكل .(١)

وكانت القطعة الأساسية فى ملابس الملك ، هى النقبة ، وتمتاز النقبة الملكية بأنها ذات ثنيات يشدها حزام عريض تتوسطه انشوطة من المعدن نقشت على فتحتها كتابة هيروغليفية تعبر عن اسم الملك وبعض ألقابه ، ويعلق ذيل ثور فى الخلف . وأحيانا كانت تعلق فى الحزام من الأمام مئزر على شكل شبه منحرف مستطيل . كانت ترصع من الداخل بعقود من اللؤلؤ . وكان الملك يمتلك مجموعة ضخمة من الصنادل المصنوعة من الجلد والقش أو من المعدن . أما العقود والقلائد فهى عديدة وذات أشكال جميلة . أما القلادة الرئيسية فكانت تحتوى على عدة صفوف من اللؤلؤ يضمها قفلان على شكل رأس صقر وكانت تعلق على الرقبة بواسطة رباطين . وأحيانا كان يعلق على رقبته أيضا لوحة مستطيلة للصدر على هيئة واجهة المعبد بواسطة سلسلة مزدوجة . كما كان يتزين بثلاثة أزاوج من الأساور ، أحدها فى أعلى الذراع وآخرين عند المعصمين والثالث عند الكعبين .(٢)

سلطاته ووجباته وأعماله الرسمية :

يذكر ديودور الصقلى أن الملك كان يستيقظ فى ساعة مبكرة من الصباح وأن وقته كان موزعا بطريقة دقيقة بين العمل والعبادة والراحة . فبعد أن كان يتزين الملك ويضع الزى الرسمى كان يقدم ذبيحة أو قرابين للمعبودات . ويستمع إلى دعوات وتراتيل كبير الكهنة ، وكان يقوم بعد ذلك بتنظيم أوقاته بين الاجتماعات

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٩٤ ، ٢٧١ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٢ .

الرسمية والمقابلات والمحاكمات والتنزه والتسلية . يجلس الكتبة القرفصاء من حوله لتسجيل تنظيم أوقاته وتسجيل أوامره وتعليماته .

كان الملك الحاكم المطلق ورأس الدولة التى تتجمع فى يده كل الخيوط التى تهيمن على شئون الحكم والإدارة فى البلاد . وكان الملك حريصا على أن يحاط علما بكل الأحداث الجارية فى البلاد [١] .ومن الألقاب والصفات التى كانت تطلق عليه يتضح أنه كان صاحب سلطة وسلطان على الوجهين القبلى والبحرى وتظهر هذه الألقاب كما رأينا دوره فى السياسة الداخلية والخارجية ومسئولياته تجاه الوجهين وأهلهما . كان الملك يشترك فى أعمال الحكومة بنصيب وافر .

كان الوزير يعرض عليه صباح كل يوم أحوال البلاد ، وسير العمل فى الحكومة ، والمشكلات التى تتطلب أخذ رأيه فيها .

(١) الإشراف على الميزانية :

بعد ذلك ياتى دور المشرف على بيت المال ن الذى يقدم للملك تقاريره المالية وأحوال البلاد من الناحية المالية والضرائب المجباة والجزية ومصروفات الحكومة .[٢]

وفى بردية بولاق رقم ١٨ والتى ترجع بداية الأسرة الثالثة عشرة أو النصف الأول منها ، نجد جانبا عن كيفية إعداد الميزانية التى تعرض على الملك ، وقد كتبت هذه البردية بيد كاتب من طيبة يدعى نفر حتب [٣] ، كان يعيش فى عهد أحد ملوك هذه الأسرة . وكان لهذا الملك وزير يدعى عنخو . وكان الكاتب نفر حتب

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٥٥ ، ٢٧٢ – ٢٧٣ .
(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٤ .
(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٧٩ ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

مكلفا بإعداد ميزانية للبلاط الملكى ، فالدخل كان يأتى أساسا من جمع الضرائب ، والتى كانت تعد وتجمع فى ثلاثة أقسام يحمل كل قسم اسما عاما ، أى أن تأدية الضرائب كان موزعا بين ثلاثة مكاتب . وتكشف لنا البردية انه كان هناك ثلاثة أنواع من الدخول : عادية وغير عادية ويومية ، يمثل بعضها تبرعات الشعب [1] للتاج الملكى . أما المصروفات فكان الكاتب يسجلها يوميا ويحدد الرصيد المقترح للصرف منه فى اليوم التالى . وكانت هذه المصروفات تنقسم إلى بندين :

(أ) مصروفات عادية وتشمل مخصصات الدولة ومستحقات العائلة الملكية ومرتبات الموظفين .

(ب) مصروفات غير عادية وتشمل الهبات التى منحت بواسطة الملك لأفراد حاشيته أو كبار موظفى الدولة على هيئة مكافآت بمناسبة عيد من الأعياد الدينية .

وكان الكاتب يتبع كل بند من المصروفات بالإيضاحات الآتية :

- " عن طريق أمر مكتوب " من الملك شخصيا ، وذلك أشبه بالمنشورات أو القرارات فى وقتنا الحاضر .

- أو " عن طريق أمر شفهى " من الملك شخصيا ، نقل بواسطة موظف سمى باسمه من موظفى البلاط الملكى ، مثل رئيس الديوان الملكى الذى كان مكلفا بنقل مثل هذه الأوامر الملكية الشفهية .[2]

وقد جاء فى هذه البردية ذكر قوائم الوظائف التى كانت معروفة فى هذه الفترة فهناك قائمة طويلة بالموظفين من كبارهم حتى أبسط الوظائف ، وكل هؤلاء كانوا يعاملون معاملة موظفى الدولة ويصرف لهم مخصصات من بيت المال ، وهى مدفوعات عينية تحل محل المرتبات لأن البلاد كانت لا تعرف فى ذلك الوقت نظام العملة وكان يجب ألا تمثل هذه المدفوعات عبئا ثقيلا على الميزانية العامة . فكان

---

(١) طبقا للبردية كان هناك مسئولا عن مكتب تبرعات الشعب .

(٢) راجع : Drioton – Vandier, L'Egypte (éd. 1952), p. 304 – 305

الملك يتكفل بصغار الموظفين وطبقة العمال والصناع والزراع ويقوم بتغذيتهم وكـذا نسائهم وأطفالهم .

(٢) الإشراف على المشاريع الداخلية :

- نرى على أثر من آثار الأسرة الأولى ، أن من بين أعمال الملك هو القيام بافتتاح مشاريع حفر الترع أو شق القنوات أى هو الذى يعطى إشارة البدء فى مشـاريع الرى .(١)

- تفقد سير العمل فى المحاجر والمناجم والطرق الممتدة فى الصحراء لحفر الآبـار فيها (٢) . ونعلم أن الملك سيتى كان مشغولا بتزويد الباحثين عن الذهب بالمـاء ، وهم أولئك الذين كانوا يعملون فى المنطقة الواقعة شرقى ادفو وكان هذا الأمـر يشغله إلى حد أنه انتقل بنفسه ليرى مدى متاعب العمال المحرومين من الميـاه وهم يعملون تحت أشعة الشمس المحرقة(٣) .

- تفقد العمل فى بناء معابد ومقاصير المعبودات . وكان لتركيز السلطة والـثروة فى يد الملك نتيجة هامة فى عصر الدولة القديمة ، فقد ساعد هذا العامل الملـك على إعداد وتنفيذ المشاريع المعمارية الضخمة وأن يجند لها العداد الضخمة مـن السواد الأعظم .

(٣) سن القوانين وإصدار المراسم :

للقضاء على الفساد الذى يصيب موظفى الإدارة فى بعض الأحيان . مثـل المرسوم الذى أصدره حور محب للقضاء على الرشـوة واسـتغلال بعـض الكتبـة

---

(١) Pirenne, Histoire de la Civilisation de L'Egypte Ancienne, p. 67 – 69; Erman- Ranke, la Civilisation Egyptienne, p.111 .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 40 .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

ومحصلى الضرائب السلطة للحصول على أموال صغار المزارعين .كما تناول المرسوم الذى أصدره سيتى الأول تحذيرات وجهت بلهجة شديدة إلى الوزراء وكبار الموظفين وحاكم كوش وإلى حملة السهام وإلى حراس الذهب ، وإلى الأمراء ورؤساء القبائل فى الجنوب وفى الشمال وإلى الفرسان ورؤساء الإسطبلات وحملة المظلات وإلى جميع رجال حراس القصر الملكى وجميع المبعوثين . وكان المقصود من هذا التحذير هو منع هؤلاء الموظفين من سوء استغلال أملاك ومخصصات معبد ابيدوس . كما قرر أن كل موظف يضع يده على ممتلكات المعبد يعاقب بضربه مائة ضربة بالهراوة وأن يرد ما سرقه وعليه أن يدفع ما يعادل قيمته مائة مرة على سبيل التعويض . وقد تصل العقوبة فى بعض الحالات إلى جدع الأنف وقطع الأذنين وحجز الجانى ويصبح عاملا زراعيا بين خدم المعبد .(١)

(٤) تحمل مسئولية الأعمال الحربية :

كانت تقع على الملك مسئولية القيام بالأعمال الحربية وتقع عليه مسئولية حماية البلاد والدفاع عنها وعن حدودها فى الشمال والجنوب والشرق والغرب . وكان يرأس الجيوش وقت الحرب أو يرأسها أحد قواده الكبار . وأحيانا كان يشترك معه الأمراء من أبنائه . وكان عليه إعداد جيش قوى والعمل على وجود جيش ثابت منظم يدافع عن البلاد ، او يرسل قواته للعمل فى المحاجر والمناجم فى أوقات السلم . وكان يطلب عقد اجتماع لمستشاريه فى البلاط الملكى إذا تعرضت حدود البلاد للخطر أو ليخبرهم بنبأ انتصار الجيش .

(٥) تعيين كبار الموظفين :

كان تعيين الوزير وكبار الموظفين وحكام الأقاليم واختيار رئيس كهنة آمون من اختصاص الملك وحده . وكان هناك وزير واحد لمعاونة الملك منذ بداية

(١) المرجع السابق ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .

الأسرات حتى نهاية الدولة الوسطى ، وأصبح له فى عصر الدولة الحديثة وزيران يتقاسمان الإشراف على الشئون الإدارية للوجهين القبلى والبحرى . وكان اختيار كبير الكهنة مثل اختيار كبير كهنة آمون مثلا كان من سلطة الملك [١] . أما تعيين الكهنة من ذوى المناصب الدنيا ، فقد كان يترك للوزير فى غالب الأمر ، وكان من حق الملك ترقية من هو صاحب كفاءة ونشاط من الكهنة ، هذا فضلا عن أنه كان من حق الملك أن ينقل أى كاهن من معبد إلى آخر . وكان من سلطة الملك كذلك تعيين القضاه من ذوى السمعة الحميدة والسيرة الحسنة .

(٦) حق منح العفو عن بعض المذنبين :

كان الملك يصدق فى بعض الأحيان على بعض الأحكام القانونية [٢] . وكان يمنح العفو عن بعض المذنبين أو الفارين [٣] مثلما حدث فى قصة سنوهى عندما عفا عنه الملك سنوسرت الأول وسمح له بالعودة إلى مصر بعد أن فر منها فى لحظة من لحظات الضعف .

(٧) المشاركة فى الأعياد والاحتفالات الدينية والرسمية :

كان الملك يشترك فى الأعياد التى تخصه مثل عيد السد (أى العيد الثلاثينى) أو الأعياد التى تقام بمناسبة تتويجه واحتفالات النصر والأعياد والاحتفالات الدينية الكبرى .[٤]

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٥ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزءة : الحضارة المصرية ، ص ٤٦٧ – ٤٦٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٤ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

(٤) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١١٣ – ١١٥ .

(٨) منح الهبات والهدايا :

تكشف لنا بردية بولاق رقم ١٨ السابق ذكرها ، أن الملك كان يمنح أفـــراد العائلة الملكية بعض الهبات العينية بمناسبة الأعياد . وتذكر البردية عيديـــن كلاهمـــا يخص طقوس المعبود مونتو مدامود . ونعلم أن من بين المســـتفيدين ، بالعطـــاءات الملكية ، الملكة وأخوات الملك . وأثناء حرب التحرير ضد الهكسوس كـــان الملـــك يوزع الذهب تقديرا لشجاعة عدد من قواد الحرب .

وكان الملك يدعو أحيانا مجموعة من الأفراد لتكريمهم فى القصر الملكـــى . ويرى من الخارج صف القاعـــات الملكيـــة وقـــد زودت بالكراســـى ذات المســـاند والصناديق الفاخرة . وقد رصت جميع الهدايا التى ستوزع علـــى موائـــد وضعـــت بجانب الملك . وفى فناء القصر يقوم حراس الملك بترتيب صفوف مستحقى الجوائـــز وإدخالهم ، كل بدوره ، حتى حافة الشرفة عندئذ يحيى مســـتحق المكافـــأة الملـــك ، بذراعيه ، ويلقى كلمة يمتدح فيها الملك ، فيجيبه الملك بالثناء على مهارته وتفانيه فى عمله . وعلى الفور تعلق القلائد فى أعناق من أنعم بـــها عليـــهم [1] ورأينـــا الملـــك اخناتون وهو يقوم بتوزيع الجوائز بنفسه . وكانت الهدايا ذات قيمـــة كـــبرى أحيانـــا وتتكون من ١٠ دبن [2] من الذهب و٢٠ من الفضة ، و٢٠ ارورا مـــن الأراضـــى الزراعية .

(٩) استقبال السفراء الأجانب :

كان حفل استقبال السفراء الأجانب يفوق بكثير حفل توزيع المكافآت ، لأنـــه كان مناسبة عظيمة تتيح للملك بان يظهر فيها أبهته . ولإقامة هذه الحفلات كان الملك

---

(١) ببير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ – ٢٧٩ .

(٢) حوالى ٩٣,٣ جراما ، راجع د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصريـــة فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٠ .

يشـيد سرادقـاكبيرا وسط ميدان ، ويحيط بهذا السرادق الحـــرس الملكــى وحــاملوا المظلات والكتبة . ويصطف السفراء من أركان العالم الأربعة فى وقت واحد علـــى جوانب السرادق الأربعة ، تتقدمهم الهدايا الثمينة التى أحضروها معهم ، فيقوم الكتبـة بجردها وتسجيلها ثم تحمل بعد ذلك إلى مخازن المعبد المجاور .[١]

حياته الشخصية :

كان الأمير فى حداثة سنه يقوم بممارسة أنواع مختلفة من الرياضـــة مثـل العدو والفروسية والتجديف والرماية وتصويب الهدف كما فعـل أمنحتـب الثـانى . وعندما يصبح ملكا كان يمارس بعض هواياته . فقد ترك لنا أمنحتب الثالث مجموعـة من الجعارين عليها نقوش تحدثنا عن ذكرى صيد الحيوانات المتوحشة مـــن ثـيران واسود بالقرب من قنا [٢] . وصور الملك رمسيس الثـالث علـى الجـدار الداخلـى للصرح الثانى وهو يقوم بصيد أسد وثور وحشى ووعل .[٣]

ولم يعتمد رمسيس الثالث على ضباطه للتأكد من أن خيوله فى حالة طيبـة ، فهو الذى كان يتوجه إلى الإسطبل الكبير بالقصر مرتديا ثيابه الرسمية كاملة يحيط به حامل المظلة وحامل المروحة ، ويليهما الضباط لخدمته .[٤]

عندما كان الملك يعود من رحلة صيد بعيدة ، وجد راحته فى قصـــره فـى طيبة فى صحبة الملكة وأبنائه . وكان الملوك يحرصون على مجالسة أهل العلم . فقد استدعى سنفرو إلى البلاط الملكى كاهنـا كـان يعـرف أحـداث المـاضى ويتنبـأ بالمستقبل . وعندما بلغ سمع الملك خوفو ، أنه يعيش فى عهده كاهن يأتى بالمعجزات

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ – ٢٨٤ .

(٢) Drioton, ASAE 45 (1947), p. 87–92; Breasted, AR11(865) .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ؛ ص ٢٩٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٨٨ .

كلف أحد أولاده ، بأن يحضره إلى القصر الملكى .(١)

وكانت إحدى تسليات الملك ان يشاهد المصارعات والمسابقات التى تقام بين الجنود الذين أحسن تدريبهم . وكثيرا ما كان يدعو معه رجـــال البـــلاط ليســتمتعوا بالمشاهدة .(٢)

ثقافته وخبرته وإشراك ولى العهد فى الحكم :

كان هناك من الملوك من كان على جانب كبير من الثقافة وذو خـــبرة فـــى شئون الحكم والإدارة ، مثل الملك خيتي الثالث (أو الرابع) من العصر الأهناســـى الذى ترك لأبنه مريكارع بردية جمع فيها كل تجاربـــه وتحليلـــه للسياســـة الداخليـــة والخارجية التى يجب اتباعها وذلك فى صورة نصائح لولده مريكارع . وكذلك برديـــة تعاليم أمنمحات الأول لأبنه سنوسرت الأول من الأسرة الثانيـــة عشـــرة . وتعـــاليم تحوتمس الثالث لوزيره رخمى رع وطاعة سيتى الأول لخدمة الدين والمعبـودات(٣) . كما يحدثنا رمسيس الثالث فى نصوص بردية هاريس رقم ١ عما قام به من أعمـــال لتجميل معابد المعبودات وعلى الأخص معبد آمون فى اوبت ومعبد آتوم فى إيونـــو ومعبد بتاح فى منف وما يماثلها دون ان ينسى معابد المعبودات الأقـــل مرتبـــة ، إذ أمدها بعدد وافر من الموظفين المدربين وبقطعان من الماشية والملاك العينيـــة وفـــى مناسبة كل عيد من أعيادها . ولم يهمل ذكر ما قام به للناس من توفير أسباب الراحـــة والأمن والاستقرار ولهذا يكرر دعاءه لجميع المعبودات من أجل ابنه ومن أجـــل أن يثبت على العرش من بعده .(٤)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ – ٢٩٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٠٨ – ٣١١ .

(٣) راجع فيما بعد ، الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ – ٣٠٠ .

ثانيا – نظم الإدارة :

الوزير واختصاصاته :

كان لابد للملوك الذين حققوا وحدة البلاد أن يكون بالقرب منهم موظفون يمثلون حلقة الوصل بينهم وبين رعاياهم . فعلى صلاية الملك نعرمر على الوجه الخلفى ، نجد ان الشخص الذى كان يسبق الملك والمميز عن الآخرين بطوله وملابسه وشعره المستعار ربما انطبقت عليه وظيفة وزير وذلك لأنه يحمل لقب " ثت " ربما كان الأصل لكلمة ثاتى بمعنى وزير . ونقش على بعض الأوانى التى عثر عليها تحت هرم جسر على لقب قاضى عال ووزير باسم منكاى ، ولا نعرف هل كان مواليا لأول ملوك الأسرة الثالثة أو لأحد سابقيه ، فقد عثر على هذا الاسم على أوانى كثيرة ولكن من الصعب تحديد ذلك .

وظهر لقب وزير فى ألقاب ايمحوتب من بداية الأسرة الثالثة على الرغم من أن بعض العلماء يعتقد أن وظيفة الوزير لم تظهر إلا فى الأسرة الرابعة (١) . كانت هذه الوظيفة تسند فى أول الأمر إلى أحد أبناء الملك ، ولكن أصبحت بعد ذلك من حق بعض كبار الشخصيات الذين لم تربطهم بالملك أى روابط قرابة .

وحفظت لنا نقوش مقبرة رخمى رع من الأسرة الثامنة عشرة ، التوجيهات التى وجهها له تحوتمس الثالث عندما نصبه وزيرا ، ولكنها تحذره من التحيز والمحاباة وعليه أن يحكم بالعدل والنزاهة والرفق بالناس وأن يعاملهم بالمساواة (٢) . وكانت هذه المبادئ التى ينبغى على الوزير أن يطبقها فى دائرته و كان يطبقها أيضا

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 52.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٦ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ : الحضارة المصرية ، ص ١٣٠ – ١٣٦ .

وعن حالة الإدارة وإدارة الأقاليم وإدارة المعبد والنصوص الإدارية ، راجع :
Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, p. 12 – 28.

بقية الموظفين الذين يمارسون القضاء فى الأقاليم .[١]

ومن واجبات الوزير أنه كان يرأس إدارتي الخزانتين أى بيت المال الأبيض ويشرف عليه مدير أو رئيس ويختص بضرائب الوجه القبلى ، وبيت المال الأحمر ويختص بضرائب الوجه البحرى [٢] . وأنشئت هاتين الإدارتين تحت حكم الملك " برايب سن " من الأسرة الثانية .

واندمجت الإدارتان فى عصر الدولة القديمة تحت إدارة واحدة وأصبحت تسمى " بيت المال المزدوج الأبيض "[٣] . وكانت هناك إدارات تابعة لبيت المال هذا فى الأقاليم وكان المشرف على بيت المال في العاصمة يقوم بتقديم تقريره اليومى للوزير ويتدبر الشئون المالية للدولة معه بحيث يمكن توزيع الدخل على أوجه الصرف المطلوبة من الحكومة . وبعد ذلك يأخذ الإذن منه لكى يبدأ نشاطه اليومى فى مكان عمله . فتفتح بأمره المخازن . وكان الوزير ينتظر من الموظفين المحليين تقريرا فى أول كل فصل من فصول السنة . وتقريرا شهريا عن سير الأعمال حتى يمكن للوزير بدوره أن يطلع الملك أولا بأول على الأحوال الاقتصادية فى البلاد .

وكان الوزير يقابل الملك صباح كل يوم ويعرض عليه أحوال البلاد ، وسير العمل الحكومى ، ويعرض عليه المشكلات التى تتطلب رأيه ويتلقى منه التوجيهات الضرورية . وكان الوزير يبلغ بارتفاع منسوب مياه النيل حتى يتسني تقرير ما يمكن أن يوزع من الأراضى التى تصل إليها المياه ، وبالتالى تقدير الضرائب التى ستفرض عليها . فكان يوجد سجلات فى بيت المال تتضمن قوائم بالأملاك من حقول وحدائق ومنازل . وكان لابد أن يسجل كل تغيير يطرأ على حالة هذه الأملاك .[٤]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٧٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٧ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

وكانت خزانة الدولة تشرف على جمع المنتجات التى كان يجب على أهـالى البلاد تقديمها للبيت العظيم " بر – عا " أى القصر الملكى . وكانت محاصيل الحقـول والبساتين تجمع فى الشونة المزدوجة لبيت المال . وكان الوزير يشرف علـى تلقـى الضرائب المفروضة على المهن والحرف الأخرى والتى كانت إما تدفع عينية . وإمـا بالذهب والفضة . وتسجل كل هذه الضرائب وقيمتها فى سجلات رسـمية . وطبقـا لنصوص حجر بالرمو ، نعلم أنه ابتداء من عهد الملك عج ايب من الأسرة الأولـى كان هناك إحصاء كل عامين ، وهذا الأمر يجعلنا نعتقد أن هنـاك ضرائـب تدفـع عينية ، والإحصاء يسمح أيضا بتحديد الأراضى التى خربـت بواسـطة الفيضـان المرتفع . وكان الوزير يشرف أيضا على تلقى جـزى الأقطـار الأجنبيـة التابعـة لمصر ، فى حين يتولى معاونوه تسجيل هذه الجزى فى سجلاتهم .

كان الوزير كبيرا للقضاة ويرأس القضاء . وقد سجلت نقوش مقبرة رخمـى رع جانبا من قاعة الوزير يصطف الناس فى خارجها مترقبين دورهم ليدخلوا واحـدا واحدا أمام الوزير ليعرضوا شكاياتهم . وكان ينبغـى أن ترفـع الشـكاوى للوزيـر مكتوبة ، وحينئذ يبدأ الوزير فى النظر إليها كلما أراد التأكد من فقرة أو بند .

وكان يجلس من حوله مستشـاروه أو الموظفـون المختصـون بالشـئون القانونية [١] . وإذا كانت الشكوى المقدمة للوزير تتعلق بنزاع على أرض مثلا ، فقـد حدد القانون أن يصدر الوزير حكمه فى خلال ثلاثة أيـام . أمـا إذا كـانت الأرض موضع النزاع فى مكان بعيد عن العاصمة ن فقد أباح القانون للوزيـر مهلـة تبلـغ شهرين حتى يستطيع أن يبحث الأمر ووضع الأمور فى نصابها . وفى هذه الحالـة يقوم بالتصديق على مستندات الحدود بنفسه للفصل بين مالك الأرض وجاره .[٢]

أما إذا كانت الشكوى خاصة بحادث سرقة ، فقد سمح القـانون للموظفيـن الإداريين بعقد مجالس أو دوائر قضائية للنظر فيما يعرض عليها من قضايا . وكـان

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٥ – ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٢ .

مجلسهم هذا ينتقل أحيانا إلى مكان الحادث ليعاين ويناقش المتهمين . وكان يطلب من المهتمين أحيانا أن يعبدوا وصف ما اقترفوه أمام أعضاء المجلس .

وقد جاء فى محضر من محاضر جلسات الدائرة التى عهد إليها بالتحقيق فى سرقات المقابر الملكية فى أواخر عصر الرعامسة ، أن أعضاء الدائرة القضائية قد انتقلوا إلى منطقة المقابر فى البر الغربى مع اللصوص للتحقق من كل سرقة . وكان يترك لكل لص الفرصة يشرح فيها كيفية دخوله المقبرة بمفرده أو مع أعوانه [1] . وكانت تسجل الأسئلة الموجهة للصوص وإجاباتهم عليها فيما يشبه المحاضر الحالية . وكان وزير الجنوب يرأس بعض جلسات هذه الدوائر القضائية . بالإضافة إلى ذلك كانت المجالس القضائية الكبرى تحت إشراف الوزير ، فهو الذى يشرف على البيوت (أو دور) الستة الكبرى ، ويرأس مجلس عشرة الجنوب العظماء . وكان يقوم أحيانا بإصدار بعض القوانين ، وخاصة القوانين الإدارية .

وكان الوزير يشرف على إدارات أخرى فى الدولة ، فكان يشرف مثلا على أملاك بعض المعابد الكبرى وعلى معابد المعبودات الأخرى . ويشرف على مخزنى الغلال للوجهين القبلى والبحرى ، ويشرف على جميع " أشغال الملك " كما أنه يشرف على السجلات الملكية التى كانت تحفظ فيها الأوراق الهامة كالمراسيم الملكية والعقود والوصايا . ويشرف أيضا على قوات الشرطة والحرس ، وقوات الجيش والبحرية تخضع لأوامره ، وكذلك قوات الحاميات فى القلاع والحصون وملحقاتها على حدود البلاد . وكان رؤساء هذه القوات فى القلاع يرسلون إليه بتقارير بما يرونه من تحركات للعدو أو تسربات عبر الحدود ، وينتظرون أوامره ، بعد أن يأخذ الوزير التوجيهات والأوامر من الملك نفسه بما يجب عمله [2] . وكان يقوم بترقية بعض الموظفين فى وظائفهم . بالإضافة إلى أن الوزير كان يجمع فى يده أكثر من سلطة فى مجال الإدارة والقضاء ، وكان من الممكن أن يصبح أيضا كبير للكهنة فى معبد الكرنك فى طيبة أو كبير للرائيين فى ايونو . ومن الممكن أن يصبح كذلك من

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ – ٣٦٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٦ – ١٢٧ .

رجال الأدب والحكم والأقوال المأثورة ويتناقل الناس عنهم أقوال الحكمة التـــى وردت على لسانهم أو التى قاموا كتابتها ، ولعل أشهر هؤلاء كان بتاح حتب وزير جد كارع اسيسى من الأسرة الخامسة .

وكان المركز الرئيسى الذى يباشر منه الوزير فى عصر الدولـــــة القديمـــة والوسطى إشرافه على إدارات الحكومة ، هو العاصمة ليكون قريبا من الملـــك (١) . ولتسهيل تنفيذ تعليمات الملك على الإدارات المختلفة . كما كان من حقه الاحتفاظ فـــى مكتبه بسجلات الدولة الإدارية والقانونية ، وفتح وغلق مصانع القصر ، وفى صحبتـه حامل الختم الملكى . كما كان يستقبل السفراء والجزى الأجنبية ، والإشـــراف علـــى البعثات الخاصة بالتعدين أو قطع الأحجار ، وحشد قوات الجيش والتفتيش عليها .(٢)

وهناك لوحة بالمتحف المصرى تحمل رقم ١٥٧٨٧ مـــن عصـــر الأســـرة السادسة وعثر عليها فى أبيدوس وعليها نص يخص إحدى السيدات النبيلات وتدعى " نبت " وكانت ذات صلة قرابة بالملك ببيى الأول (والدة زوجته) وكانت تحمل مـــن ألقابها الألقاب الآتية : " الأميرة الوراثية ، ابنة جب ، ابنة مرحـــو ، ذات الســـترة ، القاضية ، الوزيرة ، ابنة تحوتى ، سميرة ملك الوجه البحرى ، ابنة حورس ، المبجلة من قبل (اوزير) الذى يترأس الغرب ، سيد ابيدوس ، المبجلة نبت "(٣) . فهل يشـير هذا النص إلى أن هذه المناصب كانت قاصرة على بعض سيدات الأسرة الملكيـــة ؟ وعندما يقال لها إنها ابنة تحوتى فهل هذا يدل على أنها صاحبة ثقافة وعلم ؛ ولـــو أن البعض يرى أن هذا اللقب كان شرفيا .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٢ – ١١٣ .
(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .
(٣) Borchardt, Denkmaler des Alten Reiches II, p. 59 (1); Vernus, Athribis, BdE 74 (1978), p. 455 (3); Meeks, Alex 11, p. 418; WbV, 344, 2.
وأيضا جلال أبو بكر : أسيوط حتى نهاية عصـــــر الدولـــة القديمـــة ، رســـالة ماجستير غير منشـــورة ، كليـــة الآداب – جامعـــة المنيـــا ١٩٨٩ ، ص ٣٠٥ حاشية ، ٣٣١ ، ٣٣٦ ، ٤٥٧ وراجع أيضا د. رمضان عبده : تاريخ مصـــــر القديم ، الجزء الأول ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٥٩٦ .

قام فيشر بإحصاء أكثر من خمسة وعشرين لقبا إداريا حملته السيدات في عصر الدولة القديمة .(١) وكانت هناك مشرفة الطبيبات ، بسشت التى كانت مسئولة عن علاج سيدات البلاط الملكى . وورد لقبها هذا فى مقبرة ابنها آخت حتب بالجيزة من الأسرة الرابعة .(٢) وتذكر النصوص سيدة من القرن الحادى والعشرين ق.م حكمت إقليم أسيوط باعتبارها وصية على ابنها .(٣)

كبار الموظفين :

إلى جانب الوزير كان هناك موظفون آخرون ظهرت أهميتهم عبر العصور التاريخية وطبقا لتطور نظم الحكم والإدارة ، وكان يعتبرون من كبار رجال الدولة ، ومنهم :

" مستشار ملك الوجه البحري (أو حامل ختم ملك الوجه البحرى) " وظهر هذا اللقب منذ العصر الثينى ، وكان لحامله دور هام وفعال لأنه كان يتحكم فى الجزء الشمالى الأكثر غنى فى البلاد . ولو أننا لا نملك أى دليل على وجود وظيفة مماثلة للوجه القبلى . وكان تحت يد هذا الموظف الكبير موظفون يحملون لقب رؤساء الأعمال .(٤)

- " المشرف على الزراعة " .
- " المشرف على السجلات والوثائق الملكية " .

وقد أخذ بالتدرج الوظيفى بالنسبة لهذه الوظائف الثلاثة الهامة ، إلى جانب قواد الجيش بقواته البرية والبحرية ، الذين احتلوا مكانة مرموقة فى المجتمع المصرى القديم . ففى أوقات الحرب كان يرأس فيال الجيش كبار القادة . وفى أوقات السلم كان يستعان بعدد من الضباط فى النواحى الإدارية للجهاز الحكومى (٥) . وعثر على لقب قائد الجيش فى أقدم نقش عثر عليه فى سيناء من الأسرة الثالثة(٦) . ومن

---

(١) Fisher, Administrative Titles of woman in the old kingdom, p. 71.

(٢) Hassan, Giza I, p. 83 Fig. 143; Jonkckheere, les Medecins de L'Époque Pharaonique, p. 41.

(٣) د. عبد العزيز صالح : الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ، ص ٧٣ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٦) Erman –Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 111; Pirenne, Histoire de la Civilisation de L'Egypte Ancienne, p. 68 .

الوظائف الكبرى أيضا :

- " ابن الملك حاكم كوش " ، حاكم بلاد النوبة السفلى .
- " مبعوثو الملك أو مستشار الملك " عبر البلاد ومنهم من كان يحمل لقب " أذنى الملك " و " عينى الملك "[١] وبالتحديد فى الوجه القبلى أو الوجه البحرى .
- " رؤساء الكتبة " فى الإدارات الحكومية المختلفة .
- " رؤساء الأقسام المتعددة " فى الإدارات الحكومية .

ويكمن القول بأنه بالنسبة لكل هؤلاء الموظفين الكبار فإنهم بدأوا حياتهم الوظيفية فى وظيفة " كاتب " فى إدارة ما ثم ترقوا فيها حتى استطاعوا أن يرأسوا الإدارات أو يحكموا مدنا أو مقاطعات .[٢]

- " حامل المروحة على يمين الملك " ، وكان من أرفع الألقاب فى الدولة ويحمله ولى العهد .[٣]

موظفو القصر الملكى:

كان القصر الملكى هو مركز الحكومة وفى الوقت نفسه بيت الملك ، والذى يشرف عليه هو بنفسه ، ونعلم أنه منذ عصر بداية الأسرات كان القصر الملكى يتضمن جزءا خاصا بالحريم يشرف عليه أحد الموظفين . وكان هناك مدير للقاعة الوسطى ، يقوم بوظيفة رئيس التشريفات ويقوم بتقديم الموظفين إلى الملك .[٤]

ونعرف من نقوش الأختام الأسطوانية أو طبعات الأختام فوق سدادات

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٤) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 53 .

الأوانى أسماء وألقاب بعض الأشخاص والإدارات التى ألحقوا بها . وكان حول الملك أيضا بلاط به أصدقاء ومن الصعب معرفة حقيقة هذه الصداقة او مداهـا . وكـانت مخصصات القصر الملكى أكبر من مخصصات رجال الدولة وتكشـف لنـا بردية أرشيف ابو صير من الدولة القديمة عن بعض ألقاب موظفي القصر الملكي وكذلـك أصحاب المهن والحرف الذين كانوا ملحقين بالقصر الملكى ومن هذه الألقاب نجد :

- " الملحق بالقصر الملكى " ، " رئيس المحلقين بالقصر الملكى " ، " كاتب القصـر الملكى " . ومن أصحاب المهن والحرف نجد :
- " رئيس مصففى الشعر فى القصر الملكى ، " مقلم الأظافر فى القصر الملكى " ، " مسئول الأضاحى فى القصر الملكى " ، " طبيب القصر الملكى "[١] ، " مغنـى القصر الملكى " ، " رئيس المغنيين فى القصر الملكى " ، " المشرف على حدائـق القصر الملكى " ، " رئيس المشرفين على حدائق القصر الملكى "[٢] ، ونعـرف أيضا أن هذا اللقب الأخير كان معروفا من قبل فى عصـر بدايـة الأسـرات ، فنعرف :
- " المشرف على حدائق وكروم ملك مصر العليا والوجه البحرى "
- " كتبة الأرشيف الملكى " .

وإلى جانب وجود من يهتمون بالحدائق الملكية ، كان هناك أيضـا طبقـة الصناع من نحاتين ورسامين والعمال اللازمين لصناعة الأثاث . وأخيرا كان هنـاك " حارس القصر الملكى " .[٣]

---

(١) Posener – Krieger , les Archives du temple funéraire I, p. 109 ; t. II , p. 385 – 389 .

(٢) Id., op. cit . II , p. 657 – 661 .

(٣) Id., op. cit . II , p. 661 .

موظفو الإدارات الحكومية :

كان أولاد الموظفين يبدأون وظائفهم الإدارية بمجرد تخرجهم من المدرسة وكانت ترقياتهم تبعا لقدراتهم مواهبهم وتفانيهم فى العمل . وكان ينبغى على الطالب أن يكون ملما بقواعد اللغة ويجيد الكتابة ويعرف أشكالها وتكون لديه معرفة بفنون الدب وخاصة أدب التعاليموالأدب الدينى وأن يكون ملما بمجموعة من العلوم أهمها : الرياضة والهندسة والتاريخ والجغرافيا والرسم . وبعد ان يتلقى هذه العلوم فيما يسمى بالمدارس الأولية كان عليه أن يلتحق بعدها بإحدى مدارس دواوين الحكومة لكى يجمع فيها بين دراسته الأولية والخبرة العملية فيعهد به إلى موظف كبير أو كاتب قدير لكى يعلمه فن الإدارة ويصبح مدركا للقوانين والصيغ الإدارية والرسمية المختلفة ، وعندما ينتهى من هذه المرحلة العملية يصبح بعدها مؤهلا لكى يشغل وظيفة كاتب فى إحدى إدارات الدولة أو الجيش أو المعابد أو القصر الملكى وبعد أن يمكث فترة فى وظيفة كاتب يصبح بعدها رئيسا للكتبة .

كان هناك مجموعة من الإدارات تخضع لإشراف الوزير . يعمل بها عدد من الموظفين الذى يجمع بينهم نظام وظيفى محدد . وكان عماد الوظائف الحكومية هو " الكاتب " الى كانت من الوظائف المرموقة فى الجهاز الحكومى . وكان من الطبيعى أن ينتشر هؤلاء الكتبة فى كل المصالح والإدارات الحكومية فى العاصمة وفى مختلف أقاليم البلاد يصرفون الأعمال المختلفة ويراقبون أملاك الدولة ، ويقدرون الضرائب ويسجلونها ويجمعونها ثم يباشرون تنظيمها وتحديد أوجه صرفها .[1]

وحملت طائفة الموظفين مجموعة من الألقاب التى سجلوها على جدران مقابرهم أو على آثارهم المختلفة التى تركوها ، وعليها تحدد وظائفهم

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٣٤٤ .

واختصاصاتهم (١) ، وكان كل شخص ذو أهمية يحتل وظيفة فى الحكومة أو بين طبقة الكهنة . ولوحظ فى عصر الدولة الوسطى كثرة عدد الموظفين ذوى المناصب الصغيرة وازداد انتشارهم فى جميع مصالح الحكومة (٢) . ويمكن للموظف أن يؤدى أعمالا متنوعة وينتقل من عمل إلى آخر فى سهولة . فقد كان " ونى " فى بادئ الأمر من رجال الشرطة ثم أصبح قاضيا ، ولما نشبت الحرب ، شغل وظيفة قائد عسكرى (٣) ، وكان الابن يرث الوظيفة عن أبيه مادام أهلا لها وتؤول بعد ذلك من وريث إلى آخر . وكانت أمنية الآباء هو حصول الأبناء على مثل وظائفهم . ونجد فى صيغة " نداء إلى الأحياء " التى يسطرها المتوفى على واجهة مقبرته منذ عصر الدولة القديمة ، النص الآتى :

" إذا أردتم أن تؤول وظائفكم لأولادكم فعليكم أن تقولوا صيغة القرابين .... لصالح فلان " وإذا لم يقم الأحياء أو من يمرون بالمقبرة بما يجب عمله لصالح ذكرى فلان ، فإنهم عرضة للتهديد ، ولن يشغل أبناؤهم مكانهم فى الوظائف والموظف العاصى يحرم من وظيفته وتوقع عليه عقوبة شديدة كما يحل العقاب بأولاده الذين تسند إليهم أعمال يدوية شاقة .(٤) وكان موظفو الملك يكافئون بالكساء والعطايا والهدايا وبالطعام والشراب ولم يكن الملك يتكفل بمكافأة الموظفين وإطعامهم فى حياتهم فقط ، بل أن هباته كانت تشمل أسرهم بعد وفاتهم .(٥)

ما يجب أن يكون عليه الموظف من سلوكيات :

كان الحكماء يحثون ممثلى السلطة بالعدل والإنصاف فى أداء مهمتهم . وقد ذكر بعض الموظفين فى نقوشهم فى مقابرهم ، أو على تمثال شيد فى المعبد ، أنهم

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٤ .

(٤) Garnot, L'Appel aux vivants, p. 25; Wild, l' "Adresse aux visiteurs " du tombeau de Ti, dans BIFAO 58 (1959), p. 101-113; Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 570 – 571.

(٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٣ – ١١٤ .

كانوا يعملون وفقا لتلك المبادئ . فقال الوزير بتاح – مس :

" لقد عملت ما يستحق ثناء الناس ويستوجب رضا المعبودات ، لقد أعطيت خبزا للجائع وأشبعت من لا يملك شيئا " . وقال الوزير رخمي رع :

أنه " كان يحمي الضعيف ضد القوى ويدافع عن الأرملة التي لا أقارب لها . وعين الأولاد في مراكز آبائهم " . وقال باك ان خنسو ، كبير كهنة آمون أنه : " كان يمد يده للبائسين ويضمن العيش للمعوزين ، ولم يعامل الخدم بقسوة ولكنه كان أبا لهم ..... ووضع اليتيم الذى التجأ إليه تحت حمايته وحرص بنفسه على مصالح الأرملة . ولم يطرد ولدا من مركز كان يشغله أبوه .. ولم ينزع الطفل من بين ذراعي أمه ... "(١)

الإدارات الحكومية المختلفة :

توجد أغلب الإدارات الرسمية في العاصمة مثال ذلك :

إدارة التعداد :

عثر في مدينة اللاهون على مجموعة كبيرة من البردى مؤرخة من نهاية عصر ملوك الأسرة الثانية عشرة وأوائل ملوك الأسرة الثالثة عشرة ، وبعض هذه البرديات تخص التعداد ، وهذا بالطبع عامل أساسي للإدارة في أى بلد ، وقد كتبت بعناية كبيرة جدا ، وكان تعداد السكان يتم في مكتب رئيس التعداد أما موظف كبير ، ويسجل بواسطة كاتب توثيق أمام عدد معين من الشهود من موظفي الإدارة ، أحيانا يكونون ثلاثة . وتحفظ نسخ من بيانات التعداد في إدارة التعداد بالعاصمة ، وكان هناك مكاتب للتعداد في الأقاليم وكان يوجد أيضا مثل هذا التعداد بالنسبة للممتلكات

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٤٧ .

العقارية والماشية ، وتدلنا النصوص أن هذا التعداد كان يجرى فى أول الأمــر مــرة كل عامين ، وبعد ذلك أصبح يجرى كل عام ، وبحيث تستطيع الحكومــة المركزيــة الإحاطة على وجه التقريب فى كل وقت بعدد السكان ، وحصر ثروة البلاد. وربمـــا كانت العاصمة مقسمة إلى أحياء ، لأننا نعلم من برديات اللاهون أن أقليم الفيوم كــان مقسما إلى مقاطعتين شمالية وجنوبية .(١)

إدارة الشون والغلال :

الإشراف على شون تخزين الغلال التى تــأتى مــن محــاصيل الأراضـــى الملكية ، والتى تأتى من ضرائب الملاك الخاصة . كما كان لكل معبد شونته الخاصة به لتخزين الغلال من أراضى أوقاف المعبد . وكان لإدارة الشون فروع فـــى جميـــع الأقاليم .

إدارة الهبات الملكية :

كانت هناك إدارة تقوم بتقديم القرابين والتقدمات فى مقابر عدد كبـــير مــن الموظفين ، وكان يطلق عليها اسم " بر حرى وجب "(٢) . وكان ملحقا بـــهذه الإدارة موظفون وعمال . وتشرف أيضا على الهبات الملكية من طعام وشراب .

إدارة الأشغال والأعمال :

وهى التى تتولى عبء إنشاء المعابد المختلفـــة وأهـــرام ومقـــابر الملـــوك والملكات وبعض مقابر كبار الموظفين . وكذلك فيما يتعلق بالمشروعات العامة مثـــل بناء السدود والقلاع والحصون وإدارات الحكومة المختلفة والقصور بكـــل ملحقاتـــها

---

(١) Drioton – Vandier, L'Egypte (éd . 1952), p. 301 – 308.

(٢) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٤ .

وكان ملحقا بهذه الإدارة من يقومون بتخطيط المدن والقرى العامة والقرى الخاصة بسكن العمال ، وأيضا بتخطيط الميادين العامة والحدائق العامة ، وكان بها عدد من المهندسين والموظفين والعمال .

إدارة المناجم والتعدين :

وهى التى تنظم إرسال البعثات لاستخراج الذهب وغيره من المعادن . وكانت ترسل معها جماعات من قوات الجيش لتأمين الطرق المؤدية إلى المناجم البعيدة فى الصحراء ، وكانت تقوم أيضا بإعداد الخرائط اللازمة لمواقع هذه المناجم . ولا شك انه كان يصحب هذه البعثات من لديهم خبرة فى معرفة نوعية المعادن الخامة فى داخل طبقات الصخور ، ومعرفة مدى جودتها والتى تستلزم استخراجها . وكان يصحب هذه البعثات أيضا طبيب لمعالجة العمال إذا تعرضوا لإصابات أثناء عملية استخراج المعادن أو قطع الأحجار [١] . وعلى صخور شبه جزيرة سيناء نجد كثيرا من النصوص التى خلفها لنا أعضاء هذه البعثات .

إدارة التسجيل والتوثيق :

لتسجيل الوثائق الخاصة بالأملاك فى حالة بيعها أو شرائها . ويسجل فيها الظروف والأسباب من وراء الشراء والبيع ويقوم بالتوقيع على هذه الوثائق الشهود الذين تمكن الرجوع إليهم عند وقوع أى خلاف على ملكية شئ ما . وفى بلد زراعى كمصر كانت تكثر المنازعات حول ملكية الحقول والأراضى ، ويتطلب الأمر كثرة الرجوع إلى الوثائق الأصلية التى تحدد حدود الملكيات الزراعية ومساحتها .[٢]

وتقوم هذه الإدارة بتسجيل الوصايا الخاصة بالأفراد لصالح أشخاص آخرين

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٤ ؛ Posener, Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne , p. 160 – 161 ; Daumas , la Vie dans L'Égypte Ancienne , p. 50 – 55 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٥ .

أو لصالح وقف من الأوقاف .

إدارة الوثائق الملكية :

وهي تختص بتسجيل ونسخ وحفظ كل الأوامر الملكيـــة الخاصـــة بتعييــن الوزراء وكبار الموظفين وحكام الأقاليم . أو الأوامر والتعليمات التى تخص الإدارات الحكومية أو القوانين التى يسنها الملك لإصلاح الإدارة . وبعد أن تنسخ هذه الأوامــر ترسل إلى جميع أنحاء البلاد وتوزع على الإدارات المختلفة فى العاصمة وفى الأقاليم حتى يسير الموظفون على هديها . ونجد أحيانا فى هذه التعليمات توجيهات لمختلــف اوجه النشاط الحكومى أو فرض الضرائب أو إعفـــاء أشـــخاص او معـــابد مـــن اى التزامات أو ضرائب ، أو مراسيم تحدد الأملاك الموقوفة على المعابد وعدم التعرض لها . وفى هذه المراسيم يحرص الملك على أن يأمره وزيره بان يتولـــى الإســـراف على نشر هذه المراسيم ووضع نسخ منها على أبواب المعابد .

وعثر على ما يمثل مبنى وثائق القصر الملكى فى عصر الرعامسة ، وهـــو يشتمل على قاعة رئيسية تدعم سقفها عشرة أساطين فى صفين ، وفيها مقاعد مرتفعة يجلس عليها الكتبة ، وقد نشر كل منهم بردية أمامه على مـــائدة . وأمـــا القاعتـــان الجانبيتان فتحتويان على صناديق تحفظ فيها الوثائق .[١]

ثالثا – النظام المالى :

اعتمدت مصادر الدولة على اســـتغلال الأراضـــى الصالحـــة للزراعـــة ، واستغلال ثروات البلاد الطبيعية . وكان ارتفاع النيل فى مواسم الفيضان يســـجل أول بأول وذلك لارتباط هذا بتقرير الضرائب المفروضة وكانت الدولة تعتمد على جبايـــة

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٣٥ شكل أ ، ب .

الضرائب وعلى تصدير المنتجات المحلية مثل تصدير لفائف البردى ، والأسماك المملحة . وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة عندما أصبحت الدولة دولة عسكرية تعتمد إلى حد كبير على فتوحاتها فى الخارج ، اعتمدت أيضا على الجزية والهدايا التى ترد تباعا من أملاكها فى الشرق .

الضرائب :

كان النظام الاقتصادى يخضع لرقابة الدولة . وكانت الدولة تقوم بتنفيذ مشاريع الرى المختلفة اللازمة للمزارعين . وتتكفل بتوفير المواد الخام للصناع وأصحاب الحرف التى يتمكنوا من دفع ما عليهم من ضرائب ، التى تمثل الدخل الرئيسى للدولة ، فهناك ضريبة المحاصيل الزراعية ، وضريبة الحرف والمهن والمنتجات . فطبقة الصناع وأصحاب الحرف والعمال عليهم دفع الضرائب . فهناك رئيس كلك مجموعة من الصناع أو العمال عليه أن يسلم إنتاجهم المطلوب منهم حسب كشف أعد لذلك بكل دقة إلى الجهات المسئولة ، وكانت الدولة تصرف له ما يلزم هذه الجماعات من غذاء وشراب ومواد .[١]

وكانت الضرائب على الأراضى الزراعية تحصل بكميات من الحبوب وتقدر على الأرض الزراعية طبقا لجودة طبيعتها وخصوبتها وإنتاجها . وكان بعض ملاك الأراضى من أصحاب الحرف المختلفة ، مثل ما تخبرنا به رسائل حقا نخت عندما ينصح ابنه بأنه يجب عليه أن يمدح نوع من الأقمشة عندما يقدمها للبيع وأن يقول أنها من أحسن الأنواع .[٢]

وتحت حكم الملك آمازيس فرضت أول ضريبة على الدخل العام . وأحيانا كان يخصص جزء من هذه الضرائب بنسبة العشر على المنتجات المحلية والصادرات والواردات والمواد الخام التى تصل إلى منطقة نقراطيس الجمركية

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٤ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٥ .

لصالح معبد المعبودة نيت طبقا للوحة نقراطيش من عهد نختنبو الأول ، والمحفوظة في المتحف المصري .

وكان كتبة الحكومة يراقبون أملاك الدولة ويحددون استخدامها ، ويقدرون الضرائب ويسجلونها ويجمعونها ، ثم يباشرون تنظيمها وتحديد اوجه صرفها .(١) والأراضي التي يؤجرها الفلاحون من الملك كانوا يدفعون عنها ضرائب تقدر بحوالي عشرين في المائة من المحاصيل .(٢)

إدارة بيتى المال :

وكانت تتولى أمور جمع الضرائب بأنواعها والى كانت تجمع من أنحاء البلاد . وتوضع إما في المخازن الرئيسية بالعاصمة ، وإما بالمخازن الفرعية في الأقاليم . وتذكر لنا لوحة المتحف المصري رقم ٥١٩١١ من عصر الأسرة الثالثة عشرة أسماء ثلاث إدارات كانت تختص بجباية الضرائب ، وكان لمكتب الوزير السلطة العليا في مراقبتها بوجه عام . ومن الصعب تحديد دور الثلاث إدارات بشئ من التفصيل .

-وكانت هذه الضرائب إما عينية كالتي تفرض على المحاصيل والماشية وبقية المنتجات ، وإما من الذهب والفضة وكانت تحتفظ في بيت المال ، أما المحاصيل فكانت تجمع في فروع إدارة الشون (٣) . ونرى في أحد المناظر تمثيلا لمكتب حكومي يقوم الكتبة فيه بالعمال الكتابية ، ونرى العمال وهم يكيلون في زكائب محصولا ما ويسجلونه أمام الكاتب(٤) . وكانت هناك سجلات في بيت المال يسجل

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٥ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١١٣ .
(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ٢٣٧ .

فيها كل ما يرد وما ينصرف يوميا مع الإشارة فى كل سجل هل تم هذا الصرف بأمر ملكى كتابة أو بأمر ملكى شفاهة . وكان هناك أيضا " مكتب تبرعات الأهالى " وهى دور كانت تنحصر وظيفتها فى جمع الهبات التى تؤدى إلى التاج الملكى من المزارعين والأهالى . وكانت أجور العمال تدفع عينا لأن البلاد لم تعرف نظام العملة إلا فى العصور المتأخرة . وكانت هذه المدفوعات تستقطع من خزينة بيتى المال . وأحيانا نجد ان مستوى الحياة المعيشية كان عرضة للغلو ، ولدينا اوستراكا عن غلو المعيشة فى طيبة فى بداية الأسرة الثامنة عشرة .(١)

رابعا – النظم القضائية :

مفهوم كلمة ماعت :

يترجم علماء المصريات هذه الكلمة بـ " الحقيقة ، العدالة ، النظام " ويذهب البعض إلى أن معنى ماعت يتعدى هذه المعانى إلى معنى أكثر شمولا ، فماعت تعنى أساسا " النظام الكونى " أو " النظام الكونى المتكامل " وهذا النظام الكونى يشمل : الملكية والحكمة والعدالة والطبيعة أو الخصوبة ، والحرب ، أو الانتصار ، والطقس أو التضحية والأشراف على شئون البشر وأصبح لها تأثير فى واجبات الحكومة (٢) لقد عاش آمون نفسه على ماعت وتغذى بها وأخيرا فهى الضمان لوجود امون نفسه ويقال له " انك على قيد الوجود لأن ماعت على قيد الوجود "(٣) ، وأن صلة نظام الحكم بماعت يقوم على أساسين :

- أن الدولة موجودة لتحقيق وتطبيق الماعت .(٤)
- الماعت يجب ان تتحقق ليصبح العالم (أو الأرض) قابل للسكنى .

ويجب على الإنسان الاتحاد بماعت حيث إنه من الضرورى أن يكون

---

(١) Drioton, BSFE 12 (février 1953) , p. 11 – 25 .

(٢) د. أحمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : الجريمة والعقاب فى الفكر المصرى القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ٢٠٠١ ، ص ٤٥ – ٦٢ .

(٣) فرنسوا دوما : آلهى مصر (ترجمة زكى سوس) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ، ص ١١٤ .

(٤) Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 564, 613.

ملتزما بالماعت ويمتلئ قلبه بالماعت بل ويصبح نفسه ماعت لكى ينتصر على الفشل فى حياته الدنيوية وعلى كل ما هو شائن . وهنا يكمن سر الدوام الشبه إعجازى للحضارة المصرية والذى استمر آلاف السنين .(١)

القوانين :

كانت هناك مجموعة من القوانين والتشريعات التى يصدرها الملك أو المجالس والدوائر القضائية والتى تنظم حياة أفراد المجتمع والعلاقات بين الأفراد مع بعضهم البعض ، كما تنظم العلاقة بين الناس والسلطة الحاكمة (٢) . وكانت مواد القانون وأنواع العقوبات تسجل فيما يسمى بالسجلات القانونية . ففى مقبرة رخمى رع وزير تحوتمس الثالث نقشت بجوار صوره الوزير أربعين لفافة من الجلد نقشت عليها مواد القانون الذى يسير على هداه رخمى رع . وأشار ديودور الصقلى الذى زار مصر فى القرن الأول ق.م . وإلى وجود قانون مصرى كان مدونا فى ثمانية كتب (أى سجلات) (٣) كانت توضع بجانب القضاة أثناء عقد المحاكمة .

وكانت القوانين التى يصدرها الملك تنشر فى صورة مراسيم ، وكان من سلطة الملك أن يضيف إلى هذه القوانين ما يراه صالحا من مواد أو يضيف إلى تلك القوانين التى أصدرها من سبقوه من ملوك ، كما كان يحق للملك أن يبطل بعض

---

(١) يان اسمان : ماعت ، مصر الفرعونية وفكرة العدالة الاجتماعية (ترجمة د. زكية طبوزاده ود. عليه شريف) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦ ، ص ١٤ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٤٤ .

(٢) Posener, Dicitionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 91 .

د. احمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ص : ٢٢ – ٢٤ .

(٣) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، ص ١١ .

القوانين ويلغى العمل بها (١) مثل القوانين والتشريعات التى أصدرهـا الملـك حـور محب والتى تقضى بمنع الرشوة ومعاقبة الموظفين الذين يتجرون بالرقيق ويسـتولون على أموال الشعب بدون وجه حق ، وتقضى هذه القوانين بمنع السخرة فـى أعمـال القصر الملكى . كما تضمنت هذه القوانين عقوبات صارمة ورادعة لمن يعتدى علـى المراكب الخاصة بنقل المحاصيل ، وحماية هـذه المراكـب مـن عـدوان قطـاع الطرق (٢).وكان يعاقب من يتأخر عن توريد الضرائب المستحقة عليه ، وكل موظف يهمل واجبات وظيفته كان عرضة أيضا للعقوبات المختلفة . وكان هناك مـا يسـمى بقانون الأحوال المدنية وهى خاصة بعقود الزواج والانفصال وأيضا عقود الإيجـار والبيع والشراء والعقود الإدارية المختلفة ، وأيضا الإيصالات الكتابية التى تحرر لعقد اتفاق بين شخصين يتفقان فيما بينهما بخصوص أمر ما أو موضوع ما وكانا يدونـان البيانات الخاصة ببنود الاتفاق على قصاصة من البردى بالخط الديموطيقـى ، وفـى نهاية بند الاتفاق تكتب أسماء العديد من الشهود على مدى صحة البيانات المذكـورة فى الاتفاق . ولدينا العديد من البرديات التى تتضمن كل أنواع هذه العقـود وخاصـة المكتوب منها على البرديات الديموطيقية .

دور القضاء:

كان رجال القضاء يختارون من بين الأشخاص محمودى السمعة والسـيرة ، وكانوا يعينون بأمر ملكى . وكان الملك يصرف للقضاء مسـاعدات تسـد حاجتـهم وتكفى لإقامة معيشتهم أما رئيس القضاء فكان نصيبه أضعاف هـذا القـدر وذلـك للقضاء على الرشوة والاختلاس . وكانت دور القضاء تخضع لسلطة الوزير ، الـذى كان يحمل لقب رئيس القضاة أو كبير القضاة وبفضل هذا اللقب كان يتمتع بـاحترام

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشـرق الأدنـى القديـم ، الجـزءة : الحضارة المصرية ، ص ٢٢٦ .

(٢) Posener , op. cit ., p . 227 – 228 .

كبير بين الناس (١) . وكان يرأس ما يسمى " الدور الست العظيمة " وهى محاكم ذات صبغة معينة ، ربما كانت مثل محاكم الاستئناف الحالية . وربما كانت هذه تنقسم إلى ست دوائر ، يرأس كل منها قاضى . ففضلا عن لقب (ساب) نجد لقب الكاتب القضائى (سأب – سش) وكاتب الشكاوى (سش – سبرو) ومدير الإدارة القضائية (سأب ايمى سش) . وكان أعضاء هذه المحكمة يختارون من بين عظماء الصعيد العشرة ، وقد يحمل بعضهم ألقابا أخرى مثل رؤساء الأسرار أو رؤساء الكلام السرى الخاص بالمداولات . أهمهم جميعا هو " القاضى فم نخن " الذى يحمل لقب " رئيس الأسرار " الذى ينطق بأحكام محكمة الستة ، او يحمل لقب " رئيس الأسرار الذى يجلس وحده فى محكمة الستة "(٢) . وكان يساعد الوزير ورؤساء الجلسات مستشارون يسمون " خرى سشتا " اى " القائمون على الأسرار " وهم طبقتين : مستشارو التحقيق ، ومستشارو الجلسات . كما كان هناك قضاة تحقيق ، وقضاة تحضير الأحكام التى ينطق بها رئيس الجلسة أو القضاة .

كما أنشئت محكمة قنبت وهى محكمة تتميز بتغير أعضائها وهم عادة من المراء يجتمعون على هيئة محكمة كبرى فى يوم معين عند بوابة أحد المعابد . وهناك محكمة الملك . ولما كان القضاة يتغيرون فقد سميت المحكمة " محكمة ذلك اليوم " . ولم يكن من الضرورى أن يكون كل أعضائها من القانونيين ، وإنما كان من بينهم الكهنة ، وكاتب الملك ، وحامل المروحة ، وعمدة المدينة ، وكلهم تحت إمرة الوزير الذى يرأس المحكمة . وفى يوم آخر نرى الأعضاء سبعة من الكهنة والمشرفين على المعبد وكاتبا واحدا ، وهو المختص بينهم ، وهو الذى يحرر أوراق القضية .(٣)

---

(١) د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٦ ، ص ١٥٩ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٦ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣٣ – ٢٣٥ .

(٣) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

وكان الملك يوكل عنه بعض الموظفين للفصل فى القضايا بجانب أولئك الذين يمارسون الإدارات القضائية . وفى حالة وجود نزاع أو مشكلة كان بعض الموظفين يجتمعون على شكل دائرة قضائية " جاجات " للنظر فى هذا النزاع . وفى هذه الحالة ينبغى وجود الموظف القضائى الذى يطلق عليه لقب " الكاتب القضائى " (ساب سش) معهم . ويمكن لهذا الموظف ان يسجل القضية المنظورة ويسجل وجهة نظر الطرفين وما يقرره القضاة ، كما أن هؤلاء الموظفين القضائيين هم الذين يعرفون القوانين وطريقة تطبيقها وطريقة متابعة القضايا فى المحاكم وتنفيذ الحكام .

ومن هؤلاء الكتبة القضائيين كانت تتكون الإدارات القضائية المختلفة التى تعقد فى أكثر من مكان طبقا للأحوال والظروف والملابسات وهناك منظر فى مقبرة موسى من عصر الرعامسة نرى فيه انعقاد محكمة : أربعة قضاه جالسون وأمامهم حاجب المحكمة ، وأمامه ثلاثة أشخاص أولهم المتهم أو المدعى عليه منحنيا وثانيهم رجل يمثل الإدعاء ويقود المتهم وثالثهم الشاكى رافعا يديه إلى أعلى [١] . ولما كان تنفيذ بعض الأحكام يحتاج إلى بعض رجال الشرطة ، فإن من بين اختصاصات المشرفين على الإدارات القضائية ، الإشراف أيضا على بعض تنظيمات الشرطة حتى يضمنوا تنفيذ الأحكام .

أنواع الدعاوى والقضايا :

كان القوم يحرصون على تسجيل القضايا فضلا عن تقديم الشكوى أو الدعوة مكتوبة لمكتب الوزير . وحينئذ يبدأ الوزير مناقشتها مستعينا بالقوانين المكتوبة فى ملفات رتبت أمامه يرجع إليها كلما أراد التأكد أو الاستشارة ، ومن حوله يجلس مستشاروه أو الموظفون المتصلون بنواحى القضاء . ويبدو واضحا أن إدارة العدل فى مصر القديمة كانت منظمة تنظيما حسنا . وكانت الناس جميعا أمام القانون سواسية والكل يعامل على قدم المساواة .

---

(١) Allam, Every day life in Ancient Egypt, p. 63 .

أما أنواع القضايا فتشمل القضايا المتعلقة بالعقارات والأراضى والميراث والممتلكات والنزاعات الشخصية والأحوال المدنية والقضايا المتعلقة بالمعاملات من بيع وشراء وعدم الوفاء بالدين . وقضايا التآمر ضد نظام الحكم وإضراب العمال [١] . الإخلال بواجبات الوظيفة والسرقة والاختلاس والسلب والنهب والقتل والزنا ، والبلاغ الكاذب ، والشهادة الزور أو اليمين الكاذب ، الامتناع عن مساعدة أو مد يد العون لإنقاذ ضحية فى جريمة من الجرائم ، تقديم إقرارات الذمة المالية بصورة مزورة ، تزييف الموازين أو المقاييس أو المعايير المغشوشة أو غير سليمة وكذا تزييف أختام الأمراء عدم الالتزام بدفع الضرائب المقررة أو قتل الحيوانات واقتلاع الأشجار بدون سبب ، الهروب من الخدمة العسكرية أو عدم إطاعة الأوامر العسكرية وإفشاء الأسرار الحربية .[٢]

فإذا كانت الشكوى المقدمة تتعلق بنزاع على قطعة أرض مثلا ، فقد حَدد القانون أن يصدر الوزير حكمه فيها خلال ثلاثة أيام . أما إن كانت بعيدة عن العاصمة شمالا أو جنوبا ، فقد سمح القانون للوزير بمهلة شهرين ، حتى يستطيع أن يبحث الأمر ووضع الأمور فى نصابها وما كان الوزير أن يستطيع أن يبت فى الحالات المعروضة عليه بسرعة إلا إذا كان هناك أرشيف كامل منظم يستطيع الرجوع إليه سريعا ليمده بالمعلومات المطلوبة ، وللوزير أن يصدر الحكم لصالح أحد المتنازعين بعد عدة تحريات وسماع شهادة الشهود وفى هذه الحالة يقوم بالتصديق على مستندات الحدود بنفسه للفصل بين مالك الأرض وجاره .

وقد سجل بيبى عنخ من وزراء بيبى الأول من الأسرة السادسة على جدران مقبرته فى مير [٣] أن المحكمة قد برأته من تهم وجهت إليه عندما كان كبيرا لكهنة حتحور فى مدينة القوصية ، وان هذه الاتهامات كانت عقوبتها السجن . وهناك القضية التى اتهمت فيها الملكة ايمتس زوجة الملك بيبى الأول ونسبت إليها القيام

---

(١) د. احمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٣٥ – ١٤٠ ، ١٤١ – ١٥٢ ، ١٥٣ – ١٥٥ ، ١٥٦ – ١٠٧ ، ١٥٨ – ١٥٩ ، ١٦٨ – ١٧٣ ، ١٧٥ – ١٧٧ .

(٢) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، ص ٣٦٦ – ٥٤ .

(٣) Blackman, The Rock tomb of Meir, vol. IV, p. 24.

بمؤامرة لا نعرف تفاصيلها على وجه التحديد . وعهد الملك إلى القائد ونـــى ومعــه القاضى حارس نخن ، للتحقيق فى القضية . ومعرفة أن كانت الملكة مذنبة أن هـــى براء مما نسب إليها . وهناك قضية زوجة رمسيس الثالث التى دبرت مؤامرة لاغتيال الملك وتنصيب ابنها بنتاؤر مكانه . وفضل الملك رمسيس الثالث أن يعطى ســلطات مطلقة للقضاة الذين وثق فيهم . وحكم على بنتاؤر ومعه ثلاثة آخرين بالإعدام وحكــم القضاة ببراءة " حامل الراية " والاكتفاء بقرار لومه والحكم على أربعة آخرين بجــدع الأنف وصلم الأذنين .

ونخرج من هذه الصور الثلاث بأن الملوك كانوا يلتزمون جادة العدالــة إزاء رعاياهم ، وهى تثبت مدى حرص الملك على العدالة وإعطاء كــل ذى حــق حقــه وإتاحة الفرصة للمتهم فى أن يثبت براءته ، إن كان بريئا . وهناك قضيـــة ســرقات المقابر فى العام السادس عشر والسابع عشر من حكم رمسيس التاسع والعام التاســع عشر والعشرين من حكم رمسيس الحادى عشر الى تشملها إحدى عشر بردية ، منــها سبعة فى المتحــف البريطــانى أرقــام ١٠٠٥٢ ، ١٠٠٥٣ ، ١٠٠٥٤ ، ١٠٠٦٨ ، ١٠٢٢١ (بردية ابوت) ، ١٠٣٨٣ ، ١٠٤٠٣ .[١]

أنواع العقوبات :

تبدأ بالعقوبات الخفيفة كالضرب والسجن والجلد والغرامة ثم التشويه مثــل جدع الأنف أو الأذن أو اليدين أو عقوبة الوضع على قطعة خشب (خازوق) ، ثــم عقوبة الأشغال العامة (الشاقة) والتعذيب بالحرق حيا فى غرفة الرماد أو الإعـــدام المصحوب بتعذيب أو الإعدام شنقا [٢] فى حالات الخيانة العظمى ، كالمؤامرة ضـــد

---

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1973), p. 120 .

(٢) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنـــائى عنــد الفراعنـــة ، ص ٣٠ – ٣٣؛ د. احمد سليم – د. سوزان عبــد اللطيــف : المرجــع الســابق ، ص ١٢٩ – ١٣٥ ، ١٥٩ – ١٦٥ ، ١٧٨ – ١٨٠ ، ١٨٣ – ١٨٦ ، ١٨٩ – ١٩٠ .

الملك . وكان القانون ينص على أن يسأل القاضي المذنب أكثر من مرة حتى تتاح له الفرصة للاعتراف لتخفيف العقوبة عليه ، وكان الملك يقوم في بعض الأحيان بالتصديق على بعض الحكام (١) . أما عن أنواع العقوبات فهى كالآتى :(٢)

١- الحكم بالإعدام على من يحلف يمين كاذبة ، وعلى شاهد الزور ، وعلى من يزور في البيان الذى يقدمه للسلطات الحكومية عن مصدر دخله ، وعلى صاحب البلاغ الكاذب ، وعلى من يمتنع عن تقديم العون لمن يتعرض للموت ، وهو قادر على إنقاذه .

٢- الحكم بالإعدام على من يقتل إنسانا ، حرا كان أو عبدا . والنساء المحكوم عليهن بالموت لا ينفذ فيهن الحكم إذا كن حبالى إلا بعد وضع حملهن .

٣- الحكم بقطع اللسان على كل من يفشى الأسرار للأعداء .

٤- الحكم بالجلد بالسياط والحرمان من الطعام ثلاثة أيام على كل من يهمل في الإبلاغ عن جريمة قتل . والحكم بالعقوبة نفسها على من يتهم بريئا بجريمة لم يرتكبها .

٥- قطع يد الذين يزيفون العملات أو يطففون الموازين والمكاييل أو يزورون الأختام الرسمية . والكتبة الذين يزورون في متون السجلات أو يمحون شيئا من نصوصها أو يزورون عقوا إدارية .

٦- الحكم على من يغتصب امرأة بالخصى حتى يحرم من رجولته التى دفعته إلى هذا العمل الشائن .

٧- أما عقوبة الزنى فكانت ألف جلدة للزانى وجدع أنف الزانية حتى تحرم المرأة من أكبر مقومات جمالها . أو يحكم على المرأة الزانية بالحرق حية .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٧ .

(٢) د. بهاء إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٥٩ - ١٦٤ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٧ .

٨- الحكم على الآباء والأمهات الذين يقتلون أبناءهم بالعرض على ملأ من الناس ، وهم يحملون جثث أبنائهم لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال متوالية .

٩- أما قتل الوالدين أحدهما أو كليهما ، فعاقبته قطع أجزاء صغيرة من جثة القاتل بالتدريج ، ثم حرقه حيا فوق الأشواك .

١٠- الإعدام لمن يقوم بمؤامرة ضد نظام الحكم والملك .

١١- هناك عقوبات جدع النف والنفى إلى ثارو والجلد الذى يصل إلى مائة جلدة والجرح فى خمسة مواضع من الجسم ضد بعض المجرمين .

١٢- الضرب فى الجرائم البسيطة أو إرسال المتهم للعمل فى الأعمال الشاقة فى المحاجر وقطع الحجار .

وكان المجرمون يحتجزون فى سجون خاصة ما داموا رهن التحقيق فإذا صدر الحكم عليهن أرسلوا إلى سجون أخرى لينفذوا فيها العقوبة .

كان يوجد بملحق بمعبد الكرنك " سجن أو حجر " جاء ذكره فى نصين أحدهما من عصر سيتى الأول والثانى من عصر رمسيس الثانى . ويذكر النص أن اللصوص كانوا يسجنون فى سجن عند بوابة الصرح الثانى بمعبد الكرنك . ولكنه سجن خاص بالذين كانوا يعتدون على حرمة أملاك وأراضى معابد آمون . هذا خلاف سجون الدولة التى كانت موجودة ، فنعرف مثلا أن الأسرى أيام رمسيس الثالث كانوا يحجزون فى حصن رمسيس الثالث . وجاء ذكر كلمة " السجن العظيم فى نقوش مقبرة رخمى رع عند حديث الملك عن واجبات الوزير .(١)

وعرفت كلمة " سجن " فى النصوص المصرية ابتداء من عصر الدولة الوسطى وظلت مستخدمة فى النصوص حتى العصر المتأخر . وكان هناك خمس كلمات تعبر عن السجن فى اللغة المصرية القديمة وهى :

---

(١) د. محمد عبد القادر : آثار الأقصر ، الجزء الأول : معابد آمون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، ص ٥٢ .

ith تعبر عن " السجن العمومى أو السجن الخـاص " فـى نصـوص عصرى الدولة الوسطى والحديثة .[١]

mnkb تعبر عن " السجن العمومى " فى نص من عصر الأسرة الثانيـة والعشرين .[٢]

hnrt تعبر عن " السجن العمومى أو المعتقل أو معسكر الأشغال الشـاقة فى بعض نصوص عصر الدولة الوسطى .[٣]

وهى مشتقة أساسا من الفعل hnr بمعنى " يسجن ، يحبس ، أو يحجر وتأتى أيضا بمعنى " مجرم أو سجين ".[٤]

šcr لابد أن تسبقها أداة التعريف : P3 وتعبر عن " السجن العمومـى " فى نصوص عصر الدولة الحديثة .[٥] . أو سـجن ملحـق بمعبـد

---

(١) Wb. I, 148, 25 ; Meeks, Alex. I, p. 56 ; II, p. 51 ; III, p. 39.
د. أحمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : الجريمة والعقاب فى الفكر المصرى القديم ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ٢٠٠١ ، ص ٦٥ – ٦٩ (١) ويذكـر المؤلفان عدة وثائق ذكرت فيها هذه الكلمة .

(٢) Wb II, 95, 21 .
د. أحمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٧٢ (٣) .

(٣) Wb III, 296, 14-18; Meeks, Alex. I, p. 280; II, p. 283; Faulkner, Concise Dictionary, p. 193. ؛ د. أحمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٦٩ – ٧٣ (٢) .

(٤) Meeks, Alex. I, p. 219 ; Faulkner, op. cit., p. 193 .

(٥) Wb. IV, 421, 15 .
د. أحمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ٧٣-٧٤ (٤).

آمون :Šcr n pr Imn-Rc .[١]

ddḥw تعبر أيضا عن " السـجن العمومـى " ولكـن فـى العصـر المتأخر .[٢] تحدث د. سليم فى المؤلف السابق عـن ١٤ لفظـا تعبر عن السجين أو المقبوض عليه والأسير [٣] . كما تحدث عـن إدارة السـجون ، كالمشرف على السجن imy – r ḫnrt [٤] وكتبة السجن Sš n ḫnrt [٥] ومديـر أعمال السـجن iry c3 ḫnrt وحارس السـجن ḫrp k3wt nt ḫnrt [٦] أو S3w ḫnrt [٧] .

كما تحدث عن طبيعة السجون وأنواعها ، التى كانت أشـبه بـالحصون ، يوضع فيها المذنبون فى حجرات ضيقة ، وفى نفس الوقت جهزت بعـض السـجون لتكون بمثابة معسكرات عمل . تضمنت ثكنات عسكرية ومراكز إداريـة للإشـراف على إيواء المساجين وتهذيبهم وتعويدهم على الطاعة والنظام .[٨]

وقسم السجون إلى قسمين : سجون مدنية : الى كانت توجـد فـى المـدن الكبرى وعواصم الأقاليم فى طيبة ، وفى ثينى ، وفى الاشمونين ، وفى الفيوم ، وفـى منف ، كما شيدت سجون صغيرة أو أماكن للحجر فى بعض الإدارات الهامة للدولـة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧٤ حاشية (٢) .
(٢) د. أحمد سليم – د. سوزان عبد اللطيف : المرجـع السـابق ، ص ٧٤ – ٧٥
(٥)؛ Wb V, 635, 13 .
(٣)المرجع السابق ، ص ٧٦ – ٨٧ ، ١٠١ – ١٠٥ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧١ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٨٨ – ١٠٠ .
(٦) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .
(٨) المرجع السابق ، ص ١٠٨ – ١١٢ .

وفى الحصون على الحدود .[١] سجون المعابد ملحقة بالمعابد الكبرى منها معبد آمون فى طيبة [٢] .

خامسا النظام العسكرى :

الشرطة وأقسامها :

لعبت العوامل الاجتماعية دورا هاما فى حفظ الأمن فى مصـــر القديمـــة . والعوامل النفسية كانت نتيجة للترابط الاجتماعى الذى ساعدت على تكوينـــه البيئـــة المصرية منذ نشأتها .

عاش المصريون القدماء فى ظل قوانين موحدة . وكان مسلكهم العام يتســم بإطاعة قوانين الدولة حتى يصبحوا فى علاقة طيبة مع الحاكم والدولة . ولهذا كـــانت نسبة الجرائم فى المجتمع المصرى القديم قليلة جدا ، فيما عدا حوادث متفرقة . ولكن على الرغم من ذلك كان لابد من وجود قوات للشرطة . وكان قوام قوات الأمن فـــى عصر الدولة الحديثة فرق خاصة من المصريين تحت السلاح دائما . ولم يدخل فـــى عدادها فرق الجنود المرتزقة الذين كان يؤتى بهم من الجنوب . ولكن كان يســـتعان أحيانا بقوات من قبائل المجاو والبجه (البشارية) الذيـــن كـــانوا يعملـــون ككشـــافة ويقومون ببعض العمليات الخفيفة مع قوات الجيش وحراسة الحدود . كـــان لرجـــال لشرطة مكانتهم بين أفراد الشعب . ويقول الحكيم آنى فى هذا المجال لولده :

" اتخذ من شرطى شارعك صديقا ، ولا تجعله يثور عليك " . وتنقسم قـوات الشرطة إلى ستة أقسام : الحرس الملكي ، الشرطة الخاصـــة ، الشـــرطة المحليـــة ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٢ – ١١٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٩ – ١٢٣ .

الشرطة النهرية ، شرطة المعابد ، وشرطة الحدود . وكان لكل قسم رئيس أو لكل مجموعة رئيس . وكان على رأس الشرطة الوزير الذى تقدم إليه التقارير اليومية من رجال الشرطة أو رؤسائها عن إغلاق المخازن وفتحها فى المواعيد المقررة فضلا عن تقديم بيان عن الداخلين والخارجين من حدود البلاد .

أما الحرس الملكي فكان يتبع الملك فى غدواته وروحاته . وكانت مهمة الحرس الملكى حراسة القصر الملكى أيضا وحراسة الملك عند خروجه لأداء مهامه الرسمية أو أداء شعائره الدينية أو المشاركة فى الاحتفالات ، ويبدو أن الملك كان يختار من بيم أفراد حرسه أشد المقربين إليه ، ليكون بمثابة حارسا وبخاصة أثناء خروجه للحملات الحربية .

أما الشرطة الخاصة وهى لحماية الملك أيضا وضمان ولاء أفراد الشعب ولا يستبعد أن يكون من رجال الحرس الخاص الذى كان من واجبهم الإشراف بأنفسهم على شراب الملك ضمانا لسلامته .

أما الشرطة المحلية ، فهى الأكثر عددا ، وكانت العلامة المميزة لجنود الشرطة فى غرب طيبة مثلا علما مصورا عليه غزالة ، أما فى تل العمارنة فكانت درعا مستطيل الشكل رسم عليه عدو يضربه أو يعاقبه الملك . أما عن أماكن مراكز الشرطة فلسمنا نعرف على وجه التحقيق ، ولكن يظهر أنه كان هناك مركز للشرطة بالقرب من معبد الرمسيوم فى البر الغربى فى طيبة . وكان لهذا المركز رئيس[١]. وكان من أهم واجبات الشرطة المحلية :

- المحافظة على الأمن العام وتوفير الأمن والآمان للمواطنين فى داخل البلاد .
- تطبيق القوانين فى المناطق المختلفة . فعندما قام العمال بإضرابهم فى نهاية الأسرة العشرين نظرا لتأخر صرف مستحقاتهم الشهرية ، تجمعوا عند مركز الشرطة فلم يجد رئيس الشرطة سوى التسليم بمطالبهم ولكنه طلب منهم عدم

---

(١) كان يطلق على الشرطى ثلاثة ألقاب : šnc, scš3, mḏ3j ورئيس الشرطة لقبين : ḥry scšȝw, mr šnt ، راجع : Wb 11, 186, 9; 1V, 55, 14, 18; 1V, 506, 1 = Alex. I, p. 179, 373.

الإخلال بالنظام ووعدهم بان يعمل على تنفيذ مطالبهم .[١]

- تنفيذ الأحكام اللازمة .
- حماية الإدارات والمؤسسات الحكومية المختلفة والمؤسسات العامة .
- إعداد سجلات للمجرمين .[٢]
- تلقى تقارير موظفى الإدارة .
- التحقيق فى الحوادث .
- حماية الجبانات من اعتداءات اللصوص عليها .

وسائل البحث الجنائي :

١- الاستعانة بسجلات تسجيل الجرائم وأسماء المجرمين (محاضر الشرطة فى عصرنا الحالى) .

٢- استخدام الكلاب البوليسية .

٣- قفى الأثر .

٤- استخدام المرشدين لمعرفة كيفية ارتكاب الجريمة ومكانها .

وكانت الكلاب البوليسية تستخدم فى أغراض ثلاثة : الحراسة . ومطاردة الهاربين والقبض عليهم وأخيرا اقتفاء الآثار للتدليل على المجرمين .[٣]

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٥٠ .

(٢) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١١٣ - ١٢٠ .

(٣) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٣٩ - ١٥١ .

وسائل التحقيق الجنائي :

١- حلف اليمين فى البداية . فكان على الشاهد او المتهم ضمانا لذكر الحقيقة أن يحلف اليمين بحياة أحد المعبودات أو الملك .

٢- الاستعانة بأهل الخبرة فى الكشف عن نوعية المادة المسروقة أو المزيفة أو الاستعانة بأهل الخبرة لمعاينة مكان الجريمة .

٣- المواجهة وذلك بمواجهة المتهمين بعضهم البعض .[١]

٤- التحقيق من صحة ما ورد باعتراف المتهم .

٥- تفتيس أماكن وقوع الجريمة لإثبات الحالة .

٦- التعذيب للاعتراف .[٢]

وكان هناك نوع من القضاة المتخصصين فهناك القضاء الاستثنائى والقضاء التجارى ، والقضاء لأجانب .[٣]

واجبات أخرى للشرطة :

إلى جانب حفظ الأمن ، يقومون بأعمال الأخرى :

- الإشراف على جباية الضرائب المفروضة على البضائع الخارجية . ويبدو أن قوات الشرطة كانت توضع عند فوهات الترع لضمان جباية الضرائب .
- جمع المجندين وفرزهم من جميع أنحاء البلاد فى الأقاليم المختلفة .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٣ – ١٥٨ .

(٢) د. عبد الرحيم صدقى : القانون الجنائى عند الفراعنة ، ص ٩٨ – ١٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠ – ٨٤ .

- مرافقة بعثات التعدين وقطع الأحجار .(١)

أما الشرطة النهرية فكانت لحماية تنقلات الأفراد أو شحن التجارة عبر النيل والحماية ضد قراصنة البحار فى البحر الأحمر والبحر المتوسط .

أما شرطة المعابد فكانت لحراسة المعابد وموظفيها وممتلكات المعبد فى الخارج .(٢)

أما شرطة الحدود فكانت مهمتها مراقبة تحركات القبائل والبدو فى الصحراوات المتاخمة لحدود البلاد فى الشرق والغرب والجنوب . فلم تتوقف عناصر البدو فى أى وقت من الأوقات حتى تحت حكم الملوك الأقوياء ، من التسرب عبر الحدود الشرقية ، التى كانت محمية بمجموعة من الحصون منذ عصر الدولة الوسطى ، وكان يقوم بحراسة هذه الحصون قوات من شرطة الحدود . وكان من الصعب على أى إنسان المرور خفية ولكن كان لابد أن يدون له فى بطاقة خاصة بمركز شرطة الحدود : تاريخ الدخول والخروج عبر الحدود ، واسم المار واسم أبيه ، والحالة الاجتماعية ، وأصل الموطن ، ومهنته والغرض من دخوله إلى داخل البلاد (٣) وهل لديه خطابات توصية أو خطابات رسمية يحملها إلى أحد رجال البلاط . وكان هناك نقاط للحراسة أيضا على الحدود الغربية والجنوبية . وقد وصلتنا من الحصون التى كانت مقامة فى قمة وسمنة فى الجنوب من عهد سنوسرت الثالث بعض أوراق البردى التى كان الموظفون المقيمون بها يسجلون فيها يوميا عدد النوبيين الذين اجتازوا الحدود شمالا بغرض التجارة أو لأغراض أخرى . وكانت هذه السجلات تنسخ لترسل إلى العاصمة حيث يتعرف الملك أو الوزير على ما يجرى من تحركات على حدود البلاد . وهناك نص فى معبد الكرنك من عهد الملك

---

(١) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٣٣ – ١٣٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٨٣ – ١٨٨ .

(٣) Erman - Ranke, la Civilisation Egyptienne, p. 723 – 724 ; lalouette, L'Empire des Ramsès, Paris (1985), p. 259 .

مرنبتاح يحدثنا فيه رئيس الحصون الغربية عن حالة الزعيم الليبى بعد هزيمته على الحدود الغربية . وكل ذلك يدل على مدى اهتمام الدولة بمراقبة الحدود ووضع الموظفين المدنيين والعسكرين بالحصون البعيدة .(١)

الجيش :

فضل الشعب المصرى القديم حياة السلم ومال إلى السلم بوحى طبيعته الطيبة ، وطبيعة بلاده المستقرة الخيرة ، ولم يكن ينبغى إثارة الحرب من أجل الحرب والغنيمة إلا فى حالات قليلة نادرة (٢) . وكانوا على استعداد للقتال إذا دعت ظروف السياسة الخارجية إلى ذلك ، وكانوا يتجاوبون مع ملوكهم فى محاربة أعداء البلاد والطامعين فى خيراتها . وكان الملك هو قائد الجيش الأعلى . وكان الوزير غالبا ما يقوم بوظيفة وزير الحرب ، فقد كان يرأس عامة الموظفين فى الجيش فى عصر الدولة الوسطى . وكان يكلف جماعات كثيرة من الكتبة العسكريين بأعمال التجنيد والإمدادات وحفظ سجلات المعارك الحربية .(٣)

فرق الجيش :

لم تحدثنا النصوص المصرية عن سن محدد للجندية ، وربما كان يجند أبناء العشرين ، وفى حالة التعبئة العامة للحروب كان أنفار الجيش يجمعون من الأقاليم (٤) . وكان التجنيد وراثيا فكان أبناء المجندين لهم الأفضلية فى الالتحاق

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٩ – ١٩٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٤ .
(٣) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٩٧ – ١٩٨ .
(٤) فى نصائح خيتى الثالث (أو الرابع) لأبنه مريكارع ، يقول : " لاحظ أن بلدك عامر بنشئ غض فى سن العشرين " ، راجع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩٥ – ٢٠٠ .

وعن العسكرية بوجه عام ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 400 – 412, 578, 580 – 581; 111, p. 317 – 318, 486.

بقوات الجيش عن غيرهم [١] . كان المجند يلحق فى البداية بجماعة من سنه ، يطلق عليها اسم " جامو ان خردو " بمعنى " جماعة الناشئين " ، ويسمى أفرادها باسم " نفرو " أى الناضجين أو الصالحين للتجنيد صحيا ، وكان يطلق عليهم أيضا أسماء " حور نفرو " بمعنى " الصغار الناضجين " و " إيدو " بمعنى " الغلمان " .[٢] وتعهدت الدولة أفراد هذه الجماعات بالمئونة والكساء . وكان يشرف عليهم رؤساء ذو رتب محدودة . ثم يسلك المجند طريقه إلى ما يسمى بالسرية . وقد اختلفت أعداد السرايا من عصر إلى عصر . وتألفت كل منها خلال عصر الدولة الحديثة من مائتى جندى أو مائتين وخمسين . وتعدد المشرفون على السرايا بين رتب كبيرة وصغيرة ، وكانوا يسمونهم رؤساء الخمسة ، ورؤساء العشرة ، ورؤساء المائة . وامتازت كل جماعة أو سرية بلواء خاص أو شعار خاص يميزها . ويعلو السرية عادة رمز يصور حيوانا كاسرا أو غير كاسر ، أو يصور جنديين يتصارعان ، أو صورة معبود معين ، أو فرسين متقابلين ، او شارة من شارات البلاط الملكى . وذلك تبعا لاختلاف تكوين الجماعة ، إن كانت من المشاة أو الرماة أو حرس المعابد والقصور والإدارات والحدود [٣] . وتقلبت كل جماعة أو سرية باسم خاص يدل عليها . وقد ينسبها إلى ملك أو معبود .

يلى السرايا كتائب كبيرة ، تألفت فى عصر الدولة الحديثة من مشاة ورماة ، وتضمن بعضها إلى جانب مشاته نحو خمسين عربة حربية بفرسانها . ويمكن ان تندمج الكتائب فى فيالق ، تراوحت أعدادها الضاربة خلال الدولة الحديثة بين فيلقين وثلاثة وأربعة ، وتألف كل منها من خمسة آلاف راكب وراجل . وجرى العرف على تسمية بعض هذه الفيالق بأسماء معبودات الدولة الرسمية . تيمنا بهم واعترافا

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٨٨ – ٢١٠ .

(٢) Schulman , Military Rank, title and Organization in the Egyptian New Kingdom (MAS6) (1964) , p. 33 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٨ أ – ب .

بفضلهم وأملا فى كسب حمايتهم ومناصرتهم فى أوقات الحرب [١] . وتشير نصوص من عهد الملك سيتى إلى فرقة آمون ، وكانت تعرف باسم " الأقــواس الباسـلة " ، وفرقة رع وتعرف باسم " الأذرع العديدة " ، وفرقة ست وتعرف باســم " الأقــواس القوية " وفرقة بتاح التى ظهرت لأول مرة ، فى عهد رمسيس الثــانى [٢] . ولدينـا مناظر من عصر الدولة الحديثة ، تمثل مجموعــات رمزيــة مــن فــرق الجيـش المختلفة [٣] . إلى جانب هذه القوات الوطنية العاملة ، كان هنــاك الرمــاة النوبيــون والمجاو لحراسة الحدود . وبعد ذلك القوات المرتزقة التى كانت تأتى من الشــرق او الغرب أو الشمال . وهناك الفرق الخاصة ببناء المعسكرات والتحصينات العســكرية اللازمة لتأمين الحدود . فقد اهتم المصريون القدماء ببناء الحصون وإقامتــها علــى الحدود الشرقية والغربية والجنوبية .

التدريب :

حظى التدريب بعناية كبيرة بغية الوصول بالجيش إلــى مسـتوى رفيــع . واهتمت تدريبات الجيش بالعدو والسباق والرماية والمصارعة والفروسية [٤] وذلــك لبث روح النظام وتقوية البدن والتعود على الخشونة وتحمل المشاق . كــانت أولــى تدريبات الجيش تستهدف تنظيم الخطوة ومشية الصف . كان على الجندى المصــرى أن يلتزم بالخطوة المنتظمة . فيسير الجندى تلو زميله فــى الدوريــات المحـدودة ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠١ ؛
Daumas, la Vie dans L'Egypte Ancienne, p. 106 – 110.

(٢) ببير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامســة (ترجمــة عزيــز مرقس) ، ص ٣١٣ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٩٨ شكل ١٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الثــانى ، شكل ١٦٦ ، ١٦٨ – ١٦٩ ، ١٧١ – ١٧٢ ، ١٧٧ .

(٤) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

ويسير الجنود فى صفوف يتكون كل منها من أربعة جنود فى الفصـــائل والســرايا ، ويسير أكثر من أربعة جنود فى تشكيلات الكتائب والفرق الكبيرة [١] فـــى صفـوف متوازية وتبلغ سبعة او ثمانية صفوف . وكان يعاون الجماعة على تنظيـــم مشـيتها الرتيبة ، نافخ البوق الذى كان مصنوعا من النحاس أو من الفضة ، وطوله لا يتجاوز ذراعا واحدا ، مستقيم الشكل ولا تصدر عنه إلا بعض النغمات الموسيقية العادية . أو ضارب الطبلة ولكن وجوده كان نادرا ولكنه صور فى اللوحات التى تمثـل التجنيـد وفى الأعياد مثل عيد اوبت المصور فى معبد الأقصر . وكان نـــافخ البـوق يتقـدم الجماعة ويكون دائما فى مقدمة الصف ، أو يلتزم نهايته أحيانا أخرى .[٢]

وكما ذكرنا شملت تدريبات الجيش العدو ومباريات السباق . وشارك أبنـــاء الملوك العسكريون زملاءهم فى السباق . ومارس العسكريون تدريبات المصارعـة . وخضع بعض صغار العسكر لتمارين شائكة تطلبت من الخفة وحفظ التـوازن أكـثر مما تطلبت من صلابة البدن . ومن هذه التمارين تمرين يتسلق الغلمان فيه صـــوارى طويلة ملساء من الغاب الغليظ او الخشب أو المعدن ، فى وضع راى ما أمكن ، ثـــم ينزلقون عليها فى وضع مائل [٣] . وكانت هذه الصوارى مثبتة فى صـــارى غليـظ مرتفع . ومن تمارين التدريبات ، المبارزة بالعصى ، وكانت تتطلب خفـــة ومـــهارة وقوة ساعد . وقد ينزل الجندى إلى التمرين بعصايتين ، عصا يضرب بها ، وأخـرى يرد بها ضربات خصمه ، ثم يحاول أن يلمس وجه خصمه أو رأسه بعصاه .[٤]

وكان هناك أيضا تسديد الحراب والمزاريق ، واستخدام البلـــط والخنـــاجر والسيوف المقوسة ، ومهاجمة الحصون واختراقها ، مـــع التســتر خلـف الـتروس

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصريـــة ، ص ١٩٣ شــكل أ – ب ، ص ١٩٤ ، شكل ١١ ، ص ٢٠١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضــــارة المصريـــة ، ص ١٩٣ شــكل ١٠ ، ص ٢٠٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٨ شكل ١٣ ، ص ٢٠٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٩ شكل ١٤ ، ص ٢٠٢ – ٢٠٣ .

الضخمة ، أو تحت مظلة الوقاية . وكذلك ركوب الخيل والعربات الحربية التى تشدها الخيل . وكانت فرق الخيالة أو فرق العجلات الحربية من أرقى وحدات الجيش . هذا فضلا عن التدريب على أسلحة العصر ، على الرغم من أن القادة لم يسجلوا وسائل التدريب والتعليم التى تلقوها او تكفلوا بها فى حياتهم العسكرية .

وتركزت فى منف معسكرات الخيالة وبعض المصانع الحربية . وكان الغلمان يقضون فيها عدة سنوات لمعرفة طباع الخيل والتدرب على امتطاء ظهورها . وربما كانت توجد حاميات فى جرجا التى كانت تشرف على طرق الواحات وحماية أمنها .

التدريبات العسكرية لأبناء الأمراء:

سجل بعض الملوك مناظر صورت تربيتهم العسكرية فى صباهم ، كما صورت تربية أبنائهم .(١)

تتلمذ الأمير أمنحتب فى جرجا على يد القائد " مين " ، وتدرب معه على رماية المشاه . وكان مين قد اشترك مع تحوتمس الثالث فى معاركه الحربية . وصور مين فى جانب من مناظر مقبرته درسا فى الرماية ، ظهر خلاله يعلم الأمير أمنحتب كيف يستغل قوة ساعده فى شد القوس إلى ناهية مداه ، وكيف يثبت السهم فيه ، وكيف يطلقه . واستمر أمنحتب يتلقى تدريباته فى جرجا ، حتى اشتد عوده ، ثم انتقل إلى منف وانضم إلى معسكراتها الكبيرة ، والتحق بفرقة الخيالة ، وقضى مع الخيالة والخيل فترة طويلة ، فخبر طباع الخيل خبرة عملية . وتعلم أمنحتب الرماية راكبا فى منف ، كما تعلمها رجالا فى جرجا . واستكمل أمنحتب تدريباته مع البحارة العسكريين ، بتعلم التجديف ، وقطع فيه شوطا كبيرا من التقدم .

تطلبت تربية الضباط والقادة تحصيل قدر مناسب من ثقافة القلم والفكر فمنذ عصر الدولة القديمة كان بعض القواد يجمعون بين لقب قائد ولقب كاتب ، وأحيانا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ ، ص ٢٠٠ ، ص ٢٠٣ .

لقب كاهن ومن عصر الرعامسة نعرف حوري الذى كان يحمل لقب " الضابط مربى أفراس (خيول) الملك " ولقب " معلم المساعدين فى ديوان الكتابة " [١] وكان حريصا على الافتخار بثقافتيه العسكرية والفكرية . وتلقب زميل له يدعى امنمؤبى (أو امنمؤبت) بلقب " كاتب الأوامر الملكية للجيش المظفر " ولقب ماهر . وهو لقب كان يطلق على الكاتب ويطلق على معبود الكتابة تحوتى .

وكان لابد للضابط ان يتعلم الأدب القديم المشهور ، وأدب تحرير الرسائل ، ومسائل الحساب ، وطريقة تقدير أنصبة الجنود من المؤن وكيفية توزيعها ، ولابد أن يعلم جغرافية البلاد وأسماء المدن الداخلية ، وما تشتهر به . وان يكون على معرفة أيضا بجغرافية البلاد الخارجية ، التى من المحتمل أن يذهب إليها كرسول أو يكلف بمهام رسمية فى أراضيها [٢] . كل ذلك يمثل جانبا من الثقافة الضرورية لكل ضابط ركب عربة حربية وأمسك القوس .

وكان هناك كتبة الجيش الذين يكتبون أخبار الحملات الحربية على ملفات من الجلد أثناء مرافقتهم للجيش فى حملاته الحربية وبعد ذلك تسجيل هذه الأخبار على جدران المعابد واللوحات ، وكان هؤلاء الكتبة على جانب كبير من الثقافة الدينية ولهم دراية بشئون الحرب .

إدارة الأسلحة والمعدات :

نرى فى بعض المناظر صفا من الرماة المصريين من عصر الدولة الحديثة وهم يحملون القواس والأسهم وجراب الأسهم [٣] ، وأحيانا يمسكون بأقواس ضخمة

---

(١) د. أحمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الثقافة الأثرية ، هيئة الآثار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣٩ – ٤٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠١ شكل ١٥ ، ص ٢٠٣ – ٢٠٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٩ شكل (١) .

وبأقواس صغيرة [١] ، أو يحملون الدروع والحراب[٢] ، أو الدروع ومقمعة القتال [٣] . ونرى سرية صغيرة من حملة الأقواس يتقدمهم حامل العلم .[٤]

وهناك تنظيمات ثنائية من حملة العصى الطويلة [٥] . وهناك مجموعات رمزية تحمل الدروع ومقامع القتال والبلط والحراب والأقواس [٦] والسيوف المعكوفة القصيرة . ونرى أيضا بعض المناظر الجنود وهم يقومون بإعداد أقواسهم [٧] أو الرماة النوبيون وهم يحملون الأقواس والأسهم [٨] . هذا بالإضافة إلى المركبات الحربية التى تشدها الخيل .[٩]

وعثر على قفاز من الجلد كان يرتديه فارس المركبة الحربية ليشد بها لجام الخيل دون التأثير على أصابعه [١٠] . وعثر على رداء قصير واقى من عصر الدولة الحديثة كان يرتديه الفرسان[١١] . هذا أيضا إلى جانب المعدات الخفيفة من أعلام وألويه وسرايا والفرق [١٢] والأبواق[١٣] وكان للجنود الزى الخاص بهم .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩١ شكل (٥) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ٩ب ، ص ١٩٤ شكل (١١) .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٩٢ شكل ٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ٩أ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٩٨ شكل ١٢ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٠١ شكل ١٦ .

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ شكل ١٧ .

(٩) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ شكل ١٩ ؛ عن أنواع الأسلحة ، راجع :
Wolf, Die Bewaffnung des altaegyptischen Heeres, leipzig 1926.

(١٠) المرجع السابق ، ص ١٩٠ شكل ٤ .

(١١) المرجع السابق ، ص ١٩٠ شكل (٢) .

(١٢) المرجع السابق ، ص ١٩٢ شكل ٨أ – ب .

(١٣) المرجع السابق ، ص ١٩٣ شكل ١٠ .

كل ذلك كان يتم إعداده فى بيت الأسلحة والمعدات اللازمة لقوات الجيش ، وكان يشرف عليها قائد عسكرى . وكانت تهتم بإمدادات الجيش من معدات وأسلحة متنوعة ثقيلة وخفيفة .(١)

تجميع الأسلحة وتوزيعها :

قبل أن يعلن الملك الحرب ضد قوات أجنبية كان يرجع عادة إلى رأى مستشاريه . وكان توزيع الأسلحة والمهمات يتم فى حفل رائع يحضره الملك شخصيا . وكان الملك يتخذ مكانه على شرفة فوق ربوة عالية وقد اتكأ بذراعه على وسادة يتقبل التحيات ويسمع خطب ضباطه . وكانت ترص الأسلحة على اختلاف أنواعها (٢) . ويتقدم الجنود الواحد تلو الآخر فى صف طويل ، ولا يلبسون إلا مئزرا تغطيه قطعة قماش مثلثة الشكل وبأيديهم الخالية يتسلمون الأسلحة ومن ثم يتحركون بينما يقيد كتبة كثيرون الأسماء والأسلحة من خوذات وسيوف وأقواس وجعاب سهام ودروع حديدية ذات مقابض قصيرة تحمى جسم المحارب ، وخناجر .

أما العربات الحربية ، فكانت تتسلم من الإسطبلات الملكية أو المخازن الجيش ويتكون طاقم العربة من رجلين ن السائس والمحارب ، ويكون الأخير ضابطا . وتعمد المصريون آلا يذكروا فى أغلب الحيان خسائرهم من رجال ومعدات فى النقوش المختلفة .(٣)

مخازن الغلال والمؤن :

وهى خاصة بتخزين الغلال اللازمة لأعداد المؤن الضرورية من طعام وشراب والتى كانت تصرف للجنود فى أوقات السلم وأوقات الحرب حتى لا يلجأ

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣١١ .

الجنود إلى النهب والسلب . وكان كتبة الملك وكتبة التجنيد يبذلون مجهودات شاقة فى إطعام الجنود . ويتكون الطعام العادى للجنود من الخبز واللحم وخاصة لحـــم البقـــر والجعة وفطائر وخضروات . ويسير الجنود فى نظام تحت إشراف ضباط صـــف ، ويحمل كل منهم وعائه ويعبرون أحد الأبواب إلى فناء توجد فيه جرار وموائد مـــلأى بالفطائر وقطع مستدير من اللحم المفروم وشرائح اللحوم . ويسجل الكتبة أولا بـــأول عدد الرجال وكمية التموين التى أعطت لهم .(١)

البحرية والأسطول :

تتكون من أربع فئات من المراكب وهى : فئة لخوض المعارك ، وفئة لنقـل الجنود والمعدات الحربية ، وفئة لنقل الملك وحرسه وحاشيته ، وفئة لنقل البضـــائع التجارية والصناعية .

عرف المصريون القدماء صناعة المراكب منذ فجر تاريخـــهم ، فيخبرنـا حجر بالرمو بأن سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة قد أرسل أسطولا بحريا مكونـا مـن أربعين مركب لإحضار كتل أخشاب الأرز من جبيل (٢) . وهناك أخشـــاب مركـب خوفو التى كشف عنها عام ١٩٥٤ ، وهى من المراكب الخاصة للملـــك (٣) . وفـى معبد ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة منظرا لمركب عائدة من ســـورية . وأول إشارة لمعركة بحرية كانت من الأسرة السادسة فيحدثنا القائد ونى أنه ذهب إلى آســيا للقضاء على تمرد هناك . وأنه عبر البحر بجيشه الضخم ونزل إلـــى الشـــاطئ فـــى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٥ .

(٢) د. رمضان عبده : تاريخ مصـــر القديـــم ، الجـــزء الأول ، طبعـــة ٢٠٠١ ، ص ٤٨٦ .

(٣) عثر فى ٢٥ مايو ١٩٥٤ على أماكن مركبين فى الناحية الجنوبية مـــن الـــهرم الأكبر ، وتم إخراج إحداها وأعيد بناءها وتركيبها ، راجع د. رمضان عبـــده : المرجع السابق ، ص ٥٣٢ – ٥٣٣ .

شمال أرض سكان الرمال .

ويفهم من هذا أنه كان هناك مراكب تستخدم فى الأسطول التجارى لأغراض النقل والبعثات الخاصة بالمعابد ، والمراكب الخاصة بالملوك ، ومراكب الأسطول البحرى . واعتمد المصريون القدماء فى عصر الدولة الحديثة على الأسطول الحربى اعتمادا كبيرا ، واشتهرت مدينة منف بأحواضها الكبيرة التى شيدت فيها مراكب الأسطول المصرى القديم [١] . فهناك بردية فى المتحف البريطانى تسجل نشاط بناء المراكب فى منف (برونفر) أيام تحوتمس الثالث وقد سجل فيها أنواع الخشب التى صرفت لرئيس بنائى المراكب لمدة ثمانية أشهر ، وعين فيها أنواع المراكب والقوارب التى كانوا يقومون ببنائها . وهناك إشارة إلى معركة بحرية بين تف يب أمير أسيوط الموالى للأهناسيين ضد الطيبيين فى عرض نهر النيل .

وكانت اكبر معاركهم البحرية على نهر النيل وهى معركتهم مع الهكسوس فى أوائل القرن السادس عشر ق.م ، كما كانت أكبر معاركهم فى البحر المتوسط هى معركة رمسيس الثالث ضد أساطيل شعوب البحر وانتصار أسطول رمسيس الثالث مما يدل على قوة أسطوله الحربى المعد للقتال[٢] . ويرى بعض العلماء أن المعركة حدثت عند مصبات النيل ، فى مكان ما إلى الشرق من بورسعيد الحالية قريبا من مخرج الفرع البيلوزى . وهناك معارك بحرية وقعت بين تف نخت وبعنخى عند هرموبوليس وذلك خلال الأسرة الخامسة والعشرين .

وفى الأسرة السادسة والعشرين أرسل نكاو أسطولا حربيا أخضع به بعض المدن الساحلية مثل عسقلون واشدود وغزة ، وجاء بسماتيك الثانى ونشأ أسطولا كبيرا فى البحر الأبيض وفى عصر الأسرة التاسعة والعشرين كان الأسطول المصرى قوة يحسب حسابها ، فاشترك فى النزاع بين الإغريق والفرس .

وقد أمد الملك نفريتس الأول ملك اسبرطة اجيلاوس بأسطول من مائة

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

وعن البحرية ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 402 , 410.

مركب من ذوات الثلاث صفوف من المجاديف عليها ما يقــرب مــن ٨٠٠ مكيال من الحبوب . وعندما عقد الصلح بين فارس وأسبرطة عقد اخوريس (هكــر) حلفا مع ايفا جوراس ملك سلاميس فى قبرص ، وأمده بخمسين مركب بحرية وشحنة من الحبوب .

تمرس الجنود المصريون على النشاط البحرى فى النيل والبحرين المتوســط والأحمر . ويبدو أن السباحة والتجديف كانتا من أهم التدريبات البحرية . وقد صــور البحارة والجنود على البر فى تنظيمات وتشكيلات تشبه تشكيلات الجيــش الــبرى . وكان هناك سرية أو فصيلة لأعداد البحارة المصريين من عصر الدولة الحديثة كــان يشرف على تدريبها ضابط بحرى كبير وقد سميت باسم " سرية تربية البحارة " ونعلم من ناحية أخرى أن الأمير أمنحتب بعد أن أتم تدريبه على الرماية وركــوب الخيــل استكمل تدريباته مع البحارة . واعتاد وان يسابقهم ويتحداهم فى التجديف . ويتكــون طاقم المركب المقاتلة من بحارة يبلغ عددهم فى المركب الكبيرة حوالى مائتى جنديــا ومدربا على رأسهم حامل العلم وضابط من رتبة قائد بحارة . وكــان مــن ضبــاط البحرية هم المشرفون على المراكب(١) . وكانت لمراكب الحربية تبحر من ميناء فــى منف أو من أحد الموانى على الساحل الشمالى .

أما رحلات المصريون البحرية للكشف والتبادل التجــارى مــع الشــواطئ الأفريقية وبلاد بونت فقد بدأت منذ عصر الدولة القديمة . وكان المصريون ينقلــون مراكبهم مفككة من مدينة قفط بطريق البر إلى شاطئ البحر الأحمر ، ثــم يشــيدونها هناك فى ميناء يقع على مقربة من القصير الحالية .

قامت بعثة مشتركة من جامعة الإسكندرية وهيئة الآثار المصرية فى عــام ١٩٧٦ بالكشف عن موقع ميناء من الأسرة الثانية عشر لتبحر منه السفن المصريــة إلى جنوب البحر الأحمر ، وخاصة بلاد بونت – ويقع هذا الميناء عند مدخــل وادى جواسيس ، جنوبى مدينة سفاجه بحوالى ٢٢ كم . وقد عثرت البعثة فى هذا الموقــع

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ، ٢٢٢ .

على لوحات منقوشة تحتوى على مرسوم أصدره الملك سنوسرت الأول لبناء السفن لإرسالها إلى بلاد بونت[١] . ونعرف من نقوش معبد الدير البحرى تفاصيل نوعية هذه المراكب إلى أرسلتها الملكة حاتشبسوت إلى بلاد بونت[٢] . ونعرف أيضا تفاصيل الأسطول الذى شيده الملك نكاو وأرسله إلى البحر الأحمر لكشف سواحل أفريقيا وعاد الأسطول عن طريق مضيق جبل طارق محملا بجميع خيرات أفريقيا من الموانئ التى مر بها [٣] . كما تكونت أيضا الأساطيل الخاصة بالمعابد الكبرى لنقل المنتجات من اراضى المعابد والبضائع المختلفة ، وفى طيبة وأمام معابد الكرنك كان يوجد مرفأ لأسطول المعبد ، وربما كانت توجد مثل المرافئ فى هليوبوليس وفى قنطير وفى منطقة نزلة السيسى على بعد ٥٠٠ كم من مكان معبد الوادى للملك خوفو [٤] . وكان هذا المرفأ مزودا برصيف على عمق مترين فى الأرض الطينية .

----

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الأثرية والسياحية ، ص ٣٩٦ ؛ د. عبد المنعم عبد الحليم : الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر ، نشر فى مؤلف : البحر الأحمر وظهيرة فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣ ، ص ٧٣ – ٧٦ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٣٩٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٤) اكتشف مكان هذا المرفأ حديثا ولكن ضاعت معالمه بسبب المبانى الحديثة التى أقيمت عليه ، وكان مخصصا لاستقبال المراكب التى تحمل الأحجار الخاصة بالمجموعات الهرمية للملك خوفو ، راجع : د. رمضان عبده : المرجع السابق ، ص ٥٣١ .

التقاليد العسكرية :

كان على القائد أن ينظم مسيرة جنوده على خير وجه ، وأن على الجنـود أن يلتزموا جادة الصواب فى كل صغيره وكبيرة ، وقد نجح أغلب القادة فى نشـــر روح الطاعة فى الجيش والتقليل من أسباب الشقاق بين الجنود ، ومحاولـــة تغليـب روح التراحم بينهم وبين مواطنى المدن التى غزوها أو وهم فى طريقـــهم إلـــى مواطـن القتال ، محاولة تزويد الجنود بمؤونة مناسبة تصرف الجنود عن النهب والعـــدوان . وكان القائد مسئولا أمام الملك وأمام أهل بلده عن سلامة جنوده ، وعن عدم إصابـــة أحد جنوده او تعرضه للمرض . واستن بعض الملوك العسكريين تقليدا مستحبا فـــى مجالس الحرب ، وهو تقليد تبادل الرأى مع القادة عند مواجهة مفاجآت الحروب وقبل دخول المعارك الكبيرة . وكان القادة يحاولون تبرير رأيهم فى خطط الهجوم وكـــانوا يفضلون تأمين جيشهم ضد المفاجآت المتوقعة أثناء الهجوم . وفى حالة خروج الجيش للقتال ، كان الملك يخرج بنفسه فى طليعة جيشه ، وكان علـــى رأس الجنـود فـــى مركبته الحربية ، وكان أبناء الملك يتبعونه فى مركباتهم الحربية ، ومن ورائهم بقيـة القوات .

وتمتع أفراد الجيش العاديين والضباط ببعض النعم والمنح التى كفلـــها لـــهم الحكام مثل منح الأراضى ، والخدم والعبيد والأسرى ، والإعفاء مـــن الضرائـب ، وإعفاءهم من القيام بالمهام الشاقة ، وكل من له شكوى كانت تبحـــث أسـبابها فـــى الحال .

وقدرت القيادة المصرية بسالة المحاربين خلال المعارك . وكان اسم الجندى الشجاع يقيد فى السجلات الملكية وعبرت عن تقديرهـــا بالإنعـام عليـــهم بالألقـاب التشريفية ، والأوسمة والأنواط ، والمكافآت السخية ، والترقى إلى أرقـــى منـاصب الضباط . فشاع من الألقاب التشريفية لقب " عحاوتى " اى المقـــاتل ، و " قـــن " أى الجسور أو الشجاع ، و" كفعو " أى القناص ، و" كفعو قن " أى القناص الشجاع .

وسجل كثير من القواد فى نقوشهم انهم منحوا مكافآت تشجيعية عبروا عنها باسم ذهب التقدير وذهب البطولة . وكان فى صورة ذبابة أو أسد تتجلى من شريط . فالذبابة كناية عن خفة المنعم عليه وإلحاحه فى مطاردة عدوه (١) . والأسد رمزا إلى شجاعة وجرأة المنعم عليه . وكان البعض الآخر يمنح أسلحة مذهبه مطعمة بالأحجار الكريمة أو يمنح قطعة أرض فى بلده أو يمنح عبيدا من الجنسين . ولدينا مثال حامل العلم أثناء المعارك الحربية ، نب آمون والذى عين فيما بعد ، قائدا للسفينة الحربية " مرى آمون " وعندما بلغ سن الشيخوخة وهو فى خدمة الملك ، قضاها فى إخلاص وتفان صمم جلالته أن يكرمه فمنحه منزلا جميلا ، كما أمده بخدم وقطعان من الماشية وأراضى عبيد ، مع ضمانات حتى ألا يتمكن موظفو القصر من استردادها ، ولم يشأ الملك أن يعفيه كلية من الخدمة العاملة لذلك عينه رئيسا للشرطة فى البر الغربى فى طيبة . وقد منحت له كل هذه الخيرات والألقاب فى حفل كبير .(٢)

كان الجيش المصرى أخف الجيوش كلها فى المجتمعات القديمة فى حب البطش والانتقام والتنكيل بالأعداء ، فيما عدا عهد رمسيس الثالث ، فلم يعمد ملوك مصر فى غالبيتهم أن ينزلوا أشد ألوان العذاب والتنكيل بالأسرى . كما فعل السومريون والآشوريون والبابليون (٣) فمن هؤلاء الأسرى من كان يعمل فى خدمة المعابد أو يعمل فى مشروعات مختلفة ، او يستخدم كعامل زراعة أو فى البناء وصناعة النسيج .(٤)

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ن ص ١٨٩ – ١٩١ شكل ٦ ، ص ١٩٥ – ١٩٨ ، ص ٢٠٤ شكل ٩١ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢٠٧ ؛ د. احمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، ص ٦٣ – ٦٨ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٨ .

(٤) Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 127.

لم تخل سلوكيات العسكرية المصرية من طابع التدين ، فحـرص الملـوك على أن يسجلوا فضل أربابهم عليهم فيما أحرزوه من نصـر ، واعتـادوا علـى أن يصوروا رموز أربابهم تتقدمهم إلى الحرب وتشاركهم المعارك ، لحمايتـهم ولتشـل قوى العداء . كما كفل الملوك العسكريون لجنودهم أداء شعائرهم الدينية خارج حدود أرضهم فزودوا حصونهم ومعسكراتهم بالمقاصير الصغيرة لتأدية الطقوس لأربابـهم فيها . وكانونا يرسلون مع جيوشهم نفرا مـن الكهنـة ليثـيروا حمـاس الجنـود . ويذكرونهم بفضل الأرباب ويحثونهم على الجهاد .

وكانت الدولة تستعين بأفراد الجيش فى وقت السلم فـى الأعمـال المدنيـة ونواحى النشاط الإدارى (١) . وكانت الجيوش تذهب إلى سيناء للبحث عن الأحجـار الكريمة اللازمة لإعداد المتاع الجنائزى والمنشآت المعمارية للملك . وكان الضبـاط العسكريون يتولون المناصب الخاصة بالإشراف على عمليات التجارة الخارجية التـى ظلت حكرا على الملك وحده ، وكانوا يتولـون أيضـا أمـور البعثـات الخارجيـة والإشراف على جميع الأعمال المتعلقة بالمناجم والمحاجر .(٢)

سادسا – نظم الحكم والإدارة فى الأقاليم :

كانت هناك عدة أقاليم فى مصر منذ بداية عصر الأسرات ، وبدأت أسـماء بعض هذه الأقاليم فى الظهور فى النقوش منذ عصر الأسرة الرابعة ، على جـدران معبد الوادى لهرم سنفرو الجنوبى (٣) . وعثر على أسماء لأقاليم مختلفة على تمـاثيل الملك منكاورع وعلى بعض الحجار من عهود نى أو سر رع وساحورع من الأسـرة

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـد الأول – الجـزء الأول ، ص ٢٠٧ .

(٢) د. أحمد قدرى : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـد الأول – الجـزء الأول ، ص ١٠٨ – ١١٠ .

وعن نظام الحكم فى الأقاليم ، راجـع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I , p. 16 – 20; 11, p. 582, 597 – 598, 601 – 602.

الخامسة . وعثر على قائمة لبعض أقاليم الصعيد من الأسرة الثامنة . وعلى الجدران الخارجية للمقصورة البيضاء للملك سنوسرت الأول والتى أعيد تشييدها فى معبد الكرنك (١) ، نجد ذكر اثنين وعشرين إقليما للوجه القبلى وستة عشر للوجه البحرى . وعلى جدران المقصورة الحمراء التى شيدتها حاتشبسوت فى مكان ما بالكرنك أيضا نجد قائمة تذكر اثنين وعشرين إقليما من أقاليم الوجه القبلى وسبعة عشر إقليما من أقاليم الوجه البحرى .(٢)

وفى معبد سيتى فى ابيدوس وردت قائمة ذكر فيها اثنان وعشرون إقليما للوجه القبلى وخمسة عشر إقليما للوجه البحرى . وفى معبد هيبس من عصر الأسرة السادسة والعشرين ، نجد على جدرانه ذكر اثنين وعشرين إقليما للوجه القبلى وسبعة عشر للوجه البحرى . ونجد فى المعابد البلطمية مثل دندره وادفو وكوم امبو وابوت فى الكرنك ومدامود وغيرها ، قوائم عديدة بها تفاصيل أكثر عن عاصمة الإقليم والمعبود المحلى فيه وكبير الكهنة وما يؤديه من طقوس ، وكبيرة الكاهنات والرمز المقدس فى الإقليم ، وفروع النيل التى تمر به والأراضى الصحراوية فيه . ولعل أكثر هذ القوائم تفصيلا هى قوائم معبد ادفو التى اعتمد عليها مونتيه فى كتابه عن " جغرافية مصر القديمة " .(٣)

والرأى السائد الآن هو أنه كان يوجد فى الوجه القبلى اثنان وعشرون إقليما وفى الوجه البحرى عشرون إقليما . وظهرت الثنائية فيما يخص الإدارات التى تتصل بالشئون الإدارية للوجه القبلى وللوجه البحرى . وكان كل إقليم مقسم إلى مقاطعتين : مقاطعة الشمال ومقاطعة الجنوب . ويمكن القول بأن صفات شمال وجنوب التى تتصل بالاسم لا يجب الأخذ بها حرفيا بل إلى حد ما . وكان يوجد

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٥٤ حاشية (٥) .

(٢) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١١٣ حاشية (٤) .

(٣) Montet, la Géographie de L'Égypte Ancienne , p. 5.

مكتب للتعداد فى الأقاليم ، وكان هذا التعداد مثلما يحدث فـــى العاصمـــة ، يســجل بواسطة كاتب توثيق أمام عدد معين من الشهود . وتكشف لنا برديات اللاهون مـــن الأسرة الثالثة عشر أن هذا التعداد يحـدث فـــى مقـاطعتى إقليـم الفيـوم الشـمالية والجنوبية . وكان هناك أيضا تعداد للممتلكات والماشية .

وكان يوجد فى كل إقليم إدارات مماثلة لما هو موجود فى العاصمة وهـــى إدارات مصغرة تقوم بنسخ القوانين المعمول بها فى إدارات العاصمة وكانت هنـــاك مكاتب حكومية لإدارة الإقليم ، وعثر على نموذج مصور من عصر الدولة الوسـطى يمثل مكتبين من مكاتب إدارة الإقليم السادس عشر من أقاليم الوجه القبلى ، أحدهمـــا بيت المال وتوزن فيه الأشياء الثمينة ويقوم بتسجيلها أحد الكتبة ، والآخر هـــو بيـت المؤن وتكال فيه الغلال ثم تخون فى مخازنها .[١]

كان يحكم كل إقليم حاكم يعين من قبل الملك ويكون مسئولا أمامه ويتلقـــى أوامره منه ، ويتولى هو بنفسه العمل على تنفيذها فى إقليمه ، وإذاعتها على النـــاس فى إقليمه ، وكان يساعده عدد كبير من الموظفين المحلقين بالإدارات المختلفـــة فـــى الإقليم ، وهم موظفون ملكيون . وبفضل هذا النظام الإدارى أصبح هناك مملكة قويـة متحدة سياسيا ومنظمة إداريا .

وكان حكام الأقاليم يرأسون مختلف نواحى النشاط الإدارى فى أقاليمهم فكان عليهم الإشراف على جمع الضرائب كاملة ، والعمل على زيـــادة الدخـل ، وتأديـــة التزامات بيت المال[٢] . فكان عليهم العناية بتحسين أحوال الإقليم الزراعيـــة وذلـك بحفر الترع وإقامة الجسور وإعداد وسائل الرى [٣] . وكان هناك أحد كبار الموظفين

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٣٤ شكل ٣٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضـــارة المصريـــة ، ص ١١٧ ؛ د. بيومـــى مهران : المرجع السابق ، ص ١٣٦ – ١٥٥ .

(٣) Yoyotte, BSFE 60 (Fevrier 1971), p. 24 .

الذى يحمل لقب " عج – مر " أى الإدارى (١) وهو أيضا أحد الألقاب الهامة لحكام الأقاليم ، وكان هناك موظف يحمل لقب مرخاسوت الذى يشرف على جباله وصحاريه وما فيهما من موارد . ويخضع لأشراف حاكم الإقليم كل الشئون القانونية، فهو الذى يرأس المحاكم والدوائر القضائية المحلية . كما أن حاكم الإقليم كان يشرف على الأنشطة الدينية فى الإقليم ، ومن الممكن أن يصبح الكاهن الأول للمعبود المحلى الذى يعبد فى الإقليم . وكان يشرف أيضا على جمع الأفراد لتجنيدهم وإرسالهم فى حملات .

وكان حاكم الإقليم يحرص كما يذكر بعضهم فى نقوشه مثل امينى من عهد الملك سنوسرت الأول ، على جدران مقبرته فى بنى حسن أنه لم يستعمل القوة مع الأهالى ولم يظلم الأرامل ولم يقبض على اى عامل ولم يطرد راع من حقله ولم يكن هناك جائع فى زمنه ، وأنه عمل على تطبيق العدالة . وكانت بعض الأقاليم تتمتع بنوع من الاستقلال الذاتى عن السلطة المركزية فى العاصمة . وكان حكام الأقاليم يشيدون فى بعض الأحيان مقابرهم فى جبانة العاصمة الرئيسية على الرغم من عدم إقامتهم بها وبعد إقليمهم عنها ، ولكنهم حرصوا على تشييد مقابرهم بجوار مقبرة الملك مما يدل على مدى ارتباطهم بشخصية الملك (٢) وكان كل إقليم يقدم المواد الغذائية ، وعدد المراكب اللازمة للأسطول وإعداد الرجال للجيش المرابط ، وذلك للمشروعات الملكية فى كل إقليم وخارجه (٣) . ويمكن التنازل عن وظيفة حاكم الإقليم فى نظير قيمةمنالذهب . فقد عثر على لوحة فى الكرنك موجودة الآن

---

(١) Meeks, Alex. I, p. 76; 11 , p. 82 ; 111 , p. 57; WbI, 240, 7 – 12 . ؛ وكان لهذا الموظف الكبير صلة بالبعثات المرسلة إلى البحر الاحمر وكان هناك ألقاب أخرى مثل : cd̲ mr nt̲r (إدارى المعبود) cd̲ mr smjt (إدارى الصحراء بوجع عام) cd̲ mr t̲nw (إدارى الأعداد او الأرقام – أى الميزانية) cd̲ mr Dp (إدارى مدينة دب) وكان له صلة بمشروعات الرى وحفر الترع ومراقبة ارتفاع مياه الفيضان والمسئول عن نظام توزيع أنصبة المزارع من المياه وصيانة الجسور والسدود ، وكان امنحتب بن حابو يحمل هذا اللقب ، راجع : Varille, Amenhotep fils de Hapou, p. 92 (A)

(٢)ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٧ – ١١٩ .

(٣)د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

بالمتحف المصرى تحت رقم ٥٢٤٥٣ وهى من الاسرة الثالثة عشرة ، وتحتوى على نص يحكى لنا أن شخصا يدعى كبسى أراد أن يدفع له ما قيمته ستون دينا من الذهب (حوالى خمسة كيلو جرام ونصف)[1] ، ولكى يتنازل للشاكى سبك نخت عن وظيفة كحاكم للمنطقة الكاب [2] . وكان الأول قد ورث هذه الوظيفة عن أبيه الوزير آى - مرو ، وقد تم عمل بحث إدارى بواسطة مكتب الوزير والمشرف على المقاطعة الشمالية للإقليم ، وعلى الرغم من أن هذا النص لم يفحص حتى الآن بواسطة متخصص فى القانون المصرى القديم بالنسبة لما جاء فيه من بنود قانونية إلا أنه يمكن ان نستقى منه معلومات لا بأس بها بالنسبة لأوضاع الإدارة .[3]

ويفهم من هذا النص أنه كان يمكن التنازل عن وظيفة حاكم الإقليم نظير قدر من الذهب ، ويمكننا القول بأن هذا كان يحدث كاستثناء فقط وليس بصفة دائمة ، ويبدو أنه عندما تشترى وظيفة مثل هذا فإنها تنتقل فيما بعد إلى الورثة من عائلة الحاكم . ويمكن إضافة أن أقليم الكاب كان يتمتع بوضع متميز ، ففى الواقع كان هو الإقليم الوحيد فى الوجه القبلى الذى نشأت فيه - خلال العصر الوسيط الثانى - عائلة إقطاعية بلغ نفوذها حجا كبيرا ، ومن الطبيعى ان حكام الأقاليم عندما كانوا يتولون هذا المنصب كانوا يعتبرون أنفسهم مستقلين عن الإدارة المركزية .

وكان يمكن للملك أن يتنازل عن وظيفة كهنوتية لصالح الملكة . مثلما حدث بين الملك أحمس والملكة نفرتارى ، عندما تنازل الأول عنت وظيفة كهنوتية لصالح الملكة طبقا لنص عثر عليه فى معبد الكرنك .[4]

---

(١) الدبن حوالى ٩٣,٣ جرام ، راجع د. سمير يحى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ١٤٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٢٣٨ .

(٣) Drioton- Vandier, op. cit ., p. 302 – 308 ; Kees, ZAS 70 (1934), p. 88 – 100 .

(٤) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 103 .

العدالة فى قرية مصرية :

وهى قرية دير المدينة فى البر الغربى فى طيبة فتحدثنا بقايا الاوستراكا وبعض البرديات عن حياة طبقة العمال من القرن الرابع عشر حتى بداية القرن الحادى عشر ق.م فى هذه القرية [١] . ونعلم من هذه الوثائق انه كان يوجد مجلس يسمى كنبت ، وهو أشبه بالمجلس المحلى ، وكان يوجد فى قرى أخرى . ويتكون هذا المجلس من الشخصيات البارزة من سكان القرية ، بعضهم من الموظفين المحليين , وكان هذا المجلس مسئولا عن إدارة وتنظيم الأعمال بين سكان القرية والنظر فى قضاياهم ، وكان هذا المجلس يتكون من ثمانية أعضاء وأثناء نظر الدعاوى يصبح العدد اثنا عشر ، وأثناء نظر دعاوى الوصايا العامة يصبح العدد أربعة عشر .

والقضاة طبقا لألقابهم كانوا من السكان المحترمين مثل رئيس العمال ، الكتبة النواب ، حراس المقابر ، ورجال الشرطة . وأهم هذه الشخصيات رئيس كل قسم من العمال والكتبة . ومن كانوا لا يحملون ألقابا مميزة فى المجلس يبدو أنهم كانوا مجرد سكان عاديين . وكان من بين أعضاء المجلس أحيانا قاضيتان من الحريم [٢] . وكان هناك شمسوان كنبت " المجلس التابع " وكان دوره الرئيسى ينحصر فى القيام بتفتيش المنازل واحراز البضائع . وطبقا لتقرير رسمى فإن لهذا المجلس الحق فى القبض على شخص ما واستخدام القيوم معه .

أى أن هذا المجلس التابع كانوا أشخاصا مساعدين للمجلس العلى . وتدل سجلات المجلس على أن القضاة يختارون من بين الذين يسكنون القرية وكان هناك موظفون آخرون جاءوا من مناطق أخرى . وذلك لفترة معينة لعقد المجلس فى دير

---

(١) Id., op. cit ., p. 59,

(٢) Id., op. cit ., p. 63-64 .

المدينة [١] . وكان من حق المجلس ان يقر الدعوة بعد ثـــلاث جلســات مخصصــة للموضوع نفسه . وكان هناك سجلات للمجلس التى تحتوى على قوائم بأسماء القضـاة وكان القضاة هم الذين يعلنون بأنفسهم الحكم . وكان هناك تمثال للملك أمنحتـب الأول موجود فى قاعة المجلس وكان يطلب رأيه فى بعض الأحكام . وكـــان يبـــدى رأيـــه بطريقتين :

الأولي : أثناء بعض الأعياد يخرج تمثال هذا الملك فوق نموذج لقارب صغير وأثنــاء سير الموكب يسأل أحدهم المعبود عن رأيه فى الخلاف القائم بين متخاصمين وعندئـذ يجيب المعبود بعلامة واحدة أو أكثر .

والثانية : عن طريق خطاب مكتوب يقوم بتحريره كاتب يؤدى دور الوسيط ، وهـــو الذى يسأل المعبود وإليه يكشف المعبود عن إدارته فى بعض الحالات .

وكان ينظر فى الدعوى بعد ثلاثة ايام من رفعها من قبل الشاكى مصحوبــة بالأدلة والبراهين [٢] . أما عن أنواع النزاعات والخلافات التى كانت تقوم بين ســكان القرية أو بين أفراد طبقة العمال ، فهى إما خلافات شخصية ونزاعات بيـــن الأفـــراد بسبب المعاملات بيع أو شراء بضائع وعقارات ومعـــدات وأدوات وحيوانـــات ، او قرض أشياء او تأجير أرض او سرقة معدات او بضائع تخص الأفراد او المعـــابد أو المقابر ، ويمكن للمجلس النظر فى دعوى القذف ضد رئيس العمال او سرقة بضـــائع من النحاس . ومن يقوم بالكذب او الوشاية يعرض على المحكمـــة ، أمـــا ســـرقات المقابر الكبرى فكانت تعرض على المحكمة العليا فى عاصمة البلاد ، أمـــا حـــالات الاغتصاب فكانت نادرة [٣] . وهناك قضايا الأحوال الشخصية وهناك الاوستراكا رقم ٥٦٣١ بالمتحف البريطانى من الأسرة التاسعة عشرة أو العشرين يذكر صاحبها أنـــه

---

(١) Id., op. cit ., p. 65 .

(٢) Id., op. cit ., p. 66 - 69 .

(٣) Id., op. cit ., p. 63 - 70 .

حكم عليه بعمل شاق بسبب اختلاس ، ولكن والده كتب التماسا للملك فخفف عنه .(١)

وهناك بردية سالت رقم ١٢٤ (١٠٠٥٥) بالمتحف البريطانى تصف لنا مجموعة من الاتهامات ساقها آمن نخت ضد ملاحظ العمال فى المقبرة الملكية بنب وذلك أمام الوزير الذى يعد رئيسا للعدالة . ومن بين الاتهامات أشياء سرقت من مقبرة الملك سيتى الثانى . ولم تذكر لنا البردية نتيجة شكوى امن نخت وما هو مصير بنب (٢) . وكانت المحكمة تعلن الحكم بالطريقة الآتية :

" فلان محق او على حق " أو " فلان مخطئ " .(٣)

أما انواع العقوبات فكانت الضرب ، الأعمال الشاقة فى المحاجر ، المناجم او النفى إلى بلاد النوبة فى حالات الجرائم البسيطة ، فيعاقب بالضرب مثلا من يقلق راحة المتوفى . وفى حالات الكذب أو الوشاية او التزوير يجدع الأنف أو الأذن ، وفى حالات الزنا يعاقب بالعقوبة السابقة .(٤)

مسئولية الدولة :

كانت الدولة مسئولة عن زيادة الدخل القومى الذى كان من أهم أهداف الحكومة وذلك باستصلاح الأراضى الزراعية ، وإقامة المشاريع الكبرى للرى فى الأقاليم مثلما فعل بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة للتحكم فى مياه الفيضان عند منخفض الفيوم ، حتى جاء الملك أمنمحات الثالث فأكمل هذه المشاريع بإقامة حائط ليحجز الماء بلغ طوله سبعة وعشرين ميلا ، وبذلك هيأ مساحات شاسعة للزراعة

---

(١) James, An Introduction to Ancient Egypt, London (1973),p.120 .

(٢) James, op. cit ., p. 120 .

(٣) Id., op. cit ., p. 72 .

(٤) Id., op. cit ., p. 73 .

انظر حديثا: منال محمود: الجريمة والعقاب ، مصر القديمة ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٣٤ لعام ٢٠٠٣ ، ص٩٩ - ٢٣١ تناولت فى هذه الصفحات انواع الجرائم وانواع العقوبات: الإعدام والاحراق والاغراق والبتر والكى بالنار والضرب والسجن والنفى والغرامة ومصادرة الأملاك.

زادت من ثراء البلاد فى ذلك الوقت[١] وكانت مسئولة كذلك عن توفير المواد الخـام للصناع والحرفيين ، ومسئولة عن وسائل النقل البحرى وحمايته وتأمين الملاحة فـى النيل أو فى البحر الأحمر والبحر المتوسط[٢] . ومسئولة أيضا عن إعـداد الطـرق ، ونقل البرد والمراسلات [٣] وكانت مسئولة عن صحة وسلامة العمال الذين يعملـون فى محاجر الدولة . ومسئولة عن تخطيط المدن والقرى العامـة والقـرى الخاصـة بسكنى العمال ومسئولة عن تخطيط الميادين العامة وتزويدها بالحدائق والأشجار فـى الطرقات . كما أن الدولة مسئولة عن المحافظة على النظام والمن والعام فى الداخـل وحماية الإنسان وممتلكاته والمعابد والمقـاصير والقصـور وإدارات الدولـة ضـد عصابات تنهب المعابد والمقابر التى كانت تحوى ثروات ضخمة [٤] . كما أن تـأمين حدود مصر كان عملا من أهم أعمال الحكومة . وقد شيد ملوك الأسرة الثانية عشـرة الحصون والقلاع وكانت من أشهرها القلعتان اللتان بناهما سنوسرت الثـالث علـى ضفتى النيل عند قمة وسمنة إلى الجنوب من الجندل الثانى . كما كان فى شرق الدلتـا نقطة غير محصنة كان يخشى ان يتسرب منها العـدو ، وهـى وادى الطميـلات ، وهناك شيد جدار أو سور كبير من عهد أمنمحـات الأول هـو حـائط الأمـير أو الحاكم [٥] الذى شيد لرد الآسيويين . وكان الجنود يقيمون فيه ويراقبون العـدو مـن على أبراجه .

كما كانت الدولة مسئولة عن إطعام الموظفين والعمال وإعطاء مسـتحقات لهم ومكافآت . كما كانت الدولة تهتم بالنهوض بالفنون ورعاية الفنانين وخاصة فـى

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٠ .

(٢) Posener, Dicitionnaire de la Civilisation Égyptienne, p. 33 – 34 , 183 – 184, 255 .

(٣) Posener, op . cit . , p. 229 .

(٤) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسـة (ترجمـة عزيـز مرقس) ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠ .

(٥) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ٦٤٥ .

عهد أمنحتب الأول ، وكذلك العناية بالنواحى الأخرى المتعلقة بالحيـــاة الاجتماعيــة والاقتصادية .

سابعا – مظاهر الأوضاع السياسية فى الداخل عبر الأسرات الحاكمة منذ أقدم العصور حتى نهاية عصور الأسرات المصرية :

تحدثنا فى البداية عن الظروف ومراحل التطور السياسى التى مـــرت بـــها البلاد والممالك المصرية فى عصور ما قبل الأسرات ، حتى انتهت مراحل التطـــور والصراع إلى اتحاد البلاد او القطرين الوجه القبلى والبحرى وقيام الأســـرة الأولـــى على يد نعرمر – منى الذى يعد أول ملوك الأسرة الأولى ، وهكـــذا كـــان الشـــعب المصرى من أوائل شعوب العالم القديم الذى عرف معنى الوحدة السياسية . وعاشـــت البلاد خلال عصور وفترات الثلاثين أسرة أوضاعا سياسية شتى :

عصر التأسيس والبناء: (١)

ويشمل الأسرتين الأولى والثانية ، وبذل الملوك خلاله جهدا كبيرا فى ســبيل تنسيق النظام الإدارى للبلاد ن على ضوء ما كان يسود البلاد قبل الوحدة السياســـية من نظم وأوضاع . وكانت هناك إدارة للجنوب وأخرى للشمال ، ومستشـــار للوجـــه البحرى ، ويعلو الجميع سلطان الملك ، حاكم القطرين وحـــامل التـــاجين أو التـــاج المزدوج (٢) . وأنشئت فى هذا العصر بعض الإدارات الحكومية . وتطـــورت نظـــم الحكم والإدارة نتيجة لاختراع الكتابة ومعرفة حروف اللغة المصرية . وطبقا لنقـــوش حجر بالرمو ، نعلم انه ابتداء من عهد عج ايب (سادس ملوك الأسرة الأولى) كـــان هناك إحصاء يتم كل عامين .

ويعقب الأفريقى على بعض أعمال ملوك الأسرة الثانية بقوله بأنه تقرر فـــى

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٩٢ – ١٠٦ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٥ .

عهد نى نثر (ثالثهم) أحقية النساء فى تولى الحكم . وسجل ارتفاع منسوب مياه الفيضان فى عهد خع سخم (سابعهم) .[١]

عصر الاستقرار :

ويشمل عصر الدولة القديمة من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة . وتم فى هذا العصر التقسيم الإدارى للبلاد وأصبح هناك عدة أقاليم للوجه القبلى ومجموعة أخرى للوجه البحرى . وأصبح هناك حاكم لكل إقليم[٢] . وكان حكام الأقاليم يتولون مختلف الأنشطة الإدارية فى أقاليمهم ، من تحسين أحوال الزراعة فى أقاليمهم وحفر الترع وإقامة الجسور وتيسير وسائل الرى [٣] . وكان حاكم الإقليم يتلقى أوامره من الملك مباشرة . وكان فى العاصمة فى هذه الفترة الإدارات الرئيسية وفى الأقاليم إدارات فرعية ملحق بها عدد كبير من الموظفين .

وكانت السلطة والثروة مركزة فى يد الملك ، وكان لها نتيجة هامة ، فقد ساعد ذلك على إقامة المشاريع المعمارية الضخمة . وظلت البلاد قوية متحدة متماسكة سياسيا ، وكانت أيام الدولة القديمة فى مجموعها أيام سلام وأمن واستقرار ، ومع ذلك لم يخل الأمر بين حين وآخر من كفاح ضد بدو الصحراء فى الجنوب والشرق والغرب ومع ذلك فلك يكن هناك جيش نظامى قائم فى عهد الدولة القديمة ، بل كان الملوك يدعون حكام الأقاليم إلى معاونتهم بجنودهم وقت الحرب ، ومن هؤلاء الجنود كان يتكون جيش موحد تحت قيادة قائد يعينه الملك . وكانت لمصر فى معظم أيام الدولة القديمة حكومة منظمة ، وطيدة الدعائم قادرة على تسيير دفة الأمور . وقد ازدهرت فى كنفها بعض المظاهر الحضارية ، وليس أدل على ذلك من آثار العمارة وروائع الفن وبديع المصنوعات من هذه الفترة ، وهى تدل على

---

(١) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 40 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١٧ .

وفرة الموارد الاقتصادية للبلاد فى هذه الفترة . وأصبحت الملكية فى تلك الفترة قوية بما فيه الكفاية لكى ترسل البعثات خارج مصر ، فالجيوش المصرية ذهبت حتى سيناء للبحث عن الأحجار الكريمة وتوغلت فى الصحراء الشرقية ، كما تدخلت بعمق فى بلاد النوبة .

وكان يحكم مصر كلها ملك ، يحكمها من قصره حكما مطلقا مقدسا ، يساعده فى ذلك من يختارهم من الوزراء وحكام الأقاليم وكبار الموظفين .

عصر الثورة الطبقية وحكم الأقليات :

تشهده مرحلتين ، عصر الأسرتين السابعة والثامنة ، اللتين ساد خلال عصرهما الفقر والبؤس نتيجة للثورة الاجتماعية الى قامت فى نهاية الأسرة السادسة وعادت البلاد إلى ما كانت عليه من أوضاع سياسية قبل عصر الوحدة [١] من انقسام فى الداخل واختلال للأمن ، وانتشار الفوضى ، وتلاشى للسلطة المركزية واختفى سلطان العرش ، كما أغار بدو الصحراء الشرقية على الدلتا ، وعاثوا فيها فسادا .

وانقسمت البلاد إلى أقاليم منفصلة ومستقلة تماما عن سلطة ونفوذ حكومة منف . وقد بدأ هذا الانهيار نظرا لطول مدة حكم الملك بيبى الثانى فى نهاية الأسرة السادسة . وساعد على عوامل الانهيار فى الداخل هو ازدياد سلطة حكام الأقاليم ، وقل ارتباطهم بالملك ، واعتمادهم عليه . وساعد ذلك على تقوية جانبهم السياسى ، وزيادة ثرواتهم ، وأصبح كل حاكم مستقلا عن السلطة المركزية ولا يحرص على أن يدفن بجوار أو بالقرب من مقبرة الملك فى العاصمة ، بل أخذ يهيئ لنفسه مقبرة فى اقليمه ، يدفن فيها هو وعائلته [٢] . ويبدأ مع هذه الفترة ما نسميه بالعصر الوسيط الأول حتى نهاية الأسرة العاشرة . وعصر الأسرتين التاسعة والعاشرة ، وكان

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٧ ، ٩٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١١٨ .

ملوكهما من أهناسيا ، الذين اعتبروا أنفسهم خلفاء مباشرين وشرعيين لملــوك منــف وحاولوا نشر سلطانهم على بقية أجزاء الوادى كله من مدينة أهناسيا ، وقد حـــاولوا طرد بدو الصحراء من الدلتا . وفى هذه الفترة نشأ فى طيبة بيت قوى أخــذ ينــافس أهل أهناسيا على الزعامة . ودخل الاثنان معا فى صراع طويل ، حتى انتهى الأمــر بانتصار ملوك طيبة . وكان ذلك بشير بزوال عصر الفوضى والإقطاع ودخول البلاد فى دور جديد من أدوار ازدهارها . وهناك ثلاث مقابر من أســيوط مؤرخــة مــن العصر الاهناسى ، أهمها مقبرة حاكم أسيوط خيتى الذى يذكر لنا فى نقوش مقبرتـــه كيف أنه تربى صغيرا فى بلاط أهناسيا مع أبناء الملك ، ونعلم من نقـــوش مقبرتــه أيضا أنه كان مهتما بالزراعة وإصلاح قنوات الرى وإصلاح الأراضى الصحراويـــة وقام بتوزيع الحبوب على أهالى إقليمه فى وقت المجاعة .(١)

ولاشك فى أن الصراع بين أهناسيا وطيبة قد أثر على الأوضاع السياســـية ونظرة الناس للحكام صاحب السلطة المطلقة فى الدولة القديمة ، نــرى فــى بردية القروى الفصيح من هذا العصر ، وجود نوع من الإدراك لدى عامة النـــاس عندمـــا يتعرضون لظلم أحد كبار الموظفين .

عصر إعادة الوحدة السياسية والازدهار :

ويشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشــرة ، أو مــا يســمى بالدولــة الوسطى.عاد الاستقرار إلى البلاد وأصبحت أكثر نظاما وترتيبا من الناحية الإداريـــة بفضل مجهودات ملوكها . فيرجع الفضل إلى ملوك الأسرة الحادية عشرة فى توحيــد البلاد من جديد وإعادة أسباب الأمن وتوطيد النظام .

فعندما تولى أمنمحات الأول حاول أن يبسط نفوذه على الأقاليم التى كـــانت قد استقلت بعد سقوط الحكومة المركزية فى نهاية الدولة القديمة . وحاول أن يحســـم

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعــراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٦ .

النزاع بين هذه الأقاليم. ويرسم حدودها من جديد وقد استخدم أمنمحات العنف تـارة ، والتساهل تارة أخرى حتى أخضع أمراء الأقاليم لسلطانه . وقرب بعض حكام الأقـاليم إليه وحاول أن يكسبهم إلى صفه . كما انه طهر حدود البلاد من البدو فـي الشـرق والغرب والجنوب ، وسيطر بذلك على البلاد فى الداخل والخارج[١] . وتحـت حكـم الملك سنوسرت الثالث أصبحت السلطة الملكيـة مطلقـة مـن جديـد ، لدرجـة أن مسئوليات حكام الأقاليم قد ألغيت [٢] . وأصبح توريث الإمارة أيام الدولة الوسطى من حق القصر وأصبح الأمراء يتوددون إلى الملك بأسلوب يدل علـى الخضـوع التـام وكان القصر يمنحهم الأراضى لاستغلالها ولم يكن لهم حق توريثـها إلا بـأذن مـن الملك ، وهكذا عادت إلى الملك سلطته القوية .[٣]

اهتم ملوك الدولة الوسطى بالنظم الإدارية التى ارتكزت عليها حكومة الدولة القديمة . واهتموا بالجيش واصبح هناك جيش عامل يحافظ على حدود البلاد . وقـد تميز عصر الدولة الوسطى بالرخاء الاقتصادى إذا اهتمت الدولة بتنظيم ميـاه النيـل وتوفيرها للرى ، وعنيت بالزراعة وعملت على النهوض بها ومن أشهر مشـروعاتهم فى هذا السبيل ذلك السد الذى أقامه ملوك الأسرة الثانية عشرة فى منطقة الفيـوم .[٤] وذلك لاستغلال مياه لرى مساحات كبيرة من الأرض الزراعية فى أوقات التحـاريق ، تلك المياه التى كانت تتجمع فى بحيرة ميرس (بدلا من بحيرة موريس) لأن الاسـم الأول مشتق أساسا من كلمة مر-ور أى " البحر العظيم " التى عرفت منـذ عصـر الدولة الحديثة .[٥] وكانت هذه البحيرة موجودة منذ أقدم العصور وتمتـاز بمسـاحة كبيرة واتساع كبير بحيث بلغت مساحتها أكثر من ألف كم^2 وانكمشت هذه المسـاحة على مر العصور إلى مساحة بحيرة قارون الحالية .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٠ .

(٢) Vercoutter, L'Égypte Ancienne, p. 70 .

(٣) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٤٠٥ ؛ د. عبـد العزيـز صـالح : المرجع السابق ، ص ١٦٨ حاشية (٣٦) .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٠ – ١٠١ .

(٥) Wb 11, 97, 13.

وليس لدينا أدلة على قيام ملوك تلــك الأســرة بــأى مشــروعات أخــرى لاستصلاح الأراضى فى غير منطقة الفيوم ، ولكن اهتمامهم بمقـــاييس النيــل عنــد الجندل الثانى عند حصن سمنة يجعلنا نعتقد أن جهودهم فى تنمية الثروة الزراعية لــم تقف عند حد إقليم الفيوم [١] . وفى كل عصر ، كانت مصر بلدا غنيا بفضل خصوبــة أرضها من ناحية وبفضل المواد الخام والمصادر الأخرى من المناجم والمحاجر فــى الصحراء الشرقية ، وقد زاد الاهتمام بإظهار قيمة هذه الثروات بوجه خاص فى هــذه الفترة . وتم فى عصر الدولة الوسطى إعادة فتح المناجم والمحاجر التى ظلت شــبه مغلقة فترة العصر الوسيط الأول . وكثر إرسال البعثات إلــى هــذه المنــاجم فــى الصحراء الشرقية وسيناء ، فتقدمت نتيجة لذلك الصناعات والفنون ونهضت العمــارة وأعمال البناء ، وعمل أحد ملوك الأسرة الثانية عشــرة ربمــا سنوســرت الأول أو الثالث (؟)[٢] على حفر قناة شرق الدلتا تصل ما بين النيل وخليــج الســويس عــن طريق وادى الطميلات والبحيرات المرة ، ويعد مشروع هذه القناة أقدم مشــروع أو طريق مائى يصل بين البحر المتوسط والبحر الأحمر .[٣]

عصر التدهور والاحتلال الأجنبى :

ويشمل فترتين : الأولى عصر الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة ، وهــو

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٢ .

(٢) Weigall, Histoire de L'Égypte Ancienne, p. 83 .

(٣) يرى د. عبد المنعم أن الاسم سيزوستريس المذكـــور فــى روايــات الكتــاب الكلاسيكيين لا ينطبق على أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة المسمى سنوســرت ولم يرد من عصر هذه الأسرة إشارة واحدة إلى وجود هذه القنـــاة ، راجــع : د. عبد المنعم عبد الحليــم : قنــاة النيــل – البحــر الحمــر المســماة " قنــاة سيزستريس " وأدلة عدم وجودها فى العصر الفرعونى ، فى مؤلــف : البحــر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعيــة ، الإســكندرية ، ١٩٩٣ ، ص ١٩٩ – ٢٠١ .

عصر المحن الداخلية ، الثانية عصر الأسرة الخامسة عشرة حتى السابعة عشـــرة ، وهو عصر محنة الهكسوس ومراحل الجهاد الوطنى والتحرير ويبـــدأ معـــها فـترة العصر الوسيط الثانى .

ففي الفترة الأولي : أصبح العرش محل أطماع عدد من حكام الأقاليم وكبـار الموظفين وقواد الجيش ، الذين ادعوا لأنفسهم الحق فى حكم البلاد . وبـــالفعل نجـد أسماء عدد كبير من الحكام الذين لم يستطيعوا مجابهة الفوضى التى عمت البلاد مـــن جديد[1] . فاشتد الصراع بين حكام الأقاليم بعضهم من بعض من جهة ، وبين حكـــام الأقاليم والقصر الملكى من جهة أخرى ، فاضطرب الأمن واختل النظام ، وتشـــرب الفساد إلى كل مرافق الدولة ، وعادت الحال إلى مثل ما كانت عليه عقب نهاية الدولة القديمة .

ولا نعرف الكثير عن ملوك الأسرتين الثالثة عشرة ، التى ارجـــع مـــانيتون أصلها إلى طيبة ، وقدر عدد ملوكها بستين ، والرابعة عشرة التى أرجعها إلى مدينـــة سخا فى شرق الدلتا ، وقدر عدد ملوكها بستة وسبعين . ولا نعرف أيضا عن أحـداث عهودهم أى شئ إلا بعض الآثار القليلة التى تركوها لنا .

وفي الفترة الثانية : نجد ان التفكك الذى شمل البلاد فى الفترة السابقة وعـدم وجود حاكم قوى يجمع البلاد كلها تحت سيطرته ، قد أدى إلى وقوع البلاد فريسة فى يد عدو متربص بها ، وتعرضت البلاد للاحتلال الأجنبى لأول مرة فـــى تاريخـــها . وغزاها الهكسوس ، وهم شعوب وجماعات مهاجرة من الشرق واستقرت فى أغلـــب مدن شرق الدلتا تاركين الجزء الغربى منها لأسر مصر تحكمـــه . كمـــا أنـــهم لـــم يستطيعوا أن يحتلوا الوجه القبلى كله ، وإنما وصل نفوذهم حتى مصـــر الوسـطى ، واضطروا إلى ترك الجزء الأعلى من الوجه القبلـــى لأمـــراء وحكـــام مصرييـــن . وسيطر النوبيون على الجزء الجنوبى للبلاد . ولم يبق من المناطق المستقلة فى البلاد

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢١ .

سوى رقعة ضيقة فى غرب الدلتا وفى صعيد مصر يحكم أمراء طيبة .[١]

وقد ظل حكم ملوك الهكسوس قائما طوال أيام الأسرتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة وجزءا من حكم الأسرة السابعة عشرة . وأساء الهكسوس فى بادئ الأمر معاملة المصريين ، ولم يحترموا معبوداتهم ومقدساتهم ، واحتفظوا بتقاليدهم وعاداتهم ولكنهم لم يلبثوا على ذلك الحال طويلا ، إذ سرعان ما جرفهم تيار الحضارة المصرية ، فتمصروا ، وقلد ملوكهم الملوك المصريين فى أزيائهم وألقابهم وتقاليدهم المصرية .

ولم يستطع الهكسوس القضاء على الروح الوطنية فى البلاد ، بل كانت تلك الروح تقوى مع الأيام . لأن حكم الهكسوس لم يترك فى نفوس المصريين إلا البغض والكراهية لهؤلاء الدخلاء الذين احتلوا البلاد وفرضوا الجزية عليهم . وتزعم حركة التحرير أمراء طيبة فى أواخر الأسرة السابعة عشرة ، واستطاعوا ان يزحفوا نحو الشمال فحرروا مصر الوسطى ، وسار الجيش المنتصر بقيادة أحمس وحاصر الهكسوس فى عاصمتهم فى شرق الدلتا فى آفاريس وانتصر عليهم . وكانت نشوة النصر دافعة للملك أحمس ومن معه أن يتعقب الهكسوس خارج حدود مصر ويحاصرهم فى عقر دارهم فى شاروهن فى جنوب فلسطين لمدة ثلاثة أعوام حتى استولى عليها .[٢]

عصر القوة العسكرية والتوسع الخارجي وتكوين مناطق نفوذ فى الخارج :

ويشمل هذا العصر الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين . وكان لغزو الهكسوس واحتلالهم للبلاد عظة كبيرة للمصريين ، اذ أدركوا ما للقوة العسكرية من أهمية كبرى فى حماية الوطن والزود عنه . كما نتج عن اشتراكهم فى

(١) المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢١ .

حرب التحرير ، تذوقهم لذة النصر . ومن ثم بدأوا يهتمون بإنشـــاء جيـش قـوى ، عامل ، منظم ، سلحوه بأفضل الأسلحة المعروفة فى ذلك الوقـــت وزوده بالعربـات الحربية التى عرفوها عن الهكسوس . وكان يتقدم هذا الجيـــش العظيـم ، الملـك . وتكونت ما جرى بعض المؤرخين على تسميتها بالإمبراطورية المصرية .(١)

وغلبت الصبغة العسكرية على الحكومة فى الأسرة الثامنة عشرة ، والأسرة التاسعة عشرة وبداية الأسرة العشرين . ويمثل عصر الأسرة الثامنة عشـــرة عصـــر الانطلاق فى السياسة الداخلية والخارجية ، وعصر الأسرة التاســعة عشــرة عــودة الكفاح ، وعصر الأسرة العشرين آخر مراحل القوة . وأصبح للجندية شأن كبير فـــى الأسرة الثامنة عشرة ، وكان الملك رأس الدولة ، كما كان هو قائد الجيـــش ، وهـــو الذى يتقدم الجيوش ، وهو الذى يرأس مجال الحرب . وساعد هذا الاتجاه الملك علـــى إعداد جيش قوى منظم ، ولم تكون الجيش العامل بمعناه المعروف إلا فـــى عصـــر الأسرة الثامنة عشرة واستطاع الملك أن يوسع أملاك مصر ويجعلها ذات صيت فى الشرق . وساعد على ذلك أيضا استقرار الأوضاع السياسية فى الأقاليم ، وســيطرت على البلاد حكومة مركزية قوية وعسكرية تتبع نظما ثابتا ، وتخضع البـــلاد جميعـــا لقوانينها . وزاد تبعا لذلك ثراء طبقة الموظفين الملكيين الذين وصلوا إلـــى درجـــات عالية فى السلم الإدارى أو فى طبقة الضباط العسكريين الذين كافأهم الملـــك بالـــهدايا وأغدق عليهم المنح المتعددة .

ونتج من إغفال أخناتون لشئون الحكم أن فسدت بعـــض إدارات الحكومـــة وأساء الموظفين استخدام سلطة وظائفهم . وتأثر الوضع فى الخارج بـــهذه السياســـة الداخلية حتى اعتلى حور محب العرش واصدر مجموعة مـــن القوانيـــن الصارمـــة

---

(١) المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٢ ؛ د. احمـــد قـــدرى : المؤسســـة العســكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، سلسلة الثقافـــة الأثريـــة ، هيئـــة الآثـــار المصرية ، ١٩٨٥ ، ص ٣ – ١٠ .

لإصلاح الإدارة ، والضرب على أيدى العابثين . وحكمت البلاد بعد ذلك أسرة جديدة هى الأسرة التاسعة عشرة ، التى أخذت مصر فى عهدها تسترجع ما فقدته من قـــوة ونفوذ ، وتجدد بفضل ملكها رمسيس الثانى ، نفوذ مصر فى آسيا وانتهى به الأمـــر إلى عقد معاهدة سلام بينه وبين الحيثيين .

وظهرت شخصية الملك رمسيس الثالث فى الأسرة العشرين ، الذى تمكـــن من وضع حد لغارات الليبيين وشعوب البحر على حدود مصر الغربية والشـــمالية . وذلك بفضل الجيش والأسطول المصريين . وبعد حكم هذا الملك بدأت البلاد تقع مرة أخرى فريسة للفساد واختلال الأمن . وقد ختمت الدولة الحديثة أيامـــها فـــى أواخـــر الأسرة العشرين حين تلاشت سلطة الملك تماما ازدادت قوة كهنة آمون حتى تمكـــن كبيرهم حريحور من الاستيلاء على العرش وقد تميز عصر الدولة الحديثـــة برخـــاء وثروة ، والدليل على ذلك تشييد معبد الأقصر ومعبد الكرنك فى البر الشرقى ومعـــابد الدير البحرى والرمسيوم ومدينة هابو فى البر الغربى ومعبد سيتى الأول فى أبيـــدوس ومعابد رمسيس الثانى المنحوتة فى الصخر فى بلاد النوبة .

أدت زيادة ثروات المعابد فى عصر الدولة الحديثـــة إلـــى ازديـــاد نفوذ الكهنة ، فكان الملك يهب المعابد أملاكا كثيرة وهبات بعد كل غزوة انتصـــر فيـــها ، اعترافا منه بفضل المعبود آمون الذى وهب له النصر . ولما زادت ثـــروة وأمـــلاك المعابد زاد دور الكهنة فى شئون الحكم السياسية . على أن قوة الكهنة وتأثيرهم فـــى الحكم ، كان يتفاوت من وقت إلى آخر تبعا لقوة الملك الحاكم ووزرائه . ففى عـــهد تحوتمس الثالث مثلا كان الأشراف على معابد امون وأملاكه تحت ســـلطة وزيـــره رخمى رع بالرغم من وجود الكاهن الأول (١) . ولكن إشراف الحكومة على المعـــابد والكهنة أخذ يتضاءل شيئا فشيئا بعد ذلك ، وليس أدل على خضوع الملك لنفوذ كهنـــة آمون من القوائم التى حفظتها لنا بردية هاريس رقم ١ والتى تذكر هبـــات رمســـيس الثالث للمعابد ، مما يجعلنا نقدر أملاكها بحوالى ١/٧ الأراضى المنزرعـــة ، فضـــلا عن ١٠٧ آلاف من العبيد ونصف مليون رأس من الماشية وحوالى ٨٨ مركبا كبـــيرة

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٠ .

وكان لهذه الأملاك الكتبة والموظفين والعمال القائمين على إدارتها ومباشرة الخدمات المختلفة بها [١] . وظل نفوذ كهنة آمون فى ازدياد حتى استطاعوا ان يصلوا إلى العرش فى عصر السرة الحادية والعشرين والتى بدأت بتولى حريحور كبير كهنة آمون مقاليد الحكم . وحدث أن اضطربت الأحوال الاقتصادية فى أواخر الأسرة العشرين واشتدت الضائقة المالية بطبقة العمال فى البر الغربى . واضرب العمال عن العمل فى حفر المقابر الملكية وغيرها فى البر الغربى واضربوا أكثر من مرة لتأخر صرف مستحقاتهم الشهرية .

عصور الضعف والنكسات والتحرر :

وامتدت من السرة الحادية والعشرين حتى نهايةالأسرة الثلاثين . عاشت مصر خلال هذه العصور كل أنواع الصراعات الداخلية والتدخلات الخارجية من فترات فتور وتخبط ونكسات وتحرر واحتلال أجنبى .

عصور الفتور :[٢] ويشمل الأسرة الحادية والعشرين وتولى الحكم ملوك من كبار كهنة آمون ، وانقسمت البلاد إلى مملكتين ، أحدهما جنوبية عاصمتها طيبة ، حيث كان يحكم كبير كهنة آمون حريحور ، وأخرى شمالية عاصمتها تانيس حيث يحكم الملك سمندس . ونسمى الفترة ابتداء من عصر الأسرة الحادية والعشرين حتى نهاية الأسرة الخامسة والعشرين بفترة العصر الوسيط الثالث .

عصر التخبط والضعف : ويشمل الأسرة الثانية والعشرين والثالثة والعشرين وتولى الحكم فيها ملوك من أصول ليبية استقرت منذ زمن فى اهناسيا المدينة وزاد نفوذهم بعد ذلك . وبدأ الأسرة الثانية والعشرين بنشاط فى الشرق وقام ملوكها بحملة على فلسطين . وقامت بيوت قوية فى الوجه البحرى وانقسمت البلاد إلى عدة إمارات .

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٩٧ .

(٢) د. عبد العزيز صالح:الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤٦ .

وانفصلت النوبة عن مصر . واستمرت البلاد على هذا الحال من التفكك والانقسام والضعف طوال العصر الليبى .(١)

عصر الكفاح : ويشمل الأسرة الرابعة والعشرين ، التى تتكون من ملكين فقط لم ينجحا فى تحقيق وحدة البلاد السياسية ، وحكم ملوكها فى سايس فى غرب الدلتا .

عصر المحنة : ويشمل الأسرة الخامسة والعشرين وحكم فيها ملوك من كوش وكانت سلطة هذه الأسرة ضعيفة فى الدلتا لأن عددا من الأمراء المحليين الأقوياء كانوا ينازعون ملوكها السلطة . ولم يحكم الكوشيون مصر إلا حوالى أربعة وثمانين عاما ، وفى أثناء ذلك الوقت أخذت قوة آشور فى الازدياد ، ونجحوا فى غزو مصر ودخلوها وطردوا الكوشيين .

عصر النهضة : وتشمل الأسرة السادسة والعشرين وحكم فيها ملوك من سايس مرة أخرى . ويعد حكمهم من فترات القوة . ونجحوا فى طرد الآشوريين . وحاولوا النهوض بالوضع السياسى فى البلاد عن طريق إعادة تنظيم الجيش وحاولوا إحياء مجد مصر الحربى ، واهتموا بالتجارة فحاول الملك نكاو إعادة حفر القناة بين النيل والبحر الأحمر ولكنه فشل فى ذلك . وحاولوا أحياء التراث القديم وخاصة الدولة القديمة فى الفن والعمارة .

وشجع ملوك هذه الأسرة الإغريق على الاستيطان فى مصر ، الذين عملوا فى الجيش المصرى ، وعملوا أيضا بالتجارة ، وابتداء من الأسرة السادسة والعشرين حتى نهاية الأسرة الحادية والثلاثين تدخل البلاد فيما يسمى بالعصر المتأخر .

عصر النكسة : ويشمل الأسرة السابعة والعشرين وتعرضت فيه البلاد للغزو الفارسى . فقد غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م . وضمها إلى الإمبراطورية الفارسية دون عناء كبير وعامل المصريين بقسوة ، وحاول خليفته دارا أن يسلك مسلكا فيه رفق ، ولكن المصريين ثاروا أكثر من مرة ضد الاحتلال الفارسى ، الذى يعد عصرهم من عصور الضعف التى مرت بها البلاد .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٧ – ١٠٨ .

عصر اليقظة والتحرر : ويشمل الأسرتين الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين ، وهما آخر الأسرات الوطنية . فقد تزعم الثورة ضد الفرس آمون حر ونجح في حرب التحرر ضد الفرس الذين خرجوا من مصر ، واعتلى بعدها عرش البلاد مؤسسا الأسرة الثامنة والعشرين . ثم تلتها الأسرة التاسعة والعشرون الوطنية التي اتصفت باعتمادها على صداقة ومساعدة اليونانيين في توطيد سلطانها ، وحكم فيها أربعة ملوك أصلا من مندس (تمى الامديد) . ونجحوا في صد هجوم الفرس مرة أخرى ، أما الأسرة الثلاثين فقد بذل ملوكها أثناء حكمهم جهدا كبيرا في البناء والتشييد ، وعقدوا معاهدات مع آثينا وأسبرطة .

عصر الأفول : لم تمكن المصريون من الاحتفاظ باستقلالهم طويلا ، إذا لم يلبث الفرس أن عادوا مرة أخرى إليها عام ٣٤١ ق.م . ليحكموها لعدة سنوات ثم يدخلها الإسكندر الكبر عام ٣٣٢ ق.م . ويضمها إلى مملكته الواسعة ويتولى من بعده بطلميوس أحد قواده ومن بعده خلفاؤه فيما يعرف بعصر البطالمة أو العصر البطلمي الذى استمر قرابة ثلاثة قرون من ٣٣٢ إلى عام ٣٠ ق.م ، وجاء من بعده العصر الرومانى الذى استمر أكثر من ثلاثة قرون ونصف من ٣٠ ق.م . إلى ٣٩٥ ميلادية ، وحل بعد ذلك العصر البيزنطى الذى استمر قرابة قرنين ونصف من ٣٩٥ إلى ٦٣٨ ميلادية ، وأخيرا حل الفتح العربى عام ٦٤٠ ميلادية .

ثامنا – السياسة الخارجية عبر الأسرات الحاكمة :

تقع مصر في الركن الشمالى الشرقى من القارة الأفريقية ، وبحكم هذا الموقع الجغرافي فهى تطل على قارة آسيا من ناحية وحرض البحر المتوسط من ناحية أخرى . وذلك مما ساعد على قيام علاقات بينها وبين العديد من الدول والشعوب المجاورة والبعيدة . ونظرا لموقعها الجغرافى الفريد فى أقصى الشرق للقارة الأفريقية ، فهى بذلك تعتبر نقطة اتصال التقاء بين حضارات بلاد وشعوب أفريقيا والشرق القديم وحضارات البلاد المطلة على البحر المتوسط .

وقد اختلفت طبيعة العلاقات مع كل بلد ، فمنها ما أخـــذ صـــور علاقـــات تجارية ، أو ثقافية ، أو تحالفات عسكرية ، أو معاهدات ، أو علاقات دبلوماسية بكـل ما فيها من مظاهر أو علاقات مصاهرة وزواج ، أو زيارات متبادلـــة ، أو صـــور الصراع العسكرى والحملات الحربيـــة ونظـــرا لخـــيرات أرض مصـــر وثرواتـــها الطبيعية، فإنها كانت مقصد كل طامع فى جميع البلاد . وتعرضـــت حدودهـــا لعـــدة هجمات أجنبية وعدة تسربات أجنبية ، وتعرضت لأكثر من غزو أجنبى ، فـاضطرت أن تغير من سياستها الخارجية وتعتمد على القوة العسكرية ولكن هذه السياســـة لـــم تنجح كثيرا .

وكان الوضع السياسي في الداخل سواء فى فترات القوة أم الضعف له تأثيرا كبيرا على تطور العلاقات الخارجية . ولهذا تأثر تاريخ مصر القديم وحضارتها بتلـك الشعوب وحضارتها ، كما أثرت مصر بثقلها الحضارى فى هذه الشعوب . ولهذا كان لزاما على المصريين الذين يعملون فى البلاط الملكى ان يعرفـــوا لغـــة الدبلوماســـية الدولية ولغات المراسلات الأجنبية . ونشأت علاقات متعـــددة الأغـــراض ومتعـــددة المظاهر بالشعوب التى تقع إلى شرق مصر وغربها وشمالها وجنوبها ، وذلك منـــذ أقدم العصور .

سوريا العليا وفلسطين (شمال وجنوب بلاد الشام) :

يقال أن هناك دلائل على وجود علاقات بين مصر وجيرانها فـــى الشـــمال الشرقى منذ بداية التاريخ المصرى القديم . ففى العصر الذى عاشت فيه المعبـــودات على الأرض كان تابوت اوزير ، الذى ألقاه ست فى النيل ، قد عبر الفرع التانيســـى ودفعته مياه البحر إلى جبيل حيث ابتلعته إحدى الأشجار . واتجهت أيزيس بدورهـــا إلى هذا المكان العجيب . وتأثرت ملكة جبيل تأثرا بالغا بما أبدته ايزيس بدورها إلـــى هذا المكان العجيب . وتأثرت ملكة جبيل تأثرا بالغا بما أبدتـــه إيزيـــس مـــن طيبـــة خالصة . ولهذا أعطتها الشجرة المقدسة التى كانت تضم جثة زوجها . وهكذا بـــدأت

العلاقات الطيبة .[١]

وكان المصريون يبحرون إلى هذه الميناء الصغيرة التى تسمى كبن ، وهـو الاسم المصرى لجبيل . وكانوا يذهبون إلى هناك فى مراكب تمخر البحار يحملـون هدايا الملك المصرى من أوان من المرمر وحليا وتمائم . وكان المصريون يعـودون إلى بلادهم محملين بالبخور وألواح من أخشـاب الأرز (الصنوبـر) [٢] . وكـان الطريق البرى إلى هذه البلاد أكثر خطورة ، لأن القوافل والحملات كـانت عرضـة لهجوم البدو الذين يرتادون المناطق الصحراوية وكانت العلاقات مع سـوريا العليـا وفلسطين تخضع لاتجاهات السياسة الخارجية لمصر وما كان يقوم به بدو الصحـراء الذين يترصدون دائما لمصر ويغدرون بها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا . ولكن كـان هناك مكان واحد فى سوريا يحتفى بالمصريين فيه : وهو جبيل . وترجع العلاقة مـع هذا الميناء إلى بداية الأسرات المصرية .

وقد عثر على آثار من الأسرة الثانية والرابعة فى بيبلوس ، وهـى تحمـل أسماء ملكية منها ما يخص الملك خع سخموى والملك خوفو والملكة مريـت ايـت اس ، وخفرع وبقايا آنية باسم منكاورع [٣] ، وفى الأسرة الرابعة ، نعلـم أيضـا أن الملك سنفرو قد أرسل إلى بيبلوس أربعين سفينة ، لإحضار الأخشاب اللازمـة مـن

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسـة (ترجمـة عزيـز مرقس) ، ص ٢٤١ .

(٢) يطلق عليه فى النصوص المصرية اسم " cš — عش " وكـانت تصنـع فيـه المراكب المقدسة وصوارى الأعلام التى كانت توضع فـى واجهـة المعـابد ، وتوابيت الكهنة والصمغ اللازم لتعطير تلك التوابيت ، وأنواعـا أخـرى مـن الأثاث ، راجع : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٣) Montet, La Vie quotidienne en Egypte au temps de Ramsès, Paris (1946) , p. 68 (45) .

غابات الأرز . وعثر أيضا على أوانى بأسماء بعض ملوك الاسرة الخامسة ، منها آنية من المرمر بأسم الملك ساحورع وجد كارع اسيسى ، وونيس .[١]

وعثر فى أساسات معبد سيدة بيبلوس ، على عدد كبير من الجعارين التى ترجع إلى الدولة القديمة وربما إلى عصر الملك بيبى الثانى [٢] . وعثر على معبد مصرى فى بيبلوس من عصر الدولة القديمة .[٣]

ولدينا من الأسرة الثانية عشرة ، قصة سنوهى ، ذلك المصرى الذى لجأ إلى بيبلوس وتزوج هناك وعاش لفترة من الزمان ، مما يدل على أنه كانت هناك رسل مصريين يذهبون باستمرار إلى سوريا العليا وفلسطين ، كما يدل على وجود بعض المصريين الذين استقروا بصفة دائمة بالقرب من أمراء تلك البلاد . وعندما رحب أمير رتنو بسنوهى أغراه بأنه سيجد لديه كل راحة وسيستمع إلى لغة مصر أن كثيرين من المصريين يقيمون معه .[٤]

وكان المبعوثون المصريون فى الدولة الوسطى يترددون على بيروت وقطنه (موقعها الحالى قريب من حمص – مشريفه) واوجاريت (رأس شمرا شمال اللاذقية) ويتركون آثار تدل على مرورهم بهذه الأماكن ، كما جاء بعض الآسيويين إلى مصر لأغراض مختلفة . وهناك المنظر الشهير الذى يمثل وصول ٣٧ آسيوى فى مقبرة خنوم حتب الثالث ، فى بنى حسن ، الذى عاصر الملك سنوسرت الثانى ،

---

(١) Montet, Byblos et L'Egypte , p. 74 ; Id., Quelques obiets provenant de Byblos (Revue Syria) (1929) , p. 69 (46) ; Gardiner , Egypt of the Pharaohs, p. 89 .

(٢) Montet, Un Roi Egyptien, roi de Byblos sous la X11 e dynastie (Revue Syria 1927) , p. 86 .

(٣) Montet, Byblos et L'Égypte , p. 36 , 62 . 70 – 7 (45 – 50) .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعونى – المجلد الأول ، ص ٣٨٦ .

مما يعطينا فكرة عن أشكال وزى الأسيويين فى هذا العصر .

وقد عثر من الدولة الوسطى ، على نصوص عديدة أيضا كتبت بالهيروغليفية ، وكانت مسجلة على بعض الآثار ، التى هى عبارة عن مجموعة من الهدايا التى أرسلت من مصر لتكريم سيدة بيبلوس ، وتكريما لأمراء تلك المدينة كهدايا . وفى مجموعة أخرى من الآثار نرى أن أمراء بيبلوس قد قلدوا ملوك مصر فى الألقاب واستخدموا الكتابة الهيروغليفية فى كتاباتهم وألقابهم . كما اقتبس الفينيقيون فى أبجديتهم الكثير من الأبجدية المصرية القديمة (١) . وقد تساءل بعض العلماء عما إذا كانت فينيقيا قد أديرت فى عصر الدولة الوسطى بواسطة حاكم مصرى (٢) . ولكن نعرف أن العلاقات زادت فى هذه الفترة وكانت نشطة وقائمة على الصداقة . وتوالت أهداءات ملوك مصر إلى أمراء سوريا الموالين لهم (٣) ، ومنها أوان ، وآثار صغيرة لأميرات مصريات ، ومن أطرفها تمثال صغير على هيئة أبو الهول للأميرة " إتا " أبنة امنمحات الثانى وعثر عليه فى قطنه شمالى حمص ، وهو أقدم تمثال معروف من نوعه يمثل سيدة مصرية فى هيئة أبو الهول فى هذه الفترة ، ثم تمثال صغير آخر للأميرة " خنمت نفرت حدج " أخت سنوسرت الثانى (٤) وعثر على تماثيل صغيرة لمعبودات مصرية فى شمال الشام ، كما ظهر فى أسماء بعض النساء المصريات اسم معبودة جبيل عنات التى اعتبرها المصريون صورة من صور المعبودة حتحور . وذلك مما يدل على التسامح الدينى وتبادل العقائد .

كانت اوجاريت وجهة لزيارة المصريين فى عصر الأسرة الثانية عشرة ،

---

(١) Montet, Quelques objets, p. 12 – 13 .

(٢) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٢٧ – ٢٢٨ ، Vercoutter , op. cit ., p. 70 .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٨ ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٨٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٨ ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ١٨٦ .

وحدثت فى القرون الأولى من اللف الثانية ق.م موجة كبيرة من الهجرات التى قلبت الأوضاع فى الشرق ، وهى التى قادت الهكسوس إلى مصر ، وانقطعت الرحلات البحرية بين مصر والشاطئ السورى أثناء فترة احتلال الهكسوس لمصر ، وفى عصر الدولة الحديثة اتبعت مصر سياسة الغزو والفتح بعد طرد الهكسوس ونظر ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلى موارد البلاد الآسيوية ، وأرادوا أن يؤلفوا وحدة قوية تربط مصر بجيرانها فى الشرق . وقد اضطر أغلب ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلى استخدام القوة لإقامة هذه الوحدة السياسية وللمحافظة عليها . وساعدهم على ذلك ضعف حكام وأمراء البلاد الآسيوية فى ذلك الحين . وقد اضطر الملوك الكبار فى الأسرة إلى الخروج أكثر من مرة فى حملة حربية لتحقيق الاستقرار والهدوء فى هذه البلاد البعيدة ولضمان ولائهم لمصر وحكامها ولإبعادهم عن جو المؤامرات والدسائس وتكوين مناطق خاضعة للنفوذ المصرى . فقام أحمس بحملة ضد قدمى وميتانى ، وكذلك تحوتمس الأول وتحوتمس الثانى وتحوتمس الثالث الذى قام بمعركته الشهيرة فى مجدو وقيامه بأكثر من خمسة عشرة حملة أخرى . ولم ينس تحوتمس الثالث الوقوف فى جبيل أثناء حملاته المظفرة وحصل من حليفته جبيل على كمية من الأخشاب . وقام أمنحتب الثانى وتحوتمس الرابع وأمنحتب الثالث بحملات فى آسيا . وفى الواقع ان المصريين قد انتهجوا سياسة حكمة في البلاد الآسيوية ، فهم لم يمسوا عقائدها أو قوانينها ، ولم يتدخلوا فى شئونها الداخلية إلا بمقدار ، كما تركوا حكامها الأصليين يباشرون سلطاتهم وقد حفظ معظم هؤلاء الحكام الود لمصر .

وكان لتحوتمس الثالث سياسة بعيدة النظر ، وهى أن يصطحب معه عند عودته من حروبه بعض أبناء الأمراء الصغار الذين تخيرهم حكاما على الولايات الخاضعة له وتدين للولاء لمصر . وعمل على تربيتهم فى بيئة مصرية وسط الحضارة المصرية إلى أن يبلغوا السن التى يمكن لهم فيها أن يخلفوا آباءهم وحينئذ يضمن ولائهم له .

وفى الواقع بدأ النفوذ المصرى فى آسيا فى التداعى فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة نتيجة لعاملين :

- عامل داخلي : وهو الثورة الدينية التى أشعلها أخناتون ، عندما انهمك فى عبادته الجديدة وانصرف عن أمور الحكم والسياسة .

- عامل خارجي : وهو السياسة التى اتبعها الحيثيون والمؤامرات التى قاموا بها ضد النفوذ المصرى فى آسيا .

وتعد مقابر طيبة فى الدولة الحديثة سجلا جامعا لشعوب بلاد الشرق القديم ، إذا سجلوا الفنانون المصريون ما رأوه من وفود كانت تأتى إلى طيبة بسبب العلاقات التجارية والدبلوماسية لتقديم الهدايا والجزية لملك مصر ، فنجد ان الفانين رسموا وفود هذه البلاد بملابسهم وحليهم ، وما كانوا يحملونه من مصنوعات بلادهم ومنتجاتها [١] . وكانت مصر تستورد من سوريا الكثير من المنتجات ، ونجد فى مقابر النبلاء فى البر الغربى فى طيبة تمثيل البضائع المستوردة من سوريا منها أوانى للزينة من الفضة والذهب وأخشاب الصنوبر والحجار الكريمة والخيول وبعض الحيوانات الأخرى مثل الدب والفيل . وكان ملوك الدولة الحديثة يصرون على أن يمر رسلهم بجميع أرجاء سوريا دون أن تعترضهم أية مضايقات ، وكان هؤلاء الرسل يستقبلون استقبالا طيبا فى جبيل ويذكر لنا نص من عصر الأسرة التاسعة عشرة او العشرين ،انه لم يكن شئ إلا واستوردته مصر من سوريا . وفى مقبرة قن آمون من الأسرة الثامنة عشرة نرى منظرا يمثل مراكب تجارية سورية تفرغ بضائعها فى ميناء مصرى على الشاطئ الشمالى .[٢]

كان من نتيجة اتصال مصر بشعوب سوريا العليا وفلسطين أن بدأت الهجرات إلى مصر ، أولا فى صورة استيراد العبيد ومنهم من جاء إلى مصر كأسرى حرب ، ومنهم من حضر لغرض التجارة ، وكان منهم من يصل إلى المراكز الهامة فى الدولة ، ومنهم من حاول أن يتمصر وقد نجح بالفعل فى التخلص من

---

(١) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٨٥ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 91 .

أصله الأجنبى . ونجد أيضا أبان حكم الملك أمنحتب الثالث والرابع ، أشخاصا يحملون أسماء سامية .

وضح هذا التأثير كذلك فى مجئ بعض العمال والموظفين الأجانب الذين تولوا مناصب عالية وأخذ يعتمد عليهم الملك . ولعل خير مثال لهؤلاء كان المدعو " دودو " ذو المكانة المعروفة فى بلاط اخناتون والذى كان يعمل لصالح أبناء جنسه [١] . ومن العمال الأجانب من كان ياتى إلى مصر مسالما بحثا عن موارد الرزق والعيش فى بروعها فى سلام أو يأتى للتجارة والتبادل التجارى . وكانوا يجيئون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية . ومنهم من كان يأتى كأسرى حرب ويعملون فى المعابد والمشروعات المختلفة فى الزراعة والبناء والنسيج . وكان هناك بعض البدو من شرق الدلتا يعملون فى مشروعات الملك فى تانيس . ومن هؤلاء الأجانب من كان يتجمع حسب جنسيته فى أحياء خاصة بهم . فحول معبد الكرنك من عهد تحوتمس الثالث ، استقرت جالية سورية وتجار سوريون . وحول المعبد الجنائزى الخاص بأمنحتب الثالث فى البر الغربى فى طيبة كان يوجد حى سورى ، تحت إدارة أحد الأمراء الذين احضروا من سوريا . وفى محاجر طره كان يعمل بعض الهكسوس . كما أن بعض الفينيقيين كانوا يعملون فى بناء معبد المعبود بتاح [١] . ولكن معظم هذه الجماعات عاشت فى سلام ولم تؤثر فى تغير الأوضاع السياسية فى البلاد ولكن يمكن القول بان وجودهم أضاف دما جديدا إلى نشاط مجهود العامل المصرى لتحقيق المشروعات المعمارية لبعض الملوك ، وعلى الرغم من صمت الآثار بالنسبة لما تعرض له بنو إسرائيل على يد المسئول - فرعون ودور سيدنا موسى فى تبليغ رسالة ربه إلى فرعون ، فإنه يمكن القول بان هذا الحدث قد اثر فى عقيدة بعض المصريين .

كان إخناتون يفضل هؤلاء الجانب ن وكأنه من بين حرسه الخاص عدد من الأجانب السوريين والليبيين والزنوج يفوق عدد المصريين . وعثر على لوحة لأحد

---

(١) Lalouette , L'Empire des Ramsès, p. 259 .

الجنود المرتزقة الآسيويين من الدولة الحديثة يقوم بشرب النبيذ من خـــلال بوصـــة طويلة وأمامه زوجته المصرية ، وتوجد هذه اللوحة فى متحف برلين .(١)

وعاود سيتى الأول سياسة الدفاع عن الحدود الشرقية وتأمينها فقام بحملـــة ضد قبائل الشاسو فى جنوب فلسطين ، كما قام رمسيس الثانى بحملته الشـــهيرة فـــى قادش ضد الحيثيين والأمراء الموالين لهم من سوريا العليا . وقد حفر رمسيس الثـانى لوحات تذكارية على شاطئ نهر الكلب بين بيروت وجبيل وفـــى وادى عشـــر (٢) ، ووضع لوحات تذكارية فى معبد بجبيل وكان ملك جبيل فى وقته يدعى احيرام وكـــان مثل كل رعيته يتكلم اللغة المصرية ويكتبها . وقام الملك مرنبتاح بحملة على بعـــض المدن الفلسطينية كما قام بمعاقبة قبائل " اليسيريارو " فى جنوب فلسطين ، التى تعنـى الشعوب التى تسكن جنوب بلاد الشام .(٣)

وفى نهاية الأسرة التاسعة عشرة ، فى الأيام المضطربة العصيبة تمكن احـد الأشخاص من أصل سورى اسمه ارسو من الوصول إلى العرش وتنصيب نفسه ملكا على عرش مصر . وقام رمسيس الثالث فى الأسرة العشرين بحملة إلى آســـيا بعـــد العام الثامن من حكمه وفى أواخر الأسرة العشرين وبداية الأسرة الحادية والعشـــرين ذهب المبعوث المصرى ون آمون إلى جبيل لإحضار أخشاب الأرز اللازمة لـــترميم المركب المقدس المسمى " آمون وسرحات " التى كانت تمخر عباب النيل أثناء فصـل الفيضان ، بين الكرنك والأقصر(٤) . ورحل ون آمـــون مـــن تـــانيس فـــى مركـــب

---

(١) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 34.

(٢) Montet, Byblos et L'Égypte, p. 48;

بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامســـة (ترجمـــة عزيـــز مرقص) ، ص ٢٤٣ .

(٣) د. رمضان عبده : تاريخ مصر القديم ، الجزء الثـــانى ، طبعـــة ٢٠٠١ ، ص ٢٥٥ – ٢٧٣ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٣٢٦ – ٣٢٨ .

أعدت له تحت قيادة شخص يدعى منجابوتى . وبعد أسبوعين وصل إلى جبيل وتعرض لحادث سرقة ومكث فترة هناك وقابل بعض الصعوبات حتى وافق أمير جبيل على اعطائه الأخشاب اللازمة .[١]

وجاء فى سفر الملوك الجزء الأول ، الأصحاح التاسع : ١٦ ، ان الملك المصرى سا امون من الأسرة الحادية والعشرين منح ابنته كزوجة لسليمان ، وتعاهد الملك سليمان مع ملك مصر عن طريق المصاهرة . واصطحب ابنة الملك المصرة إلى فلسطين . ويقال أن هذا الأميرة قد أعطيت مدينة جزر كصداق . ولكن من الصعب معرفة أن كان هذا وقع أثناء حكم سا آمون او أبان حكم خليفته بسوسينس الثانى .

ومن أحداث حكم الملك ششنق الأول فى عصر الأسرة الثانية والعشرين هو غزو فلسطين والاستيلاء على المدن المحصنة التى كانت ملكا ليهوذا ووصل حتى اورشليم واستولى على خزائن بين الأبدية وخزائن بيت الملك (؟) وذلك طبقا لما جاء فى سفر الملوك الأول : الفصل الرابع عشر [٢] . وعثر فى جبيل على تمثال للملك ششنق الأول اوسركون الأول .[٣]

أرسل الملك شاباكا فى الأسرة الخامسة والعشرين ابن أخيه طهرقا على رأس حملة إلى فلسطين لكى يحد من تقدم الآشوريين ، ولكن طهرقا لم يحقق الهدف المطلوب .

آسيا الصغرى :

فى الألف الثانية ق.م . عمل الحيثيون على توطيد قوتهم . وفى رسائل تل العمارنة ، نجد رسالة من ملك الحيثيين الذى يعرض على اخناتون نوعا من

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٣٥٣ .

(٣) Montet, Egypte et Syrie, p. 34 .

التحالف . وعندما بدأ ملوك الحيثيين فى التوسع فى سوريا على حساب النفوذ المصرى ، نجحوا فى الاستيلاء على النصف الشمالى من فلسطين . ونعرف من أرشيف (رسائل) تل العمارنة ، كيف أن ملوك سوريا العليا الصغار وحكام الأقاليم ، بدأوا يشعرون بخطر الحيثيين ، وطلبوا العون من مصر ، ولكنهم لم يتلقوا العون المطلوب . وقد حاول المصريون إنقاذ الموقف ، وحدثت معركة قادش ، وكانت نتيجتها غير معروفة ، وبعد ذلك رأى الطرفان أنه من الأفضل الوقوف عند هذا الحد وعقد معاهدة سلام بينهما فى العام الحادى والعشرين من حكم الملك رمسيس الثانى . وأتخذ الملك رمسيس الثانى كزوجة له ابنة ملك الحيثيين خاتوسيل الثالث . وبالفعل نجد أن ملك الحيثيين جاء بنفسه فى زيارة رسمية إلى مصر ، مصطحبا معه ابنته لتصبح زوجة للملك المصرى كما هو مصور فى أعلى اللوحة التى كانت مقامة أمام معبد أبو سمبل . وكانت من أولى نتائج السلام أن أرسلت مصر إلى حيثا مركبا محملة بالقمح على أثر المجاعة أو أزمة اقتصادية ، تعرضت لها حيثا فى عهد الملك مرنبتاح .[١]

دولة ميتانى :

كانت تربط ملوك دولة ميتانى بملوك مصر علاقات مصاهرة وذلك منذ عصر الملك تحوتمس الرابع الذى تزوج من أميرة ميتانية [٢] التى كانت تحمل الاسم المصرى موت ام ويا [٢] . وتزوج أمنحتب الثالث من الأميرة جيلوهيبا الميتانية ، والملك امنحتب الرابع من تادوهيبا ولدينا خطاب طويل من ملك ميتانى – توشراتا ، قد أرسله بعد وفاة الملك أمنحتب الثالث ، يطلب فيه أن تستمر الصداقة بين البلدين ونلمس فى الخطابات التى أرسلها توشراتا إلى أمنحتب الرابع نفسه ، مدى حرصه

---

(١) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, p. 266 .

(٢) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٢٣٦ حاشية (٢) .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٠٤ ، ١٠٦ وأيضا :
Montet, Melanges Syrien (1939), p. 195 .

على كسب ود وصداقة مصر . وكانت هؤلاء الأميرات يـــأتين للبـــلاط المصـــرى ومعهن جواريهن وحاشيتهن .

وفى عهد رمسيس الثانى قام المصريـــون برحلـــة تحـــدث عنـــها الـــرواة الكلاسيكيون فالمصريون قد استعملوا منذ أقدم العصور حجر اللازورد الأزرق الـــذى لا يوجد فى صحراء أفريقيا . وكان مصدره الوحيد المعروف فى العالم القديـــم هـــى بلاد باكتريان التى يربطها الطريق البرى بسوريا ومصر . ولم يذهـــب المصريـــون رأسا إلى البلاد التى تنتج اللازورد بحثا عنه ، بل اكتفوا بشرائه من بلد كانت تســـمى تغرير وهى سيبار التى تقع على قناة تربط نهر دجله بالفرات عندما يقتربان جدا فـــى تلك المنطقة .

وحدث فى إحدى السنوات عندما كان رمسيس الثانى فى بلاد نهارينا وكـــان مشغولا بتلقى فروض الطاعة من الأمراء الأجانب ، حضر إليه ملك باختـــان وملـــك باكتريان وعرضا عليه صداقتهما ، وقدم له الأخير ابنته وهدايا قيمة والتمس منـــه أن يتحالف معه . فقبل رمسيس العرض وعاد ومعه الأميرة إلى طيبة وبعد زمن قليـــل جاء رسول من قبل ملك باختان ليخبر رمسيس أن أخت الأميرة مريضـــة . فبعـــث الملك إلى بلاد باختان بأشهر أطبائه . ولكن الأميرة لم تشف من مرضـــها . ذهـــب مبعوث آخر ، ونظرا لأن الطبيب لم ينجح فلم يكن ثمة بد من إرسال تمثال شافى إلى بلاد باختان ، ووقع الاختيار على تمثال خونسو . وقد بقى تمثـــال المعبـــود ثـــلاث سنوات وتسعة أشهر فى حوزة ملك باختان . وبعد ذلك سمح الملك وهو شديد الأسف بأن يعود إلى مصر وهو محمل بالهدايا . وسجلت هذه القصة على لوحة فى متحـــف اللوفر .[(١)]

دولة بابل وآشور :

عثر تحت أرضية معبد مصرى فى بلدة الطود جنوبى الأقصر على أربعـــة

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ – ٢٥٩ .

صناديق صغيرة تضمنت تمائم من اللازورد وأختاما أسطوانية عراقية ذات أسلوب يرجع إلى عصر أسرة أور الثالثة السومرية ، وتماثيل ذات طراز بابلى [1] . وكان ملوك بابل وآشور يتبادلون أيضا المراسلات المطولة مع ملوك مصر فى الدولة الحديثة . ولكن يبدو أن الأمر كان قاصرا فى كل هذه المراسلات على لغة وأدب المجاملة الدبلوماسية فقط . ونلاحظ من جهة أخرى أن أجناس هذه الإمبراطوريات البعيدة ظلت غريبة على الشعب المصرى ، ولم يحدث أن ظهرت على الآثار المصرية أشكال أو تماثيل للبابليين والآشوريين او سكان بلاد ميتانى ، فيما عدا الصور أو التماثيل التى تخص الأمراء والأميرات . ونعلم أن تحوتمس الأول ، قد أقام لوحات الحدود على نهر الفرات ، وهذا جزء من العلاقات ذات الطابع العسكرى ، وحارب تحوتمس الثالث الميتانيين وانتصر عليهم .

ومن بين رسائل تل العمارنة ، رسالة من ملك بابل الذى كتب إلى أمنحتب الثالث أن ابنته التى طلبها الملك للزواج ، قد بلغت سن الرشد ، وأنه سوف يرسلها له ، ويعلن أن كمية الذهب التى أرسلت إليه كانت ضئيلة .

وفى أثناء حكم الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر ، غزت آشور مصر للمرة الأولى فى حوالى عام ٦٧١ ق.م . وأعادوا غزوها مرة ثانية عام ٦٦٦ ق.م . وفى المرة الثالثة عام ٦٦٤ ق.م . ولكن بسماتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين ، نجح فى طردهم بمساعدة المرتزقة اليونانيين .

بلاد فارس :

لم تتحدث الوثائق المصرية فى عصر الدولة الحديثة عن الفرس ، على الرغم من تحوتمس الأول والثالث وصلا حتى حدود العراق . وفى الواقع لم تكن

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٨٧ حاشية (٢) .

هناك علاقة مباشرة بين مصر وبلاد فارس . وقد حاول قمبيز عام ٥٢٥ ق.م . غزو مصر ونجح فى ذلك ، وأصبحت مصر للمرة الأولى تحت السيطرة الفارسية ، وتعرضت معابدها للنهب والسلب . وتعرضت مصر للغزو الفارسى مرة أخرى عام ٣٤١ ق.م . وقد عثر فى عام ١٩٧٢ على تمثال مغطى بكتابة هيروغليفية ، فى منطقة سوس ، وتحدثنا النقوش عن حكم الملك دارا لمصر وبلاد الشرق القديم التى غزاها .(١)

الغرب :

كانت هناك شعوب التحنو ، وكانوا شديدة الصلة بمصر ، والتمحو الذين كانوا من جنس يختلف عن التحنو ، وكانوا بيض البشرة ذوى عيون زرقاء أو رمادية اللون ، ومن المحتمل أن البعض منهم كان يهاجم حدود مصر الغربية . وكان هناك الليبيون . فمنذ أقدم العصور أى منذ الأسرة الأولي عثر فى مقبرة فى سقارة على لوحة من المرمر للملك جرصور عليها منظر للملك وهو يقوم بتأديب أحد الأسرى الليبيين . ومن الأسرة الثانية ، عثر على اسم الملك نب رع على صخرة فى واحات الصحراء الغربية . وفى عصر الدولة القديمة ، أرسل الملك سنفرو حملة تأديبية إلى ليبيا ، ونرى فى معبد ساحورع تمثيل لأسرى ليبيين . وفى نقوش معبد نى او سر رع أنى نرى خضوع الأعداء من الليبيين .

وفى الدولة الوسطي أرسل الملك سنوسرت الأول حملة على الحدود الغربية . وفى عصر الدولة الحديثة ، قام سيتى الأول بحملة صد التحنو . وأقام رمسيس الثانى سلسلة من التحصينات على الحدود الغربية لمنع تسربات قبائل البدو وهجرات شعوب الهندوأوربية التى استقرت فى ليبيا . وقام مرنبتاح بمعركة كبيرة على الحدود الغربية ضد الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر . كما ظهرت بعض

---

(١) د. رمضان عبده : المرجع السابق ، الجزء الثانى ، طبعة ٢٠٠١ ، ص ٤٣٧ حاشية (٥) .

عناصر من شعوب البحر فى عهد سيتى الأول . وكان كل حرس رمسيس الثانى من شعوب الشرادنة [١] . وبعد أن فشلت بعض العناصر الليبية وشعوب البحر فى دخول مصر عن طريق القوة فى عهد مرنبتاح بعد مهاجمة حدود مصر الغربية أخذت هذه العناصر تتسرب إلى مصر سلميا وتستقر فيها .

وقام رمسيس الثالث بحملة ضد الليبيين وحلفاءهم من شعوب البحر على حدود الدلتا الغربية فى الخامس من حكمه . وهو أول صدام بين مصر وشعوب البحر المتوسط . وأجاد الفنان المصرى فى رسم تفاصيل زيهم وأسلحتهم ومراكبهم .[٢] وقد أتاحت انتصارات رمسيس الثالث فى حروبه ضد الليبيين وشعوب البحر الفرصة لبعض من هذه العناصر الاستقرار فى مصر . وتذكر بردية من أواخر عهد رمسيس الثالث أن الشرادنة والكهك من ليبيا استقروا فى مدن خصصت لهم ، وأقام بعضهم فى حصون ، وأقام بعضهم الآخر وسط المزارع التى سمح لهم بزراعتها . وأخذ بعضهم الآخر ينخرط فى خدمة الجيش ويخضع لأوامر الملك طبقا للنظام المعمول به فى الجيش المصرى . وأخذت قوتهم تزداد شيئا فشيئا ، ويتولى بعضهم المناصب الإدارية العليا فى الجهاز الحكومى حتى استطاعوا أن يكونوا عائلات قوية ذات نفوذ قوى .

ويرجع أصل الأسرة الثانية والعشرين إلى أصل ليبى وكان ملوكها أصلا من المرتزقة الليبيين الذين استقروا فى مصر منذ بداية الأسرة العشرين . وفى خلال القرون حاولوا أن يتمصروا وتزوجوا من مصريات واعتنقوا بعض من مظاهر الحضارة المصرية ، واللغة الديانة المصرية ، ولم يعدهم التاريخ أجانب بقدر ما عدهم مغتصبين للعرش ، كما أنهم لم يستطيعوا أن يؤثروا فى الحضارة المصرية بقدر ما تأثروا بها ، وفى عهد الأسرة السادسة والعشرين أرسل ابريس حملة بقيادة

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦١٥ .

أمازيس لتهدئة الأوضاع المضطربة فى ليبيا .

الشمال :

نقصد بذلك جزر بحر ايجه وكريت وقبرص واليونان . العلاقات مع جزر بحر ايجه كانت معروفة منذ الدولة القديمة ، فقد عثر على اسم الملك وسر كاف على آنية بالقرب من جزيرة سريجو بالقرب من اليونان مما يدل على وجود علاقات تجارية مع الشاطئ الشمالى للبحر المتوسط . أما عن العلاقة مع جزر كريت التى اعتقد بعض العلماء أنها كانت علاقات مؤكدة فيبدوا أنها كانت قائمة منذ الدولة الوسطى ، وربما كانت هذه العلاقة قائمة فى الواقع ولكن عن طريق فينيقيا وليس عن طريق السواحل المصرية مباشرة ، فقد عثر على آثار فى طود تحمل الطابع الفينيقى والكريتى منها حلى ذات طراز ايجى . وعثر أيضا فى هواره على اختام وأوان ذات زخارف تشبه زخارف حضارة كريت وعثر أيضا على مصنوعات متنوعة وتماثيل بنقوش مصرية فى عواصم كريت [١] . ويرى بعض العلماء أن مصر كانت على صلة وثيقة بجزر كريت فى عصر الدولة الوسطى ، ونقل أهل كريت عن الحضارة المصرية الكثير من المعارف ، كما أن المصريين كانوا يعجبون أيضا بمصنوعات أهل كريت بخاصة فى الحلى والزخارف الفنية ، وأن الحضارة المصرية قد أثرت فى حضارة جزر كريت منذ أواخر الألف الثالثة ، وأثرت فى حضارة جزر بحر أيجه وقبرص منذ منتصف الألف الثانية .[٢]

وهناك منظر فى مقبرة سنموت يمثل مجئ السفراء من كريت يقدموا الهدايا

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٨ حاشية (٤) ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٨ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : المرجع السابق : ص ٦١٩ .

للملك المصرى . ومن بداية الأسرة الثانية والعشرين وصلت إلينا قصة مغامرات ون آمون ، الذى دفعت الرياح بمركبته فى آخر القصة إلى بلاد آلاسيا (قبرص) فخرج عليه أهل الجزيرة وقبضوا عليه ومثل أمام ملكة الجزيرة ووجد هناك من يتكلم اللغة المصرية القديمة وقد أنقذته من يد رجالها الذين أرادوا أن يفتكوا به ، وللأسف تنقصنا نهاية القصة لأن البردية غير كاملة . وجاء اليونانيون فى عصر الأسرة السادسة والعشرين كغيرهم من بقية الأجناس الى جاءت إلى مصر للعمل فى جيشها ، أو الاستقرار فى غرب الدلتا والعمل بالتجارة . وقد بلغ عدد هؤلاء المرتزقة فى الجيوش المصرية ذات مرة ٣١٠٠ جندى .(١)

الجنوب :

اتبعت مصر سياسة تأمين الحدود الجنوبية ضد هجمات بعض القبائل الزنجية منذ الأسرة الأولى واصطدمت بأعدائها من العناصر الزنجية فى الجنوب والذين حاربهم الملك عحا وبسط حدوده حتى الجندل الأول . أما جر فقد عثر له على نقش محفور فى قمة جبل الشيخ سليمان عند مدخل الجندل الثانى (١٥ كم جنوبى وادى حلفا) يقص علينا حملته إلى بلاد النوبة والتى وصل فيها إلى الجندل الثانى . ونعلم من مصادر أخرى أن جسر من الأسرة الثالثة قد استمر فى تحقيق أهداف الأسرة . فأرسل الحملات الحربية إلى بلاد النوبة . وتابع بذلك سياسة كان يجب أن تستمر خلال فترة قيام الدولة القديمة . لأن المصريين فى هذاالعصر كانوا يبدون أكثر انشغالا بجيرانهم فى الجنوب أكثر من هؤلاء فى الشمال الشرقى . وهناك نص ولو أنه يرجع إلى العصر المتأخر ، يجعل حدوث أول تسرب مصرى فى بلاد النوبة السفلى فيما وراء الجندل الأول ، قد حدث فى عهد جسر . وأرسل سنفرو حملة تأديبية إلى بلاد النوبة السفلى . وكذلك الملك ساحورع من الأسرة الخامسة وببى الأول من الأسرة السادسة وأرسل المصريون البعثات التجارية إلى بلاد بونت . وكانت هذه البلاد هى هدف السفر فى البحرالأحمر ، وتقع طبقا لأحداث الآراء فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣١ .

المنطقة التى تزرع البخور على مقربة من باب المندب أى تشمل جنـــوب الجزيـــرة العربية وساحل الصومال وارتيريا (١) . وكان المصريون يترددون على هذه البـــلاد من أجل أشجار البخور وبعض الأحجار ونصف الكريمة .(٢)

واقدم ما ورد فى الآثار عن بلاد بونت هى تلك البعثة التى أمـــر بإرســـالها الملك جد كارع – اسيسى من الأسرة الخامسة ، وكان يقود هذه الحملة قـــائد يســـمى باور جدت . وكان من بين ما أحضرته من أدوات ثمينة ، حوالى ثلاثة آلاف عصـــا من البنوس وبعض الأخشاب الثمينة والصمغ والجلود . وزادت الصلات فى الأســـرة السادسة ، وفى إحدى مقابر أسوان يذكر أحد الموظفين أنه ذهب مع ســـيدة إحـــدى عشرة مرة إلى بلاد بونت . وزاد اهتمام ملوك الأسرة الخامسة والسادســـة بشـــئون الجنوب بوجه عام ، فأوكلوا إلى أمراء وحكام جزيرة الفنتين مهمة القيـــام برحـــلات وبعثات إلى الجنوب ليعودوا بخيرات تلك البلاد . وكان المصريون يعرفون الطـــرق والدروب فى هذه المناطق البعيدة . وكانوا يحضرون البخور والأبنـــوس والعطـــور وجلود الفهد وأنياب الفيلة وبذر السمسم وغير ذلك .(٣)

فقام حرخوف بحملاته الثلاث الأولى في عهد الملك مرى ان رع أما رحلتـه الرابعة فقد كانت فى عهد الملك بيبى الثانى ، والتى أحضر فيها قزما من الجنـــوب . لم يستمر نشاط حرخوف فى قيامه بتلك الحملات أكثر من سبعة أعوام قـــام خلالـــها بالحملات الأربع ثم تلاه فى هذا العمل حاكم آخر أمتاز بشدة البـــأس وكـــان أســـمه " بيبى نخت " . ونعلم من قصة حياته أن هذه الحملات كانت تتم بطريق الـــبر تـــارة

---

(١) د. احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، ص ١٤٢ – ١٤٥ .

(٢) راجع الدراسة التى قمنا بها عن بلاد بونت فى النصوص المصرية القديمة فـــى مجلة التاريخ والمستقبل التى يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب جامعـــة المنيـــا العدد يوليو ١٩٩٩ ، ص ١ – ١٠٣ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٥٣ .

وبطريق البحر تارة أخرى [١] . ولم تمنع أعمال بيبى نخت فى بلاد النوبة السفلى من استمرار حملات الاستكشاف والتجارة من آن لآخر ، ونعرف من مقابر أسوان أيضا قصة أثنين من أولئك الرحالة وهما ميخو وابنه سابنى تركا لنا نقوشا فى مقبرتهما بأسوان .[٢]

وفى عصر الأسرة الحادية عشرة زاد اهتمام الملوك بالتجارة مع بونت ، وأرسل الملك منتوحتب الثالث مديرا خزائنه واسمه حننو إلى بلاد بونت . وعاد منها متخذا الطريق البرى أحيانا ، وكان معه ثلاثة آلاف رجل . وقد وصلوا إلى بونت وزاروا شاطئ أرض المعبود (أى بلاد بونت) . واشترى حننو البخور وكل منتجات هذه البلاد .[٣] وفى العودة وصل بالطريق البحرى إلى ميناء القصير حيث اخترق وادى روهانو وتوقف لا ليستريح ، ولكن لإعداد شحنة مركب من أحجار تصلح لمصانع النقش والنحت الملكية .

وفى عصر الأسرة الثانية عشرة ، يبدو أن أمنمحات الأول قد توغل حتى كورسكو وربما حتى سمنة عند الجندل الثانى إلى الجنوب عند كرما . وفى عهد سنوسرت الأول أرسل حملة حربية كبيرة إلى بلاد النوبة السفلى فى السنة الثامنة عشرة من حكمه ، وذلك بغرض إخضاع القبائل التى تعيش فى تلك المنطقة ، وقد نجح فى بسط نفوذه حتى الجندل الثالث . وقد نفذت هذه الحملة بنجاح كبير . وعين أمير مصرى يسمى حعبى جفاى حاكما لتلك المناطق الجديدة فى كرما . وقد توفى هناك ودفن فى احتفال كبير . ولكى يؤمن سلامة البعثات ، لجأ سنوسرت إلى إقامة التحصينات عند طوبان حتى بوهن عند الجندل الثانى . وعند هذا الجندل أنشأ طريقا

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٤ – ٦٠٥ ؛ د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٢) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص٢٣١ . راجع عن بلاد بونت الباب الثانى عشر : مظاهر الحضارة المصرية القديمة وتأثيرها وتأثرها فى مجال العلاقات الخارجية .

تجاريا يؤدى إلى كرما تحميه الحصون . وأرسل سنوسرت الثـالث الحمـلات إلـى الجنوب لتأديب البدو وإقامة الحصون هناك . وحرم على جميع الزنوج اجتياز ذلـك الحد وكتب فى لوحات الحدود جنوبى الجندل الثانى ، أنه برئ من أى ابن يأتى بعـده ولا يحافظ على تلك الحدود ، ويحارب من أجلها . وبعد موت هذا الملك بخمسـمائة عام تقريبا نرى ملكا عظيما آخر يقدر أعماله وجهوده فى المحافظة على حدود مصر الجنوبية (١) . وامتدت حدود مصر الجنوبية حتى سمنة (على بعد ٧ كم مـن وادى حلفا) حيث وجد هناك منطقة محصنة تحصينا قويا ، ضد غارات الزنوج ، وأهمـها تحصينات سمنة وقمة وبوهن وأقيم حصنا سمنة وقمة على ضفتى نهر النيـل عنـد أضيق موضع فيه . وكانت تلك الحصون مشيدة من الطوب اللبن فوق قواعد متينـة من الحجر ، وبداخلها ثكنات الجنود ومستودعات ودور عبـادة . وأصبحـت تلـك التحصينات القوية إلى حد ما تحمى الأن فصاعدا المدخل الجنوبى لمصر ضد القبـائل الزنجية المشاغبة بصفة دائمة .

وبالاعتماد على التحصينات القوية عند الجندل الثانى نجح ملـوك الأسـرة الثانية عشرة فى إرسال البعثات التجارية حتى قلب السودان ، وكان المركز التجـارى لهذه البعثات يقع فى ذلك الوقت فى كرما فى جنوب الجندل الثالث . وانفصلت النوبـة السفلى عن مصر فى عصر الهكسوس ، واستمرت العلاقات بيـن مصـر والنوبـة السفلى تأخذ شكل الحملات الحربية التى كان يقوم بها بعض ملوك الأسـرة الثامنـة عشرة والتاسعة عشرة وذلك للقضاء على بعض القبائل الجنوبية التـى كـانت تقـوم بعمليات تمرد ضد النفوذ المصرى هناك ، او تحاول الاعتداء على الحدود الجنوبيـة وانتهاكها . وكان أحمس الأول هو الذى أعاد ربط بلاد النوبة السفلى بمصر . ويبدوا أنه أثناء فترة حكم هذا الملك أخذ الثوار يتوالون على بلاد كوش واضطر لمواجهـة هذا الخطر بالقيام بثلاث حملات ، وهى ثورات أشعلها المتعاونون مع الهكسـوس ، ويبدو أنه وصل إلى جزيرة ساى التى تقع بين الجندلين الثانى والثالث .

---

(١) د. أحمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

وقام أمنحتب الأول بحملة او أثنين إلى بلاد النوبة السفلى ، وقام تحوتمس الأول بحملة إلى الجنوب ، وأيضا تحوتمس الثانى قام بحملة إلى الجنوب . وبدأت البعثات التجارية تعود إلى ما كانت عليه . فأرسلت الملكة حاتشبسوت بعثتها التجارية الشهيرة إلى بلاد بونت بقيادة الوزير نحسى وكان يصطحب ممثل الملكة بعض الكتبة والجنود . وقام الحمالون بشحن المراكب بالمحاصيل المصرية الطبية التى يقدرها أهالى بونت مثل الملابس وأدوات الزينة والمرايا والأسلحة . وسافرت المراكب المصرية وأعلن عن وصولها إلى بلاد بونت ، فخرج حاكم بونت وزوجته والرؤساء من الأكواخ المقامة فوق أعمدة على سطح البحيرة واعتلوا ظهور الحمير ليروا المصريين . وأهل بونت ضخام الأجسام ، عراض الأكتاف ، ورؤوسهم مستديرة وذقونهم مضفورة [١] . وقد لاحظ الرسامون المصريون كل هذه التفاصيل ، وسجلوها بدقة ، فهل سجلوا لمستقبليهم خلسة رسما كروكيا على قطعة من ورق البردى ، أما أنهم ثبتوا المنظر فى ذاكرتهم ورسموه بعد أنت عادوا مطمئنين إلى المراكب . وعلى كل حال ، فقد رسموا لهم لوحة رائعة وسجلوا بكل دقة الحاكم وزوجته والقرية والأهالى والأسماك والكائنات البحرية التى كانت تعيش فى عمق البحر الأحمر . وسرعان ما أقيمت خيمة تبودلت فيها تحيات الوصول . وقدم المصريون للحاكم خبزا وجعة ونبيذا ولحما وفاكهة وكل الأشياء الطيبة . واعد المصريون قائمة بما سوف يشحن على مراكب المصريين منها : أجمل أشجار بونت ، وكميات وافرة من بذور أشجار البخور ، وشتلات خضراء من أشجار البخور ، وعددها واحد وثلاثون وكانت مغلفة كما لو كان قد قام بتجهيزها أمهر بستانى ، وخشب الأبنوس والعاج ، وذهب خام وثلاثة أنواع من الروائح العطرية ، وكحل أسود ونوعان من النسانيس ، وكلاب الصيد ، وجلود فهد ، وخدم أو عمال .

واستقبل أعضاء البعثة بكل حماس وترحاب لدى وصولهم إلى رصيف ايبت سوت (الكرنك) وقام الحمالون بتفريغ الشحنة [٢] واستؤنفت الحملات الحربية بعد

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

هذا العهد وقام تحوتمس الثالث بحملة حربية إلى الجنوب . كما اننا نجد أن تحوتمس الرابع أمر بتجهيز حملة تفتيشية على الجنوب وكذلك أمنحتب الثالث وحور محب الذى ذهب إلى البلاد ارم للقضاء على تمرد هناك . وقام رمسيس الثانى بحملة ضد بلاد ارم فى الجنوب وكان معه أربعة من أبنائه . ومرنبتاح ذهب إلى هناك للقضاء على تمرد قبائل كوش . وأرسل رمسيس الثالث حملة إلى الجنوب لتهدئة الأوضاع هناك كما أرسل أسطولا إلى بلاد بونت ، ولم يسافر هذا الأسطول من البحر الأحمر ولكن من بحر " موقيدى " وربما لم يكن غير الخليج العربى لأن هذا الاسم أطلقه المصريون على نهر الفرات .

وربما قام رمسيس الثالث بجلب خشب الأرز من جبيل ونقله إلى الفرات كما سبق أن فعل تحوتمس الثالث . وشيد أسطولا على شواطئ هذا النهر . وربما اتفق مع ملك بابل وأبرم معه معاهدة تقضى بان يسمح لأفراد قواته وموظفيه بمجرد أن تصل إلى نهر الفرات أن تعبره [١] . ومهما يكن من أمر ، فإن الأسطول كان يتكون من مراكب كبيرة ، كثيرة العدد ومراكب للحراسة يتكون أفرادها من بحارة وحملة الأقواس ورؤسائهم وأفراد للإمدادات ، وقد شحنوا معهم كميات وفيرة من الطعام والماشية والبضائع لأجل إطعام رجال الحملة ، ولغرض التبادل فى المعاملة .

وكان على الأسطول أن يمخر عباب نهر الفرات ويدور حول شاطئ شبه الجزيرة العربية حتى يصل إلى بلاد بونت دون أن يتعرض لأية أحداث . وعادت البعثة بالنفائس والمنتجات التى كانت توجد فى جبال بلاد بونت ، وخاصة حبات البخور الجافة . وقد عادت البعثة عن طريق البحر الأحمر حتى خليج السويس ووصلت إلى وادى النيل عن طريق ميناء القصير ومعهم منتجاتهم ، وساروا على هيئة قافلة حاملين بضائعهم على ظهور الحمير وعلى أكتاف الحمالين ، ووصلوا فى حالة جيدة إلى منطقة قفط ومنها استخدموا القوارب النهرية حتى وصلوا إلى طيبة فى حالة معنوية جيدة .[٢]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

وقبيل الأسرة الخامسة والعشرين تكونت مملكة متحدة قوية فى بلاد النوبة السفلى وكوش ، واعتنق ملوكها الديانة المصرية ، ونجح هؤلاء الملوك فيما بعد فى تأسيس الأسرة الخامسة والعشرين فى مصر باسم " الأسرة الكوشية (او ملوك نباتا) " وبعد انتهاء حكم ملوك هذه الأسرة لمصر عادوا إلى بلاد كوش ، ولكن فى عصر الأسرة السادسة والعشرين ، فى عهد الملك بسماتيك الثانى أخذت كوش تعد العدة من جديد للهجوم على مصر ، وأحس بسماتيك الثانى بذلك الخطر فارسل جيشه الذى كان يشمل مصريين بقيادة امازيس وكاريين ودورنيين وفينيقيين بقيادة بوتا سيمتو ، ووصلت الحملة إلى نباتا وتبعوا العدو حتى الجندل الرابع وسجلت نتائج هذه الحملة على لوحتين فى تانيس وفى الكرنك [١] . وقام بعض المرتزقة بنقش أخبار هذه الحملة على ركبة أحد تماثيل رمسيس الثانى التى نحتت فى واجهة معبد أبو سمبل . وقد ارسل الملك نكاو بعثة حول شواطئ القرن الأفريقى وذلك بغرض الكشف الجغرافى لطبيعة الساحل الأفريقى ومعرفة السكان والبيئة والطبيعة فى هذه المناطق البعيدة . وخرج الأسطول من البحر الأحمر وعاد من مضيق جبل طارق إلى البحر المتوسط بعد ثلاث سنوات قضاها فى رحلته .[٢]

---

(١) Sauneron - Yoyotte, BIFAO 50 (1950), p. 157.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٠٦ ، ٦١٧ ، ٦٢٠ .

الباب الخامس
مظاهر
الحياة الاجتماعية

ساعدت عوامل تأثر الإنسان المصرى القديم بعناصر البيئة المصرية منذ أقدم العصور على نشأت ما يسمى بالترابط الاجتماعى بين أفراد الجماعات الذين كانت تجمعهم مصالح مشتركة وهدف واحد هو استغلال ما فى البيئة من مظاهر وفى أرض البلاد من خيرات . فاصبح كل فرد يسعد بنصيب من هذا الرخاء المادى الذى تخرجه أرض مصر الطيبة . لهذا عاشوا حياة اجتماعية سهلة بسيطة يسودها التعاون المشترك والاخلاص فى العمل .

كما أثرت العقائد الدينية بفاعلية فى تطور هذا التعاون ، وغرست فى قلوب الناس الوازع الدينى القوى الذى أضفى على حياتهم ومجتمعهم طابع التدين والتمسك بما هو مقدس ومعرفة ما هو صالح ومفيد وما هو ضار وسيئ فى نظر المعبودات . واطمأن الناس إلى قدرة معبوداتهم ، وسرت فيهم روح الإيمان بالمعبود وبفضله عليهم .

كما أن أهتمام الدولة بعوامل الأمن والآمان والعمل على سيادة القانون المؤسس جميعه على معنى واضح للعدالة والحق ، قد طبع الحياة الاجتماعية بطابع الاستقرار ، وشعر كل أفراد المجتمع بأنهم يعاملون معاملة واحدة على قدم المساواة بصرف النظر عن الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها كل فرد .

كما أدت المبادئ والقيم وقواعد الآداب والسلوك التى نادى بها رجال الدين وأهل الفكر من أصحاب الحكم والتعاليم إلى تقوية العلاقات الاجتماعية وتماسكها والحفظ عليها فى المجتمع معظم فترات تاريخ مصر القديم وأصبح يسود الناس تقاليد وعادات وقيم ومبادئ حافظت على كيان المجتمع المصرى القديم وجعلت منه مجتمعا

متماسكا إلى درجة كبيرة وكان الغرض من التعاليم والحكم الى نادوا بـها أن يتمتع عدد كبير من أفراد المجتمع الواحد بحياة أفضل يسودها الوئام والعلاقات الحميدة .

وقد أثرت كل هذه العوامل على طبيعة الإنسان المصرى القديم وانعكست على نفسيته من الداخل [1] . فقد أدت هذه العوامل إلى اتباع الناس للسلوك القويم داخل المجتمع ، وعملت على تعميق روح التفاؤل بين الناس فاحبوا الحياة على هذه الأرض وزاد حبهم وانتمائهم لهذه الأرض . كما ساعدت هذه العوامل على انتشار روح التسامح والمحبة بين الناس ، وصبغت حياتهم بالنشاط الدائم والعطاء المستمر ولم يركنوا إلى الراحة أو الخمول .

وكان المجتمع المصرى القديم يتكون من ثلاث طبقات ، وعلى الرغم من ذلك فلم يكن هناك حدود فاصلة بين هذه الطبقات . وكانت الأسرة أساس المجتمع وكانت تسود كل أسرة الروابط العائلية التى تحكمها صلات الرحم والود والاحترام والوفاء . وقد أهدت الأسرة المصرية القديمة للمجتمع المصرى القديم خير عناصره . وكان الآباء حريصين على أن يجعلوا من فلذات كبدهم لبنات قوية فى بناء المجتمع واحجار صلبة فى أساسه فأعطت الأسرة المصرية الأبناء الأوفياء والقادة والحكام الذين بنو فأحسنوا البناء ، وأعطوا لمجتمعهم ولبلادهم فكان خير عطاء وكان لهذا المجتمع بعض مشاكله المحدودة ولكنها تختلف فى نوعيتها عن مشكلات المجتمعات الحديثة ، فهى مشاكل اقتصادية فى المقام الأول ، والتى كان تتعرض لها البلاد أحيانا خلال العصور التاريخية الطويلة ، ولكنها لم تكن مشاكل تمس العقيدة أو المعتقد أو تمس السلوك العام والعلاقات بين افراد المجتمع ، ذلك المجتمع الذى لم يعرف معانى العنصرية او التعصب الدينى ، بل عرف التسامح والمحبة بين أفراده .

---

(١) راجع دراسة د. اسحق يعقوب عن :
" الآثار الاجتماعية والنفسية للتحضر " فى حوليات كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية – جامعة قطر ، العدد السابع ١٩٨٤ ، ص ٢٣٧ – ٢٩١ .

أولا : المجتمع وطبقاته :

لدينا بعض البرديات التى تتحدث عن الطبقات المختلفة التى كان يتكون منها المجتمع المصرى القديم ، وكان المجتمع يتكون من ثلاث طبقات رئيسية [١] . الطبقة العليا ، والطبقة الوسطى ، والطبقة الدنيا .

(أ) الطبقة العليا :

كان الملك على رأس هذه الطبقة ، وهو حلقة الاتصال الوحيدة بين المعبودات والبشر والممثل الوحيد لهذه المعبودات فى بعض الأحيان . ولهذا كان محل تكريم كبير من أفراد الشعب وطبقا للتقاليد أنه جاء ليحكم الناس بمقتضى الحق المقدس الموروث ، وليدبر أمورهم وفقا لمشيئة ورغبات المعبودات . لذلك كان يدعونه أحيانا المقدس الطيب فى حياته وبعد مماته [٢] . وكان يلى الملك الأمراء وأفراد الأسرة الملكية والحاشية والأغنياء من حكام الأقاليم والوزراء وكبار الكهنة وكبار ملاك الأرض وكبار الموظفين وكبار قواد الجيش والشرطة [٣]. وكان بعضهم

---

(١) يذكر لنا هيرودوت أن المصريين كانوا ينقسمون إلى سبع طبقات طبقا لأعمال كل طبقة يضاف إليها ثلاث أخرى وهى : طبقة الكهنة ، المفسرون ، طبقة الموظفين ، طبقة الجند ، طبقة الصناع ، طبقة التجار ، طبقة الفلاحين ، طبقة رعاة البقر ، طبقة رعاة الخنازير ؟، رجال القوارب ، راجع د. مصطفى العبادى : مصر من الاسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١١٤ .

(٢) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٧٧ .

(٣) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٤٧ .

ينوب عن الملك فى تأدية المهام الخاصة به مثل كبير الكهنة الذى ينوب عن الملك فى تأدية الشعائر الدينية أو الأمير الذى ينوب عن الملك فى قيادة الجيش .

وتحدثنا بعض النصوص فى عصر الدولة الحديثة عن تنشئة هؤلاء الأمراء وتربيتهم ، مثل الأميرة نفرو رع ابنة حاتشبسوت التى كان يشرف على تربيتها سنموت ، ولكنها توفيت وهى صغيرة السن . وامنحتب الثانى الذى أسلمه أبوه تحوتمس الثالث إلى أحد ضباطه ليشرف على تربيته ، التربية الرياضية والعسكرية اللازمة ، ونرى الأمير الصغير مصورا فى مقبرة مربيه فى البر الغربى فى طيبة وقد اخذ يتلقى دروسا فى فنون الرماية . (١)

ومن الطبقة العليا حكام الأقاليم الذين كانوا يعيشون فى أقاليمهم ومقاطعاتهم . وكان كل واحد منهم يحيط نفسه ببلاط صغير ، وله جيش لحماية الأقليم من اعتداء سكان أى أقليم مجاور ولنشر الأمن والطمأنينة بين السكان . ويكفى أن نزور بعض مقابر هؤلاء الحكام فى بنى حسن او البرشا او أسيوط او أسوان من عصر الدولتين القديمة والوسطى لندرك أن كل واحد منهم كان ملكا صغيرا فى أقليمه . ولسنا ندهش لثرائهم فقد كانت الضرائب كلها تقدم إلى خزائنهم ، ثم يقدمون بأنفسهم بعد ذلك إلى الملك مما يكونون قد اتفقوا عليه .

وإذا صدقنا ما ذكره بعض هؤلاء الحكام فى نقوش مقابرهم أو فى اللوحات أو على التماثيل التى خلفوها وراءهم ، فإنهم كانوا مهتمين بنشر الأمن والعدالة فى أقاليمهم (٢) . وكان منهم من يفتخر بما يمتلك من مال وغنى إلى حد المبالغة (٣) . وكان النبلاء يعيشون حياة مترفة ، وتزخر بيوتهم بالخدم والمشرفين على المخازن والمخابز ومعاصر الجعة . وتمتاز منازلهم بمظاهر الغنى وكان ملحقا بها المطابخ

---

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، مكتبة الانجلو ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٨٩ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٢٢٤ .

(٣) عن هذه الطبقة ، راجع الدراسة التى قام بها :
Vernus, BSFE 59 (octobre 1970) , p. 31 – 45 .
وعن الحياة الاجتماعية ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt
111 , p. 152, 301 – 305 .

وغرف للخدم وحظائر وحدائق وبحيرات وتحتوى أيضا على أفخم أنــواع الأثــاث ، مثل مقابرهم التى انعكست عليها مظاهر الثراء وتعدد النقوش وموضوعات المنــاظر فيها . وتفرقت هذه المقابر بين جبانات العاصمة وبين جبانات حواضر الأقاليم . ومن أفخم هذه المقابر فى الأسرة الخامسة مقابر رجال البلاط قرب العاصمة أى فى سـقارة والجيزة . وأشهر ما يستشهد به منها مقبرتــان : مقــبرة مــرى روكــا ، ومقــبرة كايجمنى . وتضمنت أولهما ثلاثة وثلاثين حجرة فوق سطح الأرض .(١)

أما الوزراء فكانوا يتباهون بسلطاتهم وبثرائهم أمثال منتوحتب وزير الملــك سنوسرت الأول ، ورخمى رع وزير تحوتمس الثالث ، وســمح لكبــار شــخصيات الأسرة الخامسة بان يتقلدوا منصب الوزير بعد أن كان هذا المنصب قاصرا فى عــهد الملك سنفرو على كبار الأمراء . وكان بعض هــؤلاء الــوزراء يمتلــك أراضــى وضيعات مثل الوزير ايبى فى عصر الأسرة الحادية عشرة ، والــذى كــان يمتلــك ضيعتين أحدهما على مقربة من منف والأخرى فى الجنوب . اما عن ثــراء كبــار الكهنة وتأثير نفوذهم فكان يتفاوت من وقت لآخر تبعا لمكانة الملك وشخصيته . وقــد ادى ازدياد ثروات المعابد فى عصر الدولة الحديثة إلى ازدياد نفوذ الكهنــة . وكــان الكاهن الأكبر هو رئيس الطقوس الدينية وله وظائف إدارية كذلك . وكان كبار الكهنة على جانب كبير من الثراء وبخاصة كهنة آمون وكانت لهم هيبة وتأثير على أفــراد الشعب .

وتحدثنا بعض النصوص عن ثراء بعض ملاك الأراضى من أمثــال حقــا نخت الذى كان يعيش فى عصر الأسرة الحادية عشرة ، الذى كــانت لديــه حقولــه ويشرف عليها أحد المشرفين على الزراعة ، ويكلف أبنه فى أحد الرسائل التى كتبــها إليه بان يستأجر حقلين وينصحه بأن يتأكد من أن الأرض جيدة وريها ميسور ، وذلك بعرض إنما ثروته (٢) . ومن كبار الموظفين من كان يملك أيضــا الأراضــى مثــل رنسى بن مرو الذى كان رئيس مديرى القصر الملكى فى عهد أحد ملــوك العصــر

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

الأهناسي . وكان رنسى بن مرو يمتلك ضيعة يشرف عليها شخص يسمى تحوتى نخت ، كما تخبرنا بذلك بردية القروى الفصيح .

وكان كبار قواد الجيش يمتلكون كذلك الأراضى التى تمنح لهم من قبل الملك يرزقون منها ، وتقع أغلب هذه الأراضى فى الدلتا ذات الحدود المترامية والتى كانت فى حاجة إلى الدفاع عنها ، وهذا بالإضافة إلى الهدايا والمنح التى كان يسبغها عليهم الملك وكذلك الهدايا من الذهب . ونعرف أحمس ابن ابانا الذى عمل كضابط على إحدى السفن الحربية . واشترك مع الملك احمس فى حرب التحرير ضد الهكسوس ، وأظهر شجاعة فائقة فقدم الملك له ذهبا كمكافأة على شجاعته . ومن سلسلة الألقاب التى جملها هؤلاء القواد يتضح لنا المكانة التى كانوا يحتلونها . على أن الدولة كانت تستعين بقواد وقوات الجيش فى وقت السلم فى الأعمال المدنية ونواحى النشاط الأدارى . (١) فمنهم من كان يتولى المناصب الخاصة بالإشراف على البعثات التجارية والإشراف على جميع الأعمال المتعلقة بالمناجم والمحاجر (٢) . وكانت هناك بعض القواعد لاختيار رؤساء الشرطة وكبار قوادها . فكان هناك رؤساء شرطة العاصمة . ورؤساء شرطة الأقاليم والمقاطعات ، ورؤساء شرطة الصحراء والحدود ، ورؤساء الشرطة النهرية ، ورؤساء المعابد ورؤساء شرطة الحرس الملكى ، ورؤساء الشرطة الخاصة .(٣)

وتحدثنا برديات سرقات المقابر فى نهاية الأسرة العشرين عن رئيس الشرطة فى البر الغربى فى طيبة فى نهاية حكم رمسيس الثالث ، الذى تدخل لتهدئة ثورة العمال فى نهاية حكم هذا الملك ، ووعدهم بان ينضم إليهم إذا لم يتسلموا

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٨ .

(٢) د. احمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطور ، ص ٦٦ .

(٣) د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمن الداخلى فى مصر القديمة ، ص ١١٣ – ١٢٢ ، ١٢٣ – ١٣٥ .

مستحقاتهم المادية [١] . وكان هؤلاء الحاكم ومن حولهم حاشيتهم من كبار الموظفين يعيشون عيشة ترف ورفاهية ، فيسكنون الدور الفخمة ، ويملكون الضياع الواسعة ويقيمون الولائم المترفة وينقلون فى محفات تحمل على أكتاف الرجال . وعندما عرفت مصر الخيل والعجلات استبدلوا بها المحفات وأصبحوا يتنقلون عليها .

وامتازت الحياة اليومية فى عصر الدولة الحديثة بروح الثراء ، وكان يسود العصر نوع من الترف ، فكان أهل الطبقة العليا ينامون فى أسرة ، ويستخدمون الأغطية والوسائد من الريش التى تشبه تماما تلك الى تستخدم فى العصر الحالى ، وكانوا يجلسون على مقاعد وثيرة ، وتضاء منازلهم بمصابيح توقد بالزيت ، ومن خلال المرمر الشفاف ينبعث الضوء الخافت الهادئ . وكانت النساء تضعن المساحيق على خدودهن ، وأيضا اللون الأسود على الرموش ، ويصبغن شعورهن ، وكان الرجال يستخدمون شفرات من المعادن لقص شعرهم ، وكلا الجنسين كانا يقومان بالعناية بأظافر اليد والقدمين ، وعندما يخرج بعض منهم إلى الخارج فإنهم يضعون القفاز من الجلد ، وعند عودتهم إلى المنازل ، كانوا يستخدمون مادة زيتية لغسل الأيدى على الأحواض أو من أوانى من نوع معين . وعندما ترتفع حرارة الطقس ، كانوا يتناولون المرطبات عن طريق رشفها بالبوص الأجوف .

وفى مجال الاحتفالات ، نجد أن الهواة كانوا يستخدمون الآلات الموسيقية الطويلة من الفضة . وفى أثناء المناسبات ، كان يسرى عن المدعوين بواسطة الراقصين والراقصات والمغنيين والموسيقيين بالآتهم المختلفة من القيثارة والعود والغاب والدف والرق ، وفى أثناء الحفلات العائلية وبين الأصدقاء المقربين كان الرجال والنساء يتسلون بلعبة النرد والشطرنج والعاب التسلية الأخرى [٢] . ولم تقتصر حفلات الطرب والرقص على القصور او منازل كبار الشخصيات بل أيضا منازل جميع الطبقات .

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٢٥٠ .

(٢) سوف نتناول الحياة المنزلية بالتفصيل عند الحديث عن الأسرة وكيفية معيشتها فى الجزء الثانى من هذا الباب .

كل هذه الأمثلة عرفناها عن طريق النصوص والمناظر المختلفة فى المقابر ، وتدل على أن المصريين كانوا يعيشون خلال عصر الدولة الحديثة ، حياة مترفة وبأسلوب يناسب روح العصر اكثر مما نعتقد . وقد نال أفراد الطبقة العليا حظهم من التربية والتعليم فى أفضل دور العلم المعروفة فى مصر القديمة ، بل أن بعض أبنائها كانوا يرسلون إلى مدارس القصر الملكى ليتربوا ويتثقفوا بين أمراء القصر من أبناء الملك ، بحيث يصبحون أهلا لتولى مناصب الدولة العليا وجميع وظائفها الهامة .[١] وقال حفيد احد حكام اسيوط فى العصر الأهناسى فى هذا الصدد :

" سمح الملك لى بان أتولى الحكم ولم أكن قد تعديت الذراع طولا ، ورفع منزلتى فى شبابى ، وسمح لى بان أتعلم السباحة مع المراء ، ولهذا أصبحت صادق الرأى براء مما يسئ إلى مولاه الذى رباه طفلا . ونعمت أسيوط بحكمى وأثنت على أهناسيا (نفسها) ، وقال عنى أهل مصر الوسطى والدلتا : تربية ملك " .[٢]

الطبقة الوسطى:

وتشمل الموظفين والكتبة والمهندسين المعماريين والكهنة والضباط والأطباء ورؤساء الأعمال . ويدخل فى نطاق هذه الطبقة أصحاب الحرف من الصناع المهرة وكبار الفنانين والتجار [٣] . كان صغار الموظفين والكتبة يعملون فى إدارات الدولة

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٥٠ – ٥١ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٤٦ .

(٣) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٤٧ ، ص ٤٩ – ٥٣ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٨٤ .

فى العاصمة وفى الإدارات المحلية او الضياع الكبيرة . وكانوا من أسعد أفراد الطبقة الوسطى حالا منهم اهل معرفة وخبرة وأصحاب علم وثقافة . وبين أيدينا طائفة من التعاليم التى كان يوجهها الآباء إلى الأبناء ، ويوضحون لهم فيها أن الكاتب مهنته راقية تفوق جميع المهن الأخرى . ومنها تعاليم خيتى بن دواوف إلى ولده بثهاياه حين صاحبه ليلحقه بالمدرسة ، فبين له قيمة التعليم والتعلم. وقد دأب أهل الطبقة الوسطى على إرسال أولادهم فى سن مبكرة إلى المدارس التابعة للمصالح والإدارات الحكومية وغيرها من مدارس إعداد الموظفين لتأهيل أنفسهم لمهنة الكاتب .

وكان الملك يتكفل بمكافأة الموظفين والكتبة وإطعامهم فى حياتهم وكذلك كانت هباته تشملهم أيضا بعد وفاتهم . أما طبقة المهندسين المعماريين فكان عليهم عبء تخطيط وتنفيذ المشروعات المعمارية سواء اكانت عمارة دنيوية من قصور وإدارات حكومية وكذلك فيما يتعلق بالأعمال العامة المطلوبة مثل بناء السدود والقلاع والحصون [1] . او كانت دينية من معابد جنائزية . وكذلك تنفيذ بعض مقابر للملوك والملكات ومعابد جنائزية . وكذلك بعض مقابر كبار الموظفين . ونعرف من هؤلاء المهندسين ، ايمحوتب أول مهندس معمارى مشهور ، الذى أشرف على المجموعة المعمارية للملك جسر ، وحم ايونو الذى أشرف على بناء هرم خوفو وملحقاته ، وانينى الذى قام بحفر مقبرة تحوتمس الأول وبعض مبانى الكرنك ، وسنموت الذى شيد معبد الدير البحرى للملكة حاتشبسوت، وأمون مس من عهد الملك تحوتمس الثالث الذى يذكر لنا فى نقوش أحد تماثيله انه أقام ما لا يقل عن عشرين معبدا فى الوجه القبلى والبحرى ، وأمنحتب بن جابو من عهد الملك أمنحتب الثالث ، الذى قام بتشييد معبد الملك الجنائزى فى البر الغربى فى طيبة [2] وأشرف على مبان

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١١٤ .

(٢) Robichon- Varille, le Temple du scribe royal Amenhotep Fils de Hapou, le Caire, 1939 .

الملكِ فى معبدى الأقصر والكرنك .(١)

وكان هؤلاء المهندسون المعماريون يتمتعون بمركز ممتاز فـــى المجتمـــع المصرى القديم ن حتى أن منهم من كان كبيرا للكهنة ، ومنهم من كان من الأســـرة الملكية ، ومنهم من كان صديق للملك ومستشاره . وكان المصريون يعتبرونهم مهبط الحكمة (٢) . أما الكهنة فكان بعضهم على جانب من الثراء والنفوذ . ولدينـــا مثـــال منتومحات الذى كان كاهنا رابع لآمون ومع ذلك كان حاكما لمدينة طيبة فى عصـــر الأسرة الخامسة والعشرين . وظهرت أهمية الطبقة العسكرية فـــى عصـــر الأســـرة الثامنة عشرة . وكان صغار الضباط يتلقون إلى جانب فنون الحرب والتدريب علـــى أنواع الأسلحة جزء من الثقافة العامة وكان يقوم بهذه المهام ضباط معلمين . وكـــانت هناك ممتلكات عقارية لطبقة العسكريين وبعض الامتيازات ، وكان بعضـــهم تيولـــى المناصب المدنية .

أما الأطباء فكانت لهم مكانة كبيرة فى المجتمع ابتداء من عصـــر الدولـــة القديمة وكان ينظر إليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام فى المجتمع ، وكانوا ينقسمون إلى أربع فئات : الأطباء الكهنة ، الأطباء الرسميون الملحقين بالقصر ودور الحكومـــة ومن الأطباء من كان يزاول مهنته حرا من أجل معالجة أفراد الشعب نظـــير أجـــر بسيط ، وكان هناك الأخصائيون ، والأطباء البيطريون . أما رؤساء الأعمال وكبـــار الفنانين والصناع المهرة فكانوا محل تكريم مـــن كافـــة الملـــوك والأمـــراء وكبـــار الشخصيات والكهنة وكانوا يغدقون عليهم الهدايا ، والمنح ، كما أن بعض الملوك كان يذهب ليتفقد ما يقوم به العمال من أعمال معمارية له وكثيرا ما يعـــبر عـــن شـــكره

----

(١)وقد حصل امنحتب ابن جابو من الملك على حق تشييد معبدا له بجـــوار معبـــد الملك فى البر الغربى . وهذه هى المرة الأولى التى يحدث فيها مثل هذا التكريـــم لمهندس معمـــارى راجـــع : Vandier, Manuel d'archéologie 11, p. 688 – 689 .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٦١ – ٦٣ .

وامتنانه لهم . وكانت معظم مهنهم وراثية ، ويفضلون العمل الجماعى . أمـــا كبـــار التجار فكانوا يزاولون مهنتهم فى كبريات المدن حيث الحياة السهلة الميسرة .

الطبقة الدنيا :

وتشمل صغار الموظفين والترجمة وصغار الكهنة وصغار رجـــال القـــوات المسلحة والشرطة والبحرية . وتشمل كذلك الكثرة من المزارعين والرعاة والصيادين والملاحين وجميع عمال الحرف والمهن والصناع والفنانين والمثالين والنحاتين الذيـــن كانوا يعملون فى الخدمات العامة أو الخاصة ، كما كان لحرفتهم مـــن بنـــاء وحفـــر ونحت وصقل ونقش ورسم وتلوين من أهمية فى مجال العمـــارة المصريـــة القديمـــة بأنواعها . وبفضل مجهوداتهم أخرجت روائع الأعمال المعمارية التى تعد مـــن أهـــم خصائص عمارة الحضارة المصرية القديمة ، وبفضل نشاطهم شـــيد ذلـــك الصـــرح الضخم من العمائر الدينية والجنائزية التى عجز الزمن عن محوه محو تاما .(١)

وكان هناك كذلك أصحاب الحرف الصغيرة من صائغين وحدادين ونجـــارين ونساجين وصانعى الخزف والأوانى والجلود والدباغة والعطارة والســـهام ، وبنـــائين وحلاقين وخبازين وقصابين وطوافى بريد . ومن المهن البسيطة أيضا حاملى المـــاء (السقاءين) ومن يعملون فى البساتين (٢) . ومن أصحاب المهن الهامة صغار التجار وأيضا صغار أهل الفن من موسيقيين وراقصيين ومغنيين مـــن رجـــال ونســـاء ، وأخيرا طبقة الخدم من رجال ونساء والأقليات الأجنبية والعبيد . وسوف نتحدث بشئ من التفصيل عن طبقة المزارعين والعمال لأنهم كانوا يمثلون الكثرة الســـاحقة مـــن الشعب . وكانت طبقة المزارعين هى أكبر الطبقات عددا فـــى المجتمـــع المصـــرى القديم ، وكان المزارع العنصر الأساسى فى اقتصاد البلاد . وتنقسم طبقة المزارعيـــن

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٢) د. احمد بدوى – د. جمـــال مختـــار : المرجـــع الســـابق ، ص ٤٧ – ٤٨ ؛
د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٧٥– ٧٦ حاشية (٢) .

إلى فرقتين :

طبقة تمتلك الأرض ، والأخرى تعمل أجيرة عند الملك أى الملك أو الأمير او حاكم الإقليم أو كبار الملاك . والطبقة الأولى تمتلك ملكيات صغيرة وما على أفرادها إلا دفع الضرائب المقررة على محاصيلهم من قبل الدولة ، أما الطبقة الأخرى فهى الأكثر عددا فكانت مرتبطة بالأرض لا ينفكون منها ، بحيث إذا انتقلت ملكيتها انتقلوا هم أيضا من تبعية المالك الأول إلى المالك الثانى ، ولكنه انتقال للذمة وليس للملكية ، وذلك لأن القوم كانوا جميعا أحرارا . فالمزارع يعمل بأجر ، وفى ساعات معينة من النهار ، فهو ليس مملوكا لمالك الأرض ، وإنما هو يعمل معه بمقتضى عقد رسمى ، فإذا كان هذا المزارع قد أجر الأرض من الأراضى الملكية كان عليه أن يدفع ضريبة تقدر بحوالى عشرين فى المائة من المحاصيل لشونة الملك [١] . وإذا أجرها من مالك كبير كان عليه أن يدفع جزءا أو نسبة من المحصول لهذا المالك ، ويحتفظ هو بالجزء الباقى كأجر له [٢] . او أنه يعمل كمزارع أجير يتقاضى اجره شهريا ، ففى رسالة من رسائل حقا نخت لأبنه نجد أنه ينصحه عند الحديث عن المشرف على الزراعة الذى كان يدعى حتى بن نخت أن يعطيه أجرا شهريا مقداره خمس ويبات من الشعير وأن يعطى عائلته فى أول كل شهر ويبتين ونصف زيادة على ذلك .[٣]

وكان بعض المزارعين يعيش على ما يقوم ببيعه من منتجات حقله كما تخبرنا بذلك بردية القروى الفصيح . وكان المزارع يعمل بالإضافة إلى فلاحة الأرض فى الأراضى الملكية وضياع الأمراء وحكّام الأقاليم وكبار الملاك ، فى حفر الترع والقنوات وإقامة السدود والمشاريع العامة فى أوقات الفيضان وتعطل العمل

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٣ ، ٤٩٨ . كان النظام الضريبى ينطبق أيضا كما يتضح من بعض النصوص على طائفة الصناع وأصحاب الحرف منه الدباغين وصابغى الجلود والنساجين .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩٢ – ٩٣ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٥ .

بالزراعة . مثل مشروع بناء الأهرام . وكانت هذه الطبقة من حقوق بمثل ما كان عليها من واجبات . فكان على الدولة ان تهيئ لهم مشاريع الرى حتى يمكن للمزارع أن يزرع ويحصد ويؤدى فى النهاية الضريبة التى يحددها له الكتبة . وإذا كان المزارع مالكا للأرض فإن الدولة كانت تعوضه عن أية خسارة تتعرض لها الأرض نتيجة لكوارث طبيعية . ويروى هيرودوت أنه إذا أتلفت مياه الفيضان جزءا من أرض المزارعين (نهر النيل) فغن المزارع يتقدم إلى الملك بطلب يشرح له ما تعرض له ، عندئذ يأمر الملك بإرسال لجنة تقدر مقدار الجزء الضائع من الأرض ، حتى يدفع الضرائب على الجزء الصالح والمتبقى من الأرض وليس على الأرض كلها .

وكان كتبة الضرائب يطوفون الأقاليم دائما ومعهم الحرس والمعاونين لتقدير الضرائب على المحاصيل وبعد فترة يعودون لجمع المحاصيل والمنتجات فإذا رفض المزارع دفع ما عليه ، فإنه كان يتعرض للعقاب والضرب أيضا ، وإذا أهمل المزارع فى زراعة الأرض التى أجرها من الأراضى الملكية ، فإن استغلال الأرض يعطى لغيره .

أما بقية أفراد الطبقة الدنيا من رعاة الأغنام ورعاة الخنازير وصيادين وملاحين فلم يكن أحد منهم يمتلك أرضا زراعية بل يعيشون بحثا عن الكلأ والصيد . وكانوا يعيشون مثل المزارعين فى القرى المتناثرة على طول الوادى وفروع النيل فى شمال الدلتا . ويعيشون حياتهم البسيطة يمارسون فيها حرفهم التقليدية من زراعة ورعى وصيد وملاحة . وكانوا يسكنون مساكن بسيطة لا تعدو الحجرة أو الحجرتين ، وليس بها من الأثاث والرياش ما يجاوز الحصير ، وبعض المقاعد الخشبية والصناديق وأوانى من الفخار . كذلك كان طعام تلك الطبقة لا يعدو الخبز والخضر ، أما لباسهم فكان نقبة من نسيج الكتان ، يستتر بها الرجال فيغطى بها وسطه إلى الركبتين كما كان رداء المرأة بسيطا أيضا ، فهو عبارة عن ثوب ضيق غير مكمم مصنوع من الكتان الأبيض يصل من الكتف إلى العقبين ، ويثبت فوق

الكتف بشريطين من النسيج نفسه .[١]

حالة طبقة العمال والصناع والحرفيين والفنانين والتجار والأقليات الأجنبية :

جاء فى نصائح خيتى بن دواواف لأبنه بيبى ليقبل على العلم ويحب الكتابة ، أن خير المهن وأفضلها جميعا هى مهنة الكاتب ، وكيف أن الفرص تتفتح أمامه أكثر من أصحاب المهن الأخرى ، ويذكر له ما يعانيه أصحاب المهن الصغيرة من متاعب فى سبيل تحصيل أقواتهم [٢] . فيحدثه عن معاناة : الحداد ، النجار ، عامل البناء ، الحلاق ، التاجر ، ضارب الطوب ، البستانى ، الفلاح ، النساج ، صانع السهام ، ساعى البريد ، الدباغ ، الإسكافى ، غاسل الثياب ، صائد الطيور ، حامل المياه (السقى) ، الخباز ، كاهن المعبد الذى يعمل كمطهر ، والجندى الذى عليه إطاعة الأوامر فى كل لحظة . ولكن على الرغم مما جاء فى البردية من هجاء للمهن والحرف فإن العمال كانوا محل عناية وتكريم فى مصر القديمة . فكان هناك العمال والصناع والفنانين ورؤساء الأعمال الذين يعملون فى القصر الملكى نفسه ، وفى المصانع والورش التابعة للقصر الملكى ، وفى المصانع التابعة للإدارات والمصالح الحكومية ، وفى المصانع التابعة لملحقات المعابد الكبرى ، وفى مزارع وضياع كبار الشخصيات وكبار الملاك وفى المصانع الملحقة بضياعهم [٣] . وفى الجبانة الملكية فى بناء وحفر ونحت ورسم وتلوين المقابر الملكية ومقابر كبار

---

(١) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ٥٢ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ٢١٥ ؛ وسوف نتحدث عن هذه النصائح فى باب الحياة الثقافية .

(٣) كانت هناك المنازل الكبيرة ، وبخاصة منازل النبلاء التى تحتاج إلى عدد كبير من الخدم ، فضلا عن أولئك الذين يعملون فى المزارع والضياع الخاصة بهؤلاء النبلاء ، وكانت مثل هذه المنازل تضم أيضا عمال فى مخازن الحبوب ومخازن المنازل ، وفى المخابز ومعاصر الجعة والمطابخ ومخازن المشروبات ، فضلا عن القصاب وزراع الزهور والبستانى والنساك والصياد والنجار والنساج والحارس (راجع : د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء : الحضارة المصرية ، ص ٧٤) . وهناك نماذج من الخشب عثر عليها فى مقبرة مكت رع من الأسرة الحادية عشرة ===

الشخصيات المقربين من الملك ومعابد المعبودات والمعابد الجنائزية . وقد قام العـــالم شرنى بعمل دراسة قيمة عن أحوال طبقة عمال وفنانى البر الغربى فى طيبـــــة (١) . وكان هناك أيضا العمال والصناع الذين يعملون فى مهن مختلفة لحسابهم الخاص فيما يعرف حاليا باسم المهن الحرة ، مثل الحداد والصائغ والإسكافى والنجار .

كان الملك أمنحتب الأول هو أول من فكر فى تكوين طائفـــة خاصـــة مـــن العمال والنحاتين والفنانين ولهذا أصبح محل تقديس بعد وفاته (٢) ، الذين استقروا فـــى

== وهى تمثل مجموعة من أصحاب الحرف والمهن الذين كانوا يعملون فى ضياع مكت رع ، منها ما يمثل صيد الأسماك بالشباك ، وما يمثل حصر الماشية أمام سيد الضياع ، ما يمثل مجموعة من الورش الصغيرة فنرى مجموعة النســـاء فى مغزل ، وما يمثل مجموعة من الرجال فى ورشة نجارة بآلاتهم ومعداتـــهم البسيطة، وكل هذه النماذج موجودة الآن بالمتحف المصرى تحت أرقام : JE 46715, 46722, 46723, 46724. Saleh- Sourouzian, Official Catalogue: The Egyptian Museum Cairo, no 75 – 78 .

(١) قام شرنى فى دراسته هذه بدراسة طبقة العمال ورؤســـاء العمـــال وحـــراس المقابر الملكية والخفراء والخدم والكتبة والقواد وإدارى المقابر ورجال شرطة الجبانة ، راجع :

Cerny, A Community of Workmen at Thebes in the Ramesside Period (BdE 50) (1973) p. 99 – 261 .

كما قامت " فالبل " بدراسة مماثلة فى رسالة لنيل درجة دكتوراة الدولــــة ، والتى نشرت تحت عنوان :

Valbelle, les Ouvriers de la tombe, Deir el Medineh 'a l'époque Ramesside (BdE 96) (1985), p. 62 – 155 .

وذكرت فى هذه الدراسة اجور العمال والمخصصات التى يحصلون عليـــها من ملابس ومواد غذاء من الإدارات الملكية (Id., p. 148 – 153) كمـــا كان هناك طبيب لمعالجة العمال والعناية بهم (Id., p. 127 – 128). وهناك أيضا قوائم تحدد اجور العمال (Id., p. 62 – 64) .

(٢) Černy, le Culte d'Amenophis I er , dans BIFAO 27 (1927), p. 159 - 203 .

قرية خاصة بهم ، وهى قرية دير المدينة . وكانت محاطة بسور سميك وكان بها سبعين منزلا بملحقاتها (١) . وكانت منازل العمال بسيطة ، وتضم أثاثا بسيطا أيضا وعدد محدود من الحجرات وتضاء بمصابيح تعمل بالزيت (٢) . وكان يفصل فى الخلافات بين أهالى القرية محكمة أعضائها من القرية . وبنى خارج القرية إلى الغرب والشمال مقاصير صغيرة للمعبودات ، وخاصة حتحور ، وكان هناك على الأقل أربع وخمسين مقبرة من مجموع مقابر الرعامسة فى البر الغربى فى طيبة تخص هؤلاء العمال (٣) . وقد عثر فى قرية العمال فى دير المدينة على آلاف الاوستراكا التى كتبت بالخط الهيراطيقى . وقام بدراسة هذه الاوستراكا كلا من العالمين شرنى وبوزنر . منها ما هو أدبى ومنها ما هو غير أدبى وتعكس لنا جانبا من الحياة اليومية لهؤلاء العمال . وتحدثنا هذه الوثائق الصغيرة فى الحجم والكبيرة فى المعلومات عن مرتبات العمال ومعداتهم وطريقة عملهم ، وأسباب غيابهم عن العمل ، وترجع هذه الوثائق عن حياة العمال إلى القرن الرابع عشر حتى بداية القرن الحادى عشر ق.م .

ونعرف من الوثائق ان هؤلاء العمال كانوا يعملون تحت مراقبة سلطة الوزير ، وكان مكتب الوزير مكلفا بمدهم بالمعدات والأدوات اللازمة للعمل ، كما كانت الدولة مكلفة بمدهم بالمواد الغذائية (٤) وكانت طائفة العمال تتكون من ستين إلى مائة وعشرين عاملا يقسمون إلى قسمين : قسم اليمين وقسم لليسار ، وكان كل قسم يخضع لسلطة رئيس للعمال . وكان العمال ينظمون تنظيما دقيقا ، تحت سلطة

---

(١) Posener, Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne, p. 208 – 209, 213 – 215, 270 – 271 ; Daumas, la Vie dans L'Égypte Ancienne, Paris (1968), p. 78 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٤ .

(٣) د. احمد قدرى : المؤسسة العسكرية المصرية فى عصر الإمبراطورية ، ص ٣٦١ .

(٤) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, Cairo (1985), p. 59 – 64 .

رؤسائهم ، وكان كل منهم يحمل لقب " كبير الفرقة أو المجموعة " .

وهناك الاوستراكا مؤرخة من العام الأربعين من حكم زمسيس الثانى ومحفوظة بالمتحف البريطانى تحت رقم ٥٦٤٣ ، وكتبت عليها رئيس العمال أسماء عماله الثلاثة والأربعين ، وأمام كل اسم عدد أيام الشهر التى غابها عن العمل ، بينما كتبت أعذار التخلف بالمداد الأحمر أمام كل تأخير أو غياب . ومن الأسباب التى سجلت : المرض الذى نقله عامل آخر الذى كان مريضا ، أو لدغه عقرب ، أو بسبب الذهاب لتقديم القرابين للمعبودات ، كما أن انحراف مزاج الزوجة أو الابنة كان سببا كافيا للتخلف عن العمل ، وإنه كان يقوم ببعض الأعباء المنزلية مثل إعداد تخمير الجعة [1] وبجوار رئيس العمال كان يوجد نائبه أو وكيله ربما كان يحل محله إذا غاب ، وكان لكل قسم كاتب وظيفته هى القيام بعمل الحسابات والاتصال مباشرة بالسلطة المركزية أى مكتب الوزير . وكان بعض العمال يوصفون بالألقاب التى تدل على مهنتهم الرئيسية فمثلا نجد من بينهم قاطع الأحجار والحفار والنحات والنقاش والرسام . وإلى جانب العمال الحرفيين كان يوجد فريق من العمالة المساعدة من الأيدى العاملة والممولين الذين يأتون من المناطق الأخرى القريبة ، وكانوا أساسا من المزارعين ، ومنهم زارعوا البساتين وقاطعوا الأخشاب ، وحاملوا المياه (السقاءون) والصيادون ، والحمالون . وكانوا مسئولين عن نقل المواد الغذائية ومعدات العمل . وتذكر النصوص أيضا حراس المقابر الملكية التى كانت تحت التشطيب ، وكانت هناك قوة من الشرطة مهمتها المحافظة على الأمن والنظام فى البر الغربى .[2]

وكانت الدولة تمد هؤلاء العمال بالجرايات هم وأسرتهم . وكان أجرهم يدفع

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٨ – ٨٩ ؛ د. بها الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩٦ – ١٩٧ ، وأيضا :

Allam, op. cit ., p . 59 ; lalouette , L'Empire des Ramsès, Paris (1985) , p. 252 – 253 .

(٢) Allam, op. cit ., p. 60 – 64 .

عينيا فى شكل مواد غذائية تصرف من الصوامع او من المخازن الملكية إمـــا مــرة واحدة أو مرتين أو أربع مرات فى الشهر ويقوم بتسليم هذه المقررات مجموعة مـــن الموظفين . وكانت عبارة عن :

كميات كبيرة من السمك الذى كان فيما يبدوا طعامهم الرئيسى ، وفى كـــل شهر كانوا يتسلمون أيضا قدرا من البقول ، وعددا من القدور التـــى تحتـــوى علـــى زيوت ودهون وجعة ، وخشب الوقود الضرورى ، والحبـــوب مـــن قمـــح وشـــعير وحنطة ، وأخيرا كميات من الخضروات ، وكان نصيب رئيس العمال ١٧٠ حزمـــة من الخضار ، والكاتب ٨٥ حزمة ، والعامل ١٥ حزمة . أما عن كميـــات الحبـــوب فكان نصيب رئيس العمال منها ٧,٥ غـــرارة ، الكـــاتب ٣،٧٥ ، العمـــال ٥,٥ (١) . وكان يصرف لكل عامل من وقت لآخر الدهون والزيوت والملابس (٢) . وتصـــرف له أيضا كمية من الماء الصالح للشرب . وكانوا يمنحون فى مناسبات مختلفة مكافآت تشجيعية من الملك مثل الجعة المستوردة والنبيذ واللحوم والملح مـــن النطـــرون . وأيضا قطع من القماش أو قطع نحاسية بديلة عن العملة . وكانوا يتمتعون بالإجـازات وعطلات الأعياد الكثيرة ، فكانوا يمنحون ثلاثة أيام عطلة كل شهر ، كانت تقع فـــى اليوم العاشر والعشرين والثلاثين من كل شهر .(٣)

وكان هناك مكتب لإدارة شئون طائفة العمال . ونعرف مدى أهميتـــه مـــن عدد الكتبة الذين الحقوا به . وكان هذا المكتب يحتوى بدون شك على أرشيف الـــذى

---

(١) د. بهاء الدين إبراهيم : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) كانت الملابس تصرف من القصر الملكى ، وهناك نص بالمتحف المصرى كتبة أحد الضباط المكلفين بملاحظة عمال المحاجر فى طره ، عثر عليه فى ســـقارة من الأسرة السادسة ن يستعجل فيه إحضار الملابس للعمال حتى لا يعوق ذلـــك سير العمل ، راجع : دليل المتحف المصـــرى – القـــاهرة ، وزارة الثقافـــة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٦٠ (٢٠٥٠) .

(٣) James, An Introduction to Ancient Egypt, london 1973, p. 120 .

يقوم الكتبة بوضع التقارير فيه عن حياة العمال الجماعية ومشاكلهم في القرية . ولانعرف مكان هذا الأرشيف . ولكن نعلم أن الكتبة كانوا يضعون فيه برديات واستركا . وكانت الاوتراكا مرتبة مثل البرديات تماما حتى يمكن للكاتب الرجوع إليها عند الضرورة .

ونعلم من نصوص الوثائق أنه كان يوجد مؤسسة تسمى " قنبت " عبارة عن مجلس محلى مثلما ما كان يوجد فى القرى الأخرى . وكان هذا المجلس مسئولا عن إدارة وتنظيم الأعمال بيم أفراد الطائفة . وكان من بين أعضاء هذا المجلس رئيس العمال ، والكتبة ، والنواب ، وحراس المقابر ، ورجال الشرطة ، وقضاه ، وكان من بين القضاه أحيانا قاضيتين من الحريم . وذلك للنظر فى الدعاوى والمنازعات بين أفراد الطائفة [1] ونعتقد أنه لولا العثور على هذه الاوستراكا بالآلآف لم عرفنا كل هذه المعلومات عن عمال دير المدينة وحياتهم فى نهاية الدولة الحديثة . لأنه تنقصنا المعلومات المشابهة عن عمال المجموعة الهرمية فى نهاية الدولة الحديثة . وأهرام دهشور واللشت وعمال مدينة أخت آتون فى تل العمارنة وغيرها فى الفترات السابقة على عصر الرعامسة . وبالنسبة لطائفة العمال والصناع فى أماكن أخرى ، فكان رئيس العمال يقوم بتسليم إنتاجهم الذى طلب منهم ، طبقا لكشوف أعدت بكل دقة ، للجهات المسئولة ، وكانت القاعدة العامة المتبعة فى كافة المصانع ان تعرض المصنوعات التى تمت صناعتها أما على موائد أو ترص فوق رفوف ن ويقوم رئيس العمال بالتحقيق من دقة صناعتها واتقانها وأنها صالحة لأن توضع ضمن مقتنيات المعبد والمعبود او الملك .[2]

فنعلم من النصوص أن بوى أم رع الكاهن الثانى لآمون ومدير أعمال معبد الكرنك ، وقام بتفقد الأشغال او الأعمال التى تمت فى المصانع الملحقة بالمعبد . وقابل هناك رئيس العمال ورئيس الفنانين وتحدث معهما . وظهر لنا رخمى رع ، وزير تحوتمس الثالث ، وهو يزور مصانع معبد آمون وكمدير أعمال كان عليه أن

---

(١) Allam, op. cit ., p. 64 .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

يحدد لكل عامل طريقة فى العمل . وكان المشرف على العمل يخاطب العمال والصناع ويحثهم على العمل قائلا : " هيا أيها الرفاق ن حركوا سواعدكم ، لنعمل ما يستوجب ثناء الحاكم " .(١)

وكان الملك يذهب أحيانا ليتفقد العمل فى المحاجر القريبة ، مثل الزيارة التى قام بها رمسيس الثانى لزيارة محجر من محاجر الجبل الأحمر فى العام الثامن من حكمه . وهناك ترك لوحة فى معبد ايونو أعرب فيها عن شكره لكل الذين ساهموا فى صناعة تماثيل أبو الهول ن وهو يقول : " أن حبكم لى هو الذى يدفعكم إلى العمل من أجلى .. إن تحياتكم لى تشد من أزرى " .(٢)

كان العمال يفضلون العمل الجماعي عن العمل الفردى ، وللوصول إلى نتائج طيبة يستوجب الحال استخدام عدد كبير من رؤساء العمال ذوى البصر الحاد ، والشخصية القوية بالإضافة إلى استعمال الحدة فى الكلام . وعندما يرى رئيس العمال إهمالا ما فى العمل فإنه يوجه انتباه العامل . فقد حدث أن ذهب أحد رؤساء العمال ليتفقد العمل فى إعداد هيكل خشبى لمعبد الملك أمنحتب الأول فى إحدى الورش . وصور الفنان فى داخل الورشة عامل يجلس على أعلى درجات السلم دون أن يبدى اهتماما باستعمال أدواته ، بينما تسلق عامل آخر الأعمدة الصغيرة هاربا بسرعة من رئيس العمال ، وفى الجانب الآخر نرى رساما يقوم بتلطيخ وجه زميله بالألوان . ويمر رئيس العمال دون أن يلحظهما إذ كان اهتمامه موجها إلى عامل واحد قد تمدد على الأرض وراح فى سبات عميق بجانب عمله الذى لم ينجزه بعد ، فيصيح فيه رئيس العمال صيحة تزعج أحد العمال المعلقين بالدور الثانى فيفقد توازنه . وعلى السطح يسرع رجلان باستعمال أدواتهم ، فيثقب أحدهما ثقبا ويطلى الآخر الخشب ، بينما يهز رجل ثالث العامل النائم ليوقظه .(٣)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٢ – ٢١٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٣ .
(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

كان الملوك والأمراء وكبار الشخصيات والكهنة يقدرون أولئك الفنانين والعمال الذين عملوا وضحوا من أجل إقامة أثر لهم أو ساهموا فى زخرفته ونقشه . لقد دفعوا لهم المكافآت وقدموا لهم الشكر . ولم يجبر أصحاب العمل أو رؤساء العمال على عمل أكثر مما هو مطلوب . فيحدثنا الملك سيتى عن بعض عماله أن كلا منهم كان يتقاضى أربعة أوزان من الخبز ، وحزمتين من الخضروات ، وقطعة من اللحم المشوى كل يوم ، وثوبا من الكتان النظيف مرتين كل شهر (١) . ويذكر رمسيس الثانى على اللوحة التذكارية التى أقامها فى معبد ايونو ماحققه لعمال المحاجر الذين قاموا بنحت تماثيل أبو الهول والتماثيل المختلفة التى ملأت معابد مصر ، وهو يقول مخاطبا هؤلاء العمال :

" لقد ملأت لكم المخازن بكل الأنواع من الفطائر واللحوم والكعك لكى تأكلوها ، وأنواع العطور المختلفة لتعطروا رؤوسكم كل عشرة أيام ، وصنادیل لتنتعلوها كل يوم ، وملابس لترتدوها طوال العام ولقد عينت رجالا من سكان المستنقعات ليحضروا لكم الطيور والأسماك وآخرين من عمال البساتين ليحصوا ما هو مستحق لكم ، لقد أمرت بتشيد فاخورة لتصنع فيها الأوانى الفخارية ليظل ماؤكم سلسبيلا فى فصل الصيف ، ولأجل مصلحتكم تقلع المراكب دواما من الجنوب إلى الشمال وم الشمال إلى الجنوب محملة بالشعير والحبوب والقمح والملح والخبز ... إنى أعمل كل هذا مرددا القول : " طالما كنتم على قيد الحياة فإنكم تعملون من أجلى رجلا واحدا " ويذكر فى وسط الكلام لماذا فعل كل هذا :

" لقد حققت كل هذه الأشياء لكم حتى لا يقضى أحدكم ليلة خائفا مترقبا ذل الحاجة والشقاء " ، " لقد عينت رجالا كثيرين من مختلف الطبقات لإطعامكم حتى فى سنوات المجاعة " (٢) وكان تكريم العمال معروفا أيضا عند كبار الشخصيات منذ عصر الدولة القديمة فيقول مدير ضيعة يدعى " منى " مزالأسرة الرابعة بأنه كافأ بسخاء كل من ساعد فى بناء وزخرفة مقبرته وهو يقول :

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٥ – ٢١٦ .

" لن يندم أبدا أى شخص قد ساهم فى بنائها ن سواء كان فنانا أم قاطع أحجار ، لقد أعطيت كل واحد مكافأته " .[١] ويقول آخر :

" لقد طلبت إلى المثال أن ينحت لى هذه التماثيل وكان راضيا عن الأجر الذى دفعته له " . [٢] ويقول ثالث ، وهو أحد القضاه من الأسرة الخامسة :

" أن جميع من عملوا فى هذه المقبرة قد نالوا أجرهم كاملا ، من خبز وجعة وملابس وزيت وقمح بكميات وافرة ، كما أننى لم أكره أحد على العمل "[٣] . هذا فضلا عن أن الملك منكاورع كان قد أمر ببناء مقبرة لأحد رجال بلاطه ، وقد عمل فيها خمسين عاملا ، وجاء فى النص الذى يروى هذا الحدث أن الملك أمر بألا يسخر أحد فى هذا العمل فضلا عن عدم إكراه العمال فى أى عمل (آخر) .[٤]

ونذكر أيضا ما جاء فى نصين من عصر الدولة الوسطى ، ويدلان على مدى التقدير الذى كان يناله العمال فى مصر القديمة دائما وفى كل العصور ، وأحدهما عبارة عن نقش لقائد حملة ، ويقول فيه : " لقد عملت فى المحاجر وكان عدد عمالى من الشباب لا ينقص أبدا ، ولم يتوقف أحد منهم " ، والثانى يخص أيضا قائد آخر ، فبعد أن أكد أنه لم تحدث أية وفاة أثناء العمل ، يضيف هذه الجملة المعبرة : " لقد عاملت جميع رجالى بكثير من الطيبة ، ولم أناد على العمال صائحا على الإطلاق " .[٥]

ومن الدولة الحديثة ، نذكر نصا يخص أحد الأشخاص ويدعى أمنمحات الذى يذكر فيه أنه دعى أربعة رجال للجلوس معه ليشاركوه طعامه وأحد هؤلاء

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ،الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٨٧ .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٥) Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, p. 82 .

الرجال الأربعة هو الرسام أحمس أما الثانى فهو نحات تماثيل لا نعرف أسمه .[١]

وكانت طبقة العمال العاديين تختلف وفقا لمهارة كل منها . ولم يكن من الصعب أن يصل أكثر العمال مهارة إلى درجة مراقب أو رئيس عمال . وأن يجمع من المال ما يجعله فى أواخر أيامه من صغار الملاك او من أصحاب الأعمال والمهن الكبيرة [٢] . ونعرف الفنانين تحوتمس وحوى اللذين عاشا فى عهد الملك اخناتون ، وكانا على درجة كبيرة من الثراء والمكانة الاجتماعية [٣] . ومن كان من هؤلاء العمال أو الفنانين على جانب من الكفاءة أو المهارة كان يطلعنا ، فيقول أحدهم الذى عاش فى عصر الدولة الوسطى عل لوحته التذكارية :

" إنى أعرف سر الكلمات المقدسة [٤] وإدارة المراسيم الدينية ، لقد مارست كل أنواع السحر دون أن اترك منها شيئا وليس ثمة سر يتعلق بهذه الأشياء ويخفى على ... "[٥] ويقول آخر :

" بالإضافة إلى أننى فنان موهوب فى فنى ، فإنى على قدر من العلم يفوق المستوى المألوف ، أننى أعرف تماما الأوضاع النموذجية لتمثال الرجل ، ووقفة المرأة ... " [٦] . ويقول عن ابنه :

" لقد شاهدت براعته فى اشغاله كمدير أعمال فى كافة أنواع الأحجار الكريمة ، من الذهب والفضة والعاج والأبنوس "[٧] . وقيل عن الفنان مرى رع الذى عاش فى عهد رمسيس التاسع أنه :

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٧ .
(٤) أى اللغة المصرية القديمة .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .
(٦) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢١٦ .
(٧) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

" كاتب الكتب المقدسة (أى النصوص ؟) فهو ليس مجرد ناسخ ، أن الوحى يأتيه من قلبه ، لا يقدم إليه معلما ما أنموذجا وإلا نسخة ، ذلك لأنه كاتب ذو أصـابع ماهرة ، شديد الذكاء واسع المعرفة " .(١)

أما عن التجارة فقد قامت على نظام التبادل أو المقايضـة ، وكـانت كـل بضاعة تقيم حسب جودتها ، وتقيم وحدة وزن من النحاس او الذهـب أو الفضـة ، لتحديد قيمة البضاعة ، ويمكن حدوث نوع من الفصال بين المشترى والبائع . أما عن نوعية البضائع فكانت عبارة عن منتجات يدوية ومنتجات غذائيـة مـن خضـروات وفواكهه وأسماك وطيور وخبز وحبوب وزيوت ودهون ، ومنتجـات أخـرى مـن أخشاب وأثاث وتوابيت وأدوات مصنوعة من مـواد مختلفـة وكذلـك أنـواع مـن الحيوانات والماشية مثل الحمار ، والبقر ، والعجل ، والثور ، والجدى .

ولم يكن البيع قاصرا على مثل هذه الأشياء بل كان يمتد إلى الملكيات مـن عقار وأراضى . وكان يمكن نقل الملكية من شخص لآخر نظير تعويض مـادى أو تشترى أو تباع دون تحرير أية وثيقة أو اتفاق مكتوب . وأما الصفقات الكبرى فكانت تستلزم تحرير وثيقة رسمية وتوقيع شهود عليها . فكان هناك مـا يسـمى بـالعقود التجارية ، ويمكن أن يكون الاتفاق بين مشترى واحد وبائع واحد أو يمكن أن يكـون بين مجموعة من الأشخاص أى صفقات كبيرة من قبل تجار كبـار ، يـأخذ نظـام السداد فى مثل هذه الصفقات أشكالا عديدة أما بالدفع المباشر أو أن يدفـع المشـترى ثلث الثمن ويقوم بالتقسيط الباقى أون يتعهد بتوريد بضاعـة نظـير الثمـن ويقسـم المشترى أو يوعد بالوفاء بدفع دينه او يعطى وعدا بالدفع فى فترة محدودة ، فإذا لـم يحترم البائع والمشترى صيغة الاتفاق بينهما فيمكن لأحد الطرفين أن يلغى عقد البيـع وقد يتعرض البائع للإفلاس ، فيمكن عرض الأمر على المحكمة للبت فى الأمر بيـن الدائن والمدين .(٢)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢١٦ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, Cairo (1985) p. 110 – 113 .

سوف نتحدث عن المعاملات التجارية فى الباب الخامس عند الحديـث عـن مظاهر الحياة الاقتصادية .

أما عن أماكن البيع فكانت هناك السواق اليومية في القرى والأقاليم وعواصم المدن ، ونجد في بعض مناظر التي توجد على جدران بعض مقابر سقارة من الدولة القديمة ، مقابر البر الغربي في طيبة في الدولة الحديثة ، مناظر تمثل هذه الأسواق حيث يتم البيع والشراء فيها عن طريق المقايضة ، ولاشك انها كانت تعقد في عاصمتي الإقليمين في منف وفي طيبة ، وكانت هناك الأسواق القريبة من الموانى المحلية والتي تقع على ضفاف النيل حيث تجئ المراكب التجارية محملة بالبضائع والمنتجات . أو الأسواق القريبة من الموانى الكبرى في شمال البلاد حيث ترسو فيها المراكب التجارية القادمة من الخارج والمحملة بالبضائع المستوردة من الشاطئ السورى مثلا .

أما عن طبقة التجار فكان هناك البائع البسيط الذي يعرض بضاعته في الأسواق أو يعرضها في محل ، وكان هناك التاجر الكبير الذي يعقد الصفقات الهامة . وكان هناك مندوبون يعتمد عليهم في إتمام عملية البيع والشراء ويقومون بتسليم البضاعة إلى المشترى وتسلم الثمن منه أو عقد المقايضة اللازمة . وكان هؤلاء المندبون يحملون أيضا البضائع من قرية إلى أخرى ويرحلون إلى الجنوب والدلتا عبر النيل . ولا تستطيع أن نتجاهل عند حديثا عن الطبقة الدنيا وخاصة عن طبقة الصناع والعمال والتجار أن نتحدث عن الأقليات الأجنبية ، فكان التكوين الاجتماعي يشمل أيضا هذه الأقليات والأسرى الأجانب . وكان منهم العمال الذين يأتون عبر الحدود الشرقية والغربية والجنوبية بحثا عن مصدر رزق ، وهم أيد عاملة ضرورية لمساعدة العمال المصريين . وعند مرورهم عبر الحدود كانوا يتعرضون لعملية مراقبة شديدة بواسطة رجال شرطة الحدود وكان يدون لكل شخص منهم : تاريخ الدخول والخروج عبر الحدود ، وأصل الموطن ، والحالة الاجتماعية واسم الأب ، والغرض من المجئ [١] . وكان هؤلاء العمال يقيمون في البلاد ويؤدون مختلف الأعمال وخاصة المعمارية في ظل قوانين اجتماعية تكفل لهم الحماية والأمن

---

(١) Erman-Ranke, la Civilisation Égyptienne, p. 723 – 724; lalouette, L'Empire des Ramsès, p. 258 .

والعيش فى سلام ويتمتعون بالحقوق نفسها التى يتمتع بـــها العـــامل المصـــرى [١] . وبالمتحف المصرى لوحة عليها منظر يمثل كتلة من الحجر محمولة علـــى زحافـــة يجرها ثلاثة أزواج من الثيران ، ويرجح أن السائقين كانوا من الأجانب ، وهى مـــن محاجر المعصرة ، من الأسرة السادسة والعشرين .[٢]

ومن هؤلاء الأجانب من كان يتجمع حسب جنسيته فى أحياء خاصة بـــهم ن فحول معبد الكرنك من عهد الملك تحوتمس الثالث ، كان يوجد جالية سورية وتجـــار سوريون وحول المعبد الجنائزى للملك أمنحتب الثالث فى البر الغربى بطيبـــة كـــان يوجد حى سورى تحت إدارة أحد الأمراءالسوريين الذى أحضروا من ســـورية [٣] . وفى محاجر طره كان يعمل بعض الأجانب من الهكسوس . وكـــان هنـــاك بعـــض الفينقيين الذين كانوا يعملون فى بناء معبد المعبود بتاح فى منف . وكان هناك أيضـــا بعض البدو من شرق الدلتا الذين كانوا فى مشروعات الملك رمسيس الثانى المختلفـــة فى منطقة تانيس [٤] . إلى جانب هؤلاء العمال الأجانب كان يوجد أســـرى الحـــرب الأجانب الذين كانوا يعملون فى مشروعات مختلفة ، واستخدموا كعمال فى الزراعـــة والبناء والنسيج .[٥]

وفى عصر الدولة الحديثة استخدم الأسرى من السوريين كعمال بنـــاء[٦] .

---

(١) Lalouette, op. cit ., p. 258 .

(٢) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحـــة الآثـــار ١٩٦٩ ، ص ١٧٤ (٦٢٤٦) .

(٣) Lalouette, op. cit., p. 259 ; Mayani, les Hyksos et le Monde de la Bible, p. 127 – 128 .

(٤) Lalouette, op. cit., p. 259 .

(٥) Mayani, op. cit ., p. 127 .

(٦) Posener, Syria 18 (1937)p. 183 – 197 ; Drioton-Vandier, L'Egypte (éd . 1946), p. 430 (3); Petrie, Six temples at Thebes I , 7 , Breasted, AR 11 (821) .

وهناك منظر فى مقبرة حور محب ، التى عثر عليها فى منف ، نرى فيه كاتبا يسجل عدد الأسرى ويقوم أحد القواد بتنظيمهم [١] . ومن هؤلاء الأسرى من كل يعمل كعبد . ولم يكن هناك مصرى واحد عبد . وقد تفاوت عدد العبيد وفقا لعلاقات مصر بالخارج . وكان الملك يمتلك عددا كبيرا من العبيد . ولا شك فى ان بعض البارزين منهم كان عرضة للتحرر والتعيين فى فرق المرتزقة وكان البعض الآخر يعين فى وظائف إدارية بعد أن تسند إليهم فى بداية الأمر أعمال الترجمة .

وكان الملك يمنح بعض محاربيه بعض العبيد . وكان امتلاك العبيد دليل الغنى وكان من المباح بيع وشراء وتأجير العبيد من الجنسين [٢] . وهناك نص من العام الخامس من حكم اخناتون عبارة عن عقد بين رجل وامرأة أتفقا بخصوص تأجير عبد ، فالرجل استأذن المرأة فى استخدام العبد لمدة عشرة أيام ودفع لها عشرة وحدات من الفضة كايجار واعطته المرأة ايصالا بما استلمت من فضة .[٣]

وهناك بردية فى المتحف المصرى تخبرنا أن امرأة حضرت أمام المحكمة لأن عامل (شوتى) جاء إليها وقدم لها عبدة آسيوية صغيرة السن . وإنها قبلت هذه العبدة وأعطت العامل فى المقابل كتان وأوانى من النحاس وأشياء أخرى قدرت بوحدات من الفضة . وبعد ذلك شرحت المرأة أمام المحكمة من أين حصلت على كل هذه الأشياء لكى تؤكد أمانتها وفى الوقت نفسه تثبت قانونيا ما لديها . وكانت الطرف الآخر البائع قد أعلن أن المرأة قد حصلت على العبدة نظير بضائع لا تمتلكها فى الحقيقة . واضطرت المحكمة إلى اللجوء إلى سماع شهادة الشهود [٤] . وهناك بردية كتبت بالهيراطيقية من القرن الحادى عشرة ق.م موجودة الآن بمتحف اكسفورد يقص علينا نصها قصة أرملة تقدم بها السن وكان لديها ثلاثة عبيد ، فأرادت أن تحررهم

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها : الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ١٤٤ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p. 95 – 96, 101, 112.

(٣) Allam, op. cit ., p. 18 .

(٤) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, p., 112 .

وأن تتبناهم وتوهب لهم ثروتها بعد وفاتها [١] . وهناك نص على تمثال صغير في متحف اللوفر يشرح الشخص فيه أنه حرر عبد لديه ووهب ميراثا لكى يزوجه ابنة أخيه .[٢]

وهناك نص آخر على بردية فى متحف اكسفورد ، يشير إلى أن رجل أراد أن يتزوج أحدى العبيد التى كانت ملكا لأخته التى اعتقها وأعطتها بعض الإرث [٣] . وعلى بردية أخرى كتبت بالهيراطيقية من عصر الرعامسة بالمتحف المصرى ، يتحدث نصها عن توثيق بيع مجموعة من العبيد [٤] . وفى نهاية حديثنا عن طبقات المجتمع نستطيع أن نقول أنه على الرغم من التباين الظاهر بين طبقات المجتمع المصرى القديم ولكنه تباين غير واقعى أحيانا ، ولم يجبر شخصا على أن يظل أبد الدهر فى طبقته التى توارثها إذا واتته الفرصة للتغير [٥] . ففى العصور التى نمت فيها موارد الدولة وتقدمت معالم حضارتها كانت فى حاجة إلى خدمات الرجال ذوى المقدرة والمهارة الذين تعتمد عليهم لمواصلة عملية البناء .

كان الابن يزاول مهنة أبيه فى أغلب الأحوال ، وكان من الممكن لأى شاب يمتلك مواهب مناسبة أن يحتل مكانا أرفع مما وصل إليه أبوه ، وقد يصعد إلى أعلى الوظائف . ومن الممكن أن نجد مزارعا أصبح صانعا او خادما أصبح عاملا ماهرا . وكانوا يكافأون بالممتلكات والوظائف . ومن ثم يتغير وضعهم الاجتماعى .

وهناك الكثير من نصوص الأسرة الثامنة عشرة يفاخر أصحابها بعصاميتهم وبأن الواحد منهم إنما قد بدأ وظيفته " دون أى تأثير من أقاربه " أو أنه " من أسرة

---

(١) Id., op. cit ., p. 18 , 37 .

(٢) Id., op. cit ., p. 30 .

(٣) Id., op. cit ., p. 30 .

(٤) Id., op. cit ., p. 97 .

(٥) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ٥٣ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨١ – ٩٥ .

غير ميسر عليها فى الرزق ، كما أنه لم يكن من أصحاب الجاه فى مدينته "[١] . كما أن العواطف لم تكن تعرف أيض الفرق بين الطبقات . ولم تتردد أميرة من البيت المالك فى الأسرة الخامسة فى أن تتزوج من قزم يدعى سنب كان يعمل فى البلاط الملكى وتنجب من طفلين .[٢]

وهناك من الأسرة الحادية عشرة من يدعى خنوا اردو ، الذى خدم فى بلاط إحدى زوجات الملك منتوحتب الأول ، وقد حدثنا فى لوحته التى عثر عليها فى دندره ، عن سيدته ، وما كان لها من مركز أدبى ، وكيف أنه كان محل ثقتها ، وكيف انها رفعته إلى طبقة المختارين من رجال القصر بعد أن كان فقيرا معدما وكيف أنه اخلص لها [٣] . وأنه قد قام بناء على أمرها بتدبير مكتبة ثقافية فى دندرة .

الرعاية الصحية وسن الشيخوخة :

كان هناك بعض الأطباء ملحقين بالمصانع أو محل العمل ، كما يظهر ذلك فى منظر وجد على جدار حجر حاتتوب يمثل طبيبا ملحقا بالمحجر[٤] . وفى نقوش مقبرة ايبى المعمارى نرى شخصا ربما كان طبيبا يعدل كتفا مخلوعا لعامل . وآخر ينتزع من عين أحد العمال جسما غريبا ، بينما يتألم ثالث من مطرقة وقعت على قدمه [٥] . وكما ذكرنا من قبل كان يوجد طبيب لمعالجة طبقة العمال فى دير المدينة

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨١ ، ١٥٣ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ١٢٩ ؛ وأيضا :

Weigall , Histoire de L'Égypte Ancienne , p. 57 .

(٣) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٣٠ – ٥٣١ شكل ٤٢٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٣١ .

بالبر الغربى فى طيبة .(١)

كان المصريون جميعا يتمنون أن يبلغوا سن الشيخوخة . وكان الرجل الذى يحتفظ بمظاهر القوة بفضل العناية بصحته كان يثير إعجاب الجميع . وعندما قيل للملك خوفو أن هناك ساحر يعيش فى عهده يدعى جدى ويبلغ من العمر مائة سنة وعشرا . وان هذا الساحر العجوز يأكل يوميا خمسمائة رغيف من الخبز وفخذ ثور من اللحم ، ويشرب مائة إناء أو جرة من الجعة فأمر الملك باستدعائه ليقيم بجواره ، ووعده بأن يطعمه بأفضل أنواع الطعام . واعترف كبير كهنة آمون " رومى روى " بانه بلغ سن الشيخوخة وهو فى خدمة آمون الذى غمره بعطفه .(٢)

كان عدد الخدم والموظفين كبيرا لدى حكام الأقاليم وقواد الجيش وكبار الكهنة ، وكل من بلغ من هؤلاء الخدم والموظفين سن الشيخوخة كان السيد يلحقهم بوظيفة بسيطة تتناسب وقواهم . وبذلك يكفل لهم العيش والمأوى إلى أن تحين ساعتهم . وكانت البلاد تعنى بالمعمرين فى حياتهم . فعندما وصل سنوهى إلى سن الشيخوخة ن سمح له بالعودة إلى مصر وأعد منزلا جديدا ، وكان يؤتى إليه بالطعام من القصر الملكى ثلاث مرات واربعا كل يوم ، علاوة على ما كان يمده به دائما أولاد الملك .(٣)

المشكلات الاجتماعية :

من نماذج المشكلات الاجتماعية الفقر أو البطالة أو سوء الحالة الاقتصادية . فهناك مشكلة البطالة المؤقتة ، وهى أن عامة المزارعين لم يكن لديهم

---

(١) Valbelle , les Ouvriers de la tombe, p. 127 – 128 .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٤٠٦ – ٤٠٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٠٧ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٩٩ .

عمل يشغلهم إبان الفيضان منذ ان تغمر مياه الفيضان أراضيهم حتى تبدأ فى الجفاف وتعد للبذر . وفترة فراغ أخرى بعد نمو النبات وجمع الحصاد .

وقد عرف ملوك مصر القديمة كيف يستغلون ذلك الفراغ المؤقت ، فى استثمار الأيدى العاملة طوال فترة البطالة المؤقتة وخاصة وقت الفيضان لنقل الأحجار من محاجر طره إلى حافة الصحراء الغربية . وكان العمال يؤجرون على هذه الأعمال ولا يسخرون ، يتناول أجرهم طعاما وكساء ومأوى [١] . وكان يحدث أحيانا ثورة عامة أو إضراب عام عند تأخير تسليم مقررات التعيين الواجبة للعمال . فهناك بردية ترجع إلى العام التاسع والعشرين من حكم رمسيس الثالث ، تذكر لنا إضراب عمال البر الغربى عدة مرات لتأخير صرف مستحقاتهم الشهرية لمدة شهرين . استمر إضرابهم فى إحدى المرات لمدة ثلاث أيام ، خرجوا فيها من قريتهم دير المدينة واعتصموا خلف أحد المعابد ، ثم اتجهوا بعدها إلى معبد الرمسيوم الذى كان مركز الإدارة فى المنطقة ويضم مخازن الغلال . وهناك شرحوا أسباب إضرابهم لحراس المعبد وكهنته وقالوا :

" ساقنا إلى هنا الجوع والعطش ، فليس لدينا كساء ولا دهون ولا سمك ولا خضر ، فأخطروا مولانا الملك واكتبوا إلى الوزير المسئول عن حالتنا يعطينا ما يقيم أودنا "[٢] . وفتحت لهم المخازن وصرفت لهم مخصصات شهر سابق ، وتجمعوا عند مركز الشرطة ليطلبوا مخصصات الشهر الذى اضربوا فيه ، فطلب منهم رئيس الشرطة عدم الإخلال بالنظام ووعدهم بان ينضم إلى اعتصامهم فى اليوم التالى إذا لك تحقق مطالبهم . وتجرأ العمال فى إضراب ثالث واستمروا فى شكواهم فأرسل إليهم وزير الجنوب من يقول لهم باسمه :

" تقولون لا تهضم حقوقنا ، فهل تظنون اننى عينت لأغتصب وأنهب ؟ ان

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٨ – ٤٩٩ .

(٢) ترجمة د. عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم : مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ٢٥٠ – ٢٥١ .

واجبى هو أن أعطى ....فلو كانت اهراء الغلال خاوية فلسوف أرسـل إليكم ما أستطيع أن أدبره " .[١]

واشتدت الضائقة المالية بطبقة العمال فى أواخر أيـام الأسـرة العشـرين وارتفعت أسعار الغلال وبقية الأقوات إلى ثلاثة أمثالـها [٢] .وتكـررت إضرابـات العمال فى غرب طيبة وحدث ان عطف عليهم عمدة البر الغربى فصرف لهم خمسين غرارة من الحبوب من مخازن معبد الرمسيوم حتى يتعيشوا بها إلى أن يصرف لـهم مخصصاتهم من شون الملك .

وبالإضافة إلى حالة إضراب العمال فهناك حالات تذمر فردية من أوضـاع الظلم . مثل ما جاء على بردية القروى الفصيح الذى لم يخضع لظلم تعرض له أصر على أسماع صوته إلى مسئول القصر الملكى حتى نـال حقه [٣] . وكان الملك يتدخـل بنفسه لرفع هذا الظلم واصلاح الفساد ويسن مجموعة من القوانين الرادعـة . فمثـلا اصدر الملك حور محب مجموعة من القوانين لمحاربة الفساد الذى ساد بين طبقـة الموظفين ولرفع ما يقع على صغار المزارعين من ظلم واستغلال والاستيلاء على ما يخصهم . وإذا نظرنا إلى هذه التشريعات نجد أن بنودها واضحة فيما يخص محاربـة

---

(١) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٢٥٠ ؛ تـاريخ مصـر القديمـة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجـزء الأول ، ص ٣١٢ – ٣١٣ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجـزء٥ : الحضارة المصرية ، ص ٩٠ – ٩١ ؛ د. بهاء الدين إبراهيم : الشرطة والأمـن الداخلى فى مصر القديمة ، ص ١٩٩ – ٢٠٩ .

(٢) هناك وثيقة تبين ارتفاع السعار فى طيبة فى بدايـة الأسرة الثامنـة عشـرة ، راجع :
Drioton, BSFE 12 (Fevrier 1953) , p. 12 – 18 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٣٩٤ ؛ بيير مونتيـه : الحياة اليومية فى مصر فى عـهد الرعامسـة (ترجمـة عزيـز مرقـس) ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

هذا الفساد فنجد في :

القسم الرابع : العقوبات التى يتعرض لها الموظفين الملحقين بمكتب قرابين الملك الذين كانوا يذهبون إلى القرى لأخذ نبات " كث " (نبات مقدس) ويجعلون العبيد الذين يعملون عند بعض الخاصة يعملون لصالحهم دون رضاء سادتهم .

القسم الخامس : خاص بمعاقبة الجنود الذين يذهبون إلى الفلاحين للاستيلاء على جلود الحيوانات دون وجه حق .

القسم السادس : خاص بمعاقبة موظفى الضرائب الذين يتلاعبون بالمخصصات المستحقة على بعض الفلاحين .

القسم السابع : خاص بمعاقبة الموظفين الذين يأخذون من الفلاحين نبات " سم " والذى كان ضروريا لعمل الجعة بحجة انه يؤخذ من أجل ضرائب الملك .

القسم الثامن : يتناول العقوبات التى تقع على بعض الموظفين لأخذهم بعض الحبوب أو الخضروات من الفلاحين دون وجه حق باسم الملك .[1]

ثانيا :الأسرة :

كانت الأسرة عماد المجتمع فى مصر القديمة ، وكان الزواج من أهم العوامل التى تقوم عليها سلامة بناء المجتمع المصرى والترابط الاجتماعى ، واعتقد المصريون القدماء أن الزواج المبكر فيه حماية للشباب ، وأنه خير حل لمشاكل المراهقة وما ينتج عنها من عقد وانحرافات فى المجتمع . ولهذا حثت الحكم والتعاليم الشاب على الزواج المبكر وتكوين أسرة [2] فتكوين الأسرة عند المصريين القدماء كان أمرا بالغ الأهمية وكان لابد من المحافظة على تماسكها وعدم تفككها . وكما حثت

---

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، طبعة ١٩٨١ ، ص ٣٣٧ (٤-٨) .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٣ ؛ د. أحمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١١٨ .

عن الأسرة ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I , p. 501 – 504.

التعاليم على الزواج المبكر فإنها حثت أيضا على الاستقامة والبعد عن الإثم والخطيئة فتقيها إساءة إلى المجتمع الذى يعيش فيه الإنسان وهو أمر يخالف آداب السلوك التى يجب ان يتحلى بها المصرى داخل مجتمعه .

وكانت الأسرة تتكون من الأب والأم والأولاد والأخوة والأخوات والأقارب والأصهار والخدم والجميع الأفراد الذين يعاونون رب الأسرة فى إدارة شئون ضياعه إذا كان من طبقة الأثرياء او على جانب من الثراء .

الزواج :

إذا ما كبر الشاب واشتد عوده ، وكان له مصدر رزق يقتات منه ، فكان أول ما يفكر فيه هو الزواج . وكان الزواج يتم فى سن مبكرة فالفتاة كانت تتزوج ابتداء من سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة [١] . أما الفتى فكان يتزوج عادة ابتداء من سن الخامسة عشر . ويذكر د. علام أن الزواج فى العصر البطلمى كان فى سن العشرين . ونعرف من نص العصر البطلمى أن هناك فتاة تزوجت وهى فى سن الرابعة عشرة [٢] . وهذا السن المبكر للزواج كان معروفا أيضا فى العصر الرومانى . وربما كان هذا التقليد سائدا كذلك فى العصور السابقة على العصر اليونانى – الرومانى ، لأن النصوص من قبل هذه الفترة لم تذكر لنا السن الفعلى الذى كان يتزوج فيها المصريون [٣] . وكان الغرض من الزواج المبكر هو ان ينجب

---

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ ؛ د. أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ١٩٧٩ ، ص ١٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٠٥ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ، الحضارة المصرية ، ص ٦ .

(٢) Allam, Everyday life in Ancient Egypt, Cairo (1985) , p. 33 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ .

الشاب ابنا يقوم على تربيته ورعايته وهو فى سن الشباب . ويقول الحكيم آنـى مـن الأسرة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين فى تعاليمه لأبنه :

" اتخذ لك زوجة وأنت فى شبابك حتى تنجب لك ابنا وأنـت شـاب علمـه ليصبح رجلا ، فما أسعد الإنسان الذى يكثر أهله ويحبيـه النـاس بـاحترام بسـبب أولاده "(١) . ويقول عنخ شاشنقى من عام ١٠٠ ق.م (العصر البطلمى) فى نصائحه لأبنه : " من أفضل النعم زوجة حكيمة " .

" لا تهجر امرأة فى دارك لأنها عقيم :

" تخير زوجا عاقلا لأبنتك ، ولا تتخير لها زوجا ثريا " .(٢)

الشروط الصحية للزواج :

كان الزواج بين أفراد الأسرة الواحدة معروفا فى العصور المتأخرة . ولكـن الزواج بين الأخ والأخت بالمعنى المفهوم فلم يكن معروفا فى تاريخ مصر القديـم ولا حتى فى العصر البلطمى ، ولكن بالنسبة للقـب أخ وأخـت الـذى أوردتـه بعـض النصوص بين الزوجين ، فهو يعبر عـن الـترابط الأسـرى وقـوة العلاقـة بيـن الزوجين .(٣)

وقد رأى بعض الرحالة اليونان أولا وتبعهم كثيرون من علماء الدراسـات المصرية القديمة بعد ذلك ، أن الزواج بين الأخوة كان معروفا أو مباحا فـى مصـر القديمة . إذ يوجد ملوك تزوجا من أخواتهم أو بناتهم أيضا ، ولكن هذا أمر مشـكوك فيه إلى حد كبير ، ولم نعثر فى النصوص حتى الآن على نص واحد يذكر أن شخصا

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٣ ، ٤٤٤ .

(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم : مصر والعـراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ ، ص ٣٦٧ حاشية (٥٢) .

(٣) Allam, op. cit., p. 33 – 38 .

مصريا واحدا من الطبقة العليا أو من الوسطى او من الدنيا قد تزوج أخته مــن أمــه وأبيه . ولم يكن هناك قانون يسمح لمن يشاء بالزواج من أخته . وعندما سأل قمبــيز القضاة الملكيون إذا كان هناك قانون يسمح لأى شخص بأن يتزوج من أخته ، أجابوه بأنه لا يوجد قانون يسمح بذلك فى مصر ، ولكن يوجد قانون آخر يعطى الملك الحــق فى أن يفعل ما يشاء [١] . ولاشك فى انهم أدركوا مدى خطورة زواج الأخ من أختــه على عامل الوراثة .

كان الزواج فى مصر القديمة يتم بمجرد البلوغ . وكما حثت الحكم والتعاليم الشاب على الزواج وتكوين أسرة ، حثته كذلك على البعد عن الإثم والفجور ، لما فى هذا من حماية للشاب والمحافظة على صحته . وكانت تجرى عملية الختان للذكــــور بين السادسة والثانية عشرة من أعمارهم فى المعابد . وكانت تمارس أيضا بالنســـبة للملوك والكهنة وكل من يقوم بأية طقوس دينية .

ونرى فى مقبرة عنخ – ما – حور بسقارة من عصر الأســرة السادســة ، الكاهن المختن ، وهو يقوم بعملية الختان بآلة مستطيلة . وهناك منظر آخــر لعمليــة الختان فى معبدآمون بالكرنك وكانت تمارس بآلة أشبه بمشرط . ويذكر هـــيرودوت إن المصريين القدماء كانوا أول من عرف الختان من شــعوب الشــرق القديــم [٢] ، ويرى سترابون أن الختان كان يزاول أيضا بالنسبة للإناث [٣] ولكن لا يوجد أى دليل على ذلك .

ومن نصوص عقود الزواج نعرف أن ما يعرف بالفوارق بين الطبقات لـــم

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Égypte Pharaonique, p. 587 .
د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربيــة والتعليــم فــى مصــر ، ص ١٣٩ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٣٣ – ٥٣٤ ، شــكل (٦) ؛ Pillet, les Scènes de naissance et de circoncision, dans ASAE 52 (1952), p. 77 .

يكن له أثر كبير فى التفرقة بين الرجل والمرأة . ولا يشترط لأتمام الزواج أن يكون الشاب فى المستوى الاجتماعى نفسه للفتاة . فقد تتزوج الفتاة أحد اتباع ولى أمرها إذا أعجبته وأعجبها ، مثل القزم الذى تزوج من أميرة فى عصر الأسرة الخامسة ، أو يتزوج الفتى خادمة تعمل فى أسرته إذا وجدها تروق له (١) . وهناك وثيقة تخبرنا أن الزوج كان مجرد جندى بسيط بينما عروسه كانت على درجة كبيرة من الثراء وجلبت له إرثا كبيرا فى المنزل .(٢)

ولكن كان يأخذ فى الاعتبار أحيانا صغر سن الشاب المتقدم للزواج ودرجة ثقافته وأن كان يحتل وظيفة مرموقة او يمتلك ثروة ، او من عائلة ذات اسم معروف ومشهور . فهناك وثيقة من القرن السادس عشر او الخامس عشر ق.م . تشير إلى زواج ضابط كان حاصلا على شهادة دراسية .(٣)

كان هناك الزواج الدائم المستقر الذى يكتفى فيه الزوج بالزواج من زوجة واحدة شرعية ، لأن العادات والتقاليد والظروف الاقتصادية كانت تحتم عليه الاكتفاء بزوجة واحدة (٤) . ولكن تعدد الزوجات كان مباحا عند الملوك وبقية أفراد الطبقة العليا وكان له ما يبرره ، ولكنه نادرا عند أفراد الطبقة الدنيا . ولدينا عدة أمثله عن تعدد الزوجات فمن الأسرة السادسة هناك الأمير مرى رع الذى تصوره النقوش محاطا بست زوجات . وتذكر لنا النصوص أن احد نبلاء الدولة الوسطى ويدعى امينى كانت له زوجتان ، كانتا تعيشان فى وئام ومحبة ، حتى أن الأولى قد أنجبت ثلاث بنات وولد واحد ، وأنجبت الثانية ولدين وخمس بنات ، واسمت الأولى بناتها باسم ضرتها وسمت الثانية بناتها باسم ضرتها أيضا .(٥)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) Allam , op . cit ., p. 33 .

(٣) Id., op . cit ., p. 30 .

(٤) Id., op. cit ., p. 27 .

(٥) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٩ – ٢٠ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

ونعلم من بردية سرقات المقابر من نهاية عصر الرعامسة ان أحد الأشخاص الذى اشترك فى نهب المقابر كانت له أربع زوجات ، اثنتان كانتا على قيد الحياة حينما كانت قضيته معروضة أمام المحكمة وكانتا على وفاق تام (١) . ومن أسباب تعدد الزوجات هو أن تكون الزوجة عاقرا ، فهذه زوجة عاقر تطلب من زوجها الزواج عليها ، وتلك تلعن ضرائرها ، وثالثة تفضل لزوجها أن يتزوج عليها ، بدلا من أن يغرق فى علاقات غير مشروعة مع نساء أخريات ، ينفق عليهن فى بذخ ، ويجلب لها ولأولادها العار .

وجاء فى نص آخر أن عجوز يئست من عقمها فأشارت على وجها ان يتزوج من جارتها ابتغاء الأنجاب ، فأطاعها الزوج وتزوج من الجارة فأنجبت له البنين والبنات وقرت عينه بهم ، وتقبلت الزوجة العجوز الأمر الواقع وتبنت أبناء جارتها ، وخصصت لهم جزءا من ثروتها المتواضعة ، وزوجت بنتا منهم وتكلفت بكل شئ .(٢)

وهناك نص كتب بالديموطيقية على اوستراكا محفوظة فى ستراسبورج (مؤرخة من العصر البلطمى) يقص علينا أن شخص كان يعمل مربيا للوز وقع عقدا للزواج من فتاة لمدة تسعة أشهر ، وفى مقابل ذلك قدم إليها كمية من المال ، واشترط عليها أنها ستفقد هذا المال إذ هى طلقته قبل هذا التاريخ المتفق عليها (٣) . وكان الزواج بين رجل حر وإحدى العبيد كان مباحا ، فهناك نص على بردية فى متحف اكسفورد يقص علينا ان رجل حر أراد أن يتزوج من إحدى العبيد التى كانت تمتلكها أخته . فاضطرت الأخت إلى عتق العبده ووهبته إياها مع بعض الإرث (٤) .

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٧٣ .

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٥ ، ٢٠ .

(٣) Allam , op. cit ., p. 36 .

(٤) Id., op. cit ., p. 30 , 34 .

وترجع هذه البردية إلى القرن الحادى عشر ق.م .

ويمكن ان تتزوج مصرية من عبد عتقه ، فهناك نص على تمثال صغير فى متحف اللوفر ينص علينا ان شخص أراد أن يزوج أبنة أخيه من أحد عبيه ، فأعتقه أولا ثم وهبه بعد ذلك ميراثا (١) . كما كان من حق المصرى ان يتزوج من أجنبية ، ومن آسيوية أو نوبية ، ففى بردية فى متحف تورينو ، نجد نص بهذا المعنى(٢) . كما كان يمكن للمصرية ان يتزوج من أجنبى ، فهناك لوحة فى متحف برلين صور عليها أحد المرتزقة الآسيويين ومعه زوجته المصرية .(٣)

خطوات الزواج ومراسيمه :

كان الزواج يتم بناء على رغبة متبادلة بين الفتى والفتاة ، وقد وصلت إلينا من عصر الدولة الحديثة ، مجموعة من أرق الأشعار الغزلية التى تفيض عذوبة (٤) . والتى نلمس فيها حبا تشع فيه العفة والحنان ، وهى مجموعة من الأغانى الغرامية المدونة على أوراق البردى المحفوظة فى متحف لندن وتورينو . وكان الشاب يخاطب فيها حبيبته بلفظ " اختى " وهى تخاطبه باللفظ نفسه " أخى " (٥) . وهناك أيضا الأغنيات التى يغنيها رجل وهو يضرب على إحدى الآلات الموسيقية ثم ترد عليه حبيبتهوقد أخذايتناجيان فى رقة وعفة وهى تقول له يا أخى وهو يناديها يا اختى ، ويقص كل منها للأخر ما يحمل فى نفسه من شوق وحنان حتى يحين موعد الزواج .

وكل ذلك يبين أن الشاب كان يتمتع بحرية كبيرة فى اختيار شريكة حياته .

---

(١) Id ., op . cit ., p. 30 .

(٢) Id ., op . cit ., p. 30 .

(٣) Id ., op . cit ., p. 34 .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٢٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٤٢٥ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

وقد يتقابل المحبان ويتفاهما ، ولكن كلمات الارتباط لم ينطقا بها وبعد ذلــك يذهــب الشاب إلى منزل الفتاة ليطلب يدها ، واخذ راى أبيها . وكانت هذه الخطوة من التقاليد المتفق عليها فى العائلات المصرية . وفى حالة عدم وجود الأب ، فيمكن لعم الفتــاة او أمها بالتبنى ان تحل محل الأب . وبعد ذلك يأتى دور والدى الشاب اللذين يباركان هذه العلاقة وهذا الارتباط ويتفق الآباء على عقد الزواج . وفى كثير مــن الحــالات كان الآباء أو كبار السن فى العائلتين هم الذين يقررون ميعاد عقد القران .(١)

وكان من حق الفتاة الحصول على هدايا الخطوبة قبــل الــزواج ، وهدايــا الزواج بعد ذلك فهدية الخطوبة عبارة عن سوار من الذهب أو الفضة . وهى التــى تذكرها بعض الوثائق تحت اسم " هدية البكارة "(٢) . وبعد ذلك يتم الاتفاق على تحديد يوم الزفاف وانتقال العروس من بيت أبيها إلى بيت خطيبها ، كل علــى العروســين وأقاربهما والشهود ان يتواجد أمام موظف حكومى لقيد أسماءهما مع تســجيل عقــد الزواج ، وبعد أن يتم الكاتب مهمته يذهب العروسان وأقاربهم إلــى معبــد المعبــود المحلى حيث يقومون بتقديم القرابين وتلقى البركة من كهنة المعبد . مما يسبغ علــى الزواج صبغة دينية ، ويبدوا أن مراسيم عقد الزواج إنما كانت تتم فى المعبد بحضور أقرباء العروسين . وفى عصر الدولة الحديثة كان الزواج تتم مراسيمه عــن طريــق كاهن آمون (٣) وتشير قصة خع أن واست مــن العصــر البطلمــى والتــى كتبــت بالديموطيقية إلى أنه كان من المتبع عقد حفل للزواج (٤) . وبعد هذه الاحتفالات يعـود العروسان إلى منزلهما . إما أن يكون منزلا قد أسسه الزوج نفسه . أو يكون مــنزلا

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٦١ – ٦٢ .

(٢) Allam , op. cit ., p. 36 .

(٣) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشــرق الأدنــى القديــم ، الجــزء ، الحضارة المصرية ، ص ٧ .

(٤) Allam , op. cit ., p. 29 .

وقد سجل الملك أمنحتب الثالث احتفالات زواجة من الملكة تى على جعــارين كبيرة الحجم ، راجع : Fraser, PSBA 21 (1899) , p. 155 – 156 .

للزوجة بناه لها والديها أو أنها هى التى شيدته بنفسها أى علـى نفقتـها (١) . وبـالمتحف المصرى صندوق من الخشب الملون لجهاز عـروس عـثر عليـه فـى كـوم اوشـيم (كارنس القديمة) من أواخر القرن الثالث الميلادى .(٢) كما يوجد بالمتحف سلة تحتـوى على أدوات زينة لامرأة ، ضمنها إبرة فى صندوق من البردى وخيوط ومشطان ومكـاحل ومراود . والكحل الموجودة من مادة سلفات الرصاص .(٣)

عقود الزواج وأهم بنودها :

يكاد مركز المرأة يرقى إلى ما تنعم به فى الوقت الحالى . ولعل شعبا قديما آخر لم يكرم المرأة ويرفع من شأنها مثلما فعل المصريون القدماء . وفى شـئ مـن الضيـق يروى ديودور الصقلى ، وهو يونانى عاش فى النصف الأخير من القرن الأول الميـلاد ى ، بأن الرجل على ضفاف النيل هو الذى يفرض عليه عقد الزواج الطاعة لزوجته . وكـان من رأى ديودور أن المرأة هى التى كانت تطلب يد الرجل وتعرض الزواج منه فى بعض الأحيان . ولقد استبدت الدهشة بالرحالة اليونانيين من هذا الوضع فقد دأبو على مشـاهدة ربط نسائهم بحبل قصير وجرهن وراءهم (٤) . وصلت إلينا وثائق عديدة عـن الـزواج ترجع إلى العصر المتأخر (من القرن الحادى عشر إلى القـرن الرابـع ق.م) ، وهـذه الوثائق عبارة عن عقود زواج كتبت بالخط الهيراطيقى المختصر أو غير العادى . وعـثر على بردية هى عقد زواج فى جزيرة الفنتين من عصر الملك نختنبـو الثـانى (٣٥٩ – ٣٤١ ق. م) وهذه البردية بالمتحف المصرى الآن .(٥) كما عثر فى الفنتين علـى عقـد زواج كتب باليونانية ويرجع إلى عام ٣١١ – ٣١٠ ق.م وهـو محفـوظ الآن بـالمتحف المصرى (٦) ويوجد بالمتحف نفسه عقد زواج يرجع تاريخه إلـى عـام ٢٣١ ق.م بيـن

---

(١) Allam , op . cit ., p. 35 .
(٢) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحـة الآثـار ١٩٦٩ ، ص ١٦٣ (٦١٧٩) .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٧٣ (٦٢٣٢) .
(٤) د. إيفار ليسنر : الماضى الحى ، حضارة تمتد سبعة آلاف سـنة (ترجمـة شـاكر إبراهيم) ص ، ٨٥ .
عن الزواج والانفصال ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 340 – 345 .
(٥) Farid, MDAIK 46 (1990), p. 251 – 261.
(٦) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية – بـيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٩٧ (١) .
راجع بنود عقد الزواج المسجل على بردية بالمتحف المصرى مـن العصـر البطلمى قام بترجمتها : Allam, RdE 35 (1985), p. 1 – 21

ايمحوتب وتاحتر[١]، ولنا أن نعتقد أن مثل هذه العقود كانت معروفة أيضا فى العصور السابقة على هذه القرون ، وأن العقد الذى وصل من القرن الرابع (أو الثالث ق.م) إنما هو صيغة متطورة من عقود حررت قبل ذلك من عصور سابقة ، ويرى بعض العلماء أن أقدم وثيقة للزواج ترجع إلى عصر الأسرة الثانية والعشرين وترجع أقدم وثيقة للانفصال إلى الأسرة السادسة والعشرين[٢] أما بخصوص نماذج عقود الزواج فيمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع :

(١) عقود يذكر فيها تقديم المهر فى بداية الوثيقة .
(٢) عقود تدل على حصول الزوج على قيمة من المال من الزواج بمناسبة عقد الزواج .
(٣) عقود تسمى وثائق الإعاشة أو الإعالة والتى تضمن للزوجة حصولها على حقوقها فى الغذاء والرعاية .

وما جاء فى هذه الوثائق من بنود يدل على مدى المحافظة على حقوق المرأة وحمايتها [٣] . والعقد مقسم إلى أكثر من عشرين بندا هى :

١ - التاريخ :

ويبدأ العقد عادة بتاريخ تحرير عقد الزواج ويشمل سنة حكم الملك الحاكم الذى تم فى عصره هذا العقد ويتم أولا ذكر : اسم الشهر ، اسم الفصل ، السنة ، اليوم ، اسم الملك الحاكم . وفى العصر البطلمى كان يكتب أسماء الكهنة البطالمة على النحو التالى :

أ - كاهن الإسكندر الأكبر .
ب- كاهنة ارسينوى فيلادلفوس حاملة السلة الذهبية .
ج - كاهنة برنيقيا يورجتيس الأول حاملة وسام الشجاعة .
د - كاهنة ارسينوى فيلو باتور .

٢ - الإعلان أو الإشهار :

عن طريق فعل " جد " أى " يقول، يتحدث، يعلن، يشهد " .

---

(١) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٦٤ (٢٥٠٦) .

(٢) Seidl , Einfuhrung in die agyptische Rechts geschichte bis zum Ende des Neun Reichs AF 10, 1951 , p. 56;
عن عقود الزواج راجع مؤلف لولدكنز الذى ظهر عام ١٩٦٠
luddeckens , Agyptische Ehevertrage, AA I,Wiesbaden 1960.

(٣) Allam , op. cit ., p. 29 .

٣ – طرفى العقد :

الزوج : يذكر اسمه واسم أبيه واسم أمه وأصله وإن كان مصريا أم أجنبيا أو لود فى مصر من جنسيات أو عائلات ليست من أصل مصرى ، مثل إذا كان من أصل نوبى أو سورى أو آسيوى أو فارسى أو اغريقى ، ثم يذكر بعد ذلك وظيفته .

الزوجة : يذكر أسمها ، واسم أبيها واسم أمها .

٤ –بند الزواج :

هناك أكثر من طريقة للتعبير عن هذا البند يقول : " لقد اتخذتك زوجة ، وللأطفال الذين تلدينهم لى كل ما أملك وكل ما تلدينهم من أطفال هم أطفال لى ...ولن يكون فى مقدورى ان أسلب منهم أى شئ مطلقا لأعطيه لابن آخر ، أو إلى أى شخص فى الدنيا .

٥ – بند المهر أو هدية الزوج :

وهى هبة يعطيها الزوج لزوجته . وهى هدية نقدية أى وزن من الذهب وتكون مصحوبة أحيانا بكميات من الحبوب . ومع مرور الوقت أصبحت مثل هذه الهدية صورية أى ان الزوجة لا تحصل عليها إلا فى حالة الانفصال وتعتبر مساعدة مادية لها .(١)

٦ – بند المعيشة :

وسأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك كل عام . وستضمنين طعامك وشرابك الذى سأخصصه لك شهريا وسنويا . وسأعطيه لك أينما أردت ، وإذا تركتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة . وإذا اتخذت لك ضرة أعطيك مائة قطعة من الفضة .(٢)

٧ – بند الضمان :

أى يمنح الزوج زوجته سلطة كاملة وتفويض وتوكيل شامل فى كل ما يخص حقوقها كزوجة مع توفير الطعام والكساء لها ويقول أبى " تناولى عقد الزواج من يد ابنى كى يعمل بكل كلمة فيه ، إنى موافق على ذلك " . ويوقع الزوج ويقر بأنه سوف يعمل بكل كلمة جاءت فى هذا العقد ، وأنه موافق على كل بنود العقد .

---

(١) Allam, op. cit ., p. 41.

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ .

٨ - بندا الانفصال :

الاول : ويذكر فيه. أسباب الانفصال فيقول الزوج : " إذا طلقتك وكرهتك وأحببت امرأة أخرى فأنني سأدفع لك أوزان من الذهب أو الفضة المتفق عليها بالإضافة إلى المهر المذكور أعلاه أما إذا كان الانفصال من جانب الزوجة فيقول الزوج :

الثاني : ويذكر فيه للزوجة " إذا كنت أنت التى ترغبين فى الرحيل أو ترك المنزل أى أنت التى تطلقيننى أى تهجرينى كزوج . فلك الحرية فى الانفصال " ويقول الزوج فى إحدى الوثائق : " لقد طلقتك كزوجة وأننى مبتعد عنك طبقا لقانون الزواج أنه أنا الذى قال لك اتخذى لنفسك زوجا . وليس الا أى ادعاءات قانونية على الأرض ضدك بصفتك زوجة من اليوم فصاعدا مع الالتزام وبدون تقاضى وبدون أى خداع .(١)

٩ - بند حماية الأولاد :

------------ إذا كان الانفصال من جانب الرجل فإنه يعطى الزوجة باسم الأطفال الصغار (أو الذين سيولدون فى المستقبل أى إذ ترك زوجته حاملا) كل ما يملك من أوزان ذهب وفضة ومواد وموارد غذائية وأملاك أخرى يكون قد حصل عليها أثناء زواجه . وفى هذه الحالة لا تكون الزوجة مالكة لهذه الأملاك ولكن تعتبر مديرة أو مشرفة أو وصية عليها لصالح الأولاد . وبالنسبة للأولاد يتعهد الزوج بين الأولاد المولودين له من صلبه هم سادة كل شئ يمتلكه وكذلك كل ممتلكات الأم والأب . ويقر بأن ابنه الأكبر هو سيد كل شئ يملكه وكل شئ سوف يمتلكه من قطعة أرض زراعية أو منزل . ويقول : " ابنك الأكبر ابنى بين الأولاد الذين سوف تنجبيهن لى . والأولاد الذين ستلدينهم لى سادة كل شئ . وكان هناك ثلاث صيغ مختلفة لتوفير أسباب العيشة الكريمة للأولاد .

١٠ - بند القسم :

------------ أى يقسم بأنه لن يقوم بأى إدعاء ضدها ويقول : " لن اتمكن من تأدية قسمى ضدك أمام المعبود أو أمام الفرعون ابتداء من هذا اليوم وما بعده " أو " القسم الذى سيؤديه شخص ضدك أو ضدى فى المحكمة لكى تؤديه أنت أو أؤديه أنا بسبب قانونية كل الكلمات المذكورة أعلاه " .

---

(١)- Reich , A Demotic Divorce , MIZRAIMI (1933) p. 135 - 139 .

١١– بند الأشياء والممتلكات التى تحضرها الزوجة إلى منزل الزوجية :

كان يدخل ضمن ممتلكات الزوجة الأثاث من أسرة ومقاعد ومرايا ، وكذلك ملابسها وحليها من الذهب ، وهذا بالإضافة إلى المقتنيات الأخرى مثل الأوانى النحاسية الخاصة بالمطبخ ، وأدوات الزينة والحلى من الذهب أو الفضة وأحجار كريمة ، أو أوزان من الذهب أو الفضة ، أدوات زراعية ، آلات موسيقية ، أو حيوان مستأنس (.القطة) ، وهى أشياء كانت الزوجة تحضرها معها من منزل والديها ، ويمكن للزوج ان يستخدمها ولكن تبقى طوال فترة الزواج من ممتلكاتها . ولابد أن تدرج مثل هذه الأشياء فى قائمة ويذكر فى نهايتها الثمن الإجمالى لهذه الأشياء أما أحضرت الزوجة معها كمية من الحبوب فأنها لا تدرج فى هذه القائمة .(١)

١٢ – الممتلكات المشتركة :

فكما للزوجة ممتلكات ، كان للزوج أيضا بعض الممتلكات التى كان يشتريها أو يديرها بنفسه ، وكانت هذه الممتلكات مشتركة بينهما . وكان الزوج يأتى بالثلثين ، والزوجة بالثلث الباقى (من مساعدة من الوالدين فى حياتهما او من ميراث ورثته من والديها بعد مماتهما) . وقد يكون للزوجة ملكية خاصة ورثتها من زوج سابق ، فمن حق الزوج الثانى أن يشاركها فيها . فإذا توفى أحدهما كان من حق الآخر الانتفاع بنصيب المتوفى وإذا تزوج الرجل من امرأة أخرى بعد وفاة زوجته الأولى ، عليه أن يخصص ثلثى الأموال التى كان يشارك فيها زوجته لأولاده من زوجته الأولى وأن يستبقى لنفسه الثلث الباقى . كما كان من حق الزوجة ثلث هذه الأموال إذا توفى زوجها والثلثين الباقين لأولادهما من زوجها .(٢)

١٣ – ممتلكات الوالدين :

وهى ممتلكات كان يرثها الزوج من والديه ويحضرها إلى منزل الزوجية وكان من حق الزوجة أن ترث هى وأولادها من هذه الثروة . (٣)

---

(١) عن الممتلكات الزوجية فى مصر القديمة راجع مؤلف بستمان الذى ظهر عام ١٩٦١ . Allam, op. cit., p. 42

Pestman, Marriage and Matrimonial Property in Ancient Egypt, Leiden, p. 196.

(٢) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٧ –٨ حاشية (٣) ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٦٦ . Allam, op. cit., p. 43.

(٣) Allam, op. cit., p. 44.

١٤ – بند النقدية اللازمة لتصبح الفتاة زوجة :

---------------------------- وهى عبارة عن مدفوعـــات نقديـــة تدفعها الزوجة لزوجها ، وهى غير محددة وهذا يعنى أن الزوجة كانت تحضر إلى مـــنزل زوجها ومعها قدر من المال اى الفضة .(١)

١٥ – بند الرهن :

------------- أى كل ما يمتلكه الزوج وما سيمتلكه هو موضـــــع رهـــن لصـــالح الزوجة .

١٦ – بند التعويض فى حالة الانفصال وتحدد قيمة من المال تسمى " نفقة " :

فى حالة الانفصال من جانب الزوج أو الزوجة تمنح الأخيرة التعويـــض الـــذى تريده . وفى حالة عدم إنجاب الزوجة فانها تمنح تعويض بسيط وهى قيمة غير محـــدودة أيضا ، وجاء ذكرها فى العديد من وثائق الزواج ، وهى تعطى للزوج بواسطة زوجتـه أو بواسطة أبيها ، ويقوم الزوج باستثمارها أثناء الزواج ، ولكن إذا حدث انفصال فمن حـــق الزوجة أن تستردها . وفى عقد زواج موجود الآن فى متحف اللوفر يعرب الـــزوج عـــن غرضه فى إلغاء الوثيقة التى حررها لزوجته منذ سبع سنوات مضت ، ويبدو أن زوجتـه قد توفيت فأراد إدخال تعديل بعض الممتلكات وأراد أن يثبت حقوقه فـــى ثـــروة زوجتـــه وميراث أولاده .(٢)

١٧ – بند التأمين ضد الادعاءات غير القانونية :

------------------------------ فقد يدعى شـــخص مـــا أحقيـــة ملكيته للاستيلاء على الأرض أو ممتلكات الزوجة ، فيقول الزوج : " لـــن يســـتطيع أى إنسان على الأرض وكذلك أنا أن يتصرف فى الأرض غيرك . والشخص الـــذى ســـيأتى إليك بخصوصها فإننى سوف أبعده عنك فأنت تمتلكين كل الوثائق والتى حررها الرجـــل لصالحك . والمقصود هنا ممتلكات الزوج .

١٨ – بند تأمين الزوجة من ناحية الوثائق القانونية :

---------------------------- ويقـــال للزوجـــة انتـــى تمتلكين كل الوثائق والتى حررها الزوج بخصوصك والمقصود هنا – بممتلكات الزوج

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨ ؛ Id., op. cit., p. 41

(٢) Id., op. cit., p. 47.

١٩– الوعد الختامي بإعطائها وثيقة بما دفعته :

ويقال للزوجة " وسوف أحرر لك وثيقة محدد فيها ما قمت بدفعه وما هو مذكور عاليه .

٢٠– كاتب العقد :

يحرر هذا العقد كاتب رسمي يقوم بكتابة اسمه واسم أبيه .

٢١ – الشهود :

يقوم كل شاهد أو شاهدة بذكر اسمه واسم أبيه ومهنته وأحيانا لقبه . وكان يشهد على العقد ستة عشر شاهدا من رجال القرية أو الحي . وتسجل أسمائهم يتلوها أسماء آبائهم وأمهاتهم مع ذكر وظائفهم ومهنهم . وهناك ما يشير إلى أن ولى أمر العروس كان ينوب عنها في التوقيع على العقد حتى القرن السابع ق. م . ثم أباح القانون بعد ذلك أن تحضر كتابة العقد بنفسها .(١)

ويوقع الشاهد تحت كلمة " سا " أي " الحافظ أو الراعي " لهذه البنود وكان عددهم يتراوح بين ثلاثة وستة وثلاثون . وأصبح عددهم في العصر البطلمي ستة عشر . وبعد التوقيعات يحفظ عقد الزواج في الأرشيف تحت مسئولية مشرف عام على السجلات الرسمية للدولة .(٢)

الحياة الزوجية :

العلاقات الزوجية :

بعد مراسيم الزواج وعقد القران ، وتبدأ الحياة الزوجية ، ويسكن الرجل إلى زوجه في المنزل ، ويسدهما جو من الود وعواطف الحب . كما كان يسود الحياة العائلية عدة فضائل . وكان المصريون احرص الناس على إقامة علاقات زوجية ناجحة وموفقة ، فحرص كل مصري على إسعاد زوجته ومعاملاتها بالحسنى ورعايتها والمحافظة عليها . فأغلب المصريات كن زوجات مثاليات صالحات ، وأمهات طيبات . وعرفت الزوجة المصرية بالطاعة وحسن العشرة والوفاء والحنو الصادق والبر الخالص والسيرة الطيبة الحسنة ، فهي تبذل كل ما في

---

(١) د. بيومي مهران : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) EL Amir, A Family Archiv From Thebes, p. 50.

وسعها لرعاية زوجها وتدبير شئون حياته (١) . وأكثر المصريين كانوا أزواج أوفياء ذوى طبيعة خيرة ، وكان الزوج لا يتوانى فى بذل كل ما يستطيع من نفقات فى سبيل إسعاد قلب زوجته وإدخال السرور عليها بكل ما هو طيب ، وكان يحرص على توفير سبل الراحة المادية والمعنوية لها . وكان يمنحها الحرية لأنه كان يثق بها ، فهى تروح وتغدو كما تريد ، فلم يمنع المصرى زوجته من ان تخرج او تتحدث مع من تشاء وتفعل ما تريد ، ولكن كل ذلك فى حدود آداب السلوك المعترف بها وعدم إخلالها بواجباتها الزوجية .

وقد حثت الصيغ والنصوص التى جاءت فى بعض التعاليم على أهمية المحافظة على العلاقات القوية التى تربط بين الزوجين ودور الزوج نحو زوجته . وتشير تعاليم بتاح حتب من الأسرة الخامسة إلى مسئوليات الرجل الأسرية وواجباته نحو زوجته . وفى سياق حديثه صور لولده سبل الاستقرار فى الأسرة قائلا له :

" إذا أصبحت رجلا معروفا ، فتزوج ، وأحبب زوجتك كما يليق بها ، قدم لها الطعام واستر ظهرها بالملابس فأفضل دواء لأعضائها هو العطر الطيب ، اسعد قلبها ما حييت ، إنها حقل خصب لولى أمرها ولا تتهمها عن سوء ظن ، وامتدحها يقل شرها ، فإن نفرت راقبها ، واستمل قلبها بعطاياك تستقر فى دارك ، وسوف يكيدها أن تعاشرها ضرة فى منزلها .... " .(٢)

---

(١) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٢٢ . وتطلق بعض النصوص على الزوجة لفظ " حبسيت " أى لبست أى لباس (راجع : د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ١٥٦) مصدقا لقوله تعالى فى سورة البقرة : آية ١٨٧ " هن لباس لكم وانتم لباس لهن " .

(٢) Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 391 .
د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم فى مصر والعراق ، طبعة ١٩٨٢ ، ص ٣٥٩ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٣ – ٤٣٤ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٨-٩ .

يفهم من كلمات بتاح حتب أنه كان خبيرا بطبائع النفوس ، فالزوج مكلــف بأن يطعم زوجته ويكسوها ، وقد بلغ الحكيم الذروة فى فلسفة الحياة ، عندما قال له : " أنها حقل خصب لولى أمرها "(١) . أى ان العلاقة الطيبة تؤتــى بثمارهـا وتعـود بالخير على صاحبها وتأكيد عاطفة الحب بالبراهين العملية عن طريق تقديـم أحسـن الطعام وأفخر الثياب وأفضل العطور وسائر ما تحتاج إليه .(٢) ويؤكـد آنـى هـذه المعانى عندما يقول لأبنه : " كن كريما مع من فى منزلك " .(٣)

" لا تكثر من إصدار الأوامر إلى زوجتك فى منزلك إذا كنت تعـرف أنـها ماهرة فى عملها ولا تسألها عن شئ أين موضعه ؟ احضريه لــى ، إذا كـانت قـد وضعته فى مكانه المعهود . لاحظ بعينيك والزم الصمت حتى تدرك جميل مزاياهـا ، يالها من سعادة عندما تضم يدك إلى يدها (٤) . تعلم كيف تمنع أسباب الشــقاق فــى بيتك ، إذ لا مبرر لخلق النزعات فى البيت ، وكل رجل قادر على ان يتجنب إثــارة الشقاق فى بيته ، إذا تحكم سريعا فى نزعات نفسه "(٥) نرى أن آنــى يوصــى بــأن

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٨ – ١٣٩ حاشــية

(٢) . فى سورة البقرة آية ٢٢٣ نقرأ : " نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم " وذلك على سبيل التشبيه فبالنساء زرع مافيه بقاء نوع الإنسان كما أن بـالأرض زرع ما به بقاء الإنسان أيضا،راجع : الراغب الأصفهانى : المفردات فــى غريـب القرآن ، ص ١١٢.

(٢) فقد شيد الملك أمنحتب الثالث فى البر الغربى ازوجته الملكة تــى وحفـر فــى حديقته بركة كبيرة ، وذلك تكريما لها . وقد جاء ذكر هذه البركة على مجموعة من الجعارين .

(٣) . Suys , la Sagessed'Ani (An. Orient. 11) (1935) , p. xv, L.17

(٤) Suys, op . cit ., p. xix , L.5 .

ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٩ – ١٤٠ ، ٤٤٥ ؛ د. عبد العزيز صالح : المرجــع الســابق ،؛ ص ٣٥٢ ؛ د. أحمــد بــدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

يعامل الزوج زوجته معاملة حسنة ، وألا يتحكم فيها وفيما تفعله ولا يصدر الأوامر إليها ، وأن يحاول أن يدرك مزايا الزوجة ويتجنب أسباب الشقاق فى المنزل ، وأن يرعاها فى صمت . والمصرى القديم لم يكن فى حاجة إلى حكيم يوصيه بحب زوجته ، إذ كان هذا الحب فى طبعه والعطف شريعته . ولكى يعبر الزوج عن تقديره لزوجته فإنه كان يطلق عليها لقب " نبت بر " أى " سيدة المنزل " أو ست الدار " [(١)] ويفهم من هذا اللقب الذى نجده تقريبا فى جميع النصوص فى كل العصور ، أنها كانت تقوم برعاية المنزل وتدبير كل شئونه والمسئولة عن كل شئ فيه وكل ما يخص شئون زوجها وأولادها .

ونعرف مدى أهمية هذا اللقب ، ومن خطاب أرسله أحد الملاك إلى مستأجر عنده يخبره فيه بأنه قرر فسخ عقد الإيجار بينهما . ولكن بعد أن ناقش الأمر مع زوجته غير رأيه ، وعلى ذلك كتبت خطابا إلى المستأجر يخبره فيه بين أمور أخرى : " لقد رجعت إلى بلدى ، وقبل أن أنهى معك موضوع استغلال الأرض ، أخبرك ان زوجتى ، سيدة منزلى ، قالت لى : لا تنزع منه الأرض واعدها إليه ودعه يستغلها "[(٢)] . وكان الزوج يحرص دائما على مناداة زوجته ، كما كان الحال قبل الزواج ، بلفظ " يا أختى " وليس " حمت " بمعنى زوجه ، وتناديه هى أيضا بلفظ " يا أخى " [(٣)] . وقد استقر هذا التقليد فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة تقريبا . وأمام

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٠ ؛ وأيضا : د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ١١٨ . Allam , op. cit., p. 12 .

(٢) Id., op. cit ., p. 12 –1 3 .

(٣) كان الزوج هو الحبيب والأخ والقريب والصديق ، وقد جاءت هذه المعانى على لسان بعض الزوجات فى بعض النصوص . فهذه واحدة تقول فى وداع زوجها : " يا أخى ... يا وجى ... يا حبيبى " (راجع : ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٢٥ ، ٤٣٧) الثانية تقول : " يا أخى يا قريبى يا صديقى " راجع لوحة المتحف البريطانى رقم ١٤٧ من العصر البطلمى : ==

المحاكم كانوا يستخدمون كلمات : سنت " أخت " وحمت " زوجة " [1] للزوجة ، وسن " أخ " وهاى " زوج " للزوج . وعندما استخدم لفظ " حمت " بمعنى زوجة فى النصوص فأنه كان يتبع دائما بالصفة " مريت اف " أى محبوبته [2] . ونعرف أيضا أن الملك اخناتون كان يقسم بحبه لزوجته وبناته .[3] فإذا ما مرت شهور حملت خلالها الزوجة ، وآن أوان الوضع ، فإن هذه البشرى تزف إلى والدى العروسين ، وهنا ينتشون بالسعادة والفرح ويرسلون إلى ابنتهم فى الحال جميع لوازم الوضع ، والهدايا الثمينة [4] وكانت الزوجة ترزق بالأولاد فى سن الخامسة عشرة ، وتصبح جدة فى سن صغيرة .[5]

واهتم المصريون بعملية الولادة التى كانت تباركها معبودة الحمل والولادة مسخنت وتقوم بها قابلا ت متخصصات . وكذلك استعان المصريون بكرسى الولادة

== . James An Introduction to Ancient Egypt, p. 103 , ومما يدل على سمو هذا المعنى فى مفهوم المصرى القديم ، نجد فى بردية اليائس من الحياة أن الرجل يخاطب روحه بلفظ " يا أختى " وترد عليه روحه بلفظ " يا رفيقى ويا أخى " راجع : الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(١) أطلق المصرى القديم على الزوجة عدة ألفاظ : ايـر حمت " يتخذ زوجة (يتزوج) ، ست = " امرأة ، ست حمت = امرأة متزوجة = سيدة ، راجع د. أحمد بدوى – هرمن كيس : المعجم الصغير فى مفردات اللغة المصرية القديمة ، ص ١٥٧ ، ١٩٦ .

(٢) وذلك منذ عصر الدولة القديمة ، راجع :
R.el Sayed, Formules de Pieté filiale, Melanges G.Mokhtar BdE XC 11/1 1985 , p. 272 (10) .

(٣) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٢٨ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

وكانوا يصنعونه من اللبن أو الحجر . وكما رأينا من قبل كان الحكيم آنى قد نصح ولده بان يتزوج فى سن مبكرة حتى ينجب الكثير من الأولاد . وقصة ملاح السفينة الغارقة ، عندما تحدث الثعبان المسحور إلى الملاح الذى ألقت به موجة من البحر على جزيرة هذه الثعبان . وقال الثعبان للبحار " انك ستحضن أولادك " . [١] ولم يكن رمسيس الثانى أقل فخرا بأولاده المائة والستين وأكثر .

وكانت هذه الكثرة فى إنجاب الأطفال معروفة فى العائلات المصرية القديمة عكس ما اعتاد عليه الإغريق نتيجة لخصوبة الأرض واعتدال المناخ . وكان انجاب الذكور هو المفضل . وفى قصة الأمير المسحور نرى كيف أن أباه الملك ظل فترة طويلة يتمنى الولد ويتحرق شوقا إليه[٢] . ولدينا من عهد الملك بطلميوس الثالث عشر قصة زوجة كاهن كبير حز فى قلبها ان أنجبت له ثلاث بنات دون أن تنجب له ولدا ، فتضرعت إلى المعبودات حتى حملت وأنجبت ولدا [٣] . كما خصص جزء فى المعابد البطلمية لعقيدة " الميلاد المقدس " وأطلق على هذه الأجزاء حوالى ٤٨ إسما .[٤]

وكان المصريون شغوفين بمعرفة المستقبل بالنسبة للمولود . فكانوا يعتمدون فى هذا على مجموعة من سبع معبودات معروفة باسم " الحتحورات " [٥] لمعرفة ما قدر للمولود الجديد . وكانوا يعتقدون فيما جاء بتقويم أيام التفاؤل وأيام التشاؤم لمعرفة مستقبل الطفل الذى سيولد فى يوم معين . فمثلا جاء التقويم : " ان كل من

---

(١) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧١ .

(٤) Daumas, les Mammisis des temples égyptiens , Paris (1958), p.513 – 519 .

(٥) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٥ حاشية (١) وهى آخت ، حسات ، إهت ، موت – مين ، محت ورت ، اوريرت ، سخات – حور ، راجع : Daumas, op . cit ., p. 529 .

ولد فى اليوم الرابع من الشهر الأول لفصل الشتاء (برت) سيموت أكبر سنا من كل أقاربه وسيبلغ من العمر أكثر من عمر أبيه ، فكان هذا اليوم ، يوما سعيدا . ومن يولد فى اليوم التاسع من الشهر الثانى من فصل الخريف (آخت) فأنه سوف يموت بسبب الشيخوخة ، وأكثر من ذلك من كان يولد فى اليوم التاسع والعشرين من الشهر نفسه فإنه سيكون محترما حين يلقى منتيه " وعلى العكس من ذلك لم تكن الأيام الرابع والخامس والسادس من هذا الشهر تبشر بما هو حسن إطلاقا ، فإن مواليد هذه الأيام سوف يموتون بسبب الحمى أو بتأثير الخمر والحب . ومن يولد فى الثالث والعشرين من هذا الشهر أيضا فيخشى عليه من بأس التمساح . والظروف التى يولد فيها الطفل ذات أهمية أيضا بالمنسبة لمستقبله . فقد جاء فى بردية ابرس الطبية أنه إذا نطق المولد بكلمة هى Hii عاش ، وإذا قال مبى Mbi فسوف يموت . وإذا أدار وجهه تجاه الأرض فسوف يموت . وكانت تسمية المولد أمر ضروريا وهى أسماء مقيدة جدا فى بعض الأحيان وكان معظم الآباء يؤثرون أن يضعوا أطفالهم تحت رعاية إحدى المعبودات وقد يدل معنى الاسم على رضى المعبود وحمايته .(١)

وبعد أن يطلق الوالدان اسما على مولودهما ، لم يكن عليهما بعد ذلك إلا أن يسجلاه فى بيت الحياة (٢) ، الذى كان يعمل به بعض صغار الكتبة الذين كانوا يقومون بتسجيل عقود الزواج والمواليد والوفيات (٣) . ولاشك أن السلطات المدنية كان لديها نسخ من هذه السجلات . وكان المتهمون والشهود يذكرون فى الوثائق القانونية باسمائهم ، يتلوها أسماء آبائهم وأمهاتهم مع ذكر مهنهم ، لأن الأسماء التى كانت تطلق على كل طفل كانت عديدة جدا إلى حد أن التشابه بين الأسماء كان شائعا .

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٣٢ .

(٢) ببير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٧٧ – ٨٠ .

واجبات الوالدين نحو الأبناء :

كان البيت – ولا يزال – هو مهد التربية ومدرستها الأولى ، ففى البيت يتعلم الطفل المشى ، والكلام ، والأكل ، والشرب ، والملبس ، ومنه يقتبس العادات وقواعد السلوك والآداب وأسلوب التعامل . ويكتسب فيه الكثير من سلوكه واتجاهاته فى الحياة ، لهذا كان يجب أن يسود الحياة العائلية الصفو والود والسلام ويتمسك أفرادها وخاصة الأبوين بالفضائل وقواعد السلوك حتى يتأثر الطفل بمدرسته الأولى. فالطفولة أولى مراحل الحياة واجدرها بالرعاية ، وهى ادق مراحل التربية التى يجتازها الناشئ .

وليس أدل على مدى اهتمام المصريين بالتربية الأولى للطفل من شهادة المؤرخين اليونان ، فهذا ديودور الصقلى يقول : [١]

" ان ما يميز حياة المصريين أن الطفل عندهم يلقى حظه الكامل من التربية " . ويذكر سترابون بدهشة تقليدا خاصا كان يتمسك به المصريون كثيرا وهو أن يتولوا تربية كل الأولاد الذين كانوا يرزقون بهم [٢] . ويقول :

" من التقاليد التى كان يرعاها المصريون بوجه خاص ، الحرص على تهذيب كل من يولد لهم من الأطفال " اى ان الآباء كانوا ملزمون بتربية أولادهم جميعا حتى لو كان الابن ابن أمة مشتراه .

---

(١) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١١٧ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

واجبات الزوجة :

كانت رعاية الأطفال والأعمال المنزلية ومساعدة الزوج من أهـم أعمـال المرأة فى الأسرة . وكانت الأم تهتم بأطفالها فى سنواتهم الأولى وتقـوم بإرضاعـهم ورعايتهم . فبعد الولادة تهتم الأم بصحة الطفل من حيـث بـول الطفـل وسـعاله والوعكات التى تصحب ظهور الأسنان . وكانت تقوم بإرضاع طفلـها نحـو ثـلاث أعوام . وإذا كانت الأسرة غنية فأنها تستأجر مرضعـة أو مربيـة لتربيـة أطفالـها ورعايتهم .

وكان القصر الملكى يموج بالمراضع . وحظيت المراضع بمكانة اجتماعيـة طيبة ، وتمتع بعضهن بحقوق الأمهات على من أرضعهن وربين ولاسيما من أبنـاء الملوك والأمراء . فنعرف مثلا أن قن آمون كان اخا للملـك أمنحتـب الثـانى فـى الرضاعة [١] . ونعرف ان كان ببلاط ملك مصر المراضع ، كما جاء فـى سـورة القصص بالنسبة لطفولة سيدنا موسى ، وتحريم المراضع عليه وإرجاعه إلى أمه .[٢]

ويذكر الحكيم آنى أبنه بما قامت به أمه ، فيقول :

" لقد ولدت لها بعد شهور تسعة ، ولكنها ظلت مغلولة بك وكان ثديها فـى فمك مدى ثلاث سنوات كاملة . وبالرغم من أوساخك شئ تتقزز منـه النفـس منـه النفس فإن قلبها لم يتقزز ولم تقل ماذا أفعل ؟ إنها أدخلتك المدرسة عندما ذهبت لتتعلم الكتابة وظلت تذهب من أجلك كل يوم يحمل إليك الخبز والشراب من منزلها ."[٣]

فمنذ ولادة الطفل تعكف الأم على رعايته وارضاعه . وقد صـور الفنـان

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٦ ؛ وعن ألقابـه ، راجع : Wild, BIFAO 56 (1957), p. 203-237

(٢) سورة القصص : آية ١١ – ١٢ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضـارة المصريـة ، ص ٤٤٤ ؛ د. بيومـى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٩ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٨١ ؛ د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

المصرى هذه الرعاية فى نقوشه وتماثيله . ففى متحف موسكو ، يوجد إناء من المعدن من عصر الدولة الحديثة ، على هيئة امرأة تمسك ثديها اليسر وممسكة باليد الأخرى طفلا على ركبتيها ، وكان هذا الإناء معدا لوضع أو خزن لبن الأم فيه (١)

وعلى اوستركا من دير المدينة ، من الدولة الحديثة أيضا ، نرى امرأة ترضع طفلها من ثديها الأيمن (٢) . وبالإضافة إلى ذلك يوجد تماثيل عديدة للمعبودة إيزيس وهى تحمل طفلها حورس على ركبتها لإرضاعه (٣) . وكانت الأم تقوم بإرضاع طفلها لمدة ثلاث أعوام ، وتحرص خلال هذه المدة على التأكد من سلامة لبنها (٤) . وكان الطفل الحديث السن يبقى فى حضانة أمه ، تحمله على صدرها غالبا فى كيس يعلق فى رقبتها .(٥)

أما أولاد الأمراء والأمراء الصغار كان يعهد بهم إلى مرضعة أو مربية أو إلى إحدى الشخصيات الكبرى التى كانت تعمل فى خدمة الملك . فباحرى حاكم إقليم الكاب كان المربى لطفل الملك واج مس ، واحمس بن نخبت كان مربيا لأبنة حاتشبسوت الكبرى الأميرة نفرورع ، كما كان لها مربيا آخر هو سنموت . وعهد تحوتمس الثالث بولده أمنحتب إلى أحد القواد المهرة وهو المدعو مين حاكم إقليم ثينى .

وكانت الأم تقوم بإطعام طفلها فى يسر واقتصاد ، وقد استرعت هذه الأوضاع نظر ديودور الصقلى فقال :

" يربى عامة المصريين أولادهم فى يسر واقتصاد ، فيطعمونه عصيدة

---

(١) Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 18 .

(٢) Id ., op. cit ., p. 13 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٧ .

(٤) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٥) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٨١ – ٨٢ .

يطبخونها من مواد رخيصة وافرة ، ومن سيقان البردى بعد شيها على النار ، وجذور نباتية مائية يستسيغون طعمها نيئة ومطبوخة ومشواه " .(١)

وكانت تلقنه اللغة الأولى ، وتداعبه بألفاظ الحب والحنان ، وتظل عاكفة على ذلك مدة قد تبلغ ثلاث سنوات . كما كانت تسهر على رعاية صحته ، وتهتم بمعالجة الأمراض البسيطة التى تتصل بتبول الطفل ، وسعاله ، والوعكات التى تصحبن ظهور الأسنان (٢) وكانت لها بمعالجة مثل هذه الأمراض (٣) . وكان نصيب الأم فى الأعمال المنزلية كبيرا . وكانت لديها دراية تامة بكل ما يقع على عاتقها من أعمال المنزل ومسئوليات البيت ، مع ذلك لم تهمل فى شئون نفسها او مظهرها وملبسها (٤) . فكانت الأم فى العائلة البسيطة تستيقظ فى الصباح الباكر ، وتعد طعام الإفطار لزوجها وأولادها ، وينصرف الزوج وأكبر أبنائها إلى أعمالهم فى الحقل . أما الأبناء الصغار فكانت الأم تكلفهم بمهام بسيطة ، فكانوا يجمعون لها الأحطاب ، أو ترسلهم ليرعوا الأوز فى الخارج ، او تعهد إليهم بأخذ الماشية لترعى وتستقى من الترع القريبة فإذا اشتد عودهم أرسلتهم إلى المدينة ليتعلموا القراءة والكتابة ، أو عهدت بهم إلى صانع أو حرفى أو تاجر ليتدربوا ويصبحوا أصحاب مهن او حرف (٥) . وأثناء غياب الزوج فى عمله ، كان عليها ان تنظف الملابس وتعد الخبز والطعام وتنتهز أوقات الفراغ لتغزل فيها اون تنسج او تحيك الملابس أو ترتقها لزوجها ولأولادها .

كما كانت تذهب إلى الأسواق لتبيع طيورها وزبدها (٦) وما نسجته من أقمشة ، أو لشراء الخضروات والأسماك أو أشياء أخرى متنوعة للزوم المنزل .

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(٢) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(٣) Allam , op. cit ., p. 13 .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥١ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٦) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٠ .

فكانت هناك أسواق للمواد الغذائية والملابس وغيرها من منتجات تقام فـــى القــرى والمدن ، كما تبين لنا بعض المناظر فى مقابر سقارة من الدولة القديمة [١] . وهنـــاك منظر على كتلة حجرية ، ربما جاءت من جدران مقبرة منتومحـــات مـــن الأســرة الخامسة والعشرين فى البر الغربى فى طيبة ، وهى موجودة الآن بمتحف بروكليـــن بنيويورك . ويمثل امرأة مع طفلها المغطى برداء على قدميها وأمامها سلة مملـــوءة بالفواكه موضوعة على حامل تقوم ببيعها ، ربما كانت تبيع فاكهـــة الأشـــجار التـــى صورت من حولها [٢] . وفى العائلات الغنية ، كانت المرأة تصحب زوجـــها حيـــن يقوم بجولاته فى ضياعه ، وتراقب الصناع أثناء عملـــهم ، وتشـــهد عمليـــة تعـــداد الماشية ، وتشرف على أعمال الحصاد فى الحقول ، وترافقه فى رحلات الصيد فـــى البحيرات [٣] . وفى المآدب كانت بجوار زوجها ، وكان الضيوف إذا وفـــدوا علـــى الوليمة يجلسون على مقاعد بعد أن يغسلوا أيديهم ، وتقـــوم علـــى خدمتـــهم فتيـــات صغيرات يقدمن لهم المشروبات المنعشة . وكانت الزوجة تراقـــب كـــل ذلـــك مـــع زوجها . على أن سيدة المنزل ، وبخاصة فى المنازل الكبيرة ؛ كانت تستعين عـــادة بالخادمات اللاتى يقمن بطحن الحبوب ، وإعداد الطعام والولائم [٤] ، وأعمال الغـــزل والنسج ويذهبن إلى السوق لشراء أو لبيع بعض المنتجات .[٥]

وهكذا كانت الزوجة بجانب زوجها دائما أينما وجد ، تلازمه فـــى المـــنزل وفى الحقل وتشاركه جادة العمل ومتعة اللهو وتقاسمه أعباء الحياة ومســـئولياتها[٦] . وعندما كان الزوج ينوى الحج أو الزيارة إلى المدن المقدسة ، إلى ابيدوس مثلا كانت

---

(١) Allam , op . cit ., p. 88 , 100 .

(٢) Id., op. cit ., p. 106 .

(٣) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق . شكل ٢٢ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٦) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٧) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

تصحبه دائما زوجته .[١]

وكانت الزوجة تشارك أحيانا زوجها مسئولية العمل خـارج المـنزل ففـى بردية فى متحف جنيف نجد نصا يرينا أن بعض النسوة الموظفين كن مسئولات عـن مستحقات أزواجهن . وتقص علينا البردية قصة موظف مالى ذهب فـى مأموريـة وسمح لزوجته أن تنوب عنه فى تحصيل الضرائب العينية وترك لها كل التوجيـهات والبيانات بالنسبة لهذا الموضوع . وعندئذ كتبت الزوجة خطابا لزوجها تخبره فيه من بين أشياء أخرى إنها سارت طبقا لتعليماته ووصفت له تفاصيل كل ما حدث . فمثـلا كان عليها أن تصرف كمية من القمح إلى موظف فأستخدم هذا الموظف مكيالا أكـبر حجما ولهذا أصبح وزن القمح ١٤٦ بدلا من ١٦٢ وحدة بالفعل ، فاحتجت المرأة قبل هذا الموظف . وتكمل القصة أنه كان عليها أن تتلقى ثمانين وحدة وزن من القمح من أحد جامعى الضرائب ، واكتشفت أنه أعطاها ٧٢,٥ فقط ، وطلبت منـه أن يعطيـها الكمية الناقصة .[٢]

واجبات الزوج :

تبين لنا أقوال الحكماء وتعاليمهم مسئوليات الآباء وواجباتهم نحو أبنائـهم ، فيقول بتاح حتب لأبنه :

" إذا كنت رجلا ناضجا وأصبح لك ولدا تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلـك شئ يسر له المعبود ، فإذا اقتدى بك ونسج على منوالك ، وإذا هو نظم من شـئونك ورعاها ، فأعمل له كل ما هو طيب ، لأنه ولدك وقطعة من نفسك وروحـك ، ولا تجعل قلبك يجافيه . فإذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغـى وبغـى وتكلـم بالأفك والبهتان فقومه بالضرب حتى يعتدل شأنه (اى حاله) ويستقيم قوله . ويـاعد

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٢) Allam , op . cit ., p. 21 – 22 .

بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد ، فإن من يسير على دليل لا يضل (أبدا) .[١]

فكان الأب يشرف على تربية أولاده فى دور التنشئة وبخاصة بعد سن الرابعة ، وكان عليه كسب قوته اليومى لتوفير الطعام لهم . فإذا كان مزارعا أو عاملا فإنه يخرج فى الصباح إلى عمله حاملا معه طعامه البسيط الذى يتألف من قليل من الخبز وبعض البصل وقطعة من السمك المقدد . وعند الظهيرة يتوقف العمل بعض الوقت لتناول طعام الغذاء ولإغفاءة قصيرة [٢] . يستمر بعدها فى العمل حتى يحين وقت الغروب ، وعندئذ يتوقف عن العمل تماما [٣]. ومن بردية القروى الفصيح نعلم أن بعض القرويين كانوا يذهبون ببعض محاصيل الواحات ومنتجاتها لبيعها فى أسواق العاصمة ، وشراء غلال بقيمتها ويعودون بها إلى أهل بيتهم .

وكان من عادة المزارعين والعمال والصناع أن يبقى الولد فى المنزل يتدرب على رعى القطيع واستعمال الأدوات ، حتى يمكنه أن يمارس بدوره الحرفة التى مارسها أبوه من قبله [٤] . وإذا ما لاحظ الأب أن فى ولده شيئا من الذكاء كان يسرع بإرساله فى سن السادسة أو السابعة إلى المدرسة حيث يلقنه مبادئ القراءة والكتابة والحساب . وبعد ان يتقن القراءة والكتابة ويكتسب الخبرة الكافية وبعدها يلتحق بوظيفة مهما قل شأنها .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٢) ففى مقبرة مننا من الأسرة الثامنة عشرة فى البر الغربى فى طيبة ، نرى منظرا يمثل مزارعين يجلسان على مقعدين قصيرين تحت ظل شجرة عريضة . أحدهما ينفخ فى عود من الغاب ، والآخر فى غفوة ساندا رأسه على ذراعه اليسرى الموضوعة على ركبتيه ، راجع :
Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 128 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٢ .

(٤) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٨٣ .

وحاول بعض الآباء من الموظفين والكتبة تربية أبناءهم تربية فيها حسن التغذية لتقوية أجسامهم منذ الصغر ، وفيها الكثير من آداب السلوك لتقويم نفوسهم . وكان الأب يتحمل جميع نفقات الابن فى جميع المراحل التعليمية حتى يبلغ أشده أى حتى سن العشرين ، حتى يسير على منهاج أبيه حتى يصبح كاتبا مثله . لأن مهنة الكتابة فى اعتقادهم كانت خير المهن جميعا . ولهذا نرى فى بعض الإدارات والمصالح الحكومية تعاقب سلسلة من الكتبة ينتسبون جميعا إلى أسرة واحدة ، كان فيها الولد يخلف أباه ، والأب كان خلفا للجد وهكذا أجيالا متعاقبة .

وكان على الآباء أن يربوا أولادهم على مبادئ الرجولة وفضائل الأخلاق وآداب السلوك وحسن المعاملة فى أثناء التربية المنزلية . وليس أدل على ذلك من أن كتب ومؤلفات المصريين فى التربية صيغت فى أسلوب النصائح والتعاليم ، يزود بها الأبناء أبناءهم ، وفيها ثروة من تجاربهم فى الحياة التى عركوها وسجلوا فى هذه النصائح ما ينير سبل الحياة لأبنائهم ، وفيها نماذج من الفضائل الخلقية يجدر بالأبناء التمسك بها كما كانوا يحثون أبناءهم على التسلح بالإيمان والتقوى ، وصلات التراحم كالبر بالوالدين وحسن معاملة الزوجة واحترام الغير والتسامح والتواضع والاستقامة واتباع طريق العدل والعطف على الآخرين وحفظ السر والأمانة والإخلاص والصبر وحسن اختيار الأصدقاء وغير ذلك من القيم والآداب والسلوكيات مثل آداب المائدة واحترام الشيوخ والحذر من شرب الخمر والبعد عن النساء وشهادة الزور والنميمة والكذب والاعتداء على حقوق الغير وآداب الحديث والتريث والتروى وضبط العواطف وعدم الإسراف فى الحديث والرد فى انفعال .

ونجد كل هذه التعاليم والنصائح على ألسنة كل من الحكماء كارس والد كايجمنى وبتاح حتب وآنى وامنمؤبت[1].وبهذه المثل والآداب والسلوكيات حرص الآباء على تهذيب أخلاق الأبناء فى الصغر قبل أن يغادروا المنزل إلى دار الحياة الكبرى

---

(١) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٣٩ – ١٤١ .

حتى يصبحوا مدربين على حسن المعاملة والسلوك ويستطيعوا ان يتكيفوا مع الآخرين فى جو من المحبة والصداقة والنضوج والوعى والإدراك بين الناس .

وسوف نتحدث عن هذه الآداب عند حديثنا عن التربية والتعليم فى الباب الحادى عشر ، ولكن نذكر هنا ما يخص منها المحافظة على الترابط الأسرى ، من السلوك القويم للإنسان واحترام حرمة بيوت الآخرين . فكما حثت الحكم والتعاليم الشاب على الزواج وتكوين أسرة والمحافظة على كيانها وحسن معاملته لزوجته ، حثته كذلك على البعد عن الإثم والفجور ، وتذكر له أيضا العواقب التى يتعرض لها كل من ينحرف عن قواعد السلوك والآداب العامة ، ودعته أيضا إلى احترام حرمة البيوت لأن التقاليد لا تبيح زيارة المنزل فى غيبة صاحبه أو دخوله دون استئذان أو الاختلاط بنسائه .

وفى هذا الصدد يقول بتاح حتب من الأسرة الخامسة لأبنه : " ما أطول حياة الإنسان وما أسعده إذا كان خلقه متحليا بالاستقامة ، فإن من يلتزم جادتها يكون لنفسه ثروة "[1] ويقول أيضا محذرا أبنه من التورط مع النساء فى الخطيئة ويدعوه أيضا إلى احترام بيوت الغير بالإبقاء على كرامة من فيها :

" إذا كنت ترغب فى المحافظة على سلام منزل تقوم بزيارته ، سواء أكان منزل عظيم أم أخ أم صديق أم أى منزل تدخله فتجنب أن تتقرب من النساء فإن المكان الذى هن فيه لا يصلح ، فآلاف من الرجال قد تتبعوا تلك المخلوقات الجميلة ، ولكنهم حطموا بواسطتها ن وخدعوا بأجسادهن الرقيقة التى أصبحت فيما بعد أكثر صلابة من الحجر ، أن الرغبة لا تستمر إلا لحظة ن وتمر كأنها حلم ".[2]

ويذكر الحكيم آنى من الأسرة الثانية والعشرين المعانى نفسها فى قوله :

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٣٤ .

(٢) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ه : الحضارة المصرية ، ص ١٠ .

" لا تذهبن وراء امرأة حتى لا تتمكن من سلب لبك " .[١] ويقول أيضا :

" كن على حذر من امرأة تأتى من مكان بعيد ، وليست معروفة فى بلدهـا ، لا تطل النظر إليها عندما تمر بك ، ولا تتصل بها اتصالا جسديا ، إنها ماء عميـق الغور لا يعرف الإنسان حناياه . إن المرأة التى غاب عنها زوجها تقول لك كل يـوم " أنى حسناء وليس هناك من يشاهدها وهى تحاول إيقاعك فى فخها ، أن ذلـك (أى الزنا) لجرم عظيم يستحق (صاحبه) الإعدام عندما يرتكبه ، ثم يعلم بذلك المـلأ ، لأن الإنسان بعد أن يرتكب تلك الخطيئة ليسهل عليه ارتكاب أى ذنب (آخـر) " .[٢] ويحذر عنخ شاشنقى ، كاهن ايونو ، الذى عاش فى العصر البلطمـى ، ابنـه فـى نصائحه من ارتكاب الأثم والفحشاء .[٣]

ودعى آنى إلى احترام بيوت الآخرين وها هو يقول له : " لا تدخلن بيـت غيرك حتى يأذن لك ويؤدى لك التكريم (الواجب) ولا تنظر باستغراب فـى بيتـه (ولكن) انظر والزم الصمت "[٤] وتبين لنا رسائل حقا نخت من الدولة الوسـطى ، مدى اعتماد الأسرة على ربها . فكان حقا نخت كاهنا لروح الوزير ايبى ويدخل فـى اختصاصه إدارة الأملاك التى اوقفها ذلك الوزير على مقبرته ، وكـان مـن بيتـها ضيعتان واحدة منهما كانت فى الشمال والأخرى فى الجنوب . وكان حقا نخت يسافر

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٦ ، ٤٣٤ ؛ د. عبـد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديـم ، الجـزء الأول ، مصـر والعـراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٠ – ٣٥٢ ؛ وأيضا :
Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p. 390 .

(٢) Suys , la Sagesse d'Ani (An . Orient . II) (1935) p. xv , L.9 ؛ وأيضا : ألفه نخبة من العلماء : تـاريخ الحضـارة المصريـة ، ص ١٤٦ ، ٤٤٤ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديـم ، مصـر والعـراق ، ١٩٧٩ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

(٤) Suys , op . cit ., p. xv , l.8.

من آن لآخر إلى الشمال . وهو يقول فى إحدى رسائله لأبنه الأكبر :

" أن جميع من فى المنزل وكذلك الأطفال يعتمدون على وكل شئ هو ملكى "[١] . وكان من نتيجة الحرص على تربية الأبناء تربية حسنة ، والحرص على رعايتهم من الناحية الغذائية والصحية والتعليمية ، أن أصبحت مصر بلدا يمتاز بوفرة عدد سكانها[٢] . ولضمان حياة كريمة للزوجة فإن الزوج كان يقوم بكتابة بعض الوثائق أو المستندات يتنازل فيها عن ثروته الخاصة لزوجته مع الاحتفاظ بكافة حقوق الورثة وحقوق أسلافه من بعده [٣] . وان لم يكن هناك ورثة فكل ميراث الزوج يؤل إلى الزوجة بمفردها كما تبين لنا ذلك بردية محفوظة فى متحف اكسفورد .[٤]

واجبات الأبناء:

كان من أهم هذه الواجبات طاعة الأبن لأبيه واحترامه ومساعدته وبخاصة إذا كان العمل فى الحقل ، فالأعمال الزراعية فى حاجة دائمة إلى الأيدى العاملة [٥] . وإذا كان الأب يعمل كعامل أو رئيس عمال فى المحاجر فى مناطق بعيدة عن موطن سكنه او ذهب فى مهمة بعيدا عن مدينته او قريته فكان على الأبن الأكبر رعاية شئون المنزل ورعاية أمه وأخوته ، ويحرص على طاعتها وعدم إغضابها . فإذا كان الأب موظفا كان على الأبن أن يسير على منواله ، ويحرص دائما على طاعته والوفاء لذكراه .

أما البنت فكان من واجبها مساعدة أمها فى أعمال المنزل . ومن رسائل

---

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٢٠٣ – ٢٠٤ .
(٢) ألفه عدد من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ .
(٣) Allam , op . cit ., p. 44 .
(٤) Id ., op . cit ., p . 15 .
(٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥١ .

حقا نخت التى ذكرناها من قبل من الدولة الوسطى ، ونعرف أن حقا نخت كان يسافر من آن لآخر إلى الشمال بعد أن يترك لأبنه الأكبر واسمه مرسو إدارة بيته وأملاكه على مقربة من طيبة ، كما كان ينوب عنه فى القيام بوظيفة الكاهن عن غيابه ويرسل حقا نخت لأبنه أكثر من رسالة يستحثه فيها دائما على العمل ويحاسبه حسابا عسيرا على دخل كل حقل من الحقول . ويسدى إليه النصح لأنماء ثروته من دخل الحقول [١] . وفى الخطاب نفسه يعطى حقا نخت تعليماته إلى ابنه وإلى " حتى " المشرف على زراعته فيخاطبهما معا :

" احرثوا الأرض ولا تكفوا عن العمل ، واعلموا أنكم إذا كنتم مجتهدين فسأدعو لكم بالخير ، وما أسعدكم لأنى أعولكم "[٢] ويكلف أبنه بأن يرسل أحد الأعوان لاستئجار حقلين ، ولكنه يوصيه إلا يعطى الإيجار إلا من ثمن الأقمشة التى كان قد أرسلها من الشمال ، وينصح أبنه بأنه يجب عليه أن يمدح نوع الأقمشة عندما يقدمها للبيع وان يقول أنها من أحسن الأنواع . ويفهم من هذه الرسائل أنه كان لحقا نخت ولدان آخران يساعدان مرسو فى العمل . وكانوا جميعا متزوجين . وكان له ابنان آخران صغيران أحدهما يساعد أخوته فى أعمالهم فى الزراعة ، اما الثانى فكان مازال طفلا وكان يتمتع بحب أبيه وعطفه . ويأمر حقا نخت ابنه الأكبر مرسو بأن يعطيه ما يريد من مؤن . لقد فقد حقا نخت زوجته وأصبح أصغر أطفاله موضع حبه وحنانه . ونستشف من رسائله ايضا أن ذلك الكاهن كان مملوء بأبنائه وزوجاتهم وبالأقارب وأطفالهم وبالخدم والجوار . وترينا هذه الرسائل الكثير من الحياة الداخلية لإحدى العائلات الميسرة الحال التى عاشت على مقربة من الأقصر قبل أربعة الآف عام .

وتبين لنا الرسائل التى كشف عنها فى قرية دير المدينة ويطلق عليها اسم " رسائل الرعامسة " من الأسرة العشرين ، صورا من الحياة العائلية لطبقة العمال

---

(١) د. احمد فخرى : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

التى كانت تعيش فى القرية فى نهاية الأسرة العشرين .(١)

صيغ البر بالوالدين فى حياتهما وبعد مماتهما :

فكما حثت الصيغ والنصوص التى جاءت فى بعض التعاليم على أهمية الحفاظ على علاقة الترابط بين الزوجين ودور الأب كرب للأسرة ، وطبيعة العلاقة بين الزوجين ، نجد أنها تشير أيضا إلى أهمية المحافظة على صلات الرحم والترابط الأسرة والبر بالوالدين ، وواجب الأبناء نحو بعضهم البعض ، ونحو الآخرين من أفراد العائلة والأقربين ، وحثت النصوص كذلك على الوفاء بذكرى الوالدين بعد وفاتهما والترحم عليهما وزيارة مقبرتهما (٢) . وكان ينظر للأبن الأكبر على انه هو الذى يحيى ذكرى والده ويجعل اسمه حيا فى أفواه الناس . فواجب الأبن كما تذكر النقوش وردت على الآثار المتعددة هو دفن الأب ، بما يليق بمقامه من مراسم ، والسهر على رعايته فى المسكن الأبدى أى المقبرة ، والقيام بالطقوس الجنائزية اللازمة نحوه فى المواسم والأعياد الدينية المختلفة (٣) . وإقامة التماثيل باسمه فى المعبد ورعاية ما يقدم له من قوانين أو تقديم القرابين بأنفسهم ترحما على أرواح آبائهم .(٤) .

ولهذا كان المصريون يميلون إلى أنجاب الذكور ويرحبون بمولد المولود الذكر لأن الفتى كان أكثر حفاظا على روابط الأسرة من الفتاة ، وأكثر قدرة على أن

---

(١) Wente , late Ramesside letters , p. 4-5 .

(٢) R.el Sayed , Formules de Pieté Filiale, dans Melanges Mokhtar,BdE XC 11/1 (1985) , p. 271 – 272 .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٠ .

(٤) نقرأ عن قصة سابنى الذى علم بنبأ وفاة أبيه محو فى بلاد النوبة السفلى ، فسار على الفور موغلا فى تلك الأقطار الخطرة مع عدد من الجنود ليحضر جثمان أبيه ليدفنه فى ارض مصر .

يحمل أسم أسرته [١] وكان الأبناء يسجلون هده الواجبات على جدران مقــابرهم فــى النصوص التى تتناول تاريخ حياتهم . وفى الصورة التى ترسمها لنــا قصــة مــلاح السفينة الغارقة ، عندما يتحدث الثعبان إلى الملاح الذى ألقت به موجة من البحر على جزيرة الثعبان ، فيقول : " لكنك إذا ثابرت وتمسكت بالصبر فإنك ستحتضن أولادك ، وتقبل زوجتك وترى بيتك مرة أخرى ، وهذا أجمل وأفضل من كل شئ آخــر " .[٢] ما يعبر عن قوة الترابط الأسرى . وان تعويض الملاح عما لاقاه من أهــوال ، هــو الرجوع إلى بيته ورؤية أولاده الأعزاء وزوجته .

وإذا فحصنا فقرات من التعاليم والنصائح والحكم نجد أن جزء كبــير منــها يحث على واجبات الأبناء نحو الوالدين ، وحــب الوالديــن واحترامــها وطاعتــهما والعطف عليهما عند الكبر والبر بهما والإحسان إليهما ، وتذكر الأبنــاء بفضــل الأم عليهم وبأهمية رضاها عنهم ، وما يجب ان يقوموا به نحوهما فــى حياتــهما وبعــد مماتهما .

نحو الأم:

ففى تعاليم خيتى بن دواواف التى ترجع إلى عصر يقع بين أواخــر الدولــة القديمة والدولة الوسطى ، يوصى أبنه قائلا :

" أحبب الكتب كحبك أمك ، فليس فى الحياة ما هو أغلى منها "[٣] .

---

(١) د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشــرق الأدنــى القديــم ، الجــزء٥ : الحضارة المصرية ، ص ٤٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضــارة المصريــة ، ص ١٣٤ ؛ د. بيومــى مهران : المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٤ ، ٢٩ .

(٣) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريــخ التربيــة والتعليــم فــى مصــر ، ص ١٣٠ .

" لا تقل الكذب ضد أمك ، لأن القضاة [١] يكرهون ذلك ، والأبن البار هو الذى يعمل الطيب "[٢] ومن تعاليم آنى من الأسرة الثانية والعشرين نقرأ :

" أطع والدتك واحترمها ، فأن المعبود هو الذى أعطاها لك " [٣]

" ضاعف الخبز الذى يجب أن تعطيه لأمك وأحملها كما حملتك . وهى كم مرة اعتنت بك ، ولم تتخل عنك . وعندما وضعتك بعد شهور من حملك اعطتك ثديها فى فمك لمدة ثلاث سنوات بصبر " " ووضعتك فى المدرسة وبينما كانوا يعلمونك الكتابة إذ كانت تنتظرك أثناء غيابك كل يوم ، بالطعام (حرفيا بالخبز) والشراب من منزلها . والآن وأنت فى زهرة العمر واتخذت لك زوجا وصار لك بيت اتجه بنظرك إلى الطريقة التى تربيت بها والتى تغذيت عليها كل (هذا) من عمل أمك فلا تجعلها تلومك حتى لا ترفع يديها نحو المعبود (شاكية) فيستجيب المعبود لشكواها "[٤]

وبعد وفاتها كان على الأبن أن يكون وفيا لذكرى أمه ، وذلك بإقامة النص تخليدا لذكراها او تقديم القرابين باسمهما فى الجبانة وتشير بعض نصوص الدولة القديمة إلى صفة التراحم هذه ، ومن هذه الصيغ نجد الآتى :

" أنه أبنها الأكبر فلان ، الذى فعل هذا لها ، وعندما كانت حية على

---

(١) القضاة فى عالم الدنيا والآخرة .

(٢) R. el Sayed , op. cit., p. 292 n. (51) .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٤ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، ص ٤٤٤ – ٤٤٥ ؛ د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، ص ١٢٩ – ١٣٠ ، وأيضا :

R. el Sayed , op . cit ., p. 292 (52) ; Suys , op . cit ., p. XVIII l. 38 – 39 ; lichtheim, Ancient Egyptian literature II , p. 141 Daumas , la Civilisation de L'Égypte Pharaonique , p. 413 ; Weigall , Histiore de L'Égypte Ancienne , p. 47 .

قدميها ، المخلص نحو أمه " .(١)

" انه أبنها الأكبر فلان الذى يقدم القرابين إليها ولصالحها فى هذا المكان "(٢)

نحو الأب :

فنقرأ فى تعاليم بتاح حتب من الدولة القديمة النصائح الآتية :

" كم هو جميل أن يطيع الابن أباه ، فيصبح بسبب ذلك فى فرح شديد ، ويغدو هـذا الابن عطوفا وحنونا عندما يصبح سيدا ، فإن كل من يستمع إليه يطيعـه ، فيصح جسده ، ويوقره أبوه وتكون ذكراه خالدة فى أفواه الأحياء الذين يعيشون على الأرض طوال حياتهم " . ويقول أيضا :

" ما أجمل طاعة الابن المطيع فهو يأتى ويستمع مطيعا ، ان الطاعـة هـى خير ما فى الوجود " ويدعو الابن إلى أن يتقبل كلام أبيه فيقول :

" أن المطيع هو رجل كامل فى نظر الكبار ، فإذا تقبل الأبن كلام أبيه بقبول حسن وتنبه وأطاع ، فإن الأبن سيكون حكيما وتصبح أعماله موفقـة " (٣) . ويجـب اتخاذ الأب قدوة حسنة يقتدى بها ، وفى هذا المعنى يقول :

" ما أطيب أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته إليه الشيخوخة "

وكما حث الحكيم آنى أبنه على العناية بأمه فى كبرهـا وأن يحملـها كمـا حملته نجد ان كبير كهنة آمون امنمحات الذى عاش فى عصر الدولـة الحديثـة ، فيحدثنا عما كان يفعله مع أبيه المسن ، فيقول :

---

(١) R . el Sayed , op. cit ., p. 272 n . 22 .

(٢) Id ., op . cit ., p. 275 n . (9) .

(٣) Zaba , les Maximes de Ptah-Hotep, p. 101 , 1 . 556 – 557 , 561 – 563 , R. el Sayed , op . cit ., p. 291 (47) .

وأيضا ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٠ .

" كنت عصا الشيخوخة لأبى عندما كان حيا . أذهب وأجئ طبقا لأوامـره ، ولم أخالف كلا فمه قط ، ونفذت بعناية كل ما كلفنى به ، ولم أهمل التعليمات التـى اعطانى أياها ، ولم انظر إليه بحدة ، ولكن كنت أخفض راسى عندما يتحدث إلـى ، ولم أتفاخر بعمل (شئ) لم يكن على علم به [١] . وبعد وفاته تظهر صلة الرحم هذه فى أكثر من نص يحدثنا عما فعله البن الأكبر لإحياء ذكرى أبيـه بإقامـة لوحـة او تمثال فى المقبرة أو فى المعبد المحلى أو تقديم قرابين باسمه ، او احياء أسـمه عـن طريق نثر الماء على مقبرته .ولدينا اكثر من عشرين صيغة تبدأ بالأسلوب الآتى :

- " انه أبنه (أو أبنه الكبر فلان) الذى فعل هذا له (اى للأب) .
- أو " أنه أبنه الذى يعمل على إحياء اسمه فى هذا المعبد " .
- أو " انه ابنه الأكبر فلان الذى فعل هذا له ، بعد ان دفن فى الغـرب الجميـل ، طبقا لما قاله هناك (فى هذا المكان) عندما كان حيا على قدميه " .[٢]

وبعد وفاة الأب كان الابن أو الابن الأكبر هو المسئول عن استمرار بيتـه مفتوحا ، والمسئول عن تزويده بكل ما يلزمه . وكان هو المسئول أيضا عـن تقديـم القرابين على روح أبيه فى المقبرة ومراقبة كل ما يقوم فى المقبرة . ونجد كل هـذه المعانى فى الصيغ الآتية :

- " لعل ابنك يفتح منزلك كما (حافظت) على فتح منزل أبيك (من قبل) "[٣]
- " لقد (حافظت) على فتح منزل أبى وملأته بالأشياء الثمينة " .[٤]

---

(١) R. el Sayed , op . cit ., p. 291 (49) .
وأيضا : د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٢) لهذه الصيغ المختلفة ، راجع :
R . el Sayed , op . cit ., p. 271 – 281 .

(٣) Id., op. cit ., p. 287 (105).

(٤) Id., op. cit ., p. 287 (107).

- " (أنه) أبنه الذى يحبه ، فلان ، الذى يراقب المنتجات التى احضرت للأب ، لأنه المحبوب من أبيه " (١)

- " (أنه) أبنه الأكبر الذى يحبه ن الذى يفعل ما يستحق المديح كواجب يومى "(٢)

- " لقد خرجت من منزلى ونزلت فى المقبرة ، وظل منزلى مفتوحا (لأن) ذراع وريثى قوية " (٣) . بل ذهب بعض الأبناء إلى أبعد من ذلك فى اختيار مقابرهم فى المكان نفسه فيه اباؤكم ليكونوا معهم وبجواره بصفة دائمة ، دلالة على الوفاء والاخلاص :

- " لقد أعددت حجرة دفن لنفسى فى المقبرة نفسها مع جاو هذا (والده) حتى أبقى فى مكان واحد . بالتأكيد ليس لأننى لا أملك الإمكانيات لكى أقيم مقبرة ثانية ، ولكن فعلت هذا لكى أرى جاو هذا كل يوم ، ولكى أبقى معه فى المكان نفسه " .(٤)

ولم يقتصر الوفاء على الأبن فقط ، ولكن أبنة المتوفى كان لها دور فى العمل على إحياء ذكرى أبيها وذلك فى عدم وجود أبناء ذكور :

- " إنها أبنته التى أحبها ، فلانة ، التى فعلت هذا له " (٥)

- " أنها ابنته التى تعمل على إحياء اسمه " .(٦)

---

(١) Id., op. cit ., p. 278 (47) .

(٢) Id., op. cit ., p. 278 (48) .

(٣) Id., op. cit ., p. 278 (106).

(٤) Id., op. cit ., p. 291 (46).

(٥) Id., op. cit ., p. 275 (15).

(٦) Id., op. cit ., p. 280 (61) (b) .

تصرف الابن والابنة والأخت معا تجاه الأب بعد وفاته :

- " (أنهما) ابنته وابنة اللذان فعلا هذا له ، وفقا لإخلاصهم نحوه " .[١]

- " (هذا) ما قام به أبنه محبوبه ، فلان ، وأخته محبوبته ، فلانه ، وابنته محبوبته ، فلانه " .[٢]

تصرف الابن وبقية أفراد العائلة نحو الوالدين معا :

يقول نفر سشم - رع المسمى بشيشى من الأسرة السادسة " كنت أخشى أبى وكنت فاضلا تجاه أمى وربيت صغارهما "[٣] بالإضافة إلى النصائح فى آداب السلوك واحترام الوالدين فى حياتهما فهناك أيضا النصائح الخاصة بالترحم عليهما وتأدية الطقوس وتقديم القرابين من أجلهما وعمل ما هو مفيد لهما ولروحهما ونثر الماء المقدس على مقبرتهما فنجد فى صيغ التراحم الفقرات الآتية :

- " إلى أبى وأمى ، أنا فعلت هذا لهما بعد أن دخلوا فى الغرب (أى توفيا) "[٤]
- " فلان الذى فعل ما هو مفيد لأبيه ولأمه ، العطوف نحو اخوته " [٥]
- " انه فلان الذى يعمل على إحياء اسم أبيه وأمه " .[٦]
- " أد الطقوس للمعبود من أجل أبيك وأمك اللذين وضعاك على طريق الأحياء (أى طريق الحياة) "[٧]

---

(١) Id., op . cit ., p. 273 (14) .

(٢) Id., op . cit ., p. 281 (65) .

(٣) Id., op . cit ., p. 291 (41) = Urk I, 199 , L. 6-7 .

(٤) Id., op . cit ., p. 273 (15) .

(٥) Id., op . cit ., p. 285 (97) (c) .

(٦) Id., op . cit ., p. 280 (60) .

(٧) Id., op . cit ., p. 292 (51) .

- " قدم الماء (المقدس) لأبيك وأمك اللذين يرقدان فى الوادى (الجبانة) . وهـذا ما يجب ان تثبته أمام المعبــودات ، الذيــن سيشــهدون بقبــول هـذا العمـل (الطيب) . ولا تنسى المجاور (لهما) الذى قام (بهذا العمل من قبل) أمـــلا فى أن يقوم أبنك بعمل مثيل لعملك تجاهك فى المستقبل " .(١)

وبقية أفراد العائلة يشتركون فى تبجيل الأب والأم بعد وفاتهما :

فيقال فى صيغ التراحم الآتية :

- " انه أبن ، فلان ، الذى فعل (هذا) له " (٢)

- " (أنـه) ابن ابنتها ، الذى فعل هذا لها " (٣)

- " (أنـه) ابنى وحفيدى اللذان يعملان على فاعلية اسمى فى المعبد " (٤)

- " أنه أخيه الذى يعمل على إحياء اسمه " (٥)

- " إنها أخته التى تعمل على إحياء اسمه " (٦)

- " إنه ابن أخته الذى يعمل على إحياء اسمه "(٧)

- " إن أولادك يجتمعون فى مظهر واحد ، ييكون بقلب متأثر "(٨)

---

(١) Id., op . cit ., p. 292 (53) .

(٢) Id., op . cit ., p. 271 (3) .

(٣) Id., op . cit ., p. 272 (4) .

(٤) Id., op . cit ., p. 279 (49) .

(٥) Id., op . cit ., p. 277 (41) , 280 (59) , 283 (84) .

(٦) R. el Sayed , op . cit ., p. 276 (33) .

(٧) Id., op . cit ., p. 279 (55) .

(٨) Id., op . cit ., p. 288 (112) .

صيغ الترابط الأسرى بين الأبناء داخل الأسرة الواحدة :

تبين نصوص التراجم روح المحبة التى كانت تسود بين أبناء الأسرة الواحدة ، وحرص صاحب النص على إظهار أنه كان محبوبا من أبيه ومن أمه وعطوفا نحو أخوته ، مثال ذلك :

" المحبوب من أبيه ، المحبوب من أمه ، المحترم نحو هؤلاء الذين معه ، اللطيف نحو أخوته وأخواته ".(١)

- " أننى (إنسان) ممدوح من أبيه ومن أمه " (٢)

- " إننى محبوب من ابى ، وممدوح من أمى ... وممدوح أيضا من أخوتى ".(٣) .
وهناك نصوص عديدة بهذا المعنى وهى :(٤)

- " الممدوح من أبيه ، محل تقدير من أمه ، اللطيف نحو اخوته " (٥)

- " محبوب من أخوته وأخواته يوميا ودائما ".(٦)

- " أنا المكرم من أبيه ، الممدوح من أمه ، ومحل ثقة أخوته ".(٧)

---

(١) Id., op . cit ., p. 273 (13) .
(٢) Id., op . cit ., p. 274 (18) (b) .
(٣) Id., op . cit ., p. 274 (18) (a) .
(٤) Id., op . cit ., p. 274 (19) .
(٥) Id., op . cit ., p. 285 (93) ; 286 (100) .
(٦) Id., op . cit ., p. 280 (57) .
(٧) Id., op . cit ., p. 284 (86) .

صيغ البر بالآخرين من أفراد الأسرة :

هناك صيغ عديدة منها :

- " (هذا) ما قام به كواجب نحو أخوته ، لكى يجعل اسمهم مزدهرا على الأرض " (١)
- " كنت (إنسانا) ممدوحا من أبيه ، ومرضيا عنه من أمه ، ولطيفا نحو أخوته ، ومخلصا نحو أقاربه " (٢)
- " كنت (إنسانا) ممدوحا من أبيه ، ومرضيا عنه من أمه ، ولطيفا نحو أخوته ، وملخصا نحو أقاربه " (٢)
- " أنا إنسان يستحق أن يكرم ، محبوب من أبيه وممدوحا من أمه ، لطيفا نحو اخوته ، ودودا مع أقاربه " (٣)
- " محبوب من أبيه ، محل رعاية من أمه ، لطيفا نحو أقاربه "(٤)
- " أنا (إنسان) محل تقدير من أبيه ، ومرضيا عنه من أمه ، اللطيف نحو أخوته ، اجتماعى نحو أهل مدينته " (٥)
- " محل تقدير من أبيه ، ومحل رعاية من أمه ، اللطيف نحو اخوته ، الذى دفن أجداده فى جبانته ، وأعد جنازة أمه فى داخل أسوارها (أى سور الجبانة) "(٦)

---

(١) R. el Sayed, op . cit ., p. 279 (52) .
(٢) Id., op . cit ., p. 286 (104) .
(٣) Id., op . cit ., p. 283 (85) .
(٤) Id., op . cit ., p. 285 (96) .
(٥) Id., op . cit ., p. 285 (95) .
(٦) Id., op . cit ., p. 286 (101) .

- " أنا فعلت هذا من أجل حماتى "(١)

صور ومناظر وأوضاع بعض التماثيل التى تعبر عن الترابط الأسرى :

نجد الكثير من المناظر التى نشاهدها على جدران المقابر وكذلك أوضاع بعض التماثيل تعبر عن روح الترابط الأسرى ، ومرافقة الزوجة والأولاد لرب الأسرة والتفافهم حوله فى مختلف مناظر الحياة اليومية . ونجد هذه الروح الأسرية فى المناظر التى تمثل مختلف الطبقات من غنيها إلى فقيرها ، فى المناظر التى تمثل الملك وأفراد العائلة الملكية أو التى تمثل كبار الشخصيات وزوجاتهم وأولادهم .

كما تتجلى روح المحبة والتعاطف والتماسك التى تسود أفراد العائلة المصرية القديمة فى أوضاع بعض التماثيل للملوك والأفراد منذ عصر الدولة القديمة . ولعل الملك الأكثر تمثيلا هو وأفراد أسرته ، هو الملك أخناتون ، نظرا للاتجاهات الواقعية التى سارت فيها الفنون فى عهده ، ولهذا نجح الفنان فى تصوير هذا الترابط أصدق تصوير ، وهى مناظر عديدة ومتنوعة . ومن أجمل هذه الصور التى تمثل العواطف فى الحياة العائلية ، صور تمثل إحدى الأميرات من بنات اخناتون وهى تقف بين أختيها وتلف ذراعيها برقبتيهما ، وتميل إلى أختها على يمينها تضمها على حين تخاصرها أختها ، كأنما هى تهم بتقبيلها ، ويوجد هذا المنظر على لوحة فى المتحف المصرى . وصورة أخرى بالمتحف المصرى أيضا نرى عليها الملك والملكة جالسين متقابلين تحت أشعة الشمس يدللان بناتهما ، ويعد هذا المنظر من أروع المناظر العائلية التى وصلت إلينا (٢) . وصورة ثالثة نقشت على لوحة محفوظة الآن بمتحف برلين تمثل اخناتون جالسا على مقعد ، يحمل بين يديه طفلته الصغيرة مقبلا إياها ، على حين تشير الطفلة بأصبعها نحو أمها الجالسة على الجانب

---

(١) Id., op . cit ., p. 275 (24) (b) .

(٢) Saleh – Sourouzian , Official Catalogue, The Egyptian Museum Cairo , no 168 .

الآخر من المقعد [١] . فكانت بنات أخناتون يظهرون دائما إلى جوار أبيهم وأمـــهم . ويوجد منظر رابع فى المتحف المصرى يمثل اخناتون وزوجته وابنته يتعبدون إلـــى آتون ويقدمون الآنية نمس [٢] . أو الملك والملكة وبناتهم فى الشرفة الملكية يعطـــون الهدايا لموظف من ورائه وزوجته ، وهو منظـــر موجـــود فـــى مقـــبرة فـــى تـــل العمارنة [٣] . أو أخناتون مع زوجته وإحدى بناته على عربته الحربية فى منظر من مناظر مقبرة محو بتل العمارنة [٤] . وعلى لوحة أخرى بالمتحف المصـــرى نـــرى اخناتون وعائلته يقدمون باقات اللوتس إلى المعبود آتون .[٥]

وهناك منظر فى إحدى مقابر تل العمارنة يمثل أخناتون وزوجتـــه يندبـــان إحدى بناتهما ، ويرفعان أيديهما على الجبهة علامة الأسى ويمسك الملك بيد الملكـــة مواسيا [٦] . وهناك منظر أخير نرى فيه أميرة تجلس على ركبتى أمها ، على حيـــن تقف أميرة ثانية تداعب أمها بوضع يدها تحت ذقن الأم [٧] ونجد هذه الأوضاع نفسها فى التماثيل :

ففى متحف اللوفر يوجد تمثال أخناتون وزوجتـــه يســـيران وقـــد اشـــتبكت

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ ؛ تـــاريخ مصـــر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شـــكل ١٣٢ – ١٣٦ .

(٢) Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 23 .
وأيضا : د. احمد بدوى – د. جمال مختار : التربية والتعليـــم فـــى مصـــر ، شكل ٢ . Saleh – Sourouzian, op . cit ., no 164 .

(٣) Allam, op . cit ., p. 26 .

(٤) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، شكل ٨ .

(٥) Saleh – Sourouzian, op . cit ., no 166 .

(٦) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، شكل ١٢٤ .

(٧) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٩ .

راحتاهما[١] . وعلى تمثال آخر بالمتحف المصـــرى نـــرى اخنـــاتون يقبـــل إحـــدى بناته [٢] . وفى متحف المتروبوليتان بنيويورك نجد تمثال يمثل مربـــى عنـــد الملـــك امنحتب الثالث ، وهو يحمل أطفال الملك الأربعة على حجره [٣] . أو التمثال الـــذى يجمع بين امنحتب الثالث وزوجته الملكة تى .

وثمة أوضاع أخرى نراها على ظهر كرسى عرش الملك توت عنخ آمون ، نرى فيها منظرا يمثل الملك جالسا وأمامه الملكة مائلة وفى إحدى يديها إناء صغـــير للعطر تأخذ منه باليد الأخرى عطرا وتملس به كتف زوجها برقـــة لطـــف تعطـــره به [٤] . وهناك منظر آخر يمثل توت عنخ آمون جالسا على كرسى ، وبجوار ســـبع مروض ، وهو يرمى الطيور بالسهام ، على حين جلست الملكة أمامه تناوله ســـهما وتشير بإصبعها إلى بعض الطيور وتوجه نظر زوجها إليها [٥] أو منظر فى متحـــف برلين يمثل زوجة توت عنخ آمون وهى تقدم له الزهور[٦] . حتى فى المناظر التـــى تمثل الملك وهو يؤدب الأعداء نجد الملكة حاضرة ، مثل المناظر الذى يمثل الملـــك رمسيس الثانى وهو يؤدب أحد الأعداء فى معبد أبى سنبل الصغير ، ونـــراه وهـــو يهوى بمقمعة قتاله او أداة الحرب على رأس العدو ومن خلفه زوجته نفرتـــارى .[٧]

---

(١) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، شكل ٣١ .

(٢) المرجع السابق ، شكل ؛ Saleh – Sourouzian, Official Catalogue : The Egytian Museum Cairo , no 168 .

(٣) المرجع السابق ، شكل ٤٥ ؛ تاريخ مصـــر القديمـــة وآثارهـــا – الموســـوعة المصرية ، شكل ١٣٠ .

(٤) Saleh – Sourouzian , op . cit ., no 179

(٥) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، شكل ٢٨ ؛ ألفه نخبة مـــن العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٦ – ١٣٨ ؛ بيير مونتيه : الحيـــاة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ٦٩ .

(٦) د. أحمد بدوى – د. جمال مختار : المرجع السابق ، شكل ٢٣ .

(٧) Le Petit temple d'Abou Simbel, pl . 35 – 36 .

وهناك منظر يمثل رمسيس الثالث وهو يداعب إحدى زوجاته فى نقش من نقوش حجرات معبد مدينة هابو .[1]

أما بالنسبة لمناظر كبار الشخصيات التى مشاهدها على جدران ، مقابر . وتعبر عن روح الترابط الأسرى ، فنقول أنه يوجد مناظر عديدة أيضا . فقد حرص الفنانون فيما رسموه أو نقشوه من صور على جدران المقابر على تصوير الأب وإلى جواره زوجته يجلسان أو يقفان متجاورين يحيط بهما أولادهما ، فحرص الفنان على تصوير الأب برفقة زوجته وأولاده فى مناظر الحياة اليومية من عمل أو خروج للصيد أو مناظر تمثل وسائل التسلية .

ففى مناظر الحياة اليومية نجد المرأة تصاحب زوجها حين يقوم بجولاته فى ضياعه ، وتراقب الصناع أثناء عملهم ، وتشهد عملية تعداد الماشية ، وتشرف على عمال الحصاد فى الحقول [2] . وفى مناظر الخروج لصيد الطيور والأسماك نرى الزوجة والأولاد يرافقون الزوج وهو واقفا فى قاربه ويقوم برشق الأسماك بالحراب وصيد الطيور بعصى الرماية ومن خلفه زوجته وابنته يساعدانه . او نراه واقفا فى القارب ممسكا بعصا الرماية ومعه زوجته ، كما نرى ذلك فى مقبرة نب آمون (منظر موجود الآن بالمتحف البريطانى) ومقبرة نخت [3] . وفى كثير من المناظر التى تمثل المآدب أو وسائل التسلية أو سماع الموسيقى نرى الزوجة مصورة خلف زوجها وهى تلف ذراعها حول الجزء الأعلى لذراع زوجها أو تلف ذراعها حول الجزء الأعلى من جسم زوجها ، فى رقة ولطف كناية عن إخلاصها له وارتباطها

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٣١٦ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٢ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٨ ، وأيضا :

Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 118 , 120

Allam , op . cit ., p. 24 , 119 , 121 .

به .[1]

أما التماثيل الأسرية التى تمثل الزوج والزوجة وحلوهما أولادهمـــا ، فـــهى عديدة أيضا ، وتمتلئ متاحف العالم بالتماثيل من هذا النوع ، ونرى فيها عادة الزوجة وهى واقفة بجوار زوجها وهى تلف ذراعها حول الجزء الأعلى من جسم زوجـــها . فنرى فى تمثال بالمتحف المصرى القزم سنب من الأسرة الخامسة ، الزوجة تجلـــس إلى جوار زوجها ، وتلف ذراعها فى رفق حول خصره دليلا على المحبـــة ن علـــى حين وقف الأولاد بجانب والديهم فى أدب واحترام [2] . وتمثال مرس عنخ مع ابنتيـه من نهايةالأسرة الخامسة [3] . وتمثال سن نفر حاكم طيبـــة مـــع زوجتـــه وابنتيـــهما بالمتحف المصرى .

صور من انفصال الترابط الأسرى :

وكما توجد ، كما رأينا ، صيغ وصور تؤكد على الترابط الأســـرة والـــود والحب والعواطف التى كانت تجمع بين أفراد الأسرة الواحدة . نجد أنه هناك بعـــض الصور التى تمثل انفصال هذا الترابط ، وقد ينتهى الزواج بالانفصـــال إمـــا بســـبب الطلاق أو بسبب وفاة الزوج أو الزوجة . وكان من أسباب الطلاق التى تحدثنا عنـــها الوثائق ، ما يأتى :

١- الشقاق المستمر والكراهية أو النفور المتبادل .

٢- الحب لشخص ثالث .

٣- زنا المرأة .

---

(١) Saleh - Sourouzian , Official catalogue : Egyptian Museum , no 39 .

(٢) Id ., op . cit ., no 51 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، شكل ١٢٨ – ١٢٩ .

٤-عدم إنجاب المرأة .[١]

كان للزوج الحق فى تأديب زوجته ، على شرط إلا يؤذيها او يسبها وكـــان الزوج يتعهد أمام القضاة بعدم إهانة زوجته وإلا عوقب بمائة ضربة أو جلده وحـــرم من الانتفاع بأى عقار مشترك بينهما . وكان والد الزوجة هو الذى يطالب الســلطات بحمايتها فى حالة إساءة الزوج لها [٢] . وعلى اوستراكا فى متحف بـــراغ ، يوجـد نص عبارة عن خطاب كتب بواسطة زوجة عذبها زوجها ، وفى هذا الخطاب تطلـب مساعدة أختها قائلة :

" سوف أرسل لك بعض الشعير لطحنها وأضيفى إليها بعض الحنطـــة ثـم أرسليها إلى . فقد حدث خلاف بينى وبين زوجى ، وقال أنه سوف ينفصـــل عنـــى ، وتشاجر مع امى على تمن كمية من الخبز نحتاجها وقال لى :

" أمك جعلت منك إنسانة عديمة الفائدة ، وأخوتك وأخواتك لا يهتمون بـك " وهذا ما يردده باستمرار ، ويتشاجر معى يوميا ويقول : " ماذا فعلت لى منذ أن جئت لتعيشى معى هنا ، كل الناس الآخرين يرسلون إلى أقاربهم خبزا وجعة وسمكا فإذا لم تفعل ... عليك ان تقومى ... " .[٣]

وكان من المعتاد إذا واجه الزوج بعض الصعوبات الماديـــة فكانـا والـدى الزوجة يتدخلان للمساهمة فى المصاريف . وفى نص على اوســتراكا فـــى متحـف برلين ، يخبرنا أن والد العروس أعطاها أدوات عديدة ووعد الزوج بأن يدفع له فـــى شكل حبوب لمدة سبع سنوات .[٤] وفى حالة الانفصال كان من حق الزوجة اســترداد الممتلكات الآتية :

١- هدية البكارة .

---

(١) Allam , op . cit ., p. 48 .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ .

(٣) Allam , op . cit ., p. 46 .

(٤) Id , op . cit ., p. 46 .

٢- النقدية اللازمة لكى تصبح زوجة .

٣- جميع ممتلكاتها الخاصة .

وبالطبع فإن قيمة هذه الأشياء كانت تختلف من حيث المستوى المادى لكل زوج . أما فى حالة انفصال الزوجة من نفسها عن زوجها فيصبح من حق الزوج نصف هدية البكارة . وثلث الممتلكات المشتركة فى بعض الحالات . ويبدو أن الزوج كان يؤدى قسما أثناء توقيع عقد الزواج ، وكان هذا القسم يؤدى فى حضور والد الزوجة ونبلاء القرية ، ويتعهد بأنه إذا طلق زوجته فإنه سيخسر مائة قوس ، ويفقد كل الممتلكات المشتركة .[١]

وكان الأب هو الذى يعتنى بابنته الطلقة . ولهذا نجد فى وثيقة أخرى أن الأب يمنح ابنته المتزوجة الحق فى أن تعيش فى منزله إذا طلقها زوجها . وهذا الوعد حرر بالصيغة الآتية :

" أنت يا ابنتى الطيبة ، إذا العامل باكى طلقك من منزل الزوجية ، فإنك تستطيعين العيش فى منزلى ، الذى شيدته ولا أحد يستطيع طردك منه " .[٢] وفى الوثائق الخاصة بسرقات المقابر ، اتهم أحد الأزواج باشتراكه فى عملية السرقة ، فمنعه حماه من العيش معه فى منزله [٣] . وعندما يتم الطلاق يعطى الزوج زوجته وثيقة الطلاق وفيها يعلن عن تخليه عن كافة حقوقه فى الترابط الزوجى . ويؤكد فى الوقت نفسه حق زوجته فى الزواج مرة أخرى . وكانت صيغة الانفصال كما تحدثنا عنها بعض النصوص كالآتى :

" لقد هجرتك كزوجة لى ، وأننى أفارقك وليس لى مطلب على الانفصال ، كما أبلغك أنه يحل لك أن تتخذى لنفسك زوجا آخر متى شئت " .[٤]

---

(١) Allam , op . cit ., p. 49 – 50 .

(٢) Id ., op . cit ., p . 52 .

(٣) Id ., op . cit ., p . 52 .

(٤) Id ., op . cit ., p . 49 .

وفاء الزوج لذكرى زوجته :

كان الزوج لا يتوان فى بذل كل ما يستطيع من نفقات فى سبيل علاج زوجته إذا هى مرضت ويستدعى لها الطبيب بالمنزل ، وإذا توفيت حزن عليها حزنا شديدا ويحيط جنازتها ومدفنها بكل تكريم ويستمر هذا الحزن فترة طويلة وقد يصاب بالمرض نتيجة ذلك الفراق . فهناك قصة رجل فقد زوجته أثناء غيابه عنها لظروف عمله ووظيفته فحزن عليها حزنا شديدا حتى أصابه المرض ، وقيل له أن مرضه قدا قد تسببت فيه روح زوجته المتوفاة . فكتب خطابا إلى روح زوجته ووضعه فى مقبرتها ، ويستعطفها ويسترضيها . ويذكرها بكل ما قام به نحوها عندما كانت تعيش معه وأنه لم يدخل على قلبها أى هم أو حزن وعندما مرضت استحضر لها كبير الأطباء ، وكيف أنه قضى ثمانية شهور دون أن يأكل أو يشرب بسبب التفكير فيها أثناء غيابه فى مأمورية فى الجنوب ، وعندما عاد إلى منف حيث منزله ، عرف بوفاتها فبكى كثيرا مع أهله أمام منزله ، واستحضر أحسن الملابس والأقمشة لكى يلفونها فيها ، ولم يدع شيئا حسنا إلا فعله من أجل تكريم نهايتها . وقد كتب هذا الخطاب على بردية موجودة الآن بمتحف لندن .[١]

وهناك بردية بالمكتبة الأهلية فى فيينا عثر عليها فى منف ، من أقدم البرديات اليونانية إذ يرجع تاريخها إلى أيام الإسكندر الكبر على ما يرجح ، وتحمل دعاء لسيدة يونانية أسمها ارتميسيا إلى المعبود سرابيس لينزل اللعنة على زوجها الذى هجرها بعد ان أنجبت منه طفلة توفيت فلم تحظ منه بهدايا أو شعائر دفن لائقة .[٢]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٣٧ – ١٣٨ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٧١ – ٧٢ .

(٢) د. عبد اللطيف على : مصادر التاريخ الرومانى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٧٨ حاشية (١) .

هناك نصوص وصلتنا ابتداء من الدولة قديمة تبين وفـاء الـزوج لذكـرى زوجته وكذلك وفاء الزوجة لزوجها بعد وفاته ، وذلك بإقامة لوحة أو تمثال او بنـاء مقبرة له وتقديم القرابين باسمه ، وأحياء ذكراه بكافة الوسائل ، مما يدل علـى روح الترابط التى تجمع بينهما . فهذا زوج أقام لوحة باب وهمى لزوجته فـى مقبرتـها ، وهذا الباب هام بالنسبة لدخول الروح إلى المقبرة ، ويقول النص :

" انه فلان (أى الزوج) الذى فعل هذا لزوجته فلانه التى دفنت فـى هـذه المقبرة الجميلة " (١) .

وإذا توفى الزوج حزنت عليه الزوجة حزنا شديدا هى وأولادها ، ومظـاهر حزنها مصورة فى سوم بعض المقابر ، حيث نرى الزوجة باكية نادبة وقـد أخـذت تصرخ وتلطم خديها رافعة يدها إلى السماء فى أسى كبير . ويحكى نص على لسـان متوفى سجله فى مقبرته ، مدى حزن الأسرة والجيران على فقدانه ، فيقول :

" (وعندما) خرجت من منزلى ، ونزلت نحو المقبرة فـى مدفـن جميـل صنعته بقوتى (اى بقوة ساعديه) . كان أهل منزلى يبكون ، (وأهل) مدينتى مـن وراء أولادى ، يبكون خلفى بدون استثناء "(٢) . وعندما الفراق الأبدى علـى بـاب المقبرة كانت الزوجة تودع زوجها بالألفاظ نفسها التى كانت تناديه بها عندما التقـى بها لأول مرة وفى حياتهما الزوجية معا التى كانت يملؤها الحب ، فتقول :

" يا أخى ... يا زوجى ... يا حبيبى ... ابق " .(٣)

وقد تظل الزوجة بدون زواج بعد وفاة زوجها . فهناك نص آخر على بردية يقص علينا قصة أرملة توفى زوجها وهى صغيرة ، وعندما تقدمت بها السـن أرادت

---

(١) R. el Sayed , op . cit ., p. 273 (16) (a) .

(٢) Id., op . cit ., p. 288 (111) .

(٣) ألفه نخبة من العلمـاء : تـاريخ الحضـارة المصريـة ، ص ٤٢٥ ، ٤٣٧ ، وأيضا : Lalouette , L'Empire des Ramses, p. 4656 , 467 n.25 .

أن تحرر ثلاثة عبيد لديها ، وان تتبانهم وتوهب لهم ثروتها بعد وفاتها .[١] وتبقى بعض الزوجات مخلصات لذكرى أزواجهن ، وتصفهن النصوص بلفظ : " المخلصة (أو الوفية) نحو زوجها " [٢] . وتعمل على إقامة الآثار تخليدا لهذه الذكرى ، وتقول النصوص عنها :

- " إنها زوجته فلانه التى أحبها ، وشرفته ، التى فعلت هذا له وفقا لاخلاصها نحوه ، بعد أن دفن فى مقبرته فى الغرب (الجبانة) " .[٣]
- " إنها زوجته التى تعمل على إحياء اسمه (إى ذكراه) " .[٤]

أو تتحدث هى نفسها عما فعلته لزوجها فتقول :

" أقمت هذا لزوجى ، محبوبى ، الذى أحبنى " .[٥]

ثالثا - بعض مظاهر وأنشطة الحياة الأسرية :

(١) أماكن معيشة الأسرة :

كان المنزل — ولا يزال — هو المكان الذى يعيش فيع الإنسان أغلب سنوات عمره ، وهو المكان الذى يشهد ميلاد الأسرة والى ينمو فيه أفراد الأسرة الصغار ، وهو الشاهد على الحياة الأسرية بكل ما فيها من علاقات وكل ما فيها من حركة ونشاط . وكان المصرى حريصا على أن يكون هذا المكان مزودا بكل وسائل الراحة .

(١) Allam , op . cit ., p. 18 .

(٢) R. el Sayed , op . cit ., p. 274 (17) (b) .

(٣) R. el Sayed , op . cit .,, p. 273 (10) .

(٤) Id . op . cit ., p. 280 (61) (c) .

(٥) Id . op . cit ., p. 273 (11) .

وتختلف أشكال هذه المنازل ومحتوياتها طبقا لنوعية مستوى الأفراد التي تسكنها والطبقات التي ينتمون إليها . فهناك بالطبع القصور والبيوت التي تخص الأشراف وكبار رجال الدولة والكهنة وبيوت الفنانين والصناع والعمال وبيوت المزارعين او الفلاحين .

كان المصرى القديم يعيش فى منزل بسيط حرص فيه من بناه أن يكون ملائما للجو الذى يعيش فيه ، فبناه من اللبن والخشب ، وجعله فسيحا ، وأكثر من الفتحات كالأبواب والنوافذ والملاقف ، وكانت تتخلله الأبهاء وقاعات الطعام والاستقبال . وفى الجزء الخلفى من المنزل ، كانت توجد غرف النوم ، ويوجد إلى جانب غرف النوم غرفة تتخذ حماما ، وإلى جوار الحمام يوجد عادة مرحاض .

وكان المنزل يضم أثاثا يمتاز بالبساطة (١) ، ويعد السرير من اهم قطع الأثاث المنزلى ، ويوضع عليه وسائد مترفة ، ويوضع فى باقى الغرف الكراسى والمقاعد ، ومنها البسيط ومنها الفخم . هذا إلى جانب الموائد المصنوعة من الخشب أو المرمر المصرى أو حجر الشست ، ويوضع عليها أوانى فخارية أو جحرية أو معدنية تمتاز ببساطتها وجمال شكلها ، وهى أوانى من أشكال شتى لوضع الفاكهة والأطعمة ولحفظ أصناف الشراب وكذلك العطور والحبوب . وتمتاز جميعها بدقة صنعها وجمال نسبها وتناسقها .

اما أرضية حجرات المنزل فكانت مغطاة بالحصير ، فمثلا أرضية غرف الجلوس كانت تغطى بقطع من الحصير الملون . كما كانت جدران المنزل تحلى بالحصير الملون . وهناك الصناديق الخشبية لحفظ الملابس والحلى وأدوات الزينة كالعطور والأمشاط وما إليها .

وكانت المنازل تضاء بقناديل تملأ بالزيت وتطفو فيها الفتيلة ، وكانت

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٤٦ – ١٤٨ ؛ د. بيومى مهران : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الجزء ٥ ، الحضارة المصرية ، ص ٥٧ – ٥٨ ، ٧١ – ٧٣ .

توضع أحيانا على قواعد عالية للانتفاع بضوئها الضعيف إلى اقصى حد ممكن . وإذا نظرنا إلى تكوين منازل الطبقة الغنية فى تل العمارنة ، فنجد أن المنزل كان يتكـــون من طابق واحد ، ويحيط به حائط مرتفع ، به غرف للبواب قرب المدخل . وبعد ذلك نجد فناء يؤدى إلى الجزء الرئيسى فى المنزل وهو مستطيل الشكل بحيـــث يحتـوى على أجزاء ثلاثة رئيسية فى كل مسكن ، والأول عبارة عن قاعة فسيحة مخصصـــة لاستقبال الزوار ، والثانى الجزء الأوسط معد للسكنى وله يقف مرفوع على أعمـــدة خشبية ، والجزء الثالث كان مخصصا للحياة العائلية ويشمل قاعة المعيشة الخاصـــة وغرف النوم . وملحق بهذا الجزء المرافق الصحية منها مقاعد يجلس عليها المـــرء عند قضاء حاجته وحجرة للرشاش (دش) وحجرة للتدليك واســـتعمال الدهانـــات ، وكان يتم تصريف المياه إلى الخارج بواسطة قناة من الفخار .

أما المطبخ فلم يكن بالمبنى الرئيسى للمنزل ، وإنما كان المطبخ فى الخـارج فى فناء المنزل فى مكان منعزل عن الضوضاء واتربة الطريق ، كما كان يوجد فـــى هذا الفناء مساكن للخدم وبئر لجلب المياه وفـــرن ، فضـــلا عـــن صوامـــع للغـــلال وإسطبلات للخيل وحظائر للماشية وورش صغيرة للصناعات المختلفة ، كما يوجـــد أحيانا بركة صناعية وكشكا للموسيقى ، هذا فضلا عن أشجار زرعت فى حفر مليئـة بطمى النيل .(١)

(٢) الخدم والعبيد فى المنزل :

كان يعبر عن كلمة خدم بعدة ألفاظ مصرية قديمة ، سجم " المســـتمع " أى من يسمع النداء ، وعب " الساقى " ويعبر عن كتابة برسم أناء ، وشمسو " التابع " أى التابع لسيده كلما خرج . وكان الخدم يقومون بخدمة سيدهم فى الســـقاية والطعـــام ، وخدمة المقربين من مائدة سيدهم . وكانوا يقومون بالعناية بنظافة المنزل والاهتمـــام بملابس سيدهم . وكان فى استطاعتهم استماع الأسرار وتذكير سيدهم بأمر هام فـــى

---

(١) د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٦٣ – ٦٦ .

الوقت المناسب .

وهؤلاء الخدم كانوا من الطبقة الفقيرة ، وهم خدم أحرار بمعنى أنه كان فى مقدورهم ترك خدمة سيدهم إذا ما أرادوا ذلك ، أو يحترفون حرفة أخرى ، أو يشترون أملاكا إذا توفرت لديهم الإمكانيات المادية [١] . وكان فى استطاعة المخدوم ان يطرد خادمه بسهولة تامة إذا أخل فى واجباته .

أما الذين يسمون حمو أو باكو كانوا يعتبرون عبيدا حقيقيين وخاصة فى عصر الدولة الحديثة . وكانوا يعاملون معاملة شديدة فى بعض الأحيان ويقتفى أثرهم إذا ما هربوا من الخدمة . وفى مقبرة نفر حتب نرى كاتبا يقوم بحصر أسماء العبيد أمام سيده ، فأحد العبيد مقيد اليدين ومربوط بحبل يجر منه ، وعبدان آخران يؤدبهما أحد رجال الشرطة وقد قيدت أرجلهما . وفى أغلب الأحيان كان هؤلاء العبيد من أصل أجنبى وقعوا فى الأسر نتيجة حملة انتصر فيها الملك فى الصحراء الشرقية أو غرب آسيا أو فى الصحراء الغربية أو فى الجنوب . وكان يوزع بعضهم على الرجال المحاربين الذين اشتركوا مع الملك . وكان بعضهم يحتفظ بأسمه الأصلى ، أو يغير أسمه ويحمل أسماء مصرية . وكان فى إمكان السيد أن يؤجر عبده أو يبيعه ، ولدينا أكثر من بردية فى المتحف المصرى تشير إلى بعض المعلومات عن طريقة شراء العبيد . وعندما اتهم بعض العبيد فى سرقات المقابر لم تخفف المحكمة العقوبة عليهم بالعكس ضاعفت جلدهم . وكان السيد يضرب عبده .[٢]

ومن العبيد من أوتوا بعض المهارة فكانوا يعرفون كيف يتخلصون من نير عبوديتهم . مثل ذلك العبد الذى كان يعمل عند حلاق وحصل منه على عقد تحرره ، وخلفه فى مهنته وتزوج بابنة أخته .

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ٨٣ – ٨٤ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٨٥ ، ٨٧ .

(٣) العناية بالنظافة بوجه عام :

كان المصريون القدماء يعنون عناية كبيرة بالنظافة ، ويهتمون بنظافة أبدانهم وملابسهم ومساكنهم . فكانوا يغتسلون عدة مرات فى اليوم فى الصباح عند الاستيقاظ من النوم وقبل تناول الوجبات الرئيسية وبعد الفراغ منها .

ويذكر هيروردوت انهم كانوا أكثر الشعوب مراعاة للنظافة ويقول : " وهم يغتسلون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين كل ليل " (١) . فمن الأمور التى أهتم بها المصريون اهتماما كبيرا نظافة البدن . فقد كانت النظافة عندهم من الطهارة ، يستوى فى ذلك الغنى منهم ومن كان فقيرا . وقد شهد هيرودوت للمصريين بعدة فضائل سبقوا بها كافة الشعوب منها :

" أنهم أول من راعى السنة التى تحرم مباشرة النساء فى المعابد ودخولها بعد ذلك دون اغتسال "(٢) أى دون طهارة .

كانت أدوات الاغتسال تتكون من أناء متسع وأبريق ذى صنبور . وكان يوضع فى الإناء المتسع رمال ، أما الإبريق فتوضع فيه المياه معقمة بالنطرون أما مياه مضمضة الفم فكانت تعقم بنوع من الملح او بمعجون جاف يحتوى على مادة للتطهير وللتنظيف وإزالة الشحم والدهون .(٣)

(٤) الملابس والزينة :

فى الطبقات العليا نجد بعد أول اغتسال يتوجه الرجال إلى الحلاقين وإلى

---

(١) د. احمد بدوى – د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، ص ١٣٦.

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٩٣ – ٩٤ .

مقلمى أظافر الأيدى والأرجل ، كذلك يتجه النساء إلى محلات التزين ويتولى الحلاق حلاقة الذقن ويقوم بقص الشعر مستعملا موس منحنى السلاح وكانت هذه الأمواس تحفظ فى أجربة من الجلد . ويصبح الوزير أو حاكم الإقليم نظيفا منتعشا .

وتأتى بعد ذلك دور اخصائى الروائح العطرية والطيب ويحضر ما قام بتحضيره فى أوان مختومة من اللبلور أو المرمر أو الزجاج الطبيعى ، كما كان يحمل مساحيق سوداء وخضراء لتجميل العيون داخل أكياس صغيرة . ولتفادى الرائحة الكريهة التى تبعث من الجسم حين تشتد درجة الحرارة . كانوا يدلكون أنفسهم عدة أيام متتالية بعطر أساسه من زيت وبخور الذى كان يخلط بحبوب وبمادة عطرية أخرى .

وكانت لديهم منتجات للتجميل ولتجديد البشرة ولتقوية الجسم ، وأخرى لإزالة البقع وحبوب الوجه . فكانوا يستعملون مثلا لتقوية البشرة مسحوق المرمر أو مسحوق النطرون أو ملح الشمال ممزوجا بالعسل . كما توجد وصفات أخرى أساس تركيبها لبن أنثى الحمار وزيت الخروع لتلافى الصلع أو إعادة نمو الشعر وانتزاع الشعر الأشيب وبالمتحف المصرى تماثيل صغيرة لنساء ، يتضح لنا منها الطرق المختلفة المتبعة فى تصفيف الشعر ، ولبس الشعر المستعار .[١]

فضل بعض العامة من الناس فى مصر القديمة رسم حيوان أو طائر يرمز إلى إحدى المعبودات وذلك بطريقة الوشم كنوع من الزينة ورغبة منهم فى كسب حماية هذا المعبود أو هذه المعبودة . اما زينة المرأة الغنية فكانت حدثا هاما مثل زينة زوجها ، ويبين لنا نقش بارز كيف كان يتم تزيين إحدى الأميرات ، كما يظهر على تابوت الأميرة كاويت من الدير البحرى ، من الأسرة الحادية عشرة ، ومحفوظ الآن بالمتحف المصرى ، وعليه نرى الأميرة كاويت أثناء إعداد زينتها ومن خلفها فتاة

---

(١) دليل المتحف المصرى – القاهرة . وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٤٣ (٦٠٦٥) ، عن تصفيف الشعر وأشكاله راجع : Daumas , la Civilisation de L'Egypte Pharaonique , p. 587 – 88 .

تصفف شعرها وهى ممسكة بمرآة وتشرب اللبن [١] . أما زوجة العامل البسـيط أو الفلاح فتقوم زينتها بنفسها . وكانت زينة الأذن تمثل جزءا هاما من زينة الأفـراد ، وكانت عبارة عن أقراط مستديرة بسيطة .[٢]

أما بالنسبة للملابس فيضع الرجل الأزرار ، ويزين معصمه بزوج أو أكـثر من الأساور ، ويضع خاتما فى أصبعه ، وكان يحتذى نعل فى رجليه . وكان بعـض المصريين يرتدون ثيابا لا زخرف فيها ، ذات حمالات . وكـانوا يرتـدون أحيانـا ملابس ذات ثنيات من القماش نفسه . وكانت ملابس سيدة المجتمع لا تختلف كثـيرا عن ملابس زوجها فكانت تشمل قميصا شفافا ، وفوقه ثوب أبيض شفاف ذو ثنيـات مثل ملابس الرجال ، يعقد على النهد الأيسر بينما يكشف النهد الأيمن . وفكانت هـذه الملابس للطبقة العليا وكبار الشخصيات . أما طبقة العمال فكـان أفرادهـا يرتـدون ملابس أكثر بساطة وأكثر فائدة .[٣]

(٥) أعداد الطعام والوجبات :

كان المصريون دائما من أكثر الناس أكلا للحوم . فنرى مناظر القصـابين وأفواج الحيوانات المخصصة للذبيح تغطى جدران المقابر منذ عصر الدولة القديمـة ، كان العجل أكبر مصدر للحوم ، وكان يعرف باسم الثور الأفريقى ، وبعد أن يرعـى فترة فى المراعى يساق إلى المجزر . وعندئذ يبدأ دور الجزاريـن ، وهـؤلاء كـان يتراوح عددهم بين أربعة أو خمسة رجال . يقوم رئيس الجزارين الضحيـة بسـكين يزيد قليلا عن طوال اليد الواحدة . ويجمع الدم فـى أثنـاء يتـم فحصـها بواسـطة

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـد الأول – الجـزء الأول ، شكل ٣٠٤ : : Saleh – Sourouzian , official catalogue The Egyptian Museum Cairo , no 68 b .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تـاريخ مصـر القديـم ، دار المعـارف ١٩٨٤ ، ص ٢٨٧ – ٢٩١ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٩٦ ، ٩٨ – ٩٩ .

الأخصائى البيطرى .(١)

وكانوا يأكلون أيضا الطيور ومنها طيور الكركى والسمان والأوز والبط والحمام وبط الماء . ويأكلون كذلك أنواع عديدة من الأسماك منها البياض والبورى والقراميط والشال والبلطى الكبير الحجم . وأما أنواع الخضر فهى الكرات والبصل والثوم والخيار والفول والبازله والحمص والخس . أما الفواكه فكانوا يأكلون خلال الصيف العنب والتين والبلح والجميز والبطيخ والشمام . أما جوز الهند فكان فاكهة غريبة مفضلة لدى بعض الخاصة . اما الكمثرى والخوخ واللوز والكريز فلم تظهر على الموائد إلا فى عهد الرومان . وكانوا يزرعون أشجار الرمان والزيتون والتفاح التى أدخلت فى عهد الهكسوس . وكان زيت الزيتون يستعمل فى الإضاءة كما يستعمل فى إعدادا الطعام .(٢)

ولا يمكن حصر موارد المصريين القدماء من الفاكهة والخضر بكل دقة . وكانت الطبقات الفقيرة تكتفى فى بعض الأحيان بمص سيقان نبات السبردى كما يمصون الان عيدان القصب وبعض عصير النباتات المائية التى وجدت أكواب مملوءة منها فى المقابر . وكانوا يستعملون مسحوق الخروب والعسل فى تحلية الأطعمة والمشروبات .

وكانوا يربون النحل فى الحدائق وكانت جرار الفخار تستعمل كخلايا للنحل . ويحفظ العسل فى جرار حجرية كبيرة مختومة . أما اللبن فكان طعاما لذيذا ، وكانوا يضعونه فى اوان من الفخار بيضاوية الشكل ، يسدون فوتها بأعشاب لحمايتها من الحشرات وحتى لا يكون إغلاقا محكما . ولمنتجات الألبان أسماء كثيرة منها : القشدة ، الزبد ، الجبن . وكانوا يضعون الملح فى بعض الأدوية والأطعمة . ولم يجهلوا أن الزبد والقشدة ودسم الأوز ودهن لحوم العجول الصغيرة كانت صالحة جدا

---

(١) Chr . Wagnair , la Cuisine et la preparation des aliments d'apres les Scenes Figurees des Ancien et Moyen Empires, lille 1966 , p. 10 – 126 .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٠ – ١١١ .

فى تحضير الأطعمة .

وكان المصريون يأكلون وهم جالسون إما فرادى أو أثنين سويا على مــائدة صغيرة يضعون عليها مختلف أنواع الأطعمة من لحوم وطيــور وخضــر وفاكهــة وشرائح خبز صفت بشكل قمعى . ويجلس الأطفال على وسائد او على الحصر . ولا يجتمع أفراد الأسرة صباحا عند تناول طعام الإفطار ، وكان الطعام يقدم لرب الأسـرة حينما يفرغ من الاغتسال وارتداء ملابسه . كان يأكل قطعة من الخبز وكــوب مــن الجعة وشريحة من لحم الفخذ وقطعة من الفطائر شنس . أما الأم فكانت تتناول وجبـة الإفطار وقت زينتها أو بعد ذلك مباشرة .

كانت وجبات الطعام ثلاثا ، الوجبة الرئيسية كانت عند الظهر وفى المســاء اما قائمة طعام الوجبتين الأساسيتين ، فكانت تحتوى على لحــوم وطيــور وخضــر وفاكهة الموسم وخبز وفطائر والجعة التى تلازمها دائما . وليــس مــن المؤكــد أن المصريين ن حتى الأغنياء منهم ، كانوا يتناولون اللحوم فى كل الوجبات . أما فــترة بعد الظهر فكانت تتخللها وجبة خفيفة من الطعام بين الرابعة والخامسة .(١)

واستخدم أهل الطبقة الوسطى الموائد المرتفعــة محــل الحصــير . وفــى الطبقات الدنيا كانوا يتناولون الطعام وهم جلوس على الأرض على الحصير .

(٦) الطهى :

يطهى الطعام على موقد متنقل من الفخار . اسطوانى الشــكل يكــاد يبلــغ ارتفاعه مترا تقريبا ، فى أسفله فتحا يدخل منها الهواء ويخرج منها الرمــاد ، وفــى داخله قضيب أو جملة أسياخ يوضع عليها الوقود . وكان يوضع فوق الموقد إناء لــه مقبضان . وكان الطاهى لا يكف عن تحريك مروحته حتى تستمر النيران متوهجة لا تخبو طيلة قيامه بالطهى .

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٠ – ١٢٧ ؛ د. بيومى مهران : المرجع السابق ، ص ٧٣ – ٧٤ .

ولتشغيل الأفران استخدم الطهاة او الطباخون الفحم الخشبى او الحطـــب أو الخشب . ولأجل إيقاد النيران استخدموا ما يعرف باسم " خشب الشـــراقى " . إلـــى جانب المواقد كانت هناك الأفران من الطين ، والمعروفة منذ أقدم العصور . فقد عثر بالقرب من قرية بلاص على كثير من الأفران التى تحتوى علـــى حبـوب الشـعير والحنطة المجففة مما يدل على أن هذه الأفران كانت تستخدم لتجفيف هـــذه الحبـوب لاستخراج الجعة . وأن هذه الأفران كانت تستخدم أيضا فى طهى الطعام .

وكانت أدوات الطبخ الجرار والأوانى الفخارية والأباريق ، وأدوات المـائدة التى تشمل الأطباق المختلفة الأشكال والمتعددة الأنواع . وأيضا الســكاكين لتقطيـع المأكولات والملاعق والشوك والسلال التى كانت تستعمل فى نقل المــواد التموينيـة والموائد ذات القوائم الثلاث أو الأربع لتقطيع اللحوم وإعدادا الأسماك ، والخطـاطيف التى يعلقون عليها اللحوم والطيور . والموائد الصغيرة المنخفضة التى يفرزون عليـها الخضر والتوابل . ولم يترك المصريون القدماء كتبا عن الطهى ولكن يمكن اخذ فكرة عن مهارتهم فى هذا لمجال من أوراق البردى الطبية حيث وصفت وصفـــات ضـد الأمراض كان لابد إعداد عقاقيرها عن طريق الطهى .[١]

ويبدأ الطباخ بوضع الدهن داخل القدر ظن ومن المحتمل أيضـــا أن تكـون محتويات القدر من الخضار المتبل ، وبعد ذلك يحرك ما بداخل القدر بواسطة مغرفـة كبيرة . أما اللحم فكان يشوى على هيئة شرائح مبططـــة بعــد تنظيفـه . وبالنسـبة للدواجن كان الطباخ يقوم بنزع الريش وتنظيف الأوزة او البطة . وبعد ذلـك يقطـع رأسها وأطراف أجنحتها وأرجلها ويضعها فى سيخ يمسكه بيده مادا ذراعه فوق موقد ينبعث منه نار هادئة . أما باقى الطيور فكانت تؤكل مسلوقة أو مشــوية . وتؤكـل الأسماك مسلوقة أو مشوية أو مجففة بعد تمليحها أو محفوظة فـــى اوانـــى مملـوءة بالتوابل .

وكان الخبازون وصانعوا الحلوى والطباخون وصانعوا الجعة يعملون فـــى

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٢ – ١١٥ .

خدمة الملك [١] ، او عند كبار الشخصيات مثل مكت رع او فـــى ملحقـــات المعـــابد الكبرى مثل معبد الكرنك . ويذكر لنا كبير كهنة آمون رومـــى – روى أنـــه " شـــيد مصنعا صغيرا فى المعبد يعمل فيه الخبازون وصانعوا الجعـــة علـــى الســـواء " [٢] وكانت توضع بعد إعدادها فى جرار صغيرة تسع الواحدة منها لترا او لترين .[٣]

(٧) وجود الحيوانات الأليفة فى المنازل :

كان الكلب رفيق الرجل ومساعده فى الصيد ، فكـــان يســـمح لـــه بدخـــول المنازل واحتلال مكانه بهدوء تحت مقعد سيده . وبلغ من تكريم المصريين للكـــلاب أن عثر فى العرابة المدفونة على مدفن للكلاب بين مدافن النســـاء ورمـــاة الســـهام والأقزام . وفى أسيوط كانت توجد مقبرة أخرى للكلاب . وسمح للقط بـــأن يصبـــح ضيف البيت . وكان يجلس تحت مقعد سيده . وكان يقفز أحيانا علـــى ركبـــة ســـيده ويعمل مخالبه فى ردائه الفاخر المصنوع من الكتان . وبلغ القرد مكانة قريبـــة مـــن قلب الرجل ، فمنذ عصر الدولة القديمة كان له مطلق الحرية فى دخـــول المـــنزل . وعثر على لوريه فى مقبرة تحوتمس الثالث على مومياء قرد دفن معه لأنـــه أدخـــل البهجة فى نفس الملك خلال حياته ، وهناك منظر يمثل توت عنخ آمون جالسا علـــى كرسى وبجواره أسد مروض [٤] . وبالمتحف المصرى ، لوح من العصر العتيـــق ،

---

(١) هناك تمثال بالمتحف المصرى تحت رقم JE 66624 مـــن نهايـــة الأســـرة الخامسة عثر عليه فى مقبرة فى الجيزة ، من الحجر الجيرى الملـــون ، يمثـــل امرأة تقوم بإعداد خميرة لشراب ما ، راجع :

Saleh – Sourouzian , official catalogue : The Egyptian Museum Cairo (1987), no 52 .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١١١ – ١١٨ .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٨٧ – ٩١ .

نصب تذكارا لكلب محبوب ، عثر عليه فى أبيدوس [(١)] وهناك أيضا غزالة ، يرجح إنها كانت تعتز بها إحدى أميرات الأسرة الحادية والعشرين . وقد حنطت ثم وضعت فى تابوت على صورة الحيوان نفسه .[(٢)]

رابعا – أساليب شغل أوقات الفراغ :

(١) الرياضة بأنواعها :

كان الغرض منها تنمية البدن والرشاقة ، فضلا عن أغراض اللهو والمتعة وفى الواقع ان الرياضة لم تكن ميسرة لغير القلة من الناشئين ، مثل أبناء الأثرياء والمحترفين . وبعض العسكريين ، ومن تسمح لهم ظروف معيشتهم بأوقات فراغ استمتاع ، وكان هناك نوعان من الرياضة :

(أ) العاب يسيرة الأداء والأوضاع :

وتشمل التمارين البسيطة باعتبارها من العاب اللهو والتسلية ، وكانت تشمل تمارين أخرى ، اتصفت بنصيب من البراعة والنضج ، سجلتها مناظر ترجع إلى القرن العشرين ق.م . وتتألف من تمرين للف الجذع الأعلى فى شدة . وتمرين صور حركة سريعة ينقلب فيها غلام على ناحية رأسه ، ويحفظ توازنه فى استقامة كاملة ، دون ان يرتكز على يديه أو كفيه . وتمرين آخر جلس اثنان فيه متظاهرين على الأرض ، وحاولا الوقوف دون الاستعانة باليدين . وتمرين رابع لمرونة الظهر وتقوية الأطراف ومحاولة الإنثناء إلى الخلف فى قوس كامل .وتمرين خامس اشترك فيه خمسة غلمان جمعهم زى موحد ، يؤدى كل منهم وضع من أوضاع مرونة الحركة ، والرغبة فى إظهار الرشاقة . وقد

---

(١) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة ، مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٧٢ (٣٠٧٥) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٨٧ (٣٧٨٠) .

شهدت عرضهم أربع فتيات ، وذلك مما يعنى أن رياضتهم كانت تجرى فـــى أحـــد بيوت الأغنياء . ثم تقدمت فتاة من الفتيات بقلادة معدنية وبين يديها كانت فيما يبـــدو جائزة من الجوائز الرمزية أفضل اللاعبين . ولم تخل أوضاع الغلمان الخمســة مــن يسر وبساطة . وكانت مثل هذه الألعاب اليسيرة تؤدى أيضا فى أماكن التعليم او دور مخصصة للرياضة .

ومن الألعاب اليسيرة أيضا رياضة العدو والقفز الطويل والسباحة والتجديف والفروسية التى مارسها المصريون فى الجيش وخارج الجيــش [١] . وكـــان معظـــم المصريين يعرفون السباحة وأهالى دندرة كانوا يغطسون فى مياه النيل ويعبرونه بكل سهولة دون خوف من التماسيح [٢] . وقد ورد رسم سباحين على جدران مقبرة مــرى روكا .[٣]

أما الفتيات فكن يفضلن الألعاب التى تحتاج إلى مهارة فكن يعلبن لعبة رمـــى الكور فى الهواء بسرعة ولقفها تباعا . وكانت تركب صغـــارهن ظـــهور الكبـــيرات ويتقاذفن الكور ، وكن يتماسكن من الخصور ويتصارعن ، ولكن لعبتـــهن المفضلـــة كانت الرقص .[٤]

(ب) العاب عنيفة وشاقة :

ـــــــــــــــــــــــ نوع آخر من الألعاب ، استلزم اداؤها نصيبا كبـــيرا من الجهود والمهارة والتمرين الشاق ، وأداها الشبيبة : هواة ومحترفين ، ومارســـها

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصريـــة ، ص ١٧٣ شـــكل ١ ، ص ١٧٤ شكل ٢–٥ ، ص ١٨٨ ؛ تاريخ مصر القديمـــة وآثارهـــا – الموســـوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢٥٢ ؛ بيير مونتيه : الحياة فـــى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ١٣٥ – ١٣٦ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٨٦ حاشية (٦) .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

العسكريون ومنها :

المصارعة : وقد صورت على جدران بعض المقابر فى الدولة القديمة ، اشترك فى أوضاعها صبية صغار . فهناك منظر فى مقبرة بتاح حتب ، من القرن الخامس والعشرين ق.م . وسجلت فيه ستة أوضاع للمصارعة ، يؤديها صبية عراه ، يبلغون الستة أو أكثر ، ويشاركهم فى لعبهم أبن الوزير نفسه .

وعثر من الدولة القديمة على اوستراكا عليها شابان يتصارعان . ومن الدولة الوسطى عثر على لوحات من القرن العشرين ق.م فيها أوضاع مختلفة للمصارعة كانت تقام فى ساحات عامة ، وكانت هذه الساحة تحدد جوانبها بعلامات ، وتفرش برمل أو حصير . ففى مقابر بنى حسن ، رسم الرسامون ٢١٩ وضعا للمصارعة . وكان الهدف من هذه الأوضاع هو الرغبة فى التغلب على الخصم بعد الاشتراك معه فى مباراة منظمة مجهدة فى الوقت نفسه . وشغلت مناظر المصارعة لوحات كبيرة فى عصر الدولة الحديثة ، اشترك فيها العسكريون ، وشاهدهم الملوك فى مناسبات النصر الحربى واحتفالاته .

وتبدأ مباراة المصارعة بأن يشد كل لاعب يد منافسه بيسراه ، ويجذب عنقه بيمناه ، وهو تقليد لازال ساريا حتى اليوم . وكان يشترط للفوز ، أن يجبر المغلوب على أن يلمس الأرض فى أوضاع مختلفة .(١)

أن يتمدد المغلوب فى أولهما على جنبه ، او يتمدد على ظهره ، او يرفع الغالب ذارعيه فى الحالتين علامة انتصاره . او ينكفأ المغلوب فيها على وجهه وركبته وكفه . او يمس المغلوب فيها الأرض بركبتيه ويديه . ولم تخل المباريات كذلك من عبارات يوجهها الحكم إلى اللاعبين او المتفرجون إلى اللاعبين ، ويناصرون بها فريقا على آخر . فإذا انتهت المباراة واجه المنتصر الحاضرين

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ، شكل ٦-٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٣٥٤ - ٣٥٥ .

ويرفع يديه إلى أعلى تعبيرا عن فرحة النصر .

الملاكمة :

------ هناك منظر يمثل أثنين فى وضع يشبه أوضاع الملاكمة فى نقش من مقابر بنى حسن . وهناك صورة باقية من القرن الرابع عشر ق.م تصور مباراة ملاكمة بين خصمين .

حمل الأثقال :

------- وهى محاولة رفع غرارة مليئة بالرمل حتى ثلاثة أرباعها بساعد واحد إلى أعلى ، مع الاحتفاظ بها فى وضع قائم ما أمكن . ويوجد هذا لمنظر فى أحد مقابر بنى حسن .

المبارزة :

------ ومن الألعاب الشاقة المبارزة مثل المنظر الموجود فى مقبرة بتاح حتب بسقارة الذى يمثل مبارزة بين فريقين ، يركب كل فريق قوارب من البردى .[١] وظلت المبارزة بالعصى ، رياضة مستحبة شائعة . مارسها المصريون للرياضة والتسلية أحيانا ، ومارسوها خلال التدريبات العسكرية أحيانا أخرى . وتتطلب من لاعبيها المهارة وقوة الساعد .

ومارس الرياضون المبارزة بالخناجر . ومن عهد رمسيس الثالث لدينا منظر لجولة فى مبارزة بالعصى ، حضرها أميران من ابناء رمسيس الثالث . وهناك منظر من عصر الدولة الوسطى ، يمثل شاب يقفز قفزة جريئة واسعة بطول ثور واقف ، أى فيما بين مؤخرته وبين قرنيه ، بينما أمسك قرنى الثور وسيقانه وذيله خمسة فتيان أشداء، لإجباره على الوقوف دون تحرك حتى لا يضر باللاعب حين يقفز من فوقه .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٧٦ – ١٨٧ ، شكل ٨ – ١١ .

وفى منظر من مقابر بنى حسن نرى رجلا يقف على راســـه بمــا يشــبه رياضة اليوجا .(١)

(٢) مشاهدة العاب الأطفال :

مشاهدة ألعاب الأطفال وهو يلعبون ويمرحون كــان باعثا للبهجة والسرور فى أفئدة الآباء . وكان اللعب بالكرة من أحب الألعـــاب إلــى قلوب الفتيات ، وقد صورن وهن يتقاذفن الكرة فى رشاقة ومهارة دون أن تسقط على الأرض . ومن ألعاب الأطفال أيضا ، لعبة إخفاء الوجه ، وتتلخص فى أن يجلس أحد الأولاد ويخفى وجهه عن زميله ويتناوب زملاؤه ضربه ، وعليه أن يكتشـــف مــن ضاربه ، ومن العابهم أيضا ، أن يجلس طفلان على الأرض ظــهرا لظــهر ، وقــد تشابكت أذرعهما ، ويحاول كل من هما أن ينهض قبـــل الآخــر ، دون الاســتعانة بذراعية .

كذلك أغرم الأطفال الصغار بالصعود فوق الأطفال الكبار ومارس الغلمـــان أيضا لعبة الطوق ، وألعاب القفز المتنوعة (٢) وهناك مناظر عديدة تعبر عن ألعـــاب الأطفال منها :

منظر يمثل بعض الأطفال من بينهما غلامان يتبـــارزان بســيوف قصــيرة وغلام يحمل طفلين فوق ظهره ، ويوجد فى مقبرة من مقابر الدولة القديمة فى سقارة

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٧٨ شــكل ١٢ -١٣ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلــد الأول - الجــزء الأول ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، شكل ٢٦١ ، وأيضا :
Daumas , la Vie dans L'Egypte Ancienne , p. 100 – 105 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٢ - ١٦٤ ، ١٧٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلــد الأول - الجــزء الأول ، ص ٢٥٤ .

يمثل بعض ألعاب الأطفال من بينها لعبة الدوران والمرح ، ولم نجد بعض الأطفـــال يحملون طفلا فوق أكتافهم ، ويوجد هذا المنظر فى مقبرة فى سقارة ، ويوجد منظـــر آخر يمثل بعض الأطفال يتصارعون فى أوضاع متنوعة ، ويوجد هذا المنظر أيضـــا فى أحد مقابر سقارة ، ويوجد منظر ثالث لأطفال يتصارعون ، يلعبون ويوجد هـــذا المنظر فى مقبرة بتاح حتب بسقارة .[١]

ويوجد رسم فوق اوستراكا من الدولة الحديثة يمثل فتاة صغيرة تسـبح [٢] . وعثر فى اللشت على لعبة ميكانيكية من العاج تمثل أقزاما ثلاثة يرقصون من الدولـة الوسطى .[٣]

(١) وسائل التسلية وألعاب الحظ والفكر :

----------------------- تعد جانبا من الجوانـــب الحضـــارة ، فاختراع وسائل التسلية والترفيه يعبر موقف حضـــــارى وهـــو الجـانب المـــادى ، واستخدام هذه الوسائل والتصرف فيها ومحاولة حسن استغلال أوقـــات الفـــراغ فـــى هوايات متعددة مفيدة ، هذا هو الجانب الفكرى للحضارة . أن وجود مثل هذه الألعاب المنزلية للتسلية عند شعب لهو دليل على مقدار المضى فى ممارسة رياضـــة فكريـــة يسرى بها عن نفسه ويحدد يها نشاطه .

وكانت هناك ألعاب كثيرة ومتنوعة . وكان الأزواج والأصدقــــاء يلعبـــون العاب التسلية لتمضية الوقت . فمثلا كان بيتوزيريس يلعب مع أصدقائه بعـــد تنـــاول طعام الغذاء إلى أن يحين وقت تناول شراب الجعة فى قاعة الشراب . وكان من عادة

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـــد الأول – الجـــزء الأول ، ص ٣٥٠ – ٣٥٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـــد الأول – الجـــزء الأول ، ص ٣٥– – ٣٥٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

أهالى طيبة تناول الجعة وهم يلعبون [١] . أغرم المصريون القدماء بألعــاب منزليــة شتى تحتاج إلى فكر فقد لعبها الملوك والأمراء ، فقد ظهرت حضارة نقادة الثانية مـن العصر الحجرى الحديث وسائل لشغل وقت الفراغ . وقد عثر فى حفائر حلوان مــن بداية الأسرات على لعبة كاملة وهى سبع قطع مخروطية الشكل وسبع قطع أخـــرى اسطوانية كنصف دائرة ، وجميعها من حجر الألبستر ، وكان بجوار هـــذه الأربـــع عشرة قطعة ستون حبة من مختلف الأحجار والألوان والأشكال ، ومنها المســـتديرة والبيضاوية والمخروطية ، وتختلف مادة الأحجار التى صنعت منــها فبعضـــها مـــن الألبستر وبعضها من الأردواز وبعضها من الحجر الجيرى الأصفر .[٢]

أما طريقة اللعب بهذه القطع فلم نستطيع التوصل إليها . وقد عثر أيضا على كثير من قطع اللعب مصنوعة من سن الفيل ، وهى مختلفة الأشكال ، إلا أنها لنفـس اللعبة الكاملة[٣] وكان لدى المصريين لعبة تشبه لعبة " الضاما " تمارس على رقـــاع مقسمة إلى مربعات أختلف عددها ، ولو أن أغلبها كان يتكون من ثلاثيـن أو ثلاثـة وثلاثين مربعا صغيرا مقسمة إلى ثلاثة صفوف [٤] . وكان المتنافسان يجلســان فـــى مواجهة بعضهما . وكانا يجلسان فوق مقاعد قصيرة لا مساند لها وأرجلهم ممتدة فوق وسائد صغيرة ، ويلعب الزوجان غالبا الواحد منها ضد الأخر . وكانت الأبنة تســاعد أباها فى اللعب وهى تلف ذراعها حول رقبته .

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٧٧ ، صورة ٨٩ – ٩٠ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) مثل ما هة ممثل على سطح صندوق اللعب الخشبى والمرصع بالأبنوس والعـاج والذى عثر عليه كارتر فى مقبرة توت عنخ آمـــون عــام ١٩٢٢ – ١٩٢٣ ، ويبلغ ارتفاعه ٢٠,٢ سم وهو معروض ضمن آثار توت عنخ آمون بـــالمتحف المصرى ، راجع :

Saleh – Sourouzian , Official catalogue : The Egyptian Museum Cairo , no 189 .

وفى مقبرة بيتوزيريس نراه يلعب مع أصدقائه بعد تناول طعام الغذاء إلـــى أن يحين وقت تناول الجعة فى القاعة المخصصة لذلك . وكان أهل طيبـــة يتنـــاولون الجعة وهم يلعبون [١] . ويقوم المتنافسان بتحريك قطع اللعب وفقا لقواعد خاصـــة لا يزال الكثير منها [٢] . وأحيانا يلعبها الشخص بمفرده ، مثل المنظـــر الموجـــود فـــى مقبرة سنجم فى دير المدينة .[٣]

وكان يطلق على هذه اللعبة اسم " سنت " [٤] وتعنـــى الكلمـــة أو التســـمية " مرور ، عبور ، اجتياز "[٥] وكانت هناك لعبة أخرى تشبه لعبة الشـــطرنج يجـــرى فيها اللـعب بدبابيس من العاج خمسة منها تتوجها رؤوس كلاب بينما تتوج الخمســـة

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٤ ، ألفه نخبـــة مـــن العلمـــاء : تـــاريخ الحضـــارة المصرية ، ص ١٦٣ ، ١٧١ .

(٣) وفى الواقع أن هذا المنظر موجود على لوحة من الخشب الملون ، موجـود الآن بالمتحف المصرى Allam , Everyday life in Ancient Egypt, p. 121 ; Saleh- Sourouzian, op. cit ., no . 215 .

(٤) قام بدراسة هذه اللعبة بوش منذ عصر الدولة القديمة حتى العصـــر المتـــأخر ، راجع : Pusch , Das Senst-Brett spiel (MAS 38) (1979) p. 6-373.

(٥) وفى الواقع أن لعبة السنت كان يمارسها كافة طبقات الشـــعوب . ففـــى مقـــبرة الكاتب حسى رع من الأسرة الثالثة ، مثلت على جدران مقبرته بســـقارة لعبـــة السنت . وعثر فى القائمة الخاصة بالمتاع الجنائزى للأمير رع حتب التى عـــثر عليها فى ميدوم على بقايا أجزاء من لعبة السنت . وكان العمال الذين اشـــتركوا فى بناء الأهرام يلعبون لعبة السنت فى أوقات فراغهم وعثر على بقايا هذه اللعبـة مرسومة على بعض الكتل الحجرية بالجيزة . وفى مدينة هـــابو مـــن عصـــر رمسيس الثالث نرى الملك يلعب السنت مع بناته .

الأخرى رؤوس بنات آوى ، ويغلب الظن أن كل لاعب كان يحاول الوصـــول إلـــى الهدف المرسوم فى رأس الرقعة قبل الفريق الآخر ، مستوحين فى ذلـك مـا تمليـه عليهم قطع الإلقاء (الزهر) وهناك كذلك لعبة الثعبان ن تستخدم فيها قطع لعب على شكل كرات صغيرة . وكان الهدف منها هو إدخال الكرات إلى مركز الدائـــرة فـــى الوسط . وبالمتحف المصرى مجموعة من ألعاب ولعب ، رقعـــات للعبـــة الضامـــة وأنواع من لعبة المنفرد ، عرائس من الخشب وكرات من الجلد والقش والخيط ولعب للأولاد .[1]

(٤) المآدب والولائم :

----------- كانت المنازل تضاء بمصابيح بها زيـت الخـروع وزيـت الزيتون . وكانت هناك مجموعة متنوعة الأشكال من هذه المصابيح . وكان من أكبر دواعى السرور عند المصريين أن يجمعوا عددا كبيرا من الأقارب والأصدقاء حـــول الموائد لتناول طعام الغذاء أو العشاء ولاسيما عند الطبقات الغنية وكان يسبق الوليمـــة حركة كبيرة فى المخازن والمطبخ وفى كافة أرجاء المنزل . فيذبح ثورا ثـــم يســـلخ ويقطع إلى أجزاء وفق أصنافها المختلفة ثم تجهز قطع الشى والتوابل ويشـــوى الأوز على الفحم وتعد جرار الجعة والنبيذ والمشروبات الروحية وتوضع الفاكهة على شـكل هرمى فى الأطباق والسلال . وتستخرج الكؤوس والأطباق ويبرد الماء فى الأزيـار . من الفخار وبالمتحف المصرى مجموعة من تماثيل عثر عليها فى كقبرة نى – عنـــخ – بيبى من مير عبارة عن رجل يشوى أوزة ، نساء يطحن غلالا بيـــن حجريـــن ، خبازون يعجنون ، خادم يحمل متاعا ، تحضير الجعة [2] وتغســل أرجـاء المـنزل

---

(١) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثـــار ، ١٩٦٩ ، ص ١٤٩ (٦٠٩٩) .

(٢) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثـــار ، ١٩٦٩ ن ص ١٥٤ (٦١٣٣) .

وتدعك جيدا ثم تلمع قطع الأثاث . وتنظف ممرات الحدائق من الأوراق المتساقطة من الأشجار ويستدعى بعض الموسيقيين والمغنيين والراقصين من الجنسين ، ويستبعد كل شخص فى المنزل ولا يبقى سوى حضور المدعوين .

وإذا كان من المتوقع حضور شخصية كبيرة ، وقف رب المنزل على مقربة من المدخل ، مخترقا الحديقة مع ضيوفه . وعند حضور الضيف يتم الترحيب به بعبارات مديح ، وبعد أن تستنفذ عبارات التمنيات والتحيات ، وبعد أن يتم العناق الطويل ن يتوجه المدعون إلى أماكنهم ، فيجلس صاحب المنزل على مقعد مرتفع وتخصص بعض المقاعد الفاخرة لكبار المدعوين . أما الطبقات المتواضعة فتجلس على الحصر فى بساطة تامة ، وتفضل الفتيات الجلوس على وسائد من الجلد جيدة الصنع (١) . وكان الرجال حريصون فى هذه المناسبات على حسن المظهر فى الملبس وتصفيف الشعر ، وكانوا يستخدمون سفرات مصنوعة من المعادن لقص الشعر ، كما حرصت النساء أيضا على وضع أنواع الزينة والتواليف من مساحيق وأصباغ وملابس فخمة وشارات وأيضا أدوات لتصفيف الشعر وتقليم الأظافر .(٢)

وكانت النساء يحضرون تلك الحفلات مع الرجال ، إلا أن الرجال العُزب ، لم يختلطوا بالنساء فى تلك الحفلات بحرية ، فقد مثل الأزواج جالسين بجانب زوجاتهم ، فى حين يجلس غير المتزوجين من الرجال والنساء فى صفوف خاصة لكل جنس (٣) . وبعد ذلك يأتى الخدم والخادمات ويطوفون بالمدعوين والمدعوات يوزعون عليهم الزهور والروائح العطرية من وقت لآخر ، فى حين تقبع الحيوانات

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٤ – ١٢٧ .

(٢) عن مستحضرات التجميل فى مصر القديمة ، راجع : د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، ص ٢٤٧ – ٢٥٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٤ – ١٥٥ ، ١٦٤ ، وأيضا : Allam , op . cit ., p. 24 , 53 , 118 .

الأليفة تحت المقاعد ، ونرى الخادمات يشرفن على خدمة المدعوات ، منها خادمة صغيرة تقوم بتثبيت قرط أحدى المدعوات فى أحد مناظر مقبرة نخت . وبعد ذلك تقدم الأطعمة والمشروبات وفى الوقت الذى يجلس فيه المدعوون فى أماكنهم لتناول الطعام ، وكان الموسيقيون يدخلون ومعهم آلاتهم مثل المزمار والقيثارة والقانون . وكانت هناك آلات أخرى لإحداث الصوت مثل الصاجات والصلاصل . وكان للمغنيات من الوسائل ما يمكنهن من مساعدة أنفسهن بالتصفيق بأيديهن أثناء الغناء . وكان الرقص يكمل الاستعراض . وقد يشرك أحيانا الرقص مع إحدى الأوكربات التى تميل إلى الخلف فيتدلى شعرها حتى يلامس الأرض . وبعد أن ينتهى الجميع من إشباع بطونهم بالطعام ، يطول الاجتماع وتستمر الأغانى والموسيقى والرقص وتناول الحلوى مرة أخرى . وهنا يشدو عازف القيثارة بأغانيه ويخص المدعوين على انتهاز الفرص للاستمتاع بمظاهر الحياة وبهجتها .

وفى كثير من الأحيان كان المدعوون يتبعون نصيحة عازف القيثارة فى الكل والشراب ، ولكن كان يراعى الاعتدال فى كل شئ . وأحيانا نجد ضمن مناظر المآدب المدعوين وقد أفرط فى الطعام أو الشراب حتى لعبت الخمر برأسه .فينقل إلى سرير مجاور ويمددونه بعض الوقت .[١]

(٥) الخروج للصيد :

كان الصيد البرى رياضة لعلية القوم ، فقد اولع هواة الصيد بالخروج إلى أودية الصحراء ، يطاردون فيها الحيوانات البرية مستخدمين القوس والسهم . وكانوا يصيدون الثيران الوحشية والماعز والغزلان والوعول والأرانب والثعالب والنموس والضباع والأسود والزراف والنعام والفيلة . وقد صور ساحوررع على جدران معبده الجنائزى بأبى صير وهو يصطاد حيوانات الصحراء وقد وجهها اتباعه إلى رقعة محدودة ، ليسهل عليه اصطياد أكبر عدد منها . كما روى عن تحوتمس الثالث أنه أخذ فى إحدى غزواته الآسيوية يسلى نفسه بصيد الفيلة التى كانت

---

(١) ببير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣١ – ١٣٣ .

ترتاد تلك البقاع فى تلك الأزمنة ، حتى بلغ عدد ما اصطاده منـها مائـة وعشـرين فيلا . وقد اشتهر الملك أمنحتب الثانى بحس الرماية والقدرة على إصابة الهدف بعـد أن دربه على ذلك أحد قواد أبيه البارعين فى ذلك المضمار وكان يدعى " ميـن "[١] وقد اهتم أيضا بالصيد وقد جاء ذكر ذلك على لوحة عثر عليها فى ميـت رهينـة . وعلى خاتم يوجد الآن فى متحف اللوفر نرى منظرا يمثل أمنحتب الثانى واقفا يمسـك بيده اليسرى ذيل أسد وقد رفعه من الأرض بينما يهوى بيده الأخرى على الحيـوان بسلاح فى يمينه .[٢]

وكان تحوتمس الرابع من أكثر الملوك ولعا بالصيد فى الصحراء ، وكـان يخرج للصيد فى صحراء الجيزة بالقرب من أبى الهول . وقد أقام بين قدمـى أبـى الهول لوحة من الجرانيت المعروفة بلوحة الحلم ، ودون عليها حلما لحم به وهو نـائم بجوار ذلك التمثال بعد أن أجهده الصيد .

وكان أبنه تحوتمس الثالث من أكثر الملوك هواية للصيد ، فقـد ورد علـى بعض الآثار أنه ولع بالخروج إلى الصحراء لصيد الأسود . كما أنه روى انـه قـام بصيد قطيع من الثيران الوحشية فى إحدى المناطق الصحراويـة [٣] . وقـد صـور الملك توت عنخ آمون على غطاء أحد صناديقه الموجودة بالمتحف المصرى وهو فى عربته يصيد الأسود بينما اندفعت السود اثر أصابتها بالسهام [٤] . كما صور أيضـا وهو يصوب سهامه على بعض النعام وقد أطلق كلابه من ورائها . فقد استعانوا فـى الصيد بالكلاب التى اقتنوا منها أنواعا ذات قدرة على مهاجمة الفريسة وصور علـى محرابه الذهبى الصغير رياضة الصيد وهو يحمـل قوسـه وسـهامه لصيد الأوز البرى .[٥]

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٠ ، ١٦٧ .

(٢) Drioton – Vandier , L'Égypte (éd . 1952) , p. 407 .

(٣) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne , p. 127 .

(٤) Saleh – Sourouzian , op. cit ., no 186 .

(٥) د. عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ، ص ٦٠ .

أما الملك سيتى الأول فقد مثلته بعض النقوش ، قد غادر عربتـــه وأنطلـــق يصيد السباع وهو راجل ، ولا يصحبه سوى كلبه ، مستخدما فـــى ذلـــك رمحــه ، وصور على الجدران الخلفية للصرح الثانى فى معبد مدينة هابو بالبر الغربى لطيبـــة منظر رائع لرمسيس الثالث ممتطيا عربته ، يصرع الثيران الوحشية . بينمـــا مثـــل الملك فى منظر آخر وقد صرع أسدين واستدار ليواجه أسدا ثالثا هاجمه من الخلـف . اما هواة صيد الأسماك ، الذين يمارسونه كرياضة ووسيلة من وسائل التسلية ، فكانوا يلهون بمحاولة إصابة السمك بحرابهم وأحيانـــا يســـتخدمون حرابـــا ذات حديـــن ، ويستخدمون الشعى المفرد .

وهوى عليه القوم أيضا صيد فرس النهر ، مستخدمين فى ذلك حرابا خاصة طويلة ذات أنصال معدنية مدببة فى نهايتها . وكان صيد فرس النهر مثيرا ، ولكنـــه فى الوقت نفسه شديد الخطورة ، ولذا فكثيرا ما كان يقوم به الأتباع والخـــدم تحـــت إشراف سيدهم .(١)

من اهم طيور الصيد عند قدماء المصريين الوز والبط والبجـــع والســـمان والعصافير وقد حرم صيد بعض الطيور المقدسة كالصقر رمـــز المعبـــود حـــورس وطائر أبو منجل رمز المعبود تحوتى . وكانت الطريقة المتبعة فى ذلك النـــوع مـــن الصيد أن ينزوى الصياد بقاربه فى منطقة يتكاثف فيها ورق البردى ويقـــف هنـــاك ممسكا بيسراه عصا الرماية ، وهى عبارة عن قطعة رقيقة من الخشب منحنية عنـــد ثلثها الأخير فى شكل زاوية منفرجة ، تشـــبه عصـــا البومـــيرانج التـــى اســـتخدمها الاستراليون . وتنطلق العصى فى حركة دائرية وتصيب الكثير من الطيور .

وكان النبلاء يشتركون فعلا فى إيقاع الطيور فى الفخاخ ، أو فـــى قنصـــها بشباط طويلة تنشر ويمسك بحبالها المبذور فيها يشير رجل مختبئ إلى بقية الرجـــال بشد حبال الشباك التى تقفل على ما تحتويه من طيور .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٦٠ ـ ١٦٢ ، ١٦٨ ـ ١٧٠ .

(٦) الخروج للتنزه :

---------- وتذكر بعض النصوص أن المصريين كانوا يخرجون للتنزه ، ونرى بعض المناظر الموجودة على جدران بعض المقابر ، مناظر تمثل الحدائق التى كانوا يفضلونها ويتنزهون فيها ، وأنواع الأشجار والأزهار التى كانت تروق لهم ، وما كنوا يرونه فى البحيرات ومستنقعات البردى من بط وفراشات بألوانها الجميلة المتعددة . ونرى أيضا مناظر القطيع الذى يرعى كلأه والأسماك تحت الماء بألوانها الجميلة المتعددة .

(٧) تفسير الأحلام وسرد القصص :

---------------- كان تفسير الأحلام من الأمور المحببة وتقص علينا بعض النصوص ما يراه الإنسان فى منامه وما يجب عليه تحقيقه من رغبات للمعبودات التى تحدثت إليه فى منامه . وكذلك سرد القصص كان من الأشياء المفضلة ، فبردية وستكار فى متحف برلين تظهر لنا خوفو مهتما بقصص السحرة التى يرويه له أولاده كل بدوره [١] . ويبدو أن هذا اللون من التسلية كان شائعا عند جميع الطبقات . وبالمتحف المصرى لوح غريب على شكل ناووس ، منقوش عليه أبيات من الشعر اليونانى ، ملئت بالمداد الأسود ، وكان لعراف كريتى يحترف تفسير الأحلام لزائرى السرابيوم بسقارة ، من عصر البطالمة .[٢]

----

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ١٣٨ .

(٢) دليل المتحف المصرى - القاهرة ، وزارة الثقافة - مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٥٠ (١٠١٣) .

خامسا - الاحتفال بالأعياد والمناسبات والمشاركة فى المواكب :

تعددت أعياد المصريين ، وخاصة فى عصر الدولة الحديثة ، وتزداد هـذه الأعياد خاصة فى فصل آخت (الفيضان) حين تتوقف العمال الزراعيـة . فـهناك الأعياد الدينية الكبرى ، ومن أهم هذه الأعياد عيد أوبت فى طيبة ، الذى كان يحتفـل بع الشعب المصرى كله ، وكان يقع خلال الشهرين الثـانى والثـالث مـن فصـل الفيضان ، وقت فراغ المزارعين من اى عمل ، ومن معبـد اوبـت بـالكرنك تبـدأ احتفالات العيد ، وكان يشترك فيه حشود كثيرة بهذا العيد فترة تقـرب مـن شـهر كامل [١] . وكان المصريون يتركون بسرور بالغ أعمالـهم ليشـتركوا فـى أعيـاد المعبودة باستت فى تل بسطة فى شرق الدلتا والمعبودة نيت فى سايس فـى غـرب الدلتا وفى معبد اسنا ، وخنوم فى اسنا وفيلة ، ومين فى قفط ، وعيد القناديل الموقـدة لأوزير فى سايس ، وحتحور فى دندرة ، وحورس فى ادفو . وكان يوجد فى المعـابد الكبرى مثل معبد أدفو وإسنا ودندرة بيان بمواعيد هذه الأعياد والمراسيم والطقـوس التى تؤدى فى المعبد خلال فترة الأعياد التى تمتد أحيانا إلى عدة أيام .

وهناك عيد الوادى الذى يقوم فيه المعبود آمون بزيارة معابد الضفة الغربيـة ويستقبل زيارة معبودات الجبانة وعندما يجتمع شمل المعبودات كلها تقام الاحتفـالات لصالح الموتى الذين يرقدون فى مقابرهم . ويستمر الاحتفال بهذا العيد عشرة أيـام . وكان من الواجب أن يحتفل كل أقليم وكل مدينة مرة فى السنة علـى الأقـل بعيـد المعبود المحلى الذى كان سيدهم وحاميهم ، وان كان هناك فى المعبـد أكـثر مـن معبود ، فالأهالى الذين لم يكن فى مقدورهم التخلى عن واجب الاحتفـال بمعبودهـم المحلى كانوا لا يستطيعون ان يهملوا الاحتفال بالمعبودات الأخرى . فكانوا يتعطرون ويتزينون بالملابس الجديدة ثم يتوجهون للمعبد لتقديم القرابين أو يذهبون إلى المعبـد فى مواكب كبيرة ويشترك النساء مع الرجال ويحملن الصاجات، والرجال لا يكفـون

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى عهد الرعامسة (ترجمـة عزيـز مرقـس) ، ص ٣٩٨ - ٣٩٩ .

عن الغناء طوال الطريق وكذلك الرقص وتبادل الدعابات مع من يصادفونهم في الطريق . وكانت بعض الأعياد متأصلة في النفوس ومحترمة إلى حد كبير ، حتى أنه إذا لم يكن للمعبود المختص به هيكل في المعبد المجاور كان يحتفى في البيوت ذاتها .(١)

وكان هناك ايضا الجبانة ، واعياد الزراعة كعيد راس السنة أو العام الجديد وعيد الحصاد وعيد الفيضان . ويذكر هيرودوت أن المصريين هم أسبق الناس إلى إقامة الأعياد العامة والمواكب (٢) . وكان المصرى حريصا على المساهمة في تلك الأعياد ، يستقبلها بمظاهر البهجة والسرور ، وتميزت بما شاع فيها من ألوان الترف والمرح وما فيها من مباهج .

وكان هناك أعياد الملك الرسمية ، وكان من أهم هذه الأعياد هو عيد ، الاختفال بتتويج الملك وجلوسه على العرش . وكانت تتلى في هذا العيد ن طقوس خاصة ، وتجرى طقوس دينية متوارثة . فإلى جانب كونها احتفالا بارتقاء الملك لعرش البلاد كانت بمثابة تخليدا لذكرى قيام وحدة البلاد السياسية تحت تاج واحد (٣). ونعلم من نقوش معبد مدينة هابو أن احتفالات عيد التوبيج كانت تستمر عشرين يوما.

ومن أعياد الملك الهامة " العيد الثلاثينى " أو " حب سد " على حد تعبير المصريين القدماء ربما بمعنى " عيد النهاية "(٤) ولم يكن من الضرورى ليحتفل بهذا العيد أن يحكم الملك ثلاثين عاما ، بل هو عيد يقام بعد مرور فترة من الزمن على جلوس الملك على العرش ، ويحتفل فيه بتجديد حيوية الملك ونشاطه ، حتى يمكن أن

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٤٧ .

(٢) د. احمد بدوى - د. جمال مختار : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، ص ٢٤٥ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٤) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول : مصر والعراق ، ١٩٧٩ ص ٧٤ .

يحكم مرة أخرى بنفس القوة والقدرة . وما كان يصاحب هذه الاحتفالات من مظاهر ، فهناك منظر فى مقبرة خرواف يمثل رقص فتاتين أجنبيتين بمناسبة العيد الثلاثينى للملك امنحتب الثالث .(١)

وقد اهتم ملوك الدولة الحديثة بتنظيم مواكب النصر بعد عودتهم من حملاتهم المظفرة فى آسيا أو فى الجنوب ن فتعقد المواكب فى طيبة تحت شرفة القصر الملكى فى البر الشرقى ، وتتقدمها المركبات الحربية ؛ وتسير فى مؤخرتها جيوش الأسرى من العداء ، والغنائم المتعددة وقد هرع لإستقبال الموكب رؤساء الكهنة وكبار رجال الدولة بينما أخذت جموع الشعب المصطف على جانبى الطريق تصيح نشوة النصر ومن خير الأمثلة لهذه المواكب تلك الاحتفالات التى أقيمت ابتهاجا بانتصار تحوتمس الثالث فى معركة مجدو ، ورمسيس الثانى فى معركة قادش ومرنبتاح بعد انتصار جيشه على الحدود الغربية ، ورمسيس الثالث على شعوب البحر . علاوة على الرياضة بأنواعها ، مشاهدة العاب الأطفال ، ووسائل التسلية والعاب الحظ والفكر ، وإقامة الحفلات والمآدب والولائم ، والخروج للصيد ، مثل الصيد فى الصحراء وصيد الأسماك وفرس النهر وقنص الطيور فى المستنقعات، والخروج للتنزه فى الحدائق او الحقول ، الاشتراك فى الأعياد والمواسم الدينية والمواكب والاحتفالات بالمناسبات الخاصة مثل انتصار الملك او ميلاد طفل ، أو قيام رب البيت أو ربة البيت أو كلاهما معا بالذهاب إلى السواق أو زيارة المعابد والمقاصير المقدسة فى المدن الكبرى أو فى الأقاليم ، إلا أن المصرى القديم أو رب البيت وزوجته كانا يفضلان أحيانا الجلوس معا فى الحديقة المنزلية فى كشك صغير تحت ظلال الأشجار يشربان ويستنشقان عبير ريح الشمال المنعش ، أو يقومان بجولة فى قارب صغير يجوسان فيها بحيرة منزلهم الكبيرة ، ويتسليان بصيد الأسماك بالشص .

---

(١) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p. 32 .

سادسا - بعض السلوكيات والعادات والتقاليد الاجتماعية :

نجد معانى التكامل الاجتماعى فى صيغ ونصوص آدب التراجم الشخصية حيث نقرأ على لسان حاكم الإقليم أو احد كبار الشخصيات مثل الوزير أو كبير الكهنة قائد كبير ، انه أعطى الخبز للجائع ، واشبع من لا يملك شيئا ، والملابس للعارى ، وعبر النهر بمن لا قارب له ، ولم يحرم ابنا من ميراث أبيه ، او كيف انه ساعد أهالى الإقليم الذى كان يحكمه بتوزيع الحبوب عليهم فى وقت الشدة او المجاعة ، او أنه حمى الضعفاء من بطش الأقوياء ، ووضع اليتيم الذى لجأ إليه تحت حمايته . وآخر يذكر أنه لم يسئ إلى ابنة مواطن قط ، ولم يزجر أرملة ، ولم يقس على مزارع ، ولم يبعد راعيا ، ولم يحجر على أعمال رئيس العمال فى مقابل الضرائب المستحقة عليه ، ولم يكن بين رعاياه بائس أو جوعان . وأخر يقول انه ساعد الشيوخ وكبار السن ، او أنه مد يده للبائسين وضمن العيش للمعوزين . ويقال ثالث " أنه اجتماعى نحو أهل مدينته "[1] أى أنه تعاون معهم فى مشاريعهم وشاركهم مشاكلهم الاجتماعية وأفراحهم وأحزانهم . وهذه المعانى حث عليها بعض الحكماء فى تعاليمهم إذ يقول أحدهم : " لا تغل يدك عن الغريب الذى يأتى إليك فى بؤس مميت " .[2]

ونعلم أيضا أن بناة الأهرام والمعابد الضخمة وإقامة المسلات من أصلب أنواع الأحجار بعد قطعها ونحتها وصقلها ، وحفر المقابر الممتدة على عمق كبير فى باطن الصخر ، وحفر بعض المعابد الممتدة فى باطن الصخر أيضا وخاصة معابد بلاد النوبة ، كل هذه الأعمال تتطلب أن يعمل فيها العمال والصناع والفنانين والآخرين فى مجموعات متآزرة متعاونة مترابطة وكان هذا هو السبب فى نجاحهم ودقة ما أقاموه وشيدوه ، هذا إلى جانب أن العمل فى مثل هذه المشروعات يساعد على توادهم وتعارفهم وترابطهم اجتماعيا .

---

(١) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

(٢) راجع الباب الثامن ، الفصل الثانى .

وسوف نتحدث فى الباب السابع عند الحديث عن الحياة الدينية ، عن عاداتهم الجنائزية ومراسيم الدفن . وعندما لا يكون للمتوفى وريث يحيى ذكراه أو يقيم له الآثار باسمه ، فإن هذا التكريم يأتى أحيانا من جانب أعوان المتوفى الذين عملوا معه فى حياته الدنيا وترك بينهم ذكرى طيبة . ونجد صيغ التراحم هذه فى بعض النصوص فى مقابر الدولة القديمة ، فنقرأ مثلا :

" انه نائبه الذى يعمل على إحياء اسمه " (١)

" انهم عماله الذين يحبونه الذين أقاموا هذا (الأثر) له " (٢)

" إنه شريكه فى الضيعة الجنائزية الذى أقام هذا له ، وكان قد دفن فى الغرب الجميل بين المرحومين " (٣)

" إنه شريكه فى الضيعة الجنائزية الذى أقام (هذا) له ، فى حين أنه قد دفن فى الجبانة (منذ) سنوات عديدة " (٤)

" إنه شريكها فى الضيعة الجنائزية ن فلان ، الذى أعد لها هذه المقبرة بينما هى كانت لا تزال فى الحريم الملكى ، وذلك بسبب إخلاصها التام نحو الملك كل يوم "(٥)

---

(١) R. el Sayed, Formules de Piete Filiale , Melanges Mokhtar , BdE XCVII II (1985) , p. 279 (56) .

(٢) Id ., op. cit ., p. 276 (27) .

(٣) Id ., op. cit ., p. 273 (12) .

(٤) Id ., op. cit ., p. 275 (21) .

(٥) Id ., op. cit ., p. 274 (17) (a) .

الباب السادس

مظاهر الحياة الاقتصادية

ترتبط الحياة الاقتصادية ارتباطا وثيقا بالزراعة ومنتجاتها ، والثورة الحيوانية ، والصناعات والحرف المختلفة ، والتجارة ومصادر الدخل القومى . ويقول ديودور الصقلى : " بينما تتطلب الزراعة جهدا شاقا فى بلاد كثيرة بصفة عامة ونفقات باهظة وعناية فائقة فإنها فى مصر لاتتطلب إلا مالا قليلا ومجهودا محدودا " .(١) وذلك بفضل وجود الأرض الخصبة وتوفر مياه النيل . وعرف المصريون القدماء تسمين الماشية منذ نحو خمسة آلاف عام ، كما كان تهجين الماشية معروفا عندهم . وأنهم كانوا يختمون الماشية بعلامة خاصة لتمييزها عن غيرها عند اختلاطها بالأخرى . كما كانوا يحظرون ذبح إناث البقر حفظا للنسل وحتى لا ينقرض نوعها . وكانوا أول من برع فى صيد الحيوانات والطيور ، وكانت مصر غنية بالأسماك ، كما اهتم المصريون القدماء بالمنتجات الحيوانية .(٢)

وكانت طائفة العمال الحرفيين تشكل العامل الرئيسى فى بناء الصناعة المصرية القديمة إلى جانب وجود المزارعين . فلو أن المجتمع المصرى القديم كان يضم المزارعين فقط ما وجدت الأهرام ولا المعابد الضخمة والمقابر المنحوتة فى الصخر وما قطعت وأقيمت المسلات الضخمة، مما يدل على ما اتسم العامل أو الصانع المصرى من صفات الدقة والمهارة فيما أنجزه . وهكذا بفضل نشاط المهندسين وقوة سواعد ومثابرة العمال المهرة ذوى الخبرة امتلأت خزائن مصر بكميات وافرة من المواد الخام الذى كانت تستخدم فى الصناعة من الأحجار والمعادن

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ١٩٦٥ ، ص ١٣٩ ، ٤٧٥ ، حاشية (٢) .

(٢) وليم نظير : الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ١٩٦٥ ، ص ١٩- ٢٠ .

والأخشاب .(١) وكان يوجد التجار من صغار الملاك الذين يتاجرون فى منتجات مزارعهم . كما كان يوجد التجار الذين لا ينتجون شيئا ويكتفون بشراء وبيع السلع المتداولة فى أنحاء البلاد وكان كل هؤلاء المشترون أو البائعون أو التجار الوسطاء يتلاقون فى الأسواق . كما أن التجارة الخارجية كانت معروفة على مستوى الدولة وكان هناك مصدر دخل ثابت من الضرائب . كما كان هناك وحدات وأوزان للتعامل التجارى .

كل هذه العوامل جعلت من الحياة الاقتصادية فى مصر " أشبه بخلية النحل " . ويكفى أن نلقى نظرة على الرسوم والنقوش الكثيرة المدونة على جدران المقابر منذ عصر الدولة القديمة لنرى كيف كان يعمل الزراع فى حقولهم وما كانوا يبذلونه من جهد لتربية الماشية . وكيف كان يعمل العمال وأصحاب الحرف فى مصانعهم وبأدوات بسيطة . وكان عمال كل مصنع يعملون متكتلين لتمجيد المعبود أو تخليد الملك أو الوزير أو كبير الكهنة بجهد كبير مشترك ، ولم تذكر النقوش أسماء الذين أتموا كل هذه الأعمال المجيدة .

أولا – تقسيم الأراضى :

فى منتصف القرن الثالث ق . م. كانت أرض مصر تنقسم إلى ستة أنواع : أرض الملك ، أرض المعابد ، إقطاعات كبار الموظفين ، إقطاعات كبار العسكريين، الملكية الشخصية ، أراضى الهبات .(٢)

ثانيا – الثروة الزراعية :

كانت الزراعة العامل الأساسى الذى ساعد على استقرار وارتباط الإنسان المصرى القديم بالأرض وبالتالى ساعد هذا العامل على التعمير، وعمل الإنسان على

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٩٦ ، ٢١٣ .
(٢) د. مصطفى العبادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص ١٢٩ – ١٣٧ .

وعن نظام توزيع الأراضى ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I (2001), p. 422 – 436

وضع الأسس الحضارية الأولى وتطور بها عبر العصور مما أكسب مصر حضارة عريقة فى القدم . ومن المعروف أن التعمير هو أساس كل بناء اجتماعى، وأول تعمير قام به المزارع المصرى القديم حدث فى العصر الحجرى الحديث ، أى فى حوالى الألف الخامسة قبل الميلاد . كما أن توصل المصرى القديم إلى اكتشاف الزراعة يعد فى رأينا ، أول مراحل التطور فى الحياة الاقتصادية فى الحضارة المصرية ، ويدل على مدى نجاحه فى استثمار الموارد الطبيعية فى البيئة المصرية من حوله . وقد ارتبطت الحياة الزراعية بعاملين :

توافر مياه نهر النيل وفيضانه ، والتربة الصالحة للزراعة . فبعد العصر الحجرى القديم تحول المصرى القديم من مجرد إنسان يقوم بجمع نباتات وثمار أشجار البيئة من حوله وصيد ما يوجد فيها من حيوان وطير وأسماك كمصادر غذائية رئيسية غاية فى الأهمية بالنسبة له وللجماعة التى يعيش فيها ، إلى راع ومزارع . حاول تطوير آلاته وعمد إلى شق القنوات وحفر الترع التى يسهر على صيانتها ومراقبة منسوب المياه فيها اتقاءا من شر الفيضان المرتفع الذى كان يهدد حياته فى بعض الأحيان ، وعمد أيضا إلى تدبير آلات لرفع الماء إلى مستويات لا يستطيع ماء النهر أن يصل إليها .

ويشير ما كشف عنه من مخلفات وبقايا أثرية من أوائل العصر الحجرى الحديث فى مناطق مرمدة بنى سلامة والفيوم ودير تاسا إلى أن أهلها كانوا يعتمدون على الزراعة والصيد معا . وعرف سكان هذه المناطق زراعة الحنطة والشعير والكتان.(١) وعثر على بعض أدواتهم التى استخدموها فى الزراعة منها المحراث من الحجر ، والمناجل من الصوان . وكانت الحبوب تحفظ فى مطامير مصنوعة من السلال أو من الطين أو من الفخار حتى لا تتسرب إليها المياه . وعثر فى حضارةحلوان على صوامع مبنية من الطوب اللبن بجوار المقابر .(٢) ومن المؤكد

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية (العصر الفرعونى – المجلد الأول) ، ١٩٦٢ ، ص ٤٩١ ، ٤٩٤ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ١٩٥٢ ، ص ٧٤ – ٧٥ ، صور ٢٢– ٢٣ ، ٨٧ .

أن أهل العصر الحجرى الحديث قد عرفوا كيفية تحويل هذه الحبوب إلى دقيق ، وذلك لأنه عثر على رحى مسطحة من كتل حجرية كانت تستخدم فى سحقها ، والجدير بالذكر هنا ، هو أن المناجل والرحى كانت من هذا النوع نفسه خلال العصور التاريخية التى تلت . وعثر فى المناطق السابق ذكرها على بقايا هياكل حيوانية ، هى التى سمحت لنا بالتعرف على بعض الحيوانات التى قاموا بتربيتها واستئناسها مثل الأغنام والثيران والأبقار حتى الكلب كان مستأنسا ، وربما كان يساعد فى حماية القطيع أثناء الرعى .

الملكية الزراعية :

فى بداية العصر الثينى أى عصر الأسرتين الأولى والثانية كانت مصر مقسمة إلى عدة أقاليم . وكان من أهم الأدوار التى قام بها الملوك ، هو محاولة تجميع الأقاليم فى البداية تحت سلطة حكومتين مستقلتين ، إحداهما فى الشمال ومصر الوسطى ، والأخرى فى الجنوب فى أعالى الوادى ، ثم بعد ذلك تحت سلطة حكومة واحدة فى أعقاب اندماج الجنوب والشمال فى مملكة متحدة . ولكن الأسس نفسها التى قامت عليها الاتحادات المحلية الأولى أى فكرة الإقليم ، كانت أولا وقبل كل شئ ، هى تجميع الأراضى الزراعية حول عاصمة صغيرة . والاعتماد على الزراعة كان يتطلب تنظيم عملية الرى ، فحفر الترع والقنوات وإقامة الجسور كان يتطلب وجود موظف إدارى ، وهو الذى أطلق عليه لقب " عدج مر " ويعنى المشرف على القنوات أو حفر القنوات .(١)

وكانت الأرض ملكا للملك ، لأن الملك كان يملك كل شئ . وكان يقع على عاتق حاكم الإقليم عبء تنظيم التعداد وإحصاء الماشية بنوعيها الكبيرة والصغيرة ، كما أن تنظيم الضرائب وجبايتها كانت تقع تحت مسئوليته . ولهذا كانوا يعنون منذ أقدم العصور بتدوين ارتفاع منسوبالفيضان لتجنب المجاعة . وكان على الملك زيادة الرقعة الزراعية أو تأمين إقامة الجسور ، وحفر الترع . وعلى رأس مقمعة قتال

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٩٥ – ٤٩٦ .
وعن الحياة الزراعية ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, p. 37 – 44 .

الملك العقرب نرى نقشا يمثل الملك وهو يشق قناه وأمامه رجل يحمل سلة يتلقى فيها بعض التراب وآخر يحمل سنابل رمزا للخصب الناجم عن جهود الملك . ونـرى فى هذا المنظر ما يكشف عن جهود الملك فى أهم مجالات الحياة الاقتصادية عند المصريين وهى الزراعة .(١) وفى عصر الدولة القديمة اتسعت أملاك التاج ، وأصبح الملك ينعم بإقطاعيات كهبات . وكانت محاصيل الحقول والبساتين تجمع فى الشونة المزدوجة . وكانت هناك بالقرب من الصحراء أراضى لا تصل إليها مياه الفيضان إلا فى القليل النادر وبكميات ضئيلة ، وكانت أيضا من أملاك التاج وتعرف باسم " خنتيو – ش " يشرف عليها موظف له مكانة إدارية فى الدولة القديمة . وكانت تستغل كمراع أو حدائق للخضر وكانت معفاة من الضرائب . أما الحقول الزراعية فيطلق عليها اسم " سخت " . وكان يشرف على حقول الملك ما يسمى بروؤساء الحقول يعاونهم كتبة يشرفون على جمع الضرائب المستحقة . أما حاكم الإقليم فكان عليه الإشراف على شئون الزراعة فى إقليمه وتنفيذ مشروعات الرى واستصلاح الأراضى ويساعده عدد من الموظفين وأيضا الكتبة .

وكانت هناك أراضى مملوكة للأمراء وحكام الأقاليم وكبار الموظفين . وكان يعمل فى كل هذه الأراضى سواء المملوكة للملك أو للأمراء أو حكام الأقاليم عدد كبير من المزارعين . وكان كل حاكم إقليم حريص أن يذكر لنا فى نقوشه عن حسن معاملته لأتباعه .(٢) ويذكر أحد حكام اسيوط من العصر الأهناسى " أنه ساهم فى حفر الترع وزيادة أنصبة المزارع من المياه مع إشرافه على تنظيمها وتعيين سقاءين لتوزيع المياه على البيوت فى المدينة ، وتموين أهلها فى أوقات الشدة وتخفيف الضرائب عنهم .(٣)

وكان الفلاح يقوم بزراعة الأرض ويقدم جزءا كبيرا من المحصول ضريبة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩٤ – ٤٩٥ شكل (٢)

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .

(٣) د. عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٥٤ .

لمالك الأرض . ويحتفظ بجزء آخر أجـرا لـه عـن عمله فـى الأرض ، وبالنسبة لأراضى الملك كان المزارع يحصل على عشرين فى المائة من المحاصيل.(١) وفـى العصر الوسيط الأول توالت المنح على حكام الأقاليم بعد أن سمح لهم بتوريث إدارة الإقليم لأبنـائهم ، فـأخذ الملك يغدق عليهم مساحات من الأراضـى المعفـاة مـن الضرائب . ولم يقتصر أمر الإعفاءات علـى حكـام الأقـاليم بـل تجاوزهم إلـى كبـار الموظفين والنبلاء الذين يستمتعون بالحظوة لدى الملك .

وكان دخل هذه الأراضـى يخصص للإنفـاق منـه علـى الطقوس الجنائزيـة لمقبرة المتوفى من هؤلاء الموظفين ، أى تصبح كـأراضى أوقـاف . وتـأثرت أمـلاك التاج بهذا التقليد الجديد إلا أن ضيـاع الأمـراء وحكـام الأقـاليم بـدأت تزدهر . وأدى نظام الملكية الخاصة والتوريث إلـى ظهـور طبقـة جديدة زاد أصحابهـا مـن ارهـاق المزارع واستغلال الفلاحين وانتشر الإقطاع فى صورته البشعة وساد الفقر والبؤس ولم يعد أحد يعنى بالزراعة ما دام الأمن غير مستقر فى البلاد .(٢)

وفى عصر الدولـة الوسطى ، فـى عهـد امنمحـات الثـالث نجده يعنـى أشد العناية بتنظيم أمر مياه الفيضان الزائدة عن الحاجة . وأمر أولا بتسجيل ارتفاع النهـر عند سمنة وقمة وقد وصلتنا هذه المستويات مسجلة من العام الرابع حتى العام الحادى والأربعين من سنى حكمه . ثم اتجه إلى استصلاح أراضـى منخفض الفيـوم . ففـى الدولة القديمة كان يشغل أراضى منخفض الفيوم بحيرة كبيرة كـان يطلـق عليها اسم " مر – ور " أى البحر الكبير وحرفها اليونان إلى " موريس " . وكانت الفيوم الحالية تقع على شاطئ البحيرة المذكورة ، وكان بحر يوسف – ولا يزال – يصب فيها وهو يخرج من شمال اسيوط كفرع من فروع النيل .(٣)

ورأى امنمحات الثالث خزن ميـاه الفيضـان الزائـدة فـى منخفض الفيـوم ثـم تصريفها عند الحاجة لرى مساحات كبيرة من شمال الفيوم وقت الجفاف . وقـد دعـاه ذلك إلى إقامة سد كبير عند مدخل الفيوم زوده بفتحـات قنـوات لتصريف مـا تدعـو

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ١٢٣ ، ٤٩٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٠ .

الحاجة إلى تصريفه من مائه المخزون . وبذلك أمكن اكتساب مساحة قدرها سبعة وعشرون ألف فدان من غمر الفيضان . ويذكر سترابون أنه شهد الطريقة التى تتم بها عملية خزن المياه مما يدل على أن العملية ظلت قائمة حتى عام ٢٤ ق . م . وقد استطاع ذلك المشروع الزراعى أن يحول إقليم الفيوم إلى بقعة من أخصب بقاع مصر . وقد أقام امنمحات على الشاطئ الشمالى من البقعة التى كسبها من الغمر – عند مكان يدعى – بياهمو – حاجزين ضخمين أقام فوقهما تمثالين كبيرين يمثلانه جالسا .

وكانت أملاك حكام الأقاليم فى هذا العصر من نوعين :

– يتضمن النوع الأول املاكا يتوارثها الابن عن الأب . وأما النوع الثانى فعبارة عن إقطاعية ملكية مشروطة بموافقة الملك للمخلصين من الأعوان . ونشأت فى هذا العصر إدارة جديدة هى إدارة الأعمال العامة وكان من ضمن مهامها حفر الترع وتنظيم توزيع الماء والعمل على صيانة ما تتطلبه الحياة الاقتصادية .(١) ومنذ عصر الأسرة الثانية عشرة كان من حق الملك مصادرة الملكيات الخاصة ويعطى حدودا جديدة للمقاطعات .(٢)

أما فى عصر الدولة الحديثة فقد استمر توارث الأبناء لملكية آبائهم . ففى نقش من مقبرة " مس " الذى عاش فى عهد رمسيس الثانى يقول صاحب المقبرة أن أملاكه الزراعية قد ورثها عن أبيه ، وأن هذه الأراضى كانت قد منحت لأجداده منذ عهد الملك أحمس الأول أى منذ حوالى ٣٠٠ سنة مضت .

وظهرت فى هذا العصر طبقة جديدة وهى طبقة العسكريين من ملاك الأرض ، فكان من يبلى بلاء حسنا فى الحروب كان يكافأ بمنحه قطعة من الأرض بالإضافة إلى عدد من الأسرى الذين يعملون فى الضيعة الصغيرة الجديدة . ويمتاز عهد مرنبتاح بوفرة المحاصيل . ومما يدل على ذلك تصديره الحبوب إلى خيتا فى

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠١ – ٥٠٢ .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ١٩٨٤ ، ص ١٥٢ .

آسيا الصغرى التى تعرضت لمجاعة . واتجه المصريون إلى غرس أنواع نباتات جديدة ، وأشجار ولكن ذلك كان قاصرا على نطاق المعابد أو الحدائق أو المزارع الملحقة بالمعابد . مثل ما أحضره تحوتمس الثالث من أرض رتنو وحاتشبسوت من بونت . وكان هناك الأوقاف من الأراضى الزراعية التى كان يمنحها الملوك للمعابد. ونعرف من بردية هاريس أن الملك رمسيس الثالث منح حوالى عشر الأراضى المزروعة فى مصر كلها أوقافا للمعابد . وفى معبد أدفو من عهد الملك نختنبو الثانى ، قائمة بأوقاف المعبد التى كانت تبلغ حوالى ٣٦ كم٢ من الأراضى جنوبى طيبة .(١)

حياة الفلاح :

تصور لنا بردية هجاء المهن بأن حياة الفلاح كانت سيئة ، وأحقر المهن جميعا كانت مهنة الزراعة ، وما كان يتعرض الفلاح فيها من ارهاق وما يتعرض له محصوله من سطو اللصوص وتقلبات الجو وتعرضه للجراد والقوارض وماشيته تموت من كثرة التعب ، وما يتعرض له من أذى عندما يعجز عن دفع الضرائب . ولكن مثل هذه الصورة لا تعبر عن الواقع ، لأنها كانت تكتب عادة للطلاب لتزهدهم فى حياة الزراعة وترغبهم فى حياة العلم .(٢) فمثلا فى قصة القروى الفصيح نجد صورة أخرى للفلاح ، فلم يظهر فى صورة الرجل البائس الفقير ، بل على العكس نجده يحمل حميره بالمنتجات الطيبة لأرضه وذهب لبيعها فى سوق العاصمة . ولولا أن ما تحمله حميره من بضائع كان يجذب النظر لكثرتها لما تعرض لطمع مشرف الضيعة تحوتى نخت .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٢ – ١٥٣ ؛
Meeks , le Grand texte des donations au temple d' Edfou (B dE 29) (1972) p. 4 - 52 .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣٩ ؛ د. محمد بكر : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

هذا إلى جانب إلى أنه كان على قدر من العلم والفصاحة وحسن التعبير . ولم يشر فى شكواه التسعة التى أرسلها أنه كان يعانى من حالة فقر أو بؤس بل كان
يشكو من الظلم الذى تعرض له . وفى قصة الأخوين ، كان الأخ الأكبر يعمل مزارعا وكان يملك بيتا وأرضا زراعية ومواشى وآلات زراعية وغلال .(١) وهناك مرسوم حور محب الذى أصدره الملك لحماية الفلاح مما يقع عليه أحيانا من ظلم . فالقسم الخامس من هذا المرسوم يحدد العقوبة التى يتعرض لها الجنود الذين يذهبون إلى الفلاحين للإستيلاء على جلود حيواناتهم دون وجه حق . والقسم السادس خاص بالإجراءات ضد ما يقع من ظلم على بعض الفلاحين وما يحدث من تلاعب من محصلى الضرائب . والقسم السابع هو عقاب من يأخذ من الفلاحين النبات المسمى " سم " والذى كان ضروريا لعمل الجعة بحجة أنه يؤخذ لأجل ضرائب الملك . ثم تأتى بعد ذلك العقوبات التى توقع على من يظلم الفلاحين بأخذ بعض الحبوب أو الخضروات دون وجه حق باسم الملك .(٢)

وعند بيتوزيريس يقول عمال الحصاد الذين كانوا يعملون فى خدمته : " أنا المزارع الطيب الذى يجلب الحبوب ويملأ لسيده بمجهود ساعديه الشونتين فى السنين العجاف ، ويأتى بكل ما تجود به الحقول إلى أن يجئ فصل الربيع (آخت) " ويصرخ فوج آخر من المزارعين بأن الأجور ضئيلة ولكنها مع ذلك جديرة بأن يحصل عليها ولو اقتصر الأمر على حزمة صغيرة فإنه سيعمل ليحصل عليها ".(٣)

الأدوات الزراعية :

كان العمل يبدأ بشق الأرض وغمرها بالمياه ثم حرثها بالمحراث فتتفتت كتل الطمى بهذا المحراث أحيانا أو بالفأس أحيانا أخرى.وكانت الفأس عبارة عن قطعة

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

(٢) د. أحمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٣٣٧ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

خشبية عريضة ذات طرف مدبب أحيانا منسـاب تدريجيا أحيانا أخرى ويثبت فى طرفها الآخر فى عصا خشبية متينة تستعمل كمقبض للفأس ثم يشد المقبض إلى القطعة العريضة فى منتصفهما تقريبا بواسطة حبل يساعد على تقليل المسافة بينهما أو توسيعها حسب الاستخدام.(١) أما المحراث الذى استخدم من أقدم العصور فكان يتكون من سكين خشبية يثبت إليها مقبضان خشبيان يمتازان فى أول الأمر بقصرهما ثم العريش الطويل الذى يتصل بالمحراث من طرفه الآخر بقطعة خشبية كبيرة تربط إلى قرون الدابتين اللذين يجران المحراث . وقد زاد طول المقبضين فى عهد الدولة الحديثة .

وهذا النوع من المحاريث لا يقلب الأرض ولكن يشقها فقط . وكان يتولى القيام بالحرث رجلان يضغط أحدهما على مقبضى المحراث ويتولى الآخر توجيه الدابتين وحثهما على السير وعدم التوقف . وفى وقت الظهيرة يلجأ الرجال إلى الراحة فى ظل شجرة مثلما نجد فى المنظر الموجود فى مقبرة مننا (رقم ٦٩) من عصر الملك تحوتمس الرابع، يمثل رجلان يستريحان فى ظل شجرة أحدهما يعزف على الغاب والآخر ينام قليلا .(٢)

وكانت الأبقار ، وليست الثيران ، هى التى تستخدم فى جر المحراث . أما الثيران فقد خصصت لجر توابيت الموتى فى اثناء موكب الجنازة وفى جر الكتل الثقيلة من الأحجار .(٣) وكانت البذور توضع فى سلة ذات مقبضين يبلغ ارتفاعها نحو ذراع وكان عمال الحصاد يقطعون سنابل القمح بالمنجل ، ذى اليد القصيرة . ومن أجل تنقية الحبوب يستعمل الغربال وهو أداة تشبه المصفاه ، ويستخدمون أداة

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ، ١٥٦ ، ١٦٠ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٣ – ٥٠٥ شكل ٣ – ٤ ؛
Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p . 104 ; Hartmann, L' Agriculture dans L' Ancienne Égypte , Paris (1923), p . 71 .

(٢) Allam , op . cit ., p . 128 .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

تشبه المكنسة لتذرية الحبوب .

مراحل الزراعة :

كانت الأرض الصالحة لزراعة القمح والشعير تمتد دون انقطاع من مستنقعات الدلتا حتى الشلال . وطالما كانت مياه الفيضان تغمر الأراضى خلال شهور فصل الربيع (آخت) ، لم يكن لديهم الكثير ليعملوه ، ولكن لا تكاد المياه تعود إلى مجرى النهر حتى كان عليهم أن ينتهزوا فرصة الوقت التى لا تزال الأرض خلاله لينه من أثر الفيضان فيسهل العمل فيها . وتبين لنا النقوش أن بذر الحبوب وحرث الأرض يسيران جنبا إلى جنب إذ تبذر الحبوب أولا ثم تحرث الأرض لتغطى تربتها الحبوب التى بذرت .(١) وكان يشرف على توزيع البذور موظف خاص يدعى " كاتب الحبوب " يسجل ما يصرف من بذور وما يوزع على العمال الزراعيين فى سلالهم التى يبلغ ارتفاعها نحو ذراع والتى كانوا يحملونها فى أيديهم أو يطلقونها فى رقابهم .(٢) وكانت زوجة المزارع فى بعض الأحيان هى التى تقوم ببذر البذور على الأرض .

وبعد عملية البذر السطحى كانت تبدأ عملية أخرى هى عملية دفن البذور فى الأرض لئلا تلتقطها الطيور . فكانوا يطلقون على الحقول خرافا وماشية تسير فى الحقل ويتقدم القطيع راع يحمل بعض الحبوب ليغرى الماشية على اتباعه وقد استبدلت الماشية أحيانا فى عصر الدولة الحديثة بالخنازير كما يشير إلى ذلك هيرودوت .(٣) وبعد ذلك يقوم الفلاح برى الأرض . وعمد المصرى القديم منذ أقدم العصور إلى شق القنوات وحفر الترع ، وتطهيرها وتعميقها وتخليصها من الطمى

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٤ – ٥٠٥ شكل (٥).

(٣) المرجع السابق ، ص ٥٠٥ – ٥٠٦ شكل ٦ – ٧ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص١٥١ .

الذى يسد مسالكها من وقت لآخر . أما بالنسبة للمناطق الصالحة للزراعة والتى لا تصل إليها المياه ، فاخترع المصرى لها وسائل أخرى مثل الشادوف ، وهو عبارة عن عرق من الخشب يتحرك من وسطه على قائم خشبى كذلك . وفى أحد طرفيه ثقل من الحجر وفى الطرف الآخر دلو من الجلد يغوص فى ماء الترعة أو القناة ثم يرفع ليصب ما يحويه فى مستوى أعلى .(١)

وعرف المصرى أيضا الساقية فى العصر البطلمى – الرومانى مثل ساقية تونا الجبل التى كانت تستجلب الماء من عمق ٣٦ مترا على مرحلتين .(٢) أو نقل الماء بطريقة أسهل وأيسر وهى حمل الماء فى آنيتين كبيرتين معلقتين بحبل فى طرفى عصا طويلة ممتدة على الكتف ، وذلك بعد ملئها من قناة أو ترعة (٣) ، أو من بئر ، فقد عثر على آبار فى مدينة انطونيوبوليس (قرب ملوى) وفى معبد تانيس (٤). وكان الفلاح دائم المرور على حقله لينقى المحصول من الشوائب وليعنى به ويرعاه ويحدد نموه حتى تبدأ سنابل القمح فى الاصفرار .

وعندما تبدأ سنابل القمح فى الاصفرار يحضر ملاك الأراضى أو ممثلوهم ومعهم عدد كبير من الكتبة والمساحين والموظفين ورجال الشرطة الذين يبدأون عملهم أولا بمسح الحقل . وبعد ذلك يقدرون كمية الحبوب بالكيل فيكونون فكرة دقيقة عما يستطيع الفلاح أن يقدم إلى مندوبى الضرائب أو كبار موظفى دوائر المعابد ، مثل معبد الكرنك الذى كان يملك أجود أراضى البلاد .(٥)

يتم الحصاد بمنجل مصنوع من قطعة خشبية مصقولة ومقوسة تثبت فى جانبها المعد للقطع شظايا من الصوان (الظران) رفيعة ذات أسنان . وكان العمل

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٠ شكل ١٤ ؛ وأيضا : Allam , op . cit ., p . 132

(٢) المرجع السابق ، ص ٥١٢ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

(٣) Allam , op . cit ., p . 76 .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

فى هذه المرحلة شاقا لارتفاع درجة الحرارة أثناء موسم الحصاد فكانوا يستعينون عليه برى ظمأهم بجرعات من الجعة والماء من إناء كانوا يحملونه معهم .(١) وينشغل العمال الزراعيون مدة أسابيع عديدة فى الحصد والدرس . ولذلك كانت دوائر أملاك الدولة وأملاك المعابد تحتاج دواما إلى عمال تراحيل يبدأون العمل فى مقاطعات الجنوب وبعد الإنتهاء منها يتجهون إلى الشمال ليجدوا الحقول معدة للحصاد .(٢)

وكان المحصول بعد حصاده يربط فى حزم ، وتكون الحزم معا فى المكان المزمع أن تدرس فيه ، وكان الحمار يحمل هذه الحزم ويقوم بنقلها وتتبعه النساء والأطفال الذين يجمعون ما يتساقط من حبوب فى سلال يحملونها .(٣) وكانت الحبوب توضع فوق الحمار فى جنبتين ، ثم فوق ظهره حتى يصل إلى الجرن فترفع عنه الحزم وتكوم معا فى كومة عالية .

وكان الجرن عبارة عن أرض خلاء تسوى على سطحها سيقان الحبوب بما تحمل من سنابل ممتلئة وتطلق الثيران للمرور فوقها عدة مرات حتى تفصل الحبوب عن القش .(٤) وهذه العملية هى العملية الأولى من عمليات الدرس . أما العملية الثانية فتتم بواسطة المذراه ذات الشعب الثلاث التى يقوم بها عادة رجلان بقصد تنقية الحبوب من التبن . أما العملية الأخيرة من عمليات التذريه تقوم بها مجموعة من النساء وهن يمسكن فى أيديهن كفوفا خشبية يدفعن بها الحبوب إلى أعلى فى الهواء فتتساقط على الأرض لثقلها ويحمل الهواء التبن الخفيف بعيدا . ثم يقمن بعد ذلك

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٥ – ٥٠٦ شكل ٨ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٣) المرجع السابق ،.ص ١٥٨ – ١٦٢ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٦ – ٥٠٧ شكل ٩ – ١٠ .

(٤) المرجع السابق ، ص ٥٠٧ .

بغربلة الحبوب فى غربال مربع حتى تنقى من التبن تماما . وبذلك تصبح نظيفة.(١)

وهنا يأتى دور الكتبة فيحضرون ومعهم أدوات الكيل ، وويل للفلاح الذى يخفى جزءا من محصوله أو الذى لا يستطيع تسليم رجال السلطة الرسميين كمية المحصول التى أظهرت علمية المساحة قدرة حقله على تقديمها . عندئذ يلقى أرضا ويضرب ضربات متوالية بالعصا كما نرى فى مقبرة مننا ، وكانت الحبوب تنقل بعد ذلك إلى الصوامع بعد أن يكيل موظف خاص من الضيعة المحصول ويعطى للعمال نصيبهم ، ثم يتولى بنفسه نقل باقى المحصول إلى صوامع صاحب الضيعة . وكانت الصوامع مخروطية مصنوعة من الطين ترتفع عادة إلى خمسة أمتار وقطرها متران وفى أعلاها فتحة صغيرة وبأسفلها باب صغير وتستعمل الفتحة العلوية لملء الصومعة بالحبوب ويصعدون إليها عن طريق سلم خارجى من الخشب وتغلق هذه الفتحة بعد امتلاء الصومعة ، أما الباب السفلى فلأخذ الحبوب منه حين تدعو الحاجة إلى ذلك .(٢)

وتعبر نقوش المقابر عن عدة مناظر تمثل مراحل الزراعة المختلفة من عزق وحرث وادخال البذور فى ثنايا الأرض بعد أن تدوسها الماشية فى مقبرة تى نفسها سقارة من الدولة القديمة .(٣) وصورة الحصاد ونقل المحاصيل فى مقبرة تى بسقارة (٤) ، ومنظر نقل المحاصيل إلى الأجران فى مقبرة من عصر الدولة القديمة

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥٠٧ – ٥٠٨ شكل ١٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٥٠٩ شكل ١٣ ؛ Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 195 .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ١٩١ .

(٤) المرجع السابق ، شكل ١٩٥ ؛ وأيضا :
Hartmann , L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte , Paris (1923), p . 87 .

فى طيبة .(١) ومنظر قطع الأشجار والعزق والحرث فى مقبرة نخت (رقم ٥٢) بجبانة طيبة من عصر الملك تحوتمس الرابع وكان كاتبا للمخازن .(٢) ومنظر يمثل كافة مراحل الزراعة من عزق وحرث وكذلك نقل ودرس وتذرية الحبوب وخلافه فى مقبرة مننا (رقم ٦٩) بجبانة طيبة من عصر تحوتمس الرابع وكان كاتبا للضياع الملكية فى الشمال ، وفى الجنوب.(٣) ومنظر عملية الكيل ، وقد انحنى مجموعة من العمال يغترفون الحبوب بمكاييلهم ثم يحملونها لكى تسجل أمام الكتبة .(٤) ومناظر الحصاد وقياس الحقل فى المقبرة نفسها ، وكان مننا يشرف على كل هذه الأعمال الزراعية بنفسه (٥) . ومناظر الحصاد فى مقبرة سنجم من الأسرة التاسعة عشرة فى دير المدينة .(٦) وبالمتحف المصرى جزء من ذراع طولى ، عليه تفاصيل فلكية عثر عليه فى الحجر من الأسرة السادسة والعشرين . وكان متوسط طول الذراع حوالى ٢٠,٦٢ بوصة (٠,٥٢٤ من المتر) وكان الذراع مقسم إلى سبع قبضات ، والقبضة إلى أربع أصابع . ويتضح من هذا المقياس أن الأصبع كان ينقسم إلى عدة أقسام (٧)

المحاصيل الزراعية :

عرف المصريون القدماء أنواعا من المحاصيل الزراعية منها الشعير وذلك منذ عصور ما قبل الأسرات . وكانوا يصنعون منه الجعة ، فقد عرف أهل حضارة مرمدة بنى سلامة والفيوم كأول زراع فى الحضارة المصرية فقد زرعوا القمح

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها : المرجع السابق ، شكل ١٩٧ .
(٢) المرجع السابق ، شكل ١٩٢ .
(٣) المرجع السابق ، شكل ١٩٤ .
(٤) المرجع السابق ، شكل ١٩٦ ؛ د. صبحى بكرى : دليل آثار الأقصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ ، ص ٨٥-٨٦ .
(٥) Daumas , la Civilisation de L'Égypte Pharaonique , p. 161 fig 50 .
(٦) Id ., op . cit ., p . 224 fig . 63 .
(٧) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة – مصلحة الآثار ، ١٩٦٩ ، ص ١٢٧ (٥٥١٩) .

والشعير والكتان .(١) كما عرفوا زراعة الذرة الرفيعة منذ عصر الدولة القديمة وكانوا يصنعون منها أنواعا متعددة من الخبز .(٢) أما البقول فقد عرف المصريون منها الفول والعدس والحمص والترمس واللوبياء . وقد ذكر هيرودوت أن العدس كان من أهم أطعمة بناة الأهرام . وكان المصريون يأكلون الفول ويصنعون منه البيصاره ، واستعملوه كذلك طعاما لماشيتهم مع الجلبان والبرسيم . أما البذور الزيتية فقد عرفوا منها بذور الكتان والخروع والقرطم والخس وثمار الزيتون . وقد أفادوا من عصر بذور الزيوت واستخدموا الزيت فى طعامهم وفى الإضاءة وفى صناعة الألوان والعطور وفى التدليك .

وعثر فى بعض المقابر على ثمار القرع والبصل والثوم وقد استخدمت جميعا كأنواع من الخضر . كما استخدم بعضها فى أغراض طبية كالثوم . وعرفوا كذلك اللفت ثم الملوخية منذ العصر الرومانى على الأقل .(٣) وعرفوا الفجل والكرات والبقدونس والكرفس والشبت والكزبره وكانوا يقدمونها ضمن القرابين . وكانت أوراق الكرفس وقشر البطيخ تستخدم فى تزيين المومياوات كما كان البصل يستعمل لإنعاش الموتى .

لم تكن مصر غنية بالأشجار ، ولكن المصرى القديم عرف أنواعا منها كالسنط والنخيل (للبلح والدوم) ، واستخدمت ثمار النخيل للأكل وكانت الجذوع تقطع إلى ألواح أو تستخدم كدعامات لأسقف المنازل والقاعات والأبهاء . وعرف أيضا شجر الجميز ، والنبق والطرفاء والصفصاف . وعرف النبق منذ فجر التاريخ وزادت الإستفادة منه فى الأسرة الثانية عشرة .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٨ . عن زراعة الكتان وحصاده، راجع : بيير مونتيه :المرجع السابق ، ص ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٥ – ١١٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٦ . عن المحاصيل الزراعية ، راجع : Hartmann , L'Agriculture dans L' Ancienne Égypte , Paris (1923) , p . 21 - 64 .

أما خشب الجميز فقد عثر عليه فى بعض مقابر الأسرة الخامسة أما الطرفاء فقد عرف منذ أقدم العصور . ومن المعروف أنه استنبت فى خلال الأسرة الحادية عشرة فى الدير البحرى . وأما الصفصاف فقد عرفه المصريون فى عصور ما قبل الأسرات ، وكانوا يصنعون منه مقابض السكاكين . واستخدموا كذلك أخشاب الأشجار المستوردة مثل البرساء منذ الأسرة الثانية عشرة وزاد استخدامه فى عصر الدولة الحديثة . والزان والبتس من غرب آسيا منذ القرن الرابع الميلادى ، والأرز من لبنان منذ عصور ما قبل الأسرات والسرو من سوريا منذ الأسرة الثامنة عشرة ، والصنوبر من سوريا وآسيا الصغرى وقد عثر عليه فى مقابر من عصر الأسرة الثالثة . والشربين من جبال طوروس منذ الأسرة السادسة والأبنوس من كوش وبونت منذ الأسرة الأولى .(١)

كما عرفوا صناعة خشب الابلكاج حيث عثر فى أحد ممرات هرم سقارة على قطعة خشبية مكونة من ست طبقات لايزيد سمكها عن سنتيمتر واحد من شجر السرو والصنوبر والجونيير (وهو شجر كان يؤتى به من سوريا ومن آسيا الصغرى ، ولونه أحمر وله رائحة ذكية . ونظرا لندرة الأخشاب المحلية لذلك كان لايسمح بقطع الأشجار إلا بإذن الوزير .(٢) واشتهرت مصر بزراعة البطيخ والشمام والقرع والقثاء والفقوس . وكان البطيخ يزرع فى مصر العليا والواحات ، أما الشمام فقد عثر على أوراقه وأزهاره وبذوره فى المقابر .(٣) وكانت ثمار البرساء تؤكل كفاكهة وقيل أنه كانت لها فائدة طبية فى علاج أمراض الأسنان . كما عرفوا زراعة العنب والدوم (٤) والبلح والجميز والتين (٥) والنبق والرمان ، وحب العزيز وكانوا

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١٥ – ٥١٦ .

(٢) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٥٥ .

(٣) الفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٦ .

(٤) أنظر منظر على اوستراكا من دير المدينة يمثل ثلاثة من القردة يتسلقون شجرة للدوم ، راجع : Allam , op . cit ., p . 117 .

(٥) راجع رسم على بردية من الدولة الحديثة محفوظة فى متحف تورين ، يمثل فرس النهر يأكل التين من فوق شجرة، راجع : Id., op . cit ., p . 68.

يقدمونه تحية للضيوف فى الحفلات ويتسلون بأكله (١) وكانوا يستوردون من الفاكهة الأجنبية اللوز والبندق والجوز والخوخ والمشمش والصنوبر والخرنوب وكان يؤتى بها على الأغلب من سوريا ومن آسيا الصغرى .(٢) وبالقسم المصرى بالمتحف الزراعى جزء كبير من العناصر النباتية والحبوب وغيرها التى كانت معروفة فى مصر القديمة . وعثر فى مقبرة توت عنخ آمون على جرار للنبيذ من الفخار عليه نقوش مذكور فيها سنة قطف الكرم ومصدر ما تحويه الجرة من النبيذ ونوعه ، وكذا اسم رئيس الكرم(٣) كما عثر على عشرين صندوقا تحتوى على أنواع نباتية مأخوذة من سلال متعددة وغيرها وكتب أسماء بعضها (٤) كما عثر فى المقبرة نفسها على باقات صغيرة من أوراق مأخوذة من نوع من الشجر يسمى برسيا(٥).

أعداء الزراعة :

كانت المحصولات الزراعية مهددة أحيانا بعدة كوارث ، منها الأمطار الغزيرة فى بعض المواسم . الجراد الذى يجرد الحقل من كل خضرة . وضيفان كان يزوران الحدائق فى الربيع والخريف وهما عصفور جنو وعصفور سوروت وهذان العصفوران كانا يلتهمان الفاكهة بشراهة . وهناك أيضا خطر الدودة وفرس النهر والفئران التى تلتهم جزء من المحصول .(٦) وكانت الضباع تسبب أضرارا للفلاحين فى محاصيلهم وماشيتهم إذا أحست بالجوع كما يظهر ذلك فى بعض مقابر طيبة .

---

(١) الفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٧ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٦٤ – ١٦٥ .

(٣) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ٢٥٨ (٥٠٢ – ٥٠٤) .

(٤) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ (١٥٨٠)

(٥) المرجع السابق ، ص ٢٥٨ (٥٠٧ – ٥٠٩)

(٦) د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٥٣ ؛ وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ٧٨– ٢٧٩ ، ١١٠ ، ١٢١ – ١٢٣ .

أعياد الزراعة :

كانت هناك أعياد تقام بمناسبة موسم الحصاد ولتقديم الشكر للمعبودات مثل المعبودة رننوت ، معبودة الحصاد . وكانت تلقب بلقب " سيدة الحقول التى تمد الناس بالغذاء الطيب وتغمرهم بالمؤن " وهى تعتبر أيضا سيدة الشون ، وقد صورها المصريون فى هيئة حية كبيرة أو هيئة امرأة لها رأس حية ، وكثيرا ما صوروها وهى ترضع المعبود نبرى الذى يرمز إلى سنابل القمح . وتقع أهم أعيادها فى منتصف الشهر الثامن (برمودة) وهو الشهر الذى سمى باسمها والذى يتم فيه قياس الأرض الزراعية استعدادا لحصادها وفى السابع والعشرين من برمودة ، يقع عيد وزن الدقيق ، ثم فى منتصف الشهر التاسع (بشنس) يتم احتفال الناس برننوت كمعبودة .(١) وهناك أيضا أعياد المعبود أوزير معبود القمح والبعث . والاحتفال به كان شائعا فى البلاد كلها . وكانوا يصنعون من الطين تماثيل له يدفنون فيها الحبوب لتزيد المحصول وفرة (٢). وكان المصريون يحتفلون كذلك بعيد بداية سنتهم الزراعية
وهوعيد قومى عام . وعيد الربيع الذى يعد من الأعياد الزراعية ، وعيد القناديل الموقدة ويقع فى فترة بذر الحبوب وكانت له صلة بالمعبود أوزير وبعثه .(٣)

البساتين والحدائق :

شيدت بيوت الأغنياء بحيث تحيط بها الحدائق والبساتين التى تتوسطها عادة بركة من الماء (٤) وتشير بعض آثار بيوت تل العمارنة إلى المنزل الذى

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية، المجلد الاول – الجزء الاول ، ص ٩٠ – ٩١ .

(٢) Blackman, Osiris as the Maker of Corn in a Text of the Ptolemaic Period, An. Orien . 17, Studia Aegypt. I Rome 1938, P. 60.

(٣) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٩ – ٥١٠ .

(٤) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص٥١١ –٥١٢ شكل ١٥ – ١٦ ؛ Hartmann ,op .cit ., p . 67 .

يختفى تماما وراء حديقة هائلة ويحيط بقطعة الأرض المربعة تقريبا من جميع جوانبها سور مرتفع بأعلاه فتحات وتظلله صفوف من الأشجار ويؤدى الباب الرئيسى إلى حديقة الكروم حيث يظهر الكروم بعناقيد العنب الكبيرة الزرقاء . وتزخرف جدران بعض المقابر مناظر تمثل عصر العنب وصناعة النبيذ . فنرى الكرم والأعناب وتقطف منه ثم تنقل إلى المعاصر حيث تداس بالأقدام ، ويجرى العصير عن طريق فتحة صغيرة إلى حوض تملأ منه جرار النبيذ . وعندما تتم هذه العملية يوضع فى أوان أعدت خصيصا لنقله فى الأسفار ، وهى جرار طويلة مدببة ولها أذنان وعنق ضيق ، وكانت تختم بالجص فى إحكام شديد . وكانت هذه الأوانى تحمل عادة على الكتف . وكما هى العادة ، كان الكاتب يقوم بحصر المقاطف التى أتى بها العصارون وقد سجل على كل آنية كافة التفاصيل مثل تاريخ العام الذى صنعت فيه والنوع واسم المنتج وقد سجل هذه البيانات فى سجلاته الخاصة . وفى بعض الأحيان كان يصر المالك على أن يشرف بنفسه على جمع العنب وعصره ، فيكون حضوره تشريفا للعمال كما نرى فى مقبرة بيتوزيريس .(١)

عرفت زراعة الكروم فى حقول ايميت الواقعة فى شمالى فاقوس وفى بعض المناطق الأخرى فى الدلتا . ويقول رمسيس الثالث لآمون فى بردية هاريس رقم ١ : " لقد زرعت لك كروما فى واحات الجنوب والشمال بجانب كثيرغيرها فى الإقليم الجنوبى ، أما فى الدلتا فقد زاد عددها مئات الألوف " .(٢) وكانت توجد بالحدائق عادة برك مستطيلة للماء تحيط بها أشجار النخيل أو أشجار أخرى أقل ارتفاعا . وإلى جانب البركة كانت توجد عادة مقصورة محاطة بالأشجار يأوى إليها رب المنزل عند المساء يراقب الطيور والأشجار .

ويذكر متن من الدولة القديمة فى نص قطعة أرض اشتراها وأنه غرس بها أشجارا طيبة من بينها التين والكروم كما حفر بها بحيرة كبيرة .(٣) ويقول حرخوف

---

(١) تاريخ الحضارة المصرية : المرجع السابق ، ص ٥١٣ شكل ١٧؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص١٤٢- ١٤٦ ؛ Allam , op. cit ., p . 105
(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٤٣ ، ٤٧٥ حاشية (٦)
(٣) الفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٤ .

من الأسرة السادسة فى مقدمة نقوش مقبرته فى أسوان : " منذ ولادتى وأنا انتمى إلى هـذه المدينـة ، وهنـا أقمـت مـنزلى ، وحفـرت بحـيرة فـى حديقتـى واحطتهـا بالأشـجار "(١). وقد سجلت سيدة عاشت فى عهد سنوسرت الأول ، على لوحة حجرية ، أنها أحبت الأشجار كثيرا .(٢) وفى مقبرة انينى (رقم ٨١) بالبر الغربى من عصر امنحتب الأول حتى عصر تحوتمس الثالث ، وكان يشغل عدة وظائف هامة منها رئيس كل الأعمال فى الكرنك ورئيس شون آمون ، منظر يمثل صاحب المقبرة جالسا مع زوجته فى مقصورة وقد ذكرت أسماء الأشجار بحديقته وعددها ، وهى تضم عشرين نوعا مختلفا ومن بينها ثلاث وسبعون شجرة جميز واحدى وثلاثون شجرة برساء ومائة وسبعون شجرة نخيل ومائة وعشرون شجرة دوم وخمس شجرات تين واثنتا عشرة كرمة وخمس شجرات رمان وتسع شجرات صفصاف وعشر شجرات اثل وجملتها ٤٣٥ شجرة .(٣) واعداد الحدائق لم يكن مقصورا على بيوت الأغنياء ، بل كان أيضا من المنشئات العامة . ونرى رمسيس الثالث يشير فى نص له إلى اهتمامه برعاية الحدائق والمشاتل والإكثار منها ، قائلا : " لقد أخصبت الأرض كلها بزراعة الأشجار وغرس النباتات ، بحيث أصبح فى استطاعة الناس الجلوس تحت ظلالها " وقد شيد حدائق كثيرة فى قصر آمون ، وفى معبد أيونو جدد غرس الأشجار والنباتات فى كل مكان وزرع البساتين اليانعة بالكروم ، كما زرع فيه أشجار الزيتون . وزرع أشجار الأخشاب المقدسة فى داخل أسوار معبد حورس .(٤)

الزهور :

كان من بين ما يزين مائدة القرابين الأزهار . وكانت تقدم للمعبود آمون أكاليل

---

(١) المرجع السابق ، ص ٥١٤ ، بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣.

(٢) Weigall , Histoire de L'Egypte Ancienne ,p . 52 .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٣؛ Montet, la Vie Quotidienne en Egypte au temps des Ramsès , p. 28; Urk IV, 1046 - 1047 .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ ؛ Weigall , op . cit ., p . 174 .

من الأزهار يطلق عليها اسم " عنخو " . كما كانت التوابيت تحـاط بأكاليل الزهور وأوراقها ، ولم تكن الاحتفالات الدينية والولائم تخلو من الأزاهير والورود . كما كانت المرأة تتجمل دائما بوضع زهرة أو زهرتين من زهور اللوتس فوق جبهتها ، أو تمثل ممسكة بزهرة فى يدها تتشممها أحيانا أو تقربها إلى أنفها أو تهديها إلى جارتها .(١) فهناك منظر موجود فى متحف فرانكفورت من الدولة الحديثة ، يمثل سيدة من الطبقة الراقية تستنشق عبير زهرة اللوتس .(٢) وهناك أيضا منظر فى مقبرة باحرى فى الكاب يمثله هو وزوجته ، ونراه جالسا وهم يستنشق عبير زهرة ذات غصن طويل .

تربية النحل :

عرف المصريون القدماء تربية النحل وطريقة جمع العسل وتخزينه . واهتموا بتربية النحل منذ الأسرة الخامسة على الأقل إذ يوجد منظر بمعبد نى اوسررع فى أبو صير يوضح جمع العسل وإعداده .(٣) كما نشاهد استخراج عسل النحل فى مقبرة مرى روكا .(٤) كما نشاهد منظر خلايا النحل فى مقبرة رخمى رع وفى مقبرة باباسا من عصر الأسرة السادسة والعشرين فى البر الغربى فى طيبة . وكانت خلايا النحل تتألف من مجموعة من الأوانى الفخارية موضوعة على الأرض ، ليجمع النحل عليها أقراص شمعه وشهده . وقد ميز المصريون بين درجتين من العسل : درجة أولى عرفت باسم " ستف " أى الرائق ، ودرجة ثانية باسم " دشرت " أى الأحمر . وقد لعب عسل النحل دورا هاما فى حياة المصريين ، وذلك لعدم

---

(١) الفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٤ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية – المجلد الاول، الجزء الاول ، شكل ٣٢٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧ ؛ وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين، ص ١٢٥ شكل ٦٤ .

(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية – المجلد الاول، الجزء الاول شكل ٢٠٠ .

معرفتهم السكر، هذا إلى جانب استخدامه في الأغراض الطبية والطقوس الدينية. كما توصل المصريون إلى معرفة المواد المستخرجة منه وفوائدها.

ثالثا: الثورة الحيوانية:

المراعي:

كانت المراعي منتشرة في مستنقعات الدلتا حيث تنمو بها الأعشاب والحشائش البرية فترسل إليها الماشية لتبقى فيها فترة من العام. وكانت الدلتا تحوي مساحات شاسعة من هذه المراعي. ولا توجد مراع طبيعية في مصر غير بعض المناطق في شمال الدلتا المعروفة بالبراري. وكان الرعاة يطلقون قطعانهم في المروج الخضراء والمراعي الخصبة لترعى وتأكل من الأعشاب التي تنبت فيها بكثرة بينما هم يستريحون في ظلال الأشجار. ونرى في منظر في مقبرة تي بسقارة من الأسرة الخامسة، عجولا ترعى في أماكنها وهي موثقة في أوتاد.(١) وكان الراعي يحمل عادة عصا يعلق في طرفها حصيرا يستخدمه غطاء حين يريد النوم. وكانت الكلاب تصحب الرعاة للحراسة. وكانت مهمة الراعي في المراعي الشمالية عسيرة.

استئناس الحيوان منذ اقدم العصور:

عثر في منطقة المساكن لحضارات عصور ما قبل التأريخ على بقايا عظام حيوانية، سهلت لنا التعرف على الحيوانات التي كانت تعيش في تلك الفترة البعيدة.(٢) وكما رأينا في دراستنا لبعض المراكز الحضارية، أنها كانت حيوانات أليفة مثل الخراف والماعز والثيران والأبقار كما رأينا في حضارة دير تاسا والتي تدلنا على أن تربية الحيوان واستئناسه كانا معروفين، فحتى الكلب كان مستأنسا، وربما كان يساعد في حماية القطيع(٣).

---

(١) وليم نظير: الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين، ص ٢٨ – ٢٩؛ ألفه نخبة من العلماء: تاريخ الحضارة المصرية، ص ٥٠٢.

(٢) وليم نظير، المرجع السابق، ص ٦٨.

(٣) د. رمضان عبده: تاريخ مصر القديم، دار الجامعة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة ١٩٩٧، ص ٣٨١ – ٣٩٢.

وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على بقايا الحيوانات الأليفة مثل الحمار . فقد عثر فى ثلاث مقابر كبيرة على جثث لحمير كانت تستخدم لحمل الأثقال وكوسيلة للانتقال . وعثر على كثير من جثث الكلاب مدفونة فى توابيت من الخشب .(١)

الحيوانات الزراعية :(٢)

تزخر نقوش المقابر منذ عصر الدولة القديمة حتى بداية العصر البطلمى بمناظر متنوعة تمثل حياة الماشية وتربيتها . وكانوا يقسمون الماشية إلى نوعين : الماشية الكبيرة وتشمل الثيران والأبقار والماشية الصغيرة وتشمل التيوس والكباش والماعز ، أما قطعان الخنازير فلم تمثل على جدران المقابر إلا نادرا . وقد عرف المصرى القديم عدة أنواع من الحيوانات الزراعية : (٣)

البقرة : عرف سكان الوادى البقر الافريقى ذى القرون الطويلة منذ أوائل العصر الحجرى الحديث ، ولابد أن استئناس هذا الحيوان قد بدأ فى شرق أفريقيا . كما جئ بالأبقار من قبرص ومن بلاد الحيثيين . وينقصنا معرفة طريقة جلب مثل هذه الحيوانات .وعرف المصريون القدماء عدة أنواع من الأبقار . وكانت البقرة رمزا لعدة معبودات .

---

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ١٩٥٢ ، ص ٨٣ ، ٩٦ صور ٦٤ – ٦٥ ، ١١٩ ، ١٢١ .

(٢) عرف المصرى القديم انواع الحيوانات الأخرى منها ما كان يعيش فى بيئته ومنها ما كان يجلبه من الخارج ، مثل الاسد ، الخرتيت ، الفهد ، النمر ، الضبع ، الفيل ، فرس النهر ، الإيل ، الغزال ، الوعل ، أبوحراب ،المهاة ، التيتل ، الزراف ، الذئب المصرى ، الثعلب ، ابن آوى ، النمس ، القرد ، القط ، الكلب ، الخفاش ، راجع : وليم نظير : المرجع السابق ، ص٧٣ – ٩٥ ، أيضا : Hartmann , op . cit ., p . 178 - 230 .

(٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٤٥ – ٧٠ ؛ الفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٧ ، ٥١٧ .

الثور : أستأنس منذ عصور ما قبل التأريخ . وكان الثور من أهم الحيوانات التـــي عنى بها المصرى القديم . وكان يغلب على الأبقار والثيران اللون الأبيــض أو اللون الأبيض المرقط ببقع كبيره سوداء أو حمراء أو صفـــراء أو ذات لون بنى . وفى الدولة الحديثة استقدمت أنواع مـــن الثـيران ذات القـــرون القصيرة جئ بها من النوبة ومن سوريا .ويرمز الثور إلى القـــوة . وكـــان المصرى يعطى لأبقاره وثيرانه أسماء ويدللها ويتحدث إليها ويزينها أحيانـــا بجلاجل أو قلائد . وكان يطلق عليـــها صفـــات مثـــل اللامعـــة والجميلـــة والمحبوبة والطاهرة .

الجاموس: أدخل إلى مصر بعد الفتح العربى بزمن طويل أى نحـــو القـــرن الثـــالث للهجرة (التاسع الميلادى) .

الحمار : عرف منذ اقدم العصور ، وأصله من بلاد النوبة .

الحصان : أدخل من سوريا وفلسطين عند غزو الهكسوس لمصر واستخدموها فـــي جر العجلات الحربية ، وذلك فى القرن السابع عشر قبل الميلاد .

البغل : نرى فى منظر فى مقبرة نب آمون بطيبة من عصر الأسرة الثامنة عشـــرة عجلتين تجرهما الخيل والبغال ويسوقهما صبى .

الجمل : كان معروفا عن المصريين منذ أقدم العصور ، فقد عثر على تمثال مـــن الفخـــار شكل على هيئة جمل بارك فى بلدة نقادة مـــن عصـــر مـــا قبـــل الأسرات . وعثر فى حفائر حلوان على أجزاء من هيكل عظمى لجمل .

الأغنام : عرف أولئك السكان البعيدون الأغنام بأنواعها المختلفة فى العصر الحجـــرى الحديث ، وهى الأغنام ذات القرن الذى يبرز ملتويا وخارجا من الرأس فـــي اتجاه أفقى من الجانبين .

الماعز : عثر على بقايا وأجزاء من هياكل الماعز من العصر الحجـــرى الحديـــث . وكان يوجد فى مصر منذ أقدم العصور نوعان من الماعز الأول فقد كـــانت قرونه حلزونية طويلة ، والثانى جسمه صغـــير وأرجلـــه قصـــيرة وأذنـــاه طويلتان متدليتان .

الخنزير : عرف منذ أقدم العصور . وقد ذكر هيرودوت أن المصريين القدماء كانوا يستخدمون الخنازير فى الأغراض الزراعية فيطلقون قطيعا منها على الأراضى لتدوس الحبوب بعد بذرها. وذكر أيضا أنهم كانوا يعدون هذا الحيوان غير نظيف وإذا لمس إنسان خنزيرا وجب عليه الاستحمام وغسل ملابسه ليتطهر مما لحقه من رجس.

تربية وتسمين الماشية :

تعد مقبرة مرى روكا بسقارة من الأسرة السادسة من أغنى المصادر التى تحوى مناظر تمثل تربية الماشية وتسمينها وحلبها وتوليدها وإرضاعها وعلاج الحيوانات المريضة . وكان المصرى يعنى بتحسين سلالاتها ، فيرسلها إلى المراعى فى الشمال أو يقوم بتقديم طعام لها من عجين الخبز . وعثر فى كوم أوشيم (الفيوم) من العصر الرومانى على أقراص من الكسب كان يستخدم علفا للماشية وهو عبارة عن بقايا الزيتون بعد عصره (١) ، ونرى فى بعض مناظر المقابر رجل يساعد على توليد بقرة وآخر يربط العجل فى رقبتها ليتمكن من القيام باستدرار لبنها وهذا ثالث يسوقها إلى المرعى فى رفق .(٢) وهذه عملية تلقيح بين ثور قوى وبقرة ولود فى مقبرة فى دشاشة . وهناك منظر على تابوت إحدى ملكات الدولة الوسطى ، يمثل حلب بقرة وقد ربط صغيرها فى إحدى ساقيها الأماميتين ، ليزداد ادرارها للبن ولكن البقرة تبكى لإدراكها أن اللبن لن يكون من نصيب صغيرها (٣). وكانت الماشية الصغيرة تربى أحيانا فى المنازل وتسمن للاستهلاك اليومى . وكانوا يصيدون الايائل والوعول التى تستأنس أحيانا وتضم إلى فصائل الماشية الصغيرة بعد أن تسمن بإطعامها عجين الخبز .(٤)

---

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٨ شكل ١٩ – ٢٠ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٤ – ٣٥ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية، المجلد الاول – الجزء الاول ، شكل ٣٠٤ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٢٠ شكل ٢٣ .

العناية بالحيوان والرفق به :

يذكر ديودور الصقلى أن المصريين القدماء كانوا يجزون صوف الغنم ثلاث مرات ويذكر ماسبيرو أن الثيران كانت تغسل مرة كل يوم فى وقت الظهيرة . وكان الفلاح يقود ماشيته إلى الحقل أو المراعى وهى حرة طليقة فى معظم الأحيان وأحيانا يربطها بحبل ويقودها . وفى طريق عودته من الحقل تصادفه بعض العقبات ، فإذا اضطر إلى عبور قناة غير عميقة فإنه يستخدم قاربين لنقل الماشية من شاطئ إلى آخر وعندما تكون القناة قليلة الماء فإن الراعى يخوض الماء ببطء بجانب قطيعه حاملا على كتفيه عجلا رضيعا خوفا عليه وشفقة به . أما البقرة فتسير خلفه ، وهى تخور وقد جحظت عيناها من القلق على ولدها . وإذا كان الماء عميقا على مقربة من النباتات المائية فقد كان يخشى دائما من التمساح . ويعرف الراعى ما يقوله لأجل تحويل هذا العدو الرهيب إلى كائن لا ضرر منه .(١) ومن مظاهر عناية المصريين بالحيوان مانراه على أحد جدران مقابر ميدوم حيث مثل ثوران مغطيان بغطاء حماية لهما من شدة البرد فى الشتاء . ويبدو أنه حصير من القش . وعندما يحضر المصرى جرار الماء النقى ويضعه أمام ماشيته كان يلاطفها ثم يستحثها على الشرب .(٢)

الحظائر :

تقام من أغصان الأشجار لحماية الماشية من الحيوانات الضارية . وكشفت لنا حفائر تل العمارنة عن بقايا حظائر كانت الماشية تقضى الليل فيها . كانت حظيرة الثيران تقع داخل الأسوار غير بعيدة عن منزل السيد وعن مخازن الغلال . وكان الخدم يعيشون داخل الأسوار لحماية الماشية ضد اللصوص . وكانت حظيرة الخيل منفصلة عن حظيرة الثيران ومكان الحمير .(٣)

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
(٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص٣١ -٣٣ .
(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

ذبح الماشية :

كثيرا مانرى على جدران مقابر الدولة القديمة مناظر تمثل احضار الثيران للذبح وتقديم لحومها قربانا لصاحب المقبرة . ولا تكاد مقبرة من المقابر تخلو من منظر يمثل ذبح ثيران التضحية . وفى متحف متروبوليتان بنيويورك نجد منظرا يمثل الثيران وهى تساق إلى قاعة ذات أعمدة بينما يشرف رئيس القصابين على عملية الذبح وقطع اللحوم وتعليقها لكى تجف . وكانوا يحظرون ذبح إناث البقر لما يؤدى إليه ذبحها من القضاء على الثروة الحيوانية .(١)

الكشف على اللحوم :

كانت المعابد ترسل كهنة بمثابة مفتشين عند مربى الماشية ويفحصون كل حيوان فحصا دقيقا فى حالة وقوفه ورقاده ويسحبون لسانه لمعرفة سلامته وخلوه من علامات المرض . وينظرون إن كان شعر الذيل ناميا نموا صحيحا . بعد ذلك يعلنون أنه حيوان صالح للذبح وذلك بوضع حبل حول قرنيه ويضعون على الحبل ختم من الطين .(٢)

ختم الماشية :

كان المصريون القدماء يخافون على ماشيتهم من الضياع لذا فقد ميزوها عن غيرها عند اختلاطها بالماشية الأخرى بعلامة خاصة وذلك بكيها بخاتم من الحديد محمى فى النار على الكتف الأيمن أو على أحد قرنيها أو على إحدى

---

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٥- ٣٦ .

(٢) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ؛ ص ١٩٤ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

فخذيهـا الأماميين . ويوجد هذا المنظر فـي مقبرة نب آمون (رقم ٦٠) فـي البر الغربى فى طيبة من عهد تحوتمس الرابع .

الأطباء البيطريون :

نشاهد على أحد جدران معبد أبيدوس منظـرا يمثل أحد الأطباء البيطريين وهو يلقى على الطلبة درسا فى تشريح البقرة . وقد ظهرت جميع الأحشاء الداخلية بالألوان . ونرى على أحد جدران مقبرة خنوم حتب ببنى حسن من عصر الدولة الوسطى منظرا يمثل الأطبـاء البيطريين وهم يقومـون بعـلاج بعض الحيوانـات المريضة . وبعد فحص الحيوانات المريضة كان الأطباء البيطريون يعطونها الدواء بأيديهم . ويذكر ديودور الصقلى فى هذا الصدد : " أن الإرشادات التىتوصلوا إليها بشأن الطرق النافعة لعلاج الماشية المريضة والغذاء اللازم لها فى الصحة والمرض لم توصلهم إلى معرفة حقيقة المرض بـل المنافسـة التـى وجـدت بينهم وبين سـائر الأمم جعلتهم يتوصلوا إلى عدة طرق لعلاج الماشية ". (١)

إحصاء الماشية :

كانت الحيوانات تحصـى كل عامين وذلك أمام ممثلين للإدارة الملكية يرسلون إلى الأرياف لتقدير الضرائب الحكومية . وأحسن مثل لدينا عن إحصاء الماشية وأهميته ما عثر عليه في مقبرة البرشا من عصر الدولة الوسطى إذ نرى على أحد جدران مقبرة تحوتى حتـب منـاظر تمثل إحصاء كل نوع من الحيوان . وكان المصريون القدماء يصورون علـى جدران مقابرهم قطعان الماشية موضحة بالأرقام الدالة على عدد ما يملكه صاحب كل مقبرة .(٢)

---

(١) وليم نظـير : المرجـع السـابق ، ص ٣٨ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥١٩ ، شكل ٢١ .

(٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٣٩ - ٤٠ .

المنتجات الحيوانية :

بلغت عناية المصريين القدماء بالحيوانات وتربيتها وتسمينها حدا كبيرا ، وذلك لسد حاجتهم من منتجات الحيوان . ومن أهم ما استخرجه المصريون من الحيوانات اللحوم ، ويبدو أن المصريين القدماء كانوا يفضلون اللحم المشفى ، وقد عثر فى حفائر المعادى من عصر ما قبل التأريخ على ضأن وماعز مجفف كما عثر فى مقبرة امنحتب الثانى بالبر الغربى بطيبة على لحوم بقرية مختلفة مجففة . وكانت الدهون من زبد وسمن ولبن وجبن ، والصوف والفراء والشعر والجلود والقرون والعظام والعاج والغراء والأمعاء والسماد من فضلات المواشى .(١)

ترويض الحيوانات :

عنى المصريون القدماء بالحيوانات عامة والمتوحشة منها خاصة في جميع حقب التاريخ . ولم تكن عادة ترويض الحيوانات البرية غريبة على المصريين . فنرى على أحد جدران مقبرة بتاح حتب بسقارة من الأسرة الخامسة منظرا يمثل سبعا ولبؤة فى قفصين كبيرين ذوى قضبان يجرهما بعض الخدم أمام صاحبهما .(٢)

وكثيرا ما كانت الحيوانات الغريبة ترد من البلاد الأجنبية إلى مصر مثل الفيل والدب من سوريا والزراف من اثيوبيا مما يجعلنا نعتقد أن مثل هذه الحيوانات كانت تحفظ فيما يشبه حدائق الحيوان . وعندما عادت البعثة التجارية التى أرسلتها حاتشبسوت إلى بلاد بونت أحضرت معها فهدين وأمرت الملكة بترويض هذين الفهدين لتستخدمهما فى رحلات الصيد .(٣) وقد اشتهر امنحتب الرابع بأنه من اكثر هواة الحيوانات والنباتات النادرة . وكانت حدائقه فى تل العمارنة تغص بالوعول والظباء . وعثر على نقوش فى مقابر هذا العصر تبين أن اقفاصا بها حيوانات مختلفة يظهر بينها أحد السباع فى قفصه .

---

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٨١ – ١٩٧ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٤ شكل ٥١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٠٥ – ١٠٦ .

ويبدو أن عددا كبيرا من الملوك كانوا يصطحبون معهم فى معاركهم الحربية سباعهم المفضلة بعد تدريبها على الصيد ومقاتلة الأعداء . ونرى فى أحد مقابر بنى حسن من عصر الدولة الوسطى منظرا يمثل استخدام السباع فى الصيد فنرى الصياد يصطاد وعلا والسبع يقبض عليه .(١) وهناك المنظر المصور على أحد آثار توت عنخ آمون ونرى فيه أحد السباع برفقة الملك . وهناك منظر فى معبد كوم امبو من العصر البطلمى يمثل سبعا فى صحبة الملك – الذى لاتظهر إلا ساقه – يلتهم يد أحد أسرى الحرب الراكعين أمام الملك .(٢)

وقد عثر على منظر فى مقبرة مرى روكا بسقارة يمثل الكلافين وهم يطعمون الضباع بأيديهم ويسمنونها ، ويرى مونتيه أنها دربت على الصيد .(٣) ومن المرجح أن البطالمة قد أنشأوا فى الإسكندرية حديقة للحيوان كانت ملحقة بالمتحف .(٤)

رابعا : تربية الدواجن :

تربيتها وتسمينها :

كان أصحاب الدواجن على طائفتين : الأولى وتقوم بتربيتها وتعيش فى القرى ، والثانية وهم بائعو الدواجن فى الأسواق وتقوم باطعامها وتسمينها وتعيش فى المدن .(٥) ونرى فى بعض رسوم المقابر أصحاب الدواجن وهم يطعمونها باليد لتسمينها ، كما نرى الدواجن وهى " تتعثر فى مشيتها بعد إطعامها " من كثرة

(١) المرجع السابق ، ص ٩٨ شكل ٤٦ .
(٢) المرجع السابق ، ٧٤ شكل ٣١ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .
(٤) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٨١ – ١٩٧ .

تسمينها . وكان طعام التسمين يعد من عجينة الخبز ويبل فى وعاء به ماء حتى يسهل بلعه . وكان هذا التسمين شيئا إضافيا إلى جانب الطعام العادى وهو الحبوب .(١)

الأوز :

كان الأوز شائعا فى مصر وكان من أحب الدواجن عند المصريين القدماء ويتحدثون عنه كثيرا . وعثر على أسماء مختلفة للأوز ، وهى حوالى خمسة أسماء(٢) ، وفى مقبرة مرى روكا بسقارة نرى منظرا يمثل تربية الأوز فى حظائر مسورة وفى وسط كل حظيرة بركة ماء صغيرة ، ونرى فيها المشرف على تربيتها وهو يحضر الحبوب لنثرها لكى يطعمم الأوز .(٣) ونرى فى مقبرة تى بسقارة ومقبرة خنوم حتب الثانى ببنى حسن مناظر تسمين الأوز باليد . ومن الطريف أن نرى أصحاب الدواجن وهم يحضرون الأوز المراد ذبحه ، فيقوم أحدهم بذبحه ، والآخر ينزع ريشه وينظفه بينما يقوم شخص ثالث بتمليحه ووضعه فى القدور لحفظه ، أو يعلق بعضه على صار من الخشب ويعرض للبيع . ويوجد هذا المنظر فى مقبرة بح سوخر – ثننو (رقم ٨٨) من عصر تحوتمس الثالث أو امنحتب الثانى .(٤)

وكانت الأوزة ترمز لأصل المعبود آمون . ونرى على إحدى جدران مقابر دراع أبو النجا بطبية لموظف يدعى بيكى عاش فى عصر الدولة الحديثة منظرا يمثل زوجته التى اتخذت لنفسها أوزة لتدللها .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٩ – ١٥٠ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٦٠ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ١٩٩ .

(٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٥٠ شكل ٨١ – ٨٢ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٥١ شكل ٨٣ ؛
Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 106.

البط :

يبدو أن البط لم يلعب دورا بين الطيور المقدسة فى مصر . وعثر على منظر يمثل بطا عائما بين زهور اللوتس على قطعة من أرضية قصر امنحتب الثالث . وعثر على أربعة أسماء للبط فى النصوص المصرية وكان لحم الأوز والبط من أحب الأطعمة لدى المصريين ، يقدمونه للملوك والكهنة ويأكلونه شواء أو مسلوقا ، ويزين موائدهم . وكان الأوز يشوى عادة على نار الفحم .

الدجاج :

يبدو أن الدجاج لم يكن معروفا عند المصريين القدماء . والواقع أن الدجاجة والديك لم يظهرا على الآثار إلا فىعصر البطالمة والرومانعلى أحد جدران مقبرة بيتوزيريس . كما نرى الديك مرسوما على أحد جدران المنزل الجنائزى رقم ١٦ بتونا الجبل .

الحمام :

لم يعتبره المصريون القدماء ضمن الطيور المقدسة كما لم يعثر على مومياوات له فى المقابر . وتظهر صور الحمام على جدران المقابر كأنه من الطيور المهاجرة التى استوطنت فى أفنية الدواجن .(١)

---

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٥٢ – ١٥٥ شكل ٨٤ – ٨٧ .عرف المصريون القدماء كثيرا من الطيور البرية كالنسر والرخمة المصرية والصقر وأبو منجل والنعام والكركى والسمان والبجع ومالك الحزين وعصفور الجنة وأبو فصاده والهدهد والحدأة والبومة والغراب والزقزاق ، راجع : وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٥٥ ، ١٥٧ – ١٦٨ .

التفريخ :

عنى المصريون القدماء بالتفريخ الصناعى . وكان لهذا التفريخ وقت معين ويقوم به اخصائيون لهم معامل فى كثير من القرى . وتحدث ديودور عن ذلك فقال : " مما يثير دهشتنا ويستحق عظيم الثناء ما كان يشتغل به مربو الدواجن والأوز فهم لم يكتفوا بالتفريخ الطبيعى المعروف فى سائر البلاد بل كانوا يحصلون على عدد لا يحصى من الطيور بالطرق الصناعية ".(١) وكانوا يستخدمون لذلك أفرانا أعدت خصيصا لهذه العملية .

منتجات الدواجن :

كانت لحوم الدواجن كالأوز والبط والحمام من أحب الأطعمة عند المصريين القدماء . واستخدم البيض فى الأكل منذ العصر الحجرى الحديث . وكان أصحاب الدواجن فى مصر يجمعون البيض ويحصونه بعناية تامة ، ويسجل الكتبة عدده . وقد شوهدت سلال البيض ضمن القرابين التى قدمت للموتى . ومما يلفت النظر أن بيض الأوز والبط لم يذكر مطلقا ضمن طعام المصريين القدماء . أما بيض النعام فكان ذا قيمة كبيرة . واستعمل فى بعض أغراض الزينة وقد عثر فى جبانة الجيزة على أوان وقدور من الفخار مليئة بالبيض المختلف الأشكال . وعرف المصريون فائدة ريش الطيور منذ عصر ما قبل الأسرات ، وعثر فى المقابر على ريش غراب أسود اللون كان يستعمل فى حشو الوسائد المصنوعة من الجلد المنقوش . ومن أحسن الأمثلة على ذلك الوسادة التى عثر عليها فى مقبرة يويا وتويا . وعثر على حالة واحدة من ريش الحمام . أما ريش النعام فكان يستعمل بكثرة فى صنع المراوح كما استعمل حلية للرأس .(٢)

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٩ – ١٧١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٨ .

خامسا : الثروة السمكية :

تعد الأسماك من أهم مصادر الثروة المائية منذ العصر الحجرى الحديث . وكانت مصر غنية بالأسماك التى تعيش فى مياهها ، ويستهلك المصريون كثيرا من أنواعها المختلفة كما هو واضح من نقوش المقابر منها : قشر البياض وفتيل البياض والبنى وثعبان الماء والقنوم والبلطى والبورى والقرموط والشال والشلبة واللبيس والفهقة والبسارية .(١)

حفظ الأسماك وتجفيفها :

برع المصريون القدماء فى حفظ الأسماك وتجفيفها واستخراج البطارخ من بعض أنواعها كما نرى فى رسوم مقبرة نب كاوحور بسقارة . وذكر هيرودوت أن المصريين كانوا يرسلون الأسماك بعد صيدها إلى الأسواق ، ويأكلون الأنواع المفضلة عندهم طازجة مثل قشر البياض والبلطى . أما الأنواع الأخرى فكانوا يشقون بعضها من منتصفها ويملحونها ويتركونها فى تيار الهواء الجارى لتجف تماما ، كما نرى فى إحدى مقابر الجيزة من الدولة القديمة .(٢) وقد ذكر بلوتارخ بعض أنواع الأسماك المقدسة التى كانوا يتجنبونها ويحرمون صيدها أو لمسها أو أكلها مثل قشر البياض وفتيل البياض وثعبان الماء والبنى والقنوم وكان السمك محرما فى بعض أيام خاصة من السنة وعثر على أسماك كثيرة محنطة ومجففة من عصور مختلفة . وعثر على مومياوات للأسماك فى جبانة اسنا الأثرية .(٣)

الأصداف ومحار البحر :

كثيرا ما وجدت الأصداف فى مقابر المصريين القدماء منذ العصر الحجرى الحديث ، وكان البحر الأحمر يمدهم بالكثير من هذه القواقع ، كما كانوا يستعملون

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٣٢ – ١٣٦ شكل ٦٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) R. el Sayed, La Déesse Neith de Sais, BdE 86/11 (1982), t. I, p. 27 - 28 (3).

وعن صيد الأسماك ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 130, 132, 253, 501, 547 – 548 .

قواقع النيل والبحر الأبيض . وقد عثر على كمية كبيرة من هذه الأصداف فى ميت رهينة . وكان للصدف قيمة كبيرة فى صناعة بعض الأدوات كالأساور والخواتم والأزرار والدلايات والأمشاط والأطباق .(١)

سادسا : الصيد وأنواعه :

كان الصيد أول ما احترفه المصريون القدماء منذ العصر الحجرى القديم . وكان الصيد يمارس فى الصحارى وفى البرارى وفى النيل وفى الترع وفى القنوات وفى البرك وفى المستنقعات وفى البحار . واصطادوا الحيوانات والطيور والأسماك . وقد سجل المصريون على جدران مقابرهم مناظر كثيرة للصيد والأدوات التى استخدموها والطرق التى اتبعوها .

وكان الصيد فى الصحراء ومستنقعات البردى الهواية المفضلة عند الملوك وكبار رجال الدولة والنبلاء . كما كان حرفة أيضا لأن بعض المصريين القدماء كان يعتمد فى طعامه على الصيد والقنص . وقد سجل المصريون على جدران مقابرهم مناظر كثيرة للصيد البرى والبحرى والأدوات التى استخدموها والطرق التى اتبعوها . وكان الصيادون المحترفين والهواه يتحاشون الاستمرار فى مطاردة الفريسة إلى أبعد مدى ، لأن الفريسة قد سلحتها الطبيعة بأرجل قوية ، وإذا استمر الصيادون فى مطاردتها ضلوا الطريق فى الصحراء وأصبحوا بدورهم فريسة للحيوانات المتوحشة كالضباع والطيور الجارحة .(٢)

وكان يلازم شرطى الصحراء المكلف بحراسة جبل الذهب فى قفط خبير فى الصيد ، كان يقوم بصيد النعام والغزلان . وقد كون رمسيس الثالث فرق شرطة من حملة الحراب وفرق صيادين محترفين يكلفون فى الوقت نفسه بمرافقة جامعى العسل البرى والشمع ويعودون بالماعز البرى لتقديمها للمعبود رع فى جميع حفلاته .

وكانت القوارب الخفيفة تنساب على صفحة الماء بين نباتات البردى

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) وعن الصيد بوجه عام ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt 11, p. 130 – 133 .

واللوتس المتمايلة ويقطف الملك أو النبيل الزهور المحببة ويفزع الطيور البرية ثم يضربها بعصا الرماية ويصطاد الأسماك بحربته وكان يرافقه زوجته وأولاده . وكان الصياد على علم بطبائع الحيوانات والأماكن التى ترتادها للشرب وكانوا يختارون سفح واد حيث توجد رطوبة فى الأرض تسمح بإنبات بعض الأعشاب .(١)

صيد الحيوانات البرية :

من أهم حيوانات الصيد التى كثيرا ما رسمت على الآثار منذ فجر التاريخ هى التمساح وفرس النهر والسباع والفيلة والضباع والغزلان والوعول والظباء والأيائل والزراف والثعالب والفهود والنموس والقنافد والأرانب البرية . ويلاحظ أن معظمها كان متوطنا ولا يوجد بكثرة فى جنوب الوادى .(٢)

أدوات الصيد :

كانت أكثر الأسلحة استعمالا الأقواس والسهام والخية (الحبالة ذى الأنشوطة) والفخاخ والحراب . واستخدمت السكاكين من النحاس فى ذبح الفريسة وسلخها وتقطيعها .(٣) وكان الصيادون فيما مضى يذهبون إلى الصيد سيرا على الأقدام ، بينما يقوم الحرس بحمل الطعام والأقواس والسهام والأقفاص والحبال وزنابيل الصيد . ومنذ عرف استعمال العربة كان السيد يذهب للصيد ممتطيا العربة كأنه ذاهب إلى ميدان القتال ومعه القوس والسهام ، أما الأتباع فيسيرون خلفه على الأقدام يحملون بواسطة عصى غليظة جرارا وقربا ملئت بالمياه ، ومقاطف وأكياسا وحبالا .

---

(١) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ١٧٦ - ١٧٩ .

(٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ٩٥ ، ٩٨ - ١٠٤ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٦ - ٩٨ .

وعندما تصل القافلة الصغيرة إلى مكان الصيد يترك السيد عربته ومعه أسلحته ويمسك أحد الخدم مقاود كلاب الصيد التى أطعمت طعاما كثيرا من قبل ودربت على الصيد ومطاردة الحيوانات ومهاجمة الفريسة والقبض عليها بأنيابها دون إصابتها بضرر . كما استعانوا بالسباع المدربة فى الصيد.(١)

وفى مقبرة مرى روكا بسقارة نرى مناظر صيد الحيوانات (٢) ، ونرى فى مقبرة بتاح حتب بسقارة أيضا منظر صيد الحيوانات المفترسة بالشباك الكبيرة ، وفى المقبرة نفسها منظر ثالث يمثل صيد الحيوانات المختلفة بالحبال .(٣) وفى إحدى المقابر بالقرب من أهرام الجيزة نرى منظرا يمثل صيادين أحدهما يحمل غزالا صغيرة والآخر يحمل أرنبا بريا وقنفدا وفى الوسط غزال صغير يرضع من غزالة كبيرة.(٤)

وهناك منظر للصيد البرى فى مقبرة من مقابر مير من الدولة الوسطى (٥) ، ومنظر آخر يمثل رجلا يعود بالصيد البرى ويحمل غزالا وأرنبا بريا ويصطحبه كلبه .(٦) وفى مقبرة من مقابر البر الغربى فى طيبة نرى منظر صيد فرس النهر (٧) ، وكان أوزير حات يتوغل فى الصحراء الشاسعة وهو يقود عربته بنفسه مصوبا السهام بيديه وسائقا أمامه قطيعا من الغزلان تجر وراءها أرانب برية وضبعا وذئبا ، ثم

---

(١) ببير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية – المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٣٣٥ .

(٣) المرجع السابق ، شكل ٣٤٧ – ٣٤٩ .

(٤) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٢ شكل ٤٩ .

(٥) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٣٤٤ .

(٦) المرجع السابق ، شكل ٣٤٦ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٢ شكل ٤٨ .

(٧) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٠ شكل ٤٧ .

يعود مزودا بالغنائم .(١) وعلى اوستراكا نرى منظر يمثل الملك سيتى يهاجم سبعا.(٢) ولدينا المنظر الشهير لرمسيس الثالث وهو يقوم بصيد الثيران الوحشية على الوجه الخلفى للصرح الثانى فى معبد مدينة هابو .

صيد الطيور :

سجل المصريون على جدران مقابرهم الطيور المختلفة بألوانها الطبيعية وطرق صيدها من المستنقعات أو من البرارى والأدوات التى استعملوها فى الصيد . ومما يدل على أن صيد الطيور كانت من الرياضة المحببة هو أن الصيادين كانوا يصطحبون منهم زوجاتهم وأولادهم . ومن بين طيور الصيد البط والإوز والسمان والبجع ، وكانت الطيور التى يقومون بصيدها تصل إلى أيديهم وهى على قيد الحياة تماما وكانوا يقومون بذبحها وتنظيفها ثم نقلها إلى بيوتهم لتزين موائد الطعام .

أدوات الصيد :

وقد استخدم المصريون عدة طرق لصيد الطيور أهمها : عصا الرماية المعروفة باسم " البوميرانج "(٣) وقد عرفت منذ عصر ما قبل التأريخ ، وهى سلاح بسيط لكنه قوى ، ولا تزال هذه العصا تستعمل فى استراليا حتى الآن . واستعمل أيضا الشبكة الكبيرة ، وكانت تصنع من جريدة النخيل أو الخشب والألياف وخيوط الكتان المحبوكة . ويبلغ طول هذه الشبكة نحو ثلاثة أمتار أو أربعة وعرضها نحو متر ونصف متر . وكذلك فخاخ الصيد كما نرى فى مقبرتى باكت وخيتى ببنى

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(٢) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٠٣ شكل ٥٠ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية – المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٣٤٢ – ٣٤٣ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية، ص ٥٢٠ – ٥٢٢ ، شكل ٢٤ – ٢٥ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٧٢ ؛ Baines - Malek , Atlas of Ancient Egypt , p . 207 .

حسن .(١) ففى مقبرة شيشى بسقارة من الدولة القديمة نرى منظرا لصيد البط البرى بالشباك .(٢) وفى مقبرة خنوم حتب ببنى حسن من عصر الدولة الوسطى ، نرى على أحد جدرانها منظرا لصيد الطيور بعصا الرماية . ونرى على أحد جدران مقبرة نخت بطيبة من عصر الدولة الحديثة منظرا يمثل صاحب المقبرة وهو يصطاد الطيور بعصا الرماية وصور وهو واقف فى قارب خفيف مصنوع من نبات البردى شد بعضه إلى بعض شدا وثيقا ويشق طريقه خلال المستنقعات وكانت تصطحبه فى الغالب زوجته وأولاده وحاشيته يقطفون زهور اللوتس ويحملون له الطيور التى اصطادها .(٣)

وعن الصيد على البر لدينا منظر فى مقبرة خنوم حتب ببنى حسن من عصر الدولة الوسطى يبين صاحب المقبرة وهو جالس ويقوم باصطياد البط بشبكة سداسية الشكل . وفى أحد مقابر طيبة من عصر الدولة الحديثة نرى صيد الإوز بشبكة ، وفى مقبرة أخرى من الفترة نفسها نرى صيد السمان بالشباك فى حقول القمح .(٤)

صيد الأسماك :

كان صيد الأسماك هو المتعة الرئيسية لأغلب المصريين القدماء على اختلاف طبقاتهم على مر العصور . وهم لم يكتفوا بما يمدهم به نهر النيل من أسماك وفيرة وخاصة فى فصل الفيضان بل أنشأوا بركالأسماكفى أراضيهم الواسعة .

---

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٧٧ شكل ١٠٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٤١ .

(٢) المرجع السابق ، شكل ٣٤٠ .

(٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٧٢ – ١٧٤ شكل ٩٨ – ٩٩ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٧٥ – ١٧٧ شكل ١٠٠ – ١٠١ ، ١٠٣ .

وكـانوا يقومـون بـــالصيد أيضـــا فـــي القنـــوات والبحـــيرات والمســـتنقعات ، وتشـــمل المستنقعات جزءا كبيرا من وادى النيـل .وعندمـا تعـود ميـاه النيـل إلـى مجراهـا بعـد الفيضـان تترك كل عـام ، علـى حدود الأراضـى الزراعيـة مساحات واسعة تحتفظ بالمياه إلى أن ينتهى موسم الفيضان .وتنبـت فـى ميـاه هـذه المستنقعات زهـور مائيـة عريضـة الأوراق ، وعلى أطراف المستنقعات تنمو الورود والبردى وبعـض النباتـات المائية الأخرى . وكلما اتجهنا شمالا اتسعت رقعة المستنقعات واشتدت كثافة نباتـات البردى.(١) كانت هذه المستنقعات بمثابة فردوس صيادى الطيور وصائدى الأسماك.

أدوات صيد الأسماك :

استخدم المصرى القديم الشص منذ أقدم العصور ففى حضارة حلوان عثر على سنانير عديدة (٢) ، وكان عبارة عن عصـا قصـيرة بهـا عـادة خيـط أو خيطـان مثبت فى كـل منهمـا شـص مصنـوع مـن الـبرونز . واسـتخدم أيضـا الحربـة وتتمـيز الحربة بطولها ورقتها ولها طرفان مدببان فى معظم الأحيان . كـان الصيـاد يفضـــل اســتعمال الشبكة.(٣) ويحدث أحيانا أن يستعمل نوعا صغيرا مـن شباك الأيـدى فـى الماء الضحل مثبتة فى قائم من الخشب على كلا الجانبين ويصبح شـكل الشـبكة مثـل السلة . أما الشباك العادية فقد ظهرت رسـومها علـى جـدران كثـير مـن المقـابر فـى عصـر الدولة القديمة . وكان لها قطع من العوامـات كـالفللين فـى أعلاهـا وأثقـالً مـن الرصـاص فى أدناها .(٤) أما فى المستنقعات الضحلة فيضعون فى الماء مصائد مـن أقفاص على هيئة الزجاجة أو مصائد من أقفاص مزدوجة .(٥) وهى المعروفة باسم البجمة .

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ١٧٠ -١٧١.

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٧٥ صورة ٣٦ .

(٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٤١ شكل ٧٦ .

(٥) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

وذكر هيرودوت أن الصيادين كانوا يصطادون كميات وفيرة من الأسماك سنويا من بحيرة موريس " قارون " وتمد أسواق الفيوم بأجود الأنواع .(١) وعقب الانتهاء من الصيد ، يضعون السمك الصغير فى سلال بينما يعلقون الأنواع الكبيرة فى قائم من الخشب أو عصا يحملها رجل أو أكثر على أكتافهم . ونرى على أحد جدران مقبرة " تى " بسقارة منظر يمثل اثنين وعشرين صيادا يسحبون شبكة كبيرة من الماء بعد أن امتلأت بالسمك وقد وقف رئيسهم يراقبهم ويحثهم على العمل .(٢) وفى أحد المقابر القريبة من أهرام الجيزة من عصر الدولة القديمة نرى صيد الأسماك بالشبكة التى يشدها الصيادون مع رئيسهم ونلاحظ فى الشبكة وجود العومات والرصاص .(٣) ومناظر صيد السمك نجدها أيضا فى مقابر مرى روكا وبتاح حتب وإدوت .(٤) وفى مقابر بنى حسن من عصر الدولة الوسطى نرى رجلين يصطاد بالشص سمك الشلبة .(٥) وفى إحدى مقابر طيبة من عصر الدولة الحديثة ، نرى أحد النبلاء يصطاد السمك من بحيرته (٦) وفى مقبرة مننا من العصر نفسه نرى أحد النبلاء فى قاربه من البردى وخلفه زوجته وأحد أبنائه وهو يصيد السمك بالحربة ، وفى مقبرة قن آمون منظر يمثل صيادين عائدان من صيد سمك البلطى يحملون الحراب وباقة من زهور اللوتس . ومن مقبرة مكت رع نموذج من الخشب لقوارب صيد السمك مصنوعة من سيقان البردي ويقوم رجال بجذب الشبكة المليئة بالسمك

---

(١) وليم نظير : المرجع السابق ، ص١٤٣ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٢ شكل ٧٧ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٣٦ .

(٣) وليم نظير : المرجع السابق ، ص١٤١ شكل ٧٦ .

(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٣٨ ، ٣٤٩ ، وأيضا :
Daumas, la Civilisation de L'Egypte Pharaonique, p. 225 fig. 75.

(٥) وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٣٨ شكل ٧١ .

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٩ شكل ٧٢ .

بين القاربين .(١)

سابعا : إعداد المواد التموينية :

وبفضل الثورة الزراعية والحيوانية والدواجن والأسماك أصبح هناك نوع من الاكتفاء الذاتى فى مصر القديمة ، ولم يحدث أن استوردت مصر أى نوع من المواد الغذائية من الخارج . ولهذا كان المصريون يقدرون دائما قيمة أراضيهم الزراعية ولايضنون عليها بجهودهم ، ومع ذلك كانوا يخشون شر المجاعة . ولذلك كانوا يتخذون الاحتياطات التموينية اللازمة ، لأنهم يعلمون جيدا أن فيضانا منخفضا جدا أو جارفا يستتبعهما محصول ضئيل وقلة فى الموارد الغذائية . ولكن الخيرات كانت عميمة بوجه عام . وكان المصريون يميلون إلى الطعام الجيد والشراب الحسن . وسمحت هذه الثروة الغذائية بأن يعدوا مختلف أنواع الأطعمة والمشروبات وذلك منذ أقدم العصور .

الخبز :

فقد صنعوا الخبز بمختلف أنواعه ، ومنه ما خبز من دقيق أبيض ، وكانت أشكاله عديدة : فهناك الرغيف المستدير ، والمثلث ، والمخروطى الشكل ، والمستطيل . ويمكن عد خمسة عشر اسما لأنواع الخبز والفطائر الواردة فى نقوش الدولة القديمة . فضلا عن ألفاظ وأسماء أخرى يمكن العثور عليها فى بعض النصوص . ومصدر الدقيق ثلاثة أنواع من الحبوب وهى الشعير (ابوت) ، الذرة (بوتى) ، والقمح (سوت) . وكان الفلاحون والأغنياء يختزنون مئونتهم من الحبوب فى منازلهم بعد موسم الحصاد . ويضعون الحبوب فى شون مبنية من الطين بالقرب من المنازل أو فوق سطوحها .(٢) وبعد أخذ كمية من الحبوب يقومون

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٠ – ١٤٢ شكل ٧٣ – ٧٤ ، ٧٨ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٣٣٧ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى عهد الرعامسة(ترجمة عزيز مرقس)، ص ١١٥ .

بتنقيتها من كافة الشوائب ويقوم بهذه العملية مجموعة من النساء فـى الريـف . ويقـوم الرجال بالعمل الأول فيضعون قليلا من الحبوب فى مدق من الحجر الصلـب ويتولـى بالتناوب شخصان أو ثلاثة أشخاص أقويـاء طحنهـا بواسطة مدقـة ثقيلـة يبلـغ طولها ذراعين . وبعد ذلك تقوم المغربلات بأخذ الطحين وغربلته بفصل النخالة عن الدقيق ويضعن النخالة جانبا لتكون علـف للحيوانـات وللطيـور ويعد البـاقى للطحن ليصبـح ناعما . ويوضع الدقيق الخشن داخل طاحونة ذات شكل مخروطى ، وتتكون من مدق من جزئين وحجر كبير . ويوضع الدقيق الخشن فـى الجـزء الأعلـى وعندمـا تضغط الطاحونة على الحبوب تطرد الدقيق إلى الجزء الأسفل ثم ينخل ويعيدون الكـرة حتـى يأخذ الدقيق النعومة المطلوبة .(١) وهناك منظر من مقبرة من عصر الدولة الوسطى نشاهد فيه رجالا ونساء يقومون بطحن الحبوب فى مهراس تمهيدا لعمـل الخـبز .(٢) وهناك مناظر أخرى تمثل الرحى البسيطة من حجرين مستديرين ويسـتخدمان لسـحق الحبوب . وكانوا لايعدون يوميا إلا كمية محدودة من الدقيق التـى تكفـى لعمـل الخـبز للاستهلاك اليومى . ونرى فـى بعض المناظر أن الخبازين كانوا يعملون جنبا إلـى جنـب مـع الطحـانين . وتقوم المـرأة فـى الريـف بعمـل العجين مـن الدقيـق ورصـه وتبطيطه بكلتا يديها وتتركه حتى يختمر . وبعدها تقوم باعداد الفرن وتشعل النار فيها وتمسك بيد مروحة تزيد النيران اشتعالا ، وتحمـى بيدهـا الأخـرى عينيهـا ، وعندمـا تصل الحرارة إلى الدرجة المطلوبـة تضـع العجين المختمـر علـى لوحـة ذات ثقـوب مستديرة فى الجزء الأعلى من الفرن ، وتنتظر حتى ينضج الخبز ثم تقوم بسحبه بعـد ذلك وتضعه فى سلة بجوارها .(٣) وفى عصر الدولة الحديثة كانت توجد أفران عثر عليها فى تل العمارنة يمكن خبز عدد وفير من الأرغفة فيها فى آن واحد . ووصلـت إلينا مناظر من عصر الدولة القديمة عـن صناعة الخـبز ، فنـرى عامـلا يعجــن

---

(١) المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٢) تـاريخ مصـر القديمـة وآثارهـا – الموسـوعة المصريـــة ، المجلـد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٩٤ .

(٣) ببير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

العجينة ، وهناك تمثال من الحجر الجيرى بالمتحف المصرى يمثل سيده تطحن الحبوب [١] وعثر فى مقبرة مكت رع من الدولة الوسطى على نموذج لمخبز ومعجن يعمل فيه رجال ونساء .[٢]

ولصناعة الفطائر كان يقدم صانع الحلوى بمزج الدقيق بالعسل واللبن والفاكهة والبيض والزبد . وكانوا يعرفون أيضا كيف يخبزون الفطائر بوضعها وسط رمال ملتهبة كما يفعل البدو الآن .

الأطعمة :

لطهى الطعام كان لابد من تحضير المادة الدهنية . ولما كان المصريون القدماء يربون الأبقار والأغنام والماعز فمن الطبيعى ان يكون لهم دراية بدهون هذه الحيوانات بما فى ذلك دهن اللبن (المسلى) والدهون التى ذكرت فى النصوص المصرية فى مختلف العصور مثل دهن لحوم العجول (فى نصوص ومناظر من عصر الدولة الحديثة) ، والزبد والقشدة (فى نصوص من الأسرة العشرين) ، والدهن الأبيض (فى نصوص من الأسرة العشرين) ودسم الاوز (فى نصوص من عصر الدولة الحديثة والأسرة العشرين) [٣] . واستخدموا الزيت فى طعامهم . وكان يستخرج من بذر الكتان وثمار الزيتون .

وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على كثير من بقايا الأطعمة الجافة،كانت تحفظ فى مخازن المقابر بعضها وجد مطهيا والبعض الآخر وضع بدون طهى.ومن فحص البقايا المتبقية نعرف أنهك كانوا يأكلون لحم العجول والبقر والماعز والغزلان[٤].ونعرف أيضا انهم كانوا يستهلكون من الدواجن على رأسها البط

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها الموسوعة المصرية ، شكل ٢٣٤ ، ٢٩٦ .
(٢) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ .
(٣) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٣ .
(٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٦٩ - ٧٠ .

والأوز والحمام والسمان . وكذلك كمية من الأسماك منها البوري والقرموط والشال والبلطي والبياض . ومن الخضر البصل والكرات والثوم والفجل والخس . ومن البقول العدس والفول والحمص واللوبياء . ومن الفواكه العنب والتين والنبق والجميز والرمان والبلح والدوم والخروب والزبيب . وعرفوا منتجات الألبان : القشدة ، الزبد ، الجبن وكانوا يستعملون مسحوق الخروب وعسل النحل فى تحلية الأطعمة والمشروبات .(١) وهكذا كان يوضع على الموائد مختلف أنواع الأطعمة من لحوم وطيور واسماك وخضر وما تم إعداده من البقول وفاكهه وشرائح خبز صفت بشكل قمعى .

المشروبات :

كانت الجعة هى المشروب الوطنى لقدماء المصريين ، وكانوا يشربونها فى كل مكان . وكانت الجعة تصنع من حبوب الشعير والحنطة والبلح وتدق فى هاون حجرى بمطارق خشبية ثم تبلل بالماء وتعجن ، لتصنع منها أرغفة غير منتظمة الشكل تخبز خبزا غير كامل ، ثم تكسر هذه الأرغفة وتوضع فى قدر كبير تعجن فيه مرة أخرى ، ويضاف إليها الماء أو تخلط بالسائل السكرى الناتج من نقيع البلح وتترك لتخمر وتصفى العجينة المختمرة بعد ذلك من خلال سلال فى أوان كبيرة ثم تعبأ فى قدور فخارية .(٢) وعثر فى مقبرة مكت رع على نموذج كرار لتخمير الجعة وتصفيتها .(٣) ومن المشروبات أيضا النبيذ . وكانت كل الكروم تقريبا موجودة فى الدلتا ولاسيما فى المنطقة الشرقية . ورأينا فى بعض مناظر مقابر الدولة الحديثة كيفية جمع عناقيد العنب ذات الحبات الزرقاء الحلوة المذاق وهرسها بالأقدام وتجميع السائل فى قدور لتصفيته مرات عديدة وكان يقرأ : " نبيذ جيد من ثامن تصفيه " أو " نبيذ من ثالث تصفيه " ثم يوضع فى قدور أو جرار من الفخار ويسجل

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، ص ٢٩٥ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

عليها من الخارج تاريخ حكم الملك الذى صنع فى عهده هذا النبيذ وكذا النوع واسم المنتج . فلم يكن النبيذ يستخرج من العنب فقط ولكنه كان يستخرج أيضا من التين . وفى قصر اخناتون فى تل العمارنة عثر على عدة قدور من النبيذ مختومة بتاريخ حكم هذا الملك .(١)

ثامنا : الصناعات والحرف والمهن المختلفة :

استغل العامل المصرى القديم المواد التى قدمتها له البيئة ، فعرف خصائصها ومميزاتها وفوائدها . واستطاع بكده واجتهاده أن يصل إلى أفضل الطرق لاستخدام هذه المواد فى صناعة أدواته المختلفة .(٢) وأن يبرع فى عدة صناعات ويكتسب مهارة فائقة ، يعجز عن صنعها أو يخرجها بهذا الاتقان العامل فى العصر الحديث بما يملك من وسائل التقدم وآلات متطورة . ولم يقدر الكتبة فى مصر القديمة هؤلاء الصناع المهرة حق قدرهم وعدوهم أقل منهم مرتبة ، كما تذكر بردية " هجاء المهن " . وإذا رجعنا إلى الرسوم والنقوش الكثيرة المدونة فوق جدران المقابر نجد أن العامل المصرى قام بمختلف أنواع الحرف فى صناعة الأحجار والمعادن والأخشاب . وذلك بفضل عمال المناجم والمحاجر الذين أمدوه بكميات وفيرة من المواد الخام التى تستخدم فى الصناعة . وكان يشرف على هذه الأعمال المختلفة بعين ساهرة ، رئيس عام . وكان الصانع المصرى يرث غالبا خبرة المهنة عن أبيه وجده . ويمكن القول بأن الصانع المصرى كان فنانا فى عمله . ومن يطلق عليه لقب فنان مثل النحات أو الرسام أو النقاش كان ماهرا فى عمله . وفى الواقع أن هؤلاء

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١١٩ ، ١٤٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، ص ٢٩٥ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١٥٦ .

(٢) Posener , Dictionnaire de la Civilisation Égyptienne , p . 59
أيضا : 60 , 83 - 85 , 195 - 196 .
ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٤ .

الصناع البارعون ، ومن بينهم الكثيرون من الفنانين ، كانوا يجازون بما تنتجه أيديهم ومواهبهم . وكانت هناك مهن وحرف عديدة مارسها الصانع المصرى وأبرز فيها مهارة فائقة وذوق فنى ملموس .

ويتضح من القاب طوائف العمال أنهم كانوا يتبعون الملك شخصيا أو القصر الملكى ، أو الجبانة الملكية ، أو إحدى إدارات الدولة المتعددة ، أو المعابد المختلفة وملحقاتها ، أو كبار رجال الدولة أو كبار الشخصيات ، ومنهم من كان يمارس مهنته لحسابه الخاص ، أى يصبح من أصحاب المهن الحرة .

المحاجر وتصنيع الأحجار :

ذكرنا فى الباب الأول أماكن تواجد المحاجر فى أنحاء الوادى والمناطق الصحراوية .(١) فالحجر الجيرى يوجد على طول الوادى بين منف وأرمنت جنوبى طيبة ، وأجمل هذه الأحجار وانصعها بياضا كانت تستخرج من محاجر طره . والحجر الجيرى الذى يوجد فى تلال طيبة هو بدوره من النوع الجيد . ويجلب حجر الصوان الأحمر من الجبل الأحمر وتوجد الأحجار الرملية فى الجنوب ومحاجر الجرانيت فى أسوان ومن أطرافها يمكن الحصول على أنواع الجرانيت الثلاثة الوردى والأشهب والأسود . وفى مصر الوسطى توجد محاجر المرمر . وإلى الجنوب من قفط محاجر وادى الحمامات . ومحاجر الشست الأسود فى بخن (فى الجنوب) .(٢) ولم يكن العمل فى هذه المحاجر ممكنا لبعده ولما يتطلبه من جهد وتضحيات كبيرة . وقبل إرسال الحملة ترسل حملة استطلاعية لاكتشاف المكان ومعرفة مدى صلاحيته . وكانت كل حملة تتكون من مئات العمال المصريين وأحيانا أسرى الحرب أو من المحكوم عليهم وجنود وخدم المعابد والمرتزقة الأجانب وبعض الموظفين ، ورؤساء عمال وخبراء على رأسهم رئيس الفنانين ومعه مجموعة من

---

(١) راجع فيما سبق ، الباب الأول ، ص ٥٧ – ٦٣.

(٢) ببير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ، ص ١٨٢ – ١٨٣ .

الحجارين والنحاتين والرسامين والحفارين وأحيانا كان يرافق البعثة قوات من الجيش ورجال الشرطة بمختلف رتبهم . أو إحدى الشخصيات الكبرى منها كبير الكهنة ، وخبراء من الجيش وهؤلاء الخبراء كانوا يعاونون في حل المشاكل التي تعترض الحجارين مثل قطع مسلة أو تشكيل تمثال ضخم .

وكانت وسائل العمل في المحاجر بدائية إلى أبعد الحدود . ولم يحاولوا استخلاص الأحجار من صميم المحجر وكسرها إلى أحجار ذات أحجام متماثلة بل كانوا يختارون الشقوق التي قد توجد في المحجر والتي يسهل كسر أحجارها التي تصلح لتشكيل مسلة أو تمثال أو تابوت أو غطاء تابوت . أما القسم الأكبر من العمال فكان يعمل في وضع الأحجار على زحافات وجرها . وكان مع الحملة أحيانا عربات تجرها ثيران كثيرة العدد .

وكانت هناك مجموعة من العمال تصل قبل الآخرين ، تقوم برفع الأحجار الموجودة فوق الطريق ، ومن يأتون بعدهم كان عليهم أن يتسلقوا المنحدرات لعمل طريق منحدر على حافة الجبل تنزلق منه الكتل الحجرية إلى حافة الطريق .(١) وكانت المشكلة الكبرى التي تواجه الرؤساء هي إطعام الآف العمال في وسط الصحراء وتوزيع القليل من المياه على كل واحد منهم ، مع القليل من الجعة والخبز. وعلى الرغم من هذه القلة فإن العمال كانوا يؤدون عملهم وهم مغتبطون لأنهم يعملون لخدمة الملك أو المعبد أو السيد (أى النبيل)، استغل المعماريون والمثالون كل هذه المواد الحجرية في مشروعاتهم وأعمالهم الكبرى والصغرى الخاصة بالملك وبالدولة وبالمعابد وكبار الشخصيات وكافة طوائف الشعب . وتشمل الصناعة الحجرية قطع هذه الأحجار وإعدادها واستخدامها في البناء وصناعة الأبواب والأعتاب والأعمدة ، وصناعة التماثيل والأواني والأدوات والآلات المتنوعة والتوابيت .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٤ - ١٨٦ .

ففي العمارة :

يقـوم الحجارون بإعداد الكتل الكبـيرة والصغيرة وصقلها لاستخدامها فـي البناء . وفي مقبرة دواو نجح في البر الغربي في طيبة ، نراهم وهم يهيئون بابـا مـن قطعة واحدة من الحجر ، وعمودا من قطعة واحدة من الحجر له تاج على هيئة جريد النخل ، وواجهة مبنى مفرغ . ويعمل الحجارون بالمطارق بينما يعمل البعض الآخـر بالأزاميل ، ويشتغل آخرون بأدوات الصقل ، فيستخدم بعـض العمـال مطرقـة خشبية ومقراضا بينما ينهمك البعض الآخر في صقل سطح الجرانيت ؛ يعملون وهم وقـوف أو جالسـون علـى مقـاعد بـدون مسـاند أو علـى قطعـة الحجـر نفسـها التـى يقومـون بتصنيعها أو من فوق سقالة خشـبية متحركـة حتـى يمكنهـم مباشـرة العمـل بسـهولة . وأثناء عمل الحجارون يقوم الرسامون وهـم قـابضون علـى قلـم مـن البـوص فـي يـد ومحبرة في اليد الأخرى بتخطيط الكتابة بالخط الهيروغليفي التـى سـوف تنقـش علـى الحجر بواسطة الحفار أو النحات . وتلون فيمـا بعـد بـالأزرق أو بـالأخضر بواسطة النقاش الذى نراه يغمس فرشاته في إناء استعدادا للتلوين . وعملية الصقل لا يمكن أن تتم إلا بعد أن ينتهي كل من الحفار والنقاش من عملهما ، ثـم تأتـى فـي النهاية عملية التلوين .(١)

نحت التماثيل :

فـي مقبرة رخمـي رع نـرى منظـر يمثـل صناعـة التمـاثيل ، فنجـد تمثـالا ضخمـا يمثل الملك جالسا على أريكة مربعة ذات مسند للظهر وتمثالا ضخما آخـر ، منتصب القامة يستند إلى عمود وبجواره تمثال لأبى الهول . ويجلس النحـاتون جلسـة مريحة سواء فوق مقدمة أبو الهول أو فوق ظهره أو فوق سقاله خشبية متحركة حتـى يمكنهم العمـل فـي وجـوه التمـاثيل الضخمـة أو فـي رؤوسـها . وبعـد ذلـك يـأتي دور الرسام الذى يخطط بقلمه على العمود الخلفي للتمثال النصوص المراد حفرها . وبعد

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ – ٢٠١ .

أن تتم عملية التلوين يصبح التمثال معدا للنقل إلى قصر الملك أو إلى المعبد أو إلى المقبرة . وكان نقل هذه التماثيل يتم فى احتفال كبير بحضور حشد عظيم من الأهالى . وفى مقابر تل العمارنة نجد مناظر تمثل النحاتين أثناء عملهم . ويقوم كل نحات باعداد التمثال أو رؤوس التماثيل . وأطلق على النحات فى هذا المنظر لقب " سعنح " أى " الخلاق " (١) أى " المبدع " .

الأوانى الحجرية :

اكتسبت هذه الصناعة تقدما كبيرا ، اذ استطاع المصرى القديم منذ العصر الحجرى الحديث أن ينحت من مختلف أنواع الأحجار الصلبة واللينة أنواعا مختلفة من الأوانى . ومن أهم الأدوات التى عثر عليها فى المراكز الحضارية لهذا العصر ، هى أوانى من البازلت التى عثر عليها فى حضارة المعادى والتى تدل على مدى تقدم صناعة صقل الأحجار الصلبة ، وقد عثر على الواح صغيرة من الحجارة الصلبة ، كانت تستخدم لصحن الكحل وتحمل بقايا آثار اللون الأحمر والأخضر ، مما يدل على استخدامها فى أغراض الزينة وفى الواقع أن حضارات عصر ما قبل الأسرات اشتهرت بصناعة الأوانى والأدوات الحجرية وقد برزت هذه الصناعة فى البرارى حيث صنعت آنية من حجر البازلت ، ثم تطورت فى حضارة العمره وجرزه حيث استخدمت أنواع شتى من الأحجار النارية والمتحولة ، مثل الجرانيت والديوريت والنيس وغيرها . وهى جميعا أحجار صلبة تحتاج إلى جهد كبير فى صنعها ، وإلى دقة ومهارة فى إعدادها .(٢) وتعد هذه الفترة من أكبر العصور لصناعة الأوانى من الأحجار الصلبة التى أعدت وصقلت بعناية شديدة ودقة متناهية

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الاول – الجزء الاول ، شكل ١٣٦ ، ٣١٩ ، وأيضا: Baines - Malek , Atlas of ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 194 .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٤ – ٦٥ شكل ١٠٠ .

وتدل على ذوق فني رفيع . ولعل أفضل ما يستشهد به في ذلك هو ما عثر عليه في الممرات السفلى تحت هرم جسر من آلاف من الأواني مختلفة الأشكال والأحجام ، أحيانا يبلغ ارتفاع بعضها المتر طولا .(١) وكانت مصنوعة من أحجار مختلفة منها المرمر المصرى ، والديوريت ، والجرانيت ، والشست ، والبرفير ، والبرشيا ، والحجر الرملي وغيره .(٢) ومثل هذه الأواني كان يستخدم في صقلها قطع من الأحجار أشد صلابة حتى يغدو سطحها ناعما مستويا . أما الأواني التي تطلبت مثقابا أبسط لعمل الفتحات الصغيرة فيها ، فقد استخدم الصانع معها أداة أخرى مشابهة ، عبارة عن ساق رفيعة من المعدن يحركها حبل ملفوف عليها يشده قوس يدفعها إلى الأمام أو إلى الخلف في حين يثبت الإناء على منضدة صغيرة يجلس أمامها .(٣) وكان يستخدم أيضا مثقاب له مقبض من الخشب مكسو في نهايته العليا بالجلد ، ويمسك الصانع المثقاب بين يديه ويلفه على قطعة الحجر التي يضغطها بين ركبتيه .

وفي شمال شرقي سقارة كشف عن كثير من المقابر الملكية من عصر الأسرة الأولى ، ومنها ما تحتوى في داخلها على عدد كبير من المخازن عثر فيها على أواني من المرمر والشست والصخر البللورى .(٤) وعثر في المقابر الملكية في أبيدوس من الفترة نفسها على العديد من الأواني . وعثر في حفائر حلوان من بداية الأسرات على أوان مصنوعة من الإردواز والمرمر والبازلت والالبستر الشفاف

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .

(٢) يتراوح عدد هذه الأواني بين ثلاثين آلف وستة وثلاثين ألف أناء ، راجع : د. انور شكرى : العمارة في مصر القديمة ، ص ٤٥٣ ؛ د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ١٩٨١ ، ص ٩٣ ؛ د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، الجزء الأول ، مصر والعراق ، ١٩٧٩ ، ص ٩٢ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٢٨٧ - ٢٩٣ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٩ شكل ٢٠ .

(٤) د. أنور شكرى : العمارة في مصر القديمة ، ص ٢٧٠ .

والديوريت والبروفير والبرشا والبللور الصخرى .(١) وعثر أيضا على أطباق من الإردواز مثلثة الشكل .(٢) وتدل الأوانى الجميلة التى خرجت من حفائر سقارة وأبيدوس وحلوان عن مدى تقدم صناعة الأوانى الحجرية ومدى التقدم الذى أحرزه الصانع المصرى فى هذه الفترة المبكرة .(٣)

صناعات أخرى من الحجارة :

فقد كان الإنسان الصائد فى حاجة إلى آلات لقتل الحيوان وبتر أجزائه وسلخ جلوده ، وآلات أخرى لتسوية قطع العظم وإعداد عصا الرمح ولأغراض أخرى كثيرة مثل استخراج الجذور من الأرض ، وإعداد حفرات كمصايد يوقع فيها الحيوان أو الفريسة . فكانت هناك الفأس اليدوية ، بنهايتها المدببة ، وحدها القاطع ، وكانت تستخدم فى شتى الأغراض التى تتطلبها حياة ذلك الصائد .(٤) واستخدم الأحجار لصنع بعض هذه الآلآت وقد بقى حجر الصوان منذ العصر الحديث من أهم الأحجار المستخدمة نظرا للصفات التى يمتاز بها ، من صلابة فى الاستعمال ، وسهولة فى نزع الشظايا ، وتشكيل الآلة وتهذيبها . واستمرت أيضا صناعة بعض الآلات من الصوان مثل المناجل والمدى والمكاشط والمثاقب ورؤوس السهام والحراب التى تتميز بإمكانية تهذيبها من وجهيها . وبلغت صناعة الآلات من الصوان إلى ذروتها ، من ناحية الإتقان فى حضارة جرزة . وهى تعد من أروع ما عرفه العالم فى عصر ما قبل التاريخ .(٥) وأحيانا كانت الآلة تصنع من النواة الصخرية ، أو من الشظايا نفسها .

---

(١) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٤٢ – ٥٢ صور ٢٩ – ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ، صورة ٢٨ .

(٣) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ٨٧ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٤ – ٤٥ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٦٣ .

وعثر فى حضارة الفيوم من العصر الحجرى الحديث على فؤوس من الصوان والظران والحجر الجيرى ، ومجموعة من الصلايات من الحجر الجيرى .وكانت هناك بعض أجزاء الأثاث المنزلى من مناضد تصنع من الحجارة من المرمر المصرى أو حجر الشست وأوعية من أشكال شتى ومن أنواع مختلفة من الحجر ، منها المرمر المصرى أيضا ، والشست والديوريت والبازلت والبورفير والصخر البللورى .(١) وكان يقدم فى هذه الأوعية المنزلية الخبز والفاكهة والأطعمة الباردة وتحفظ فيها العطور والحبوب وأنواع أخرى من الأطعمة الجافة . وهناك ملاعق العطر وأوانيه ما نحت من الحجر فى أشكال رشيقة . وعثر فى حفائر حلوان على ملاعق من الأحجار وتفننوا فى صنع أيديها .(٢) وكان هناك أدوات من المرمر غاية فى الدقة .(٣)

وفى مقبرة رخمى رع نرى صناعة موائد القرابين من الحجارة .(٤) كما صنعت التوابيت من الحجارة المتنوعة ومن أشدها صلابة ، واللوحات والأبواب الوهمية . وكانت الطريقة التى اتبعها الصانع المصرى فى استخراج معدن النحاس هى أن يستخدم أدوات من الصوان ، إذا ما كانت طبقات الخليط الذى يستخرج منه المعدن طبقات سطحية ، أما إذا امتدت طبقاته تحت سطح الأرض فقد كان يستخدم أزاميل من النحاس يحفر بها الصخر حتى يبلغ مجارى هذه الطبقات .(٥) وقد عثر بالفعل على عدد كبير من هذه الأزاميل النحاسية فى مناطق التعدين بشبه جزيرة سيناء . وبعد ذلك يقدم بصحن الخليط وتنظيفه . أما الخطوة الثالثة فهى وضع كميات من الفحم مع الخليط ، وتكوينها جميعا فى كومة على سطح الأرض أو فى

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٩ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٥٣ ، صور ٥٢ – ٥٦ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٠٢ – ٢٠٣ .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٤٩ .

حفرة غير عميقة ، ثم إشعال النار فى هذه الكومة مع تمرير تيار من الهواء ، عن طريق أنابيب ينفخ فيها . وبهذه الطريقة يصل إلى إذابة الخليط بدرجة الحرارة المطلوبة . وربما استغرقت هذه العملية وقتا طويلا وبعد هذه الخطوة تترك الأكوام حتى تبرد ، ويبدأ العمال فى فصل الفحم المحترق عن النحاس الذى يرسب فى القاع . وبعد ذلك يقوم بقطع كمية النحاس إلى أجزاء صغيرة سهلة الحمل والتداول ، ليبدأ استخدامها فى أغراضه المختلفة .(١) وكان الصانع المصرى يستخدم مطارق من الخشب أو غيره ليحول هذه القطع من المعدن إلى صفائح مطروقة ، يستطيع أن يشكل منها مايشاء ويقول ديودور عن طريقة استخراج المعدن :

" ولتكسير الصخور كانت تحمى بالنار ثم يطرقونها بالمطارق المعدنية فى اتجاه عروق المعدن . وتنقل القطع المكسورة إلى خارج المنجم حيث تصحن وتغسل إلى أن تصبح ذرات المعدن نقية ولامعة ، ثم يعالج الخام كيماويا حتى يصبح الذهب نقيا جدا " (٢)

المناجم وتصنيع المعادن :

كان عمال المناجم يعملون فى الظروف الصعبة نفسها التى كان يعمل فيها عمال المحاجر . ومن حيث وجودها فى المناطق الصحراوية بين النيل والبحر الأحمر وبلاد النوبة شرقى الجندل الثانى وشبه جزيرة سيناء فكان لابد من حفر الآبار لتوفير المياه اللازمة للعمال ، وكان العمل فى المناجم نفسها شاقا ، هذا بالإضافة أن عمال المناجم أو حراسها كانوا عرضة لهجوم بدوا الصحراء عليهم طمعا فيما استخرجوه من معادن ثمينة . وكانت حملة المناجم تتكون من اعداد كبيرة من العمال والخبراء والفنيين والحراس وحملة السهام والجنود . وكانت المناجم تعد من ضمن أملاك المعبد ، وكان الذهب المستخرج من الجبل ينقل إلى المعبد ، بعد أن يذهب

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٥ – ٤٥٦ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٩٤ .

جزء منه للمخصصات الملكية .(١)

النحاس : هو أول معدن دقق الصانع المصرى فى العثور عليه ، وقد استخرجه من شبه جزيرة سيناء كما استخرجه من الصحراء الشرقية . وكان النحاس يستخرج من ركام النحاس المسمى ملاخيت والسشمت .(٢) ولنا أن نذكر هنا أن هذه المعادن كانت تستخرج من الصحراء والمناطق الوعرة فى ظروف قاسية تحت وهج الشمس ، أو فى لفح البرد بعيدا ن العمران دون ماء عذب إلا مايوجد فى الآبار والينابيع .(٣) وقد استخدم النحاس اول ما استخدم منذ العصر الحجرى الحديث فى حضارة البدارى واقتصر استعماله على القطع الصغيرة . أما فى حضارة العمرة فقد عثر على مخارز ودبابيس وادوات صغيرة مصنوعة من النحاس وأحرى من الذهب والفضة . وعثر فى حضارة جرزه على أول عينة للنحاس المصهور وأول عينة لأستخدام القصدير والحديد . وعثر كذلك على ادوات عديدة مصنوعة من الذهب والفضة ومقابض سكاكين من الظران المغطاه بصفائح الذهب أو بخيوط رفيعة من الذهب ، منقوش عليها مناظر اسطورية وتاريخية مختلفة وعثر فى حضارة المعادى على دبابيس من النحاس . كل ذلك يدل على أن استخدام المعادن كان معروفا منذ اقدم العصور كما عرف أهل حلوان النحاس فصنعوا منه أوانى دقيقة وازاميل وابرا ومخارز وسنانير للصيد .(٤) كما عثر فى حلوان على سيوف كبيرة من النحاس لها مقابض من الخشب أو العاج .(٥) وبمرور الوقت اهتدى المصرى إلى عملية أخرى ، وهى صهر النحاس ثم صبه فى قوالب مهيأه الشكل المطلوب ، وكانت هذه القوالب تصنع من الطين الذى يشكل فى البداية على الصورة المطلوبة ، ويحرق بعد ذلك ليحول الشكل إلى شكل متجمد كالفخار يصب فيه النحاس

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٥ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٢ .

(٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٤٧ ، صور ٣٦ - ٣٩ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٧٦ .

المصهور. أو أن هذه القوالب كانت تصنع من الأحجار أيضا .

وبمرور الزمن أيضا استطاع الصانع المصرى أن يجيد هذه الطريقة ، حتى توصل فى نهاية الأمر إلى صنع مصاريع الأبواب الضخمة من النحاس المصهور الذى يصب فى قالب كبير من الصلصال ، زوده من أعلى بفتحات متعددة ثبتت عليها اقماع يصب فيها المعدن المنصهر . وهذا مانراه فى نقوش مقبرة الوزير رخمى رع .(١) إذا نرى العمال يقفون على منافيخ من الجلد ثبت فى مقدمتها أنابيب تتجه فتحاتها إلى النار ، ويقف العامل وأحدى قدميه على منفاخ ، بينما القدم الأخرى على منفاخ أخر وقد امسك بكل من يديه حبلا متصلا بالمنفاخ ، ليسمح بدخول الهواء وخروجه .

وصنع من النحاس السكاكين والاسلحة ، التى كانت مقابضها من الخشب والعاج أو غيرهما من المواد . والأوانى ما كان منها أيضا من النحاس ، ومنها صحاف وطاسات وأباريق .

البرونز : إذا ما خلط النحاس بالقصدير نتج عنه البرونز ، الذى استخدمه المصرى منذ عصر الدولة الوسطى ، ثم زاد استخدامه على نطاق اوسع من عصر الدولة الحديثة . وصنعت منه التماثيل الصغيرة والأسلحة .(٢) كان الصانع المصرى يقوم باعداد شكل من شمع العسل كما يود صبه . ثم يغطى التمثال من الشمع بطبقة من الطين أو خليط من الطين ومادة أخرى . ويوضع تمثال الشمع مع القالب من الطين المحيط به وسط كمية من الرمل تحيط به من جميع الجهات ماعدا أعلاه ، فاذا ما ذاب الشمع بتأثير الحرارة وتسرب من داخل القالب الطين ، يصب البرونز من أعلا ويأخذ الشكل المطلوب ، وبعد ذلك يكسر القالب الطين ويستخرج التمثال .(٣)

---

(١) بييرمونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ – ٢٠٥ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٦ شكل (١)

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الاول – الجزء الاول ، شكل ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٥٧ .

الحديد : على الرغم من العثور على خاماته ، إلا أنهم لم يتوصلوا إلى طريقه استخلاصه إلا فى الدولة الحديثة ، حين بدأ استعماله واستيراده من آسيا الصغرى والمنطقة المجاورة لها . غير أن استعماله ظل محدودا ولم ينتشر إلا فى العصر المتأخر ، حيث عثر بجوار نقراطيس فى غرب الدلتا على مخلفات حرق ركام الحديد . وقد استخدم فى عصر الأسرة السادسة والعشرين فى كثير من الأغراض التى كان النحاس والبرونز يستعملان بها . وقد استعمل الحديد فى عمل الأسلحة والأدوات المختلفة التى تتطلب الصلابة وقد عثر فى مقبرة توت عنخ آمون على خنجر من الحديد وستة عشر سكينا صغيرة .

الذهب: أظهر الصانع المصرى براعة منقطعة النظير فى استعمال الذهب وذلك لسهولة استخلاصة من الشوائب . ولهذا كان الذهب من المعادن الأولى التى عرفها المصرى فى فجر حضارته ، وقد عثر بالفعل فى مقابر عصر ما قبل الأسرات على بعض الحلى الذهبية . ويوجد الذهب فيما بين وادى النيل وبين البحر الأحمر ، وخاصة فى المنطقة التى يحدها شمالا طريق فنار القصير وتحدها جنوبا حدود السودان ، واخصبها مناطق كوش القديمة .(١) وعادة ما يوجد الذهب ، إما فى عروق من حجر الكوارتز أو مختلطا بالرمال والحصى التى نحتتها المياه من الصخور ، وتجمعت بفعل التيار فى مناطق بعينها ، وفى هذه الحالة كان المصرى يحصل على الذهب بغسل هذه الرمال والحصى وغيرها ، ثم يجمع الذهب ويصهره . أما عن استخراج الذهب من صخور الكوارتز ، فكان المصرى يعمد فيه إلى قطع عروق الذهب مع قطعة الصخر المحيطة بها من الجبل ، وذلك بوسائل متعددة منها النار مثلا ، وبعد أن يخرج قطع الصخر الضخمة من المناجم يعمل على تكسيرها إلى قطع صغيرة ، ثم يصحن هذه القطع ليحولها إلى مسحوق ناعم يوضع على سطح مائل ، ويمرر فوقه تيار من الماء بحيث يمكن فصل ذرات الذهب منه . الذى يجمع ويصهر . وكان هناك أنواع مختلفة من الذهب مثل : " ذهب صحراء قفط " ، " ذهب النوبة " ، " الذهب الابيض " ، " الذهب الجيد " ،

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٥٧ – ٤٥٩ .

" الذهـب الجيـد مرتيـن " ، و" الذهـب الجيد ثـلاث مـرات "(١). أمـــا عـن صياغـة الذهب ، فقد امتاز فيها المصرى بمهارة كبيرة . وكان الذهب يصاغ إمـا بـالطرق أو بطريقة القوالب . وكـان الصنـاع يحولونـه إلـى صفـائح رقيقـة وذلـك لتكسـية الأثـاث والتوابيت والموائد والعصى وغيرها . وكانت هذه الصفائح تثبت مباشرة على الأثـاث بواسطة مســامير من الذهب ، أو أن سطح الأثاث نفســه يغطـى بمـادة لاصقة يثبت عليها الذهب الرقيق ، من بين هذه المواد اللاصقة " بياض البيض " أو تصنع الأقنعـة من رقائق الذهـب الخالص ، مثل القناع الخاص بتوت عنـخ آمـون . وكـان بـالقصر الملكى من يعملون بالصياغة مثـل : " المشرف علـى صهر الذهـب " أو " المشـرف علـى الصيـاغ " . ويحدثنـا أحد " المشـرفين علـى صيـاغ الملـك " فـى عصـر الدولـة الحديثة أنه كان يعرف " الأسرار فى بيوت الذهب " أى الأسرار التى تخص صناعة تماثيل المعبودات من الذهب .(٢)

وإلى جوار الصياغ التابعين للدولة ، كان هنـاك فـى عصـر الدولـة الحديثـة فريق من الصياغ يعملـون فـى أمـلاك معبد المعبـود آمـون ، ويقومـون بصياغـة مـا تتطلبه لوازم الطقوس من أدوات مصنوعـة مـن الذهـب مـن مبـاخر وأوانـى وأوعيـة وأدوات وكان هؤلاء يتبعون فى بعض الأحيان المشرف على خزينة المعبد أو الكاهن الأكبـر للمعبود آمـون . وسجل المصرى لنـا فى بعض مقابر صياغة الذهب ، ففى مقبرة تى ومرى روكا نرى عمليات وزن الذهب وحصره وتسجيله ، ثم تسليمه إلـى العمال ورؤسائهم ، حيث يصوغونـه فـى قلائـد وحلـى متنوعـة . ويلاحـظ أن بعـض هؤلاء الصياغ كانوا أقزاما . وصور لنا مقبرة رخمى رع من الدولة الحديثة تفـاصيل هذه الصناعة تفصيلا واضحا . وفى مقبرة مرى روكـا بسـقارة منظـر يمثـل صناعـة الحلى .(٣) وكثيرا ما كان الصائغ المصرى يعمل على تلقين خبرته لأبنه الصغير أو

---

(١) المرجع السابق ، ٤٦١ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦٠ – ٤٦٢ .

(٣) تـاريخ مصـر القديمـة وآثارهـا – الموسوعة المصريــة ، المجلـد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٤٥ .

أخواته . وكان هذا شأنهم فى بقية الصناعات والحرف الأخرى .

وكان الذهب يصاغ للأغراض التجارية على شكل حلقات يبلغ قطرها حوالى ١٢سم ، ولكنها كانت تختلف فى الوزن تبعا لأختلاف سمكها . ويتطلب الاشتغال بالمعادن عددا كبيرا من العمال . وإذا رجعنا إلى بردية هاريس التى أشارت إلى هبات الملك رمسيس الثالث السخية للمعبودات نجد أنها تشير إلى مصنوعات من الذهب والفضة والنحاس واللازورد والفيروز الحقيقى . وكانت أبواب الممرات بمعابد طيبة مغطاه إما بالذهب أو النحاس الذى له بريق الذهب . وكانت التماثيل مكسوة بالذهب ، والكثير من موائد القرابين وأوانى الماء المقدس كانت من الفضة . وكان بمعبد آتوم فى مدينة ايونو ميزان من الذهب ، كان فريدا فى نوعه لا مثيل له .(١) كان يستخدم فى وزن الذهب قبل تسليمه إلى العمال المهره لصياغتة . ووجوده بالمعبد يدل على دقته .

الفضة : لم توجد فى الأراضى المصرية ، على الرغم من ذلك فقد برع الصياغ فى صناعتها ، وبرعوا كذلك فى صناعة خليط من الذهب والفضة ، تسمى عادة الذهب الأبيض : Electrum . واستخدمه فى صناعة الحلى والتطعيم .(٢) وكانت هناك أوانى فاخرة تصنع من الذهب والفضة ، مثل أوانى العطر والزيوت .وكانت هناك المرايا من معدن مذهب أو مفضض ، ومقابضها فى شكل غصن بردى أو فى صورة حتحور , وكانت المرايا تحفظ فى أغلفة فاخرة .(٣) وتفنن الصانع المصرى فى صناعة الأوانى من المعدن ، فلدينا آنية من أجل حفظ لبن الأم شكلت على هيئة إمرأة جالسة تمسك بيدها اليمين ثديها الأيمن وتمسك بطفلها باليد اليسرى ، وشكلت فتحة الإناء فوق رأس التمثال . وتوجد هذه الآنية فى متحف موسكو ويرجع تاريخها إلى الدولة الحديثة .(٤) وهناك آنية أخرى من الفضة مقبضها على هيئة غزال من الذهب وكأنه يتسلق الاناء ليتزود بالماء ، وتوجد هذه الآنية بالمتحف المصرى ، وهى من الدولة الحديثة أيضا .(٥)

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤٦١ .
(٣) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٩ .
(٤) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p . 18 .
(٥) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ،شكل ٣٣٤ .

الأشغال الخشبية ومجالاتها :

لم تكن أخشاب الأشجار المتوافرة فى البيئة المصرية من الجودة أو المتانة بحيث تساعد الصانع أن يخرج منها ما يريد من قطع لتشكيلها أو صناعتها . ومن هذه الأشجار : الجميز والأثل والسنط والصفصاف واللبخ وربما الدوم الذى كان يفرز عصارة تمنع تآكل الخشب . ولذا استورد المصرى القديم أخشاب الأرز والصنوبر والسرو والبلوط والسنديان والعرعر من غابات جبال جبيل التى كان يقوم بدهنها بمادة تحافظ عليها من التآكل أو التسوس .(١) وظهرت مهارته وإبداعه فيما أخرجه من أشغال خشبية فى صناعة الأثاث من أسرة ومقاعد وصناديق ولوازم المطبخ وغيرها . وفى العمارة الدنيوية والدينية والجنائزية فى صناعة الأبواب والنوافذ والأسقف والشرفات والأرضيات والسلالم وأقفال ومزالج القصور والمنازل وملحقاتها والقوارب المقدسة والمحفات وأبواب النواويس والجواسق والهياكل والمقاصير والتوابيت بأنواعها والتماثيل بأنواعها والأبواب الوهمية واللوحات والصوارى والمراكب والعربات والزحافات وأدوات الرفع والشدادات والأعمدة الخشبية بأنواعها وغيرها .

أدوات النجارة :

المنشار المزود بمقبض من الخشب والمثبت من ناحية وكان النصل من النحاس ، ثم بعد ذلك من البرونز وكان طوله حوالى متر تقريبا ، وعرضه من ٢٠ إلى ٢٥ سم ، أما الأداة الثانية المستخدمة فهو القدوم ، الذى يتكون من فأس يتقابل ضلعاه معا فى زاوية حادة ، ويستعمل الضلع الطويل كمقبض وكان النصل من النحاس أيضا . وكان هناك فئوس مختلفة الأشكال تثبت فيها النصال بسيور من الجلد . وهذا إلى جانب البلط والأزاميل التى استخدم منها المصرى أنواعا مختلفة الأحجام والصنع . إلى جانب هذا كان لديه المثاقيب ، ذات المقبض الخشبى التى تشبه إلى حد كبير المثاقيب العادية . واستعمل المصرى أداة لصقل الخشب وإكسابه

---

(١) كما نلاحظ ذلك فى عدد كبير من عروق كبيرة من خشب الأرز ملتصقة بجدران الحجرة العليا لهرم سنفرو الجنوبى بدهشور ، التى ربما كانت جزءا من مظلة لحماية التابوت ، ولا يزال الكثير منها باقيا فى حالة جيدة وصلبة على الرغم من مرور أكثر من أربعة آلاف وخمسمائة عام على وضعها فى هذا المكان ، راجع : د. أحمد فخرى : الأهرامات المصرية ، ص ١١٢ ، ١٣٤ – ١٣٦ شكل ٥٤ .

سطحا أملس ، وكان يستعمل فى ذلك قطعة من الحجر الأملس تساعده فى غرضه .(١)

كان المصرى القديم يسقف مبانيه بفلوق النخيل وذلك بأن يشطر جذوع النخيل بالطول إلى قسمين ، ويرصها بحيث تكون السفوح المستديرة لأسفل . وقد استخدم المصرى أعمدة من الخشب لحمل السقوف ، وفى احيان كثيرة كانت هذه الأعمدة تظهر كأنها حزمة من سيقان البردى ، وبشكل يدل على براعة النجارين فى صنعها . إلى جانب هذا كانت الأبواب غالبا ماتصنع من الخشب ، أما بضلفة واحدة ، أو من ضلفتين ، ويستخدم فيهما مزلاج من الخشب أو البرونز لقفله . ولأكساب هذه الأبواب قوة وصلابة كانت تسند الألواح الأمامية بعوارض خشبية من الخلف وتستعمل فى ذلك مسامير من الخشب ، ونادرا من المعدن . أما النوافذ فكانت تصنع من الخشب أيضا ، وتتكون من ألواح قطعت فيها فتحات طويلة متجاورة لادخال الهواء .

وأمد النجار المصرى المنازل المصرية القديمة بكثير من عناصر خشبية أخرى ، مثل الأكشاك التىتشيد على الأسطح أو فى حديقة المنزل .(٢)

الأثاث: كان تأثيث المنازل يحتاج إلى كثير من جهد النجارين الذين أمدوا المنازل المصرية بقطع فنية رائعة . ولعل أهم هذه القطع هى الأسرة التى كانت تصنع قوائمها واطاراتها من الخشب ، أما الجزء الأوسط منها فيضفر من الحبال . وغالبا ما كانت قوائم الأسرة تصنع على شكل أرجل الحيوانات . وقد أبدع النجارون فى صنع أثاث الملوك والنبلاء من الأسرة . وعلى هذه الأسرة كانت توضع الحشايا ومساند الرأس . وصلت إلينا مجموعة من آثار توت عنخ آمون . وقد تعددت أشكال هذه المساند من النوع البسيط من الخشب المكون من قطعتين متقاطعتين ، إلى النوع

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٦٢ - ٤٦٤ شكل ٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧١ - ٤٧٢ شكل ١١- ١٢ .

المزخرف المكون من قاعدة وجزء مستدير أعلى .(١) وكانت الأسرة واطئة ولايزيد ارتفاعها عن الأرض على ثلاثين سنتميتر ، ومنها ما كانت أطراف جوانبه مصفحة برقائق النحاس .(٢) وفى مقبرة تى منظر يمثل صناعة الأسرة (٣). وأبدع النجار المصرى فى صناعة الكراسي على أشكال متنوعة وأحجام مختلفة ، منها الضخم مثل كراسى العرش المصفحة بالأحجار الكريمة المختلفة ، والكراسى بدون مساند أو جزء خلفى (ظهر) ، وهناك المقاعد ذات الذراعين التى كانت تنجد وتكسى أسطحها بالقماش أو الجلد . وهناك أيضا المقاعد الأخرى التى يستعملها عامة الناس فى منازلهم ، وهى البسيطة ذات الظهر البسيط .إلى جانب تلك التى جعل لها ثلاث أرجل فقط ، ويستعملها الصناع والخدم . وكان هناك مواطئ الأقدام للمقاعد أو الكراسى المرتفعة ، وكان بعضها بسيط وبعضها الآخر مصفح برقائق الذهب .

وعثر فى بعض المقابر فى أبيدوس على أسرة وكراسى وصناديق وعصى ، وكانت أرجل الأسرة تقلد أرجل الثيران وكانت من العاج أو الأبنوس مما يدل على تقدم صناعة الأثاث فى بداية عصر الأسرات . وعثر فى حفائر حلوان على كراسى متعددة الأشكال من الخشب وأرجلها على هيئة رجلى الثور الخلفية والأمامية ، كما عثر على أسرة لها أرجل من سن الفيل على هيئة حوافر الحيوانات .(٤) وفى بعض المقابر الملكية فى سقارة من عصر الأسرة الأولى ، عثر على ألواح خشبية كانت تغطى الأرضية أو تغطى الجدران الجانبية .(٥)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٢) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٣ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢١٠ .

(٤) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٤٢ ، ٧٢ شكل ٩ – ١٣ ، صورة ٤٥ .

(٥) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٦٩ .

ويدل ماعثر عليه فى مقابر حسى رع من الأسرة الثالثة على أن قطع الأثاث من كراسى وأسرة مريحة كانت محل عناية صناعها ، فمنها ماتحلى طرفى جانبيه زهرة بردى ، وقوائمه من خشب وأحيانا من عاج فى هيئة أسير راكع . ووصل إلينا كرسى مصفح بالذهب وقوائمه على شكل أرجل الأسد للملكة حتب حرس .(١) وقد احتفظ كثير من أثاث توت عنخ آمون بالأشكال والزخارف التقليدية من قطع أثاث وكراسى وأسرة ومساند رأس ومواطئ أقدام وصناديق وخزانات من أشكال ومواد مختلفة ، تحليها زخارف ورصائع جميلة .(٢) وعلى رأسها كرسى العرش المطعم . وفى مجموعة توت عنخ آمون مجموعة من المقاعد الخفيفة التى كانت تطوى ويستعملها الناس على شاطئ البحر .

هذا بالإضافة إلى الارائك الت كانت تزود بها المنازل ، أو توضع فى الأكشاك والحدائق . واستعاض المصرى عن الدواليب بصناديق مختلفة الحجم ، تفتح من أعلى بغطاء له مقبض وفيها تحفظ الملابس وبقية اللوازم مثل أغطية الأسرة من الكتان والأشياء الثمينة . ومنها ما كان مطعما بالأحجار الكريمة والصدف من الخارج . ومثل عليها الفنان مناظر متعددة . وفى الدواوين الحكومية كانت تستعمل صناديق مشابهة لحفظ الوثائق ولفائف البردى .(٣) وعثر فى حفائر حلوان منذ الأسرة الأولى على بعض هذه الصناديق الصغيرة .(٤) أما المناضد فقد أعد النجارون عددا منها مختلف الأحجام والأغراض ، واستعملت بعض هذه المناضد لحمل أوانى الطعام والشراب ، وخاصة أوانى الجعة الكبيرة مثل هذه المناضد كان

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٥ ؛ تاريخ مصر وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٢١٦ -٢٢٣ ، ٢٢٧ - ٢٢٨ ؛ ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ .

(٤) زكى سعد : المرجع السابق ، ص ٥٣ - ٥٤ .

لها أرجل ثلاثة أو أربعة .(١) إلى جانب هذا هناك مناضد صغيرة الحجم ، كان يستخدمها الصناع فى عملهم مثل الصياغ وصانعى الجلود والأوانى . وكان هناك من يقوم بتلميع الأثاث . أما الأثاث الجنائزى فكان يشبه إلى حد كبير ما يستعمله المصرى فى حياته العادية ، بإستثناء التوابيت . وكانت هذه التوابيت تصنع أولا من الخشب على هيئة الشكل المستطيل البسيط ، وانتهى هذا التطور فى التوابيت إلى الشكل الآدمى " انثرو بويد " وفيه يكون التابوت على شكل مومياء بشرية .

وكانت الألواح المكونة لهذه التوابيت تثبت معا ، إما بمسامير من الخشب أو بطريقة التعشيق . وترسم أو ينقش عليها من الخارج مناظر ونصوص دينية . وإلى جانب التوابيت كان المصرى يضع فى المقابر عددا من الصناديق ، بالإضافة إلى الصناديق الخشبية المعدة لحفظ التماثيل ، والمقاصير الخشبية الكبيرة المكسوة بصفائح الذهب والتى كانت تغطى تابوت الملك توت عنخ آمون .(٢)

وكانت الأبواب الخشبية التى يصنعها المصرى فى المقبرة تحظى بنصيب كبير من العناية ، مثل ماعثر عليه فى مقبرة حسى رع . وكذلك صنع الفنان المصرى نماذج لأشياء أخرى من الخشب كانت توضع فى المقبرة ، كنماذج القرابين أو نماذج القوارب والمراكب الجنائزية لنقل المومياء .(٣) وصنع الفنان التماثيل الخشبية ، ونلمس مدى الحرية التى استغلها الفنان فى نحت تماثيله الخشبية ، والتىسمحت له بابراز تفاصيل معينة لم تكن يتيسر له فى تماثيله الحجرية ، كما يتضح من تماثيل " شيخ البلد " وغيره .(٤)

أما الأثاث الدينى فالمقصود بـه أثاث المعابد من الخشب ، فهناك الصناديق والنواويس والتماثيل والقوارب المقدسة وغيرها ، مما ابدع الصانع المصرى فى تنفيذه كل الابداع . ومنها كرسى الاحتفالات الدينية وهو من أبنوس وعاج وبعضه

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٥ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٢١٢ .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٥ .

مصفح بذهب ورصع بأحجار كريمة وقاشانى وزجاج ملون .(١) وقد أمر ابوى بعمل هيكلين من الخشب لمعبد الملك أمنحتب الأول ويبلغ طول هاتين القطعتين ١٢ قدما طولا ، ويقوم سقف أحدهما على أعمدة على هيئة سيقان البردى . أما السقف فهو على الشكل المقبب . ويتكون الهيكل الآخر من ثلاث طبقات يحمل كل منها على صف من أعمدة صغيرة .(٢)

ومنذ عصر الدولة الحديثة راجت تجارة جديدة هى صناعة العربات وأصبحت واسعة الانتشار . وكانت هذه العربات تصنع عادة من الخشب .(٣) وثمة نوع آخر من التخصص فى صناعة النجارة هى صناعة الأقواس والسهام والنبال والعصى والصولجانات من كافة الأنواع ، ليستعملها الملك وكبار رجال الدولة والعسكريين . وكانت الآلآت الموسيقية تصنع من الخشب ، وكانت تزخرف فى معظم الأحوال علىغرار قطع الأثاث ذاتها إما بالتطعيم أو تغطيتها برقائق من الذهب .(٤) كما صنعت لعب الأطفال وقطع العاب التسلية من الخشب . وهناك بعض أدوات البناء فى المتحف المصرى ، وهى مصنوعة من الخشب ، منها ميزان ، وجزء من مقياس معمارى وهو مقسم إلى كفوف وهى بدورها مقسمة إلى وحدات أصغر .(٥)

وعثر فى مقبرة مكت رع على نموذج لمصنع للنجارة يعمل فيه صناعة

---

(١) د. أنور شكرى : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

(٣) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول شكل ٢٠٦ ، Daumas , la Vie dans L'Egypte Ancienne, p. 79 88 ; Posener , Dictionnaire de la Civilisation Egyptienne , p. 149 , 213 , 297 - 298 .

(٤) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ – ٢١٠ .

(٥) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٨٥ – ٢٨٦ .

ويستخدمون المناشير والازاميل والدقاميق .(١) كما عثر في بيوت اللاهون على أدوات للنجارة . وكان المصريون القدماء يصنعون الغراء من حوافر الحيوانات واستعملوه في أغراض شتى مثل لصق الخشب وربطه معا وتثبيت قشرة خشب الأبنوس والعاج . وقد عثر على عينة من الغراء في المعبد الجنائزي للملكة حتشبسوت بالدير البحري من عصر الدولة الحديثة . وظهر استعمال الغراء في أحد مناظر جدران مقبرة رخمي رع بطيبة كما استعمل في تثبيت كثير من أثاث توت عنخ آمون المحفوظ بالمتحف المصري .(٢)

بناء المراكب والقوارب :

بدأت صناعة المراكب الصغيرة منذ أقدم العصور في مصر ، كما يتضح ذلك من رسوم فخار نقادة الأولى والثانية من العصر الحجري الحديث ، وكما يظهر ذلك أيضا من المنظر الذي رسم على جدران مقبرة في مدينة الكاب (إلى الشمال من ادفو) والتي ترجع إلى عصر ماقبل الأسرات ، ويغلب على الظن أنها كانت مشيدة من الخشب . وعثر بجوار مقابر أبيدوس وحلوان من عصر بداية الأسرات على حفر لمراكب ضخمة من الخشب كانت تستخدم لرحلات الملك أو لزيارة المدن المقدسة في عصر بداية الأسرات .

ثم أخذت صناعة المراكب تتطور على مر العصور حتى نرى منها عددا كبيرا وكانت المراكب تستخدم للتنقل والسفر ونقل البضائع أو الماشية أو تماثيل المعبودات أو المسلات عبر النيل أو الترع .(٣) ونعلم من نقوش حجر بالرمو أن الملك سنفرو ارسل اسطول بحري لاستيراد خشب الارز من الساحل الفينيقي ، كما

---

(١) د. عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، شكل ٩ .

(٢) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٩٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص٤٦٤ ؛ Baines , Malek , Atlas of ancient Egypt , Oxford 1980 , p . 68 -69 .

عثر على مركب إلى الجنوب من الهرم الأكبر عام ١٩٥٤ ويبلغ طولها ٤٣,٥٥ مترا ، وارتفاعها عند المقدمة خمسة أمتار وعند المؤخرة سبعة أمتار . وتتكون أجزاؤها من ٦٥١ قطعة من الخشب غالبيتها العظمى من خشب الأرز تضاف إليها قطع صغيرة من الحبال والمسامير والحصير . وهناك مقصورة كبيرة تحتل وسط المركب ويحمل سقفها ثلاثة أعمدة من الخشب تيجانها من النوع المعروف باسم الطراز النخيلى .(١) وعلى جدران معبد الجنائزى للملك ساحو رع من الأسرة الخامسة ، نجد تمثيل مراكب بحرية من الأسطول المصرى عائدة من آسيا . أما الشراع فإن استخدامه فى السفن فى عصر الدولة القديمة لم يتقدم كثيرا ، إذ أنه كان يستخدم فى المراكب عدد كبير من المجاديف مع شراع واحد فحسب يصنع من الكتان . يثبت فى قطعة مستعرضة من الخشب ، تربط من منتصفها بالسارية ولحفظ توازن السارية كانت تربط أعلاها فى حبل متين بمقدم المركب ، وحبل آخر بمؤخر المركب وعدد من الحبال التى تصل بين الجزء الأعلى من السارية والشراع عند الرسو . أما المجاديف فكانت من الخشب . وتربط فى جانب المركب بحبل . وعادة ماتحمل المركب من طائفة البحارة . بحيث يبلغون أحيانا أكثر من عشرين واستعان المصرى من الدفة كبيرة يستعملها بحار أو أكثر عند المؤخرة .(٢)

وبمرور الزمن تطورت صناعةالمراكب فى مصر القديمة . وكان أهم هذه التغيرات هو استخدام الدفة التى تدار بواسطة مقبض من الخشب وذلك بدلا عن المجاديف التى يحركها البحارة فى المؤخرة .(٣) وكان هناك عدة أنواع من المراكب : للنقل والتجارة والأسطول الحربى . أما مراكب النقل التىتستخدم لنقل كتل

---

(١) د.احمد فخرى : الاهرامات المصرية ، ص ١٦٠ – ١٦٢ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٦٥ – ٤٦٨ شكل ٥، ٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٤٦٨ – ٤٧٠ شكل ١٠ ؛ موسوعة المجالس المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤ المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الآثرية والسياحة ، ص ٣٩٢ – ٣٩٥ .

الأحجار الصلدة كالجرانيت والديوريت والبازلت وغيره كان يتطلب باستمرار مراكب ضخمة لنقلها من المحاجر إلى موطن بناء الأهرام والمقابر والمعابد ، وإذا علمنـــا أن بعض الكتل كان يتراوح ثقله بين مائة طن وألف طن ، لأيقنا صلابة هذه المراكـــب . واختلفت أطوال المراكب ، من ٥٧ مترا فى عصر الدولة القديمة إلى ٦٩ مترا فــــى عصر تحوتمس الأول فى الأسرة الثامنة عشرة . وهناك المنظر الذى يبين نوعية هذه المراكب فى معبد الدير البحرى وهو يمثل مركبا كبيرة تحمل مســـلتين مـــن حجـــر الجرانيت . وكانت هذه المراكب مجهزة بثلاثة صفوف من الفوارق الخشـــبية وفـــى المؤخرة على كل جانب مجدافان كبيران ، يؤديان وظيفة الدفـــة ، ولـــم تكـــن هـــذه المراكب مزودة بمجاديف لتسييرها ، بل كانت تسحب بواسطة تسعين قاربـــا كبـــيرا زود كل قارب بمجاديف عديدة .

إلى جانب مراكب النقل هذه كانت توجد المراكب الجنائزية لنقـــل تـــابوت ومتاع المتوفى الجنائزى من الضفة الشرقية للنيل إلى الضفة الغربية .[١] والمراكـــب الخاصة بنزهة الملك ورحلاته الخاصة مثل المركب الذى كان فـــى ملكيـــة ســـنفرو ويوجد فى مقبرة تى بسقارة مناظر تمثل صناعة المراكب .[٢] وكـــان يطلـــق علـــى النجار لقب mḏh[٣] والنجار الماهر لقب Fnḫ .[٤]

صناعة الزجاج :

نعلم أن التركيب الكيماوى لمادة الزجاج الآن كان هو التركيب نفسه للزجاج المصرى القديم . وكانت صناعة الزجاج معروفـــة للمصـــرى منـــذ أول عصـــور تاريخه ، وكانت المواد التى يصنع منها الزجاج الرملى السليكى أو رمل الكوارتـــز ، وتحتوى على عنصر كربونات الكالسيوم ، ويضاف إلى الرمل النطـــرون أو رمـــاد بعض النباتات فى أحيان قليلة ، ثم مواد الألوان ، ويوضع هذا الخليـــط فـــى بوتقـــة صغيرة حتى تنصهر هذه المواد كلها بفعل الحرارة ، وتندمج معـــا وتكـــون جســـما متجانسا ذا لون واحد . وعندما يتأكد الصانع من اتحاد هذه المواد معا ، وذلك بـــأن

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلـد الأول – الجـزء الأول ، شكل ٢١١ – ٢١٣ ، ٢١٥ .
(٢) المرجع السابق ، شكل ٢١٠ .
(٣) Wb 11, 190, 8.
(٤) Wb I, 576, 15.
وعن النجارة بوجه عام راجـــع: Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, p. 685 – 707; 111, p. 516 – 519.

يرفع عينــه من الخليط بواسطة قضيب لفحصها ، ثم يبعد البوتقه عـن النـار ويتركها حتى تبرد ، حينئذ يكسر البوتقه ويزيل الطبقة السطحية من عجينـة الزجـاج بعد أن تبرد . وبذلك يحصل الصانع على كتلة الزجاج النقى بـالحجم المناسب ، ثم يجزئها إلى قطع صغيرة حسبما يريد أن يشكل منها أوان .

ويبدأ الصانع بعد ذلك فى تحويل هذه القطع الزجاجية إلى قضبـان رفيعة ، وذلك بتسخين هذه القطـع وسحبها حتى تتحول إلى القضبـان الاسطوانية الدقيقة . وبذلك يصبح لدى الصـانع المواد الخام التى يستعملها فى عمل الأوانـى ، وكـانت طريقته فى هـذا أن يشكل من الطين والرمل جسما يطـابق الشكل المراد عمله . ويدخل فى هذه الكتلة الطينية الرملية طرف قضيب من النحـاس يقبض عليـه بيده . ويبدأ الصانع فى وضع قضبان الزجاج اللينـة بفعل الحرارة حول الجسم الطينى ، حتى يغطيه ويضع الجسم مرة أخرى فى الحـرارة لتندمـج قضبـان الزجـاج ، وتكـون جسما واحدا يغطى الكتلة الداخلية من الطين والرمل وهى الكتلـة التى يسهل تفتيتها وإخراجها من باطن الآنية بعد الانتهاء من صنعها .

ومـن الزجـاج صنـع الصـانع خـرزا وتمـائم وأوان صغيرة . أمـا زخرفـة الأوانى الزجاجية فكانت عن طريق وضع قضبان من الزجاج المختلف الألـوان علـى الجسم الزجاجى تلين بفعل الحرارة وتندمج فيه . وبعـد أن تطـورت صناعـة الزجـاج كان الصانع يستخدم طريقة أخرى فى عمل الأوانى الزجاجية بدل قضبـان الزجـاج ، وذلك بـأن يغمس كتلـة الطين والرمـل فـى مصهور الزجـاج فتكسى بطبقـة من الزجاج .(١) ولم تعرف مصر طريقة عمل الأوانى الزجاجية بـالنفخ إلا فـى العصـر الرومانى (٢). وأصبحت مدينة الإسكندرية واحدة من أكبر مراكز إنتاج الزجـاج فـى العالم القديم أما الخرز فكانت صناعته تتلخص فى لف القضبان الزجاجية علــى سلك من النحاس يسحب بعد أن يبرد الزجاج ويصير صلبا .

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٨ – ٤٨٠ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٨٠ – ٤٨١ .

وأهم ألوان الزجاج فى مصر هى الأسود والأخضر والأبيض والأحمر والأزرق والأصفر ، وترجع هذه الألوان إلى مركبات بعض المعادن التى تدخل فى العجينة الزجاجية ، وتكسبها ألوانها متباينة .(١)

صناعة القيشانى :

عرف المصرى القديم صناعة القيشاني منذ عصور ما قبل الأسرات . فقد عثر فى حضارة البرارى على خرز مطلى بالمينا الذى تطورت صناعته فى حضارة العمرة . وفى بعض المقابر الملكية التى عثر عليها فى سقارة من الأسرة الأولى ما كانت جدرانه مغطاة بقراميد من القيشانى تمثل شكل الحصير (٢) . وعثر فى حفائر حلوان من الفترة نفسها ما يدل على أن صناعة القيشاني (أو الطلاء بالمينا) قد تقدمت وتعددت ألوانها . فقد عثر على خرز من القيشاني (الأخضر والأبيض) وقد تطورت هذه الصناعة ووصلت إلى درجة كبيرة من الرقى فى أوائل عصر الأسرات .

وتتكون المادة التى يطلق عليها اسم القيشانى من الجسم الداخلى ، وعليه طبقة لامعة ذات لون أزرق أو أخضر أو خليط منهما . والجسم الداخلى كان يحصل عليه عادة من حجر الوارتز – وهو حجر صلب – يصحن حتى يصير مسحوقا ناعما ، يمكن عجنه واستعمال عجينته كمادة تشكل منها الأشكال المطلوبة . وكان يخلط بالعجينة رمل سليكى . وكانت العجينة المكونة من الكوارتز والرمل السليكى تتماسك معا بواسطة النطرون ، وكذلك المادة الزجاجية المسحوقة التى تخلط بالعجينة . وكانت الطبقة الزجاجية اللامعة تتكون من خليط العجينة بمسحوق العجينة وتتغطى بهذه الطبقة اللامعة الخضراء أو الزرقاء (٣) . وقد استعمل الصانع طريقة القوالب فى هذا المجال ، وعثر علماء الآثار على عدد كبير من هذه القوالب المصنوعة من الفخار ، والتى ترجع إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها ، وعثر عليها أيضا

---

(١) د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ٢٦٩ .
(٢) ألفة نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٦ – ٤٧٧ .
(٣) عن مواد التلوين ، راجع ر. انجلباخ : مدخل إلى علم الآثار المصرية (ترجمة د. أحمد موسى ود. أحمد يوسف) سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، رقم ٢٧ ، ١٩٩٨ ، ١٨٥ – ١٨٧ .

فى تل العمارنة ومنف ونقراطيس .

وكان يصنع من القيشانى قوالب أو مربعات صغيرة تستخدم فى تكسية الجدران والأبواب فى الممرات السفلى فى هرم سقارة المدرج ، وفى المقبرة الواقعة إلى جنوب الهرم . واستخدم القيشانى فى عمل التمائم والخواتم والأوانى والعقود والخرز ، ثم التماثيل الصغيرة للحيوانات والتماثيل الجنائزية التى يطلق عليها اسم الشوابتى أو التماثيل المجيبة .(١)

الجص :

كان يعد من كربونات الكلسيوم ومزيج من مادة أزوتية عضوية لعلها الغراء . وقد استخدم الجص فى تثبيت قراميد القيشانى على الجدران . واستعمل بكثرة فى الدولة الحديثة وما بعدها .(٢)

صناعة الفخار :

من أقدم الصناعات إذ ترجع إلى العصر الحجرى الحديث . واستعمل المصرى القديم نوعين من الطمى ، أولهما يضرب إلى اللون البنى أو الأسود الذى يتحول إلى اللون الرمادى البنى عندما يجف . والنوع الثانى هو البنى الرمادى الذى يصير رماديا عندما يجف .(٣) ويقوم الصانع بتحضير الطمى وعجنه ليصير متماسكا ، وربما أضاف الصانع بعض التبن إليه ليساعد على عملية التماسك هذه ، ويحترق هذا التبن عند حرق الآنية . ثم يعمل بعد ذلك على تشكيل الآنية ، فى البداية كان يحدث ذلك باليد ، حتى توصل الصانع فى عصر الأسرة الأولى إلى استخدام

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٧٦ ، ٤٧٨ شكل ١٤- ١٥ .

(٢) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٩٦ .

(٣) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، شكل ٢١٠ .

عجلة الفخار التى يشكل عليها هذه الأوانى ، وهى عبارة عن قطعة مستديرة من الخشب يديرها الصانع ، بينما يشكل قطعة الطمى بيده إلى الشكل المطلوب للآنية . كما نرى ذلك فى نقش من مقبرة تى فى سقارة من عصر الأسرة الخامسة . وبعد ذلك تترك الآنية لتجف قبل أن تحرق . وكانت طريقة الحرق فى أول الأمر تتلخص فى وضع هذه الأوانى الطمية ، مختلطة بقطع الوقود على سطح الأرض حتى تتم عملية الحرق ، وكان الوقود يتألف من التبن المعروف والمأخوذ من روث البهائم .

وبمرور الزمن اكتشف المصرى القديم طريقة حرق الأوانى فى موقد أو فرن يفصل فيها بين الأوانى وبين قطع الوقود ، وذلك من حوالى عصر الأسرة الخامسة .(١) وكانت ألوان الفخار هى الأسود والأحمر والبنى والرمادى . واستطاع الصانع أيضا أن يعطى الآنية الفخارية بريقا ، وذلك بصقل سطح الأوانى قبل أن تجف نهائيا قبل حرقها بقطعة من الحجر الصلب الناعم .

أما عن زخرفة الأوانى الفخارية فقد لوحظ أنه من عصر ما قبل الأسرات كانت هناك طرق متقاربة لهذا وتتم عن طريق حفر أشكال بعض الحيوانات وملئ ذلك بمادة بيضاء لتظهر على سطح الآنية ، واستخدم اللون الأزرق أو الأحمر أو الأسود أو الأصفر لتلوين الأوانى .

وعلى الرغم من أن صناعة الفخار لم تكن على درجة كبيرة من الدقة فى حضارة الفيوم إلا أن هذه الصناعة تطورت بعد ذلك فى حضارة دير تاسا حتى أصبحت فى حضارة نقادة الأولى والثانية أكثر دقة .وغطيت أسطح الأوانى الفخارية برسوم بالطفل الأبيض الأحمر ، وتتخذ هذه الرسوم أشكالا هندسية تشبه المثلثات والنجوم ومناظر طبيعية . وكائنات حية منها مناظر تجمع بين الإنسان والحيوان فى مجال الصيد ومجال الرقص ، إلى جانب رسوم المراكب العديدة . وظهر على الفخار ذى اللون البنى فى حضارة نقادة ، مناظر تمثل أشكالا وأحداثا تاريخية معينة . وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على أوانى من الفخار ومع أنها كانت كبيرة الحجم إلا أنها كانت متساوية النسب تساويا تاما ناعمة الملمس وصنع

---

(١) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٨ .

أهل حلوان صوامع كبيرة للغلال من الفخار أيضا .(١)

صناعة الطوب اللبن :

كانت من أقدم الصناعات التى اتقنها الصانع المصرى ومارسها . وظل النيل هو المورد الرئيسى للطمى . وكان الطمى يخلط ببعض الرمال ومواد أخرى من المواد التى تكسبه صلابة ، مثل التبن ، الذى كان يؤدى إلى تماسك اللبن وكان الصانع المصرى القديم يعلم أن للتبن فائدتين :

الأولى أنه يساعد على تماسك القوالب وحالة انخفاض نسبة الطمى ، والثانية أن يمنع القوالب من الالتصاق بالأرض عند جفافها .(٢) وتصور لنا مناظر مقبرة رخمى رع من الأسرة الثامنة عشرة كيفية صناعة اللبن . فكان العمال يحضرون الطمى ويخلطونه بالماء حتى يصبح فى درجة تماسك معينة ، ثم تضاف إليه كميات التبن وخلطه معه خلطا جيدا ويبدأ العمال بعد ذلك بوضع قطع العجينة فى قالب خشبى مستطيل له مقبض بحيث ترص قطع الطين لبنة لبنة وتترك لتجف بفعل حرارة الشمس . وكان المعتاد أن تعمل هذه اللبنات بجوار مكان البناء إن أمكن ، وفى عصر الدولة القديمة كان اسم صاحب المبنى يطبع على اللبنات فى بعض الأحيان ونرى مثالا لهذا فى مقبرة " برسن " .

ثم أصبحت تحمل اسم الملك فى عصر الدولة الحديثة ، وكانت أحجام اللبنات تتفاوت تفاوتا ملحوظا ، فمنها ما يقرب من ٢٠ سم فى الطول ومنها ما يبلغ فى بعض الأحيان أكثر من ٤٠ سم ، وذلك على حسب نوع القالب المستعمل ، وكذلك المبنى الذى ستستخدم هذه اللبنات فيه . ولم ينس العامل فى بعض الأحيان أن يجعل فى كل لبنة قناة رفيعة ، تساعد على ربط اللبنات بعضها البعض فى البناء .أما عن اللبن المحروق (الأحمر) فإن لم يستعمل فى مصر قبل العصر الرومانى وكانت ترص قطع اللبن صفوفا وتغطى من الخارج ببعض الطمى وكان يترك بين

---

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٤٢ - ٤٣ صور ٢٢- ٢٣ ، ٨٦ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٤.

صفوف اللبن مـن أسفل فجوة يوضـع فيها الوقـود الـذى يشعل فيـه النـار فتتحـول اللبنات إلى " الطوب الأحمر " .(١) وعلى الرغـم من ذلك فـإن المصـرى لـم يـترك استعمال اللبن ، إذ أن حرقه يكلف ثمن الوقود مما يجعل اللبن العادى أرخص بكثير.

الملاط:

كان يعد لعملية البناء ، وهو عادة من الطمى الذى قد يخلط أحيانا بقطع مـن الفخار . غير أن هناك أمثلة خلط فيها الطمى ببعض الجبس أو الجير . ويعـد بجـوار منطقة البناء .

صناعة البردى :

كان نبات البردى ينمو بكثرة فى مستنقعات الدلتا فى العصور القديمة ، ولقد استفاد المصرى منه ، وتوصل إلى إحدى الصناعات المهمة التى تعتبر من أعظم مـا اسدته مصر للحضارة البشرية ألا وهى " صناعة الورق " وانقرض نبات البردى مـن مصر حاليا إلا من بعض الأنواع الضئيلة ، ولازال بعضه منتشرا فى بعـض منـاطق السـودان . ويصـل طـول السـاق مـن مـترين إلـى ثلاثـة أمتـار ، وقطـر السـاق ٤سنتيمترات . وتتلخص طريقة عمل البردى فى جمع قطع السيقان ، ونـزع الغـلاف الخارجى ، وتقطيع الجسم الرخو الداخلى إلى شرائح . وتوضـع هـذه الشـرائح جنبـا لجنب بحيث تغطى أحرف القطع بعضها البعض ، وفوق هذا توضع طبقـة ثانيـة مـن الشرائح فى اتجاه متعامد على اتجاه الشرائح السفلية ، وبعـد أن تغطـى الطبقـة العليـا الطبقة السفلى تضغط الطبقتان معا ، وتدق بمطارق من الخشب ، وذلك علـى سـطح مستو . وربما كان الصانع يضع تحت هذه الشرائح وفوقها قطعا من القمـاش لتمتص العصارة الزائدة من الشرائح . وبعد أن تندمج الشرائح معا تتـرك لتجـف ، وبذلـك

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨٤ – ٤٨٥ شكل ١٨ .

تصبح صالحة للكتابة عليها .[١]

وكان العامل يلصق الصفحات معا لعمل ملف طويل منها بعد تهذيب القطع الزائدة . ويبلغ طول بعض هذه الملفات نحو ٤٥ مترا ، كان الكتبة يستعملونها باستمرار فى تسجيل مراحل العمل الحكومى فى إدارات الدولة المختلفة ، وتخزن بعد كتابتها . واعتبرت مصر مركزا لهذه الصناعة المهمة ، وأخذت تصدر جزؤا كبيرا من إنتاجها إلى بلدان العالم القديم ، وكان ورق البردى يتجه إلى سد مطالب الجهاز الحكومى فى مصر ، ثم الكتب الدينية ، وكانت هذه الصناعة من أروج الصناعات وخاصة فى العصر المتأخر ، حيث كانت هذه الملفات تكتب وتهيأ بالطقوس وصور المعبودات ، ويترك اسم صاحبها خاليا حيث يكتب بعد شرائها .

أطلق المصريون القدماء على نبات البردى سبعة أسماء هى :

itr, idḥw, mflk3t, mnḥ, t̲wfy, mẖjt, d̲t.

وعلى زهرة البردى اسم nsjs ، وساق البردى w3d̲ . أما ورق البردى فأطلقوا عليه أربعة أسماء هى : itr, šfdw, šw, d̲mc ولفافة البردى اسم šfdw ودغل البردى اسم w3d̲ وغابة البردى اسم t̲wfy . أما كلمة ورقة فكانوا يطلقون عليها اسم ss منذ عصر الدولة الوسطى .[٢]

واستخدم فى كتابة البردى اللون الأسود أو الأحمر ، وكانت الكتابة فى أعمدة أفقية أو رأسية .[٣] وإلى جانب صناعة الورق استعمل المصرى القديم البردى فى أغراض أخرى ، وأولها القوارب الصغيرة التى كانت تصنع من سيقان البردى ، وصناعة السلال والحبال والحصر والفرش .[٤]

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٨١ – ٤٨٢ ؛ وبوجه خاص د. حسن رجب : البردى ، فى سلسلة إقرأ ، دار المعارف ١٩٨١ ، ص ٤٣ – ٦٤ .

(٢) راجع : Wb VII, p. 116.

(٣) عن أدوات الكتابة على البردى بالفرش والأقلام التى تتراوح أطوالها بين ١٦ إلى ٢٣ سم ، راجع : د. حسن رجب : المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٦ .

(٤) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٣٠ – ٢٣١ .

صناعة النسيج:

من أولى الصناعات التى مارسها المصريون القدماء منذ أقدم العصور ، إذ ترجع إلى العصر الحجرى الحديث . فقد عرف أهل دير تاسا والبدارى الكتان ونسجه . وعثر فى حفائر أبيدوس من الأسرة الأولى على ملابس من الكتان تمتاز بجمال نسجها وحياكتها ، مما يدل على ذوق فنى رفيع ، وعثر فى حفائر حلوان من الفترة نفسها على أنواع عديدة من الأقمشة تدل طريقة نسجها على كثرة أنواعها . فمنها النسيج الرفيع ، وربما استخدموا النوال اليدوى لنسج الأقمشة . وعثر على قطع من الفخار للف الخيط وضبط النوال اليدوى .(١)

كفى دفء الجو فى مصر أهلها مشقة اللباس الثقيل ، واقتصرت مادته طوال تاريخها القديم على كتانها الرقيق ، ولم يجاوز اللباس فى عصور فجر التاريخ قطعة بسيطة يلبسها الرجل ليستر بها عورته . ولكن سرعان ماتطور إلى نقبة قصيرة ، يلفها حول وسطه .(٢) وظلت النقبة هى لباس الجمهرة من الشعب . أما لباس الملوك فقد اتخذ أشكالا متعددة من حيث الطول والقصر والاتساع إلى جانب ما يتحلى به من ثنايا وما يضاف إليه من خرز ودلايات . واتخذ الملوك والنبلاء مآزر سابغة فى أشهر الشتاء كتلك العباءة التى ظهر الملك جسر فى تمثاله . وسنوسرت الثالث فى عيد تتويجه ، أو ذلك القميص الذى ينحسر عن أحد كتفى حسى رع ، وقميص الملك منتوحتب القصير المفتوح عند الصدر . وقد عرف المصريون منذ عصر الدولة الوسطى أنواع اللباس السابغ ذى الثنايا . وشهدت الدولة الحديثة تنوعا كبيرا فى الملابس إذ أتخذ الرجال الثياب السابغة ذات الثنايا الكثيرة

---

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٥٣ – ٥٦ ، صور ٥٨ – ٦٣ ، ٦٦ – ٦٨ ؛ د. رءوف حبيب : الغزل والنسيج فى مصر القديمة ، مكتبة المحبة ، ص ٣ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٣٧٤ .

والأكمام الفضفاضة ، كما اتخذ بعض الرجال المآزر والنقبات ذات أشكال وأنماط أنيقة . أما ملابس النساء فقد غلب عليها الرداء البسيط المفتوح عند الصدر بلا أكمام ، ومنهن من اتخذن الأكمام الفضفاضة والأحزمة فى الوسط .(١)

وأهم صناعات النسيج صناعة الكتان . فكانت السيقان تقتلع من التربة دون تقطيعها ، وذلك للحصول على أطول خيوط ممكنة . ثم كانت السيقان تحزم فى مجموعات تربط من قبل جذورها ، وتترك لتجف فى الحقل ، ثم يمشط الكتان . وفى الدولة الحديثة نرى أن السيقان كانت تسلق أولا فى وعاء كبير الحجم ، وتطرق بالمطارق بعد ذلك لفصل اللحاء عنها ، ثم تندى الألياف وتفتل بمغزل باحكام .(٢) وتدلنا النصوص التى حفظت لنا أن النساء كن يقمن بدور كبير فى صناعة الكتان ، إذ تسلم موظفو بيت المال خيوط الكتان من ادراة بيت المال ، وهؤلاء يسلمون هذه الخيوط للنساء اللائى يعملن تحت امرتهم . وعلى النسوة أن يحسن نسج الكتان ويسلمن الموظف المختص نتيجة عملهن ، وهو بالتالى يقدمه إلى رؤسائه الذين يأمرون بتخزين نسيج الكتان فى مخازن بيت المال . وعثر فى مقبرة مكت رع على نموذج لمصنع غزل ونسج تعمل فيه طائفة من النساء .(٣)

نسج الصوف والحرير والقطن :

لم يقتصر المصريون القدماء على ارتداء ملابس مصنوعة من الكتان بل استخدموا الصوف أيضا بدليل ما وجد فى إحدى مقابر حلوان من الأسرة الأولى ، إذ

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٥ – ٤٨٦ شكل ١٩ ؛ د. رءوف حبيب : الغزل والنسيج فى مصر القديمة ، مكتبة المحبة ، ص ٣ – ٨ .

(٣) د. عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، مصر والعراق ، ١٩٨٢ ، ص ١٧٩ ؛ تاريخ مصر القديمة وآثارها ، الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٢٩ .

عثر على بقايا هيكل عظمى لإنسان كان ملفوفا فى قماش من الصوف مما يؤكد أن المصريين فى ذلك العهد كانوا يعرفون الأقمشة الصوفية . كما عثر على بعض عينات من نسيج الصوف الملون فى نقادة وبلاص من عصر ماقبل الأسرات .(١)

وقد ذكر المؤرخون اليونان أنهم شاهدوا استعمال المصريين للصوف كأردية مع بقية الملابس من الكتان ، وهذا ما أكده هيرودوت وديودور الصقلى . غير أنه عند دخول المسيحية شاع استعمال الصوف فى مصر ، ونسجت منه الأقمشة كما استعملت قطع منه زخرفة الاقمشة الكتانية .أما عن القطن فعلى الرغم من أن هيرودوت ذكر أن بعض الملابس التى أهداها الملك أمازيس فى الأسرة السادسة والعشرين لمعبد من المعابد ، كانت مطرزة بالقطن . إلا أننا لم نعثر على أى قطعة من المنسوجات القطنية فى أى منطقة أثرية ، ومن المعروف أن القطن كان يزرع فى الهند ، وينسج هناك من القرن الخامس قبل الميلاد .(٢) أما الحرير فأصله من الصين ولم يعرف فى مصر ، وإنما عثر على بعض القطع التى يمكن تحديد تاريخها بحوالى القرن الرابع بعد الميلاد .(٣) ومن هذا التاريخ شاع استعمال الحرير فى الملابس . وربما لجأت مصر إلى استيراد قطع الحرير من الخارج .

وكان لكل طبقة زيها الخاص بها فهناك زى خاص بالملوك والملكات وكبار رجال الدولة والموظفين وكبار الكهنة مثل كبار كهنة بتاح ، والكهنة العاديين ، والجنود وعامة الناس . ووصلت إلينا مجموعة من مناظر ترتدى فيها الفئات الزى الخاص بها فى المناسبات المختلفة . فنرى رمسيس الثانى يرتدى النقبة ووراءه زوجته فى الملابس الخاصة بالاحتفالات الدينية فى معبد أبو سمبل الكبير . ونرى الملكة نفرتارى فى زى رائع التصميم فى مقبرتها فى طيبة ، والملكة أحمس نفرتارى وهى ترتدى ملابس أنيقة خاصة بالمناسبات الدينية ، منظر فى المتحف

---

(١) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٧٨ .

(٣) د. ابو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

البريطانى .(١) ومن أمثلة المناظر التى تمثل زى كبار رجال الدولة منظر رجل يرتدى نقبة ضيقة (سقارة – الدولة القديمة) ، رجل يرتدى نقبة واسعة يعلوها رداء من جلد حيوان (الجيزة الدولة القديمة) ، رجل يرتدى ملابس خاصة بالحفلات (ميدوم – الدولة القديمة) ، رجل يرتدى ملابس الحفلات ومصنوع من جلد فهد (ميدوم – الدولة القديمة) ، رجل وسيدة يرتديان ملابس تزدان بالخرز (دير الجبراوى – الدولة القديمة) ، سيدة ترتدى ملابس الحفلات المصنوعة من جلد الفهد (ميدوم – الدولة القديمة) ، نبيل يرتدى رداء يتكون من جزئين (البرشا – الدولة الوسطى) ، رجل يرتدى رداء طويلا بسيطا (البرشا – الدولة الوسطى) ، رجل يرتدى رداء جميلا يتكون من ثلاثة أجزاء (طيبة – الدولة الحديثة) ، رجل يرتدى رداء بسيطا مكونا من جزئين (طيبة – الدولة الحديثة) ، رجل يلبس رداء فخما يلتصق على جسمه (متحف كوبنهاجن – الدولة الحديثة) ، وزير يتقدم بعض النبلاء وقد ارتدى الزى الخاص بوظيفته (تل العمارنة – الدولة الحديثة) ، وهناك كهنة يتشحون بأردية من جلد الفهد (طيبة – الدولة الحديثة) ، وزى جنود (طيبة – الدولة الحديثة) ، ملابس جنود نوبيين (طيبة – الدولة الحديثة) ، وهناك أزياء متعددة ترتديها فتيات يرقصن ويعزفن الموسيقى (طيبة – الدولة الحديثة) ، خادمتان ترتديان ثيابا شفافه من نسيج رقيق (طيبة –الدولة الحديثة) ، وأيضا شعوب مختلفة ميزها المصرى بملابسها الخاصة بها من آسيويين وزنوج وليبيين وشعوب البحر (٢) .

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢٧٤- ٢٧٦ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢٥٩ – ٢٧٣ ، ٢٧٩ – ٢٨٣ .

صناعة أدوات الزينة :

عثر في حضارة البدارى على أدوات للزينة مثل الأمشطة المزدانة برؤوس الطيور وخواتم واقراط . كما عرف أهل حلوان منذ بداية الأسرات تصفيف الشعر وصناعة أدوات التجميل والمواد العطرية واستخدام الحلى والعقود بأنواعها والأساور بأشكالها منها مايصنع من الخرز والاردواز وسن الفيل والقيشانى . وعثر على بعض مراود لتكحيل العيون مصنوعة من سن الفيل وأمشاطا للشعر . وعثر على مرآة من النحاس لها يد من الخشب ، وعثر على لوحات عديدة لصحن الألوان .(١) وفى نهاية عصر ماقبل الأسرات عثر على أمشاط ودبابيس وعقود من خرز وأساور من العاج وكان الصانع يتفنن فى تشكيل تلك الأدوات وتجميل زخرفها ، فكانت المرآة تصنع من أقراص ذات مقابض مختلفة من البرونز أو الفضة حيث تشكل مقابضها على هيئة المعبودة " حتحور " أو فى هيئة امرأة تحمل القرص فوق رأسها . ومن المكاحل ماكان فى هيئة النحلة أما أوعية العطور فقد أتخذت هيئة وأشكال متعددة ومنها ماهو فى شكل فتاة تسبح من وراء بطة ومنها ماهو على شكل جرة يحملها على الكتف رجل أو امرأة ، أو على شكل غزال .

وكانت الدهون تصب فى أطباق جميلة من الاردواز فى شكل أوراق الشجر ، ومنها ملاعق آية فى الجمال ، ومنها ما هو على شكل شجرة رمان مثمرة أو زهرة من البردى . أما الأمواس لإزالة الشعر من الجسد ، فمنها ما كان مستطيلا أو مقوسا (٢) وأتخذت دبابيس الشعر شكل رؤوس الحيوانات ، وأكاليل الشعر كانت من المعادن النفيسة المرصعة .(٣)

---

(١) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٥٧ – ٨٤ ، اشكال ٥ – ٦ ، صور ٧٠ ، ٧٢ – ٧٥ ، ٧٧ – ٨٤ .

(٢) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٨٨ – ٩٨ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

ولدينا نماذج عديدة من أدوات الزينة ، مثل مرآة للزينة قرصها من البرونز المصقول ، ويدها مطعمة . وملعقة دهون من الخشب فى نهايتها مشط . وملعقة دهون من الخشب على شكل فتاة تسبح (المتحف المصرى – الدولة الحديثة) وهناك إناء من المرمر للعطور خاص بالملك توت عنخ آمون . ودبابيس توضع على الصدر من الذهب المطعم من الدولة الوسطى والدولة الحديثة . وأساور من الذهب عثر عليها فى مقبرة الملك جر فى أبيدوس وعقد من ثمانية فروع من الدولة الحديثة . عقود بسيطة من الدولة الوسطى (فى المتحف المصرى) . وتوكه للشعر فى المتحف المصرى وخواتم عديدة من الدولة الحديثة .(١)

صناعة الجلود والدباغة والصياغة :

استعمل الإنسان المصرى القديم جلود الأبقار والأغنام والماعز وغيرها من الحيوانات منذ العصر الحجرى الحديث . وكانت هذه الجلود تعالج بالزيت أو بالمواد الأخرى ويزال الشعر منها حتى تصبح لينة . وترينا المناظر التى وجدت على جدران المقابر ، الصناع وهم يعملون فى صناعة الجلود ، فأحدهم يلين الجلد فى وعاء كبير قد يكون مملوء بالزيت أو بالمواد الأخرى ، بينما الصناع الآخرون يقومون بتنظيف الجلد من الشعر وشده بأيديهم على أداة من الخشب ذات ثلاثة أرجل حتى يصبح لينا ثم يفرد الجلد ليجف .(٢)

ويبدوا أنهم استعملوا موادا أخرى غير الزيت فى الدباغة مثل نباتات الصحراء أو ثمار شجرة السنط . وقد استعمل المصريون عدة ألوان فى صباغة

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٣٧ – ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٦ – ٢٤٧ ، ٢٤٩ – ٢٥٠ ، ٢٥٢ – ٢٥٧ .

(٢) بيير مونتيه : الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة (ترجمة عزيز مرقس) ص ٢١٠ ؛ وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٩١ – ١٩٢ .

الجلود كان أكثرها تداولا اللون الأحمر والأصفر والأخضر . وعثر فى الدير البحرى بطيبة من الأسرة الحادية عشرة على قطعة من الجلد لونها أحمر . ويرجح أن هذا اللون كان يستخلص من أنثى حشرة القرمز الجافة . واستخدم قشر الرمان لصباغة الجلد الأصفر كما استخدمت الحناء والكركم فى الصباغة وكانا يزرعان فى مصر منذ أقدم العصور . وقد فحصت عينات من الجلد القديم من الدولة الحديثة فتبين أن معظمه من جلد الماعز وقد استعمل المصريون فى أغراض شتى ، فمنذ العصر الحجرى الحديث كان الإنسان يغطى بجلد الحيوان بعض الموتى فى حضارة البدارى . وأصبحت الجلود تدخل بعد ذلك فى صناعة النعال (الصنادل) من الجلد الخشن . وترينا نقوش المقابر ، الصانع المصرى وقد جلس على مقعده الواطئ ومعه أدواته وتشمل المخراز والثقاب وآلة ذات ستة أسنان ثم قرن حيوان ومدقة وسكينا وهى الأدوات نفسها التى تستعمل الآن فى صناعة الجلود .

وكانوا يصنعون من الجلد الهش اللين القفازات ومحافظ للمحفوظات والأحزمة والرق للكتابة عليه إلى جانب البردى والسيور الدقيقة . كما استعمل الجلد فى صناعة جعب السهام والخناجر والتروس ووسائد الرأس وأغطية الرأس وقواعد الكراسى والأسرة وتغطية بعض الصناديق الصغيرة والأكياس والحبال والأربطة وأطواق الكلاب وعدة الخيل وكرات اللعب والخيام والآلآت الموسيقية والقرب المستعملة لرفع المياه بواسطة الشادوف . وكان كل ذلك يصنع من جلود الماعز وأحيانا جلود العجول . أما جلد الفهد فكان يعد ويرتديه الرجال والنساء على حد سواء فى عصر الدولة القديمة ، وأصبح لباسا كهنوتيا خلال العصور التاريخية أما جلد فرس النهر فكان يستعمل فى صنع الدروع والسياط وغيرها .(١)

وكان المصريون القدماء مغرمين بلبس الفراء الوثيرة وخاصة فراء الحيوانات التى يصطادونها من الصحراء كالغزلان والثعالب . وكانت أمعاء الحيوانات تستخدم فى صنع أوتار الآلآت الموسيقية والأقواس وقد بقيت حتى الآن أكبر قطعة جلد مشغول وهى الخيمة الجنائزية للملكة ايزه ام اخبيت من الأسرة

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٣ - ١٩٥ ، ص ١٩٧ .

الحادية والعشرين وموجودة الآن فى المتحف المصرى بالقاهرة .(١)

المصنوعات من القرون والعظم والعاج والأبنوس :

استخدم المصريون القدماء القرون والعظام والعاج والأبنوس فى عدة صناعات صغيرة منذ العصر الحجرى الحديث كما يدل على ذلك البقايا الأثرية التى عثر عليها فى حضارات العمرة وجرزه والبدارى ونقادة وحلوان . فعثر على بعض الأدوات المصنوعة من القرون فى حضارة نقادة كالأساور والأمشاط ورؤوس الحراب والأوانى والأقداح . أما أقواس الرماية فكانت تصنع من قرون المها . وكان الصياد يلبس فى معصمه سوارا من القرن لحمايته من احتكاك حبل الأقواس أثناء الرمى كما نرى فى آثار توت عنخ آمون بالمتحف المصرى بالقاهرة . ومن العظام صنع الإنسان الأدوات الصغيرة الخاصة بالزينة كالتمائم والأساور والأمشاط والخواتم وأدوات الصيد مثل رؤوس الحراب والسهام وغيرها . أما عظام الأسماك المدببة فكانوا يصنعون منها المثاقب والابر والدبابيس كما صنعوا من فقرات الأسماك الخرز.

وأظهر الفنان أو الصانع المصرى القديم براعة فائقة فى صناعة العاج الذى كان يستخرج بكثرة من سن الفيل أو من عظام فرس النهر . وقد عثر فى المقابر على بعض الأدوات الصغيرة المطعمة بالعاج من عصر ما قبل التأريخ مثل مقبض سكين جبل العركى المصنوع من عظام فرس النهر (٢) وصنع من العاج أدوات صغيرة مثل الأمشاط ومقابض المرايا والعصى وأيديها والأقراط والأساور ورقع الشطرنج والمراوح والأقواس ورؤس الرماح وأطراف السهام المدببة والسياط ودبابيس الشعر والملاعق والأوانى ومساند الرأس ، وعثر فى حفائر حلوان من بداية الأسرات على تماثيل صغيرة من سن الفيل . وعثر على نموذج عمود

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(٢) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٦٦ شكل ، ص ٤٧٥ – ٤٧٦ ؛ د. أنور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، ص ١٥٣ ؛ وليم نظير : المرجع السابق ، ص ١٩٥ – ١٩٦ .

من سن الفيل ينتهي بزهرات اللوتس .(١) أما الأبنوس فكان يسمى في اللغة المصرية القديمـــــة " هبني " وكان يرد لمصر من البلاد الواقعة إلى الجنوب ضمن المتاجر والجزى . وقد راجت صناعة الأثاث الثمين المصنوع من الخشب والمطعم بالعاج والأبنوس والأحجار الكريمة مثل المقاعد والكراسي والصناديق والتوابيت والنواويس ونرى اشغال العاج ممثلة بوضوح على جدران مقبرة رخمي رع بطيبة .

صناعة العطور والدهونات :

يقوم الخدم والخادمات أثناء الولائم بالطواف على المدعوين وتوزيع الزهور والروائح العطرية عليهم . ولا نلبث أن نجد كلا منهم يضع فوق رأسه قمعا أبيض اللون . وتضع الخادمات هذا القمع من دهان معطر قد أعد في إناء كبير . وكان هذا الدهان المعطر يوضع أيضا فوق رأس كل من أصحاب المنزل والفتيات الصغيرات والخادمات إذ أنه من مستلزمات حفلات الاستقبال . ولايعد الحفل سعيدا دون روائح عطرية ولم يكن هذا الأمر عديم إذ الغرض منه اخفاء روائح الطعام واللحوم المشوية .(٢) وكان الملك إذا ما أراد تكريم أحد رجاله المخلصين يأمر بأن يطيب بالعطور الملكية . وكانت العطور تستخدم أيضا عند الزيارات بين الأسر ، وكذلك في الاحتفالات الدينية . ولم يتوصل المصريون إلى طريقة تقطير الزيوت العطرية أي استخلاصها عن طريق التقطير إلا في العصرالبطلمـــي الروماني . وكانوا يلجأون إلى جمع الزهور حاملة الزيوت العطرية مثل زهرة الزنبق ، ويقوم بجمعها مجموعة من النساء في سلال مستديرة الشكل ، ثم تعصر فيما يشبه الشباك بواسطة رجلين ، ثم يجمع عصير الزيت في الأوان لحفظه . وكان هذا المنظر منقوشا على جدران إحدى المقابر في بني حسن ، ولكنه ضاع الآن بفعل الإهمال ، ولحسن الحظ سجله الباحثون . وهناك منظران آخران يمثلان جمع وعصر زهور الزنبق على أثرين في

---

(١) زكي سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، صور ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

متحف اللوفر وليدن .(١) وكانت صناعة الزيوت العطرية والروائح ومركباتها من أهم الصناعات .(٢) وفى معبد أدفو حجرة خاصة كان تعد فيها العطور اللازمة للطقوس الدينية ، ونقش على جدران هذه الحجرة مجموعة النباتات التى كانت تستخرج منها هذه العطور .

كان يدخل ضمن صناعة العطور والدهونات ، إعداد وتركيب العقاقير المختلفة ، فنعرف أنه كان هناك حوالى ١٣ مادة تدخل فى عملية التحنيط .(٣) وكانت العقاقير من أصل حيوانى تبلغ حوالى ٤٢ عقارا (٤) والعقاقير المستخرجة من مواد عضوية ومعدنية تبلغ حوالى ٤٤ عقارا .(٥) وأخيرا العقاقير المستخرجة من أصول نباتية وهى الأكثر استخداما حوالى ١٣٦ عقارا .(٦) ويدخل ضمن المركبات العطرية الزيوت الطيارة والبخور .(٧) وأيضا مستحضرات التجميل وهى مواد مستخلصة من الأعشاب والزيوت العطرية والمعادن والأملاح ومختلف الأجزاء والمنتجات الحيوانية مثل ماهو مزيل للشعر الزائد ، ومنها ما يعالج سقوط الشعر

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ٢٣٣ ؛ د. محمد بكر : صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديم ، ص ١١٨ .

(٢) Erman - Ranke , la Civilisation Égyptienne , p . 578 .

(٣) وهى : الجير ، كلوريد الصوديوم ، ملح النطرون ، شمع العسل ، قطران الفحم ، التوابل ، القار المعدنى ، الزيوت الصنوبرية ، الحفاء ، العرعر ، نبات الشيبة ، نبيذ البلح ، الراتنجات ، راجع :
د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلية المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٤٤ ، ص ٢٦٦ – ٢٩٦ .

(٤) د. سمير يحيى : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ – ٣٤٧ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٣٣٧ – ٣٤٢ .

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ – ٣٣٦ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٣٦ – ٢٤٥ .

والصلع ومنها ما هو خاص بتقوية شعر الرأس وما يكسب الشعر نعومة وطراوة ولمعانا وأيضا ما يستخدم كمساحيق للوجه والخدود وما يوقف إفراز العرق الغزير وما يستخدم كمساحيق لجفوف العيون وطلاء أظافر أيدى النساء وأقدامهن .(١)

صناعة أدوات التسلية :

وعثر فى حفائر حلوان على قطع من حجر الالبستر وسن الفيل تستخدم للتسلية فى أوقات الفراغ . وعثر فى داخل بعض المقابر على نماذج لمراكب من العاج ومن الحجر الجيرى الأصفر ومن الفخار .(٢) وظهرت فى حضارة نقادة الثانية وسائل لشغل أوقات الفراغ ومن هذه الوسائل ابتكار لعبة تشبه لعبة الضامة (السيجة) . وتقدمت هذه الصناعة فى العصور التاريخية ، مثل رسم الضامة المسجل على بردية من الدولة الحديثة فى المتحف البريطانى . أو فى مقبرة سنجم بدير المدينة .(٣)

صناعة السلال :

من أقدم الصناعات ، وتعمل من سعف نخيل البلح أو نخيل الدوم . أو نبات الحلفا . وكانت السلال تزين ببعض الزخارف الملونة ، وذلك بوضع بعض الألياف الملونة داخل الجوانب المصنوعة مع بقية الألياف .وتستخدم السلال لوضع الخبز أو الفواكه .(٤) أو لحفظ الغلال فى عصور ما قبل الأسرات .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٢٧٤ - ٢٥٦ .

(٢) زكى سعد : الحفائر الملكية بحلوان ، ص ٧٧ - ٨٧ صور ٨٩ - ٩٠ ، ١٠٧ - ١٠٩ .

(٣) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p .83 , 121 .

(٤) ألفه نخبة من العلماء : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .

صناعة الحبال :

من أقدم الصناعات ، وتستخدم من الكتان وربما استعمل نبات الحلفا فى هذا الشأن أيضا ، كما استعملت ألياف نخيل البلح .

صناعة الحصر :

من أهم الصناعات فى مصر القديمة التى مارسها المصرى منذ عصور ما قبل الأسرات وكان يستعمل فى هذه الصناعة الأنواع المختلفة من نباتات الألياف مثل الحشائش المناسبة ، أو سعف النخيل أو البوص أو الحلفا ، واستعملت الخيوط فى هذه الحصر . وتستخدم لتغطية أرضية المنازل وبعض المقاعد والارائك . أو تستخدم كستائر للأبواب والنوافذ .

صناعة الفرش :

من البوص أو القصب التى كانت تحول أطرافها إلى شعيرات ، وذلك بأن توضع فى الماء ثم تدق بعد ذلك .وقد جاء ذكر أغلب المهن والحرف التى تحدثنا عنها فى بردية نصائح دواؤف الخاصة بهجاء المهن ، فهو يذكر المثال ، النحات ، البناء ، الصائغ ، الحداد ، النساج ، الاسكافى ، البستانى ، الفلاح ، الحلاق ، حامل الماء (السقى) ، الصياد ، الخباز ، الكاهن ، الجندى ، وعلى رأس المهن كلها مهنة الكاتب .

فقد تحدثنا عن المثال والنحات والبناء عند الحديث عن المحاجر وتصنيع الأحجار ، والصائغ والحداد عند الحديث عن المناجم وتصنيع المعادن ، والنساج عند الحديث عن صناعة النسيج ، والاسكافى عند الحديث عن صناعة الجلود والدباغة والصباغة ، والبستانى والفلاح عند الحديث عن الزراعة والبساتين والحدائق ، والصياد عند الحديث عن الثروة السمكية ، والخباز عند الحديث عن الموارد الغذائية واعداد الاطعمة . وتحدثنا عن الكاهن والجندى والكاتب فى الباب الأول عند الحديث عن نظام الحكم والإدارة . وتحدثنا فى الباب نفسه عن مجموعة أصحاب المهن

الملحقين القصر الملكى ومنهم " مسئول الاضحيات فى القصر الملكى " أى القصاب ، " رئيس مصففى الشعر " ولاشك أن أصحاب المهنة الأخيرة كانوا مسئولين عن زينة الملك والملكة وكانوا من الرجال والنساء .

ووصلت إلينا مجموعة من المناظر تمثل هذه المهنة منها منظر فكاهى يمثل قص الشعر .(١) وهناك منظر على تابوت للملكة كاويت زوجة أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة وترى وهى جالسة وقد أمسكت بيدها اليسرى مرآة ، بينما تتناول باليد الأخرى شرابا يقدمه لها أحد الاتباع ، وخلفها فتاة تصفف لها شعرها وتثبت دبوسا فى شعرها . ومنظر آخر يمثل أحد النبلاء وقد انشغل بعض أتباعه فى تزيينه وخاصة تسوية أظافر اليدين وآخر يهتم بالشعر وآخر يقوم بتدليك الرجل ، وهذا المنظر من الدولة القديمة . وهناك نموذج لباروكة أو شعر مستعار من الدولة الحديثة محفوظ بالمتحف المصرى .(٢)

وكان الحلاقون الذين يترددون على الطبقة الغنية على جانب من الثراء . فلديهم مجموعات مختلفة من الأمواس والمقصات والملاقط يضعونها فى حقائب من الجلد ويحفظونها فى صناديق فاخرة من الأبنوس . وكانوا يمارسون عملهم فى المنازل ويحظون برعاية خاصة .(٣)

أما الحلاق الذى كان يحلق لعامة الشعب فكانت حالته يرثى لها وتحدثنا بردية دواوف عن هذا الحلاق .(٤) فتقول أنه كان ينتقل من حى إلى آخر . أما معداته فهى بسيطة جدا ، عبارة عن إناء يحتوى على الماء المذاب فيه الصابون . وموسه عبارة عن سلاح أقل طولا من قبضة اليد ذو شكل غير منتظم ومزود بحافظة من الجلد . وتحدثنا فى الباب الثانى عن أوضاع هؤلاء العمال والصناع

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها - الموسوعة المصرية ، المجلد الأول - الجزء الأول ، ص ٩٨ .

(٢) المرجع السابق ، شكل ٢٤١ - ٢٤٢ ، شكل ٢٤٤ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٤) راجع فيما بعد ، الباب الثامن .

والفنانين وأحوالهم الاجتماعية ونظرة المسئولين إليهم .

تاسعا : التجارة :

التجارة الداخلية :

كانت مخازن الإدارات الحكومة والمعابد الكبرى مليئة بالسلع والبضائع ومنتجات العمال الملحقين بهذه الإدارات . وبعد الصرف من هذه السلع على تموين العمال فإن الفائض يستخدم فى التجارة .(١) وتباع منتجات إحدى الإدارات أو الأراضى الزراعية إلى التجار ، وهؤلاء يقومون بتوزيعها وبيعها فى الأسواق أو فى حوانيت خاصة بهم . وبجانب هذه الإدارات الكبرى ، كان يوجد أيضا عدد كبير من الملاك من كبارهم أو صغارهم الذين يقومون بتربية الماشية والدواجن أو يزرعون الحبوب والخضر والفاكهة وعندما يحتاجون إلى اقتناء الملابس أو الأثاث ومواد الزينة فكانوا يبيعون مايفيض من زراعتهم أو من تربية الماشية أو الدواجن .

وكان هناك صناع أحرار يستغلون مصنعا صغيرا يملكونه ويعتمدون فى معيشتهم على ما ينتجون ويقومون ببيعه . ويوجد أخيرا تجار لا ينتجون شيئا ويكتفون بشراء وبيع السلع المتدولة فى أنحاء البلاد . وكانت كل هذه الفئات من التجار يتلاقون فى الأسواق التجارية الموجودة فى عواصم المدن والأقاليم ، أو التى كانت تعقد فى القرى . وفى بعض مقابر سقارة من الدولة القديمة نرى تمثيلا لهذه الأسواق ففى السوق الأول نرى صورة حية لما يعرف ويحدث فى السوق. فنرى فى البداية منظر يمثل رجل يمارس مهنة معالجة الأطراف . وبعد ذلك نرى تاجرا وضع خضرواته فى سله متسعة ويتجه نحوه رجل يقود قرد ، وتاجر يضع أسماكه فى سلة ورجل واقف أمامه يعطيه إناء فى مقابل السمك . وتاجر فاكهة يضع فاكهته فى سلة وتقف أمامه امرأة ممسكة بطفلها وتعطيه إناءا متسعا ، ويظهر الرجل ومعه قرد مرة أخرى ، ويحاول القرد أن يعض رجل شاب آخر . وتاجر يبيع نوع من

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

وعن أماكن الأسواق ، راجع : Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, p. 432 .

الفطائر المستديرة وجلست أمامه امرأة تشم عيدان من النباتات وفى كتفيها معلق كيس صغير . وتاجر آخر يعرض مجموعة من الأوانى وأمامه رجل يعطيه آنية أخرى بدلا منها . وتاجر يبيع أسماك مملحة وأمامه رجل جالس يشم الرائحة . وتاجر العطارة يمد بيده آنية إلى امرأة ممسكة بآنية فى يدها اليسرى . وتاجر يعرض منتجات زراعية على رجل واقف أمامه وتاجر آخر أمامه سلة بها أنواع من الجبن ينادى بأعلى صوته ويتجه إليه رجل آخر يحمل آنيتين . وتاجر آخر أمامه سلة بها أعشاب نباتية وأمامه رجل آخر يعطيه إناءا مغلق . وأخيرا تاجر يفرد ثوبا من القماش ويساعده المشترى .(١)

وفى السوق الثانى ، نرى فى البداية رجلا يبيع صندوقا مستطيلا ويحمل آخر ، وامرأة تاجر الخزف تعطى تاجر العطارة آنيتين بدلا من قارورة للعطارة . وامرأة النجار تعطى تاجر السمك صندوقا من الخشب بدلا من السمك الذى اشترته منه ، ونرى التاجر وهو جالس وأمامه سلة السمك ونراه وقد سحب إحدى السمكات ويقوم بفتح خياشيمها ليرى المرأة كيف أن أسماكه طازجة . ونرى الاسكافى وهو يقدم لتاجر الحلى والمعادن حذاء بدلا من عقد رقبة اشتراه منه . وامرأة تحمل صندوقا تتناقش مع تاجر خضروات ، وتاجر خضروات آخر يمد يده بغصن يلتقطه منه رجل آخر يشترى منه . ومن وراء المشترى نرى رجلا ممسكا بيديه آلتين مثل الجرس والشخشيخة ربما لجذب أنظار الزبائن بهما .

وفى السوق الثالث ، نرى فى البداية مناظر الصناع وهم يقومون بصهر المعادن واعداد الأوانى منها ووزنها . ثم نرى تاجرا يبيع السمك ، وآخر يبيع الخضروات وثالث يبيع نوع آخر من السمك .(٢) وفى مقبرة خع ام حات من الدولة الحديثة رسم الفنان بحارة يعرضون غرارا وسلالا . وهم يصيحون فى صخب شديد

---

(١) Allam , Everyday life in Ancient Egypt , p .88 .

(٢) Allam , op . cit . , p . 94 , 100 .

وأيضا : تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية ، المجلد الأول – الجزء الأول ، ص ٢٦٠ .

قاعدين أو قائمين . ونرى وصول مركب أجنبية قادمة إما من أعالى النيل أو من سوريا وكان التجار يقيمون الحوانيت لبيع الطعام للفينيقيين الذين كانوا يعطونهم مقابل ذلك قرنا مزخرفا .(١)

وفى مقبرة قن آمون من الأسرة الثامنة عشرة ، نرى مراكب تجارية سورية تقوم بانزال البضائع على ميناء مصرى . وبجوار الميناء انعقد سوق يقوم بالبيع فيه رجال ونساء . وفى مقبرة ايبى من الأسرة التاسعة عشرة نرى مركب تجارية كبيرة والعمال ينزلون البضائع منها ، وبجوار الميناء انعقد سوق يقوم بالبيع والشراء فيه مجموعة من الرجال والنساء ، ووضعوا منتجاتهم فى سلال ، ونرى سلة تخرج منها امرأة السمك الطازج .(٢) وهناك منظر على كتلة من الحجر الجيرى فى متحف بروكلين بنيويورك ، ربما من مقبرة منتومحات من الأسرة الخامسة والعشرين ، يمثل امرأة جالسة ومعها طفلها ملفوفا فى قطعة قماش وأمامها سلة مملوءة بالفواكه وربما كانت تعرضها للبيع .(٣)

ونرى أصحاب الدواجن يقومون بذبحها وتنظيفها وتعليقها على صار من الخشب امام الحانوت ويعرضها للبيع .(٤) وهذا المنظر موجود فى أحد مقابر طيبة من عصر الدولة الحديثة . وذكر هيرودوت أن الصيادين كانوا يصطادون كميات وفيرة من الأسماك سنويا من بحيرة ميرس(مر – ور)وتمد أسواق الفيوم بأجود الأنواع .(٥)

فمثلا قصة الفلاح الفصيح تدل على أنه كان يتاجر فى بعض منتجات الواحات من نطرون وملح وبعض النباتات والمحاصيل الأخرى ، وكان ذاهبا لكى يقاضيها بمحاصيل أخرى فى سوق العاصمة . ونعلم من رسائل حقا نخت من الدولة

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٢) Allam , op . cit . , p . 91 .

(٣) Id ., op . cit . , p . 106 .

(٤) وليم نظير : الثورة الحيوانية عند قدماء المصريين ، ص ١٥١ شكل ٨٣ .

(٥) المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

الوسطى أن هذا الكاهن كان يقوم بجمع المحاصيل والاتجار فى بعض السلع . وكان حقا نخت يسافر من آن لآخر إلى الشمال بعد أن يترك لابنه الأكبر إدارة بيته وأملاكه التى على مقربة من طيبة وفى إحدى المرات أرسل إليه قماشا من الشمال ، ويذكر لابنه أنه يجب عليه أن يمدح نوع الاقمشة عندما يقدمها للبيع وأن يقول أنها من أحسن الأنواع .(١)

التجارة الخارجية :

منذ عصر الدولة القديمة كان الملوك يرسلون سفنهم التجارية إلى بلاد بونت وقلب أفريقيا عن طريق البر تارة ، وبطريق البحر الأحمر تارة أخرى وذلك بغرض التبادل التجارى . وانشئت بالفعل مدينة مصرية عند بلدة كرما فى دنقلة ، وكانت مركزا هاما للنشاط التجارى وتشير قصة الملاح إلى قيامه بهذه الرحلة بغرض التجارة . ولاتخرج رحلة بونت فى عهد الملكة حاتشبسوت عن كونها رحلة تجارية . وكان المصريون يحضرون من هذه المناطق البعيدة الصمغ والبخور والذهب والحيوانات وريش النعام والابنوس والعاج وجلود الفهود ومنتجات أخرى تنمو بكثرة فى تلك المناطق البعيدة لحاجتهم إليها .

ومنذ هذا العصر كان هناك تبادل تجارى بين مصر والساحل السورى أيضا فكان المصريون يستوردون من هناك أخشاب الأرز . وفى عصر الدولة الحديثة كانت ترد من سوريا المنتجات المختلفة من الأسلحة وغيرها إلى مصر بكثرة . وفى عهد رمسيس الثانى قام المصريون برحلات إلى سيبار التى تقع على قناة تربط نهر الدجلة بنهر الفرات وذلك لشراء حجر اللازورد الأزرق الذى كان مصدره بلاد باكتريان وأرسل رمسيس الثالث بعثة إلى بلاد بونت متخذة الطريق البحرى وزودها بوسائل قوية فكان الأسطول يتكون من مراكب كبيرة كثيرة العدد ومراكب للحراسة يتكون أفرادها من بحارة وحملة الاقواس ورؤسائهم وأفراد للامدادات ، وقد شحنوا معهم كميات وفيرة من الطعام والبضائع لأجل إطعام رجال الحملة ولغرض التبادل

---

(١) د. احمد فخرى : مصر الفرعونية ، ص ١٩٨١ ، ٢٠٥ .

فـى المعاملـة .(١) وكـانت هنـاك السـفن السـورية التـى تربـط بيـن الموانـي الشـمالية للساحل المصرى وموانى الساحل الفينيقى . وكانت تجـئ محملـة بالبضـائع للأسـواق المصرية .

أ - المعاملات المالية والتجارية :

وكان نظام التبادل أو المقايضة شائعا ومعروفا وتحدد قيمة كل سلعة حسب وزنها ، ولم تعرف مصر القديمة نظام العملة إلا فى العصور المتأخرة (عهـد الملـك تيوس فى الأسرة الثلاثين)(٢). وكانت المقايضة تتم طبقا لوحدة من الوزن كـان يطلـق عليها اسم (شات) وعلى ذلك فمن كان يرغب فى بيع منزل ولم يتفق المشترى على تحديد قيمته على أساس الشات كان يقبل نظـير ذلـك أن يتسلم مواشـى أو حبوبـا لهـا قيمة الشات وإذا كان المطلوب مبادلة حيوانات أو مواد لم تكن قيمتها متسـاوية كـــان ينبغى تقديـر الفـرق بالشات أو بعدد من الشات وأن يسعوا إلى وجود سلع يكون فـى استطاعة أحـد الطرفين أن يقدمهـا ويقبـل الآخـر أن يتسلمها . واسـتخدمت وحـدات أخرى :

١- للأكيال :

(أ) وحدة حكات = ٤,٧٨٥ لتر .

(ب) وحـدة هــن = ٠,٤٥ من اللتر .

(جـ) وحــــدة رو = ١٤ - ١٥ سم٣ .

٢- للأوزان :

(أ) وحدة قد = ٩,٣٣ جراما .

(ب) وحدة بكا = ١٢,٩ جرامــا(اسـتخدمت فقـط فـى وزن الذهب)

(جـ) وحدة دبن= ٩١,٣ جراما .

(د) وحدة سب = ٩١٣ جراما .

---

(١) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ .

(٢) بعد رحيل قمبيز عن مصر عين الوالى الفارسى ارياندس الذى ضرب عملـــة باسمه : ارياندیكون . وكانت تصنع من أنقى أنواع الفضة . ومع ازدياد النفوذ التجارى الإغريقي فى مصر . عمد المصريون إلى نقش العملات الإغريقيـــة بعلامات هيروغليفية (مثل علامة نفر ووجا)، راجع : ر. انجلباخ : مدخــل إلى علم الآثار المصرية ، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية ، العدد ٢٧ لعــــام ١٩٨٨ ، ص ٣١٠ - ٣١١ .

(هـ) وحدة كيت = ٩ جراما (استخدمت للذهب والفضة والنحاس والأحجار الكريمة) .

وفى العصر البطلمى ، أصبحت وحدة الدرهم هى السائدة فى الموازين ، وكانت تعادل حوالى ٣ جرامات (١) وبالمتحف المصرى مجموعة من المكاييل والموازين . منها وعاء عليه اسم تحوتمس الثالث يسع ٢١ هن (٢) ، ومجموعة من المكاييل للسوائل من البرونز والفضة من الأسرة الثامنة عشر مقسمة إلى أقسام صغيرة تبلغ ١/١٢٨ (٣) وهناك ثقل كبير له قمة على شكل نصف دائرة وعليه اسم الملك طهرقا ، ويزن حسب النص ٢٦٠ دبنا (٤) . وهناك ثقل من الجرانيت الأشهب على شكل رأس عجل ، وعليه اسم الملك سيتى ، ويعادل هذا الثقل وزن ٢٠٠ دبن (٥) .

أما أفراد القصر الملكى والعائلة الملكية فكانوا يستخدمون للشراء حلقات من الذهب ذات أوزان معينة تستخدم بدلا من العملة . وكانت الحبوب تكيل بمكاييل خشبية والفاكهة بالسلال ومنتجات أخرى بالغرار أو المقاطف المختلفة الأحجام . أما الحيوانات والأشجار فكانت تعد بالواحدة وفقا لأنواعها ، وتحدد قيمتها بالدبن . فمثلا ثمن العجول يتراوح مابين ٣٠ و ١٣٠ دبن من النحاس ، وجوال الذرة يوازى دبن واحد من النحاس فقد باع الكاتب بنانوكيت عجلا قدر ثمنه ١٣٠ دبن من النحاس وتسلم فى المقابل رداءا من الكتان يساوى ٦٠ دبن و ١٠ غرار و٣ كيلات ونصف كيلة تساوى ٢٠ دبنا وعقد من الخرز يساوى ٣٠ وأخيرا قميصين قيمة كل منهما ١٠ دبن .(٦)

---

(١) د. سمير يحيى : تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الفرعونى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤ ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .
(٢) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٢٦ (٥٥١٠) .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٢٧ (٥٥١٣ – ٥٥١٤) .
(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٦ (٥٥١١) .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٢٦ (٥٥١٢) .
(٦) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ – ٢٢٦ =

ب - طرق التجارة ووسائل النقل :

كانت هناك الطرق المتعددة الممهدة ، كذلك القنوات المائية . وكانت الطرق والقنوات تصان فى آن واحد ، فعندما تطهر القنوات يؤخذ الردم الناتج منها لتسد به حفر الطريق ، واستخدمت الحمير لحمل البضائع والأثقال على الطرق الممهدة ، واستخدمت القوارب والمراكب فى النيل والقنوات الداخلية . وكانت هناك الجسور الخشبية لعبور المارة والماشية . ومما لاشك فيه أنه لم توجد الجسور على نهر النيل ولا على فروعه الثانوية فى الدلتا . وللتعدية من شاطئ لآخر استخدم المصرى القارب . واستعمل الأثرياء زمنا طويلا فى تنقلاتهم القصيرة ذلك الكرسى الذى كان يحمل . وكان ينبغى على الثرى دفع أجر لهؤلاء الحمالين أو اطعامهم على الأقل . وفى عصر الدولة الحديثة كان الملك لا يحمل على هذا الكرسى إلا فى بعض الاحتفالات . ولكن الملك وكبار الشخصيات كان عادة يفضلون العربة للتنقل . وكانت العربة وسيلة مفيدة لزيارة قصر الملك أو وسيلة النقل الحقيقية فى مصر القديمة فكانت المراكب منذ أقدم العصور .(١) فمنذ عصور ما قبل الأسرات ظهر على فخار نقادة العديد من رسوم المراكب التى كانت تلعب دورا رئيسيا فى أغراض النقل

= وعن الحياة الاقتصادية فى مصر القديمة بوجه عام ، راجع :

Daumas , la Vie dans L'Égypte Ancienne , p.8 fig , p . 11 fig.2 et p . 12 fig . 3 ; p . 9 - 29 fig . 4 - 6 . p , 29 - 32 , p . 41 - 48 ; p . 92 - 99 ; Id., la Civilisation de l'Egypte Pharaonique , p. 215 - 247 ; Posener , Dicitionnaire de la Civilisation Égyptienne , p . 4 - 5 , 14 - 15 , 37 - 38 , 43 - 44 , 47 - 49 , 51 - 52 , 61 - 62 , 92 - 95 , 101 - 102 , 117 - 118 ; 139 - 140, 145 , 151 - 152 , 172 , 177 - 178 , 197 - 198 , 210 , 225 - 227 228 - 229 , 229 - 301 ; Erman - Ranke , la Civilisation Égyptienne , p . 543 , p . 600 - 644 ; Mokhtar , General History of Africa II (198) , p . 112 - 131 .

(١) تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٥٠٩ شكل ١٣ .

والتنقل . وفيما بعد فى العصور التاريخية التالية صنعت أنواع عديدة من المراكب ، منها ما كان يستخدم فى النيل والقنوات (١) .

وبالمتحف المصرى نماذج من هذه المراكب التى كانت تستخدم للنقل ، فهناك مركبان كبيران من الخشب طول كل منهما عشرة أمتار ، استعملتا فى نقل المتاع الجنائزى للملك سنوسرت الثالث ودفنتا بالقرب من هرمه بدهشور ليستطيع الملك استخدامها فى حياته الآخرة . ويلاحظ أنهما صنعتا من قطع صغيرة من الخشب معشقة فى بعضها ، وهما خاليتان من الأضلاع وبواسطة العوارض تكون الجوانب صلبة شديدة المقاومة . وقد أبدى هيرودوت ملاحظاته الآتية فى وصفه بناء المراكب عند المصريين القدماء : " يقطع المصريون عددا من الواح يبلغ طول كل منها نحو ذراعين ثم يصفون هذه الألواح كما يصفون القوالب ، ويشدونها إلى بعضها بعدد من الأوتاد الطويلة حتى يتم بناء هيكل المركب . وهم لا يتخذون اضلاعا لمراكبهم ولكنهم يحشون الشقوق من الداخل بالبردى .(٢)

وعندما تسير المركب مع التيار دون أن تكون هناك رياح مساعدة ، استخدمت المجاديف . وكان عدد المجدفين يتراوح بين عشرة واثنى عشر شخصا . وعندما تسير المركب ضد التيار كانت تفرد الشراع الوحيد وهو عبارة عن قطعة مربعة وغالبا مستطيلة تفرد بين صاريين ، ويمكن تحريك الشراع بواسطة عدة حبال . أما المراكب المعدة للسفر فى النيل حتى بلاد النوبة، فكانت عبارة عن منازل حقيقية عائمة . وحتى يمكن جمع المحاصيل والمنتجات فى مركز رئيسى ولتسهيل استيراد البضائع وتصديرها كان لزما على الإدارات الحكومية وعلى الأفراد

---

(١) تاريخ مصر القديمة وآثارها – الموسوعة المصرية، المجلد الأول – الجزء الأول ، شكل ١٩١ .

(٢) دليل المتحف المصرى – القاهرة ، وزارة الثقافة مصلحة الآثار ١٩٦٩ ، ص ١٥ – ١٦ (٦ – ٩) .

الأثرياء أن تكون فى حوزتهم اساطيل حقيقية من المراكب الكبيرة ذات القاع المسطح .(١)

وكانت هناك الصنادل الكبيرة التى كانت تستخدم لنقل الكتل الضخمة التى تستخرج من المحاجر مثل المسلات والتماثيل الضخمة ، ومثل هذه الصنادل يسحبها جرار . وكانت هناك صنادل ليس لها قمرات كانت تستعمل لنقل المواشى . كما كانت هناك مراكب ذات قمرات فى الوسط ، تستعمل لنقل الحبوب . فكانت توضع السقالات على حافة الشاطئ وتنزل الحيوانات . وتفرغ البضائع أو الحبوب ، ويصطف الحمالون صفا واحدا يلى أحدهم الآخر ويفرغون الحمولة ، ولكى يرفهوا عن أنفسهم كانوا يغنون أغانى تتفق ووقع خطواتهم .(٢) وكانت هذه المراكب تقوم أيضا بنقل حمولات التمر .(٣)

وكانت هناك المراكب الكبيرة التى تعبر شواطئ البحر الأحمر للوصول إلى السواحل الأفريقية . وكان هناك موقع لميناء من الأسرة الثانية عشرة عثر عليه فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر . وقد رأى بعض العلماء عدم ممارسة المصريين القدماء لأى نشاط بحرى فى البحر الأحمر فى عصر الدولتين القديمة والوسطى ، ومن رأيهم أن المصريين لم يستخدموا البحر الأحمر إلا فى عصر الدولة الحديثة . ولكن الكشف عن هذا الميناء من الدولة الوسطى يدحض مثل هذه الآراء .(٤) وأحيانا كانت المراكب المصرية تعبر البحر الأبيض المتوسط

---

(١) المرجع السابق ، شكل ١٩٥ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣١ - ٢٣٦ .

(٣) عن اوزان وحسابات هذه الحمولات للتمر ، راجع بردية اللوفر الخاصة بهذا الموضوع : . Megally , Notions de comptabilité Apropos du papyrus E 3226 du Musée du louvre , le Caire .

(٤) د. عبد المنعم عبد الحليم : الكشف عن موقع ميناء الأسرة الثانية عشرة الفرعونية فى منطقة وادى جواسيس على ساحل البحر الأحمر ، نشر فى مؤلف : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٣ ، ص ٧٣ - ٧٦ .

للوصول إلى السواحل السورية أو تذهب إلى الخليج العربى للأغراض التجارية ورحلات الكشف البعيدة ، وكانت معدة إعدادا خاصا وكانت تشيد فى رأس خليج السويس .(١) فمثلا المراكب المعدة للسفر فى النيل حتى بلاد النوبة كانت عبارة عن مركب طويل على شكل هلال لا يمس مقدمها ولا مؤخرها المياه ويتوسطها صارى واحد فى الوسط ، ولها شراع كبير متصل بالصارى بحبال عديدة . وبدلا من وجود دفة واحدة فى مؤخرة المحور ، توجد دفتان ثبتتا على أعمدة قوية على جانبى المركب الأيمن والأيسر ، على بعد قليل من المؤخرة . وأعدت قمرة كبيرة فى وسط المركب لمكان للمسافرين ، والحق بها مكان توضع فيه الخيول . كما كانت هناك مراكب ذات الشراع أو ذات المجاديف التى تستخدم فى النقل أو الجر أو الحراسة من الأسرة الخامسة .(٢)

وكان الملك يرسل فرقا من رماة السهام تحت قيادة حكيمة ، أحسن تسليحهم وكان واجبهم حماية المراكب ضد كل عدوان والعمل على احترام مبعوثيه عندما يكون فوق اليابسة . ولحماية المسافرين عن طريق البر أقيمت معابد صغيرة وقد اكتشف أخيرا فى أحدها ، على الطريق الممتد بين ايونو وشاطئ البحر الأحمر ، مجموعة تماثيل منحوته تمثل الملك رمسيس الثالث ، كان الأفراد يقرأون ماعليها من نصوص التى كانت كفيلة فى اعتقادهم بحمايتهم . ولقد انشأ رمسيس الثالث فرقا من الشرطة ومن حملة الاقواس لحراسة القوافل .(٣)

أما السفر فى الصحراء فكان يحتاج إلى مرشدين اكفاء . وبفضل هؤلاء الرواد أصبحت لدينا خرائط مثل تلك التى يحويها متحف تورين ، والتى تعتبر بحق أقدم خرائط العالم ، وهى تختص بمنطقة المحاجر ومناجم الذهب التى يطلق عليها

---

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤، المجلدان السادس عشر والسابع عشر : ملامح ثروة مصر الآثرية والسياحية ، ص ٣٩١ .

(٢) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ – ١٩٩٤، المرجع السابق ، ص ٣٩٢ – ٣٩٥ ؛ بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .

(٣) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣٨ – ٢٤١ .

مناجم ققط (١) وقد رسمت الأراضى ولونت بالأحمر الفاقع بينما لونت الجبال بمسحوق حجر التوتيا الغامق ، ورسمت عليها أقدام بطول الطريق لتدل على الاتجاه .(٢) ولقد انشاء رمسيس الثالث فرقا من الشرطة ومن حملة الاقواس لحراسة القوافل التى تجوب الصحراء . ويجب أن نذكر هنا أنه كانت هناك قناه حفرت أيام الدولة الوسطى (سنوسرت الأول أو الثالث ؟) تفرعت من النيل قرب بوباسطة وتصب فى وادى الطميلات .(٣)

وردمت هذه القناة وحاول الملك نكاو فى الأسرة السادسة والعشرين اعادة حفرها . ويذكر هيرودوت أنه هلك فيها أكثر من ١٢٠ ألف رجلا خلال عملهم فيها وقد عدل الملك عن الاستمرار فى الحفر عندما أبلغ عن طريق نبؤة الوحى أن البرابرة (يقصدون الفرس) هم الذين سيستفيدون من حفرها . وعندما جاء الملك دارا الأول أعاد حفرها وكانت متسعة بدرجة تكفى لمرور اثنين من مراكب ذات الطبقات الثلاث من المجاديف فى يسر وسهولة . والمرور بها كان يستغرق نحو أربعة أيام بالشراع .وقد خلد دارا ذكرى هذا العمل العظيم بإقامة خمس لوحات على

---

(١) عن طريق القوافل القديمة ومواقعها ، راجع : موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤ ، المرجع السابق ، ص ٤٠٣ .

(٢) بيير مونتيه : المرجع السابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) يرى د. عبد المنعم أن هذه القناة لم يكن لها وجود ايام الأسرة الثانية عشرة ولكنها حفرت ايام دارا الأول الفارسى عام ٥١٨ ق.م . وقد وصف هيرودوت مسار هذه القناة بأنها كانت تأخذ من النيل (الفرع البيلوزى الذى يجرى مكانه الآن بحر شبين) إلى الجنوب قليلا من تل بسطة ثم تتجه شرقا إلى تل المسخوطة حاليا ثم خليج السويس ، راجع د. عبد المنعم عبد الحليم : " قناة النيل - البحر الأحمر المسماة قناة سيزوستريس وأدلة عدم وجودها فى العصر الفرعونى بحث نشر فى مؤلف : البحر الأحمر وظهيره فى العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣ ، ص ١٩٩ - ٢٠٥ .

جانبى القناة محفوظة الآن بمتحف الاسماعيلية . وأدخلت بعض التعديلات على هذه القناة أيام البطالمة . فقد أقيمت أهوسة عند صلتها بالبحر الأحمر وقد عطلت القناة خلال القرن الأول قبل الميلاد ، ويبدو أن الامبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧م) قد أصلحها . ويبدوا أنه فى هذا العصر حدث امتداد لهذه القناة أو تعديل لمسارها ، فكانت هناك قناة أخرى تبدأ قرب القاهرة وتنتهى فى خليج السويس ويحتمل أن يكون خط سيرها يتبع القناة وأصبحت تسمى " نهر تراجان " . وبعد الفتح العربى قام عمرو بن العاص بتجديد القناة القديمة (بعد تعديل مسارها) واستعملها فى نقل القمح من الفسطاط إلى القلزم (السويس) حيث كانوا يصدرونه إلى الجزيرة العربية . وقد أهملت هذه القناة بعد القرن الثامن الميلادى .(١)

---

(١) موسوعة المجالس القومية المتخصصة ١٩٧٤ - ١٩٩٤، المرجع السابق ، ص ٥٥ - ٥٦ ، راجع ص ٥٧ حيث يوجد خريطة لمسارات القنوات القديمة فى شرق الدلتا .

كشاف الأعلام

[أ]

[ث]

[ن]

[هـ]

الجزء الأول

محتويات الكتاب

صفحة

صفحة

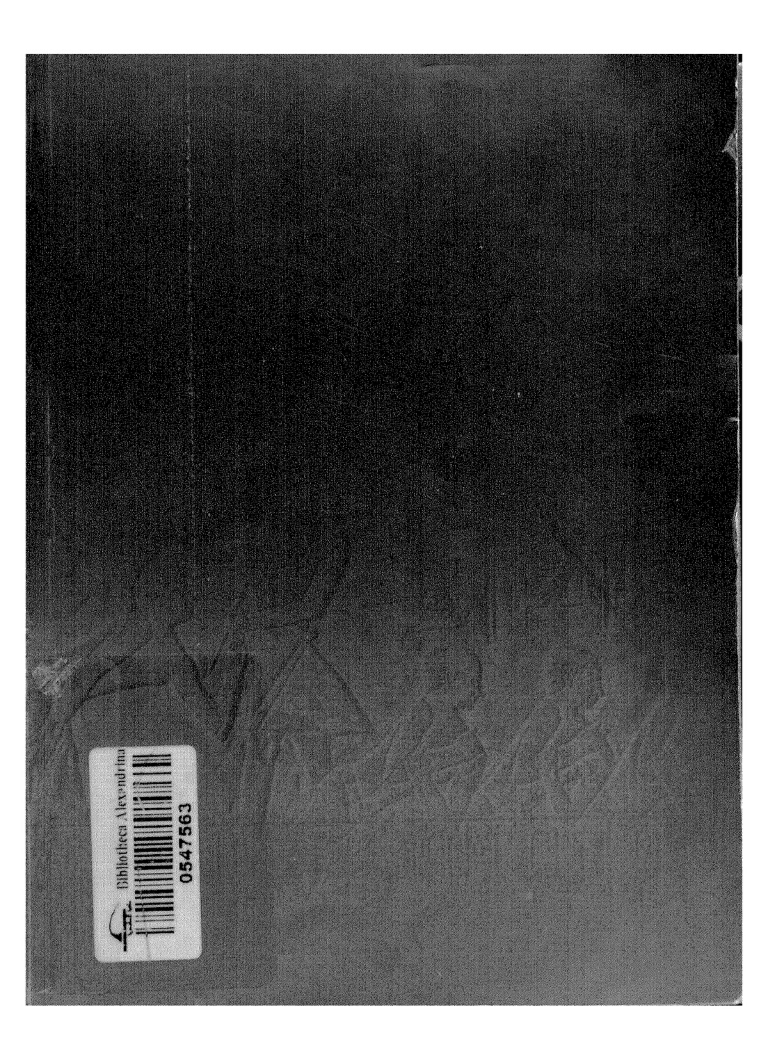
صفحة

الباب الرابع

صفحة

صفحة

رقم الإيداع ١٥٢٠٩ / ٢٠٠٤
I.S.B.N.
977-305-771-2
مطابع المجلس الأعلى للآثار


Bibliotheca Alexandrina
05447563